

شرح ديوان المتنبي

وَضَعَهُ
عبد الرحمن البرقوقي

وَقَدْ آمَنَتْ هَذِهِ الطَّبَعَةُ بِالدَّقَّةِ وَالنَّبَسْطِ وَالِاسْتِيعَابِ، بِحَيْثُ تَلَقَّتْ
فِي هَذَا الشَّحِّ جَمِيعَ شُرُوحِ الْمُتَنَبِّي وَشَرَحَتْ فِيهِ الشَّوَاهِدَ وَالنُّظَائِرَ وَمَا إِلَيْهَا
وَصَارَ بِذَلِكَ مُفِيدًا عَنْ جَمِيعِ الشُّرُوحِ

المجلد الرابع

الناشر دار الكتاب العربي
بيروت - لبنان

وقال يمدح أبا الفوارس دليبر بن لشكروز سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ،
 وكان قد جاء إلى الكوفة لقتال الخارجي الذي نجم بها من بني كلاب ،
 وانصرف الخارجي عن الكوفة قبل وصول دليبر إليها :
 كَدَعَوَاكَ كُلُّ يَدِي صِحَّةَ الْمُقْلِ ،

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَذْرَى بِمَا فِيهِ مِنْ جَهْلٍ ^(١)
 لَهْنِكَ أَوْلَى لَا تَعْمِ بِمَلَامَةٍ ، وَأُخْوَجُ يَمِّنْ تَفْذِلِينَ إِلَى الْعَذْلِ ^(٢)
 تَقُولِينَ مَا فِي النَّاسِ مِنْكَ عَاشِقٌ جِدِي مِثْلَ مَنْ أَحْبَبْتَهُ تَجِدِي مِثْلِي ^(٣)
 مُحِبٌّ كَفَى بِالْبَيْضِ عَنْ مُرْهَفَاتِهِ ، وَبِالْحُسْنِ فِي أَجْسَامِهِنَّ عَنِ الصَّقْلِ ^(٤)
 وَبِالشَّمْرِ عَنْ شَمْرِ الْقَيْسِ غَيْرِ أَتْنِي جَنَاهَا أَحِبَّائِي وَأَطْرَافُهَا رُسُلِي ^(٥)

(١) يقول - للعاذلة - : كل أحد يدعى لنفسه صحة العقل كما تدعين أنت : يعني أنك بلومك إياي تدعين أنك أصح عقلا مني ، ولكن ليس يعلم أحد جهل نفسه ، لأنه متى علم جهل نفسه لم يكن جاهلا .

(٢) لهنك : قال سيويه أصلها « لله أنك » وقال أبو زيد : أصلها « لإنك » مركبة من « لام التوكيد وإن » فأبدلت همزة « إن » هاء لئلا يجتمع حرفان للتوكيد في الصورة . يقول : أنت أولى بالقوم وأحوج إلى العذل مني ، لأن من أحببته لا يلام على حبه .

(٣) منك : منصوب على الحال من عاشق ، لأن وصف النكرة إذا قدم عليها نصب على الحال . يقول : لها : إن وجدت لمحبوبي مثلا في الحسن وجدت لي مثلا في العشق : يعني كما أن محبوبي لا مثل له ، كذلك أنا . وقد فسر مراده فيما يلي .

(٤) عجب خبر عن محذوف ضمير التكلم . والبيض : النساء . والرهفات : السيوف . والضمير في « مرهفاته » للمحب . يقول : أنا عجب أحشق الحرب دون النساء . فإذا ذكرت البيض أردت بها السيوف ، وإذا ذكرت حسنهن كنيته به عن صقل السيوف .

(٥) يقول : وأكنى كذلك بالسر عن الرماح السر . ويعني بجناها ما يجتني منها من للمعالي التي يرتقى إليها بالعرالي . يقول : فالمعالي هي أحبائي ورسلي التي تفرق بيني وبينها : هي الأئمة - الرماح - يريد : أني أخطب للمعالي بالرماح .

عَدِمْتُ فَوَادًا لَمْ تَبْتَ فِيهِ فَضْلَةٌ إغْيِرِ الثَّنَائِيَا الْفَرْ وَالْحَدَقِ النَّجْلِ^(١)
فَمَا حَرَمْتَ حَسَنَاءَ بِالْمَجْرِ غِبْطَةً ، وَلَا بَلَقْتَهَا مِنْ شَكَى الْمَجْرِ بِالْوَصْلِ^(٢)
ذَرِينِي أَنْزِلْ مَا لَا يُنَالُ مِنَ الْعُلَى

فَصَغْبُ الْعُلَى فِي الصَّغْبِ وَالسَّهْلِ فِي السَّهْلِ^(٣)
تُرِيدِينَ لِقْيَانَ الْمَعَالَى رَخِيسَةً ، وَلَا بُدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّجْلِ^(٤)

(١) الثنايا : الأسنان التي في مقدم الفم . والفِر : البيض . والحدق : جمع حدقة ، سواد العين . والمراد بها العين . والنجل : الواسعة : يدعو على قلب يميل إلى الحسان بالعدم - القدر - يقول : لا كان لي قلب لا فضلة فيه لغير حب ثنايا الحسان وأحداقهن ولا ينزع من الأمور إلى أرفعها ، ويحل من منازل المجد والشرف في أجلها وأكرمها .
(٢) الغبطة : السعادة وحسن الحال . يقول : إن المرأة الحسناء إذا هجرت لم تحرم المهجور غبطة ، لأنها لو واصلته لم تبلغه الغبطة أيضا ، يريد أن الغبطة على الحقيقة إنما هي في كسب للمعالي ونيل المجد والشرف لا في نيل اللذات ومواصلة الغايات . فالهاء في « بلقتها » : مفعول أول بلغت ، وهي عائدة على الغبطة ؛ ومن شكى مفعول ثان ؛ وبالوصل : متعلق بيلغها ؛ ومن شكى المجر هو العاشق : أي وإن واصلته لم تبلغه غبطة . وقال الخطيب التبريزي : نهى عن الحرص في طلب النساء . يقول : إذا هجرتها ثم وصلتها كنت أحسن موقفاً عندها وأنشط لها فزادت الغبطة ، وإذا شكوت إليها المجر وتذلل لها هنت في عينها ؛ فجرمتك وصلها فضلا عن تبليحك الغبطة .

(٣) يقول - للعاذلة - : دعيني أنزل من العلى ما لم ينل قبلي ، فإن العلى الصعبة الشاقة - وهي التي لم يبلغها أحد - في الأمر الصعب الذي لم يركبه أحد ، وما يسهل وجوده يسهل الوصول إليه ، يعني لا يدرك من المعالي ما تجلي قيمته إلا بتسكف ما تعظم مشقته ، وما كان منها يقرب تناوله فيحسب ذلك يكون تساهله .

(٤) رخيصة : حال . والشهد - بفتح الشين وضمها - العسل . وإبرة النحل : شوكتها . يقول - للعاذلة - : تريدن أن أدرك المعالي رخيصة - أي دون أن أبذل فيها نفسي وأعرضها للأهوال - والمعالي لا تدرك كذلك ، فإن من حاول اجتناء الشهد قاسى لسع النحل ، ولا يبلغ حلاوة العسل إلا بمقاساة مرارة اللسع . وهذا كما قال العتابي :

حَذِرْتُ عَلَيْنَا الْمَوْتَ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي ، وَلَمْ تَعْلَمِي عَنْ أَيْ عَاقِبَةٍ تُجَلِي ^(١)
فَلَسْتُ غَيْبِنَا لَوْ شَرِيتُ مَنِيَّتِي يَا كَرَامَ دَلِيزِ بْنِ لَشَكْرٍ وَزَّي ^(٢)
تُمْرُ الْأَنْابِيدُ الْخُوطِرُ يَدْنُنَا ، وَنَذْكُرُ إِقْبَالَ الْأَمِيرِ فَتَحَلُّوْا لِي ^(٣)

وإن جسيمات الأمور مشوبة بمستودعات في بطون الأساود ^(١)
هذا : وقال الواحدى : قرئ على النبي لقمان - بضم اللام - وكذلك أملاه ،
وهو خطأ ؛ والصواب : الكسر . ذكره سيويه : وقال : هو مثل عرفان وغشيان
وحرمان ووجدان وإتيان ونحو ذلك .

(١) والخيـل تلتقى : يروى والخيـل تدعى : يريد أصحاب الخيل ؛ والجملة حالية ؛
والإدعاء فى الحرب : الاعتزاء والانتساب - وهو أن يقول : أنا فلان ابن فلان :
وتجلى : تنفرج وتكشف ، يقال أجلت المركبة عن كذا قتيلًا : يقول : تخافين
علينا الموت عند التعام العرب وتبارز الفرسان ولم تعلمي عن أى طاقبة تنفرج الخيل :
أى هل تكون الدائرة علينا أو على العدو ؟ قال العكبرى : يشير إلى الموقعة التى
شهدها فى الكوفة مع الخارجى قبل وصول هذا المدوح إليها .

(٢) الغبين - - الغبون - فمیل بمعنى مفعول : كقتيل بمعنى مقتول من غبه فى
البيع والشراء : خدعه وغلبه ، وشريت ههنا : ابتعت ، وروى شريت ، « ودلير »
و « لشكروز » : قال الواحدى . اسمان أعجميان من أسماء الديلم : ومعناها : الشجاع
والسعود ، وقال اليازجى : « لشكروز » مركب من « لشكر » وهو الجيش
و « واواز » وهو الصوت : أى صوت الجيش . يقول : وطى فرض أن الدائرة
كانت علينا ، وكنت أنا من جملة المهلكى : لم أعد ذلك غبنا على ، وإنما أعده رجحاً
مقابل ما حصلت عليه لنفسى من إكرام هذا المدوح .

(٣) أمر الشيء يمر إمراً : صار مرأ ، ويقال مريم - بفتح اليم - وضيمها -
والأنابيد : جمع أنبوب ، وهو ما بين كل كمينين : والمراد هنا : الرماح أنفسها وخطر
الريح اهتز ؛ و « تحلولى » تصير حلوة . يقول : إن الرماح الحاضرة بيننا وبين أعدائنا
نصبر مرة علينا ، يعنى أن الحرب شديدة للראה . فإذا ذكرنا إقبال الأمير صارت حلوة
لنا ، لأننا نظفر على الأعداء بدولته وإقباله . هذا : وقد عاب قوم عليه قوله « فتحلولى » مع
قوله « تجلى » وقالوا : كيف جمع بينهما فى القافية ولا صحة للواو ؟ قال الواحدى : وليس الأمر كذلك

(١) الأساود : الحيات

لأن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما جرتا مجرى الصحيح : مثل القول والمين ، وكذلك إذا انفتحا وسكن ما قبلهما : مثل أسود وأبيض ؛ وهذا مثل قول الكسعي^(١)

يَاربُّ سَدَّدَنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِن لَّدَنِي لِنَفْسِي
* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

(١) الكسعي : نسبة إلى كسع كزفر ، وهم حمى من اليمن رماة ، أو من بني ثعلبة ابن سعد بن قيس غيلان ، واسمه غامد بن الحرث ، أو محارب بن قيس ، يضرب به المثل في الندامة ، قال الفرزدق :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُسَعِيِّ لَمَّا غَدَتُ مِنِّي مُطْلَقَةً نَوَارُ

وكان من حديثه أنه كان يرعى إبله في واديه حمض وشوحط فلما ربه نبعة حتى أخذ منها قوسا ، وإما رأى قضيب شوحط ثابتا في صخرة فأعجبه فجعل يقومه حتى بلغ أن يكون قوسا ، فقطعه ؛ وقال :

يَاربُّ سَدَّدَنِي لِنَحْتِ قَوْسِي فَإِنَّهَا مِن لَّدَنِي لِنَفْسِي

* وَاَنْفَعُ بِقَوْسِي وَلَدِي وَعِرْسِي *

أَنْحَتُ صَفَرَاءَ كُلُونِ الْوَرَسِ كَبْدَاءَ لَيْسَتْ كَالْقِسِيِّ النَّكْسِ

حتى إذا فرغ من نحتها برى من بقيتها خمسة أسهم ثم قال :

هَنَ رَبِّي أَشْهُمُ حِسَانُ يَلْدُ لِلرَّمِي بِهِ الْبَنَانُ

كأنا قومها ميزان فأبشروا بالخصب يا صبيان

إن لم يُعْقِنِي الشَّوْمُ وَالْحَرَمَانُ

ثم خرج ليلا إلى قفرة له - القفرة : بيت الصائد - على موارد حمر الوحش ؛ فرمى غيراً منها ، فألقده . وأورى السهم في الصوانة نارا ، فظن أنه أخطأ فقال :

أَعُوذُ بِالْمُهَيْمِنِ الرَّحْمَنِ مِنْ نَكْدِ الْجَدِّ مَعَ الْحَرَمَانِ

مآلى رأيتُ السهمَ في الصَّوَّانِ *

وقد قال البحرى

* إن سِرَّ الخليطِ حين استَقلا *

ثم قال فى هذه القصيدة :

كُنْتُ من بين البرايا به أحق وأولى *

وقل ابن جنى : هذه قافية فيها فساد ؛ وذلك أن الواو فى « مخلولى » ردف لأنها ما كنة قبل حرف الروى . وليس فى هذه القصيدة قافية مرفعة غير هذه ، وهذا عيب عندهم ، يد أنه جاء فى الشعر القديم :

إذا كنت فى حاجة مرسلًا فأرسل حكيمًا ولا توصو

يُورى شَرَكَارَ النارِ كالعِقيانِ أخلفَ ظَنِّي وَرَجَا الصبيانِ

ثم وردت الجر ثانية فرمى عيرا منها فكان كالأدى مضى من رمية فقال :

أعوذ بالرحمن من شرِّ القَدَرِ لا بَارِكِ الرحمنُ فى أُمِّ القُتَرِ

أَمِيطُ السهمَ لإرهاقِ الضرِّ أَمِ ذاك من سوءِ احتمالٍ ونظرِ

* أَمِ ليسَ يَعْنى حَذَرٌ عندَ قَدَرٍ *

« المغط والإمقاط : سرعة النزع بالسهم » ثم وردت الجر ثالثة ؛ فكان كما مضى

من رمية فقال :

إنى لشؤمى وشقائى ونكدٌ قد شَفَّ مَنى ما أرى حرَّ الكيدِ

أخلفَ ما أرجو لأهلى وولَدَ *

ثم وردت الجر رابعة ؛ فكان كما مضى من رمية الأول فقال :

ما بالُ سهمى يُظهرُ الجُباحِبا قد كنت أرجو أن يكون صائبا

إذ أمكن العيرُ وأبْدَى جانبًا فصار رأبى فيه رأيا كاذبا

ثم وردت الجر خامسة ؛ فكان كما مضى من رمية ، فقال :

أبعدَ خمسٍ قد حفظتُ عَدها أَجِلُ قوسى وأريدُ رَدها

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي أَنَّهُ سَبَبٌ لَهُ لَزَادَ سُورِي بِالزِّيَادَةِ فِي الْقَتْلِ^(١)

وإن بَابُ أمر عليك التوى فشاور ليبياً ولا تعصب^(١)

(١) يقول : لو كنت أعلم علماً ليس بالظن أن هذه الفتنة التي دعت إلى إعمال الرماح تكون سبباً لحيء المدوح إلينا والتخلي بقربه : لزاد سروري بزيادة الفتنة وكثرة القتل . قال المبكري : يشير إلى الوصية التي جرت بالكوفة ولم يشهدها المدوح وكانت سبب قدومه إلى الكوفة .

أَخْزَى إِلَهِي لَيْنَهَا وَشَدَّهَا ، وَاللَّهِ لَا تَسْلَمَ عِنْدِي بَعْدَهَا
* وَلَا أَرْجَى مَا حَيَّيْتُ رَفْدَهَا *

ثم خرج من قترته حتى جاء بها إلى صخرة فضربها بها حتى كسرها ، ثم نام إلى جانبها حتى أصبح ، فلما أصبح ونظر إلى نبلة مضرجة بالدماء وإلى الحمر مصرعة حوله مض إبهامه قطعها ، ثم أنشأ يقول :

نَدِمْتُ نَدَامَةً لَوْ أَنَّ نَفْسِي تَطَاوَعَنِي إِذَا لَبَسْتُ خُصِي
تَبَيَّنَ لِي سَفَاهُ الرَّأْيِ مِنِّي لَعَمْرُ اللَّهِ حِينَ كَسَرْتُ قَوْسِي
(١) وبعدها :

وَلَا تَنْطِقِ الدَّهْرَ فِي مَجْلَسِ حَدِيثًا إِذَا بَأْتِ لَمْ تُحْصِهِ
وَنُصِرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَإِنَّ الْوَثِيقَةَ فِي نَصِّهِ
وَأِنْ نَاصَحْتُ مِنْكَ يَوْمًا دَنَا ، فَلَا تَنَأْ عَنْهُ وَلَا تُقْصِصِهِ
وَكَمْ مِنْ فَتَى شَاخِصٍ عَقْلُهُ ، وَقَدْ تَعَجَّبَ الْعَيْنُ مِنْ شَخْصِهِ
وَأَخَّرَ تَحْسِبُهُ جَاهِلًا ، وَيَأْتِيكَ بِالْأَمْرِ مِنْ فَصِّهِ
وهي لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، شاعر ضخم أدرك الدولة العباسية . ونص الحديث رفعه وأسنده ، والوثيقة في الأمر : إحكامه والأخذ بالثقة ، وفص الأمر : أصله وحقيقته . يقول : أنا آتيك بالأمر من فصي : يعني من مخرجه الذي قد خرج منه .

فَلَا عَدِمَتْ أَرْضُ الْعِرَاقَيْنِ فِتْنَةً دَعَتْكَ إِلَيْهَا كَاشِفَ الْخَوْفِ وَالْحِلِّ (١)
ظَلَلْنَا إِذَا أَنْبَى الْحَدِيدُ نَصُورَنَا نَجَرْدُ ذِكْرٍ مِنْكَ أَمْضَى مِنَ الْوَصْلِ (٢)
وَتَرَمِي نَوَاصِيهَا مِنْ أَسْمِكَ فِي الْوَغَى بِأَنْفَذَ مِنْ نُشَابِنَا وَمِنْ النَّبْلِ (٣)
فَإِنْ تَكَ مِنْ بَعْدِ الْقِتَالِ أَتَيْتَنَا فَقَدْ هَزَمَ الْأَعْدَاءُ ذِكْرُكَ مِنْ قَبْلِ (٤)

(١) العراقان : الكوفة والبصرة ، وكاشف : لك أن تجعله منادى ، وأن تجعله حالاً . والخوف : يروى البأس ؛ والبأس : الفقر أو الشدة . والحل : الجذب . يدعو يقول : لا خلت هذه الأرض من فتنة تكون سبباً لورودك ، وداعية إلى مجيئك إليها حتى تكشف عنا الخوف بسطوتك والجذب بمجود راحتك :

(٢) أنبى : جعلها نارية لا تنفذ ، والنصول : السيوف . يقول : إذا نبت السيوف بأيدينا وحال دون تفاوها كثرة سلاح أعدائنا ذكرناك فننفذت سيوفنا بدولتك ، وكان ذكرك أَمْضَى مِنَ السَّيْفِ .

(٣) الضمير في « نواصيها » لحيل الأعداء . وإن لم يجر لها ذكر . وسكن الياء في « نواصيها » للضرورة . والوغى : الحرب ؛ والنبل : سهام العرب ؛ والنشاب : سهام العجم . يقول : إذا مئناك في الحرب انهزم أعداؤنا ، فكأن اسمك سهام تقع في وجوه أخيلهم ، فتكون أقتل لهم من نشابنا ونبلنا .

(٤) يقول : إن كنت أنبتنا بعد انقضاء الوقعة بيننا وبينهم ، ولم تشهد ما قصدت له من نصرتنا : فنحن إنما انتصرنا عليهم وهزمنام بذكرك قبل وصولك ، فأنت الغالب لا نحن . وجعل « قبلاً » نكرة فأعربها وكسرها كما قال الآخر :

وساغَ لِي الشَّرَابُ وَكَفْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْحَمِيمِ (١)

(١) هو ليزيد بن الصق ، وقبلة :

فَنِمْتُ اللَّيْلَ إِذَا وَقَفْتُ فِيكُمْ قِبَائِلَ عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ

وساغَ لِي الشَّرَابُ « البيت »

وأغص : مضارع غصصت بالطعام غصصاً - من باب تمب - والنصة : ما غصص به الإنسان من طعام أو غيظ على التقييه ، وهو هنا مستعمل مكان الشرق ، لأنه مخصوص بالماء : يقال شرق بالماء وبريقه إذا لم يلمعهما ، والحميم ، الماء الحار - وليس بمراد - بمن ثم قال أبو العباس ثعلب : سألت ابن الأعرابي عن الحميم في هذا البيت ، فقال الحميم : الماء البارد ؛ فيكون الحميم إذن من الأضداد ، يكون الحار ويكون البارد .

وَمَازَلْتُ أَطْوَى الْقَلْبَ قَبْلَ أَجْتِمَاعِنَا عَلَى حَاجَةٍ بَيْنَ السَّنَابِكِ وَالشُّبْلِ (١)
وَلَوْ لَمْ تَسِرْ سِرْنَا إِلَيْكَ بِأَنْفُسٍ غَرَائِبَ يُؤْثِرْنَ الْجِيَادَ عَلَى الْأَهْلِ (٢)
وَحَيْلٍ إِذَا مَرَّتْ بِوَحْشٍ وَرَوْضَةٍ أَبَتْ رَغَبَهَا إِلَّا وَمِرْجَلُنَا يَغْلِي (٣)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْقَصْدَ فِي الْفَضْلِ شِرْكَةً

فَكَانَ لَكَ الْفَضْلَانِ بِالْقَصْدِ وَالْفَضْلِ (٤)
وَلَيْسَ الَّذِي يَتَّبِعُ الْوَبْلَ رَائِدًا كَمَنْ جَاءَهُ فِي دَارِهِ رَائِدُ الْوَبْلِ (٥)

(١) السنايك : أطراف الحوافر، والسبل الطرق . يقول : مازلت ألتوى زيارتك وقصدك قبل هذا الاجتماع ، وكان ذلك حاجة لا تنال إلا بقطع المسافة . فهي حاجة بين سنايك الحيل والطرق .

(٢) الجياد : الحيل ؛ ويؤثرن : يخترن . يقول : لو لم تسر إلينا لسرنا إليك بأنفس هي غريبة بين الناس لما فيها من الخلائق التي لا توجد في غيرها ، ومن ذلك أنها تؤثر السفر على الحضر والتعب على الدعة تحصيلاً للمجد وعليا للراتب .

(٣) خيل : عطف على « نفس » ؛ والرجل : القدر من نحاس . يقول : ولسرنا إليك بخيل سابقة طاردة للوحوش ، لا ترعى الرياض قبل صيد وحشها ؛ فإذا امررتنا بروضة صدنا بها الوحش ونصبنا الرجل ثم رعت خيلنا : يعنى أن الكلال لا يصيب هذه الخيل بعد قطع المراحل فلا يمنعها من مطاردة الوحش وصيده قبل أن تسريح وترعى ؛ وهذا من قول امرئ القيس :

إِذَا مَا رَكِبْنَا قَالَ وَلِدَانُ أَهْلِنَا تَمَالَوْا إِلَى أَنْ يَأْتِيَ الصَيْدُ تَحْطَبُ

(٤) في الفضل : متعلق بشركة . يقول : كانت نيتنا أن نقصدك والقصد مقترن بفضل القاصد : فلما اتفق مجيئك وكفيتنا بذلك مؤنة المسير إليك حصل لك فضلان : فضل كسبته بقصدك إلينا ، وفضل تنفرد به دون سائر الناس .

(٥) يتبع أصله : يتتبع ؛ فأسكن التاء الأولى وأدغمها في الثانية ، ومثله : اطرير واثاقل : والوبل : للطر الغزير . والرأيد : الذي يرسله القوم يطلب لهم السكلا وساقط الفيث . وقوله رأيد الوبل : من باب المشاكلة . يقول : ليس من يطلب الطر كمن مطر وهو في داره ، يريد أنهم بسبب مجيئه إليهم صاروا كمن مطر يبلده لا يتعنى بنشدان للموضع للمطور ، يعنى : ليس من يقصد الخير كمن يأتيه الخير عفواً بلا قصد ولا تعب ، وقال الإمام التبريزي : أنت كالسحاب الذي جاءنا مطره ولم يحوجنا إلى السفر لنرى ما أنبتة فيما بعد من الأماكن البعيدة التي تقصد للمرعى .

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَدْعِي الشَّوْقَ قَلْبُهُ وَيَحْتَجُّ فِي تَرْكِ الزِّيَارَةِ بِالشُّغْلِ^(١)
أَرَادَتْ كَلَابٌ أَنْ تَفُوزَ بِدَوْلَةٍ لِمَنْ تَرَكَتْ رَغَى الشَّوْهِاتِ وَالْإِبِلِ^(٢)
أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الْوَحْشَ وَخَدَهَا
وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبُّ الْخَلِيثَ مِنَ الْأَكْلِ^(٣)

(١) يقول : لست كمن يدعى الشوق ثم لا يزور ويحتج بعوائق الشغل يعنى أن من يدعى الشوق إذا كان بهذه الصفة كان كاذباً في دعواه ، لأن من عاجل الشوق زار ولم يستبعد الدار : يريد أن المدح لو تأخر عن المجد إلى الكوفة لقصده أبو الطيب ولم يحتج بالشغل ؛ ومما يتصل بهذا المعنى قول القائل :

بَعِيدٌ عَنِ الْكَسْلَانِ أَوْ ذِي مَلَالَةٍ وَأَمَّا عَلَى الْمَشْتَاكِ فَهُوَ قَرِيبُ
(٢) كلاب : هي القبيلة الثائرة التي قصدت إلى الكوفة ؛ وقاتلها أهلها قبل قدوم هذا الديلمى المدح . وقوله لمن تركت الخ : استفهام ، والشويات جمع شوية ، تصغير شاة . يقول . إن بنى كلاب طلبوا الإمارة وهم رعاة إبل وغنم فإذا طلبوا الإمارة فلمن تركوا رعى الإبل والغنم ؟ يعنى أنهم ليسوا أهلاً لما طلبوه ، وإنما هم أهل للرعى .

(٣) يقول : أبى الله أن ينيلهم الإمارة وأن يؤمن الوحش من الصيد والضب من الأكل ، يعنى أنهم أهل بادية وديدنهم صيد الوحش وأكل الضباب الخبيثة المطعم ، وبأبى الله لهم إلا هذا ، لا الإمارة التي حاولوها . . . هذا : والضب معروف وجمعه ضباب وضباب وأضب ، مثل كف وأكف ، والأثنى ضبة ، والعرب تستقدر الورد ، وهو دابة على خلقه الضب ، إلا أنه أعظم منه وتستخبه فلا تأكله ، وأما الضب فإنهم يحرسون على صيده وأكله ، وفي المثل أعق من ضب ، لأنه ربما أكل حسوله - أولاده - حين تخرج من بيضه ، ومن قولهم : لا أفعله حتى يرد الضب للواء لأن الضب لا يشرب الماء ، ومن كلامهم الذى يضعونه على ألسنة البهائم قالت السمكة : ورداً يا ضب ، فقال :

أَصْبَحَ قَلْبِي صَرْدًا * لَا يَشْتَهِي أَنْ يَرَدَا * إِلَّا عَرَادًا عَرَدًا
وَصِلِّيَانَا بَرَدًا وَعَنْكَثًا مُلْتَبِدًا

« صرداً : أى بارداً ؛ والعراد : نبت صلب العيدان منتشر الأغصان ، ينبت في البادية ، وهو النخيل ؛ وعراد عرد : على اللبالة - والصليان : نبت كذلك ؛ وبردا : يريد بارداً ؛ ويروى زرداً : أى سريع الازدرداد ؛ والعنكث ، شجر يشبهه الضب فيسحبه بذنبه حتى يتحات فيأكل للتحاح »

وَقَادَ لَهَا دَلِيزُ كُلِّ طِيَرٍ
وَكُلِّ جَوَادٍ تَلَطَّمُ الْأَرْضَ كَفَّهُ
فَوَلَّتْ تُرْبُغُ الْغَيْثِ وَالْغَيْثُ خَلَّتْ
وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَانَ فِي الْيَدِ بِالرَّجُلِ

(١) الطمرة : الفرس العالية الوثابة . وتنيف : تشرف . والسحوق : النخلة الطويلة . يقول : قاد هذا المدوح لكل فرس وثابة طويلة العنق كأن عنقها نخلة سحوق - طويلة - قد أشرف خذاها من فوقها ؛ وهذا من قول الآخر :

كَانَ الْجَنَسَمَ لِلرَّائِينَ طُودَ وَهَادِيهَا كَانَ جِذْعُ سَحُوقٍ
هذا : ويقال نخلة سحوق وجبارة ومجنونة وباسقة ؛ يريدون العلو ، وأنها ممتعة لا يصل إليها أحد إلا بالتعب ، وأنشدوا :

يَا رَبِّ أَرْسِلْ خَارِفَ الْمَسَاكِينِ عَجَاجَةً سَاطِعَةَ الْعَثَانِينَ
* تنفضُ مَا فِي السُّحُقِ الْمَجَانِينَ *

« يعني بخارف المساكين الريح الشديدة التي تنفض لهم التمر من رؤوس النخل وعثون الريح هيدبها إذا أقبلت تبحر الغبار جرا » .

(٢) الجواد : الفرس الكريم ، وبأغنى : أي بمحافر أغنى ، لحذف الحافر للعلم به ؛ والحديد : بيان للنعل . يقول : وقاد لها كل فرس جواد ، قوى الأسر . شديد الخلق بضرب الأرض بمحافر مستغن عن النعل بصلابة خلقته ، كما يستغنى النعل عن النعل . وسمى حافره كفا : استعارة من الإنسان كما استعير للإنسان الحافر من الفرس في قول جبهاء الأسدي يصف ضيفا طارعا أسرع إليه :

فَأَبْصَرَ نَارِي وَهِيَ شَقْرَاهُ أَوْقَدَتْ
فَمَا رَقَدَ الْوِلْدَانُ حَتَّى رَأَيْتُهُ
يَمْرِيهِ : يستخرج ماعده من الجري .

(٣) ولت : أدبرت . والضمير : للقبيلة . وترىغ : تطلب . وخلت : تركت خلفها . يقول : إن كلابا هذه كانت قبل تمردها وطعمها في الإمارة في أمن ونبعة ، فلما طعمت في الإمارة وجاءت إلى الكوفة محاربة هزمت وأدبرت هاربة تطلب غيثا - يعني أمنا ونبعة - خلفت أمنا كان في يدها فصارت تطلب بأرجلها ما كان في يدها : أي تطلب بهربها وإغذاها - سيرها على

تُحَاذِرُ هَزْلَ الْمَالِ وَفِي ذَلِيلَةٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ الذَّلَّ شَرٌّ مِنَ الْهَزْلِ^(١)
وَأَهْدَتْ إَلَيْنَا غَنِيْرَ قَاصِدَةٍ بِهِ
كَرِيْمَ السَّجَايَا يَسْبِقُ الْقَوْلَ بِالْفِعْلِ^(٢)
تَتَّبِعَ آثَارَ الرِّزَايَا بِمُودِهِ تَتَّبِعَ آثَارَ الْأَسِنَّةِ بِالْقَتْلِ^(٣)

أرجلها - ما كان حاصلًا في أيديها . فدلّت بذلك على جهل وحمق وقل ابن فورجه :
يعنى أنها كانت في غيث من أقطاع السلطان وإنعامه ، فلما عصوا وحاربوا انهزموا وولوا
هاريين يطلبون مأمنًا وحصنًا وقد خلفوا أمنا كان حاصلًا لهم . وقوله تطلب بأرجلها
ما كان في أيديها ، أى تطلب بهربها وعدوها - جريها على أرجلها - ما كان حاصلًا في
أيديها ، والمعنى أنها تطلب ما كان في أيديها آمنة مطمئنة بالانتقال والرحلة ، خائفة
متوقعة ، فأشار باليد والرجل إلى الحالتين . هذا : ويقال أراغ وارتاغ : بمعنى طلب
وأراد ، تقول للرجل يحوم حولك : ماذا تريغ ؟ أى ماذا تريد وتطلب ؟ وفلان يريد
كذا وكذا ويلصه : أى يطلبه ويدبره ، وأنشدوا :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيغُهُ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ

(١) المراد بالمال - ههنا - المواشى . والهزل - بفتح الهاء وضمها - الهزال : ضد
السمن . وقد هزل الرجل والدابة - على ما لم يسم فاعله - وهزل هو هزلا وهزلا ،
وهزله أنا أهزله هزلا فهو مهزول ، وأهزل القوم : أى أصابت مواشيهم سنة - جذب -
فهزلت . يقول : يحاذرون الهزال على مواشيهم وهم قد ذلوا بالقتل والهزيمة ، وما لحقهم
من الدل شر مما يحاذرون على أموالهم من الهزال .

(٢) به : متعلق بأهدت ؛ والباء تجريد ؛ وكريم السجايا : يعنى المدوح والسجايا :
الخلائق والطبائع يقول : أهدت إلينا كلاب - بتمردا وعصيانها - من المدوح كريم
السجايا يسبق - فى الإحسان - فعله قوله ، ويتقدم - فى الإفضال - إنجازا وعده ، يعنى
أنها كانت سببا فى قدومه إلينا ، وإن لم تقصد ذلك .

(٣) الرزايا : اللصائب . والأسنة : أسنة الرماح ؛ وآثارها : هى الجراحات التى
تحدثها : والقتل . جمع فتيلة ، وهى التى يجعل فيها الطبيب الرّم ليوصله إلى الجرح .
يقول : إنه جبر أحوال الناس وأصلح ملحقهم من الرزايا والحسائر بسبب غارة بنى كلاب
وآسى جروحهم وداواها بمجوده ، كما تؤاسى جروح الأسنة وتدأوى بالفتائل ؛ وهذا ينظر
إلى قول بشامة بن حزن النهشلى :

شَفَى كُلَّ شَاكٍ سَنِيفُهُ وَنَوَّالُهُ
 مِنَ الدَّاءِ حَتَّى الثَّالِكَاتِ مِنَ الشُّكْلِ (١)
 عَفِيفٌ تَرُوقُ الشَّمْسُ صُورُهُ وَجْهَهُ
 وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقًا لَحَادَ إِلَى الظِّلِّ (٢)
 شُجَاعٌ كَانَ الْحَرْبَ عَاشِقَةً لَهُ
 إِذَا زَارَهَا فَدَنَتْهُ بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ (٣)
 وَرِيَّانٌ لَا تَصْدَى إِلَى الْخَمْرِ نَفْسُهُ
 وَعَطْشَانٌ لَا تَرَوِي يَدَاهُ مِنَ الْبَذْلِ (٤)
 فَتَمْلِكُكَ دَلِيلٌ وَتَنْظِمُ قَدْرَهُ
 شَهِيدٌ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَالْعَدْلِ (٥)
 وَمَا دَامَ دَلِيلٌ يَهْزُ حُسَامُهُ
 فَلَا نَابَ فِي الدُّنْيَا لِلَيْثٍ وَلَا شَيْلٍ (٦)

بَيْضُ مَفَارِقُنَا تَغْلِي مَرَاجِلُنَا نَاسُوا بِأَمْوَالِنَا آثَارَ أَيْدِينَا
 (١) النوال : العطاء ؛ والثالكات : الفاقدتا أولادهن . يقول : أدرك ثأر القتل ، وأفاض جوده على الأحياء فأزال شكوى الموتور والمرزوء حتى شفى الثالكات من حزنهن حين ثأر لهن وأنساهن الشكل بجوده . قال العكبري : والثالكات في موضع نصب عطفا على « كل » والتقدير : شفى كل شاك والثالكات . ويجوز أن يكون في موضع جر ، ولكن المطف أولى وأظهر .

(٢) تروق : تعجب . وحاد : مال . يقول : إن الشمس تستحسن صورة وجهه ، فلو نزلت إليه الشمس شوقا إليه لمال عنها وعف : يعنى أنه عفيف عن كل أنى حتى عن الشمس ، فلو هى نزلت إليه لحقق معنى العفة .

(٣) المراد بالخيـل : الفرسان . والرجل : جمع راجل . يقول : هو شجاع يقتل ولا يقتل ، فكان الحرب تعشقه وتعبه ، فإذا زار الحرب وأناها استبقته وأفتت من سواء من الفرسان والرجال ، فكانها جعلتهم فداء له ، وهو تخيل مبتكر بدیع .

(٤) ريان : من الرى ، ومصدى : تعطش ؛ والصدى : العطش ؛ والبذل العطاء . يقول : إنه لا يشرب الخمر ، فكانه مرتو منها لا يعطش إليها ، ولا يفتقر عن البذل ، فكانه عطشان لا يروى منه .

(٥) يقول : بملكته وعظم قدره يشهدان بوحدانية الله تعالى وعدله ورافته بعباده ، إذ ملك عليهم من هو عفيف محسن إلى عباده .

(٦) الحسام : السيف القاطع ؛ والليث : الأسد . والشبل : ولد الأسد . يقول : مادام قائم سيفه في كفه فلا عادية تقوى على ضعيف ، لأنه يصده بسيفه أن يعدو على

وَمَا دَامَ دَلِيرٌ يُقَلِّبُ كَفَّهُ

فَلَا خَلْقَ مِنْ دَعْوَى الْمَكَارِمِ فِي حِلٍّ^(١)
فَتَى لَا يُرَجَّى أَنْ تَمَّ طَهَارَةٌ لِمَنْ لَمْ يُطَهَّرْ رَاحَتِيهِ مِنَ الْبُخْلِ^(٢)
فَلَا قَطَعَ الرَّحْنُ أَضْلًا أَتَى بِهِ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الطَّيِّبَ الطَّيِّبَ الْأَضْلَ^(٣)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة ، ويذكر وقعة وهشودان بن محمد الكردي بالطرم ،
وكان والده ركن الدولة أنفذ إليه جيشاً من الرى فهزمه وأخذ بلده :
إِثْلُثُ فَإِنَّا أَيُّهَا الطَّلُّ نَبْكِي وَتُرْزِمُ حَتَّنَا الْإِبِلُ^(٤)

الناس ، والليث والنايب : مثل - أى ولو كان القوى ليثا لكان بلا ناب - وقال ابن جني :
يعنى لا تعمل أنياب الأسد ما يعمل سيفه فى كفه . فكأنها ليست موجودة ،
وليس بشيء .

(١) يقول : وما دام هو يحرك يده بالبذل فلا يحل لأحد دعوى المكارم لأنه لا يهود
أحد جوده .

(٢) يقول : هو محبوب على البذل والجود ، يحقت البخل ويحتويه ، فلا يرى طاهرا
مبرأ من الدنس إلا من جانب البخل وتطهر منه .

(٣) يقول : لا قطع الله أصلاً أنجب لنا مثله ، وأبقى على النسل القدى نشر علينا فضله
فإني رأيت الفروع إنما تطيب بحسب طيب أصولها .

(٤) إثلث : كن ثالثاً - من قولهم ثلثت الرجلين أثلثتهما : إذاصرت ثالثهما - والطلال
ما شخص من آثار الديار . والإرزام : حنين الإبل . يقول - للطلال - كن ثالثاً فى
البكاء على فقد الأجرة ، فإننا نبكى والإبل تحن كأنها تبكى كذلك ؛ وعبارة العكبرى التى
كأنها شعر منشور : كن أيها الطلل ثالثاً فى البكاء على فقد الأجرة ، فنحن نبكى والإبل
نحن معنا ، تساعدنا بالبكاء على ما غيرته الأيام من بهجتك ، وأذهبت من غضارتك
وجدتك ؛ ووصلته من بعد أحبابنا العاصرين لك ، الجامعين شمل السرور بك ، فإننا
نبكى فيك ، ونوقنا ترزم ، ونندب ساكنيك ودموعنا تسجم . وفيه نظر إلى قول
البحترى :

أَطْلَبًا ثَالِثًا سِوَايَ فَإِنِّي رَابِعُ الْعَيْسِ وَالْدُّجَى وَالْبَيْدِ

أَوَلَا فَلَا عَتَبٌ عَلَى طَلَلٍ إِنَّ الطُّولَ لَمِثْلَهَا فَعُلُ^(١)
 لَوْ كُنْتَ تَنْطِقُ قُلْتَ مُمْتَدِّراً بِي غَيْرُ مَا بِكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ^(٢)
 أَبْكَكَ أَنْكَ بَعْضُ مَنْ شَفَّوْا لَمْ أَبْكَ أَنِي بَعْضُ مَنْ قَتَلُوا^(٣)
 إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتَ وَاحْتَمَلُوا أَيَّامُهُمْ لِدِيَارِهِمْ دُولُ^(٤)
 الْحُسْنُ يَرْحَلُ كُلُّمَا رَحَلُوا مَعَهُمْ وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا^(٥)

ومن هذا قول التهامي :

بَكَيْتُ فَحَفَّتْ نَاقَتِي فَأَجَابَهَا صَهِيلُ جَوَادِي حِينَ لَاحَتْ دِيَارَهَا

(١) أولا : عطف على محذوف : أى إن بكيت غفلق بك البكاء أو لم تبك فلا عتب عليك . ولئلا : أى لئلا هذه الفعلة - يعنى عدم البكاء - وفعل : جمع فصول . يقول : إن لم تبك معنا فلا عتب عليك فإن الطول ليس من عادتها البكاء ، فهى فاعلة لئلا هذه الفعلة من ترك المساعدة على البكاء .

(٢) يقول - للطلل - : لو كنت ذا نطق لاعتذرت إلى بأنك لو كنت ممن يسكى لما قدرت على البكاء مع ما حل بك من البلاء بسبب ارتحال الأحبة ، وهو قوله « بى غير ما بك » وقد فسر ذلك فى البيت التالى .

(٣) لم أبك أنى : أى لم أبك لأنى ، والضمير من « شفوا وقتلوا » للأحبة والعائد محذوف : أى شفهم وقتلهم . والبيت من تمة قول الطلل ، وروى شفوا وقتلوا - بالبناء للمجهول - والأولى أجود . يقول : قلت لى الذى بى أكثر من الذى بك لأنهم - الأحبة - شفوك جفا فأذهبوا قلبك فبكيت لفراقهم ، أما أنا ففنيهم قتلوني بارتحالهم - كناية عن دروسه بدم - والقتيل لا يقدر على البكاء .

(٤) يقول للطلل : إن الأحبة الذين ارتحلوا عنك وغادروك وأقت بهم أيامهم دول لديارهم : عمر بنزولهم أيام مقامهم ، وتخرب بارتحالهم . وعبرة العكبرى : أيامهم للديار التى يحلون بها ، دول سرور مستقبلة ، وأيام جذل مستأنفة ، والذى لصرف عنك من ذلك يوحشك وما منعته منهم لاحالة يؤلمك . وأقت : يروى بضم التاء على أن هذا من كلام الطلل متصلا بالكلام المحكى عنه .

(٥) يقول : إن الحسن محصور فى الحبيب الذى معهم ، فهو يرحل برحيلهم وينزل بنزولهم ، وعبرة العكبرى : الحسن يرحل مع الذين هاجنا الحزن بترحيلهم ، وينزل معهم بالمكان الذى ينزلونه ، فلا يفارقهم انقيادا لأمرهم ، ولا يتأخر عنهم كلنا بهم .

فِي مُقَلَّتِي رَشَاءٍ تَدِيرُهُمَا بَدَوِيَّةٌ فَفُتِنَتْ بِهِمَا الْحِلَالُ^(١)
تَشْكُو الطَّاعِمُ طُولَ هِجْرَتِهَا وَصُدُّوْهَا وَمَنْ الْقَدَى تَصِلُ^(٢)
مَا أَسَارَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنِ تَرَكَتُهُ وَهُوَ الْمِسْكُ وَالْعَمَلُ^(٣)

(١) في مقلى رشأ: متعلق بـ «يرحل» - في البيت السابق - والرشأ: ولد الطيبة. والحلل: جمع حلة، وهى القوم المجتمعون في بيوت مجتمعة للنزول: يقول: إن الحسن يرحل في مقلتين مستعارتين من رشأ تديرهما امرأة بدويه - تقيم في البادية حينما نزلت افتتن بها القوم الذين نزل بهم.

(٢) يقول: إن هذه المرأة قتين^(١) قليلة التناول للطعام حتى لتشكو الأطعمة هجرها وصودوها، ثم قال: ومن الذى تصل؟ وهو استسقام، يعنى أن الهجر دبدها فهى لا تصل أحدا حتى الطعام، وقوله وصودوها: قال العكبرى: رويقنا فيه عن شيخى بالنصب والجبر: فالنصب عطفًا على طول، والجبر عطفًا على هجرتها.

(٣) ما أسارت، أى الذى أسارت وأبقت: مبتدأ؛ والخبر: تركته؛ والقعب: قذح من خشب مقعر: وجلة «وهو المسك» حالية. يقول: إذا شربت لبنًا من قذح فإن ما يبقى فيه بعد شربها منه تطيب رائحته ويحلو طعمه حتى لكأنه مسك وعسل. يريد طيب نكهتها وعدوبة ريقها. وفيه نظر إلى قول جميل:

فَلَوْ تَفَلَّتْ فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ مَالِحٌ لَعَادَ أَجَاغُ الْبَحْرِ مِنْ رَيْقِهَا عَذْبًا

هذا: وقد قلنا أسارت: أى أبقت، فالسور: بقية الشيء، والجمع أسار، وفي الحديث «إذا شربتم فأستروا» أى أبقوا شيئاً من الشراب في قعر الإناء والعت منه سثار - على غير قياس - لأن قياسه «مسر» قال الجوهري: ونظيره أجبره فهو جبار قال الأخطل:

وَشَارِبٍ مُرْجِحٍ بِالْكَأْسِ نَادِمٍ لَا بِالْحَصُورِ وَلَا فِيهَا بَسَّارٌ

«سثار - بالهمز - بوزن سمار: معناه أنه لا يسر في الإناء سؤراً بل يشقه كله؛ والرواية للشهورة بسوار: أى بمعرب وثاب من سار: إذا وثب وثب للعربى على من يشاربه والحصور القى لا ينفق على الندامى، وقيل الهيوب المحجم عن النوى، وإعما أدخل الباب لأنه ذهب بلا مذهب ليس لخارعة له في النوى».

(١) امرأة قتين: قليلة الطعم؛ وهذا من الصفات الممودة في النساء.

(٢ - التنبى: ٤)

قَالَتْ أَلَا تَضْحَكُ فَقُلْتُ لَهَا أَغْلَمَتْنِي أَنْ أَلْهَوَى كَمَلُ^(١)
لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرَ صَبَّحَكُمْ وَبَرَزْتَ وَحَدَكِ عَاقَهُ الْغَزَلُ^(٢)
وَتَفَرَّقَتْ عَنْكُمْ كَتَابُهُ إِنَّ الْمَلَّاحَ خَوَادِعُ قُتِلُ^(٣)
مَا كُنْتُ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَخْلُ^(٤)

(١) نمل : أى سكر . يقول : قالت لى - لائمة على العشق - ألا تصحون من بطالتك فقلت لها أخبرتنى - فى غوى كلامك حين أمرتنى بالصحو - أن الهوى سكر ، لأن الصحو لا يكون من غير السكر . وهذا إشارة إلى أنه كان غافلا عن حال نفسه لشدة هيامه وأنها نهته إلى أنه سكران من الهوى .

(٢) فناخس : هو اسم عضد الدولة ، وصبحكم : أى أنا كم صباحا للغارة والغزل : السكف بالنساء . يقول : لو أن عضد الدولة - مع جده وتوفره على تدبير الملك - أنا كم صباحا للغارة وبرزت له لقدحت فى قلبه غزلا فقال إليك وعاقه ذلك عن الحرب لمكانك من الحسن . وقال ابن جنى : ما أحسن ما كنى عن المهزومة بقوله عاقه الغزل . قال ابن فورجه ناقدًا : لو كانت هذه إحدى السعالي^(١) لما هزمت أحداً فكيف عضد الدولة ! وما وجه المهزومة عمن توصف بالحسن ويقال فيها بدوية فتنت بها الحلل ! وإنما هذا وصف لعضد الدولة بالرغبة عن النساء والتوفر على الجد ، ثم لما بالغ فى وصف هذه وأراد الخروج إلى المدح أتى بالغاية فى ذكر حسنها ، حتى لو أن عضد الدولة مع توفره وجده على تدبير الملك لو تعرضت له هذه المرأة لقدحت فى قلبه غزلا عاقه عن الرجوع عنها : ألا تراه يقول بعده : ما كنت فاعلة وضيفكم الخ ! وكيف يضاف للنهزم . وإنما غلط ابن جنى لما سمع قوله : وتفرقت عنكم كتابه ، وإنما تفرق حينئذ عنهم لتوفرها على الغزل والهوى ولذة الظفر بالحبيب .

(٣) الكنايب : جمع كنيبة ، الفرقة من الجيش . وقتل : جمع قتول . يقول : ولتفرقت كتابه عنكم لولوعه بكم وتشاغله بذلك عن الحرب ، ثم قال : إن الحسان يخذعن العقول ، والشغف بهن قاتل ، ومن ثم تخدعين عضد الدولة - وهو من هو ١٩ - وتنفق كتابه من جرائك . فكانت هزمتهم وعصفت بهم .

(٤) يقول : أى شئ كنت فاعلة وقد أنا كم ملك الملوك ضيفا ، وسبيل من حل به أن يحتفل به وبكرمه وأنت بخيلة ! يعنى بالطعام والقرى يصفها بالبخل ، والبخل والجبن من خير أخلاق النساء ، وهما من شر أخلاق الرجال

(١) السعالي : جمع سعلاة ، قيل : هم سحرة الجن ، وقيل : النيران الحبيثة .

أَتَمْنَمِينَ قِرَى فَتَقْتَضِيهِ أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ^(١)
 بَلْ لَا يَحِلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بَخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ^(٢)
 مَلِكٌ إِذَا مَا الرُّمَحُ أَدْرَكَهُ طَنْبٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَقْتَدِلُ^(٣)
 إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا عَمَّا يَسُوسُ بِهِ فَقَدْ غَفَلُوا^(٤)
 حَتَّى أَتَى الدُّنْيَا ابْنُ بَجْدَتِهَا فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ^(٥)
 شَكَا إِلَى التَّلِيلِ إِلَى الْكَفِيلِ لَهُ أَنْ لَا تَمُرَّ بِحِسْبِهِ الْمِلَّةُ^(٦)

(١) القرى : ما يقدم للضيف من الطعام وغيره . ويسل : يسأل ، حذف الهمة والقي حركتها على السين يقول : أ كنت لا تقومين بقراء فتقتضي في فعلك أم تقومين بذلك فتخرجي عن اليهود من أمرك

(٢) الضمير في « به » : لحيث - والجور : خلاف العدل - وروي : ولا خور ؛ والخور : الضعف ، والوجل : الخوف . يقول : بل لا يسمعك حينئذ البخل ، لأن للكان الذي يحل به هذا الملك لا تحل به هذه الأشياء .

(٣) الطنب : اعوجاج في الرمح يقول : إنه - لاستقامته واعتداله في الأمور - إذا ذكر اسمه اعتدل الرمح الموج

(٤) يقول : إن من كان قبله من الملوك لم يحسنوا سياسة الملك إحسانه فإن لم يكن ذلك عجزا منهم عما يسوس به الناس من العزم والعدل وما إليهما فهو غفلة منهم إذ لم يهتدوا إلى سيرته

(٥) يقال فلان ابن بجدتها للعالم بالشئ للتقن له ، وهو عالم بيجدة أمرك وبيجة أمرك وبيجة أمرك - بضم الباء والجيم - أى بدخلته وبطاقته ، وعنده بيجدة ذلك - بفتح الباء - أى علمه يقول : حتى ملك الدنيا عضد الدولة وهو عالم بها وضبط أمورها وسياسة أهلها ، فشكا إليه السهل والجبل ما لحقهما من الخلل

(٦) شكوى : مفعول مطلق يقول شكوا إليه السهل والجبل كما يشكو الطليل إلى الطبيب الذى يضمن له أن يشفيه من كل داء وعلة حتى لا تعاوده علة . يعنى : إن الدنيا بما كان فيها من الاضطراب والفساد كأنها كانت شاكية إلى عضد الدولة ، وهو - بقصده تسكين الفتنة وحسن السياسة - كأنه ضامن أن لا يعاود الدنيا ما شكته . وأصل هذا قول الأخيلية :

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائها فشفاها

قَالَتْ : فَلَا كَذَبَتْ شَجَاعَتُهُ أَقْدَمَ فَنَفْسُكَ مَا لَمَّا أَجَلٌ^(١)
 فَهَوَّ النَّهْيَةَ إِنْ جَرَى مَثَلٌ أَوْ قِيلَ يَوْمَ وَغَى مِنَ الْبَطْلِ^(٢)
 هُمُودُ الْوُفُودِ الْعَامِدِينَ لَهُ دُونَ السَّلَاحِ الشَّكْلِ وَالْعَقْلِ^(٣)
 فَلِشُكْلِهِمْ فِي خَيْلِهِ عَمَلٌ وَلِعُقْلِهِمْ فِي بُحْتِهِ شُغْلٌ^(٤)
 تُمْنِي عَلَى أَيْدِي مَوَاهِبِهِ هِيَ أَوْ بَقِيَّتُهَا أَوْ الْبَدَلُ^(٥)

(١) قالت شجاعته : فعل وفاعل . وقوله فلا كذبت : دعاء اعترض بين الفعل والفاعل . يقول : إنه يقتحم الأهوال غير مبال بها حتى كأن شجاعته قالت : أقدم فما لنفسك أجل تخشاه كأجال الناس : يعني أن شجاعته زينت له الإقدام وصورت له أن أحداً لا يقدم عليه فهو باق بوقاية شجاعته إياه ، ثم دعا له بالبقاء وقال : لا كانت شجاعته كاذبة فيما قالت .

(٢) يوم وغى : يوم حرب . يقول : هو الغاية في الشجاعة حين يراد ضرب المثل في الشجاعة أو يراد الدعاء إلى التزال يوم الحرب والقتال .

(٣) الوفود : جمع وفد ، وهم جماعة الوافدين للعطاء . والشكل : جمع شكل ، وهو ما يجعل في قوائم الفرس . والعقل : جمع عقال . وهو ما يربط به يد البعير . يقول : إن الوفود الذين يعمدون إليه ويقصدونه لا يقصدونه بسلاح ، لأنه لا مطمع فيه بالسلاح وإنما عدتهم التي يحتاجون إليها في قصدهم إياه هي شكل الخيل وعقل الإبل ثقة ببيل ما يرجون من عطاياه : وأسكن العين في «الشكل» على أنة تميم ، وضمها في «العقل» على لغة أسد .

(٤) البخت : الإبل العجمية ، وهي غير العربية . يقول : إنه يعطيهم الخيل حتى يشكلوها بشكلهم والإبل حتى يعقلوها بعقلهم ، يعني أنه يحقق آمالهم ويكون عند رجاؤهم فيه فيعطيه من خيله وإبله ما يشكلون ويعقلون .

(٥) يقول : إن مواهبه تلى أمر ماله من خيل وإبل وتتصرف فيها ، فأمواله أبدأ جميعها على أيدي مواهبه توزعها على عفاة فإذا صمدت إليه وفود وهب خيله وإبله كلها في وقت معاً ، وإذا بقي منها شيء وهب لمن يقد بعدهم ، وإلا وهب بدلها ذهباً وفضة : يعني أن جميع أمواله في تصرف مواهبه . وعبرة الخطيب التبريزي : خيله وإبله التي تأخفها الوفود ثلاثة أصناف : فإما أن تكون موفورة قد كان قبلها غيرها فهي تسلم إليه وإما أن تكون قد بقيت منها بقية فهم المحكون فيها ، وإما أن تكون استبدل غيره

بِشْتَاقُ مِنْ يَدِهِ إِلَى سَبَلٍ شَوْقًا إِلَيْهِ يَنْبُتُ الْأَسَلُ^(١)
 سَبَلٌ تَطُولُ الْمَكْرُمَاتُ بِهِ ، وَالْمَجْدُ لَا الْخَوْذَانُ وَالنَّفَلُ^(٢)
 وَإِلَى حَصَى أَرْضٍ أَقَامَ بِهَا بِالنَّاسِ مِنْ تَقْبِيلِهَا يَلَلُ^(٣)

فهم يأخذون البدل . وقال المعري : يهب أوائل خيله وإبله لأوائل الوفود وبقيتها لمن يفد بعد ، فإذا لم يبق شيء وهب في الوقت بدلها من العين والورق .

(١) السبل : الطر ، وهو بين السحاب والأرض : أى حين يخرج من السحاب ولم يصل بعد إلى الأرض . يريد به هنا ما يجري على يديه من المواهب والدماء ؛ وشوقا إليه : مفعول له ، عامله ينبت ، والضمير المجرور للسبل ؛ والأسل : عيدان الرماح : أى إن الناس تشتاق إلى مواهبه : والرماح تنبت شوقا إلى ما يسقيها من دم الأبطال ؛ ولا يخفى ما في البيت بين السبل وضميره من الاستخدام . وعبرة الواحدى والعبرى : إن الناس يشاقون إلى عطاء يده ، والرماح تنبت شوقا إلى أن تصعب يده : أى ليطعن بها ويستعملها في الحرب ، فقوله شوقا إليه الخ : أى وينبت الأسل شوقا إليه - أى إلى المدوح - أى إلى مباشرتها يده . ولك أن تقول : إن : جملة شوقا إليه الخ : صفة لسبل ؛ يعنى أن ما يجري على يديه من العطايا والدماء تشاقه الناس وتنبت الرماح شوقا إليه : أى إلى ما يسقيها من دم الأبطال : يشير إلى أنه شجاع :

(٢) سبل : من رواء بالجر أبدله من الأول ؛ ومن رفعه جملة خبر مبتدأ محذوف والخوذان : نبات طيب الطعم ؛ زهره أحمر ؛ فى أصله صفرة . والنفل : نبت من أحرار البقول ، زهره أصفر . طيب الرائحة ؛ تسمن عليه الحيل . لما سمى عطاءه سبلا قال : هو سبل - مطر- ينبت للكرمات والمجد لأنه مطر مواهب ودماء يذيع بها حمده ، وتعلو مهابته ؛ وليس من المطر الذى ينمو به النبات :

(٣) وإلى عطف على « إلى سبل » وبالناس : خبر مقدم ؛ ويلى : مبتدأ مؤخر ؛ والجملة : صفة لحصى ؛ والليل : قصر الأسنان - يقال رجل أيل ، والأثني يلاء - وهو ضد الروق ، والروق : طول الأسنان . قال لبيد يصف أسهما :

فَرَمَيْتُ الْقَوْمَ رَشَقًا صَائِبًا لَيْسَ بِالْمُضَلِّ وَلَا بِالْمُقْتَعَلِ
 رَقَمِيَّاتٍ عَلَيْهَا نَاهِضٌ تُكَلِّحُ الْأَرْوَاقَ مِنْهُمْ وَالْأَيْلُ^(١)

(١) سهام عصل : معوجة ، والمقتعل : السهم الذى لم يبر برا جيدا . والرقميات : سهام تنسب إلى موضع بالمدينة ، وعليها ناهض : أى عليها ريش فرخ من فراخ النسر

إِنْ لَمْ تَخَالِطْهُ ضَوَاحِكُهُمْ فَلَمَنْ تُصَانُ وَتُدْخَرُ الْقَبِيلُ^(١)
 فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ خَالِقِهِ قُدِّرَتْ هِيَ الْآيَاتُ وَالرُّسُلُ^(٢)
 وَإِذَا الْقُلُوبُ أَبَتْ حُكُومَتَهُ رَضِيَتْ بِحُكْمِ سَيُوفِهِ الْقُلُلُ^(٣)
 وَإِذَا الْخَمِيسُ أَبَى السُّجُودَ لَهُ سَجَدَتْ لَهُ فِيهِ الْقَنَا الذُّبُلُ^(٤)
 أَرْضِيَتْ وَهَشُوذَانُ مَا حَاكَمَتْ أَمْ تَسْتَزِيدُ لِأَمْكِ الْهَبِلُ^(٥)

يقول : وبشتاق إلى حصى أرض أقام بها ، ولكثرة ما قبل الناس ذلك الحصى بين يديه أصابهم الليل وقصرت أسنانهم . وقال ابن جني : من كثرة ما قبل الناس حصى الأرض بين يديه : كأنهم قد حدث فيهم انحناء وانعطاف إلى ذلك الحصى كما تعطف الأسنان على باطن الفم . وهو معنى حسن ، ويكون الليل على هذا : انعطاف الأسنان إلى داخل الفم وإقبالها عليه .

(١) الضواحك : التي بين الأنياب والأضراس ، وهي أربع ضواحك . يقول : إن لم تخالط الأسنان حصى أرضه لدى التقبيل ، فلمن تصان القبيل وتدخر ؟ يعنى أن حصى أرضه أحق شئ بالتقبيل إعظاما له ؛ وإجلالا لقدره .

(٢) قدر : جمع قدرة ، وتروى : غرر ، جمع غرة ، بياض الشئ وحسنه . يقول : على وجهه نور من الله تعالى ذلك النور قدر من الله ، يعنى أنه يدل على قدرته تعالى ؛ وتلك القدرة تقوم مقام الآيات والرسول ، لما فيها من الإعجاز وظهور الصنع : وعلى رواية غرر يكون المعنى : على وجهه نور من الله يشير إلى تملكه ووجوب طاعته فيقوم مقام الآيات والرسول في بيان مراده تعالى وتبليغ أوامره .

(٣) القل : الرءوس ، جمع قلة . يقول : إذا لم تقبل القلوب ما يحكم به : ضرب رءوس أولئك الذين يأبون حكمه ، فكأنها رضيت بحكم سيوفه .

(٤) الخميس : الجيش : والقنا : الرماح . والذبل : الدقاق : يقول : إذا عصاه جيش العدو فلم يخضع له خفض رماحه لضعفه بها - وذلك سجود القنا - فحمله على الخضوع قهراً .

(٥) كان « وهشودان » هذا قد هزمه ركن الدولة أبو عضد الدولة بالطرم - موضع في عراق العجم - والهبيل : الشكل - النقص - تقول العرب : لأمر

ناهض ، أى وفر جناحاه ونهض للطيران ، وأكلحه الأمر : أى لشدة أصابه بالكروح وهو بدو الأسنان عند العبوس .

وَرَدَتْ بِلَادَكَ غَيْرَ مُمَمَّدَةٍ ، وَكَانَهَا بَيْنَ الْقَنَا شُغْلٍ ^(١)
وَالْقَوْمُ فِي أَعْيَانِهِمْ خَزَرٌ ، وَأَخْلَيْلُ فِي أَعْيَانِهَا قَبْلٌ ^(٢)
فَأَتَوْكَ لَيْسَ بَيْنَ أَتَوَا قَبْلٌ بِهِمْ وَلَيْسَ بَيْنَ نَأَوَا خَدَلٌ ^(٣)

فلان المبل ؛ يقول : أرضيت يا « وهشودان » ما حكمت به سيف ركن الدولة ، أم تتماهى في طغيانك ، فتمسّيد لك ولأصحابك من القتل والخزى والتسكيل ؟
(١) وردت : أى السيف ؛ وغير مغمدة : حال ؛ والقنا : الرماح ؛ والشغل : جمع شغلة ، القبس من النار ، شبه سيف الممدوح المصلته بشغل النار :
(٢) الخزر : ضيق العين ، وقيل أن يكون الإنسان كأنه ينظر بمؤخر عينه ، والقبل في الخيل : أن تقبل إحدى العينين على الأخرى ، وإنما تفعل ذلك الخيل لعمرة أنفسها ، والأعيان : جمع عين « تقول عيون وأعين وأعيان » قال يزيد ابن عبد المدان :

ولكنفى أغدو على مفاضة ^(١) دلاص كأعيان الجراد المنظم

قال ابن جنى : يقول : القوم ترك وخيلهم عزيزة الأنفس : أى أتوك عليها ، قال ابن فورجه : كيف خص « ابن جنى » الترك بالذكر دون سائر أجناس العسكر ، صما وأكثرهم ديلم ، والممدوح ديلمى ؟ وذهب عليه أن الغضبان يتخازر ، وقد سمع من ذكر خزر الغضبان مالا يحصى ، كقوله :

* خَزَرٌ عِيُونِهِمْ إِلَى أَعْدَائِهِمْ *

وبعد : فالمعنى إذن أن القوم غضاب ، والحيل نشاط عزيزة الأنفس
(٣) يقول : أنك قومك وليس لك بهم طاقة ، وليس بهم من القوم الذين بعدوا عنهم وانفصلوا من جللتهم اختلال ، يريد كثرة عسكر ركن الدولة أبى عضد الدولة ، وذلك أن جماعة من عسكر ركن الدولة انفصلوا عنه ، ومضوا إلى « وهشودان » ولم يلحق عسكر ركن الدولة بهم اختلال . والمعنى أن عسكر ركن الدولة كبير لا يحتل بمن انفصل عنه . فالقبل : الطاقة ؛ وبهم : يتعلق بقبل ؛ وجملة ليس بين أتوا الخ : حال . وقوله بين أتوا : أراد بين أتوه ، فحذف العائد ، وكذلك بين نأوا : أى بين نأوا عنه .

(١) للمفاضة : الدرع السابعة كأنها أفيضت على لابسها ، والدلاص : الصقيلة البراقة ، وشبه حلقها في الدقة والزرقعة ، وتقارب السرد ، بعيون جراد نظم بهذه إلى بعض وجمع

لَمْ يَذَرِ مَنْ بِالرِّىِّ أَنَّهُمْ فَصَلُوا وَلَا يَذَرِي إِذَا قَفَلُوا^(١)
 فَأَنْتِ مُغْتَزِمًا وَلَا أَسَدٌ، وَمَضَيْتَ مُنْهَرِمًا وَلَا وَهْلٌ^(٢)
 تُعْطِي سِلَاحَهُمْ وَرَاحَهُمْ مَا لَمْ تَكُنْ لِنَتَالَهُ الْمَقْلُ^(٣)
 أَسْخَى الْمُلُوكِ يَنْقُلُ مَمْلَكَةً مِّنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأْسُ يَنْتَقِلُ^(٤)
 لَوْلَا الْجَهْلُ مَادَلَّتْ إِلَى قَوْمٍ غَرِقَتْ وَإِنَّمَا تَفَلُّوْا^(٥)
 لَا أَقْبَلُوا سِرًّا وَلَا ظَفِيرًا غَدْرًا وَلَا نَصَرَتَهُمُ الْفَيْلُ^(٦)

(١) الرى : بلد بين أرض فارس وخراسان ، وكانت قاعدة ركن الدولة ؛ والنسبة إليها : رازى . وفصلوا : يريد خرجوا ؛ وقفلوا : رجعوا . يقول : لكثرة جيوشه بالرى لم يشعروا بخروج هؤلاء من بينهم ، ولا يشعرون برجعهم حين يرجعون ؛ يعنى أنهم لم يشعروا بالجيش الذى هزم « وهشودان » لقلتهم بالإضافة إلى سائر الجيش ؛ ولا شعروا بقفولهم .

(٢) يخاطب « وهشودان » يقول : أقبلت إلى الحرب ولا أسد يقدم إقدامك ، ومضيت منهزما ولا وعل ينهزم انهزامك ، خبر « لا » فى الموضعين محذوف - كما ترى - للعلم به ؛ والوعل : تيس الجبل ، له قرنان قويان منحنيان كسيفين أحدين .

(٣) الراح : جمع راحة ، راحة اليد . يقول - لوهشودان - : تعطى سلاحهم من أرواح عسكرك وأكفهم من الأموال والأثاث والسكران^(١) والسلب ما لم تكن العيون لتطمح أن تراه ، لمنعته وبعد نيته .

(٤) يقول : أسخى الملوك بترك مملكته ونقلها إلى من يفضيها منه من خاف انتقال الرأس عنه ؛ يعنى أنك خفت أن يقطع رأسك ، فسخت بمملكته لكلا ينتقل الرأس عنك قال ابن جنى : لو قال بترك مملكة : لكان أوجه ، إلا أنه اختار النقل ، لقوله آخر : ينتقل .

(٥) داف إليه : دنا منه ومشى إليه . يقول : لولا جهلك لما قصدت قوماً تنهزم عنهم بادئ حرب منهم ، فضرِب لهذا مثلاً بالفرق والتفل ، والمعنى : أنهم لكثرتهم لو بزقوا عليك لفرقوك .

(٦) الفيل : جمع غيلة ، وهى القتل على حين غفلة ، ومن حيث لا يهوى . يقول :

(١) السكران - بضم الكاف - اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

لَا تَلْقَ أَفْرَسَ مِنْكَ تَعْرِفُهُ إِلَّا إِذَا ضَاقتْ بِكَ الْحَيْسِلُ^(١)
لَا يَسْتَحْيِ أَحَدٌ يُقَالُ لَهُ نَضْلُوكَ آلُ بُوَيْهٍ أَوْ فَضَلُوا^(٢)
قَدَرُوا عَفْوَا وَعَدُوا وَفُوا سُئِلُوا أَغْنَوْا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْ عَدَلُوا^(٣)
فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ مَا طَلَبُوا ، فَإِذَا أَرَادُوا غَايَةَ نَزَلُوا^(٤)
قَطَعَتْ مَكَارِمُهُمْ صَوَارِمُهُمْ ، فَإِذَا تَمَذَّرَ كَاذِبٌ قَبِلُوا^(٥)

إن جيشه لا يأتون أحداً في خفية ليظفروا غدرآ وليقتالوا عدوهم ، فإنهم لا يحتاجون في قهر عدوهم إلى الصدر والاعتبال ، فهم يقاتلون أعداءهم جهاراً
(١) تعرفه : حال ؛ أي وأنت تعرفه . مخاطب « وهشودان » يقول : إن الحزم أن لا تعارض من هو أقوى منك ، إلا إذا اضطرت إلى ذلك . يلومه على اختياره الحرب من أول الامر ، مع علمه أن ركن الدولة وابنه عضد الدولة أقوى منه .
(٢) استحي يستحي : بمعنى استعجيا يستعجيا . ونضلوك : غلبوك - من المناضلة ، وهي الراماة بالسهم : يقال تناضل الرجلان فضل أحدهما صاحبه إذا غلبه ، وكان أكثر إصابة منه - وأتى بعلامة الجمع في « نضلوك » ، والعمل مقدم على الفاعل على لغة من يقول : أكلوني البراغيث ؛ وفضلوا : فاقوا في الفضل : أراد : أوفضلوك . يقول : من كان مغلوباً بآل بويه لا يستحي من ذلك ، لأنهم يظنون كل أحد .
(٣) يقول : لما قدروا عفووا . فهم يعفون عن قدرة ، ولما وعدوا وفوا بذلك الذي وعدوا ، ولما سئلوا أغنوا من سألهم ، ولما علوا أهلوا أولياءهم ، ولما ولوا الناس عدلوا فيما بينهم : أي لمن خالفهم فهو ظالم ومن ناوهم فهو شديد الاغترار بهم .
(٤) يقول : هم فوق السماء منزلة ورتبة ، وفوق كل طلبة وحاجة ، وإذا أرادوا شيئاً هو غاية عند الناس نزلوا إليه من علو ؛ إذ هم وراء كل غاية .
(٥) الصوارم : السيوف . وتمذّر : تنصل واحتج لنفسه ، ومثله اعتذر .
قال أبو ذؤيب :

فإنك منها والتعمذّر بعدما بلججت وشطت من فُطَيْمة دارها
وقال ليبد مخاطب ابنته ويقول : إذا مت فنوحا وابكيا على حولا :
قموماً قفولا بالذي قد علمنا ولا تخمِشا وخجهاً ولا تحلِقا الشمر
وقولا هو الممر الذي لا خليله أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
إلى الحول ثم اسم السلام عليكم ، ومن يبك حولا كاملاً فقد اعتذر

لَا يَشْهَرُونَ عَلَىٰ مُخَالَفِهِمْ سَيِّفًا يَقُومُ مَقَامَهُ الْعَدْلُ^(١)
 فَأَبُوءَ عَلَىٰ مَنْ بِهِ قَهْرُوا وَأَبُوءُ شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا^(٢)
 حَلَفْتُ لِدَا بَرَكَاتٍ غُرَّةٍ ذَا فِي الْمَهْدِ أَنْ لَا فَاتَهُمْ أَمَلٌ^(٣)

يقول : إن كرمهم غلب غضبهم وكفهم عن استعمال السيوف ، فإذا اعتذر إليهم الجاني ولو كذبا قبلوا عذره تكمرا .

(١) شهر السيف : جرده من غمده ؛ والعذل : اللوم . يقول ؛ إذا أذعن مخالفهم بالكلام لم يستعملوا معه السيف : يعنى لا يجلبون إلى الحرب وإنما يقدمون اللوم والوعيد ، وما دام العذل يؤثر في المخالف لا يقصدونه بمساة ولا ضرر . يصفهم بالحلم والأناة ؛ وفي مثل هذا المعنى يقول بعض الملوك : إذا كفاني الكلام لم أرفع السوط ، وإذا كفاني السوط لم أشهر السيف .

(٢) أبو على : هو ركن الدولة أبو عضد الدولة ؛ وأبو شجاع : هو عضد الدولة : يقول : بركن الدولة قهروا الملوك وسادوهم ، وبعضد الدولة كلت لهم مملكتهم واتسع سلطانهم .

(٣) الغرة : الطلعة . و «أن» تفسيرية ؛ ولا فاته أمل : حكاية القسم . وأشار بهذا الأول إلى ركن الدولة ، وبالثاني إلى عضد الدولة . يقول : لما ولد عضد الدولة ظهر على وجهه من شواهد النجابة ، ومخايل البركة والإقبال ما علم أبوه منه أن الآمال انحازت إليهم وحصلت لهم ، فكان وجهه وهو في المهد كفل لهم إدراك جميع الآمال ، وأن لا يعجزهم عن بلوغها حال . وروى ابن جنى «بركات نعمة ذا» يعنى أن بركات النعمة بعضد الدولة حلفت لركن الدولة أن الآمال لا يفوته منها شيء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالنعمة نعمة أبيه ركن الدولة : أى ما يملكه من العدة والعتاد تكفل لعهد الدولة بإدراك الآمال . وروى «بركات نعمة ذا» يعنى أن أباه عرف بنغمته — صوته — لما ولد أنه يدرك به الآمال كلها .

وخرج أبو شجاع يتصيد ومعه آلة الصيد ، وكان يسير قدام الجيش يَمَنَّة وبَسْرَة ، فلا يرى صيداً إلا صاده ، حتى وصلا إلى دشت الأرز - وهو موضع حسن على عشرة فراسخ من شيراز ، تحف به الجبال ، وفيه غاب ومياه ومروج ، فكانت الوحوش تضاد ، وإذا اعتصمت بالجبال أخذت الرجال عليها المضايق ، فإذا أمتنها الشباب هربت من رموس الجبال إلى الدشت فتسقط بين يديه ؛ فأقام بذلك المكان أياماً على عين ماء حسنة ، ومعه أبو الطيب ، فوصف الحال ، وأنشده في رجب سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، وفي هذه السنة قتل أبو الطيب ، قال :

مَا أَجْدَرَ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِي بَأْسَ تَقُولَ مَالَهُ وَمَالِي ^(١)
لَا أَنْ يَكُونَ هَكَذَا مَقَالِي فَتَيَّ بِنِيرَانِ الْحُرُوبِ صَال ^(٢)
مِنْهَا شَرَابِي وَبِهِيََا أَعْتَسَالِي لَا تَخْطُرُ الْفَحْشَاءُ لِي بِبَالٍ ^(٣)

(١) يقول : إن الأيام خليفة بأن تتظلم مني وتقول ما للفتني ومالي ؟ أي لأنني جشمتها من همي ما ليس في وسعها ؛ وكان من حقه أن يقول « ومالنا » لأنه ذكر الأيام والليالي ، لكنه ذهب بهما إلى الدهر ، فكأنه قال : ما أجدر الدهر ! ويقال فلان جدير بكذا : أي خليف ؛ وأنت جدير بكذا ؛ والجمع : جدراء وجدرون .

(٢) لا أن يكون الخ : أراد لا أن يكون هكذا مقالي لها بأن أنظلم منها ، فحذف « لها » للعلم به والاختصار ، كما تقول : ما أجدر زيدا بأن يقوم إليك لا أن تقوم : تريد إليه ، فتحذفه . وفق : خبر مبتدأ محذوف : أي أنا فتى . وصلى بالنار : قاسى حرها . يقول : إن الأيام جديرة بأن تتظلم مني لا بأن أنظلم أنا منها ، لأنني فتى لا يزال يقاسى شدائد الحروب يعني أنه تعود الصبر على الشدائد ، فلا تحفره الأيام إلى الشكوى .

(٣) يقول : من نيران الحروب أشرب وبها أغتسل : يريد طول محالطته الحروب وتمرسه بها وانتعاشه فيها حتى صارت نيرانها عنده كالماء برداً فهو يشرب منها ويغتسل بها ؛ وهذا مثل أراد أن شدائدها هانت عليه حتى صار يستروح إليها كما يستروح إلى السلم ، ثم قال : إن الفحشاء لا تخطر له على بال . يصف نفسه بالعة حتى لا تخطر الفحشاء على باله ، فضلا عن أن يحدث نفسه بإتيانها . والفحشاء : كل ما اشتد قبحه من الذنوب ؛ والمراد هنا : الفجور - الزنا -

لَوْ جَذَبَ الزَّرَادُ مِنْ أَذْيَالِي تُخَيِّرُ إِلَى صَنْعَتِي سِرْبَالِ^(١)
مَا سُمِّتُهُ سَرْدَ سِيَوِي سِرْوَالِ وَكَيْفَ لَا وَائِمًا إِذْ لَا لِي^(٢)
بِفَارِسِ اللَّجْرُوحِ وَالشَّامِ أَبِي شُجَاعٍ قَاتِلِ الْأَبْطَالِ^(٣)
سَاقِي كُثُوسِ الْمَوْتِ وَالْجُرْيَالِ^(٤) لَمَّا أَصَارَ الْقَفْصَ أَمْسِي الْخَلَالِ^(٥)
وَقَتْلَ الْكُرْدَ عَنِ الْقِتَالِ حَتَّى أَتَقَتَّ بِالْفَرِّ وَالْإِجْفَالِ^(٦)

(١) و (٢) و (٣) جذب : شد : والزراد : صانع الزرد ، وهي الدروع . وأراد يجذب الزراد لذيذه : دعاءه إياه ، لأن الإنسان إذا أراد أن يكلم آخر فقد يجذبه من ثوبه ليقبل عليه . والسربال : القميص ، ويسمى به الدرع استعارة ، والجمع سراويل . وسمته : كلفته . والسرد - وبروي الزرد - مداخلة خلق الدروع بعضها في بعض . والسروال : معروف ، وهو أعجمي معرب وأكثر كلام العرب سراويل - صيغة الجمع وإن لم يقصد به الجمع - وقوله وكيف لا : أى كيف لا أكون كذلك : لحذف للعلم به . والإدلال : الفخر والتباه - يقال فلان مدل بكذا . والمجروح والشام : فرسان كانا لعصد الدولة . يقول لو خيرنى الزراد فى صنع سربال ألبسه بين أن يكون من صنعة الدرع أو من صنعة الثياب - أى بين أن يصنع لى درعا أو ثوبا - لما اخترت إلا الثوب دون الدروع . يشير بذلك إلى أن سيفه درعه ، وهو يحمى به بدنه ، وإنما حاجته أن يحسن عورته . قال الواحدى : وهذه طريقة التنبى يترفع عن معاشره النساء كبراً وتعففاً ، ثم قال - التنبى - : وكيف لا أرغب عن الدروع وأنا متحصن بالمدوح ، وبه أدل وأفتخر على الناس ؟

(٤) الجريال : صبغ أحمر تشبه به الحمر . يقول : أنه يسقى أعداءه كؤوس الموت ، وأولياءه كؤوس الحمر .

(٥) القفص : جيل من الناس ينزلون بجبال كرمان ، وهو مفعول أول لأصار ؛ وأمس : مفعول ثان . يقول : لما أفنى هؤلاء القوم قصيرهم مثل أمس الدابر ، وجواب « لما » يأتي بعد .

(٦) قال الواحدى : قتلهم : فذلهم ، ومنه قول امرئ القيس :

* فى أعشار قلبٍ مُقتلٍ *

أى مذلل ؛ ويقال شراب مقتل : إذا سكنت سورتها بالماء . والإجفال : الإسراع

فَهَالِكٌ وَطَائِعٌ وَجَالِي . وَأَقْتَنَصَ الْفَرَسَانِ بِالْعَوَالِي ^(١)
وَالْعُتْقِي الْمُخْدَتَةِ الصَّقَالِ سَارَ لَصِيدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ ^(٢)
وَفِي رِقَاقِ الْأَرْضِ وَالرَّمَالِ عَلَى دِمَاءِ الْإِنْسِ وَالْأَوْصَالِ ^(٣)
مُنْفَرِدَ الْمُهْرِ عَنِ الرَّعَالِ مِنْ عِظَمِ الْهَيْمَةِ لَا لِلَّالِ ^(٤)
وَشِدَّةِ الضَّنِّ لَا الْأَسْبَدَالِ مَا يَتَحَرَّرُ كُنْ سِوَى أَنْسِلَالِ ^(٥)

في الحرب . والسكرد : جيل معروف . يقول : ذلهم وأضعفهم ومنعمهم عن أن يقاتلوا حتى اتقوه بالفرار منه والإسراع بين يديه هربا .

(١) فهالك : أى فمنهم هالك . والجالي : النازح عن وطنه ؛ والجالية : الذين جلاوا عن أوطانهم . والعوالى : الرماح . يقول : فأصارهم بين هالك أفتاه التعرض لحربه ، وطائع أنجاه التسليم لأمره ، ونازح عن داره خوفاً منه . ثم قال : وصاد فرسان الأعداء بالرماح .

(٢) والعق : عطف على العوالى - جمع عتيق - يقول : وصادهم بالسيوف القديمة الصنعة الجديدة الصقل . وقوله سار الخ : جواب لما أصار ؛ أى لما فعل ذلك وفرغ منه سار لصيد الوحش للعصمة بالجبال حتى لا يسلم منه ذو منعة .

(٣) وفي رقاق : عطف على الجبال . والرقاق من الأرض : اللينة ؛ والإنس : الناس . والأوصال : المفاصل . يقول : سار للصيد وهو يطاء الدماء أينما ذهب لكثرة ما قتل .

(٤) منفرد : نصب على الحال - من سار - والرعال : القطعة من الحبل ، واحدها : رعلة . يقول سار منفرداً عن جيشه لا يريد أن يسيره أحد ، وإنما كان يفعل ذلك لعظم همته لا ضجراً منهم :

(٥) الضن : البخل . تقول : ضننت بالشيء أضن - وهى اللغة العالية - وضننت أضن ضنا وضنا وضنة وضنة وضنائة : بخلت به ، وهو ضنين به ، ومن هذا قولهم علق مضنة ومضنة : أى شيء تقيس مضنون به ويتنافس فيه ؛ والإنسال : مصدر أنسل ، بمعنى خرج من بين أصحابه فى خفية ، ومثله التسلل ، ومنه قوله تعالى « يتسللون منكم لوأذا » يقول : وكان ينفرد عنهم ضناً بنفسه عن صحبتهم ، لا أنهم يريد أن يستبدل بهم غيرهم ؛ ثم قال : إن خيله لم تكن تتحرك فى سيرها معه إلا حركات خفية هية له .

فَهْنُ يُضْرَبَنَّ عَلَى التَّصْهَالِ كُلُّ عِلِيلٍ فَوْقَهَا مُخْتَالٌ ^(١)
يُمْسِكُ فَاهُ خَشْيَةً السُّعَالِ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إِلَى الزَّوَالِ ^(٢)
فَلَمْ يَبْنِلْ مَا طَارَ غَيْرَ آلٍ وَمَا عَدَا فَأَنْقَلَ فِي الْأُدْغَالِ ^(٣)
وَمَا أَحْتَى بِالمَاءِ والدُّحَالِ
مِنْ الحُرَامِ اللّٰحْمِ وَالْحَلَالِ ^(٤)

(١) التصهال : الصهيل . والمختال : للمجب بنفسه المستكبر . يقول : فالحيل تضرب على الصهيل تاديباً لها ، وفوقها كل رجل عليل في مكانه وتضاغره هية لعند الدولة ، وهو في نفسه وهمته مختال . فكل عليل مبتدأ ؛ وفوقها : خبره .
(٢) يمسك فاه : نعت عليل ؛ والزوال : الساعة تلى الظهيرة : يقول : وليس يسعل هية ، وقد طال مقامه من الغداة إلى الزوال ، يصف عسكره بالوقار وإجلاله ، هكذا قال أكثر الشراح - قال بعضهم : ولعل الأشبه بمراد المتنبي أنهم كانوا يعملون ذلك مخافة أن ينفر الصيد إذا سمع جليتهم كما يستدل عليه من السياق التالى هذا : ويقال طلعت الشمس والقمر والفجر والنجوم تطلع طلوعاً ، ومطلماً ومطلماً ، وهو أحد ما جاء من مصادر فعل يفعل على مفعل ، ومطلماً بالفتح لغة ، وهو القياس ، والكسر الأشهر . قال الفراء : إذا كان الحرف من باب فعل يفعل - مثل دخل يدخل وخرج يخرج وما أشبههما - آثرت العرب في الاسم منه والمصدر فتح العين ، إلا أحرفاً من الأسماء ألزموها كسر العين من مفعل : من ذلك للمسجد والطلع والفجر والشرق والسقط والفرق والمجزر والسكن والمنسك والمنبت ، فجعلوا الكسرة علامة للاسم والفتح علامة للمصدر ، راجع لسان العرب مادة « طلع »
(٣) بثل : ينبج ويرجع إلى موئل مضارع وأل أى نجا . وغير آل : أى غير مقصر اسم فاعل من ألا يالو . وعدا : ركض وجرى . والأدغال : الآجام . وهى الشجر الكثير للثقف . وانقل : دخل في الشجر . يقول : لم ينبج من صيده الطير الذى طار ولم يقصر في طيرانه : أى فكيف ينبج الذى قصر ؟ ولم ينبج كذلك ما عدا من الوحش ، فدخل واستر بالأدغال : أى فكيف ينبج الذى لم يلجأ إلى الأدغال ؟
(٤) الدحال : جمع دحل ، كالهوة في الأرض يجتمع فيها ماء وينبت القصب و « من » بيان « لما » وحرام اللحم : ما كان كالخنزير والسبع والخنزير ونحوها . يقول : ولم ينبج أيضاً ما تحسن بالماء والدحال مما يحل أكله وما لا يحل .

إِنَّ النُّفُوسَ عَدَدُ الْآجَالِ سَقِيًّا لِدَشْتِ الْأَرْزَنِ انْطُوالِ^(١)
 بَيْنَ الْمَرْوِجِ الْفَيْحِ وَالْأَغْيَالِ مُجَاوِرِ الْخَزِيرِ لِلرُّنْبَالِ^(٢)
 دَانِي الْخَنَائِصِ مِنَ الْأَشْبَالِ مُشْتَرَفِ الدُّبِّ عَلَى الْغَزَالِ^(٣)
 مُجْتَمِعِ الْأَضْدَادِ وَالْأَشْكَالِ^(٤)
 كَانَ فَنَّا خُسْرًا ذَا الْإِفْضَالِ خَافَ عَلَيْهَا عَوَزَ الْكَمَالِ
 فَجَاءَهَا بِالْفَيْلِ وَالْفَيْيَالِ^(٥)

(١) دشت الأرزن : موضع بشيراز : والدشت : الصحراء ؛ والأرزن : شجر صلب تتخذ منه العصي . والطوال : مبالغة من الطويل ، وهو نعت للأرزن . يقول : إن النفوس معدة للآجال حتى تأخذها وتذهب بها ، ثم دعا لدشت الأرزن بأن يسقيه الله سقيا . وقال بعض الشراح : قوله إن النفوس عدد الآجال : أى أن عدد النفوس على عدد الرجال : يعنى أن لكل نفس أجلا ، وكان الوجه العكس : أى أن يقول : الآجال عدد النفوس ، فقلب الكلام تفتنا .

(٢) الفيح : الواسعة ، جمع أفيح . والأغيال : جمع غيل ، وهو الأجمة . والرئبال : الأسد . ويجوز في مجاور الحركات الثلاث : الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والنصب على أنه حال ، والجزم على أنه نعت لدشت . يقول : إن هذا الدشت محاط بالمروج ، وفيه كل نوع من الصيد والحيوان ، فخريره مجاور للأسد .

(٣) الداني : القريب ؛ الخنائص : جمع خنوص ، ولد الخنزير . والأشبال : جمع شبل ، ولد الأسد . ومشترف : بمعنى مشرف يقال أشرف واشترف ، قال جرير :
 * من كل مشترف وإن بعد المدى *

« يريد من كل فرس مشرف مرتفع » يقول : إن أولاد الخنازير فيه قرية من أولاد الأسد مجاورة لها ، والدب فيه مشرف على الغزال ، لأن الدب جبل والغزال سهل .

(٤) يقول : إن هذا المكان قد اجتمعت فيه الأضداد من الحيوان ، يعنى المفترسين كالأسد ونحوه وغير للفرس كالظبي والأرنب وكل واحد من هذين الفريقين أشكال .

(٥) فناخسر : اسم عضد الدولة ، والضمير في « عليها » للأضداد والأشكال . الفيال : الذى يسوس الفيل ، يقول : كأن المددوخ خاف على هذا الحيوانات

فَقَبِدَتِ الْأَيْلُ فِي الْحَبَالِ طَوْعَ وَهُوقِ الْخَلِيلِ وَالرَّجَالِ^(١)
تَنْبِيرُ سَيْرِ النِّعَمِ الْأَرْسَالِ مُعْتَمَةً بَيْبَسِ الْأَجْدَالِ^(٢)
وُلْدَنَ تَحْتَ أَثْقَلِ الْأَحْمَالِ قَدْ مَنَعْنُنْ مِنْ التَّفَالِي^(٣)

أن لا تكون كاملة فجاءها بما لم يكن فيها وهو الفيل ليكمل أمرها باجتماع
الحيوانات فيها .

(١) الأيل : جمع إيل ، وهو حيوان من ذوات الظلف ، للذكور منه قرون متشعبة
لا تنجوف فيها ، أما الإناث فلا قرون لها . قال العسكبرى : وهذا البيت الرواية فيه أيل
- بضم الهمزة - على أنه جمع إيل ، والمعروف أيايل ، ووزن إيل فعل مثل القنب^(١)
وفعل لا يجمع على فعل وإنما فعل جمع فاعل كصائم وصوم وراكع وركع وساجد وسجد
أقول : وقد جاء في اللسان أن بعضهم ذهب إلى أن « أيل » اسم للجمع ومفرد الأيايل
الأيل بفتح الهمزة وكسر الياء ؛ قال الخليل ، وإنما سمى أيلاً لأنه يشول إلى الجبال .
وبعد : فقد اضطربت كلمة اللغويين هنا فقليل مفرد الأيايل إيل وقيل أيل وقيل إن إيل
وأيل جمع أيل « راجع لسان العرب مادة أيل » وطوع : حال . والوهوق : جمع وهوق
وهو الحبل تؤخذ فيه الدابة وغيرها . والمراد بالخليل : الفرسان : يقول : صيدت الأيايل
وقيدت بالحبال والوهوق حتى صارت طوعاً لها تقاد بها .

(٢) النعم . الإبل ، أما الأنعام ، فهي الإبل والغنم والبقر . قال الفراء : النعم
يذكر ولا يؤنث ، ويجمع على نعمان ، مثل حمل وحملان ، والعرب إذا أفردت النعم لم
يريدوا بها إلا الإبل ، فإذا قالوا الأنعام : أرادوا بها الإبل والبقر والغنم ، وقال ابن سيده
النعم الإبل ، والنشاء ؛ ويذكر ويؤنث ، والجمع أنعام وأناعيم . والارسال : جمع رسل
وهو القطيع من الإبل . ومعتمه : من العمامة : والأجدال : جمع جذل ، وهو أصل
الشجرة إذا قطع أعلاها . يقول . إن هذه الأيايل تسير في الجبال سيراً لنا كما تسير الإبل
بعد أن صيدت وكانت قبل ذلك شديدة العدو - الجرى - وهى ذات قرون كبار ملتفة
كأنها قد اعتمت بأعواد يابسة من الأجدال .

(٣) يريد بأثقل الأحمال : القرون ، يعنى أنهم خلقن كذلك ، لأنه يكون لمن قرون
حين الولادة . فالكلام منصرف إلى جنس الأيايل - لا إلى صفاتها - يصف قرون الأيايل
بالثقل ، وأن هذه القرون تمنعها أن تقلى رهوسها لا عوجاجها ؛ وقال ابن جني : يعنى بأثقل

(١) ضرب من السكتان .

لَا تَشْرِكُ الْأَجْسَامَ فِي الْهَزَالِ ^(١) إِذَا تَلَقَّيْنِ إِلَى الْأُظْلَالِ ^(٢)
 أَرَيْتَنِي أَشْنَعَ الْأَمْثَالِ كَأَنَّهَا خُلِقْنَ لِلْإِذْلَالِ ^(٣)
 زِيَادَةً فِي سُبَّةِ الْجُبَّالِ ^(٤) وَالْعُضْوُ لَيْسَ نَافِعًا فِي حَالِ
 لِسَائِرِ الْجَنَسِ مِنَ الْخَبَالِ ^(٥)
 وَأَوْفَتِ الْفُدْرُ مِنَ الْأَوْعَالِ مُرْتَدِّيَاتٍ بِقِسْيٍ الضَّالِ ^(٦)
 نَوَاحِسَ الْأَطْرَافِ لِلْكَفَالِ يَكْذَنَ يَنْفُذْنَ مِنَ الْأَطَالِ ^(٧)

الأحمال الجبال : قال ابن فورجة : بل المراد القرون لأن الواحد منها إذا قطع حملة حمار أو رجل قال الواحدى : وقول ابن جنى أظهر لأنها ولدت ولا قرون لها ، ومن البعيد أن يراد قرون أبويها . والمعنى : ولدت تحت الجبال وقرونها لطولها وتشعبها تمنعهم من فى رؤوسهم لوجهن . وما ذهبنا إليه أظهر .

(١) الهزال . رقة لجسم يقول : إن هذه القرون لا تشارك أجسامها فى الهزال .
 (٢) و (٣) و (٤) السبة : العار يسب به . يقول إذا انتفت الأيائل إلى ظل قرونها رأين لها أقبح الصور لضخامتها وكثرة تعارجها ، فكأن قرونها خلقت لإذلال من نسب إليها لتكون زيادة فى تمييز الجبال . يشير إلى قولهم فى الشتم : ياقرنان . وهو الذى لا غيرة له .

(٥) أراد بالعضو هنا القرن ، ولا يسمى القرن عضواً ، إذ ليس من جملة الأعضاء ولعله أطلق عليه عضواً لمجاورته العضو . والجبال : الفساد وشلل الأعضاء كفى به هنا عن عدم استطاعة هذه الأيائل الفرار . فكأنها قد أصابها شلل أمسكها عن الجرى : يقول : إذا حل بالجسم خبال فإن أحد أعضائه كيفما كان لا ينفعه - فى حال من الأحوال - من ذلك الخبال ، يريد أن عظم قرونها لم ينفعها فى الخروج من الوهوق

(٦) أوفت : أشرفت من فوق الجبال ؛ والفدر : جمع الفدور ، والفادر ، قال الأصمى : الفادر من الوعول : الذى قد أسن ، بمنزلة القارح من الحيل ، والبازل من الإبل ، وقيل الوعل : الشاب التام . والضال : شجر ، وهو السدر البرى . يقول : وأشرفت الوعول للسنة ترتدى بقرونها كأنها - لا نعطفها - القسي التى تعمل من شجر الضال .

(٧) نواخس : حال من القسي . والآطال : جمع إطل ، وهو الخاصرة : وينفذ : يخرقن . يقول : إن أطراف هذه القرون تنخس أعجازها : أى تصيبها وتضرها وتكاد لطولها وانعطافها تنفذ من خواصرها .

لَمَّا لَحَى سُودٌ بِلَا سِبَالٍ يَصْلُحْنَ لِلِإِضْحَاكِ لَا الْإِجْلَالَ^(١)
كُلُّ أُنَيْثٍ نَبَتْهَا مُتْقَالٍ لَمْ تُفْذَّ بِالْمِسْكِ وَلَا الْقَوَالِي^(٢)
تَرْضَى مِنَ الْأَذْهَانِ بِالْأَبْوَالِ ، وَمِنْ ذِكْرِ الْمِسْكِ بِالْأَمْالِ^(٣)

(١) اللحي : جمع لحية ؛ قال ابن سيده : اللحية اسم يجمع من الشعر ما ينبت على الجدين والذقن ؛ والجمع لحي ولحي .. مثل ذورة وذري - والسبال : الشوارب ، جمع سبلة ، الشارب : يقول : لها شعور قد تدلت من أعناقها كأنها لحي ولكن لا شوارب لها ، وتلك اللحي تصلح لأن تضحك لا لأن تبجل وتعظم . هذا : والسبلة أيضا مقدم اللحية ، وما أسبل منها على الصدر ، ومن هذا قولهم : جاء فلان وقد نشر سبلته : إذا جاء يتوعد ، قال الشاعر :

أَتْنَفِي سُلَيْمٌ قَضَاءً بِقَضِيضِهَا تُنْشَرُ حَوْلِي بِالْبَقِيعِ سِبَالَمَا
يَقُولُونَ لِي يَا أَحِلْفُ وَلَسْتُ بِحَالِفٍ أَخَادِعُهُمْ عَنْهَا لَكَيْمَا أَنَا لَهَا
فَفَرَجْتُ غَمَّ النَّفْسِ عَنِّي بِحِلْفَةٍ كَمَا قَدَّتِ الشَّقْرَاءُ عَنْهَا جِلَالَهَا^(١)
(٢) و (٣) كل أنيث : بدل من اللحي : أي كل لحية هذه صفتها . والأنيث : من الشعر : الكثير الملتف ؛ ونبتها : فاعل أنيث ومتقال : خبيثة الرائحة . والقوالي : جمع غالية ، وهي أخلاط من الطيب . والدمال : زبل الدواب ، وهو السرجين ، يقول لها لحي كثيرة الشعر منتنة الريح لم تطيب بمسك ولا بطيب بل بالبول والسرجين .

(١) سليم قبيلة ، وقضها بقضيضها : أي بأجمعهم ، وهو اسم منصوب موضع موضع المصدر ، كأنه قال جاءوا انقضاضا ، وقال سيويه : كأنه يقول انقض آخرم على أولهم ، وأصل القض : الكسر ، وقد استعمل الكسر موضع الاتقاض كقولهم عقاب كاسر أي منقضة ، والبقيع الموضع المعروف بالمدينة على صاحبها أفضل الصلوات والتسليم . وتنشر حولي الخ يروي تميم أراد أنهم يمسحون لحاهم ، وهم يتوعدونه ، وقوله يا أحلف أي يا رجل أحلف ، أو « يا » للتنبية ؛ وأخادعهم عنها : أي عن الحلفة ، فأقول لهم لا أحلف ، وأظهر أن الحلف يشق على ، وقوله لكَيْمَا أَنَا لَهَا : أي الحلفة . وقوله ففرجت الخ : يريد كشفت هذا الغم عنى باليمين الكاذبة كما كشفت الشقراء ظهرها بشق جلها عنه ، والشقراء : يريد الناقة وفي مثل هذا المعنى يقول ابن الرومي :

وإني لقد وَحَلَفْتُ كَاذِبٍ إِذَا مَا اضْطَرُّرْتُ فِي الْحَالِ ضَيْقُ
وَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ عَلَى مُعْصِيٍّ يَدَافِعُ بِإِلَهِ مَا لَا يَطْبِقُ

لَوْ سُرِّحَتْ فِي عَارِضَتِي مُحْتَالٍ لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ الْمَالِ^(١)
 بَيْنَ قَضَاءِ السَّوِّ وَالْأَطْفَالِ^(٢) شَبِيهَةَ الْإِدْبَارِ بِالْإِقْبَالِ
 لَا تَوَارِيرُ الْوَجْهَةِ عَلَى الْقَذَالِ^(٣) فَاخْتَلَفْتُ فِي وَابِلَى نِبَالِ
 * مِنْ أَسْفَلِ الطُّودِ وَمِنْ مُعَالِ^(٤) *

(١) تسريح الشعر : حله وتخليص بعضه من بعض . والعارضان : جانباً الوجه .
 يقول : لو سرحت هذه اللحية حال كونها في وجه رجل ذي احتيال لكانت له شبكة
 يصطاد بها أموال الناس لأن ذا اللحية الطويلة يعظم ويظن به الخير ويؤمن ، وإذا كان
 محتالاً خان الأمانة وفاز بها :

(٢) يقول : لعدّها شبكة من الشباك التي ينصّبها السوء لأخذ أموال اليتامى بما
 يظهرون من حلي المهابة والوقار وسنّاء الخير والتقى . هذا : والسوء : الاسم - من
 ساء يسوء سوءاً - والسوء : الفجور والنكر : تقول هذا رجل سوء بالإضافة ، وإذا
 دخلت عليه الألف واللام قلت هذا رجل سوء ، قال الفرزدق :

وَكُنْتُ كَذِئْبِ السَّوِّ لَمَّا رَأَيْتُ دَمًا بِصَاحِبِهِ يَوْمًا أَحَالَ عَلَى الدَّمِ^(١)
 قَالَ الْأَخْفَشُ : وَلَا يُقَالُ الرَّجُلُ السَّوِّ ، وَيُقَالُ الْحَقُّ الْيَقِينُ ، وَحَقُّ الْيَقِينِ جَمِيعًا ،
 لِأَنَّ السَّوِّ لَيْسَ بِالرَّجُلِ ، وَالْيَقِينُ هُوَ الْحَقُّ . قَالَ : وَلَا يُقَالُ هَذَا رَجُلُ السَّوِّ - بِالضَّمِّ
 - وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو قَوْلَهُ تَعَالَى « عَلَيْهِمْ ذَاتُ السَّوِّ » بضم السين ، يعنى الثمر
 والمزينة ؛ وقَرَأَ بَاقِي الْقُرَاءِ بفتح السين ، وهو من النساء . (راجع لسان العرب
 مادة « سوا »)

(٣) الإقبال والإقبال : مصدرا أدبر وأقبل ؛ والدبر : خلاف القبلة قال، الجوهري
 ودبر كل شيء ودبره : آخره ، على المثل ، قال الكمي :

أَعْهَدَكَ مِنْ أُولَى الشَّبِيهِ تَطْلُبُ عَلَى دُبُرِ هِيَاهَاتِ شَأْوٍ مُفَرِّبٍ^(٢)
 والقذال : مؤخر الرأس : يقول إذا استدبرت هذه اللحية رأيتها كما تستقبلها لعظمها
 وعرضها فهي تم الوجه والقفا .

(٤) فاختلفت : عطف على قوله « وأوفت » . والوابل : للطر الكثير . والطود :

(١) أحال القذّب على الدم : أقبل عليه ، قال الفرزدق أيضاً :
 فَنِي لَيْسَ لَابِنِ الْعَمِّ كَالْقَذْبِ إِنْ رَأَى بِصَاحِبِهِ يَوْمًا دَمًا فَهُوَ آكِلُهُ
 (٢) شأو مغرب - بكسر الراء وفتحها - بعيد .

الجليل . وقوله : من معال ، يقال أتيت من عل ومن عال ومن معال ومن عال الدار .
بكسر اللام - ومن علا ؛ قال ذو الرمة في من « معال » :

فَرَجَ عَنْهُ حَلَقَ الْأَغْلَالِ جَذَبُ الْعُرَى وَجَرِيَةِ الْجِبَالِ

* وَنَفَضَانُ الرَّحْلِ مِنْ مُعَالٍ ^(١) *

وفي « أتيت من علا » يقول أبو النجم :

بَاتَتْ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا نَوْشًا بِهِ تَقَطَّعُ أَجَوَاثَ الْفَلَاحِ ^(٢)

وفي « من عل الدار » بكسر اللام قال امرؤ القيس :

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا كَجُلُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ ^(٣)

وفي « أتيت من عل » - بضم اللام - أنشد يعقوب لعدى بن زيد :

فِي كِنَاسٍ ظَاهِرٍ يَسْتَرُهُ مِنْ عَلٍ الشَّفَانِ هُدَابُ الْفَنَنِ ^(٤)

(١) أراد : فرج عن حنين الناقة حلق الأغلال - يعنى حلق الرحم - سيرنا . وكل

حركة في ارتجاف نفخ ونفضان والجريه - بالكسر - حالة الجريان

(٢) بأت : أى الإبل ؛ وتنوش الحوض : تتناول ملء أفواهها من مائه ، ومن

علا : أى من فوق ، يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق ، وذلك النرش الذى تناله

هو الذى يعينها على قطع الفلوات ؛ والأجواز : جمع جوز ، وهو الوسط : أى تتناول

ماء الحوض من فوق وتشرب شرابا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج

إلى ماء آخر .

(٣) يقول امرؤ القيس : إن هذا الفرس مكر إذا أريد منه المكر على العدو ،

ومفر : إذا أريد منه الفر ، ومقبل ، ومدبر : إذا أريد منه ذلك ، وقوله معا :

يعنى أن السكر والفر والإقبال والإدبار مجتمعة فى قوته لا فى فعله ، لأن فيها

تضادا ؛ ثم شبهه فى سرعة مره وصلابته بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال

إلى حضيض .

(٤) الشفان هنا : البرد ، وهو منصوب بإسقاط حرف الجر : أى يستره هداى

الفن من الشفان ، والهداب : كل ورق ليس له عرض كورق السرو والأثل والفن

الفن أو ما تشعب من ورقه .

أما قول أوس بن حجر يصف قوسا وقواسا :
فَمَلَّكَ بِاللَّيْطِ الَّذِي تَحْتَ قَشْرِهَا كَغَرَقِيهِ بَيْضُ كَنَّهُ الْقَيْضُ مِنْ عَلُوٍّ^(١)
فإن الواو زائدة ، وهى لإطلاق القافية ، ولا يجوز مثله فى الكلام .
وفى « أنيته من عال » يقول دكين بن رجاء :
يُنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَامِ الْأَغْلَالِ وَقَعُ يَدِ عَجَلَى وَرَجُلِ شِمْلَالِ
* ظمأى النسا من تحت رياء من عال^(٢) *

وأنيته من علو ؛ قال أعتى باهلة :
إِنِّى أَتَنَّى لِسَانٌ لَا أُسْرُ بِهَا مِنْ عَلُوٍّ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَخَرٌ^(٣)
وروى من علو وعلو يقول : رشقت هذه الأيائل بالنبال من أعالى الجبال وأسافلها
فهى تجىء منها وتذهب بين نبال كالطر تائها من كل جانب .

(١) الليط : جمع ليطة - كريش وريشة - قشرة القصبه والقوس والقناة وكل
شئ له متانة ، والقَيْضُ قشر البيض الأعلى اليابس وغرقى البيض : قشره الذى تحت
القيض ، وملك : شدد - من قولهم ملكت المرأة العجين : إذا عجته وأنعمت
عجنه وأجادته - والذى : مفعول ملك لصفة لليط ؛ يقول أوس : ترك شيطاً من القشر
على قلب القوس تمالك القوس به - أى تقوى وتشتد - يكنها أى : يسترها لثلا يبدو
قلب القوس فيتشقق وهم يحملون عليها عقبا إذا لم يكن عليها قشر ، ولذلك مثله
بالقيض للفرق .

(٢) الأغلال : جمع غلل ، وهو الماء الذى يتخلل بين الشجر ، وشملال خفيفة
سريعة ، والنسا - بوزن العصا - عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمر
بالعرقوب حتى يبلغ الحافر ، فإذا سمعت الدابة انقلقت فغذاها بلحمتين عظمتين وجرى
النسا بينهما واستبان وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الربلتان : جمع ربله
باطن الفخذ ، وخفى النسا . يصف دكين فرسا . يقول : ينجى هذا الفرس من خيل
مثل حمام رد غلامن الماء وقع يد الخ يصفه بالسرعة ثم قال إن قوائمه ليست برهلة ولا
كثيرة اللحم ويحمد ذلك فيها ، ثم قال : إنها رياء من فوق يقال فرس ريان الظهر إذا
سمن متناه .

(٣) من كنهه المشهورة التى رثى بها النثر ، واللسان هنا : رادها الرسالة والكلمة والخبر

قَدْ أَوْدَعَتْهَا عَتَلُ الرِّجَالِ فِي كُلِّ كَبْدٍ كَبْدَى نِصَالٍ^(١)
 فَهِنَّ يَهُونَ مِنَ الْقِلَالِ مَقْلُوبَةَ الْأَظْلَافِ وَالْإِرْقَالِ^(٢)
 يُرْقِلْنَ فِي الْجَوْ عَلَى الْمَحَالِ فِي طُرُقٍ سَرِيَةٍ الْإِیْصَالِ^(٣)
 يَنْمَنَ فِيهَا نِيْمَةً الْمَكْسَالِ عَلَى الْقَفَى أَعْجَلَ الْمِجَالِ^(٤)
 لَا يَنْشَكِّينَ مِنَ الْكِلَالِ ، وَلَا يُحَاذِرْنَ مِنَ الضَّلَالِ^(٥)
 فَكَانَ عَنْهَا سَبَبَ التَّرْحَالِ تَشْوِيقُ إِكْثَارٍ إِلَى الْإِقْلَالِ^(٦)

(١) العتل : القسى الفارسية . والرجال — بكسر الراء — و يروى بضمها ؛
 والتثقيل : جمع راجل ؛ والكبد : بالكسر وفتح فكسر — لغتان — والنصال : جمع
 نصل ، الحديد المربكة في السهم ؛ وكبداها الثاثنان وسط تلك الحديدية عن يمينها وشمالها
 يقول : رمت قسى الرجالة تلك الوعول فأدخلت في كبد كل منها نصلا من نصال السهام ،
 يعنى أن الرماة قد أئخذوها بالرمح .

(٢) يهون : يستعطن . والقلال : جمع قلة ، أعلى الجبل والظلف الحافر المشقوق
 والإرقال : ضرب من العدو . يهون : يستعطن من أعالي الجبال منحدرات على
 ظهورهن فصارت أظلا فهن مقلوبة وصار عدوهن — جريهن — على الظهور بعد أن
 كان على الأظلاف

(٣) يرقلن : يجربن . والحال : فقار الظهر ، جمع محالة . يقول : هي تعدو في الجو

نازلة على ظهورها في طرق تسرع إيصالها إلى الحضيض كما هو شأن ما يهوى سفلا :

(٤) النيمة : هيئة النوم . والمكسال : صيغة مبالغة من الكسل . وتروى : الكسال

جمع كسلان . والقفى : جمع قفا . والمعجال : جمع عجل وعجلان وأعجل المعجال : حال .

لما زلت في تلك الطرق على قفها جعلها كالنائم المستلقى على ظهره كسلا ؛ ولكنها في

ذلك أسرع المعجال سرعة هوبها .

(٥) يقول : لا يشتكين في تلك السرعة نصبا ولا تعباً ولا إعياء ، لأنهن لا يقفن

عن النزول ، ولا يخفن ضللا ولا تها في طريقهن لأنها تفضي بهن إلى الأرض البتة .

(٦) عنها : صلة الترحال ؛ والضمير للوحوش ؛ وسبب : خبر « كان » ؛ وتشويق :

اسمها وتقدير الكلام : فكان تشويق إكثار إلى إقلال سبب ترحال عنها . يقول : لما

أكثر من صيدها شوقه الإكثار من الصيد إلى الإقلال ، لانه مل الصيد لكثرة فكان

ذلك سبب رحيله عنها .

فَوْحَشُ نَجْدٍ مِنْهُ فِي بَلْبَالٍ يَخْفَنَ فِي سَلَمَى وَفَى قِيَالٍ ^(١)
نَوَافِرَ الضَّبَابِ وَالْأُوزَالِ ، وَالْخَاضِبَاتِ الرُّبْدِ وَالرِّثَالِ ^(٢)
وَالظُّبَى وَالْخَنَسَاءِ وَالذِّبَالِ يَسْتَمَعْنَ مِنْ أَخْبَارِهِ الْأُزْوَالِ
مَا يَبْعَثُ الْخُرْسَ عَلَى السُّؤَالِ ^(٣) * .

فُصُولُهَا وَالْعُودُ وَالْتَالِي تَوَدُّ لَوْ يُنْجِسُ فَنَهَا بِوَالِي ^(٤)
يَرْكَبُهَا بِالْخَطْمِ وَالرَّحَالِ يُؤْمِنُهَا مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَالِ ^(٥)

(١) البلبال : الهم والحزن . وسلمى : أحد جبل طيء ، والآخر أجا . وقيل : جبل بالبادية . يقول : لكثرة فتكه بالصيد خافه الوحوش حتى بات وحش نجد في خوف وهم وكذا وحش جبل طيء ، فهي تخشى أن يقصد إليها .
(٢) نوافر - كما قال ابن جني - حال من ضمير « يخفن » والضباب : جمع ضب ، وهو الدوية المعروفة يأكلها العرب . والأوزال - جمع ورل - دابة على خلقة الضب أعظم منه ، طويلة الذنب دقيقتة . والخاضبات الربد : النعام لا تنهار بد إلا لوان - في لونها غرة - فإذا أكلت الربيع انخضبت - احمرت سوقها - فيسمى الظليم خاضبا ، قال أبو دؤاد :

* لَهُ سَاقَا ظَلِيمٍ خَاضِبٍ فَوْجِيٍّ بِالرُّعْبِ *

« راجع لسان العرب - مادة - خضب » والرثال : جمع رأل . فرخ النعام . يقول إن وحوش سائر النواحي نفرت خوفا منه .

(٣) الخنساء : المها - بقر الوحش - لخنس أنفها . والذبال : الثور الوحشي لطول ذنبه . والأزوال : جمع زول ، وهو العجيب الظريف من كل شيء . يقول : إن الوحوش تسمع من أعاجيب أخبار عضد الدولة في الصيد ما يبعث الحرس على السؤال عنه مع مبهزها عن السؤال :

(٤) غولها : جمع غل ، وهي رواية ابن جني : وتزوى غولها - بفتح الفاء التي هي للجواب - كما تقول أكثر من الجليل فالناس كلهم يشكرونك ، فأنتي بالفاء لأن فعل الجليل كان سبب الشكر . والحول : جمع حائل ، ضد الحامل . والعود : الحديثات التاج ، جمع عائد . والتالي : جمع للتلية ، وهي التي تتلوها أولادها ، يقول : إن أنواع الوحوش تود وتمنى لو بعث إليها من يلى عليها فيذلها ، وتتمة الكلام فيما يلي .

(٥) يركبها : نعت وال ، والخطم : جمع خطام ، وهو الزمام ؛ وخطمت البعير : زمته ، والرحال : جمع رحل ، وهو اللابل كالسروج للخيول ، يقول : هذا الوالي

وَيَخْمُسُ الْعُشْبَ وَلَا تُبَالَى ، وَمَاءٌ كُلُّ مُسْبِلٍ هَطَالٍ ^(١)
يَا أَقْدَرَ السُّفَارِ وَالْقُفَالِ لَوْ شِئْتَ صِدْتَ الْأُسْدَ بِالثَّعَالِي ^(٢)
أَوْ شِئْتَ غَرَقْتَ الْعِدَا بِالْأَلِ ، وَلَوْ جَعَلْتَ مَوْضِعَ الْإِلَالِ
* لَأَلَيْنَا قَتَلْتَ بِاللَّيْلِ ^(٣) *

يذلك الوحش حتى تنقاد في الأزيمة والرحال ، فتصير آمنة من أهوال الطرد وما يصيبها من خوف الصيد ؟

(١) خمس للال : أخذ خمسة ، والمسبل : من السحاب الهاطل ؛ والمطال : المتابع السيلان ، يقول : ويأخذ ذلك لوالى خمس ما ترعاه الوحش من العشب وخمس الماء الذي ترده وترضى بذلك ولا تبالي :

(٢) السفار : المسافرون ، وهم السفر ، وواحد السفر - في القياس - سافر ، مثل صاحب وصحب ، إلا أنه لم ينطق بـ «سافر» ، والقفال : جمع قافل ، وهو الراجع من من سفره ، كأنه قال : يا أقدر الناس جميعاً ذاهباً كنت أم راجعاً : والثعالي : الثعالب على الإبدال ، وهو خاص بالشعر ، ومثله الأرائي ، جمع أرنب قال أبو كاهل اليشكري يشبه ناقته بعقاب :

كَانَ رَجُلِي عَلَى شَفْوَاءٍ حَادِرَةٍ ظَلَمِيَاءٍ قَدْ بُلَّ مِنْ طَلٍّ خَوَافِيهَا
لَهَا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تُتَمَرُّهُ مِنْ الثَّعَالِي وَوَخَزَ مِنْ أَرَانِيهَا ^(١)

يقول . لو شئت غلبت الضعيف على القوى حتى تصيد الأسود بالثعالب .

(٣) الآل : ما يرى نصف النهار كأنه ماء . والإلال جمع آلة ، وهي الحرية العريضة النصل . يقول : لو شئت غرقت أعداءك بما هو ليس بماء . ولو طعنتم بالآلي بدل الإلال - الحراب - لقامت الآلي في إهلاكهم مقام الحراب لأنك مظفر منصور .

(١) الشفواء : العقاب ، سميت بذلك من الشفى ، وهو انعطاف منقارها الأعلى ؛ والحادرة : الفليضة ، والظلمياء : المائلة إلى السواد ، وخوافيها : يريد خوافي ريش جناحها ، والأشارير : جمع أشرايرة ، وهي اللحم المجفف للدخار ، وتتمر : تجففه ، واشتقاقه من التمر ، يريد بقاءه في وكرها حتى يجف لكثرة ، والوخز : القطع من اللحم ؛ وأصل الوخز : الطعن الخفيف ، كأنه يريد ما تقطعه من اللحم بسرعة ورجلى بروي رحلى ، والثعالي : الثعالب ، والأرائي : الأرناب .

لَمْ يَبْقَ إِلَّا طَرْدُ السَّمَالِي فِي الظُّلَمِ الْغَائِبَةِ الْهَلَالِ (١)
 عَلَى ظُهُورِ الْإِبِلِ الْأَبَالِ فَقَدْ بَلَغَتْ غَايَةَ الْأَمَالِ (٢)
 فَلَمْ تَدْعُ مِنْهَا سِوَى الْمُحَالِ فِي لَا مَكَانٍ عِنْدَ لَا مَنَالِ (٣)
 يَا عَضُدَ الدَّوْلَةِ وَالْمَعَالِي النَّسَبُ الْحُلَى وَأَنْتَ الْحَالِي (٤)
 بِالْأَبِ لَا بِالشَّنْفِ وَالْخُلُخَالِ حَلِيًّا تَحُلِي مِنْكَ بِالْجَمَالِ (٥)
 وَرُبَّ قُبْحٍ وَحُلَى ثِقَالِ أَحْسَنُ مِنْهَا الْحُسْنُ فِي الْمِعْطَالِ (٦)

(١) و (٢) الطرد : الصيد ، وهو مصدر طرد ، مثل الطرد - بالإسكان - والسعالى : جمع سعاله ، وهى القول ، يقال إنها تتمثل فى الفلوات على صورة الجن . والظلم : الليالى التى فى آخر الشهر لا يطلع فيها القمر . والأبال : جمع أبل ، وهى التى تجتاز بالكلاء عن الماء . يقول : لم يبق إلا أن تصيد الغيلان فى الهامه على ظهور الإبل ، يعنى ملكت الإنس والوحش وكففت شر كل ذى غائلة فلم يبق إلا أن تخلى للفاوز من السعالى حتى لا تؤذى السائرين فى الليالى المظلمة ، وإنما خص الإبل لأن الخيل لا تعمل فى الفاوز ، وجعلها مكنتية عن الماء بالكلاء لئلا تحتاج إلى الماء .

(٣) المحال : المستحيل الذى لا يكون . يقول : بلغت غاية آمالك وملكك كل شئ يوصف بالوجود ويدرك مكانه ولم تترك إلا اللعدم الذى لا يوصف بالمكان والوجود . وقوله فى : « لا مكان » كما يقال سافرت بلا زاد .

(٤) و (٥) الحلى : ما يصاغ من الجواهر للزينة : والحالى : صاحب الحلى ؛ وبالأب : متعلق بمحذوف - أى تتحلى - والشنف : القرط الذى يطلق فى أعلى الأذن ؛ وحليا : مفعول العامل المحذوف يقول : النسب حلية لصاحبه وأنت الحالى بتلك الحلية ، فانت إنما تتحلى بأبيك لا بما تزين به النساء من حلين ، وذلك الحلى الذى هو نسبك تزين منك بالجمال : يعنى أن أباك يزينك وأنت جماله تزينه أيضاً .

(٦) المعطال : الذى لا حلى عليها . يقول : إن الحلى لا تكسب الحسن إذا كان لا بسها قبيحا ، فيكون الحسن فيمن لا حلى عليه أحسن من الحلى فيمن لا حسن فيه ؛ يعنى أن من لا فضيلة له فى نفسه لا تجديه فضيلة النسب كالقبيح إذا تحلى ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت كل الرواة فرووه قبيح - بالقاف والياء - وهو ضد الحسن ولا معنى للقبح فى هذا البيت ، لأنه لا يحل أحد أن الحسن خير من القبح . وقال أحسن منها ، فعاد الضمير على الحلى وحدها ولم يكن للقبح ذكر ، لأن الحلى مؤنثة

فَخَرُّ الْفَتَى بِالنَّفْسِ وَالْأَفْعَالِ مِنْ قَبْلِهِ بِالْعَمِّ وَالْأَخْوَالِ (١)

* * *

والقبح مذكر ، ولا يجوز أن يطلب المؤنث على للذكر ، وإنما غرهم ذكر الحسن فظنوا أنه قبح ، وإنما هو فتح - بالفاء والتاء والحاء المعجمة - جمع فتحة ، يقال : فتحة وفتحة وفتح وفتحات وفتاح وفتوح ، وهى خواتيم بلا فصوص يلبسها نساء العرب فى أصابع أيديهن وأرجلهن . . . أقول : وما يستطرف إرادته هنا شاهدا على الفتح ، وأنها كما قال ابن القطاع قول الدهناء بنت مسحل زوج العجاج - وكانت رفقة إلى الميرة بن شعبة . فقالت له : أصلحك الله إني منه بجمع : أى لم يفتضى ، فقال العجاج :

الله يعلم يا مغيرة إننى قد دُستُها دَوس الحصان المرسل
وأخذتها أخذ المَقْصَبِ شاته عجلانَ يذبّحها لقوم نزل
فقالت الدهناء :

والله لا تخدعنى بِشَم ، ولا بتقبيل ، ولا بغم
إلا بزَعزاع يُسَلِّى هـى نَسَقُطُ منه فَتَحَى فى كَسَى
« الزعزاع : الاسم : من زعزعه زعزعة : أى حركه » .

(١) غر : مبتدأ ، خبره : من قبله ، والضمير فى قبله : للفخر ، وبالم : حال من الضمير المذكور ، وقال الصكبرى : الباء فى قوله « بالم » متعلقة بفعل محذوف يدل عليه الكلام : أى لا يفخر أحد بعمه وخاله ويترك نفسه وأفعاله ، ولا يجوز أن يتعلق بالهاء فى « قبله » وإن كانت ضمير الصدر ، لأنه لا نسبة بينه وبين الفعل ، ولا يجوز تعلق حرف الجر به ويجوز أن تكون الباء مع ما بعدها فى موضع نصب على الحال من الهاء فى « قبله » وتكون أيضاً متعلقة بمحذوف : أى من قبله كائنا بالم ، كقولك هند مرت بها من الصالحات . يقول : إنما يفتخر الفتى بشرف نفسه وحسن أفعاله من قبل أن يفتخر بعمه وخاله ، قال البحرى :

فما الفخرُ بالعظمِ الرميم وإنما فخارُ الذى يَبْنِي الفخارَ بنفسِه

قافية الميم

وقال يمدح سيف الدولة وهي أول ما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلثمائة عند نزوله أنطاكية من ظفريه بحصن برزؤيه ، وكان جالسا تحت فارة من الديباج * عليها صورة ملك الروم وصور وحش وحيوان :

وفاؤكم كما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاء ساجه^(١)

* الفازة : مظلة تمد بعمود . وقال بعض اللغويين : هي بناء من خرف وغيرها تبنى في المساكر ، والجمع فاز :

(١) وفاؤكما كالربع : مبتدأ وخبر . وأشجاء : أى أشده شجوا ، من قولك : شجاني هذا الأمر ؛ أى أحزننى . والطاسم : الطامس الدارس . و« بأن تسعدا » : أى تسعدا وتعاوننا ، متعلق بوفاء ، وذلك من الضرورات القبيحة ، لأنه لا يجوز أن يتعلق بالمبتدأ بعد الإخبار عنه شيء وسجم الدمع : سال وهطل لمخاطب خليليه الذي عاهداه على أن يساعدها على البكاء . عند ربع الأحبة يقول لها : إن وفاءكما بأن يسعداني على البكاء كهذا الربع ، فإن الربع كلما تقادم عهده كان أشجى لزاويه وأشد جزنه لأنه لا يتسلى به الحب ، وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقل إسعادكما لى على البكاء اشتد حزنى إذ لا أحد من أتسلى به ، ثم قال والدمع أشفاء ساجه ، كأنه يقول : إن لى العذر فى البكاء ، أما أنتما غليان ، إذ لو كنتما محزونين مثلى لاستشفيتما بالدمع ، كما هو شأن المحزون مثلى . يريد : أبكيا معى بدمع فى غاية السجوم فهو أشغى للوجد ، فإن الربع فى غاية الطسوم وهو أشجى للمحب . وقال ابن جنى : المعنى : كنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى وفاء كما معه ، ولذلك قال وفاؤكما كالربع : أى كلما ازددت بالربع وبوفاءكما وجدأ ، ازددت بكاء ، ويروى والدمع - بالجر - عطفا على الربع ، وعلى هذا يكون المعنى : وفاؤكما كالربع الدارس فى الأدوية إذا لم تجربيا عليه الدمع الساجم ، وفى الشفاء إذا أجرينا عليه . وعبارة ابن القطاع : وفاؤكما لى بالإسعاد عفا ودرس كالربع الذى أشجاء للعين دارسه ، فكنت أبكى الربع وحده فصرت أبكى معه وفاء كما وشتفى الدمع الذى هو راحة الإنسان وأشفاه للنفس ساجه . وقال الإمام التبريزى : الشعراء وغيرهم يزعمون أن البكاء يجلو بعض المم عن المكروب المحزون ، قال الفرزدق :

وَمَا أَنَا إِلَّا عَاشِقٌ كُلُّ عَاشِقٍ أَعْقُ خَلِيلِيهِ الصَّغِيرِينَ لَا مِثْلَهُ^(١)

أَلَمْ تَرَ أَنِي يَوْمَ جَوْ سُوَيْقَةٍ بَكَيتُ فَنَادَتْنِي هَيْدَةُ مَا لِيَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَنَّ لَا تَلَاقِيَا^(٢)

قال التبريزي : لأمهما على البكاء . وأنهما لم يسعداه ، قال : وذهب بعض الناس إلى أنه أراد بالمخاطبين عينيه . هذا : وللمناسبة « أشجاء » روى الرواة أن المتنبي لما أشهد هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضرا ، فقال للمتنبي تقول أشجاء وهو هجاء ؟ فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لافعل . يريد المتنبي أنه اسم تفضيل : أي أعدده شجوا لا كما ظن ابن خالويه أنه فعل . . لأنه في الفصح يقال - كما أسلفنا - شجاء يشجوه شجوا : إذا حزنه ، وشجاء تذكر إلفه : أي هيجبه ، وشجاء الغناء : إذا هيج أحزانه وشوقه ، وأما أشجاء يشجيه إشجاء : فهو بمعنى أغصه ، والشجاء ما اعترض في خلق الإنسان والدابة من عظم أو عود أو غيرها ، قال سويد بن أبي كاهل اليشكري : ويراني كالشجاء في حلقه عسرا تخرجه ما يُنتزع

وقد شجى به - بالكسر - يشجى شجاء ، قال المسيب بن زيد مناة الغنوي :

لَا تُنْكَرِ الْقَتْلَ وَقَدْ سُبِينَا فِي حَلِقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا
« فِي حَلِقِكُمْ : أراد في حلقكم »

(١) قوله : وما أنا إلا عاشق : إخبار عن نفسه بالعشق بلفظ مؤكد ، ثم استأنف فقال : كل عاشق له خليلان صفيان فأعقهما في الحلة - الصداقة والود - من لابه في هواه ، وفي هذا تعريض بالنهي عن اللوم . يقول : إن من لامي منكما على البكاء والجزع اعتقدت فيه الحق ، فكأن لأمكما أعقكما ؛ قال الواحدي : ومعنى الأعق ههنا : العاق ، كقول الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَا مِثْلَهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
وكما قال الجاهلي :

خَالِي بَنُو أَوْسٍ وَخَالُ سَرَاتِهِمْ أَوْسٌ فَأَيُّهُمَا أَدْقُ وَالْأُمُّ

أي فأيهما الدقيق والاثم ؟ وليس يريد أن الدقة واللوم اشتغلا عليهما معاً ثم زاد أحدهما على صاحبه ، وقد يطلق هذا اللفظ ولا يراد به الاشتراك ، كقوله تعالى « أصحاب الجنة خير مستقراً وأحسن مقيلاً » ولا خير في مستقر أهل النار ولا حسن ، كذلك جاز أن يقول : أعق خليليه وإن لم يكن للمسك عن اللوم صفة عقوق . هذا : ويروي

(١) مطلع إحدى قصائده ، وهي أول قصيدة هجا بها جريرا والبيث

وَقَدْ يَتَزَيَّا بِأَلْهَوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
وَيَسْتَصْحِبُ الْإِنْسَانُ مَنْ لَا يُبْلَاغُهُ^(١)

كل عاشق ، بنصب « كل » على أنه مفعول عاشق ، يريد إني عاشق كل عاشق مصف يعد خليفه العاق من لامة في هواء

(١) التزي : تكلف الزى ، وهو اللباس والهيئة . قال الواحدى : وفى هذا البيت تعريض صاحبيه أنهما ليسا من أهل الهوى وإن تكلفاه واتسما به . يقول : قد يتكلف الإنسان الهوى وليس من أهله ، وفيه تعريض أيضاً بأنهما ليسا من أهل الصبغة حيث قال : قد يسأل الإنسان الصبغة من لا يكون موافقاً له فى أحواله ، وهذا يدل على أن صاحبيه لم يفيا بما عاهدوا من الإسعاد . هذا : ولناسبة « يتزيا » قال ابن جنى : سأله . . . أى للتنبى - عن قوله « يتزيا » هل تعرفه فى اللغة أو فى كتاب قديم ؟ قال : لا . قلت : فكيف تقدم عليه ؟ قال قد جرت به عادة الاستعمال . قلت : أنرضى بشيء تورده العامة ؟ قال : ما عندك فيه ؟ قلت : قياسه يتزوى . قال : من أين لك ؟ قلت لأنه من الزى وعينه واو ، وأصله زوى ، فانقلبت الواو ياء لسكونها وإنكسار ما قبلها ، ولأنها أيضاً ساكنة قبل الياء ، ودليل أن عينه واو أنهم لا يقولون لفلان ، « زى » إذا كان له شيء واحد يستحسن حتى يجتمع له أشياء كثيرة حسنة ، فحينئذ يقال له « زى » : من زويت أى جمعت . وقال الآخر * زوى بين عينيه على المحاجم^(٢) * فقلت له : إلى هذا ذهبت فأصنى نحوه . . . وقد ذكره صاحب العين - أى الخليل بن أحمد - فقال تزيا فلان بزى حسن وزينته تزية - بوزن تعية - فإن ثبت فليس بناقض لما قلت إنه يتزوى ، فيجب أن يكون قلب الواو ياء تخفيفاً كقول الآخر : إن ديموا جاد وإن جادوا وبل^(٣) وهو من دام يدوم ولكن لما رأى الديمة والديم

(١) عجز بيت للأعشى ؛ وصدره :

يَزِيدُ يَفْضُ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا زَوَى . . . الخ
وبعده :

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ

يقال زوى ما بين عينيه فانزوى : جمعه فاجتمع

(٢) عجز بيت لشاعر جاهلى يقال له جهنم بن سبل ؛ وصدره :

أَنَا الْجَوَادُ بْنُ الْجَوَادِ بْنِ سَبَلٍ إِنْ دِيمُوا . . . الخ

بَلَيْتُ بِلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا
وُقُوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التَّرَبِّ خَاتِمُهُ^(١)

بِأَنَّ أَنْسَ بَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا لِحَفْنِهَا كَمَا قَالُوا فِي عِيدِ أَعْيَادٍ ، وَفِي تَحْقِيرِهِ عِيدٍ ، وَهُوَ مِنْ عَادٍ يَعُودُ ، وَكَانَ قِيَاسُهُ عَوِيدٌ وَأَعْوَادٌ ، كَمَا قِيلَ فِي تَحْقِيرِ « رِيحٍ » رَوِيحٌ ؛ وَفِي جَمْعِهَا أُرُوحٌ ؛ وَحِكْيُ اللَّحْيَانِي فِي نَوَادِرِهِ : رِيحٌ وَأُرُوحٌ ، فَهَذَا مِمَّا أُجْرِيَ مَجْرَى الْبَدَلِ الْإِزْمُ لِحَفْنَةِ الْيَاءِ ، وَكَذَلِكَ يَتَرَدَّدُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا مِنْ كَلَامِهِمْ ، فَهُوَ مِمَّا أُلْزِمَ بِدَلِّ الْيَاءِ مِنَ الْوَاوِ تَخْفِيفًا ، وَلِأَنَّهُ قَدْ أَبْدَلَهَا فِي زَيْ قَصْدًا مِنْ طَرِيقِ الْإِشْتِقَاقِ ، وَالْقِيَاسِ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ عَيْنُ الزَّيِّ وَآوَاءُ فِي الْأَصْلِ ، لِأَنَّ بَابَ طَوَيْتٍ ، وَرَوَيْتَ مِمَّا عَيْنُهُ وَآوٍ وَلَامُهُ يَاءٌ أَكْثَرُ مِنْ بَابِ حَيِّتٍ وَعَيِّتَ مِمَّا عَيْنُهُ وَلَامُهُ يَاءٌ إِنْ فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْقِيَاسُ وَالْإِشْتِقَاقُ عَلَى قَضِيَّتِهِ لَزِمَ قَبُولُهَا وَرَفْضُ مَا عَدَاهَا وَخَالَفَ وَضَعَهَا .

(١) الْأَطْلَالُ : آثَارُ الدِّيَارِ . يَدْعُو عَلَى نَفْسِهِ بِأَنْ يَبْلِي بِبَلَى الْأَطْلَالِ ، إِنْ لَمْ يَقِفْ بِأَطْلَالِ الْأُحِبَّةِ مَتَوَجِّعًا لَهَا مِنْحِنًا ، كَمَا يَفْعَلُ الشَّحِيحُ إِذَا فَقَدَ خَاتِمَهُ وَوَقَفَ يَتَلَسَّسُهُ فِي التَّرَابِ ، قَالَ ابْنُ وَكَيْعٍ : وَهَذَا مَا أَخُوذُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ :

كَأَنِّي مُرِيغٌ فِي الدِّيَارِ طَرِيدَةٌ أَرَاهَا أُمَامِي مَرَّةً وَوَرَائِي

وَقَدْ عَابَ ابْنُ جَنَى هَذَا الْبَيْتَ ، قَالَ : لَيْسَ لِلْفَرْعِ عَجْزُهُ جَزَالَةٌ لَفْظُ صَدْرِهِ ، وَلَيْسَ فِي وَقُوفِ الشَّحِيحِ عَلَى طَلَبِ خَاتِمِهِ مَبَالِغَةٌ يَضْرِبُ بِهَا الْمَثَلُ . قَالَ : وَالْعَرَبُ تَبَالُغُ فِي وَصْفِ الشَّيْءِ وَتَجَاوِزُ الْحُدُودَ ، وَقَدْ تَقْتَصِرُ أَيْضًا وَتَسْتَعْمَلُ الْمَقَارِبَةَ . . . وَهَذَا بَعِينُهُ قَدْ جَاءَ فِي الشَّعْرِ الْفَصِيحِ ، قَالَ جَرِيرٌ : * هُنَّ حِيَارِي كَمَضَلَاتِ الْحَدَمِ * وَالْحَدَمُ : جَمْعُ خَدْمَةٍ ، وَهِيَ الْخُلْخَالُ . . . قَالَ الْعَرُوضِيُّ - ذَائِدًا عَنِ اللَّتْنِيِّ : لَا عَيْبَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الشَّحِيحَ إِذَا طَلَبَ الْحَاتِمَ اسْتَجَابَ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ لِيَقِفَ بِصَرِّهِ عَلَى الْحَاتِمِ ، وَلَوْ كَانَ بَدَلُ الْحَاتِمِ شَيْئًا عَظِيمًا كَالْخُلْخَالِ وَالسَّوَارِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ مِنْ قِيَامٍ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِنْخِنَاءِ ، وَلَوْ كَانَ صَغِيرًا كَالدَّرَةِ لَكَانَ يَطْلُبُهُ قَاعِدًا مَكَانَهُ . يَقُولُ - أَيْ اللَّتْنِيُّ - : إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا - أَيْ بِالْأَطْلَالِ - مِنْحِنًا لَوْضَعَ الْيَدَ عَلَى الْكَبْدِ وَالْإِنْطَوَاءَ عَلَيْهَا كَوُقُوفِ الشَّحِيحِ الْطَّالِبِ لِلْحَاتِمِ . وَيَشْهَدُ لَصَحَّتِهِ قَوْلُ ابْنِ هَرْمَةَ يَذُمُّ بِغِيَالٍ :

يَمْدَحُ أَبَاهُ بِالسَّخَاءِ وَدِيمُوا ، وَيُرْوَى دَوْمُوا - عَلَى الْقِيَاسِ - مِنْ قَوْلِهِمْ دِيمَتِ السَّمَاءُ تَدِيمًا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطَرًا دَائِمًا فِي سَكُونٍ ، وَجَادُوا مِنَ الْجُودِ ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ ، أَوِ الْمَطَرُ الَّذِي لَا مَطَرَ فَوْقَهُ أَلْبَتَهُ ، وَوَبِلَ : مِنْ وَبَلَتِ السَّمَاءُ وَبَلَا : أَيْ أَمْطَرَتْ مَطَرًا شَدِيدًا ضَخْمَ الْقَطَرِ .

كثيباً توقاني العواذلُ في الهوى كما يتوقى ريض الحليل حازمه^(١)
قفي تغرم الأولى من اللحظ مهجتي بشائية وألتلف الشيء غارمه^(٢)

نكس لما أتيت سائله واعتل تنكيس ناظم الخرز
فشبه هيأته بهيئة من ينظم الخرز في الإطراق وتنكيس الرأس . على أنا نقول -
إن الزمننا بهذا السؤال - : قد يبلغ من قيمة الخاتم ما يحق للشحيح أن يطيل وقوفه
على طلبه . . . وقال الواحدى - مدافعا أيضا عن المتنبي - : يقال في جواب هذا
السؤال : إن وقوف هذا الشحيح وإن كان لا يطول كل الطول فقد يكون أطول من
وقوف غيره ، فجاز ضرب المثل به كقول الشاعر :

رُب ليل أمة من نفس العا شق طولا قطعته بانتحاب
وقد علمنا أن ساعة من - امات الليل تستغرق عدة أنفاس ، ولكنه لما كان نفس
العاشق أطول من نفس غيره ، جاز ضرب المثل به ، وإن لم يبلغ النهاية في الطول ،
وكقول الآخر :

وليل كظل الرُمح قصّر طولَه دمُ الزق عنا واصطفاقُ المزاهر^(١)
وذلك لما كان ظل الرمح أطول من ظل غيره جملة الغاية في الطول . . .
(١) كشييا : أى حزينا ، حال من قوله أقف بها - في البيت السابق - وتوقانى :
تباعدنى واجتنبنى . والريض من الحيل : الصعب الذى لم يرض ، وقد يكون الريض
الذى قد ذلل ، فهو من الأضداد . والحازم : الذى يسوسه ويشده بالحزام . يقول :
إن العواذل اللأى يعذلنى - يلتنى - فى الهوى يحذرن جانبى وإبائى عليهن - إذا وقفت
على الربيع كشييا - كما يحذر حازم الريض من الحيل جماعه أن يعضه أو يرمحه
- يضربه برجله -

(٢) تغرم : جواب قفى ؛ والأولى : فاعل تغرم ؛ ومن اللحظ : بيان للأولى ؛
ومهجتي : مفعول تغرم ؛ وغرم ما ألتفه : لزمه أداؤه . يقول : إنه نظر إليها نظرة
ألتفت مهجته ، فهو يقول لها قفى لأنظرك نظرة أخرى رد مهجتي وتحيينى ، فإن فعلت
كانت النظرة الثانية غرما لما ألتفته النظرة الأولى . وعبارة ابن جنى : قفى يا محبوبه
تغرم اللحظة الأولى التى لحظتك مهجتي بلحظة ثانية ، لأن الأولى قد ألتفت مهجتي
فوجب عليها الغرم ، فإن لحظ ثانية عاش . فتكون الأولى قد غرمت للنهضة الثانية ،

(١) دم الزق : الخمر . والمزاهر : جمع مزهر : آلة الطرب .

سَتَاكَ وَحَيَانَا بِكَ اللَّهُ إِنَّمَا عَلَى الْعِيسِ نَوْرٌ وَأُلْخَدُورٌ كَمَا يُمُّهُ^(١)
وَمَا حَاجَةُ الْأَطْعَامِ حَوْلَكَ فِي الدُّجَى إِلَى قَمَرٍ مَا وَاجِدٌ لَكَ عَادِيَهُ^(٢)

ثم ذكر الحجة الموجبة أن يطالب بالوقفة ، فقال والتلف غارم ، وهي حكومة بحق
وعبارة الخطيب التبريزي : لما نظر إليها نظرة ألفت مهجته وأراد أن ينظر إليها
أخرى لترجع إليه نفسه جعل الأولى كأنها الغارمة في الحقيقة ، لأنها سبب التلف ؛
ومثله لقطرب :

أَشْتَاقُ بِالنَّظَرَةِ الْأُولَى قَرِينَتَهَا كَأَنِّي لَمْ أَقْدِمْ قَبْلَهَا نَظْرًا
وقد أخذ بعضهم هذا المعنى فقال :

يَا مُسْتَقِمًا جِسْمِي بِأَوَّلِ نَظَرَةٍ فِي النَّظَرَةِ الْأُخْرَى إِلَيْكَ شِفَاؤِي
وروى الخوارزمي تعري - بالياء - وأصله تعريمين ، حذف النون للجزم والخطاب
للمعجوبة والمهجة هي المحبوبة ، فهمجى في موضع نصب بالنداء ، والأولى مفعول ،
ويكون المعنى : قفى يامهجى تعري النظرة الأولى التي حرمتها بنظرة ثانية إليك .
ثم قال : ومن ألفت شيئاً غرمه : أى ألفت على النظرة الأولى التي رمتها منك
أولا فاغرمها بنظرة ثانية والرواية الأولى هي الأوجه .

(١) العيس : الإبل البيض . والنور الزهر . والكأتم أغلفة الزهر قبل أن
تنتفخ . جعل هؤلاء النسوة زهراً في حسنهن ، وصفاء ألوانهن ، وطيب روائحهن
وجعل الخدور لهن بمنزلة الكأتم للزهر ، ولما جعلهن زهراً بنى على هذا اللفظ
السقى والتحية ؛ فإن الزهر نضرت به الماء ، وجرت العادة بأن يحبى الناس بعضهم بعضاً
بالأزهار والرياحين فيتناولوا شيئاً منها ، ومعنى حيانا بك الله لقاناك وحيانا بك ، وقد
كشف السرى الرفاء عن هذا المعنى بقوله :

حَيًّا بِهِ اللَّهُ عَاشِقِيهِ فَقَدْ أَصْبَحَ رِيحَانَةً لِمَنْ عَشَقَا
(٢) الأَطْعَام : النساء في الموائد . وقوله «ما وجد لك عادته» استئناف والضمير
للقمر . يقول : أى حاجة لهؤلاء النسوة المسافرات معك إلى القمر بالليل ؟ فإن من
وجدك لم يعدم القمر ، يعنى أنها في الدجى تقوم مقام القمر ، قال البحرى :
أَضْرَبَتْ بِضَوْءِ الْبَذْرِ وَالْبَذْرُ طَالَعٌ وَقَامَتْ مَقَامَ الْبَذْرِ لَمَّا تَفَيَّبَا
وقال الآخر :

إِنْ يَبَيْتَا أَنْتَ مَا كُنْتُ غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَى الشَّرْجِ

إِذَا ظَفِرَتْ مِنْكَ الْمُيُونُ بِنَظَرَةٍ أَثَابَ بِهَا مُعْيِي الْمَطَى وَرَازِمُهُ^(١)
حَبِيبٌ كَانَ الْحَسَنَ كَانَ يُحِبُّهُ فَأَثَرُهُ أَوْ جَارِي الْحُسْنِ قَاسِمُهُ^(٢)
تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَابِهِ وَتُسَبِّى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَامَتُهُ^(٣)
وَيُضْحِي عُكَّارُ الْخَلِيلِ أَدْنَى سُتُورِهِ وَآخِرُهَا نَشْرُ الْكِبَاءِ الْمَلَازِمُهُ^(٤)

(١) يقال أثاب فلان : رجع إليه جسمه بعد الهزال ، وصلح بدنه ، والمعنى : السكيل والمطى . جمع مطية ، وهى الدابة تمتطى وتركب . وذكر المطى على اللفظ كتذكير النخل والسحاب وما أشبههما من الجمع ، والرازم - كل رازح - الذى سقط من الإعياء فلا يبرح . يقول : إن الإبل الرازحة التى كلت وعجزت عن المشى . إذا نظرت إليك عاشت أرواحها ، وعادت قوتها ، وصلحت حالها مع أنها لا تمقل ، فما الظن بنا ، وحياتنا برؤيتك ؟ وقال ابن فورجة : إنما يعنى بالمطى أصحابها . قال : والإبل لا فائدة لها فى النظر إلى هذه المحبوبة ، وإن فاقت حسناً وجمالاً ، وإنما ركاها هم الذين يسرون بذلك وليس هذا بشئ ، لأن الإبل التى لا عقل لها إنما يؤثر فيها النظر على مقتضى اللبالة والتعمق فى المعنى ، لا على الحقيقة ، وهى عادة الشعراء فى اللبالة .

(٢) يقول : إن هذا الحبيب قد استبد بالحسن وانفرد به ، فليس لغيره فيه حظ ، فكان الحسن أحبه فاستخلصه لنفسه دون غيره ، أو كأن الذى قسم الحسن بين الناس جار - لم يعدل - فأعطاه جميع الحسن ، ولم يبق لأحد منه نصيباً .

(٣) الخط : موضع بالجماعة تقوم فيه الرماح ، وهى الرماح الخطية . والحقى : الجماعة من الناس ينزلون بالبادية . يقول : هو حبيب عزيز منيع يحفظ بالرماح فلا يقع عليه سباء ، لأن رماح قومه تحول دون ذلك ، كما قال :

* بِهَمٍّ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالْتِمَامِ *

وكرائم الأحياء تسبى برماح قومه فيؤتى بها إليه لخدمته .

(٤) أدنى : أقرب . والكباء : العود الذى يتبخر به ، ونشره : رائحته . قال اللحيانى : ومثل الكباء الكبة ، قال : والجمع كباء ، وقد كبت نوبه - بالتشديد أى بخره ، وتسكى واكتبى إذا تبخر بالعود ؛ قال أبو دؤاد :

يَكْتَبِينَ الْيَنْجُوجَ فِي كَبَّةِ الْمَشَى تَى وَبُلُهُ أَحْلَامُهُنَّ وَسَامُ^(١)
يقول : أقرب ستوره إليك أيها الطالب الوصول إليه غبار خيول قومه ، وأبعدها

(١) أى يتبخرن الينجوج - وهو العود - وكبة الشتاء شدة ضرره . وقوله وبله أحلامهن : أراد أنهن غافلات عن الحنى والحب .

وَمَا أُسْتَفْرَبْتُ عَنِّي فِرَاقًا رَأَيْتُهُ وَلَا عَلَّمْتَنِي غَيْرَ مَا الْقَلْبُ عَالِمُهُ^(١)
فَلَا يَتَّبِعُهُ فِي الْكَاشِحُونَ فَإِنِّي
رَعَيْتُ الرَّدَى حَتَّى حَلَّتْ لِي عِلَاقُهُ^(٢)

عنك وأقربها منه - من الحبيب - دخان بخوره ، يصف هذا الحبيب بأنه في غاية النعمة وغاية النعمة . وعبرة الواحدى : إن دخان العود الذى يتبخر به كثير عنده حتى صار كالعجاب بينه وبين من يطلبه ، قال : وروى « وأولها نشر الكباء » والمعنى وأول ستر دونها مما يلها ، قال : ويمكن أن يقلب هذا يقال : أدنى ستر إليها من الستور دونه غبار الخيل وأبعد ستر عنها نشر الكباء ، يعنى أن غبار الخيل كثير حتى وصل إليها فصار أدنى ستر منها دونها ، كذلك ارتفع دخان العود حتى يتباعد منها الدخان فصار آخر ستر دونها ، قال : وهذا أشبه بطريقة التنبي في إشار للبالغة .

(١) يريد كثرة مالمى من صروف الدهر ، وما ملى به من فراق الأحبة حتى لا يستغرب فراقاً رآه ، ولا تريبه عينه شيئاً لم يعلمه قلبه ، وللصراع الثانى من قول عدى بن الرقاع :

وعلمتُ حتى لست أسألُ عالِماً
عن حرفٍ واحدٍ ليكى أزدادها^(١)
ومثله لأبى الطيب :

عرفتُ الليالى قبل ما صنعتُ بنا
فلما دَهَنَتْنِي لَمْ تَرِدْنِي بِهَا عَلِماً
وقال الأعور الشنى :

لقد أضبحتُ لا أحتاجُ فيما
يَكُونُ مِنَ الْأُمُورِ إِلَى السُّؤَالِ
وقال ابن الرومى :

وما أحدثَ المصرانِ شيئاً نَكِرْتُهُ
هما السَّالِبَانِ الْوَاهِبَانِ هُمَا
(٢) الكاشح : الذى يضم لك العداوة . والعلام : جمع علقم ، وهو الحنظل .

(١) من كلمته التى يقول فى مطلعها :

عرف الديار توها فاعتادها
وفها يقول فى وصف الغلية وولدها :

تَرْجَى أَغْنٍ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ
قَلَمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مَدَادُهَا
ترجى أغن : أى تسوقه برفق ؛ والروق : القرن ، وإبرته : ما حدد من طرفه كأنه إبرة .

مُسِبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مُشِيبُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيَهُ هَادِمُهُ (١)
وَتَكْمِلَةُ الْعَيْشِ الصَّبَاً وَعَقِيبُهُ وَغَائِبُ لَوْنِ الْعَارِضِينَ وَقَادِمُهُ (٢)

قال ابن جني : سأله - أي المتنبي - وقت القراءة عليه : ما وجه التهمة في هذا اللوضع ؟ قال : أن يظنوا بي جزءاً . يقول : لا يتهمني الأعداء بالخوف من الردى والجزع من الفراق ، فإنني قد ذقت المراتر حتى ألفت ذوقها فلا أستمرها ، والعلم أشد الأشياء مرارة ، وهو لا يحلو لأحد ، ولكن من اعتاد ذوقه سهلت عليه مرارته ، فكأنه قد حلّاه . وملغى رعب الردى : رعبت أسباب الردى من المخاوف والمهلك ، وكنت بالعلام عن المراتر ، ولهذا قال « رعبت » لأن العلم بما يرعى ، يعني إنني لا أجزع من الفراق وإن عظم أمره واشتدت مرارته لاعتيادي ذلك ، كما قال الآخر :

وفارقتُ حتى ما أبالي مِنَ النَوَى وإن بَانَ جِيرَانِي عَلَى كِرَامٍ
وقال للورج السدوسي :

رُوِّعْتُ بِالْبَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وبالمصائبِ فِي أَهْلِي وَجِيرَانِي
وهذا المعنى ظاهر في قول الخريبي :

لقد وقرنتني الحادثاتُ فَاأَرَى لِنَازِلَةٍ مِنْ رَبِّهَا أَنْتَوِّجِعُ

(١) مشب : مبتدأ ؛ ومشيبه : خبره ؛ ولك أن تعكس ؛ وتوقاه : حذره ؛ والضمير في « توقيه » للباكي ، وفي « بانيه ، وهادمه » للشباب . يقول : إن الذي يحزع على فقد الشباب إنما أشابه من أشبه ، والشيب حصل من لدن من حصل منه الشباب ، فلا سبيل إلى التوقي من الشيب لأن أمره بيد غيره . ولعل هذا المعنى ينظر إلى قول ابن الرومي :

تُضَعِّضُهُ الْأَوْقَاتُ وَفِي بَقَاؤِهِ وَتَفْتَلَهُ الْأَقْوَاتُ وَفِي لَهُ طُعْمُ

إِذَا مَا رَأَيْتَ الشَّيْءَ يُبْلِيهِ عَمْرُهُ وَيُفْنِيهِ أَنْ يَنْبَقِيَ فِي دَائِهِ عَقْمُ

(٢) العارضان : جانباً الوجه . يقول : تمام العيش هو الصبا وما يتلوه من بلوغ الأشد حتى يكون يافعا مترعرا إلى أن يختلف إلى عارضيه لونا يياض وسواد ؛ قال الواحدى : وغائب لون العارضين هو البياض ، والقادم هو السواد السابق إلى العارض ويجوز أن يريد بالقادم : الشيب - من قدم يقدم : إذا ورد - وبالعائب : السواد الذي غاب بقدم البياض ، ويجوز أن يكون غائب لون العارضين لون البشرة حين يغيب عنها الشعر ويياضه ، والقادم : هو لون الشعر من سواد ويياض ؛ ويجوز أن يريد

وَمَا خَضَبَ النَّاسُ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ وَلَكِنْ أَحْسَنُ الشَّعْرِ فَاحَهُ^(١)
وَأَحْسَنُ مِنْ مَاءِ الشَّيْبَةِ كُلِّهِ حَيًّا بَارِقَ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمَةٌ^(٢)
عَلَيْهَا رِيَاضٌ لَمْ تَحْكَمْهَا سَحَابَةٌ وَأَغْصَانُ دَوْحٍ لَمْ تَغْنَّ حَامِيَةٌ^(٣)

بالغائب : لون جلد العارض المستر بالشعر ، وبالقادم : سواد الشعر الثابت ؛ وهذا هو الأولى ، لأنه يجعل تمام العيش أن يكون الإنسان صبيا ثم يافعا مترعرا ثم يئيب شعره فيكون شابا ؛ ولم يجعل الشيب من تكلمة العيش ، لأن :

مَنْ شَابَ فِي النَّاسِ مَاتَ حَيًّا يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَشَى هَالِكٌ
لَوْ كَانَ عَمْرُ الْفَتَى حِسَابًا لَكَانَ فِي شَيْبِهِ قَدَالِكُ^(١)
وبيت التنقي من قول ابن الرومي :

سَلَبْتُ سَوَادَ الْعَارِضِينَ وَقَبْلَهُ بَيَاضُهَا الْحُمُودَ إِذْ أَنَا أَمْرَدُ
(١) الفاحم : الأسود الشديد السواد . يقول : إن البياض في الشعر حسن ، فليس يخضب البياض لأنه مستقبح ، ولكن لأن السواد أحسن منه ؛ فالخاضب إنما يطلب الأحسن من لوني الشعر . وعبارة ابن جني : ذكر أن الشيب لم يخضب لأنه قبيح ، ولكن سواد الشعر أحسن ، والإنسان إذا شاب علم أنه كبير السن فزهده فيه ، فإذا خضب ظهر للغواي أنه شاب فترغب فيه .

(٢) أراد بماء الشبية : نضارتها وحسنها . والحيا : المطر : والبارق : السحاب ذو البرق . . والفازة : قبة أو خيمة أو مظلة بعمودين نصبت لسيف الدولة وكانت من ديباج ؛ والشائم : الناظر إلى البرق يرجو المطر . يقول : أحسن من الشباب الذي فقدته مطر سحاب بارق أنا أنظر إليه ، يعني سيف الدولة ، جعله مطر سحاب لجوده وعموم نفعه ؛ وكنت بالشيم عن تعليق رجائه به بانتظار جوده ، وقد جمع له في هذا البيت بين ضروب من المدح - الحسن والجود - واستحقاق التأمل .

(٣) الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة من أى الأشجار كانت : وتغن - يحذف إحدى التائمين - وفي رواية : لم تغن ، يصف تلك الفازة بأنها مصورة بصورة رياض وأشجار ؛ بيد أنها ليست مما أنبتت السحاب وحاكه - نسجه وصنعه - وأغصان تلك الأشجار لا تغني حماعها ولا تتجاوب طيورها لأنها صور ليست ذات أرواح .

(١) فذلك : جمع فذلكه من قول الحاسب : فذلك كذا .

وَفَوْقَ حَوَاشِي كُلِّ ثَوْبٍ مُوجَّهِ
تَرَى حَيَوَانَ الْبَرِّ مُصْطَلِحًا بِهَا
إِذَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ مَا جَ كَأَنَّهُ
وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي النَّجَاحِ ذِلَّةٌ
تَقْبَلُ أَفْوَاهُ الْمُلُوكِ بِسَاطَهُ
فِي كَمَا لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَثِيرُهُ
مِنَ الدَّرِّ سَمُطٌ لَمْ يُنْقَبْهُ نَاطِمُهُ (١)
يُحَارِبُ ضِدَّ ضِدِّهِ وَبُسَالُهُ (٢)
تَجُولُ مَذَاكِرَهُ وَتَدَأَى ضَرَاغُهُ (٣)
لَا بُلَجَ لَا تَيْجَانُ إِلَّا عَمَامَتُهُ (٤)
وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُتْمُهُ وَبَرَّاجُهُ (٥)
وَمَنْ بَيْنَ أَذْنَى كُلِّ قَرْيَمٍ مَوَاسِمُهُ (٦)

(١) الوجه : ذو الوجهين ؛ والسمط : السلك ، ويطلق على القلادة ؛ وأراد بسط الدر : الدوائر البيض على حواشي تلك الأثواب التي اتخذت منها الفازة . شبهها بالدر لياضها ، غير أن من نظمه لم يشبهه لأنه ليس بدر حقيقي .

(٢) كانت هذه الفازة مصورة بأنواع الحيوان . يقول : ترى هذه الحيوانات مصطلحة بهذه الفازة مع أن دينها التفارس والتهاش ، وجعلها متحاربة لأنها نقشت على هذه الصورة : صورة المحارب ، وأراد بالمسألة أنها جماد لا روح فيها فتقاتل .

(٣) المذاكي : السنة من الخيل . وتدأى : تختل - يقال : دأيت الصيد ودأوت له : أى ختلته - وروى بالذال المعجمة ، يقال ذئى الإبل : إذا طردها وساقها ؛ والضراغم الأسود : يقول : إذا ضربت الريح هذا الثوب تحرك حتى كأنه يموج ، وكأن الخيل التي صورت عليه جائلة ، وكأن أسوده تختل الظباء لتصيدا وتطردها لتدركها .

(٤) الأبلج المشرق ، والذي قد وضع ما بين حاجبيه فلم يكن مقروء الحاجبين وهو من صفات السادة ؛ وروى : الأبلج ، وهو المتكبر العظيم في نفسه : بلغ - بالكسر - وتبلغ : أى تكبر ، فهو أبلج . وكان قد صور ملك الروم على هذه الفازة ساجداً ، وهو ما عناه بالقدلة ، وعنى بالأبلج - أو الأبلج - سيف الدولة ، وجعله لا تاج له لأنه عربي ، وتيجان العرب : عمامتها .

(٥) البراجم : مفاصل الأصابع ، واحدها رجمة . يقول : إن الملوك حين يلقونه يقولون بساطه ، ولا يلفنون أن يقبلوا كفه أو يده ؛ لأنه أعظم شأننا من ذلك

(٦) قايما : مصدر لم يذكر فعله ، كأنه قال : قاموا - أى الملوك - قايما ، يريد أنهم قاموا بين يديه إجلالا وهيبة ؛ وكفى بالكى عن ضربه وطعنه ولذعة حربه ، وبالذاء عن غوائل الأعداء وطفانيهم ؛ يعنى أنه يرد بالطنن والضرب من عصاه إلى طاعته كما يرد من به داء إلى الصحة بالكى . والقرم : السيد ؛ والمواسم جمع ميسم ، وهو ما يوسم به

قَبَائِلُهُمَا تَحْتَ الْمَرَافِقِ هَيَبَةً وَأَنْفَذُ مِمَّا فِي الْجُنُفُونِ عَزَائِمُهُ^(١)
لَهُ عَسْكَرًا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا رَمَى بِهَا عَسْكَرًا لَمْ يَبْقَ إِلَّا جَاهِجُهُ^(٢)

- المسكواة - ويقال أيضاً المياسم - على لفظ الميسم - كفى بجمل مواضعه بين آذان السادات - أى فى أقفائهم - عن قهرهم وإذلالهم .

(١) القبائع : جمع قبعة ، وهو ما على طرف مقبض السيف من فضة أو حديد . يريد قبائع سيوف الملوك . والجنفون : جمع جفن ، القمد . يقول : قاموا بين يديه متكئين على قبائع سيوفهم هيبة له وتمظيها ثم قال : وعزائمه أنفذ وأمضى من السيوف - وهى ما فى الجنفون .

(٢) يقول : إن له عسكرين خيله والطير التى اعتادت أن تصبغه لكثرة وقائمه حتى تأكل من لحوم القتلى ، فكانت من عديد جيشه ؛ فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجاهج ، لأن عسكر الخيل يقتلهم ، وعسكر الطير يأكل لحومهم ، والضدير فى « بها » . للخيل والطير ، فلما جعلهما جماعة كفى عنهما بلفظ الجمع ، ولم يكن بالثنية للعسكريين . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت قال : لا أدرى كيف خص الجاهج بالبقاء دون سائر العظام ؟ ولا أعرف للخيل فى هذا معنى ، بل للطير ، لأنها - أى الطير - لا تأكل عظام الموتى ، وذلك أن الخيل إذا حملت بمن عليها أهلكته العدو فذاكلهم الطير ولا تدع إلا العظام للوحش . . . ومن ثم قال بعض الشراح : يجوز أن يكون المعنى أنهم كانوا يقتلون ويأسرون ، فكانوا يأخذون رهوس القتلى يجعلونها فى أعناق الأسرى ؛ فلهذا لم يبق إلا الجاهج . . . وبعد : فما أبدع قول النابغة فى هذا المعنى :

إِذَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ جَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ
يُصَاحِبِنَهُمْ حَتَّى يُفَرِّقَ مُفَارِمَ مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ الدَّوَارِ
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عُيُونُهَا جُلُوسَ الشَّيْخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ
جَوَانِحُ قَدْ أَيْقَنَ أَنْ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانِ أَوَّلُ غَالِبِ
لَهُنَّ عَلَيْهِمْ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا إِذَا عَرَّضَ الْخَطَى فَوْقَ الْكَوَاتِبِ^(١)

(١) من الضاريات الخ : أى أن هذه الطير ضاريات متدربات على دماء القتلى وخزراً عيونها : أى ضيقة العيون خلقة أو أنها تتخازر : أى تقبض جفونها لتحدد النظر . وقوله جلوس الشيوخ الخ : فالمراب جمع مرنبانى ، وهو الثوب البطن بفراء الأرناب . يقول

أَجَلَّتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغٍ ثِيَابُهُ وَمَوَّطِئُهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ مَلَاغِمُهُ (١)
فَقَدَّ مَلَّ ضَوْهَ الصُّبْحِ مِمَّا تَغْيِرُهُ ، وَمَلَّ سَوَادَ اللَّيْلِ مِمَّا تَزَاحِمُهُ (٢)
وَمَلَّ الْقَنَا مِمَّا تَدُقُّ صُدُورُهُ ، وَمَلَّ جَدِيدُ الْهِنْدِ مِمَّا تُلَاحِظُهُ (٣)

(١) الأجلة - جمع جل - ما يجعل على ظهر الدابة ؛ والملاغم - ما حول الفم مما يلفقه اللسان ويصل إليه : جمع ملغم ، قال بعض اللغويين : الملاغم من كل شيء الفم والأنف والأشداق ، وذلك أنها تلغم بالطيب ، وفي الإبل بالزبد ، وتلغمت المرأة بالطيب جعلته في الملاغم والملمم يشبه أن يكون مفعلاً من لغام البعير - وهو زبده - سمى بذلك لأنه موضع اللغام ، وقيل لأعرابي : متى السير ؟ فقال : تلغموا يوم السبت : أى اذكروه يوم السبت ؛ واشتقاقه من أنهم يحركون ملاغمهم بذكره يوم السبت . يقول : إنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لحيله ، ويوطئ حوافرها وجه كل باغ فيهم . قال العسكبرى : وهذا مبالغة ، ولا تتم هذه الصفة إلا بعد الإيمان في قتلهم وبلوغ الغاية من الظهور عليهم

(٢) الناء - في « تغيره وتزاحمه » - إما للخطاب : وإما للخيل . وتغيره : أى تغير فيه ، وحذف الجار ونصب الضمير - على حد قولهم : ألفت ثلاثاً ما أذوقهن طعماً : أى ما أذوق فيهن - وقد كان العرب يغيرون وقت الصبح ليتغفلوا القوم ولذلك كانوا يقولون عند الفارة : واصبحاه . يقول : لكثرة غاراتك وقت الصبح ، قد مل الصبح منها وضجر ومل الليل من مزاحمتك إياه . وهو أنك تبلغ كل موضع يبلغه الليل . وقيل في معنى البيت مما تغیره أى تحمله على الغيرة ؛ إذ يزيد على بياضه بريق أسلحتك ، وتزاحم الليل فتذهب ظلمته بضوء أسلحتك . وقال بعضهم : تزاحم الليل بغبار خيلك ، فكانه ليل آخر .

(٣) القنا : الرماح ، وتدق : تكسر ؛ وصدر الرمح : أعلاه . قال الواحدى : أى ملئت رماح الأعداء من دقك أعاليها وملت سيوفهم من ملاطمتك إياها . وأراد بالملاطمة مقابلتها بالتروس والجبان ، فذلك ملاطمة بينهما ؛ ويجوز أن يريد للتنبي رماح جيشه

إن هذه الطير تقع على أعلى الأرض والمضاب كأنها في ريشها ووقوفها تقرب القتل جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المراتب يحددون النظر إلى شيء بعيد وجوانح أى مائلات للوقوع ، والخطى : القنا ؛ والكواكب : جمع كاتبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل إلى الظهر بحيث إذا نصب عليه السرج كانت أمام التربوس يضع الفارس عليها رمحاً مستعرضاً .

سَحَابٌ مِّنَ الْعِقْبَانِ يَرْحَفُ تَحْتَهَا سَحَابٌ إِذَا اسْتَسْقَتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ^(١)

وسيوفه ، على أن ترفع صدورهم ؛ يقول ؛ ملئت رماحك من كثرة ما تدق صدورها أعداءك ؛ وملت سيوفك من الشيء الذي تلامحه لكثرة وقعها عليه . هذا : وقد عاب ابن وكيع قوله تلامحه ، قال : الملامطة مفاعلة لا تكون إلا بين اثنين فلو قال مع تدق « تلطم » لكان أحسن في الصناعة ، ثم قال : وأحسن من هذا قول القائل :

حَرَامٌ عَلَى أَرْمَاحِنَا طَعْنُ مُدَبِّرٍ وَتَدَقُّ مِنْهَا فِي الصُّدُورِ صُدُورُهَا
وهكذا ابن وكيع تراه كثير التفتيد لأبي الطيب حتى ليبالغ في ذلك .

(١) أى هناك سحب من العقبان الخ ؛ والعقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح قوى الخالب له منقار أعقف . واستسقت : طلبت السقيا ؛ والضمير : للسحاب الأول ، وضمير صوارمه : للسحاب الثانى ، والتأنيث في الأول : على معنى الجماعة ، والتذكير في الثانى : على اللفظ . جعل العقبان التى فوق جيشه سحابا وجعل جيشه كذلك سحاباً لما فيه من بريق الأسلحة وصب الدماء وصوت الأبطال ، وجعل الأسفل يسقى الأعلى إغراباً في الصناعة ، فهو قد شبه العقبان بسحاب يظل الجيوش ويرحف تحتها سحب ، — يريد الجيوش — إذا استسقت العقبان بطلب الدم ، سقتها صوارمه — سيوفه — لأنها تقتل الأعداء ، فتشرب العقبان دماء القتلى ؛ وهذا المعنى — أى صبغة الطير للجيوش — كثير في كلامهم ، قال الأئفوه الأودى :

وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا رَأَى عَيْنَ ثِقَةٍ أَنْ سَتُمَاكَرَ

« أى تعطى الليرة بما تجد من لحوم القتلى » وقال النابغة :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِمَصَائِبِ

« وقد أسلفنا الكلام على هذا البيت آنفاً » وقال أبو نواس :

تَقَايَا الطَّيْرُ غُدُوته ثِقَةً بِالشَّيْعِ مِنْ جَزَرِهِ^(١)

وايئت المتنبي من قول أبي تمام :

وَقَدْ ظَلَلْتُ هِقْبَانَ أَعْلَامِهِ ضُحًى بِعِقْبَانِ طَيْرٍ فِي الدُّمَاءِ نَوَاهِلِ

أقامت مع الرايات حتى كأنها من الجيش إلا أنها لم تقابل

(١) تأيا الشيء : تعمد آيته : أى شخصه ، وقصده ، وغدوته : غدوه ؛ والجزر

قطع اللحم .

هذا وقد أخبرنا العكبرى أن قوماً ممن هو مقصر في معرفة تدقيق المعاني قد تعتوا على التنبي بأميرين : أولهما أن السحاب لا يسقي ما فوقه . والآخر أن الطير لا تستسقي وإنما تستطم ، أما إسقاء السحاب ما فوقه فهو الذي أغرب به ، فإنه لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه وإنما أنامه مقام السحاب لأنه طبق الأرض لكثرتة وتزاحمه ، وغطاها كما يغطي السحاب السماء ، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها ، ولما جعله سحاباً جعله يسسقي فيسقي مع أن الطير لا تصيب من القتل ما تصيبه وهي في الجو ، وإذا كانت تهبط إلى الأرض حتى تقع على القتل فالسحاب الساقى عال عليها ، وأما استسقاء الطير فجاء على عادة العرب في أشعارها من استعمال هذه اللفظة تعظيماً لقدر الماء كقول علقمة بن عبدة :

وفي كلِّ حيٍّ قد خبطت بنعمة فحقُّ لشأسٍ من نَدَاك ذنوب^(١)
وكان ملك الشام قد أسر أخاه شأساً فبعث إليه بهذه الأبيات يطلب منه أن يفكه ؛ وأصل الذنوب : الدلو العظيمة إذا كان فيها الماء ؛ وقد قال رؤبة :

يا أيها المائحُ دَلَوِي دونكا إني رأيت الناس يحمّدونكا^(٢)
وهما لم يستقيما ماء في الحقيقة ، إنما أحدهما استطلق أسيراً ؛ والآخر طلب عطاء كثيراً

(١) خطبه بخير : أعطاه من غير معرفة بينهما على المثل . يخاطب ورق الشجر بصاه ليتناثر فيعلف به إبله ، والذنوب : الحظ والنصيب ، وهي في الأصل الدلو المملوءة ماء ، والبيت من كلمة لعلقمة بن عبدة أنشدها الحارث بن أبي ثمر جبلة بن الحارث الأعرج الفسائي ملك الشام يوم وثب بخيله ورجله على النذر بن ماء السماء اللخمي ملك الحيرة فقتله وقتل خلقاً كثيراً ، وأسر من تميم مائة أسير منهم شأس بن عبدة أخو علقمة ، فأطلق له أخاه وأسرى تميم ، ومنحه مالا جزيلاً . ومطلع القصيدة :

طحا بك قلب في الحسان طروبُ بُعَيْدَ الشباب عَصْر حان مَشِيبُ
(٢) الليح في الاستقاء : أن ينزل الرجل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها فيملاً الدلو ويده يمسح فيها يده ، ويمسح أصحابه ، والجمع ماحة ؛ فالمائح : هو الذي يملأ الدلو من أسفل البئر ، والمائح : المستقي من أعلى البئر ، تقول العرب : هو أبصر من المائح بإست المائح ، تعني إن المائح فوق المائح ؛ فالمائح يرى المائح ويرى إسته .

سَدَكْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ حَتَّى لَقَيْتُهُ عَلَى ظَهْرِ عَزَمٍ مُؤَيَّدَاتٍ قَوَائِمُهُ ^(١)
 مِنْهَا لَيْتَ لَمْ تَصْحَبْ بِهَا الذَّنْبَ نَفْسُهُ ، وَلَا حَمَلَتْ فِيهَا الْغُرَابَ قَوَادِمُهُ ^(٢)
 فَأَبْصَرْتُ بَدْرًا لَا يَرَى الْبَدْرُ مِثْلَهُ ، وَخَاطَبْتُ بَحْرًا لَا يَرَى الْبَحْرَ عَائِمُهُ ^(٣)
 غَضِبْتُ لَهُ لَمَّا رَأَيْتُ صِيفَاتِهِ بِلَا وَاصِفٍ وَالشَّعْرُ تَهْدِي طِمَاطِمُهُ ^(٤)

(١) صُرُوفُ الدهر : نوبه وحوادثه ، وعلى ظهر عزم : حال من فاعل لقيته .
 والمؤيد : القوي ، قال تعالى « ذا الأيد إنه أواب » أى ذا القوة . يقول : خضت حوادث
 الدهر حتى لقيت سيف الدولة . يصف كثرة ما عانى من الأهوال وحوادث الدهر حتى
 بلغ سيف الدولة ، وجعل عزمه مركوبه لأنه بعزمه يسافر ويجتاز الصعاب ، ولما جملة
 مركوباً استعار له ظهراً وقوائمه وجعلها مؤيدات : أى قويات .

(٢) القوادم : صدور ريش الجناح من الطائر ؛ والمهاك : المفاوز ؛ ونصب « مهاك »
 كأنه أبدلها من « الصرُوف » وليس نصبها على البدل ، لأنها لا تكون من صُرُوف
 الدهر فى شيء ؛ ولكنها منصوبة بفعل دل عليه معنى الكلام ، كأنه قال : قطعت مهاك
 لو سلكها الذئب لما صحبته روحه ، لأنه يموت فيها جوعاً ، ولو سلكها الغراب لم
 تصعبه قوادمه ولم يقدر على الطيران ؛ وخص هذين لأنهما يألفان القفار والمواضع
 البعيدة من الناس ، ولهذا يقال لهما « الأصرمان » ؛ وإذا عجزا عن قطع هذه المهاك
 فغيرها أعجز عن قطعهما ؛ وبعبارة بعض الشراح : أراد بالمهاك - أى المفاوز -
 مسافات الخطوب التى قطعها ، وهى بدل من صُرُوف الدهر . يقول : الصرُوف التى
 قطعها لو كانت مفاوز من الأرض لهلك فيها الذئب جوعاً ولو سلكها الغراب لم يستطع
 قطعها لطولها . وخص هذين لأن الذئب من أصبر الحيوانات على الجوع ، والغراب
 من أسرع الطير .

(٣) عبر البحر : شطه . يقول : فأبصرت من سيف الدولة بَدْرًا فى الصباحة
 والطلاقة لا يرى بدر السماء مثله بين الناس مع اطلاعه على الدنيا كلها ، وخاطبت منه
 بحرًا فى العلم والسخاء لا يرى الساج فيه ساحله لبعده .

(٤) هذى يهذى هذياناً : تكلم بغير معقول لمرض أو لغيره . والطماطم :
 جمع طمطم ، يقال رجل طمطم : إذا كان فى لسانه عجمة لا يفصح ؛ قال عنترة :
 تَأْوَى لَهُ قُلُوصُ النِّعَامِ كَأَوْتِ حِرْزِ قِيَمَانِيَةِ الْأَعْجَمِ طِمْطِمِ ^(١)

(١) من معلقة عنترة . يقول : تأوى إلى هذا الظليم صغار النعام كما تأوى الإبل

وَكُنْتُ إِذَا يَمَمْتُ أَرْضًا بَعِيدَةً سَرَيْتُ وَكُنْتُ السَّرَّ وَاللَّيْلُ كَاتِمَةٌ (١)
أَقْدَسُ سَلِّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَجْدُ مُعْلِمًا ؛ فَلَا الْمَجْدُ يُخْفِيهِ وَلَا الضَّرْبُ ثَمَالَهُ (٢)

وكذلك يقال : رجل طمطمى وطمطامى وطمطماني ؛ وفي لسانه طمطمانية . وفي صفة قريش : ليس فيهم طمطمانية حمير . يقول : لما رأيت صفات المدوح لا واصف لها مع كثرة طمطام الشعر - يعنى الشعراء الذين مدحوه قبلى - غضبت لأجله ، لقصور هؤلاء الشعراء . عن بلوغ وصفه .

(١) يمت : قصدت ؛ والسرى : سير الليل : يقول كنت إذا قصدت أرضاً بعيدة سريت بالليل مشتتلاً بالظلام كأنى سر والليل يكنم ذلك السر ، وهذا من قول البحترى وطئيك سرأ لو تكلف طية دجى الليل عنا لم تسمه ضمائرهُ
وقد نقله البحترى من قول قنبر بن ضمرة العطفاني ، أحد شعراء الدولة الأموية :
سَرَيْنَا بِهِ وَاللَّيْلُ دَاجٍ ظَلَامُهُ فَكَانَ لَنَا قَلْبًا وَكُنَّا لَهُ سِرًّا

وقال الصاحب بن عباد - وقد نقله من المتنبي - :

تَجَشَّمْتُهُ وَاللَّيْلُ وَخَفَّ جَنَاحُهُ كَأَنِّي سِرٌّ وَالظُّلَامُ ضَمِيرٌ (١)

(٢) قال الواحدي : يقول : هو سيف سلّه المجد ، يعنى أن الشرف ومعالي الأمور تستعمله وتحمله على قتال الأعداء ، فلا يغمده المجد ولا يثله الضرب لأنه ليس سيفاً من حديد يثلم بالضرب : وتقل العكبرى هذا الكلام وقال : إن « معلما » حال من « المجد » : أى أعلم به الناس وأظهره . وقال آخرون : معلما - بفتح اللام - وهو الذى

اليمانية إلى راع أعجم عبي لا يفصح ... شبه الظليم في سواده بهذا الراعى الحبشى وقليص النعام - أى صغارها - بإبل يمانية ، لأن السواد في إبل اليمن أكثر ، وشبه أوبها إليه بأوى الإبل إلى راعيها ، ووصفه بالى والعجبة ، لأن الظليم لا ينطق له قال الفراء : سمعت المفضل يقول : سألت رجلاً من أعلم الناس عن هذا البيت فقال : يكون باليمن من السحاب ما لا يكون لغيره من البلدان في السماء ، وربما نشأت سحابة في وسط السماء فيسمع صوت الرعد فيها كأنه في جميع السماء فيجتمع إليه السحاب من كل جانب ، فالخرق اليمانية : تلك السحاب ؛ والأعجم الطمطم : صوت الرعد .

(١) وحف من قولهم : شعر وحف ونبات وحف ، وهو ما غزر واسود .

قَلَى عَاتِقِ الْمَلِكِ الْأَغْرَّ نِجَادُهُ ، وَفِي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ ^(١)
تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَهِيَ عَبِيدُهُ ، وَتَدْخِرُ الْأَمْوَالَ وَهِيَ غَنَائِمُهُ ^(٢)
وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالْدَّهْرُ دُونَهُ ، وَيَسْتَفْظِمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ ^(٣)

يميز نفسه بعلامة في الحرب ؛ قالوا يعني هو سيف سله المجد ومنع به حوزته من غارة اللثام . ولما جعل المجد مقاتلا جعله معلما ، إشارة إلى قوة امتناعه به وعزته على الطالين .

(١) الملك : روى بفتح الميم فيكون المراد به الخليفة ؛ وروى بالضم فيكون المراد المملكة . والعاتق : موضع الرداء من المنكب ؛ والأغر : الأبيض الكريم - ضد اللثيم - ونجاد السيف : حماته : وقائمة : مقبضة . يقول : هو سيف يتقلده الخليفة على إحدى الروايتين - ويضرب الله به أعداءه ، فهو زين للخليفة ناصر لدين الله ، وعلى الرواية الثانية : هو سيف على عاتق المملكة نجاده يزين به الملك فهو من الملك في أرفع مواضعه ، ومن تأييد الله بالحد الذي يحضيه فيه في أعلى مواقعه ، وإذا كان ذلك اكتشفه نصره وساعدته أقداره ؛ وإذن يبلغ مراده من أعدائه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

لَقَدْ خَابَ مَنْ أَهْدَى سَوِيْدَاءَ قَلْبِهِ لِحُدِّ سِنَانٍ فِي يَدِ اللَّهِ عَامِلِهِ
وقد ذكره التنبي في سيف الدولة بقوله :

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمَلِكِ وَاللَّهُ ضَارِبُ ، وَأَنْتَ لَوَاهِ الدِّينِ وَاللَّهُ عَاقِدُ

(٢) يقول : إن أعداءه يحاربونه وهم عبيده ، لأنه يسبهم فيسترقهم ويملك رقابهم . ويدخرون الأموال وهي غنائم له ، لأنه يحنوها بالإغارة عليها . هذا : وعبيد جمع عبد - مثل كلب وكلب - وهو جمع عزيز ، وقد جاء في جمع عبد : أعبد وعباد ، وعبد ، مثل سقف وسقف ، وأنشد الأخفش :

أُنْسِبِ الْعَبْدَ إِلَى آبَائِهِ أَسْوَدَ الْجِلْدَةِ مِنْ قَوْمِ عُبْدُ

وفي الجمع أيضاً : عبدان - بالكسر - مثل جحشان ، وعبدان مثل تمر وعمران ، وعبدان مشددة الدال - . والعبداء والعبوداء والمعبدة : أسماء الجمع . وروى بدل عبيده : عتيده - بالفاء اللثاء فوقها - والعتيد : التثنية الحاضر المبدأ ؛ والعتاد : العدة والأهبة والآلة ، يقال أخذت لشيء عتاده ؛ أي آلته .

(٣) يقول : هم يعدون الدهر كبير الأمر عظيم الشأن ، لما يفعله من إسعاد قوم

وَإِنَّ الَّذِي سَمِيَ عَلِيًّا لَمُنْصِيفٌ ، وَإِنَّ الَّذِي سَمَاهُ سَيِّفًا لَطَّالٌ لَهُ (١)
وَمَا كُلُّ سَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ حَدُّهُ ، وَتَقْطَعُ لَزَبَاتِ الزَّمَانِ مَكَارِمَهُ (٢)

وقال يمدحه ، وقد عزم على الرحيل عن أنطاكية :

أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَهْذَا الْهَمَامُ نَحْنُ نَنْتُ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ (٣)

وإشقاء آخرين ، والدهر دونه . لأنه طوع له لا يفعل من ذلك إلا ما كان على هواه ، ويستعظمون الموت لأنه أعظم حادث والموت خادمه لأنه ينفذ مراده في أعدائه .

(١) و (٢) على : اسم سيف الدولة ؛ والهام : الرؤوس . ولزبات الزمان : شدائده ، جمع لزبة ، وجمعها بسكون الزاي . قال الجوهري : أصابتهم لزبة : أى شدة وقحط ، والجمع لزبات - بالتسكين - لأنه صفة . يقول : إن الذى سماه علياً قد أنصفه ، إذ قد سماه بما يستحقه من الوصف بالعلو ؛ والذى سماه سيفاً قد ظلمه ، لأن السيف وإن عظم أثره فهو جمد ، وقد ينبو حد السيف عن قطع الهام ، أما المدوح فإن مكارمه تذهب بشدائد الزمان وتنفيها عن العباد ، فمن أين يشبه فعله فعل السيف حتى يطلق عليه اسمه ؟ وبعبارة بعض الشراح : يقول عادة السيف أن يقطع الرؤوس ولا يزيد ، ولكن هذا المدوح يقطع رؤوس الأبطال بمحده : أى عزمه ، ويقطع شدائد الزمان بمكارمه ، فتسميته بالسيف غير وافية بما يستحقه .

(٣) الإزماع : العزم على الأمر ؛ والهام : الملك العظيم . والرُبَى : جمع ربوة . يقول : أين أرمعت أن تسير أيها الملك ، ونحن الذين لا عيش لنا إلا بك ، وإذا فارقتنا لم نعش ؛ كنبت الربى لا بقاء له إلا بالتمام ، إذ لا شرب له إلا من ماله ، أما نبت غير الربي فيمكن أن يشرب من الماء الجارى ؛ وهذا من قول الآخر :

نَحْنُ زَهْرُ الرُّبَى وَجُودُكَ غَيْثٌ هَلْ بَسِيرِ الْغَيْوُثِ يُونِقُ زَهْرُ؟

وبعبارة العكبرى : أين أرمعت أيها الملك عنا ؛ ونحن الذين أظهرتهم نعمتك إظهار الغمام لنبت الربا ، وهو من آتق النبات ؛ ولهذا ضرب الله تعالى به المثل في قوله « كمثل جنة بربوة أصابها وابل » ، وهو مع ذلك أقرب النبت موضعاً من الغمام ، وأشدّه افتقاراً إليه ؛ لأنه لا يقيم فيه ويسرع الانسكاب عنه ؛ ولهذا شبه أبو الطيب

نَحْنُ مَنْ ضَاقَ الزَّمَانُ لَهُ فِيكَ وَخَانَتْهُ قُرْبَكَ الْأَيَّامُ^(١)
فِي سَبِيلِ الْعَلَى قِتَالَكَ وَالسَّلَامُ وَهَذَا الْقَامُ وَالْإِجْدَامُ^(٢)

حاله به . . وقد عاب ابن وكيع هذا البيت ، قال : أول هذه القصيدة سوء أديب لسؤاله ملكا جليلا به «أين أزمعت» قال : والبيت مأخوذ من قول ابن أبي فنين :

لعمرك إني وأبا علي كنت الأرض تُصلحه السماء

(١) يقول : نحن الذين ضايقتهم الأيام في قربك فبخلت عليهم بك فخرتهم لقاءك وباعدت بينهم وبينك وخانتهم في القرب منك . يريد أن الزمان يحبه ويشقه ويغار على قربيه ويريد أن ينفرد به دون الناس ، وهو معنى معروف قد تعاورته الشعراء . قال محمد بن وهب :

وحاربني فيه رَبُّ الزمان كَانَ الزمان له عاشق

وقوله ضايق الزمان له فيك : قال ابن جني : اللام في «له» زائدة للتأكيد كقوله تعالى «ردف لكم» أي ردفكم ، وقوله جل شأنه «إن كنتم للرؤيا تعبرون» وقول الشاعر :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلى بكل سبيل^(١)

وقال ابن فورجة : يريد نحن من ضايقة الزمان ، حذف الراجع إلى الموصول ، والهاء في قوله «له» راجعة إلى الزمان . يقول : نحن الذين ضايقتهم الزمان لنفسه ولاجله فيك : أي لتكون له دونهم ، كما تقول هم الذين رضيه عمروله : أي لنفسه ، وإلحاق اللام بالمفعول قبيح جداً . ونصب «قربك» على أنه مفعول ثانٍ لـ «خان» ، يقال خان الزمان زيدا ملكه ، يتعدى إلى مفعولين ، ولا يجوز نصبه على الظرف . لأنه يضير ذما للممدوح ، وإقراراً بأن الزمان خانهم في حال اقترابهم منه .

(٢) الإجدام : الإسراع في السير ، قال طرفة بن العبد .

أحلتُ عليها بالقطيع فأجذمتُ وقد خبّ آلُ الأُمّزِ التوقدُ^(٢)

(١) لكثير عزة وقال لقيس بن الملوح وقيل لجمل وتمثل - بحذف إحدى التاءين - أي تمثّل وتخيّل ، ونراه في قصيدة طويلة جميلة لكثير في أمالي القالي .

(٢) من معلقة طرفة ، والإحالة الإقبال هنا ، والقطيع : السوط ، والإجدام : الإسراع في السير ، والآل : ما يرى شبه السراب طرفي النهار ، والسراب : ما كان

كَيْتَ أَنَا إِذَا ارْتَحَدْتَ لَكَ الْخَلِيلُ وَأَنَا إِذَا نَزَلْتَ الْحِيَامُ^(١)
كُلُّ يَوْمٍ لَكَ اخْتِمَالٌ جَدِيدٌ وَمَسِيرٌ لِلْمَجْدِ فِيهِ مُقَامٌ^(٢)

وهو أيضاً الإقلاع عن الشيء ، قال الربيع بن زياد العبسي .

وَحَرَقَ قَيْسٌ عَلَى الْبِلَادِ حَتَّى إِذَا اضْطَرَمَّتْ أَجْزَمًا^(٣)

يقول . إن أفعالك كلها مقصورة على العلى : فأنلت أو سالت ؛ أفت أو سرت ،
فقصودك في جميع ذلك طلب العلى .

(١) قال الواحدى . أى ليتنا معك نتحمل عنك المشقة فى مسيرك ونزولك فى
سفرك ، هذا معنى البيت ، ولكنه أساء حيث عني أن يكون بهيمة أو جاداً ، ولا يحسن
بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه ، فلا يحسن أن تقول : ليتنى امرأتك فأخدمك . قال
ابن جنى : طعن عليه قوم تمصبوا عليه فقالوا : الحيام يعلو من تحتها وقد جعله دونها ،
فأجاب عن ذلك نظماً فقال :

* لقد نسبوا الحيامَ إلى علاء *

« وقد تقدمت هذه الأبيات » قال ابن جنى : وتلخيص المعنى : ليتنا نفيك الأذى
وتتحمل عنك الردى .

(٢) الاحتمال : التحمل المسير ، وىروى : ارتحال . والمقام : مصدر ميمي بمعنى
الإقامة . يقول : يحدث لك كل يوم سفر جديد ، وذلك آية بعد الهمة ، كما قال
تأبط شراً ؟

* كثيرُ الهوى شَتَّى النوى والمسالِكِ^(٢) *

نصف النهار ، والأُمُز : مكان يخالط ترابه حجارة أو حصى . يقول طرفة . أقبلت
على الناقة أضربها بالسوط فأسرعت فى السير فى حال خيب آل الأماكن التى اختلط
تربتها بالحجارة والحصى .

(١) قيس هو قيس بن زهير العبسي ، وكان قد ترك بلاد العرب وانتقل إلى بلاد
المعجم بعد إثارة الفتن فى حرب داحس . والبيت من أبيات فى الحماسة انظرها فى
« حماسة أبى تمام » .

(٢) صدره :

قليلُ التشكى للمهمِّ يُصيبُهُ

وقليلٌ ههنا بمعنى النفى .

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ^(١)

وفى كل يوم لك سير يقيم المجد عندك فى ذلك السير ، لأن ذلك السير لطلب المجد ،
أو لأن المجد مقيم معك حينما كنت ، كما قال أبو تمام :

كَمَا زَرَّتَهُ وَجَدْتَ لَدَيْهِ نَشَبًا ظَاعِنًا وَمَجْدًا مُقِيمًا

وكما قال الأزدى « إسماعيل بن إسحاق القاضى الأزدى »

الْمَجْدُ صَاحِبُكَ الَّذِى حَالَفْتَهُ أَبْدًا فَرَوَضْتُهُ الْمَرِيضَةَ مَرْتُكَ

فَإِذَا رَحَلْتَ سَرِيَتْ تَحْتَ ظِلَالِهِ وَإِذَا رَبَعْتَ فَنَى ذِرَاهُ مَرَبَّكَ

« المريضة : الخسبة . وربعت : أمت . وذراه : أعاليه ، ولك أن تقرأ ذراه : بفتح
الذال : أى كنفه » .

(١) يقول : إذا عظمت المهمة وكبرت النفس تعب الجسم فى تحصيل مرادها ، وذلك
أن المهمة تعنى الجسم فى طلب معالى الأمور ، ولا ترضى بالمرزلة الدون ، ولا تستريح أو
تحصل على الرتب العالية ، كما قال العنابى :

وإن عليّات الأمور مشوبة بمستودعات فى بطون الأساود^(١)

قال العكبرى : ويبت للتنبى من كلام أرسطوا : إذا كانت الشهوة فوق القدرة كان
هلاك الجسم دون بلوغ الشهوة . قال ابن وكيع : لم يأخذ من الحكيم ، وإنما أخذ من
أهل صناعته ؛ فأخذ قوله من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

فَقَالُوا : أَلَا تَلْهُو لَتَذْرُكَ لَذَّةٌ ؟ فَقُلْتُ : وَكَيْفَ اللَّهْوُ وَالْهَمُّ حَاجِزُ

وَنَفْسِي تُعْآنِي أَنْ تَقِيمَ مَرْوَدَنِي عَلَى غَايَتِي فِي الْمَجْدِ وَالْجَهْدِ عَاجِزُ
وَمِنْ قَوْلِ أَبِي زُرْعَةَ :

أَهْلُ مَجْدٍ لَا يَحْفِلُونَ إِذَا نَالُوا جِسْمًا أَنْ تُنْهَكَ الْأَجْسَامُ
وَمِنْ قَوْلِ الْحَصَنِ :

نَفْسِي مُوَكَّلَةٌ بِالْمَجْدِ تَطْلُبُهُ وَمَطْلَبُ الْمَجْدِ مَقْرُونٌ بِهِ التَّلَفُ
وَمِنْ قَوْلِ ابْنِ جَابِرَ :

إِذَا مَا عَلَا الْمَرْءَ رَامَ الْعُلَى وَيَقْنَعُ بِالذُّونِ مَنْ كَانَ دُونَا

(١) الأساود : الحيات .

وَكَذَا تَطْلُعُ الْبُدُورُ عَلَيْنَا وَكَذَا تَقْلُقُ الْبُحُورُ الْمِظَامُ^(١)
وَلَسَا عَادَةُ الْجَمِيلِ مِنَ الصَّبْرِ رَوْأَنَا سِوَى نَوَاكٍ نُسَامُ^(٢)
كُلُّ عَيْشٍ مَا لَمْ تَطْبُهُ حِمَامُ كَلُّ شَمْسٍ مَا لَمْ تَكُنْهَا ظِلَامُ^(٣)

ومن قول أبي تمام :

فَمَلِمْنَا أَنْ لَيْسَ إِلَّا بِشِقِّ النَّفْسِ سِ صَارَ الْكَرِيمُ يُدْعَى كَرِيمًا
طَلَبُ الْحَدِيدِ يورِثُ النَّفْسَ خَبَلًا وَهُمُومًا تُقْضِضُ الْحِزْمًا^(١)
وقد أخذ هذا المعنى أبو القاسم بن الحريش فقال :

فَيَا مَنْ يَكْدُ النَّفْسَ فِي طَلَبِ الْعُلَى إِذَا كَبُرَتْ نَفْسُ الْفَقِي طَالَ شُفْلُهُ
(١) يقول : كذا ديدن البدر : يغرب تارة ويطلع تارة ، وكذا البحر بموج
ويضطرب ويتحرك ، وكذلك أنت لا تستقر أو تتحرك وتسير يعني أنك بدر وبحر ،
فعادتك عادتتهما .

(٢) النوى : البعد . وسامه الأمر : جشمه إياه . يقول : لو كلنا غير فراقك .
لصبرنا صبراً جيلاً كما هي عادتنا في الصبر على المحن ، بيد أنه لا صبر لنا في بعدك ولا طاقة
لنا باحتمال نواك ، كما قال أبو تمام :

وَالصَّبْرُ يَحْسُنُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومُ
(٣) يقول : كل عيش لم تطبه وتؤنسه بقربك هو والحمام - اللوت - سواء ، وكل
شمس ظلمة إذا لم تكن أنت تلك الشمس . يريد تنقص عيشه بعده ، وإظلام أيامه
بفراقه ، هذا : وقوله ما لم تكنها : على حد بيت أبي الأسود :

دَعِ الْحَمْرَ بِشَرْبِهَا الْغَوَاةُ فَإِنَّهُ رَأَيْتُ أَخَاهَا مُغْنِيًا بِمَكَانِهَا
فِيلاً يَكُنْهَا أَوْ تَكُنْهُ فَإِنَّهُ أَخُوها غَدَّتْهُ أُمُهُ بِلَبَانِهَا^(٢)

(١) الحبل : الفساد ، في الأصل ، وللراد : الهم ؛ والحيزوم : الصدر . وتقضض :
تكسر وتحطم .

(٢) يقال هو أخوه بلبان أمه - بكسر اللام - ولا يقال بلبن أمه ، إنما اللبن الذي
يشرب من ناقة أو شاة أو غيرها من البهائم . يصف أبو الأسود الزبيب ، وأطلقه على
مذهب المراقبين في الأنبة ، وحض على شربه وترك الخمر بينهما ، للاجتماع على
تحميرهما ، وجعل الزبيب أخا للخمر لأن أصلها الكرمة ؛ واستعار اللبان لما ذكر من الإخوة .
(• - المعنى ؛)

أَزَلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَمِيسُ اللَّهُامُ^(١)
وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَعَى سَا كِنَ الْقَلْبِ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامُ^(٢)
وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكُتَائِبَ حَتَّى تَتَلَاقَى الْفِهَاقُ وَالْأَقْدَامُ^(٣)
وَإِذَا حَلَّ سَاعَةٌ بِمَكَانٍ فَأَذَاهُ عَلَى الزَّمَانِ حَرَامُ^(٤)
وَالَّذِي تُنْبِتُ الْبِلَادُ سُرُورُ ، وَالَّذِي تَمْطُرُ السَّحَابُ مُدَامُ^(٥)

والأجود : تكن إياها .

(١) الخميس : الجيش . واللهام : الكثير الذى يلتهم كل شيء فهلكه ويذهب به .
يقول : أقم عندنا لتغنى الوحشة عنا يا من يأمن بوجوده الجيش العظيم ، لقوة الجيوش
بمكانه ، فهم وإن كثروا يأمنون بك ، ويتشجعون على لقاء الأحوال ثقة بشجاعتك .

(٢) الذى : عطف على من - فى البيت السابق - والوعى : الحرب . والذمام :
العهد : يقول : هو يحضر الحرب رابط القلب غير مضطرب الجأش ، كأن القتال عاهده
على أن لا يقتل ؛ فهو يسكن إلى القتال سكونه إلى الذمام . وهذا من قول أبى تمام :

مُتَسَرِّعِينَ إِلَى الْخُتُوفِ كَأَنَّمَا بَيْنَ الْخُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ

(٣) الكتبية : الفرقة من الجيش . والفهاق : جمع فهقة ، وهى العظم الذى يكون
على اللهاة ، وهو مركب الرأس فى العنق . والأقدام : جمع قدم . يقول : والذى يضرب
الجيوش بسيفه ، ويقطع أعناقهم حتى تتلاقى مع الأقدام .

(٤) يقول : وإفا ألم بمكان ونزل به ساعة صار ذلك المكان فى ذمته ، فلا تلم به
الحوادث ولا يصيبه الزمان بأذى من جذب وقحط . وبعبارة أخرى : إن سيف الدولة
إذا نزل ببلد أجاره على الدهر ، وكف عنه صروفه وأذاه وأمن المكروه بركته .

(٥) والذى : مبتدأ ؛ وسرور : خبره ، والجملة : عطف على الشطر الثانى من
البيت السابق . يقول : والذى تنبت بلاد ذلك المكان الذى تحمل به سرور ، والذى
تمطره سماؤها مدام - خمر - أى يقيم السرور والطرب بذلك المكان حين تحمل به ،
ولعله ينظر إلى قول البحرى :

ويومر بالطيرة أمطرتنا سماء صوب وإبلها العقار^(١)

(١) الطيرة : قرية من نواحي سامراء ، وكافت من متزهات بغداد وسامراء : قال
البلاذرى : إنها محدثة بنيت فى خلافة المأمون ، والعقار : الخمر .

كَلِمًا قِيلَ قَدْ تَنَاهَى أَرَانَا

كِرَامًا مَا أَهْتَدَتْ إِلَيْهِ الْكِرَامُ^(١)

وَكِفَا حَا تَكْعُ عَنْهُ الْأَعَادِي وَارْتِيَا حَا يَحَارُ فِيهِ الْأَنَامُ^(٢)

إِنَّمَا هَيْبَةُ الْمُؤْمِلِ سَيْفِ الدِّ وَلَّةَ الْمَلِكِ فِي الْقُلُوبِ حُسَامُ^(٣)

فَكَثِيرٌ مِنَ الشُّجَاعِ التَّوَفَّى وَكَثِيرٌ مِنَ الْبَلِيغِ السَّلَامُ^(٤)

* * *

وقال بمدحه أيضاً :

أَنَا مِنْكَ بَيْنَ فَضَائِلٍ وَمَكَارِمٍ وَمِنْ ارْتِيَا حَا فِي غَمَامٍ دَائِمٍ^(٥)

(١) يقول : كلما قال الناس قد بلغ النهاية في الكرم أبدع كراماً لم يهتد إليه من قبله من الكرام ؛ وهو من قول البحترى :

طَلُوبٌ لَا تَقْصِي غَايَةَ بَعْدَ غَايَةٍ إِذَا قِيلَ يَوْمًا قَدْ تَنَاهَى تَزِيدًا

(٢) تكع : تبجن وتضعف وتعجز ، يقال كع الرجل يكع - بكسر الكاف - فهو كع وكاع : أى لا يمتد في عزم ولا حزم ، وهو الناكس على عقبيه ؛ وفي الأثر : ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب ، فلما مات اجترأوا عليه .. الكاعة : جمع كاع ، وهو الجبان . أراد أنهم كانوا يجبنون عن النبي صلى الله عليه وسلم في حياة أبي طالب ، فلما مات اجترأوا عليه . والارتياح : الاهتزاز للبذل واصطناع المعروف . يقول : وأرانا قتالا يجبن عنه الأعداء ويعجزون ، واهتزازاً للجلود يحار فيه الخلق .

(٣) يقول : إن هيئته في القلوب تقوم مقام السيف ، فليس يحتاج إلى اللجوء إلى السيف ، لأنه مهيب تهابه الأعداء ، فلا يقدمون عليه فيحتاج إلى دفعهم عن نفسه بالسيف ، قال ابن وكيع : وهذا من قول أبي دلف :

وَيَصُولُ الْإِمَامُ فِي حَيْثُمَا صَالَ فِي صَوْلَةِ الْإِمَامِ الْجَمَامُ

(٤) يقول : إن تواقه الشجاع وحفظ نفسه منه في الحرب فذلك منه كثير ، والبلغ إن أمكنه أن يسلم عليه فذلك غاية بلاغته ، لأن هيئته توجب أن لا ينطق أحد بين يديه .

(٥) الارتياح : الانبساط والاهتزاز للمطاء . يقول : أنا منك بين فضائل ذاتية وهي أوصاف ذاتك ، ومكارم فعلية هي صفات فعلك ، ومن اهتزازك للمطاء في غمام لا يقلع مطره .

- وَمِنْ احْتِقَارِكَ كُلِّ مَا تَحْبُوبُهُ ؛ فَبِمَا الْأَحِظَّةُ بِمَعْنَى حَالِمٍ (١)
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَمْ يُسَمِّكَ سَيْفَهَا حَتَّى بَلَكَ فَكُنْتَ عَيْنَ الصَّارِمِ (٢)
 وَإِذَا تَتَوَّجَ كُنْتَ دُرَّةَ تَاجِهِ ، وَإِذَا تَخَنَّمَ كُنْتَ فَصَّ الْخَاتَمِ (٣)
 وَإِذَا انْتَضَاكَ عَلَى الْعِدَى فِي مَعْرِكَ هَلَكُوا وَصَاقَتْ كَفَّهُ بِالْقَائِمِ (٤)
 أَبْدَى سَخَاوَتَكَ عَجَزَ كُلِّ مُشْمِرٍ فِي وَصْفِهِ وَأَضَاقَ ذَرَعَ الْكَاتِمِ (٥)

- (١) محبوبه : تسخو به . و « ما » في قوله « فيما الأحظه » نكرة ، وليست موصولة ، كأنه قال في شيء أحظه ، والظرف معطوف على الخبر - في البيت السابق - . يقول : إنني استعظم احتقارك ما تعطيه وتجود به ، ومن ثم أرى نفسي كأنني لا أعينه في اليقظة وإنما أراه حلما . وبعبارة أخرى : لاحتقارك ما تعطيه - على كثرته - أرى نفسي في حال كأنني أبصرها في النوم ، لأن العادة لم تجر بذلك في اليقظة .
 (٢) الهاء في « سيفها » : للدولة ، وأضمر للعلم ؛ وبلاك : اختبرك ؛ والصارم : القاطع يقول : لم يسمك الخليفة سيف الدولة إلا بعد أن جربك ، فكنت صارما حقيقة لا يذبو حدك ، ولا يطمع فيك عدوك ، ولا يفل عزمك .
 (٣) تتوج : لبس التاج ، وكذلك تخنم : أى لبس الخاتم ؛ والخاتم : بكسر التاء وفتحها . يقول : إن الخليفة يتجمل بك تجمل التاج بالدر ، والخاتم بالفص . يعنى أنك أرفع ما يرفع به الخليفة .
 (٤) انتضاك : استلك ؛ وقائم السيف : مقبضه . يقول : إذا جردك الخليفة على عدو هلك ذلك العدو وعجز هو عن حملك وضاعت كفه عن قائم سيف أنت حقيقة : يعنى أنه إنما يجردك بأن يدعو للضعف عن الخلافة ، لا بأن يتصرف فيك كيف يشاء .
 (٥) للشمر : المجتهد . يقول : من شمر لوصف جودك أظهر جودك عجزه عن وصفك فهو لكثرة يعجز الواصف استيعابه ، كما قال :

وكل من أيدع في وصفه أصبح منسوباً إلى العي

ومن كنتم وصف جودك ضاق ذرعه ، لأنه يريد أن يصف جودك ويهلم عجزه ، فيضيق صدره لذلك .

وقال بمدحه ، وكان سيف الدولة قد أمر غلمانه أن يلبسوا ، وقصد ميثاقارين في خمسة آلاف من الجند وألفين من غلمانه ، ليزور قبر والدته ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة :

إِذَا كَانَ مَذْحُ فَالنَّسِيبُ لِلْقَدَمِ أَكْلُ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتِمًّا ^(١)
 لَحَبُّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَوْلَى فَإِنَّهُ بِهِ يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ وَيُنْخَمُّ ^(٢)
 أَطْمَتُ الْغَوَائِي قَبْلَ مَطْمَحِ نَاطِرِي إِلَى مَنْظَرٍ يَصْفُرُنَ عَنْهُ وَيَعْظُمُ ^(٣)
 تَعْرِضُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الدَّهْرَ كُلَّهُ يُطَبِّقُ فِي أَوْصَالِهِ وَيُصَصِّمُ ^(٤)

(١) النسيب : التشبب بالنساء . وشبب بالمرأة : قال فيها الغزل ، ولعله من تشبيب النار وتأريثها . وللتيم : الذي استعبده الهوى . يقول : اعتاد الشعراء أن يقدموا النسيب في أشعارهم كلما مدحوا ، فأنكر هذه العادة وقال : أكل فصيح يقول الشعر متمم بالحلب حتى يبدأ بالنسيب ؟ يعني ليس الأمر على هذا ، فلا تجارم في هذه العادة .

(٢) يقول : إن حب سيف الدولة أولى من حب غيره ، فإنه إذا جرى الذكر الجليل يكون به بدؤه وختامه ، يعني لا يذكر غيره بما يذكر هو به من الجليل ، ومن كان بهذه الصفة كان أولى بالحلب من النساء اللاتي ينسب بهن الشعراء .

(٣) الغواني : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسبها عن الزينة . وطمح بصره إليه : ارتفع ونظره شديدا . وقوله ويعظم : أى ويعظم عنهن ، خذف للعلم : يقول : كنت أربغ فى النساء قبل التقائى بسيف الدولة ، وتطمح عيني إلى منظره الذى حين نظرت إليه نظرت إلى منظر يصغر منظرهن عنه ، ويعظم هذا المنظر عن منظرهن ، لأن هذا ملك وسلطان ، وهن لهو وغزل . وعجالة العكبرى : أطمت الغواني فى التشبيب بهن قبل أن يطمح بصبرى إلى مملكة هذا المدوح الذى يقل حسنهن عندها ، ويصغر شأنهن عند شأنها وقال ابن جنى : كنت متيا بالنساء وحبهن قبل أن أتعرض للأمور العالية ، فلما قصدتها تركتهن . وقوله إلى منظر : معنى معالى الأمور العالية ، وروايته على هذا التفسير : وأعظم : أى أنا أعظم عنه ، جعل نفسه تعظم عن العالى .

(٤) تعرض الدهر وتعرض له : أتاه عن عرض - جانب - . التطبيق : أن يصيب

فَبَازَ لَهُ فَحَتَّى عَلَى الشَّمْسِ حُكْمُهُ وَبَانَ لَهُ حَتَّى عَلَى الْبَدْرِ مَيْسَمٌ^(١)
 كَمَا أَنَّ الْعِدَا فِي أَرْضِهِمْ خُلَفَاؤُهُ ؛ فَإِنْ شَاءَ حَارَ وَهًا وَإِنْ شَاءَ سَلَمُوا^(٢)
 وَلَا كُتِبَ إِلَّا الْمَشْرِفِيَّةُ عِنْدَهُ وَلَا رُسُلٌ إِلَّا الْخَمِيسُ الْعَرْمَرَمُ^(٣)
 فَلَمْ يَخْلُ مِنْ نَصْرِ لَهُ مَنْ لَهُ يَدٌ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْ شُكْرِ لَهُ مَنْ لَهُ فَمٌ^(٤)

للفصل في الضرب ؛ والتصميم : أن يعض السيف في الفضيحة . يقول آبي الدهر عن عرض فذله بالتطبيق والتصميم ، وإنما وصفه بهما لأنه جعله سيفاً ؛ ويقال سيف مطبق وهو الذي إذا أصاب الفصل قطعه ؛ وسيف مصمم إذا كان ماضياً في الفضيحة . وحاصل المعنى أنه أخضع الدهر ، فلا يصبر عليه ما أراد ، كما قال في البيت التالي .

(١) يقول : فحكمه جائز حتى على الشمس ، وحسنه ظاهر حتى على البدر : أي أنه أحسن منه ، فاليسم الحسن^(١) . وهذا ما ذهب إليه ابن جني ، وقال العروضي : إن جاز أخذ اليسم من الوسامة ، فأخذه من الوسم أولى ليكون المعنى موافقاً للصراع الأول . يقول : كل شيء موسوم بأن أنه له وتحت قهره وأمره ، حتى البدر ، وأشار باليسم على البدر إلى ما في وجهه من السواد الذي هو أثر الجو .

(٢) يقول : إن أعداءه من الملوك كأهم خلفاؤه ؛ حينما كانوا من الأرض ، استخلفهم على حفظ ممالكهم ، فإن شاء تركهم عليها ؛ وإن شاء أجلاهم عنها فسلموا بممالكهم إليه . والمعنى : أن أعداءه من الروم وغيرهم يتصرف فيهم كيف شاء . هذا : والخلفاء جمع خليفة ، والهاء في « خليفة » : للمبالغة ، وجمع على الخلفاء على معنى التذكير . لا على اللفظ ؛ مثل طريف وظرفاء ؛ ويجمع على اللفظ خلائف - كظريفة وظرائف -

(٣) المشرفية : السيوف . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير . يقول : إنه لا يرسل إلى مخالفه رسلاً غير الجيوش ؛ ولا كتب له إلا السيوف : يعني أنه لا اقتداره لا يعتمد في إخضاعهم إلى الملائنة ؛ ولكن إلى القتال ؛ لأنهم أعجز من أن يقاتلوه . ولعل في هذا نظراً إلى قول أبي تمام :

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتب في حدهِ الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
 (٤) يريد عظم ملكه وعموم إحسانه . يقول : كل من له يد يقوم بنصره لوقوعهم

(١) قال عمرو بن كلثوم في معلقته .

فلعائن من بني جُشَم بن بكر خلطن بميسم حسباً وديننا

وَلَمْ يَخْلُ مِنْ أَسْمَانِهِ عُسُودٌ مِنْبَرٍ وَلَمْ يَخْلُ دِينَارٌ وَلَمْ يَخْلُ دِرْهَمٌ ^(١)
 ضَرْوبٌ وَمَا بَيْنَ الْحَسَامِينَ ضَيِّقٌ بَصِيرٌ وَمَا بَيْنَ الشُّجَاعِينَ مُظْلِمٌ ^(٢)
 تُبَارَى نَجُومَ الْقَذْفِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ نَجُومٌ لَهُ مِنْهُنَّ وَرْدٌ وَأَذْهَمٌ ^(٣)
 يَطَّانَ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا حَمَلَتُهُ ، وَمِنْ قِصْدِ الْمَرَّانِ مَا لَا يُقَوْمُ ^(٤)

تحت طاعته ؛ ولأن نصره نصر دين الله ؛ وكل من له فم ينطق بشكره ؛ لما شملهم من إنعامه .

(١) يقول : إن سلطانه عم الدنيا حتى خطب له على منابرها وضرب باسمه الدينار والدرهم هذا : والمنبر مرقاة الخاطب ؛ ممي كذلك لارتفاعه وعلوه - من نبرت الشيء أنبره نبرا : رفعت ؛ وكل مرتفع : منتبر ؛ والدينار : فارسي معرب ؛ وأصله دينار - بالتشديد - بدليل قولهم : دنانير ودينير ؛ فقلت إحدى النونين ياء لئلا يلتبس بالمصادر التي تجمي على فعال كقوله تعالى « وكذبوا بآياتنا كذابا » إلا أن يكون بالهاء فيخرج على أصله مثل الصنارة والدنامة - القصير - لأنه آمن الآن من الالتباس ؛ ولذلك جمع على دنانير ؛ ومثله قيراط وديياج وأصله دباح ؛ قال أبو منصور : دينار وقيراط وديياج أصلها أعجمية ؛ غير أن العرب تكلمت بها قدما فصارت عربية

(٢) يقول : إنه شجاع ذو بصر وحذق بالحرب والزال ؛ فيضرب قرنه مكافئة وقد دنا ما بينهما حتى يضيق مضرب سيفيهما ؛ وإذا ستر الغبار - غبار الحرب - نور الشمس فأظلم ما بين الشجاعين وزاغت الأبصار فإن بصره يبقى ثابتا ، فلا يخطيء مقتل قرنه ويجوز أن يكون معنى « وما بين الشجاعين مظلم » أنهما وقعا في أمر عظيم ؛ وتمثل الموت لهما ؛ ومن شأن الناس أن يقولوا أظلمت الدنيا ما بيني وبين فلان : إذا كلمه بكلمة تشق عليه وإن لم يكن ثم ظلام

(٣) نجوم القذف : هي التي ترمى بها الشياطين ؛ قال تعالى « ويقذفون من كل جانب دحورا » ونجوم المدوح : خيله والورد من الخيل : ما بين الكيت والأشقر يقول : إن خيله تنقض على الأعداء كالشهب المنقضة في الهواء ؛ في السرعة والشدّة ؛ وجعلها نجوما لأنها تتلألأ في الظلام بريق الحديد ؛ ولأنها تستغرق الأرض بسيرها استغرق الكواكب ؛ فهي تسير في الأرض كما تسير الكواكب في السماء

(٤) القصد : قطع الرماح إذا انكسرت ، الواحدة : قصدة . والمران : جمع مارن ، مالا من الرماح ، يقول : إن خيله تطأ القتلى من الأبطال الذين لم تحملهم ، يعني أبطال

فَهُنَّ مَعَ السَّيْدَانِ فِي الْبَرِّ عُسْلٌ وَهُنَّ مَعَ النَّيْنَانِ فِي الْمَاءِ عَوْمٌ^(١)
 وَهُنَّ مَعَ الْغَزْلَانِ فِي الْوَادِ كُنَّ وَهُنَّ مَعَ الْعُقْبَانِ فِي النَّيْقِ حَوْمٌ^(٢)
 إِذَا جَلَبَ النَّاسُ الْوَشِيجَ فَإِنَّهُ بَيْنَ وَفِي لَبَاتَيْنِ يُحْطَطُ مِمْ^(٣)
 يَفْرُتُهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ وَالْجَمْعَا وَبَذَلَ اللَّهُمَّ وَالْحَمْدُ وَالْمَجْدُ مُعْلَمٌ^(٤)

العدو ، وتطأ ما تكسر من قطع الرماح التي لا يمكن تقويمها لتكسرها ، وهذا من قول الحصين بن الحمام للرى :

يَطْأَنُ مِنَ الْقَتْلِ وَمِنْ قِصْدِ الْقَنَا خَبَاراً فَمَا يَجْرِيْنَ إِلَّا تَجْمَا
 « الحبار : الأرض الرخوة ، تتمتع فيها الدواب ، وفي المثل : من تجنب الحبار أمن النار » .

هذا . وقوله « من لا حملته » أراد ما حملته ، لأن « لا » لا تدخل على الماضي إلا مكررة ، ولكنه أبدلها فراراً من ثقل اللفظ .

(١) السيدان : جمع سيد ، وهو الذئب ، وعسل : جمع عامل - من عسلان الذئب ، وهو الإسراع والاضطراب في الجرى - والنينان : جمع نون ، وهو الحوت ، يقول : إن خيله لكثرة غزواته عمت البر والبحر ، فهي تعدو مع الذئب في البر وتعم مع الجيمان في البحر ، حين تقصد أعاديته .

(٢) في الواد : يريد في الوادي ، فاجترأ عن البقاء بالكسرة وكمن : جمع كامن - من كمن : إذا اخفى - والعقبان : جمع عقاب ، وهو الطائر المعروف . والنيق : أعلى موضع في الجبل . والحوم : جمع حائم - من حومان الطير ، وهو دوزانها - يقول : إن خيله تكمن مع الغزلان في الأودية التي فيها كناسها ، يعني إذا كنت للعدو أو هبطت في الأودية فكنت فلم تظهر ، وتقتحم على الأعداء رؤوس الجبال مع العقبان التي فيها وكورها والحاصل أن المدوح قد استوى لدى خيله وفرسان جيشه البر والبحر والسهل والوعر . فلا يبعد عنه مطلب ، ولا يتمتع عليه موضع : وذلك لقوة عزائمه ونفاذه في مقاصده .

(٣) الوشيج : شجر الرماح . واللبات : جمع لبة ، أعلى الصدر . يقول : إذا جلب الناس الوشيج من منابته ليجمعوه استعداداً لما يطرأ ، يتكسر تارة بخيله - أي بأيدي فرسانها في الطعن - ويتكسر تارة في صدورها ، إذا طعنه الأعداء . يريد وصف وقائع للمدوح بالشدة والاستبسال .

(٤) يفرته : متعلق بمعلم - آخر البيت - والمراد يفرته : وجهه . والحمي : العقل . واللهي : العطايا ، جمع لهية . والعلم : الذي جعل لنفسه في الحرب علامة يعرف بها ، يقول : هو معلم بوجهه في هذه الأشياء : أي أنه معروف يعرف بوجهه ، فكأنه معلم

يَقْرَأُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوْدُهُ ،

وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجَبُ^(١)

أَجَارَ عَلَى الْأَيَّامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ تَطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌّ وَجُرْهُمُ^(٢)

ضَلَالًا لِهَذِي الرِّيحِ مَاذَا تُرِيدُهُ وَهَذِيَا لِهَذَا السَّبِيلِ مَاذَا يَوْمُهُمُ^(٣)

أَلَمْ يَسْأَلِ الْوَيْلُ الَّذِي رَامَ ثَنَيْنَا فَيُخْبِرُهُ عَنْكَ الْحَدِيدُ الْمُثَلَّمُ^(٤)

به عند الحرب إذا حارب ، وعند السلم وعند العقل والسخاء . قال الواحدى : وهذا على رواية معلم - بفتح اللام - ، ومن روى بكسر اللام قال : إنه لشدة وشهرته ، لا يحتاج أن يعلم نفسه فإنه معلم بوجهه : يعنى أن وجهه كعلامة له لشهرته ، والجيد رواية من روى للحرب معلم . يقول : بوجهه علامة لهذه الأشياء . أى إذا نظرت إليه عرفت أنه أهل لهذه الأشياء مرصوف بها ، يحارب إذا رأى الحزم فى الحرب ، ويسلم إذا رأى السلم خيراً من الحرب ، ويعرف فى وجهه أنه عاقل جواد محمود ماجد .

(١) يقول : إن عدوه يشهد له بالفضل لظهوره ووضوحه ، بحيث لا يمكن أن ينكر فضله كما قيل : والفضل ما شهدت به الأعداء :
ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة .

(٢) عاد وجرم : قيلتان من العرب القديمة البائدة . يقول : أجار الناس من الأيام وحفظهم منها ، فلا تقدر أن تصيبهم بمكروه حتى أطمع ذلك قبائل عاد وجرم - على قدمهم وانعدامهم وهلاكهم فى الزمان الأول - فى أن يستغفروا من يدالعدم فتطالبه بردم إلى الدنيا بعد أن أفنتهم الأيام .

(٣) يدعو على الريح بالضلال لأنها آذنتهم فى طريقهم كما قال :

• بَكْرُنْ ضُرّاً وَبَكْرَتْ تَنْفَعُ •

ودعا للسيل بالهداية لأنه حكى المدحوح بالجوود . وقال ابن فورجه : أراد الدعاء على الريح لضررها والدعاء للمطر لنفعه . وقوله ماذا يؤم : أى ماذا يقصد ؟ هل يقصد أن يصد سيف الدولة عن طريقه وهو لا يستطيع ذلك ؟ وقد بين هذا المعنى فى البيت التالى

(٤) الويل : للطر العزيز . وثنيننا : أى صرفنا ؛ وبخبره - بالنصب - لأنه جواب الاستفهام . يقول : هلا سأل المطر الذى قصد صرفك عن مقصدك بسكبه فتخبره السيف التى ثلثها وقاملك أنها لم تقدر على صرفك عن وجهك فاعلم المطر أنه لا يقدر أيضاً على صرفك .

وَلَمَّا تَلَقَّاكَ السَّحَابُ بِصَوْبِهِ
تَلَقَّاهُ أَغْلَى مِنْهُ كَفَبًا وَأَكْرَمُ^(١)
فَبَاشَرَ وَجْهًا طَالِمًا بِأَشَرَ الْقَنَاءِ وَبَلَّ ثِيَابًا طَالِمًا بِلَهَاءِ الدَّمِ^(٢)
تَلَكَ وَبَعْضُ الْفَيْثِ يَتَّبِعُ بَعْضُهُ مِنْ الشَّامِ يَتْلُو الْحَاقِيقَ الْمُتَعَلِّمُ^(٣)
فَزَارَ الَّتِي زَارَتْ بِكَ الْخَلِيلُ قَبْرَهَا وَجَشَّمَهُ الشُّوقُ الَّذِي تَتَجَشَّمُ^(٤)
وَلَمَّا عَرَضْتَ الْجَيْشَ كَانَ بِهَاؤُهُ عَلَى الْفَارَسِ الْمُرْخَى الذَّوَابَةُ مِنْهُمْ^(٥)
حَوَالِيهِ بِحَرٍّ لِلتَّجَافِيفِ مَا نَجَّ بِسِيرِهِ بِهِ طَرْدٌ مِنَ الْخَلِيلِ أَيْهِمْ^(٦)

(١) بصوبه : أى بما يفسكب منه ويقال فلان أعلى كعبا من فلان : أى أرفع منه قدراً وأصله فى التصارعين يكون كعب الغالب أعلى من كعب المغلوب . يقول : لما استقبلك السحاب بالمطر استقبله منك من هو أعلى منه شرفاً وأوسع كرماً .
(٢) باشره : تولاه بنفسه . والقنا : الرماح . يقول : إن هذا المطر باشر منك وجهاً طالماً باشر الرماح فلم تنل منه ، وبلى ثياباً طالماً بلبها دماء القتلى فلم يثنه بلها ، فكيف يهاب وقع للمطر من لا يهاب وقع الرماح ، ويغشى الماء من لم يغشى الدماء ؟
(٣) تلاك : تبعك . ومن الشام : متعلق بتلاك . يقول : تبعك الفَيْثُ وأنت غيث ، فلا جرم أن يتبع بعضه بعضاً ، وأنت أستاذ حاذق فى الجود ، فهو يتبعك ليتعلم منك الجود كما أن المتعلم لشيء يتبع من حذقه :
(٤) جشمه الشيء : كلفه إياه فتجشمه ، والذي : مفعول ثان لجشمه يقول : إن السحاب زار قبر والدتك معك وكلفه الشوق ما كلفك من المسير نحوها : أى هو يشاقق قبرها كما تشاققه .

(٥) الذَّوَابَةُ - فى الأصل - الضفيرة من شعر الرأس ، والمراد بها هنا : ما أرسل من طرف العمامة بعد تكويرها ، وأراد بالفارس المرخى الذَّوَابَةُ : سيف الدولة . وإرخاء الذَّوَابَةُ : كناية عن كونه معيماً ؛ لأن سائر الجيش بالمغافر . يقول : لما عرضت للجيش وتصفحته كنت أنت بهاءه وجماله على عظم شأنه وتكاثر شجاعته .

(٦) التجافيف : جمع تجفاف ، ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً . والطود : الجبل . والأيمم : الذى لا يهتدى فيه : يقال برأيمهم وفلاة يهماء . جعل كثرة التجافيف حوله بحراً مأجماً ، وجعل خيله التى تسير بهذه التجافيف طوداً عظيماً ؛ يعنى أن حوله من بريق الأسلحة ولعان التجافيف ما يشبه البحر .

نَسَاوتْ بِهِ الْأَقْطَارُ حَتَّى كَانَهُ ^(١) يُجْمَعُ أَشْتَاتَ الْجِبَالِ وَيَنْظَمُ
وَكُلُّ فَتَى لِلْحَرْبِ فَوْقَ جَبِينِهِ ^(٢) مِنَ الضَّرْبِ سَطَرٌ بِالْأَسِنَّةِ مُعْجَمٌ
يَمْدُ يَدَيْهِ فِي الْمَفَاضَةِ ضَيْقَمٌ ^(٣) وَعَيْنَيْهِ مِنْ تَحْتِ التَّرِيكَةِ أَرْقَمٌ

بكثرتة ، ويحكىه يبريق جملة يشير بذلك إلى موكب من خيله ؛ وهو تخيل بديع : جعله
التجافيف مجراً يسير به من الحيل جبل عظيم لا يهتدى فيه .

(١) الأشتات : المتفرقة ، جمع شت . لما جعل جيشه جبلاً قال : إنه حل بين الجبال
فلاً فجوة ما بينها فتساوت به أقطار الأرض كأنه جمع جبالها للمتفرقة ، ونظم بعضها إلى
بعض ؛ وعبرة ابن جني : تحيط خيله بالجبال وهي كالجبل ، فكان جيشه يؤلف بينها
لسعته وكثافته ، كقول النابغة :

تَغِيبُ الشَّوَاهِقُ فِي جَيْشِهِ وَتَبْدُو صِفَاراً إِذَا لَمْ تَغِيبْ
وقال الواحدي : أى عم الأرض بكثرة خيله ، فنظم بعمومه متفرق الجبال ونواحي
الأرض . وقال ابن الأفيلى - على رواية الأقطار بدل الأقطار - : الأقطار : الفبار :
يشير إلى أن هذا الجيش يسحق الجبال بكثرتة ، ويحطمها بعظمه ، فيستوى
الرهج في السهل والوعر ، وفي الصلب والرخوة ، ويشتمل العجاج على الجبال حتى تصير
كأنها في ذلك العجاج منتظمة ، وبما غشيها من الجيش متصلة ، كقول النابغة :

جَيْشٌ يَظْلُ بِهِ الْفُضَاءُ مُعْطَلًا يَدْعُ الْإِكَامَ كَأَنَّهُنَّ صَحَاراً ^(١)
(٢) وكل فتى : عطف على قوله « بحر » : أى وحواليه كل فتى ، والأسنة : أطراف
الرماح ، والإعجام : التنقيط . يقول : وحوله فتیان على وجوههم آثار الضرب والطمع
يريد أنهم رجال حرب . وجعل أثر الضرب كالسطر لطوله ، وأثر الطمع إعجاماً لذلك
السطر ، لندور جراحته فهي كالنقطة ؛ وهذا المعنى ينظر إلى قوله أبى تمام :

كُتِبَتْ أَوْجُهُهُمْ مَشَقّاً وَنَمَةً ضَرْباً وَطَعْنًا يُقَاتُ الْهَامَ وَالصُّلْفَا
كِتَابَةً لَا تَنِي مَقْرُوءَةً أَبَدًا وَمَا خَطَطَتْ بِهَا لَامًا وَلَا أَلِفًا ^(١)
(٣) المفاضة : الدرع الواسعة ؛ والضيغم : الأسد ؛ والتركة : البيضة من الحديد ؛

(١) الإكام : جمع أكمة ؛ وهى الراية ؛ وصحار : جمع صحراء .
(٢) من قصيدة له بارعة يمدح بها أبا دلف ؛ والمشق : مداحروف ؛ والنممة : النقش
ويقات الهام : أى يجعل الهام والصلف قوتاً له ؛ والهام : الرؤوس ؛ والصلف : بضمين -
جمع صليف : عرض العنق ؛ وهما صليقان من الجانبين ؛ ولا تنى : لا تزال .

كَأَجْنَاسِهَا زَايَاتُهَا وَشِمَارُهَا وَمَا لَيْسَتْهُ وَالسَّلَاحُ الْمُسَمُّ (١)
وَأَدَبُهَا طُولُ الْقِتَالِ قَطْرُهُ بِشِيرُ أَلْيَئِهَا مِنْ بَعِيدٍ فَتَقْتَهُمْ (٢)
تُجَاوِبُهُ فِعْلًا وَمَا تَعْرِفُ الْوَحَى وَيُسَمُّهَا لَحْظًا وَمَا يَتَكَلَّمُ (٣)
تَجَانَفُ عَنْ ذَاتِ الْيَمِينِ كَأَنَّهَا تَرِقُّ لِمَيَّافَرِقِينَ وَتَرْحَمُ (٤)

تشبها بالتركة وهي : بيضة النعامة إذا انفلقت وخرج الفرخ فتركت . والأرقم : الحية الذكركر ؛ والضمير في يديه وعينه : لفق ؛ وضيم فاعل بمد ؛ وأراد بمد يديه منه ضيم فهو من باب التجريد كما تقول إن لقيت فلانا لقيت منه الأسد . وقوله وعينه : أى ويفتح عينيه منه أرقم ؛ وهذا من باب * علفتها تبنا وماء بارداً * يقول : إن هذا اللقي في الشجاعة كالأسد ؛ وفي حدة النظر وتوقد العينين كالأرقم ؛ فإذا مد يديه في الدرع فقد مددهما أسد ؛ وإذا مد عينيه من تحت الحوذة فقد مددهما أرقم .

(١) الضمير في « كأجناسها » : للخيل ؛ والشعار : العلامة في الحرب . والمسمم : الذى سقى السم . يقول : إن هذه الخيل عربية وكل ما معها من الرايات والسهل والملابس عربى كذلك .

(٢) الطرف : النظر ، والضمير في « طرفه » للفارس ، وإن لم يجر له ذكر لأن الخيل لما ذكرت لا بد لها من راكب . يقول : وأدب هذه الخيل طول تمرسها بالقتال والتغلب في شدائد الحرب حتى إن فارسها إذا أشار إليها من بعد فهمت إشارته . (٣) الوحى : الصوت الخفى ، وفعلًا ولحظًا : منصوبان على نزع الخافض ، والواو بعدها : للحال . يقول : إن هذه الخيل - لأدبها - تجاوبه بفعلها من غير أن تسمع صوته ، وفيهما مراده باللفظ من غير أن يتكلم ، وهذا المعنى ينظر إلى قول الفرزدق :

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذِ الرِّكَابُ مُنَاحَةٌ
يُرْحَلُهَا لِرَوَّاحِ أَهْلِ الْمَوَاسِمِ
إِذْ نَحْنُ نَسْتَرِقُ الْحَدِيثَ وَفَوْقَنَا
مِثْلُ الضَّبَابِ مِنَ الْغُبَارِ الْأَقْتَمِ
وَكَذَلِكَ نُخْبِرُ بِالْحَوَاجِبِ بَيْنَنَا
مَا فِي الثُّفُوسِ وَنَحْنُ لَمْ نَتَكَلَّمْ

(٤) التجانف : الليل ، وفي التزيل : « فن اضطر في خمسة غير متجانف لإثم » أى مائل ، وقال الأعشى :

تَجَانَفُ عَنْ جَوِ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا عَدَلْتُ مِنْ أَهْلِهَا لِسَوَاسِكَا
ومياfarقين : بلدمن أعمال ديار بكر ، يقول : إن خيلك تميل عن مياfarقين رحمة لها ، لأن فيها قبر والده ، وخشية أن تدوسها بحوافرها لو هى سارت بجانبها .

وَلَوْ زَحَمْتَهَا بِالْمَنَاكِيبِ زَحْمَةً دَرَّتْ أَى سُورِنَهَا الضَّعِيفُ الْمُهْدَمُ (١)
عَلَى كُلِّ طَاوٍ تَحْتَ طَاوٍ كَأَنَّهُ مِنْ الدَّمِ يُسْقَى أَوْ مِنْ اللَّحْمِ يُطْعَمُ (٢)

(١) يقول : لو أن هذه الخيل زحمت ميفارقين بمناكبها ، أو لو زحمت ميفارقين الخيل بمجردها - وسماها مناكب : لأن الزحام يكون بالمناكب - يعنى لو جرت بينهما مزاحمة لدرت - علت - ميفارقين : أى السورين يكون الضعيف المهدم ؟ يعنى أن الخيل أقوى من هذه البلدة ، فهى لو قصدتها لهدمت سورها ، فكانت تعلم أن سورها ضعيف لا يقوى على دفع خيل سيف الدولة واستعار للخيل سورا لأنه ذكرها مع البلدة وجمعهما فى المزاحمة . ولما كانت البلدة قوية بالسور استعار لقوة الخيل سورا ، قال ابن جنى : من أعجب ما جرى أن أبا الطيب أنشد هذه القصيدة عصرا وسقط سور المدينة تلك الليلة ، وكان جاهليا - قديما - هذا : وإليك تعليقات العكبرى على هذا البيت قال : الضمير فى « زحمتها » : للبلدة ، وكذلك فى « درت » : أى درت البلدة ؛ ورفع أى بالابتداء ؛ وما بعده الخبر ، وهو استفهام ، ومفعول « درت » محذوف ، تقديره علت ضعفها ، لأن « أيا » لا يعمل فيها ما قبلها كقوله تعالى « لنعلم أى الحزبين أحصى » ، فرفع « أى » بأحصى ، لأنه فعل ماضى على قول بعضهم ، والصحيح أن « أيا » فى الآية بمعنى الذى « وأحصى » اسم ، وقد حذف صدر الصلة ؛ والتقدير : هو أحصى و « أى » : إذا كانت بمعنى الذى وتمت صلتها : أعربت ؛ وإذا حذف صدر الصلة عادت إلى أصلها من البناء ، وهى منصوبة للوضع بنعم . و « أى » فى البيت : مبتدأ ، والضعيف : خبره ؛ والمهدم : خبر ثان ؛ والجملة فى موضع نصب بـ « درت » ؛ فهى معلقة عن العمل ؛ و « أى » فى البيت : استفهام ؛ وروى الواحدى وغيره « سورينها » فالضمير للبلدة ؛ ورواية أبى الفتح « سورينا » أى سور البناء وسور الخيل .

(٢) على كل طاو : من صلة قوله « وكل فتى » والطاوى : الخيىس الجوف : أى الضامر جوعا . يقول : كل فتى على فرس ضامر تحت فارس ضامر كأن شرابه الدم وطعامه اللحم ، فهو أبدا مستميت فى طلب الأعداء مقتحم عليهم موغل فى طلبهم لئلا كل لحومهم ويشرب دماءهم ؛ ووجه آخر وهو : وكل فتى ضامر على فرس ضامر كأنه أى الفرس - يسقى من دمه ويطعم من لحمه : أى لضميره كأنه ليس له غذاء ولا يشرب إلا من جسمه ، فهو يزداد كل يوم ضمرا ، هذا : وقد قال ابن وكيع . إن البيت مأخوذ من قول أبى الشيص :

لَمَّا فِي الْوَغَى زِيُ الْفَوَارِسِ فَوْقَهَا فَكُلُّ حِصَانٍ دَارِعٌ مُتَعَلِّمٌ^(١)
وَمَا ذَاكَ بَخْلًا بِالنَّفُوسِ عَلَى الْقَنَا وَلَكِنْ صَدَمَ الشَّرُّ أَخْزَمَ^(٢)

أَكَلَ الْوَجِيفُ لَحْمَهَا وَلَحْمَهُمْ فَأَتَوْكَ أَنْقَاضًا عَلَى أَنْقَاضٍ^(٣)

(١) الوغى : الحرب . والحصان : الدكر من الخيل . والدراع : ذو الدرع . يقول :
إن لهذه الخيل في الحرب زى فوارسها ، لأنها قد ألبست التجافيف صونا لها ، فكل
فرس منها ذو دروع من التجافيف وذو لثام بما أرسل على وجهه الن الحديد .
(٢) يقول : لم تحصنوا هم بالدرع ولم يحصنوا خيلهم بها ، ضنا نفوسهم أن تنالها أسنة
الرماح ، فإنهم شجعان لا يبالون بالقتل ، غير أنهم يقابلون شر الأعداء بمثله ، ولك
فعل الحازم اللبيب ، ومن شهد الحرب غير مستعد ولا متسلح كان ذلك خرقا وهوجا ،
روى أن كثيرا أنشد عبد الملك بن مروان :

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دَلَّاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادَ الْمَسْدَى سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا
يَتَوَدُّ ضَيْلَ الْقَوْمِ حَمْلُ قَتِيرِهَا وَيَسْتَضِلُّ الْقَرْمُ الْأَشْمُ احْتِمَالَهَا^(٣)
فقال له عند الملك : هلا مدحتى كما مدح الأعشى صاحبه فقال :

وَإِذَا تَسْكُونُ كَتِيبَةٌ مَلُومَةٌ خَرَسَاءُ يُفْشِي الرَّائِدُونَ نَهَايَهَا
كُنْتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَقْتُلُ مُعَلَّمًا أَبْطَالَهَا؟^(٣)

(١) الوجيف : ضرب من السير سريع .

(٢) من قصيدة بارعة يقول فيها :

أَحَاطَتْ يَدَاهُ بِالْخِلَافَةِ بَعْدَ مَا أَرَادَ رِجَالُ آخَرُونَ اغْتِيَالَهَا
وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هُوَ الَّذِي غَزَا كَامِنَاتِ الْوَدِ مَنِ فَنَاهَا
تَبْلَجَ لَمَّا جِثَّتْ وَاهْتَزَّ ضَاحِكًا وَبَلَّ وَسَلَاتِي إِلَيْهِ بَلَاهَا
وقوله وأذالها : أى أطلها .

(٣) ملومة : كملمة : مجتمعة ، وخرساء أى لا يسمع لدروعها صوت لينها ، ونهاها
عطاشها : أى يفشى القائدون عطاشها الأعداء وفي رواية يفشى ، وجنة - بالضم -
الدرع ، وكل ما وقلقه فى جنة ؛ معلما - بكسر اللام وفتحها - من أعلم الفارس
نفسه : أى جعل لها علامة كريشة أو خرقة ملونة يعرف بها مكانه . والبيتان من
قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب بن جبلة بن عدى بن ربيعة بن معاوية بن
الحارث الكندى .

أَتَحْسِبُ بَيْضُ الْهِنْدِ أَصْلَكَ أَصْلَهَا وَأَنْتَ مِنْهَا ؟ سَاءَ مَا تَوَهَّمُ^(١)
 إِذَا نَحْنُ تَمَيَّنَاكَ خَلْنَا سَيُوفَنَا مِنْ التَّيِّهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ^(٢)
 وَلَمْ نَرِ مَلَكًا قَطُّ يَدْعَى بِدُونِهِ فَيَرْضَى وَلَكِنْ يَجْهَلُونَ وَتَحْلُمُ^(٣)
 أَخَذْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ كُلِّ تَنْذِيَةٍ مِنْ الْعَيْشِ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَحْرُمُ^(٤)

فقال له كثير إنه وصف صاحبه بالخرق ، وأنا وصفتك بالحزامة ؛ ويريد المتنبي بالشر الأول شر الأعداء وما جاءوا به من العدد والأسلحة ، وبالثاني ما عارضهم بمثله ، وسماه شرا للمقابلة ، كقوله تعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها »

(١) يقول : أنظن السيوف - لأنك سميت سيفاً - أنها تشاركك في الأصل وأنتك من جملتها ، ساء هذا الوم وهما : يعنى : أنك وإن سميت سيفاً فإنك أشرف من سيوف الهند وأجل منها شأنًا وأعظم أصلاً رغم جلالها ورفعها ونفاذها وهيبتها . فهي بعض آلاتك تصرفها ولا تصرفك . هذا : ويجوز في مضارع حسب : فتح السين وكسرها ، وهما لغتان فصيحتان .

(٢) يقول : إذا نحن سميناك سيفاً خلنا - حسبنا - سيوفنا تتكبر وتعجب بأن صرت لها سمياً فهي تتبسم في أغمادها تها - كبرا وغرا - وهذا ينظر إلى قول أبي نواس :

تَنْذِيَةُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الْمُنِيرُ إِذَا قُلْنَا كَأَنَّهُمَا الْأَمِيرُ

قال العكبرى : وقد عاب هذا البيت من لا يعرف معاني الشعر وقال : قد وضع الشيء في غير موضعه حيث قال تتبسم من التيه ، ولا يكون من التيه إلا العبوس ، وأن يشمخ الإنسان بأنفه ، وهو فعل التائه للتكبر ، وإنما يكون التبسم من الريح والفرح وليس كما قالوا . والتبسم قد يكون من العجب بنفسه التائه على أقرانه ، استكثاراً لما عنده واستقلالاً لما عند غيره ، فليس ينكر أن يكون التبسم من الإعجاب ، فكان السيوف تبسمت إعجاباً بنفسها لمشاركة المدوح لها في التسمية ، فخرت بذلك السلاح والرماح .

(٣) بدونه : أى بدون قدره واستحقاقه . يقول : لم نر ملكاً يلقب بدون ما يستحق فيرضى بذلك وعمله فوق أن يسمى سيفاً ، ولكن الناس يجهلون قدرك وأنت تحلم عنهم فلا تؤاخذهم بجهلهم .

(٤) الثانية : طريق العقبة . يقول : أخذت على أرواح أعدائك طريق عيشهم فليس

فَلَا مَوْتَ إِلَّا مِنْ سِنَانِكَ يُتَّقَى وَلَا رِزْقَ إِلَّا مِنْ يَمِينِكَ يُنْقَسَمُ^(١)

* * *

وقال يعاتب سيف الدولة - وأنشدها في محفل من العرب - وكان سيف الدولة إذا تأخر عنه مدحه شق عليه وأحضر من لا خير فيه ، وتقدم إليه بالتمريض له في مجلسه بما لا يجب ، وأكثر عليه مرة بعد مرة فقال يعاتبه :

وَاحِرَّ قَلْبَاهُ يَمْنَنُ قَلْبُهُ شَيْئُومٌ وَمَنْ يَجْسِمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ^(٢)

يعيشون ، لأنك فرقت بينهم وبين أرواحهم بالقتل ، وأنت تعطى من تشاء ، ونحرم من تشاء لأنك ملك في يدك البسط والقبض .

(١) هذا من قول أبي العتاهية :

فَا آفَةُ الْأَجَالِ غَيْرُكَ فِي الْوَغَى وَمَا آفَةُ الْأَمْوَالِ غَيْرُ حَبَائِكَ

(٢) الشيم : البارد . والشيم : البرد ؛ وقد شيم الماء - بالكسر - فهو شيم ، ومطر شيم ، وغداة ذات شيم ، وقيل لابنة الحس^(١) ما أطيب الأشياء ؟ قالت : لحم جزور سمة ، في غداة شيمة ، بشفار خذمة ، في قدور هزمة . أرادت في غداة باردة ، والشفار الخذمة : القاطعة ؛ والقدور الهزمة السريعة الغليان ، والشيم : الذي يجد البرد مع الجوع ، قال حميد بن ثور :

بِعَيْنِي قُطَامِي نَمَّا فَوْقَ مِرْقَبٍ غَدَا شَيْمًا يَنْقَضُ بَيْنَ الْمَجَارِسِ^(٢)

يقول : واحر قلبي واحترقه حبا وهياما بمن قلبه بارد لا يحفل بي ولا يقبل طي ، وأنا عنده عليل الجسم لفرط ما أعانى وأقاسى فيه ، سقيم الحال لفساد اعتقاده في . هذا وقوله واحر قلباه : أصله واحر قلبي ، فأبدل من الياء ألفاً طلباً للخفة ، والعرب تفعل ذلك في النداء ، واستجلب هاء السكت وأثبتها في الوصل كما ثبتت في الوقف ، وحرك الهاء لسكونها وسكون الألف قبلها ، وللعرب في ذلك أمران : منهم من حرك بالضم تشبيها بهاء الضمير ، وأنشدوا لامرئ القيس :

(١) الحس : رجل من إياد ، وابنة الحس : الإيادية التي جاءت عنها الأمثال ، واسمها

هند ؛ وكانت معروفة بالفصاحة .

(٢) القطامي - بضم القاف وفتحها - الصقر ، مأخوذ من القطم ، وهو القطن

اللحم ، والمجارس : الثعالب ؛ وقيل جميع ما تمس من السباع ما دون الثعلب وفوق اليربوع .

مَا لِي أَكْتُمُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي وَتَدَّعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَمِ ^(١)
 إِنْ كَانَ يَجْمَعُنَا حُبٌّ لِفِرْتِهِ فَلَيْتَ أَنَا بِقَدْرِ الْحُبِّ نَقْتَسِمُ ^(٢)
 قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُقَمَّدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ ^(٣)
 فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشِّيمِ ^(٤)
 فَوْتُ الْعَدُوِّ الَّذِي يَمْتَنُّهُ ظَفَرٌ فِي طَيْهِ أَسْفٌ فِي طَيْهِ نِعَمٌ ^(٥)

وَقَدْ رَأَيْتُ قَوْلًا يَا هَنَا وَبِحُكِّ الْأَحْقَقَاتِ شَرًّا بَاشِرًا ^(١)

ومنهم من يحرك بالكسر على ما يوجد كثيراً عند التقاء الساكنين .
 (١) براه : أعلاه وأضناه : وأكتم : مبالغة من الكتمان ، وتدعى : منصوب بأن مضمرة بعد الواو ، وسكه ضرورة ، أو طى لغة . يقول : إذا كان الناس يدعون حبه ويظهرون خلاف ما يضمرون فلم أخفى أنا حبه الذي برح بي وأسقمعي ، وأعين طى نفسى بهذا الكتمان ؟

(٢) الفرة : الطلعة . يقول : إن كان يجمعنى وغيرى أن نكون محبين له ، أى إن حصلت الشركة فى حبه ، فليتنا نقسم فواضله وعطاياه بمقدار ذلك الحب حتى أكون أوفر نصيباً من غيرى ، لأنى أوفر حبا من غيرى . وقال ابن جنى : أى إن كان يجمعنا من آفاق البلاد المتباعدة حب لفيرته ، فليت أنا نقسم به كما نقسم حبه .
 (٣) والسيوف دم : أى مغطى بالدم . يقول : إنه خدمه فى حالى السلم والحرب .
 (٤) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخلقة والخلق . يقول إنه كان فى الحالين أحسن الخلق وكانت أخلاقه أحسن ما فيه ، وإنما للرء خلقه .

(٥) يمتنه : قصده . والأسف : الحزن . يقول : - وكان سيف الدولة اتبع بعض ملوك الروم ففاته - فوْتُ العدو الذى قصده ففاته ، بأن فرمته لاستحكام جرحه ، ظفر حيث فرمته ، فكانت ظفرت به وإن كان فى طى هذا الظفر أسف -ين لم تدركه فقتله ، وفى طى ذلك الأسف نعم ، إذ صرف الله عنك مؤنة الحرب وحفظ جيشك مما قد يلم به من قتل وجراح .

(١) قولهم ياهناه : أى يارحل ، لا يستعمل إلا فى النداء . يقول : كنا متهمين فحققت الأمر

(٦ - التني :)

قَدْ نَابَ عَنْكَ شَدِيدُ الْخَوْفِ وَاصْطَلَمَتْ

لَكَ الْمَهَابَةُ مَا لَا تَصْنَعُ بِهِمْ^(١)

أَلْزَمْتَ نَفْسَكَ شَيْئًا لَيْسَ يَلْزِمُهَا أَنْ لَا يُؤَارِيَهُمْ أَرْضٌ وَلَا عِلْمٌ^(٢)

أَكَلَمَّا رُمْتَ جَيْشًا فَأَنْتَنِي هَرَبًا تَصَرَّفْتَ بِكَ فِي آثَارِهِ الْهَبَمُ^(٣)

عَلَيْكَ هَزْمُهُمْ فِي كُلِّ مُعْتَرِكٍ وَمَا عَلَيْكَ بِهِمْ عَارٌ إِذَا انْهَزَمُوا^(٤)

أَمَا تَرَى ظَفَرًا حُلُوا سِوَى ظَفَرٍ تَصَافَحَتْ فِيهِ بِيضُ الْهِنْدِ وَاللَّمَمُ^(٥)

(١) الهم : الأبطال الذين تناهت شجاعتهم ، جمع بهمة ، ويقال للعبش بهمة ، ومنه قولهم : فلان فارس بهمة وليث غابة ، قال ابن جني : الهممة في الأصل مصدر وصف به ولا فعل له . وقال بعضهم : قيل للكمة بهم لأنه لا يهتدى لقتالهم : من قولهم شئ بهم . يقول : إن خوف أعدائك منك ناب عنك في شدة تأثيره فيهم ، فصنع لك مالا تصنعه عسا كرك للشجعان ، يعنى أن مهابتك في قلوب أعدائك أبلغ من رجالك وأبطالك الذين معك .

(٢) يواريهم : يسترهم ويكنهم . والعلم الجبل . يقول : ألزمت نفسك شيئا لم يكن يلزمها ، وذلك رغبتك في أن لا يوارى أعدائك أرض تشتمل عليهم أو جبل يحول بينك وبينهم ، وإياؤك إلا أن تقتلهم حتى بعد هربهم ، وهذا لا يلزمك لأنه يكفيك أن تكون قد هزمتهم ، أو تقول : ألزمت نفسك أن تتبعهم أينما فروا وتدركهم حيثما تواروا من الأرض ، وهذا أمر لا يلزمك بعد أن تكون قد هزمتهم يريد أنه لا يرجع عنهم إلا بعد قتلهم ولا يكفيه ما يكفي غيره من الظهور عليهم .

(٣) رمت : طلبت . وانتنى : ارتد ، وهربا : حال . يقول : أكلما طلبت جيشا فارتد هاربا منك وهزمته ، حفزتك همتك إلى اقتفائه واقتفاء آثاره حتى تعمل فيهم سيفك وهذا استفهام إنكار : أى ليس عليك أن تفعل وحسبك انهزامهم .

(٤) للمعرك : ملتحى الحرب . يقول : عليك أن تهزمهم إذا التقوا معك في مجال الحرب ، والقتال ولا عار عليك إذا انهزموا فتحصنوا بالحرب إشفاقا منك وخوفا من لقاءك فلم نظفر بهم .

(٥) بيض الهند : السيوف . واللهم : جمع لمة ، وهى الشعر إذا ألم بالنكسب يقول ليس يحلو لك الظفر إلا إذا ضربت رءوسهم بالسيف وتلاقت سيوفك وهمورهم .

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْحَقُّمُ وَالْحَكْمُ^(١)
أَمِئذَهَا نَفَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ
أَنْ تَحْسِبَ الشَّخْمَ فِيمَنْ شَحَّمَهُ وَرَمَ^(٢)
وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَائِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ^(٣)
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي وَأَسْمَعْتَ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ^(٤)

(١) يقول : أنت أعدل الناس إلا إذا عاملتني فإن عدلك لا يشملني ؛ وفك خصامي وأنت الخصم والحكم ، لأنك ملك لا أحامك إلى غيرك ، وإنما أستعدى عليك حكمتك والخصام وقع فيك . وإذن كيف ينتصف منك ؟ قال ابن جني : هذه شكوى مفرطة لأنه قال في موضع آخر :

وَمَا يُوجِئُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ حَارِمٍ كَمَا يُوجِعُ الْحَرَمَانُ مِنْ كَفٍّ رَازِقٍ
وإذا كان عدلا في الناس كلهم إلا في معاملته فقد وصفه بأقبح الجور .

(٢) قال ابن جني : سأله - أي المتنبي - عن الماء « في أعينها » على أي شيء تعود ؟ فقال : على « النظرات » وقد أجاز مثله أبو الحسن الأخفش في قوله تعالى « فإنها لا تعمي الأبصار » فقال : الماء راجعة إلى الأبصار وغيره من النعويين يقول : إنها إضمار على شريطة التفسير ، كأنه فسر الماء بالنظرات ، ونظرات - كما قال التبريزي - في موضع نصب على التمييز : أي من نظرات . يقول : إنك إذا نظرت إلى شيء ، عرفته على ما هو عليه فنظراتك صادقة تصدقك فلا تغلط فيما تراه فلا تحسب الورم شعما . وهذا مثل ، يقول : لا تنظن للشاعر شاعرا كما يحسب الورم ممنا .

(٣) الناظر : العين . يقول : إذا لم يميز الإنسان البصير بين النور والظلمة فأى نفع له في بصره ؟ يعنى : يجب أن تميز بيني وبين غيري بمن لم يبلغ درجتي كما تميز بين النور والظلمة ، لأن الفرق بيني وبين غيري ظاهر ظهور الفرق بين النور والظلمة ، فلا ينبغي أن يستويا في عيني البصير .

(٤) يقول : إن الأعمى على فساد حاسة بصره أبصر أدبى ، وكذلك الأصم سمع شعري ، يعنى : أن شعرة سار في آفاق البلاد واشتهر حتى تحقق عند الأعمى والأصم أدبه ، فكأن الأعمى رآه لتحقيقه عنده ؛ وكأن الأصم سمعه . وكان للمعري إذا أشهد هذا البيت يقول : أنا الأعمى .

أَنَامُ مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ^(١)
وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فِي جَهْلِهِ ضَحِكِي حَتَّى أَتَتْهُ يَدُ فَرَّاسَةٍ وَقَمِ^(٢)

(١) الشوارد : سواثر الأشعار - من قولهم شرد البعير : إذا نفر - والضمير في « شواردها » : للكلمات ؛ قال ابن جني : يحتمل أن يراد بالكلمات : جمع كلمة التي هي اللفظة الواحدة ، وهذا أشد في المبالغة . ويجوز أن يعنى بالكلمات القصائد ، وهم يسمون القصيدة كلمة . وملء جفوني موضع المصدر : أى أنام نوماً ملء جفوني . ويقال : فعلت ذلك جراك ومن جرائك : أى من أجلك . وكذلك من جلالك ومن إجلالك ، ومن جلالك ، كله من أجلك قال جميل :

رَسَمَ دَارٍ وَقَفْتُ فِي طَلَلِهِ كِدْتُ أَفْضَى الْعِدَاةَ مِنْ جَلَلِهِ
[أى من أجله . وقيل من جلالك : من عظمك في عيني . وقوله رسم دار : قال ابن سيده : أراد رب رسم دار ، فأضمر « رب » وأعملها فيها بعدها مضمرة] وأنشد الكسائي على قولهم : فعلته من جلالك - أى من أجلك - قول كثير :

حَيَاتِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَالْخَرْقُ يَبِينُنَا وَإِكْرَامِي الْقَوْمِ الْعِدَا مِنْ جَلَالِهَا
[الخرق : البعد] ووحد الضمير في « يختصم » على لفظ الخلق ، لا معناه . يقول أنا أنام ملء جفوني عن شوارد الشعر لا أحفل بها لأنى أدركها مق شئت بسهولة ، أما غيرى من الشعراء فإنهم يسهرون لأجلها ويتعبون ويختصمون . قال الواحدي : ومعنى الاختصام اجتذاب الشيء من النواحي والزوايا مأخوذ من الخصم ، وهو طرف الوعاء^(١) يقول : إنهم يجتذبون الأشعار احتيالا ويحتلبونها استكراهاً .

(٢) مده : أمهله وطول له . وأصل الفرس : دق العنق ، ومنه سمى الأسد فراساً .

(١) جاء في اللسان : الخصم - بالضم - جانب العدل وزاويته ، يقال للمناع إذا وقع في جانب الوعاء من خرج أو جوالق أو عيبة : قد وقع في خصم الوعاء وفي زاوية الوعاء ، قال : وخصوم السعابة جوانبها . قال الأخطل يصف سحابة :

إِذَا حَظَمَتِ فِيهِ الْجُنُوبُ تَحَامَلَتْ بِأَعْجَازِ جَرَّارٍ تَدَاعَى خُصُومُهَا
أى تجاوب جوانبها بالرعد ، وطعن الجنوب فيها سوقها إياه ، والجرار : الثقل ذو الماء ، وتحاملت بأعجازه دفعت أواخره خصومها : أى جوانبها

ظَلَرْتُ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَقُتْنِ أَنْ اللَّيْثُ مُبْتَسِمٌ^(١)
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِي مِنْ هَمٍّ صَاحِبَهَا أَذْرَكْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهَرُهُ حَرَمٌ^(٢)
رِجْلَاهُ فِي الرَّكْعِ رِجْلٌ وَالْيَدَانِ يَدٌ وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الْكَفَّ وَالْقَدَمُ^(٣)
وَمُرْهَفٍ سِرَتْ بَيْنَ الْجَحْفَلَيْنِ بِهِ حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الْمَوْتِ يَلْتَطِمُ^(٤)
فَالْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْفَرِطَاسُ وَالْقَلَمُ^(٥)

يقول : رب جاهل خدعته مجاملي ، وتركه في جهله - خرقه - ضحكى منه حتى افترسته
ربطت به بعد زمان : يعنى أنه يغضى عن الجاهل ويعلم إلى أن يجازيه ويعصف به .
(١) يقول : إذا أكثر الأسد عن نابه فليس ذلك تبسماً بل قصداً للافتراس . يريد
أنه وإن أبدى بشره وتبسمه للجاهل ، فليس ذلك رضا عنه ، وفي مثل هذا يقول :
أبو تمام :

قَدْ قَلَصْتُ شَفَتَاهُ مِنْ حَفِيفَتِهِ نَخِيلَ مِنْ شِدَّةِ التَّمْبِيسِ مُبْتَسِمًا

(٢) المهجة : الروح . ومهجتى : مبتدأ ؛ ومن هم صاحبها : خبر ، والمهجة صفة لمهجة
والهم : ما اهتممت به . والجواد . الفرس الكريم . والحرم : ما لا يحل انتهاكه يقول
رب مهجة مهجة صاحبها مهجتى أى قتلى وإهلاكى أدركت هذه المهجة بفرس من ركه أمن
من أن يلحق ، فكان ظهره حرم لا يدنو منه أحد .

(٣) يصف جواده ، يقول : لحسن مشيه واستواء وقع قوائمه فى الركض كأن رجله
رجل واحدة لأنه يرفعهما معاً ويضعهما معاً ، وكذلك يداه - ويسمى هذا الجرى النقل
والمناقلة - ثم قال : وفعله ما تريد الكف والقدم أى أن جريه يغنيك عن تحريك اليد
بالسوط والرجل بالاستحثاث ؛ وقال ابن الأثير : وفعله فى السرعة ما تريد اقدم
التي بها يستعجل وفى المؤاناة وللواقعة ما تريد الكف التي بها يستوقف .

(٤) المرهف : السيف الرقيق الشفرتين . والجحفل : الجيش الكثير . وروى ابن
جنى : بين الموحيتين : أراد موحى الجيشين ، لأنهما يموج بعضهما فى بعض . يقول :
ورب سيف سرت به بين الجيشين العظيمين حتى قاتلت به والموت غالب تلتطم أمواجه
وتضطرب .

(٥) البداء : الفلاة ؛ وتعرفنى : يروى تشهد لى ، ويروى بدل السيف والرمح

صَحِبَتْ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكْمُ^(١)

الضرب والطمع وروى الواحدى : والحرب والضرب . يصف نفسه بالشجاعة والفصاحة وأن هذه الأشياء ليست تنكره لطول صحبته إياها . يقول : الليل يعرفنى لكثرة سرائى فيه وطول ادراعى له ، والحيل تعرفنى لتقدمى فى فروسيته ، والبيداء تعرفنى لمداومى قطعها واستسهاى صعبها ، والسيف والرمح يشهدان بحذقى فى الضرب بهما ، والقرطاس تشهد لإحاطتى بما فيها ، والقلم عالم بإبداعى فيما أقيده ، هذا : والقرطاس والقرطاس والقرطاس والقرطاس كله الصحيفة الثابتة التى يكتب فيها . وأنشد أبو زيد لخش العقيلي يصف رسوم الدار وأثارها كأنها خط زبور كتب فى قرطاس :

كَانَ بِمَيْتُ اسْتَوْدَعَ الدَّارَ أَهْلَهَا نَحْطَ زَبُورٍ مِنْ دَوَائِرِ وَقُرْطَاسٍ

(١) الفلوات : القنار ، والقور : جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء ، والقور أيضا : أصغر الجبال ؛ وأعظم الآكام - جمع أكمة - قال منظور بن مرثد الأسدى :

هَلْ تَعْرِفُ الدَّارَ بِأَعْلَى ذِي الْقَوْرِ قَدْ دَرَسَتْ غَيْرَ رَمَادٍ مَكْفُورٍ

مَكْتَتِبِ اللَّوْنِ مَرُوحٍ مَمْطُورٍ أَزْمَانَ عَيْنَاهُ سُرُورُ الْمَسْرُورِ^(٢)

والقور : يروى القوز - بفتح القاف وبالزاي - وهو الكتيب الصغير . وجمعه أقواز وقوزان . قال ذو الرمة :

إِلَى ظُنُنٍ يَقْرَضْنَ أَقْوَازَ مُشْرِفٍ شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْقَوَارِسُ^(٣)

ويروى : القور ، وهو المظن من الأرض ، والأكم : جمع أكبة ، الجبل الصغير . يقول : سافرت وحدى وصحبت الوحش فى الفلوات منفردا بقطعها مستأنسا بصحبة حيواناتها حتى تعجب منى نجدها وغورها لكثرة ما تلقانى وحدى .

(١) قوله بأعلى ذى القور : أى بأعلى المكان الذى بالقور . وقوله قد درست غير رماد مكفور . أى درست معالم الدار إلا رمادا مكفورا ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفراه . وقوله مكتتب اللون : يريد أنه يضرب إلى السواد كما يكون وجه الكتيب ، ومروح أصابته الريح ؛ وممطور أصابه المطر ، وعيناء مبتدا وسرور المسرور خبره والجملة فى موضع خفض بإضافة أزمان إليها . يقول : هل تعرف الدار فى الزمان التى كانت فيه عيناء سرور من رآها وأحبها .

(٢) قرض المكان يقرضه قرضا : عدل عنه وتكبه ، ومشرف والقوارس : موضعان يقول : نظرت إلى ظنن يحزن بين هذين الموضعين .

يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ تُفَارِقَهُمْ
وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ^(١)
مَا كَانَ أَخْلَقَنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمْسَ^(٢)
إِنْ كَانَ سَرٌّ كُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لُجُوجُ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ^(٣)
وَبَيْنَنَا لَوْ رَغَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ الشَّيْ ذِمَّةً^(٤)
كُمْ تَطْلُبُونَ لَنَا غَيْبًا فَيَمُجِزُكُمْ وَيَكْرَهُهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمَ^(٥)

(١) يقول : يا من يشتد علينا فراقه بما أسلف إلينا من عوارفه كل شيء وجدناه بعدكم فإن وجدناه عدم ، يعني لا يبقى غناءكم أحد ولا يخلفكم عندنا بدل .
(٢) ما أخلقه بكذا واقته وأجدره وأحراره وأولاده : بمعنى ، وأمر قريب يقول :
يقول : ما كان أحرانا بركم وتكرمتكم في الاعتقاد لنا على نحو أمرنا في الاعتقاد لكم ! يعني لو تقارب ما بيننا بالحب لكرمتونا ، لأننا أهل للتكرمة .
(٣) يقول : إن سررتهم بقول حاسدنا وطعنه فينا فقد رضينا بذلك إن كان لكم به سرور ، فإن جرحا يرضيكم لا نجد له ألما ، لأن كل سرورنا في سرورنا في سروركم ورضانا في رضاكم ، قال الواحدى : هذا من قول منصور الفقيه .

سُرِرْتُ بِهِجْرِكَ لِمَا عَلِمْتُ أَنَّ لِقَائِكَ فِيهِ سُرُورًا
وَلَوْ لَا سُرُورُكَ مَا سَرَّنِي وَلَا كُنْتُ يَوْمًا عَلَيْهِ صَبُورًا
لَأَنِّي أَرَى كُلَّ مَا سَاءَنِي إِذَا كَانَ يُرْضِيكَ مَهْلًا يَسِيرًا

(٤) بيننا : خبر مقدم ؛ ومعرفة : مبتدأ مؤخر . وقوله لو رغيتم ذاك : اعتراض ؛ والإشارة إلى مضمون الجملة : أى لو رغيتم أن بيننا معرفة . والنهى : العقول . والذمم : العهود . يقول : إن لم يجمعنا الحب فقد جمعنا المعرفة وذوو العقول يراعون المعرفة ويقدرونها حق قدرها ، والمعارف عندهم عهود وذمم لا يضيعونها .
(٥) يقول : كم تحاولون أن تجهدوا لى عيا تعيوننا وتتعلقون عليه وتعتذرون به فى معاملتى فيعجزكم وجوده ، وهذا الذى تفعلونه يكرهه الله ويكرهه الكرم الذى يأبى عليكم إلا أن تنصفوني منكم وتكافئوني بالجميل . وهذا تعنيف لسيف الدولة على إصغائه إلى الطاعنين عليه والساعين بالوشاية .

مَا أَبَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ عَنْ شَرَفِي أَنَا الثُّرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ^(١)
لَيْتَ الْغَمَامَ الَّذِي عِنْدِي صَوَائِقُهُ يُزِيلُهُنَّ إِلَى مَنْ عِنْدَهُ الْوَدِيمُ^(٢)
أَرَى النَّوَى تَقْتَضِي كُلَّ مَرَحَلَةٍ لَا تَسْتَقِيلُ بِهَا الْوَخَادَةُ الرَّسْمُ^(٣)

(١) وذان : أى العيب والنقصان . يقول : إن بعد ما بنيتى وبين النقصان والعب
كبعد الثريا من الشيب والهرم ، فكما لا يلحقها الشيب والهرم لا يلحق العيب والنقصان .
(٢) الغمام : السحاب . والصوائق : جمع صاعقة ، وهى تلك النار التى تسقط أثر
الرعد الشديد . والديم : جمع ديمة ، وهى مطر يدوم فى سكون . وهو معلوم أن
الصوائق مهلكة وهى التى تسكره وتخشى من الغمام ، والديم نافعة وهى المرجوة . من
الغمام ، فهو يقول : ليت الممدوح الذى يشبه الغمام الذى تصيبني صواعقه - يعنى أذاه
وسخطه - ويصيب غيرى مطره - يعنى بره ورضاه - يزيل ذلك الأذى إلى من عنده
ذلك البر فينتصف الفريقان ، وهذا من قول أبى تمام :

فلو شاء هذا الدهر أقصر شره^(١) كما قصرت عنا لها^(٢) ونأله^(٣)
ومثله قول ابن الرومى :

أَعْنَدِي تَنْقُضُ الصَّوَائِقُ مِنْكَ
وَعِنْدَ ذَوِي الْكُفْرِ الْحَيَا وَالثَّرَى الْجَفْدُ^(٢)
وقوله أيضاً :

إذا كان حظ الناس سُقْيَا سَمَائِكُمْ فَحَظِي وَمِيزُ الْبَرْقِ أَوْ زَجَلُ الرَّعْدِ
وأخذه السرى الرطاء فقال :

وأنا الفداء لمن مخيلة بريقه^(١) حظي وحظ سواي من أنوائه
(٣) النوى : البعد . وتقتضي : أى تطالبني ، وقد ضمنه معنى تكلفني أو تجشمني ،
ولذلك عداه إلى اثنين . والوخد والرسم : ضربان من السير ؛ والوخادة : الإبل التى
تسير سيرا سريعا . والرسم : جمع رسوم ، وهى الناقة التى تؤثر فى الأرض بأخفافها
لسيرها الشديد . يقول : أرى البعد عنكم يكلفني أن أقطع كل مرحلة لا تقوم بقطعها

(١) أقصر : كف ، ومثله قصر ؛ والهمي : جمع لهوة ، العطية ؛ والنائل : العطاء .
(٢) الحيا المطر ، ونرى جعد ؛ وتراب جعد : لين ندى .

لَيْفَن تَرَكَنْ ضَمِيرًا عَنْ مَيَّامِينَا لِيَحْدُثَنَّ لِيْنِ وَدَفْنُهُمْ نَدَمٌ^(١)
إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَّرُوا أَنْ لَا تَفَارِقَهُمْ فَالْرَّاحِلُونَ هُمُ^(٢)
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّهُ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ^(٣)

الإبل السريعة الشديدة ؛ لبعدها وعدة أهوالها . وعبرة العكبري : أرى النوى التي أربدها ، والرحلة التي اعتقدتها ، تقتضي تخشم كل مرحلة وافية لا تستبد بها الإبل لبعدها منها ، ولا تطيقها لشدة أهوالها .

(١) اللام في « ليحدثن » لام جواب القسم ؛ وترك جواب الشرط لأنهما إذا اجتماعا كان الجواب للقسم ، وترك جواب الشرط ، وضمير « تركن » للوخادة والرسم . وضمير : جبل عن عيني الراحل إلى مصر من الشام قريب من دمشق . يقول : لئن لحقت ركابي بمصر ليندم من سيف الدولة على فراقى وكان كما قال .

(٢) يقول : إذا رحلت عن قوم وهم قادرون على إرضائك حتى لا تضطر إلى مفارقتهم فهم المختارون لفراقك ، فكأنهم هم الراحلون عنك ، وإليك عبارة سائر الشراح قال الواحدى : إذا سرت عن قوم وهم قادرون على إكرامك حتى لا تحتاج إلى مفارقتهم فهم المختارون للارتحال يريد بهذا إقامة عذره في فراقهم : أى أنتم تختارون الفراق إذا ألجأتمنى إليه وقال الإمام التبريزي إن الرجل إذا فارق أناسا ، وقد ظنوا أنه غير مفارق ، لهم أسفوا له ، فكأنهم هم الراحلون وقال ابن القطاع : رحلت عن السكان : انتقلت ورحلت غيرى : نقلته وسفرته ، ومعناه إذا رحلت عن قوم قادرين على أن لا يفارقوك ، فالراحلون عنك هم والمعنى : أنه يخاطب نفسه ويشير إلى سيف الدولة حتى لا يذمه في رحلته قائما في ذلك عن نفسه بحجته . وقال العكبري : أى إذا رحل الراحل عن قوم وهم قادرون على إزاحة علته بإسعاف رغبته ، وأغفلوه حتى ترحل عنهم ، وانقطع بالزوال منهم ، فهم الذين رحلوه ، وأزعجوه وأخرجوه ، ثم قال : وهذا من قول الحكيم : من لم يردك لنفسه فهو البائى عنك وإن تباعدت أنت عنه . وقال ابن وكيع - كعادته - : هذا مأخوذ من قول أبى تمام :

وَمَا الْقَمَرُ بِالْبَيْدِ الْقَوَاءِ بَلِ الَّتِي نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِتُوهَا هِيَ الْقَفَرُ^(١)
وَأَيْنَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ .

(٣) يصم : يعيب . يقول : شر البلاد مكان لا يوجد فيه من يستروح إليه ويؤنس

(١) القواء - بفتح القاف . الحالية لا أحد بها .

وَشَرُّهُ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهْبُ الْبُرَاةِ سَوَالٍ فِيهِ وَالرَّخْمُ (١)
بَأَى لَفْظٍ تَقُولُ الشُّعْرَ زِغْنَةً تَجُوزُ عِنْدَكَ لَا عُرْبٌ وَلَا هَجَمٌ (٢)
هَذَا عِتَابُكَ إِلَّا أَنَّهُ مِقْمَةٌ قَدْ ضُمِّنَ الدَّرُّ إِلَّا أَنَّهُ كَلِمٌ (٣)

* * *

بوده وشر ما كسبه الإنسان ما عابه وأذله ، يريد أن هبات سيف الدولة وإن كثرت - مع جلالها وسعتها - لا تعادل تقصيره في حقه وإيثاره لحساده .

(١) الشهب : جمع أشهب ، وهو ما فيه بياض يصدعه سواد . والرخم : جمع رحمة ، طائر من الجوارح الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . وعبرة اللغة : الرخمة طائر أبقع على شكل النسر حلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له الأنوق . والجمع رخم ورخم قالوا : وهو موصوف بالقدر والموق والقدر . يقول : شر ما قنصه الصائد وظفر به : قنص يشركه فيه البراة الشهب مع رفعتها والرخم مع ضعتها ودناهما ؛ وهذا مثل . يعنى شر صيد صدرته ما شاركتني فيه اللثام . يريد أن سيف الدولة يجربه في رسم العطاء مجرى غيره من خساس الشعراء : أى إذا ساوانى فى أخذ عطائك من لا قدر له ، فأى فضل لى عليه . ١٢

(٢) الزغنة - وجمعه زعانف - اللثام السقاط من الناس . وهو مأخوذ من زغنة الأديم - الجلد - وهو ما تساقط من زوائده ، أو من زعانف السمك - وهى أجنحته - أو من زعانف القميص وهى ما تخرق من أسافله وكل هذا يشبه به الأوباش ورذال الناس . وتجاوز من جواز درهم وهو رواجه ، وروى تخور : من خوار البقر ، وهو تصحيف ، كما قال الواحدى ، وإن كان صحيحاً فى المعنى . وهذا كما يروى أن رجلاً قرأ على حماد الراوية شعر عنتره

* إذ تسقيك بذى غروب واضح *

فأبدل من الباء فى « تسقيك » نونا ، فضحك حماد وقال : أحسنت ، لا أرويه بعد اليوم إلا كما قرأت . يقول - مخاطباً سيف الدولة - : هؤلاء السقاط من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وهم ليسوا عرباً ؟ لأنهم ليست لهم فصاحة العرب ، ولا كلامهم أعجمى يفهمه الأعجم : أى أنهم ليسوا شيئاً . وعبرة الواحدى : هؤلاء الخساس اللثام من الشعراء بأى لفظ يقولون الشعر وليست لهم فصاحة العرب ولا تسليم العجم الفصاحة للعرب فليسوا شيئاً ؟ .

(٣) المقة : الهبة . يقول : هذا الذى أتاك من الشعر عتاب منى إليك إلا أنه محبة .

وقال وقد عوفى سيف الدولة مما كان به :

الْمَجْدُ عُوْفِي إِذْ عُوْفِيَتِ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَفْدَانِكَ الْأُمُّ (١)
صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْفَارَاتُ وَأَبْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَأَنْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ (٢)
وَرَأَجَعَ الشَّمْسَ نُوْرُ كَانَ فَارَقَهَا كَأَنَّمَا فَقَدَهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ (٣)
وَلَا حَ بَرَفُوكَ لِي مِنْ عَارِضِي مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حَيْثُ يَنْبَسِمُ (٤)

وود ، لأن العتاب يجرى بين الهجين * ويبقى الود ما بقي العتاب * وهو در - يعنى حسن نظمه ولفظه - إلا أنه كلمات ، وعبارته العكبرى : هذا عتابك وهو وإن أمضك وأرجعك حبة خالصة ومودة صادقة ، فباطنه غير ظاهره ، كما أنه قد ضمن الدر لحسنه ، وإن كان كلاماً معهوداً في ظاهر لفظه .

(١) قوله وزال الخ : إنما هو خبر وليس دعاء . يريد أن أعداءه تؤلمهم عافيته لعوده بعد ذلك إلى غزومهم كما أشار إلى ذلك في البيت التالى .

(٢) انهلت : سالت . والديم : جمع ديمة ، وهى المطر الدائم فى سكون . كانت الفارات على بلاد الروم قد انقطعت ، فلما شفى وصح اتصلت الفارات عليها ، فكان الفارات كانت عليقة بعلته ثم صحت بصحته وسرت المكارم بصحته لأنه صاحبها وكانت الأمطار منقطعة فلما شفى صادف اتصالها شفاءه :

(٣) يقول : إن الشمس كانت قد فقدت نورها أيام مرضه ، وكان فقد ذلك النور كان سقما لها ، وقد عاودها ذلك النور حين صح سيف الدولة ، يعظم الأمر فى علته كعادة الشعراء ومبالغاتهم التى قد تفضى بهم إلى مثل هذا الهذيان وقال بعض الشعراء : البيت مجاز . يريد أن الشمس فقدت بهجتها فى عيون أوليائه لعلته لاغتمامهم فلما شفى عاد إليها حسنها

(٤) العارضان : شقا القم ، وقيل جانباً اللحية ، وعارضاً الوجه وعروضاه جانباه يقول : تهلل عارضاك سروراً وابتساماً ، فلاح لى منهما برق لا تخصب الأرض إلا حين تبسم ، فيبدو هذا البرق ويتبعه غيث الجود فيحيها وذهب الواحدى والعكبرى إلى أن المراد بالعارض ما يلى الناب من داخل القم ، أو هو الناب ؛ قال الواحدى : ويريد بالبرق ظهور ثغره عند التبسم . يقول : لاح لى ببشرىك وتبسمك برق لامع ونور ساطع لا يسقط الغيث إلا فى أثره ، ولا يوجد إلا فى موضعه . يشير إلى العطاء الذى يتلو تبسمه . يعنى أنه إذا تبسم بذل ماله فيصير ذلك المكان كأن الغيث قد نزل به لأنه أخصب بمجوده .

يَسْمَى الْحَسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبِهُ الْمَخْدُومُ وَالْخَدَمُ^(١)
تَفَرَّدَ الْعَرَبُ فِي الدُّنْيَا بِمَخْتَدِهِ وَشَارَكَ الْعَرَبُ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ^(٢)
وَأَخَاصَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ نَصْرَتَهُ وَإِنْ تَقَلَّبَ فِي آيَاتِهِ الْأُمَمُ^(٣)
وَمَا أَخْصَصَكَ فِي بُرْءٍ بِتَهْنِئَةٍ إِذْ سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا^(٤)

(١) الحسام : مفعول ثانٍ ليسمى ، والمفعول الأول : نائب الفاعل ، وهو ضمير المدح والواو في « وليست » للحال ، ومشابهة : اسم ليست ، و « من » زائدة ، وخبر « ليست » محذوف : أى وليست من مشابهة بينهما ويشته : يتشابه يقول : إن المدح يسمى بالسيف والسيف لا يشبه ، فليست التسمية بالسيف لمشابهة بينهما ، فهو أشرف من السيف ، وإن تساويا اسما ، لأن السيف يخدمه فهو مخدوم والسيف خادم ، فكيف يتشابه المخدوم والخادم ؟

(٢) المحدث : الأصل يقول : هو عربى الأمل ، فاختصت العرب بالفخر به لأنه منهم ولكن تشارك العرب والعجم في إحسانه وعطائه ؛ لأن إحسانه شمل الجميع ، وفي مثل هذا يقول البحترى :

غَدَا قِسْمَةٌ عَدْلًا فَفِيكُمْ نَوَالُهُ وَفِي سَرِّهِ نَبْهَانُ بْنُ عَمْرٍو مَأْثَرُهُ

(٣) الآلاء : النعم يقول : إن كانت الأمم مشتركة في إنعامه فإن نصرته خالصة لدين الإسلام لا ينصر غيره من الأديان : أى أن نصرته قاصرة على تأييد الإسلام وإن كانت نعمته شائعة بين سائر الأمم

(٤) هذا من قول أبى العتاهية :

لَوْ عَلِمَ النَّاسُ كَيْفَ أَنْتَ لَهْمَ مَاتَ - إِذَا مَا أَلِمْتَ - أَكْثَرُهُمْ

وقال سلمو على معنى « كل » لا على لفظها ، قال الجوهري : « كل » : لفظه واحد ؛ ومعناه جمع قال : فعلى هذا تقول كل حضر وكل حضروا - على اللفظ مرة ، وعلى المعنى أخرى

وأنفذ شاعر إلى سيف الدولة أبياناً فيها يشكو الفقر ويذكر أنه رآها في المنام فقال أبو الطيب (*) :

قَدْ تَمِمْنَا مَا قُلْتَ فِي الْأَحْلَامِ وَأَنْلَنَّاكَ بَذَرَةً فِي الْمَنَامِ^(١)
وَانْقَبَهْنَا كَمَا انْتَبَهْتَ بِلَا شَيْءٍ وَكَانَ النَّوَالُ قَدَرَهُ الْكَلَامِ^(٢)
كُنْتُ فِيهَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ الْعَيْنِ فَهَلْ كُنْتُ نَائِمَ الْأَقْلَامِ^(٣)
أَيُّهَا الْمُشْتَكِي إِذَا رَقَدَ الْإِعْدَامُ لَا رَقْدَةً مَعَ الْإِعْدَامِ^(٤)
إِفْتَحِ الْجَفْنَ وَأَتْرُكِ الْقَوْلَ فِي النَّوْمِ وَمَيِّزْ خِطَابَ سَيْفِ الْأَنَامِ^(٥)
الَّذِي لَيْسَ عَنْهُ مُغْنٍ وَلَا مِنْهُ هُوَ بِدِيلٌ وَلَا لِمَا رَامَ حَامِي^(٦)

* كان هذا الشاعر من بغداد ، وبسمى ابن النجم وأبياته هي :

كَانَ رَسْمُ النَّوْمِ مِثْلَ شِعْرِ الْمَنَامِ فَاقِ حُسْنَ كَلْوَلٍ فِي نِظَامِ
لَمْ يُقَدَّرْ لِقَاؤُكَ الْيَوْمَ فَاسْتَظْهَرْتُ فِيهِ بِالْكَتَبِ وَالْأَقْلَامِ
وَلِيَ الرِّسْمِ مِنْ تَطَوُّلِكَ الْجِسْمِ وَذَلِكَ الْإِفْضَالُ وَالْإِنْعَامِ
فَتَفَضَّلْ بِهِ وَوَقَّعْ فَإِنِّي مُوْتَقٍ الْحَالِ فِي يَدِ الْإِعْدَامِ
زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً وَعُـلُـوًّا وَسُرُورًا يَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ

فوقع عليها أبو الطيب بهذه الأبيات

(١) البذرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، سميت ببذرة السخلة - جلدها -
(٢) النوال : العطاء يقول : كان مدحك لنا في الحلم ، وكذلك نحن أجزنا على
الحلم بالحلم ، فكانت الجائزة على نحو مدحك يريد تسفيه رأيه وتحقيقه إذ لم يجعل مدحه
لسيف الدولة غرضاً يقصده

(٣) كنى عن رداءة لفظه وخطه ، يقول : قد كان لفظك رديئاً لأنك قلت في
النوم فهل كانت أقلامك نائمة حين كتبتك حتى جاء الخط رديئاً أيضاً ؟

(٤) الإعدام الفقر يقول : أيها المشتكى الفقر إذا نام كيف أخذك النوم مع الفقر ؟

(٥) افتح الجفن : أي لا تكن غافلاً ، وفيه نكتة لا تخفى يقول : إن القول الذي قلته في النوم
لا تذكره لسيف الدولة وميز مخاطبته من مخاطبة غيره أي لا مخاطبه كما مخاطب سائر الناس

(٦) يقول : لا يخفى عنه أحد ولا يقوم مقامه ، لعموم فضله ولا يكون منه بدل ،
لجلالة قدره ، ولا يمنع منه أحد ما يطلبه ، لسعة قدرته

كُلُّ آبَائِهِ كَرَامٌ بَنِي الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُ كَرِيمٌ الْكَرَامُ^(١)

وقال يمدحه ويذكر ببناءه ثغر الحدث سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة^(*).

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ^(٢)
وَتَنْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِفَارُهَا وَتَصَغُرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْمَظَامُ^(٣)

(١) يقول : إن عشيرته أكرم أهل الدنيا وهو أكرم عشيرته

(*) كان سيف الدولة قد سار نحو ثغر الحدث لبنائها ، وكان أهلها قد سلموها إلى المستق بالآمان سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، فزحف سيف الدولة يوم الأربعاء ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ، وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده ، فلما كان يوم الجمعة نازله المستق في نحو خمسين ألف فارس وراجل ، ووقع القتال يوم الاثنين سلخ جمادى الآخرة من أول النهار إلى العصر ، فحمل عليه سيف الدولة بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه ، فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقا كثيرا ، فقتل بعضهم وأقام حتى بنى الحدث ، ووضع بيده آخر شرفة منها في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب ، فقال هذه القصيدة يمدحه ، وأنشده إياها في ذلك اليوم في الحدث .

(٢) العزم : الجد - عزم على الأمر عزمًا : أى أراد فعله - وقال الليث العزم ما عتد عليه قلبك من أمر أنك فاعله والعزائم : جمع عزيمة ، وهى ما يعزم عليه من الأمر . والمكارم : جمع مكرمة ، فعل الكرم . يقول : إن العزائم إنما تكون على قدر أصحاب العزم ، فمن كان كبير الهمة قوى العزم كان الأمر الذى يعزم عليه عظيما ، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها : فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكرامات أعظم . والمعنى أن الرجال قوالب الأحوال ، فإذا صغروا صغرت ، وإذا كبروا كبرت ، وهذا كقول عبد الله بن طاهر :

إِنَّ الْفُتُوْحَ عَلَى قَدْرِ الْمُلُوكِ وَهَمَّاتِ الْوُلَاةِ وَإِقْدَامُ الْقَادِرِينَ

(٣) الضمير في « صغارها » للعزائم والمكارم . يقول : إن صغار الأمور عظيمة في عين الصغير القدر إذ تملأ ذرعه ، وعظامها صغيرة في عين العظيم القدر . لأن في همته فضلا عنها . يشير بذلك إلى شرف سيف الدولة وما فعل في الواقعة التى ذكرنا من نفاذ أمره وجلالة قدره .

يَكْلِفُ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الْجَيْشَ هَهُـ

وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْجِيُوشُ الْخَضَارِمُ^(١)

وَيَطْلُبُ عِنْدَ النَّاسِ مَا عِنْدَ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مَا لَا تَدْعِيهِ الضَّرَاغِمُ^(٢)

يُقَدِّى أُنْثَى الطَّيْرِ عُمَرَاءَ سِلَاحِهِ نُسُورُ الْمَلَأَ أَحْدَاتُهَا وَالْقَشَاعِمُ^(٣)

وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِفَيْرٍ مَخَابٍ وَقَدْ خُلِقَتْ أَسْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ^(٤)

(١) الهم : المهمة ، وهو ما هممت به من أمر لتفعله ، والخضارم : جمع خضرم ، وهو الكثير العظيم من كل شيء . يقول : يكلف سيف الدولة جيشه أن يقوم بما تقتضيه همته من الغارات والغزوات ، وهو أمر لا قبل للجيوش الكثيرة به ، لأن ما في همته ليس في طاقة البشر تحمله .

(٢) الضراغم : الأسود . يقول : إن سيف الدولة يريد أن يكون الناس مثله شجاعة وإقداما . وذلك شيء لا تدعيه الأسود ، فكيف تبلغه البشر ؟

(٣) نسور : بدل من أنثى الطير ، أو عطف بيان ، وأحداها والقشاعم : بدل تفصيل من نسور ، والملا : بمعنى الفلاة . وبرى الفلا : جمع فلاة ، وهى الصحراء . والأحداث الشابة ، جمع حدث : والقشاعم : الطويلات العمر ويقال للحرب والنية والفلة أم قشعم وبكل أولئك فسر قول زهير :

فَشَدَّ وَلَمْ يُفْرِغْ بِيُوتَا كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْفَتْ رَحْلَهَا أُمَ قَشْعَمِ^(١)

وأراد بأنثى الطير : عمر النسور ، وقد بينه بالمصراع الثانى . يقول : إن النسور صفارها وكبارها تقول لأسلحته فديناك بأنفسنا ، لأنها كفتها مؤنة طلب الاقوات ، لكثرة القتلى في وقائمه .

(٤) « ما » : نفي ، أو استفهام إنكار ؛ وخلق : مصدر خلق يخلق والخاب جمع غلب ، وهو لسباع الطير كالظفر للانسان والقوائم : جمع قائم ، وهو قائم السيف أى مقبضه . يقول . ليس يضر الأحداث من النسور - أى الفراع - والقشاعم - أى

(١) من معلقة زهير . يقول : فحمل حصين بن ضمضم على الرجل الذى رام أن يقتله بأخيه ولم يفرغ بيوتا كثيرة ؛ أى لم يتعرض لغيره عند ملقى رحل النية ، وملقى الرحل المنزل لأن للسافر يلتقى به رحله . أراد عند منزل النية وجعله منزل النية لحلولها لـ حصين

هَلْ اَلْحَدَثُ اَلْحَمْرَاهُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا وَتَعْلَمُ أَى السَّاقِيَيْنِ اَلْفَهَامُ ^(١)
 سَقَمَتَا اَلْفَهَامُ اَلْفَرُّ قَبْلَ نَزْوِلِهِ فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا سَقَمَتَا اَلْجَمَاجِمُ ^(٢)
 بَنَاهَا فَأَعْلَى وَالْقَنَا تَفَرَّعُ اَلْقَنَا رَمَوْجُ اَلنَّايَا حَوْلَهَا مُتَلَاطِمُ ^(٣)
 وَكَانَ بِهَا مِثْلُ اَلْجُنُونِ فَأَصْبَحَتْ وَمِنْ جِثِّ اَلْقَتْلِ عَلَيْهَا تَمَائِمُ ^(٤)

المسنة التي ضعفت عن طلب القوت - وخص هذين النوعين لعجزها عن طلب الرزق - ليس يضر هذين أن لا يكون لها محالب قوية مفترسة بعد أن خلقت أسياف سيف الدولة فإنها تقوم بكفاية قوتها ، ولك أن تقول إن المعنى : وما ضرها لو خلقت بغير محالب ؟ كما تقول ما ضر النهار ظلمته مع حضورك وليس النهار بظلم لكنك تريد ما ضره لو خلق مظلما . وعبارة العكبرى - وهي بمعنى التفسير الأول - : ما يضرها أن تخلق بغير محالب تستعملها فيما تأكله وتصرفها فيما تنشبه ، لأن سيوفه تبلغها في ذلك ما ترغبه ، وتفعل لها ما تريده . وتطلبه . هذا : وقد مر في هذا الشرح كثير مما قاله الشعراء في هذا المعنى ، ومن مستحسن ما قيل في ذلك قول ابن نباتة السعدي - وقد أخذه من المتنبي - :

وَيَوْمَآكَ يَوْمٌ لِلْعَفَاةِ مُذَلَّلٌ ويوم إلى الأعداء منك عَصَبَصَبُ
 إِذَا حَوَمَتْ فَوْقَ الرَّمَّاحِ نُسُورُهُ أطار إليها الضَّرْبُ ما تَقَرَّبُ

(١) الحدث : قلعة معروفة بناها سيف الدولة في بلاد الروم ، ووصفها بالحمراء لأنها احمرت بدماء الروم ، وذلك أن الروم غلبوا عليها وتحصنوا بها ، فأناهم سيف الدولة وقتلهم فيها حتى تطلخت بدمائهم ، يقول : هل تعرف هذه القلعة لونها ؟ يعني أنه غير ما كان من لونها بالدم - وهل تعلم أى الساقيين لها هو الفهائم : أجماجم الروم التي سقتها بالدم ، أم السحائب التي سقتها بالمطر ؟ يعني أن الجماجم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحائب من الماء ، فهي لا تدرى أى هذين الفريقين أحق بأن يسمى بالفهائم لأنهما استويا في السقيا . وقد بين هذا المعنى في البيت التالى . وقوله أى الساقيين الفهائم : مبتدأ وخبر سدا مسد مفعولى تعلم .

(٢) الفهائم : جمع غمامة ؛ والفر : البيض .

(٣) فأعلى : أى فأعلاها . والقنا : الرماح . يقول : بناها ورماح المسلمين تقارع ورماح الروم والجيشان يتقاتلان والنايا تسلب الأرواح ، واستعار للنايا موجاً متلاطماً لكثرتها : أى لكثرة القتل ، فكان النايا بحر تتلاطم أمواجه

(٤) مثل : اسم كاث ، وهو خلف من موصوف : أى شئ مثل الجنون ؛ وأصبحت

طَرِيدَةُ دَهْرٍ سَاقِمًا فَرَدَدَتْهَا عَلَى الدِّينِ بِالْخَطِيءِ وَالْأَهْرِ رَاغِمٌ^(١)
تَفَيْتُ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتُهُ وَهَنْ لَمَّا يَأْخُذُنْ مِنْكَ غَوَارِمٌ^(٢)

تامة ، والواو بعدها للحال . والتمائم : جمع تيممة ، وهى العوذة ، يتوقون بها مس الجن
جعل اضطراب الفتنة فيها جنونا لها ، وذلك أن الروم كانوا يقصدونها ويحاربون أهلها
فلا تزال الفتنة بها قائمة ، فلما قتل سيف الدولة الروم وعلق القتلى على حيطانها سكنت
الفتنة وسلم أهلها ، فجعل جثث القتلى كالتمائم عليها حيث أذهبت ما بها من الجنون . وهو
إسكان الفتنة ؛ قال أبو الطيب : مارد على أحد شيئا قبلته إلا سيف الدولة فإني أنشدته
ومن جيف القتلى ، فقال لى : منه ، قل : ومن جثث القتلى ، قبلت وقلت كما قال لى .
قال ابن وكيع : وقد لا ذابو الطيب بقول أبي تمام :

تَكَادُ عَطَايَاهُ يُجَنُّ جُنُونَهَا إِذَا لَمْ يَعُوْذْهَا بِنِعْمَةِ طَالِبِ

(١) الطريدة : الطرودة ؛ أى ما طردته من صيد أو غيره . والخطيئ : الرماح وراغم
ذليل ؛ وأصل الرغم : أن يلتصق الأنف بالرغام - أى التراب - يقول : إن هذه القلعة
كالطريدة أمام الدهر تعقبها حوادثه إذ سلط عليها الروم حتى خربوها ، فأعدت بناءها
ورددتها على أهل الدين ، فذل الدهر حين خالفته فيما قصد وأراد .

(٢) تفيت : من الفوت ، وأفاته الشيء : حمله على فوته ، وفاعل تفيت : ضمير
المخاطب ، والليالى : مفعول أول ، وسكنه ضرورة ، أو على لغة ؛ وكل شيء : مفعول
ثان . وغوارمه جمع غارمة ، وغرم الدين والنصب وغير ذلك : أداه . يقول : إذا سلبت
الليالى شيئا أفته عليها فلم تقدر على استرداده منك ، وهى إذا أخذت منك شيئا غرمته
وروى أخذه - بالنون - ضمير الليالى ، فتكون الليالى فاعل « تفيت » وللمفعول الأول
عذوف : أى من عادة الليالى إذا أخذت شيئا أن لا ترده على صاحبه فتفيتها إياه ؛ فإن
أخذت منك شيئا غرمته : يعنى أنت أفوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك والتمرد
عليك ؛ وهذا من قول بعضهم :

فَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بَوْرِهِمْ وَلَا فَاتَنَا مِنْ سَائِرِ النَّاسِ وَاتِرٌ

وقال الطرماع :

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تُدْرِكُ أَخِيذَتُنَا أَوْ نَطْلُبُ نَتَدَمَّى الْحَقَّ فِي الطَّلَبِ

وقال التبريزى وابن القطيع : من رواه بالنون أقصد للنسب ، قال ابن القطيع : قال
لى شيخى محمد بن البراء النيمى : قال لى صالح بن رعد : قرأت على المتنبي أخذه بالنون
(٧ - المتنبي)

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فَمُضَارِعًا
مَضَى قَبْلَ أَنْ تُتْلَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ^(١)

فقال : صحفت يا أبا علي ، قلت : وكيف قلت ؟ فقال : قلت أخذته - بالتاء - لأنني لو قلت بالنون لأفسدت المعنى والإعراب ونقضت قولي في آخر البيت ، وذلك أن تفتيت يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت « الليالي » فاعله ونصبت « كل شيء » لم يكن مفعولا ثانيا ففسد الإعراب ، وإذا قلت بالتاء جعلت « الليالي » مفعولا أولا و « كل شيء » ثانيا . وأما فساد المعنى فلو جعلت « الليالي » الفاعلة لجعلتها تفتيت كل شيء ولا تنفرمه ، ثم نقضته بقولي : * وهن لما يأخذن منك غوارم * وإنما المعنى تفتيت ياسيف الدولة الليالي كل شيء أخذته منها فلا تنفرمه لها ، وهن غوارم لك ما يأخذن فصح المعنى

(١) النحويون يسمون الفعل المستقبل مضارعا ، فالضارع هنا المراد به المستقبل ، يقول : إذا نويت أن تفعل أمرا فكان ذلك فعلا مستقبلا مضى الذي نويته قبل أن يحزم ذلك الفعل ؛ وأراد بالجوازيم : « لم ؛ و « لا ، ولام الأمر » أي إذا نوى أن يفعل أمرا مضى قبل أن يقال له لا تفعل ، لأنه يسبق بما يهيم به نهى الناهين وعذل العاذلين وقبل أن يؤمر به فيقال : ليفعل كذا وليعط فلانا ولينجز ما وعد به : أي أن ما ينوي فعله يعالجه قبل أن يتصور فيه نهى أو طلب ، وبعبارة بعض الشراح : إذا نويت أن تفعل أمرا وقع ذلك الفعل لوقته فصار ماضيا قبل أن تكون فيه مهلة لدخول الجازم ، وخس أدوات الجزم من عوامل المضارع ، لأنها تغير الإيجاب فإن منها للنفي وهو « لم » و « لا » ومنها للطلب ، وهو « لا » و « اللام » وبواقبها للشرط ، فكانه يقول : إذا هممت بأمر عاجلته قبل أن يتصور فيه النفي وقبل أن يقول القائل لا تفعل أو ليفعل سيف الدولة كذا وكذا ، ولم فتتظر أن يقدر فيه شرط أو جزاء ، كأن يقال إن تفعل كذا يترقب عليه كذا لأن ما ينويه لا يتوقف على شرط ، ولا يخاف وراءه عاقبة . وبعبارة العكبري : يريد : ما أسعده الله به وأظهره له من سعده في قصده ، فإذا كان ما ينويه فعلا مستقبلا - ولفظ المستقبل يقع على الدائم الذي لم ينقطع وعلى التأخر الذي لم يقع - صار ذلك الفعل ماضيا بوقوعه منه ، ومتصرفا بتمكنه منه قبل أن تلحقه الجوازيم ، فثبتته فيما لم يجب وتدخل عليه فتخلصه فيما لم يقع ، قال ابن وكيع : هو مأخوذ من قول أبي تمام :

خرقاه يَلْعَبُ بِالْمَقُولِ حَبَابُهَا كَتَلْعَابِ الْأَفْعَالِ بِالْأَسْمَاءِ^(١)

(١) من قطعة في وصف الحجر .

وَكَيْفَ تَرْجَى الرُّومُ وَالرُّومُ هَـذِمَهَا
وَذَا الطَّنُّنُ آسَاسٌ لَهَا وَدَعَائِمٌ^(١)
وَقَدْ حَاكَمُوهَا وَالْمَنَآيَا حَـوَاكِمُ
فَمَا مَاتَ مَظْلُومٌ وَلَا عَاشَ ظَالِمٌ^(٢)
أَنْتُوكَ يَجْرُؤُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ سَرَوْا بِحِيَادٍ مَا لَهِنَّ قَوَائِمٌ^(٣)
إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ نِيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ^(٤)

قال العكبري : والبيت بناء على التورية .

(١) الآساس : جمع أس . قال أهل اللغة : الأس - وهو أصل البناء - يجمع على إساس مثل عس وعساس : جمع الإساس : أسس ، مثل قذال وقذل ؛ وجمع الأسس : آساس ؛ مثل سبب وأسباب . والدعائم : جمع دعامة ، وهي عماد البيت ، وكل شيء يستند إليه ويتقوى به فهو دعامة يقول . كيف يؤملون هدم هذه القلعة وهي موثقة بطنك الذي أعملته فيهم ؟ فالطعن لها كالآساس والدعائم حيث وثقت به كما يوثق البناء بالآساس والدعائم .

(٢) جعل القلعة والروم خصمين ، والنايا في الحرب حاكمة بينهما حكمت للمظلوم - وهو القلعة - بالسلامة ، فلم تترك لهم سبيلا إلى هدمها ، وحكمت على الظالم - وهو الروم - بالهلاك فأبادتهم .

(٣) السرى : سير الليل ؛ والجياذ : الخيل . يقول . أتوا مدججين في السلاح ، ولكثرة الحديد عليهم وطى خيولهم كانت خيولهم كأنها لا قوائم لها : أى لا ترى ، لأنها محجبة بالتعافيف التي على الخيول .

(٤) البرق : اللامعان ؛ والبيض : السيوف . وبرقوا : يعنى الروم . يقول : إذا برقوا لكثرة ما عليهم من الحديد لم يفرق بين سيوفهم وبينهم لأن عمائمهم الخوذ ونياهم الدروع ، فهم كالسيوف : فقوله نياهم من مثلها : أى من مثل السيوف ، يعنى من الحديد : قال العكبري : وأشار بهذا الوصف - أعنى كثرة سلاح هذا الجيش - إلى قوته ، وعبرة بعض الشراح : إذا برقوا عند وقع الشمس عليهم لم تتميز السيوف منهم ، لأن أبدانهم مغطاة بالدروع وراء وسهم بالخوذ ، وكلها من الحديد ، فإذا برقت السيوف برقت هذه معها : وعبر عن الدروع والخوذ بالثياب والعائم على الاستعارة ، لأنها تلبس في أمكنتها . قال العكبري : وصمعت بعضهم - وكان شيخنا يقرأ عليه هذا

خَيْسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْقَرْبِ زَخْفُهُ
وَفِي أُذُنِ الْجُوزَاءِ مِنْهُ زَمَازِمٌ^(١)
تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ إِنْسَانٍ وَأُمَّةٍ فَمَا تَفْهَمُ الْخُدَّاتِ إِلَّا التَّرَاجِمَ^(٢)

الدبوان - يقول : أخطأ أبو الطيب ، كيف ذكر العائم والعائم للعرب وليست للروم ، فكيف جعلها للروم ؟ فضحكت من قوله وقلت له : الضمير في « مثلها » إلى أين يعود ؟ اليس إلى البيض ، وهي السيوف ؟ فلم يدر ما قلت .

(١) الخيس : الجيش العظيم . سمي بذلك لأن له ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين . والزحف : التقدم ؛ وأصله الشيء مع تناقل . والجوزاء : نجمان معترضان في جوار السماء : أى وسطها ، وهما من البروج ؛ والزمازم : الأصوات التي لا تفهم لتداخلها ، وأصل الزمزمة : صوت الرعد ؛ وأراد الأصوات الشديدة للتداخلة . يقول : إن هذا الجيش لكثرت طبق الأرض وبلغت أصواته السماء . قال الواحدى : وخص الجوزاء بالذكر من بين سائر البروج لأنها على صورة انسان . قال الشراح : ولم يسمع في وصف جيش مثل هذا ومثل قول أبى تمام :

مَلَأَ الْمَلَأَ عُصْبًا فَكَادَ بَأْنُ يُرَى لَا خَلْفَ فِيهِ وَلَا لَهُ قُدَامُ

(٢) اللسن : اللغة ، واللسان أيضا . والحدّات : جمع حادث ، بمعنى متحدث ؛ ومنه قول المجنون :

أَتَيْتُ مَعَ الْخُدَّاتِ لَيْلَى فَلَمْ أَبْنِ فَأَخْلَيْتُ فَاسْتَعَجَلْتُ عِنْدَ خِلَائِي
ذَهَبْتُ فَلَمْ أَصْبِرْ وَعَدْتُ فَلَمْ أَبْنِ جَوَابًا كَلَّا الْيَوْمِينَ يَوْمُ بِلَائِي^(١)
وقول سويد بن أبى كاهل :

يُسْمِعُ الْخُدَّاتُ قَوْلًا حَسَنًا لَوْ أَرَادُوا غَيْرَهُ لَمْ يَسْتَطِعْ

والتراجم : جمع ترجمان - بفتح التاء وبضمها - اتباعا لضم الجيم - يقول : اجتمع في هذا الجيش بكل جيل من الناس وأهل كل لغة من اللغات ، فإذا كلم جيل منهم من

(١) قال الزجاجى فى أماليه : أخليت : وجدتها خالية - مثل أجبنته - أى وجدته جباناً ؛ فلى هذا يكون مفعول « أخليت » محذوفاً : أى أخليتها . وقد أورد البيت الأول كل من الجوهري وابن منظور حكاهم منسوباً إلى عتي بن مالك العقيلي ، وفى الحكم : عند خلائنا وبلائنا .

فَلَّاهِ وَقْتُ ذَوْبِ النَّشِّ نَارُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صَارِمٌ أَوْ ضَبَارِمٌ^(١)
تَقَطَّعَ مَا لَا يَقْطَعُ الدَّرْعَ وَالْقَنَا وَفَرَّ مِنَ الْأَبْطَالِ مَنْ لَا يُصَادِمُ^(٢)
وَقَفَّتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفٍ
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ^(٣)

ليس من أهل لغته : احتاج إلى مترجم يترجم له وكل هذا إشارة إلى عظم الجيش وما قد جمع فيه من المقاتلة

(١) عنى بالنش : الضعاف من الرجال والأسلحة والصارم : السيف القاطع . والضبارم : الشجاع الجريء ؛ وأصله الأسد الشديد الغليظ . يتعجب من ذلك الوقت الذى قامت الحرب فيه بين سيف الدولة وبين الروم يقول : ما كان عموها مغشوشاً هلك وتلاشى لرداءه كأنه ذاب بنار الحرب . ولم يبق من السيوف إلا السيف القاطع ولا من الرجال إلا الضبارم ، وبعبارة أخرى : إن نار الحرب فى ذلك اليوم سبكت الناس وأسلحتهم فأفنت ما كان رديئاً ولم يبق إلا كل سيف صارم ورجل شجاع .

(٢) يقول : تكسر من السيوف ما لم يكن ماضياً يقطع الدروع والرماح ، وهرب الجبناء الذين لا يقدرّون على المصادمة ومن روى « قطع » أراد الوقت ، يعنى أن الوقت كان صعباً لم يبق معه إلا التخلص من الرجال والأسلحة

(٣) الردى : الهلاك . يقول : وقفت فى ساحة القتال حين لا يشك واقف فى الموت ، لشدة الموقف وكثرة المصارع فيه ، حتى كأنك فى جفن الردى وهو نائم فلم يصرك وغفل عنك بالنوم فسلمت قال الواحدى : سمعت الشيخ أبا معمر الفضل ابن إسماعيل القاضى يقول : سمعت القاضى أبا الحسين على بن عبد العزيز يقول : لما أنشد المتنبي سيف الدولة هذا البيت والذى بعده أنكر عليه سيف الدولة تطبيق عجزى البيتين على صدرى ما وقال له كأن ينبغى أن تقول .

وقفت وما فى الموتِ شكٌّ لواقِفٍ ووجهك وضاح وتفرُّكٌ باسمِ
تمرُّ بك الأبطالُ كلِّى هزيمَةً كأنك فى جفنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ
ثم قال وأنت فى هذا مثل امرئ القيس فى قوله :

كأنى لم أركب جواداً لِلدَّةِ ولم أتبطن كاعباً ذاتَ خلخالِ
ولم أشبأ الرِّقَّ الرِّوِّىَ ولم أقلْ نَحْلِي كَرِّى كَرَّةً بعدَ إحْفالِ

تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلِمَى هَزِيمَةً
وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتَفَرُّكَ بِأَسْمٍ^(١)

قال : ووجه الكلام في البيتين على ما قاله العلماء بالشعر أن يكون عجز الأول مع الثاني ، وعجز الثاني مع الأول ، ليستقيم الكلام ، فيكون ، ركوب الحيل مع الأمر للخيال بالسكر ، ويكون سبأ الحمر مع تبطن الكاعب ؛ فقال أبو الطيب : أدام الله عز مولانا ، إن صح أن الذي استدرك هذا على امرئ القيس أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعرف أن الثوب لا يعرفه البراز معرفة الحائك : لأن البراز يعرف جلته ، والحائك يعرف جلته وتفصيله ، لأنه أخرجه من الغزلية إلى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السباحة في شراء الحمر للأضياف بالشجاعة في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردي ليجانسه : ولما كان وجه المنهزم لا يغلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية : قلت * ووجهك وضاح وتفرك باسم * لأجمع بين التضاد في المعنى . فأعجب سيف الدولة بقوله ووصله بخمسين دينارا من دنانير الصلات وفيها خمسمائة دينار . قال الواحدى : ولا تطابق بين الصدر والعجز أحسن من يقيق للتنبى ، لأن قوله * كأنك في جفن الردي وهو نائم * هو معنى قوله * وقفت وما في الموت شك لواقف * فلا معدل لهذا العجز عن هذا الصدر ، لأن النائم إذا أطبق جفنه أحاط بما تحته ، فكأن الموت قد أظله من كل مكان كما يحقق الجفن بما يتضمنه من جميع جهاته ، فهذا هو حقيقة الموت . وقوله « تمر بك الأبطال » هو النهاية في التطابق للمكان الذي تكلم فيه الأبطال فتكلح وتعبس . وقوله « ووجهك وضاح » لاحتقار الأمر العظيم .

(١) كلمى : جمع كلم ، بمعنى جريح . وهزيمة : أى منهزمة . وهو من باب فعل بمعنى مفعول ، والناء فيه للجمع ، على مذهب البصريين ، ووضاح : مشرق ، والمعنى ، ظاهر ، ولكن الإمام العكبرى أبى إلا أن يفسر البيت بعبارته المسجوعة الجميلة ، قال : أى تمر بك الجرحى من الأبطال منهزمين ، وكلمى مستسلمين ، وذلك لا يثنى عزملك ، ولا يضعف نفسك ، بل كنت حينئذ وضاحا غير متخوف ، وبساما غير متضجر ، وانقأ من الله نصره ، متيقنا بما وصلك به من جميل صنعه ، قال : وهذا كما قال مسلم بن الوليد :

يَفْتَرُّ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْجَرْبِ مُبْتَسِمًا إِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُهُ الْفَارِسُ الْبَطْلُ

تَجَاوَزْتَ مِقْدَارَ الشَّجَاعَةِ وَالْثَمَى
إِلَى قَوْلِ قَوْمٍ أَنْتَ بِالْغَيْبِ عَالِمٌ^(١)
صَمَّمْتَ جَنَاحَهُمْ عَلَى الْقَلْبِ ضِمَّةً^(٢) تَمُوتُ الْخَوَافِي تَحْتَهَا وَالْقَوَادِمُ^(٣)
بِضَرْبِ أُنَى الْهَامَاتِ وَالنَّصْرِ غَائِبُ^(٤) وَصَارَ إِلَى اللَّبَاتِ وَالنَّصْرِ قَادِمُ^(٥)

(١) التمسى : جمع نسيمة ، وهى العقل ، وإلى قول قوم : صلة « تجاوزت » ، وتتممة البيت : مفعول القول . يقول : أظهرت من إقدامك وعزمك وجلدك على المخاوف ما تجاوزت به حد الشجاعة والعقل إلى ما يقول قوم من أنك تعلم الغيب وتعرف أعقاب الأمور قبل حلولها : يعنى أن ما اقتحمته من الأهوال لا تثبت أمامه شجاعة وما أظهرته من الصبر ورباطة الجأش لا يكتفى في مثله العقل والرصانة ، فكأنك قد كوشفت بالغيب وعرفت أن العاقبة لك ، فلبثت في تلك الحال وضاحا بسبما لا تسكرت لما تراه حولك من الأهوال : قال ابن جنى في تعليقاته على هذا البيت : في آخره بعض التناثر لأوله ، لأن الشجاعة لا تذكر مع علم الغيب ، ولولا أنه ذكر العقل لكان أشد تباينا ، لأن العاقل عارف بأعقاب الأمور ، ولو كان موضع الشجاعة الفطنة : لكان أليق بعلم الغيب إلا أنه كان في ذكر الحرب وكانت الشجاعة من ألفاظ وصفها ويجوز أن يكون ذكر الشجاعة مع علم الغيب ؛ لأنه كان قد عرف ما يصير إليه فشجع ولم يحذر الموت .

(٢) بريد بالجناحين ؛ ميمنة الجيش وميسرته ، وهما جانبى العسكر . ولما سماهما جناحين ؛ جعل رجالهما خوافى وقوادم ؛ والجناح : يشتمل على القوادم وهى من الريش ما فوق الخوافى ، قيل إنها عشر ريشات في مقدم جناح الطائر ، وعليها معوله في طيرانه والخوافى : ما تحت القوادم . يقول : لففت جناحى العسكر - عسكر الروم - على القلب فأهلكك الجميع ، وقوله تموت الخوافى تحتها : أى تموت تحت مثل هذه الضمة ، ولذلك عبر بالمضارع .

(٣) بضرب : متعلق بضممت ، والهومات : الروس ؛ واللبات : النحور . بريد سرعة انتصاره عليهم ، يقول : لم يك إلا حملة بالسيوف وقعت على هاماتهم والجيشان واقفان لا يتحقق النصر لأحدهما ، فما بلغت من الهامات إلى اللبات حتى انهزموا فكان النصر لك ، وقال ابن جنى : إذا ضربت عدوا فحصل سيفك في رأسه لم تمتد ذلك نصرا ولا ظفرا : فإذا فلق السيف رأسه فصار إلى لبته ، فحينئذ يكون ذلك عندك نصرا ولا يرضيك مادونه . وبعبارة ابن فورجة : - وهى في عراض ما قلناه - إنما غدا

حَفَرْتَ الرُّدَيْنِيَّاتِ حَتَّى طَرَحْتَهَا وَحَتَّى كَانَ السَّيْفُ لِلرُّمَحِ شَاتِمًا^(١)
وَمَنْ طَلَبَ الْفَتْحَ الْجَلِيلَ فَإِنَّمَا
مَفَاتِيحُهُ الْبَيْضُ الْخِلَافُ الصَّوَارِمُ^(٢)
نَثَرَتْهُمْ فَوْقَ الْأَحْيَادِ كُلِّهِ
كَأَنَّ نَثَرَتْ فَوْقَ الْمُرُوسِ الدَّرَاهِمُ^(٣)
تَدُوسُ بِكَ الْخَيْلُ الْوُكُورَ عَلَى الذَّرَى
وَقَدْ كَثُرَتْ حَوْلَ الْوُكُورِ الْمَطَاعِمُ^(٤)

أبو الطيب سرعة وقوع النصر وأنه لم يلبث إلا قدر وصول السيف للضروب به من الهامة إلى اللبة ، كأنه يقول : نازلت العدو والنصر غائب ، وضربتهم بالسيف وقد قدم النصر .
(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة بالجماعة كانت هي وزوجها يعملان الرماح . يقول : تركت القتال بالرماح وازدريتها لأنها سلاح الجبناء أما سلاح الشجعان فهو السيف . لاقتضائه مقاربة ما بين الفريقين في القتال ؛ لهذا عمدت إليه واخترتة ؛ ولما آثرت السيف على الرمح في القتال صار كأن السيف يعير الرمح لأنه يطعن من بعيد ، والسيف من قريب ، فكأنه يسبه بالضعف وقلة الغناء . وعبرة العكبري - التي لا تخرج عن هذا وإنما نوردتها لجمالها - قال : إنك طرحت الرماح واستقلقت فعلها ، وعدلت إلى السيوف عالما بفضلها ، واعتمدتها لخبرتك بأمرها ، فكأنها شتمت الرماح بتصغيرها لشأنها وأهانتها تسخطاً لفعلها :

(٢) البيض : السيوف ؛ والخفاف : الرهفة ؛ والصوارم : القواطع ؛ ومفاتيحه : أي مفاتيح الفتح .

(٣) الأحياد : جبل الحدث . ونثرهم : فرقهم . يقول : نثر جشهم فوق هذا الجبل كما تنثر الدراهم على العروس ، يعني تفرقت مصارعهم على هذا الجبل كما تفرق مواقع الدراهم إذا نثر ، قال العكبري : وهذا من محاسن أبي الطيب ، وقد أشار بهذا إلى أن سيف الدولة تحكم في الروم قتلاً وأسراً ، وبتر جيشهم فوق هذا الجبل نثراً .

(٤) وكر الطائر : موضع مبيته ؛ والجمع : وكور ؛ والذرى : أعالي الجبال ؛ يقول : إنك تنبهم بخيلك في ردوس الجبال حيث وكور جوارح الطير فتقتلهم هناك حتى تسكثر مطاعم الطير حول وكورها . وعبرة بعض الشراح : تدوس بك الخيل في آثار الروم وكور الطير في ردوس الجبال وقتن الأوعار وقد كثرت الجثث من القتل حول الوكور

تُظَنُّ فِرَاحُ الْفُتُخِ أُنْكَ زُرْتَهَا بِأَمَانَتِهَا وَفِي الْعِتَاقِ الصَّلَادِمُ^(١)
 إِذَا زَلَقْتَ مَشْيَتَهَا يَبْطُونُهَا كَمَا تَتَمَشَّى فِي الصَّعِيدِ الْأَرَاقِمُ^(٢)
 أَيْ كُلِّ يَوْمٍ ذَا الدَّمِشْقُ مُقَدِّمٌ قَفَاهُ عَلَى الْأَقْدَامِ لِلْوَجْهِ لَا تَمُ^(٣)
 أَيْنَكِرُ رِيحَ اللَّيْلِ حَتَّى يَذُوقَهُ وَقَدْ عَرَفَتْ رِيحَ اللَّيْثِ الْبَهَائِمُ^(٤)

بكثرة من قتلته هنالك فرسانك ومن أهلكه من الروم جيشك وغلماذك ، وأشار بذلك - أى كثرة الجثث حول وكور الطير مع انتزاع مواضعها وامتناع أماكنها - إلى ما كان الروم عليه من شدة الحرب . وما كان أصحاب سيف الدولة عليه من قوة الطلب . وأنهم قتلوه في رءوس الجبال ، وأدركوه في أبعد غايات الأوعار .

(١) الفتخ : جمع فتخ ، إناث العقبان ، سميت بذلك لطول جناحها ولينه في الطيران والفتخ : لين المفاصل . والألمات : جمع أم فيما لا يعقل ، وقد جاء فيه أمهات حملا على من يعقل : والعناق : كرام الخيل ؛ والصلادم : جمع صلد ، وهى الفرس الشديدة الصلبة . يقول : تظن فراخ العقبان - لما صعدت خيلك الجبال وبلغت أوكارها - أنها أمهاتها ؛ يعنى أن خيلك كالعقبان شدة وسرعة وضمراً ، كما قال :

نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَصْعَدُونَ بَيْنَ مَنَاكِبِ الْعَقْبَانِ
 وقال ابن الأثير : تظن فراخ العقبان - لكثرة ما صيرت حول وكورها من جثث القتلى - أنك زرتها بأمانتها فأمدها بمطاعمها وأقواتها ، وإنما فعل ذلك صلام خيلك ، وكثرة كتائب جيشك .

(٢) الصعيد : وجه الأرض ؛ والأراقم : الحيات فيها سواد وبياض . يقول : إذا زلقت الخيل فى صعودها الجبال جعلتها تمشى على بطونها فى تلك المزلق مشى الحيات على بطونها فى الصعيد ، يصف صعوبة مراقبتها فى الجبال .

(٣) الدمستق . صاحب جيش الروم ، وأقدم : خلاف أدبر . وقوله قفاه - إلى آخر البيت - حال من الضمير فى « مقدم » . يقول : أكل يوم يقدم عليك الدمستق ، ثم يفر فيلوم قفاه وجهه على إقدامه قائلاً له : لم أقدمت حتى عرضتني للضرب بهزيمتك ؟ وذلك أن إقدامه سبب هزيمته والضرب فى قفاه

(٤) الليث : الأسد . ويذوقه : معناه يحربه ويختبره - يقال ذاق ما عند فلان : أى جربه - والضمير : لليث . يشبر إلى أن الدمستق أجمل من البهائم لأن البهائم إذا شمّت ريح الأسد وقفت ولم تتقدم وهذا على طريق التمثيل ، والمعنى أنه يسمع خبر سيف الدولة ، ويبلغ

وَقَدْ فَجَعْتُهُ بِابْنِهِ وَأَبْنِ صِهْرِهِ وَبِالصَّهْرِ حَمَلَاتُ الْأَمِيرِ الْغَوَاشِمِ^(١)
مَضَى شَكْرُ الْأَصْحَابِ فِي قُوْتِهِ الظُّبَيِّ

بِمَا شَفَلَتْهَا هَامُهُمْ وَالْمَعَاصِمُ^(٢)
وَيَفْتِمُ صَوْتَ الْمَشْرِقِيَّةِ فِيهِمْ^(٣) حَتَّى أَنْ أَصْوَاتِ السَّيُوفِ أَعَاجِمُ^(٤)
يُسْرُهُ بِمَا أَعْطَاكَ لَا عَنْ جِهَالَةٍ وَلَكِنْ مَغْنُومًا نَجَا مِنْكَ غَانِمُ^(٥)

شجاعته ، فبأنه مقاتلاً ثم ينهزم ؛ ولو هو خام عن اللقاء وانهزم من غير قتال لكان
أحزم .

(١) فجعه : رزاه بشيء يكرم عليه . وجمع فعلة : فعلات . بفتح العين في الصحيح .
وإنما أسكن اليم من حملات ضرورة . والصر : أهل بيت المرأة ؛ ولا يقال لأهل
بيت الرجل إلا أختان ، وأهل بيت المرأة أصهار ، يقال صاهرت القوم : إذا تزوجت
فيهم وأصهرت بهم : إذا اتصلت بهم وتحمرت بجوار أو نسب أو تزوج ، وقال ابن الأعرابي
الصر : زوج بنت الرجل وزوج أخته ، والختن : أبو امرأة الرجل وأخو امرأته .
ومن العرب من يجعلهم أصهاراً كلهم ، ومن العرب من يجعل الصهر من الأسماء
والأختان جميعاً ، والغواشم : التي لا تبالي من أخذت ؛ يقول : هلا اعتبر بمن رزته
من هؤلاء فلا يجترأ على العود إلى الإقدام ؛ وعبارة العكبري : يريد أن حملات سيف
الدولة فجعت الدمستق بآبائه وأصهاره ، وهو لا يرتدع بحملاته الغواشم للأقران ،
الغواصب لا نفس الفرسان ، فما للدمستق لا يكفه عن التعرض لهما أسلف سيف الدولة
من الإيقاع ؟

(٢) الظبي : جمع ظبية ، حد السيف ، والهام : الرءوس ؛ والمعاصم : جمع معصم ؛
أطراف السواعد . يقول : انهزم وهو يشكر أصحابه لأن السيوف اشتغلت بهم عنه ،
فكانهم وقوه السيوف برؤسهم وأيديهم حتى سبق وفات السيوف .

(٣) المشرقية : السيوف . قال أهل اللغة : المشارف : قرى من أرض اليمن ، وقيل
من أرض العرب تدنو من الريف ، والسيوف المشرقية : منسوبة إليها ، يقال سيف مشرفي
ولا يقال مشارفي ، لأن الجمع لا ينسب إليه إذا كان على هذا الوزن لا يقال مهالي ولا
جعافري ولا عباقرى . يقول : إذا سمع الدمستق صوت وقع السيوف في أصحابه فهم أنهم
تقتلهم ، فجذ في الحرب ، مع أن أصوات السيوف عجباء : أي ليست ذات لفظ يفهم
والغنى إذا سمع صليل السيوف علم أنهم مقتولون .

(٤) يقول : إن الدمستق يسر بما أخذه من أصحابه وأمتعته وأسلحته وعدته

وَلَسْتَ مَلِيكًا هَازِمًا لِنَظِيرِهِ وَلَكِنَّكَ التَّوْحِيدُ الشَّرِكُ هَازِمٌ^(١)
تَشْرَفُ عَدْنَانٌ بِهِ لَا رَيْبَةَ وَتَفْتَخِرُ الدُّنْيَا بِهِ لَا الْعَوَاصِمُ^(٢)
لَكَ الْحَمْدُ فِي الدُّرِّ الَّذِي لِي لَفْظُهُ فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ وَإِنِّي نَاطِمٌ^(٣)
وَإِنِّي لَتَمْدُو بِي عَطَايَاكَ فِي الْوَغَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ^(٤)
حَلَّى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِي مِسْمَعِهِ الْغَمَاجِمُ^(٥)

لأن هذه الأشياء كانت كالفداء له ؛ إذ نجما هو واشتغل عسكري بها عنه ، وليس سروره جهلا بحالته ، وإن الذي انتهت أمواله ليس من شأنه أن يسر ، ولكنه حين نجما برأسه غانم وإن كان مغنوماً : أى لايبالي بغيره إذا نجما هو ، لأن السلوب إذا سلم منك بسلبه فهو سالب . قال العكبري ؛ وهذا مثل قول بسطام ابن قيس في المثل : السلامة إحدى الغنيمتين .

(١) التوحيد : خبر أول لـ «سكن» ؛ وهازم : خبر ثان . يقول : لست في هزمك الدمستق ملكا هزم ملكا مثله ، ولكنك التوحيد قد هزم الشرك ، لأنك سيف الإسلام وزعيمه ، والدمستق عماد أهل الشرك وقوامه ، فكلما كازعيم ملته .

(٢) الضمير في «به» : للمليك : قال العكبري : ولو كان بدل الماء «كاف» لكان أجود حتى يكون غاطبا . وعدنان : أبو العرب : وريبعة : بطن من عدنان ، وهى قبيلة سيف الدولة ، والعواصم : بلاد قصبتها إنطاكية . يقول : إن جميع العرب يفتخرون بك لرجوعك بالنسب إليهم ، وليس يفتخرك رهطك فقط ، وأنت غفر لجميع الدنيا لا لبلاد مخصوصة — بلاده — لأنك أشرف أهل الدنيا .

(٣) يريد بالدر : شعره . يقول : المعانى لك واللفظ لى ، فأنت تعطينى المعانى بأفعالك ومناقبك ، وأنا أنظمها بتقييدها فيه ، وفى مثل هذا يقول ابن الرومى :

وَدُونِكَ مِنْ أَقَاوِيلِ مَدِيحًا غَدَا لَكَ دُرُّهُ وَلِيَّ النِّظَامُ

(٤) تعدو : تجرى وتسرع . والوغى : الحرب . يقول : إني أمتطى في الغزو خيلك التى أعطيتها ، فلست مذموما فى أخذها ، لأنى شاكر أياديك ناشر ذكرك ، ولست أنت نادما على ما أعطيتنى ، لقياى بحق ما أوليتنى .

(٥) «على» صلة تعدو ؛ ولك أن تجعلها من صلة «نادما» : أى لست نادما على هبتك لى كل فرس طيار ، وأن تجعلها من صلة محذوف دل عليه ما تقدم كأنه قال : أقصد الوغى على كل فرس إذا سمع صوت الأبطال فى الحرب طار إليها برجله عوض الجناح ،

أَلَا أَيُّهَا السَّيْفُ الَّذِي لَيْسَ مُقَمِّدًا وَلَا فِيهِ مُرْتَابٌ وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ ^(١)
 هَنِيتًا لَضَرْبِ الْهَامِ وَالْمَجْدِ وَالْعَلَى وَرَاجِيكَ وَالْإِسْلَامَ أَنْتَ سَالِمٌ ^(٢)
 وَلَمْ لَا يَبْقِ الرَّحْمَنُ حَدِيثَكَ مَا وَفَى وَتَفْلِيقَهُ هَامَ الْعِدَا بِكَ دَائِمٌ ^(٣)

يريد شدة سرعته في العدو حتى كأن قوائمه أجنحة ، والغمام : الأصوات المختلطة هي أصوات المتحاربين ؛ وما أبدع قول ابن المعتز - ولعل بيت المتنبي ينظر إليه - :
 وليلٍ ككحل العين خضتُ ظلامه بأزرقَ كساعٍ وأخضرَ صَارِمٍ
 وطيارَةٍ بالرجل خوفًا كأنما تصافحُ رَضْرَاضَ الحمى بالجامحِ
 (١) يقول : أنت السيف لا يتضمنه غمد - إذ هو دائماً مجرد على أعدائه - وليس يرتاب - يشك - في هذا أحد ، ولا يعصم - لا يحمي ولا يمنع - منك - شيء لا حصن ولا حديد ، ويرى : لست وفيك ومنك .

(٢) الهام : الرؤوس . والعلی : الراتب العالية . وأنت سالم : فاعل هنيئاً ، وهي حال محذوفة العامل ، والأصل : ثبت هنيئاً : غذف الفعل وقامت الحال مقامه ؛ وقد تقدم في هذا الشرح القول على هنيئاً بأوفى من هذا . يقول : لتنهأ هذه المذكورات بسلاستك لأنك قوامها ، فضرب الهام أنت أحذق الناس به ، والمجد أنت أكسب الناس له ، والعلا أنت جامع شملها وراجى مكارمك التي لا تمطل بفضلها ، والإسلام لأنك أعزته .

(٣) لم : استفهام إنكار : وأصلها « لم » بفتح الليم فسكنها ، وهو مخصوص بالضرورة و « ما » من قوله « ما وقي » ظرفية زمانية ، وتفليقه : حال من الرحمن . يقول : لماذا لا يصونك الله سبحانه ما دامت صيالاته للأشياء - أي أبداً - وأنت سيفه الذي يصول به على أعدائه ؟

وقال : وقد ورد فرسان الثغور ومعهم رسول ملك الروم يطلب المهدنة ، وأنشده إياها بحضرتهم وقت دخولهم لثلاث عشرة بقين من المحرم سنة أربع وأربعين وثلثمائة :

أَرَاعَ كَذَا كُلَّ الْمُلُوكِ هَمَامُ ، وَسَحَّ لَهُ رُسُلَ الْمُلُوكِ غَمَامُ^(١)
وَدَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا فَأَصْبَحَ جَالِسًا ، وَأَيَّامُهَا فِيمَا يُرِيدُ قِيَامُ^(٢)
إِذَا زَارَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ الرُّومَ غَازِيَا كَفَاهَا لِمَامُ لَوْ كَفَاهُ لِمَامُ^(٣)
فَتَى تَتَّبِعُ الْأَزْمَانَ فِي النَّاسِ خَطْوَهُ
لِكُلِّ زَمَانٍ فِي يَدَيْهِ زِمَامُ^(٤)

(١) راع : أفزع وخوف ؛ والاستفهام استفهام تعجب ؛ وكذا : نائب مفعول مطلق : أى روعا كهذا الروع الذى أرى ! والهمام الملك العظيم الهمة . وسح الماء : صبه . يقول : هل راع ملك جميع الخلق كما أرى من روعك إياهم ؟ وهل تقاطرت رسل الملوك على ملك كما تقاطرت عليك ؟ وجعل توالى الرسل إلى حضرته كسح الغمام ، يعنى هل أفزع ملك قبله كل الملوك فرعا دعاهم إلى الخضوع له والاستجارة به وتتابع رسلهم عليه حتى كأنها مطر يصبه غمام ؟
(٢) دانت : أطاعت . وقيام : أى قائمة - كأنه من باب صاحب وصحاب - يقول : هل أطاعت الدنيا أحدا كما أطاعته وخضعت له ، فأصبح جالسا لا يسى فى تحصيل مراد وقامت الأيام تسمى فى تحصيل ما يريد ؟
(٣) اللام : الزيارة القليلة ، قال جرير :

بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عَلَى مَنْ زِيَارَتُهُ لِمَامُ

يقول : إذا غزاهم كفاهم أدنى نزول منه بأرضهم لو اكتفى هو بذلك ، لكنه لا يكتفى حتى يبلغ أقصى بلادهم .

(٤) الأزمان : جمع زمن ، وزمن مقصور من زمان ، وفى الناس : صلة « تتبع » ، والخطو : نقل القدم أو الزمام : ماتقاد به الدابة يقول : إن الزمان يتبعه ويجرى فى الناس على مراده : فمن أحسن هو إليه أحسن إليه الزمان ، ومن أساء إليه أساء إليه الزمان ، حتى كأن لكل زمان زماما فى يده يقوده به كما يشاء . يشير إلى قوة سعيه وإقبال جده .

تَنَامُ لَدَيْكَ الرُّسُلُ أَمْنًا وَغِيْطَةً ، وَأَجْفَانُ رَبِّ الرُّسُلِ لَيْسَ تَنَامُ ^(١)
 حِذَارًا لِمُرُورِ الْجِيَادِ فَجَاءَةً إِلَى الطُّغْنِ قَبْلًا مَا لَهْنٌ لِحِلَامٍ ^(٢)
 تَعْطَفُ فِيهِ وَالْأَعْنَةُ شَعْرُهَا ، وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسَّيَاطُ كَلَامُ ^(٣)
 وَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلَ الْكِرَامُ وَلَا الْقَنَاءُ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكِرَامِ كِرَامُ ^(٤)
 إِلَى كَمْ تَرُدُّ الرُّسُلَ عَمَّا أَتَوَالَهُ كَأَنَّهُمْ فِيمَا وَهَبَتْ مَلَامُ ^(٥)

(١) العبطة : حسن الحال . يقول : إنك تحسن إليهم وترعاهم ، فهم آمنون ما كانوا عندك والذين أرسلوهم إليك يخافونك ، لأنهم ليسوا على أمان منك ، فلا تنام أجفانهم خوفا منك ، وقد بين ذلك في البيت التالى . هذا : ولناسبة « ليس » من قوله ليس تنام ، قال العكبرى : « ليس » هنا تحتل أمرين : أحدهما أن يكون استعمالها استعمال « ما » : كقول العرب : ليس الطيب إلا المسك فيما حكاه سيدييه ، والثانى أن يكون فى « ليس » ضمير ، وحذف تاء التأنيث ضرورة ، والأجود أن تكون بمعنى « ما » فتخلو من الضمير ، لأنه إذا جعلها فعلا ماضيا فالواجب أن يقول : ليست تنام .

(٢) حذارا : مفعول له ، وهو مصدر حاذر ، واعرورى الفرس : ركه عريانا : وقوله إلى الطمن : متعلق بمرورى . والقبل : جمع أقبل وقبلاء ؛ وهو الذى أقبلت إحدى عينيه على الأخرى تشاوسا وعزة نفس ؛ وقيل معنى قبلا ههنا : مقبلة ؛ تقول أقبلت قبله : أى قصدت نحوه . يقول : هم لا ينامون حذرا من سيف الدولة الذى يركب الخيل عريا إلى الحرب : يعنى لا يتوقف إلى أن تسرج وتلجم إذا دعت الحرب إلى ركبها .

(٣) الضمير من « فيه » فى للصراعين : للطمن المذكور فى البيت السابق والأعنة . جمع عنان ، سير اللجام . والسياط : جمع سوط ، ما يضرب به الراكب . يقول : إن خيله مؤدبة إذا قيدت بشعرها اتقادت كما تنقاد بالعنان ، وإذا زجرت بالكلام قام ذلك مقام السياط ، قال العكبرى أراد : أن يقول والأعنة معارفها ، فصارح له الوزن ولو صح لكان حسنا ، وإنما اكتفى بشعرها ومراده المعارف .

(٤) القنا : الرماح . يقول : لا غناء إلا بالرجال والفرسان ؛ فليس تنفع كرام الخيل ولا صم الرماح إذا لم يصرفها من الأبطال كرام .

(٥) فيما وهبت : متعلق بعلام . يقول : إنك تردهم عما يطلبون من الهدنة ردك لوم

وَإِنْ كُنْتَ لَا تُعْطِي الدَّمَامَ طَوَاعَةً
وَإِنْ نَفُوسًا أَمَّنْتَكَ مَنِيعةً
إِذَا خَافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِكٍ أَجْرَتُهُ
لَهُمْ عَنْكَ بِالْبَيْضِ الْخَفَافِ تَفَرُّقٌ
تَفَرُّ حَالَاوَاتُ النَّفُوسِ قُلُوبَهَا
وَشَرُّ الْحَمَامِينَ الزَّوَامِينَ عَيْشَةً
فَمَوْذُ الْأَعَادِي بِالْكَرِيمِ ذِمَامٌ^(١)
وَإِنْ دِمَاءٌ أَمَلْتَكَ حَرَامٌ^(٢)
وَسَيْفَكَ خَافُوا وَالْجَوَارَ نُسَامٌ^(٣)
وَحَوْلَكَ بِالْكَتَبِ اللَّطَافِ زِحَامٌ^(٤)
فَتَخْتَارُ بَعْضَ الْعَيْشِ وَهُوَ حِمَامٌ^(٥)
يَذِلُّ الَّذِي يَخْتَارُهَا وَيُضَامُ^(٦)

اللائمين لك في العطاء : أى كما أنك لا تصنى إلى ملامة لأثم فى سخائك . فكذلك لا تقبل الهدنة ، وهذا هو للدح الوجه .

(١) الذمام : العهد ؛ وطواعة : حال : أى طائفاً . وعاذ به عوداً لجأ . يقول : إن كنت لا تعطى الروم عهداً وصلحاً طواعة فليأذم بك يوجب لهم الذمام ، لأن من لاذ بالكريم وجبت له الذمة ، وإن كان عدواً : أى فقد حصل لهم ما طلبوا وإن لم تعطهم . ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٢) أمتك : قصدتك . والحرام : الذى لا يستباح . يقول : إن من قصدك راجياً صار منيعاً بقصدك وحرمت إراقة دمه ؛ لأنها قد دخلت فى حرمتك وراحيك لا يضيع .
(٣) الملك والمليك : واحد . وسيفك : مفعول خافوا ، والواو : للحال . ونسام : تكلف ؛ والجوار : مفعول ثان لنسام . يقول : إذا خاف ملك من ملك أجرت الخائف وهم - الروم - إنما خافوا سيفك وسألوك أن تجبرهم منه ، وإذا كنت تجبر من غيرك فأنت بأن تجبر من نفسك أولى

(٤) البيض الخفاف : السيوف ، يقول : هم لا يحاربونك بسيوفهم ، بل يفرقون بها عنك منهزمين ، ويزدحمون عليك بالكتب اللطيفة الأسلوب التى يتلفنون فيها أسألتك ويتضرعون إليك ، يشير إلى عجزهم عن مقاومته فى الحرب وازدحامهم عليه فى السلم .

(٥) الضمير من « قلوبها » : للنفوس ؛ والحمام : الموت . يقول : إن حلاوة النفوس مر قلوب أربابها وتغريها بحب الحياة حتى تختار عيشاً فيه ذليلاً أو تختار الحرب خوف لقتل ، فمؤذلك العيش هو الموت فى الحقيقة ، بل هو شر من الموت ، كما ذكرنا فى البيت التالى .

(٦) الزوام : العاجل ، أو السريع الوحى المجهز ، وقيل الكريه . ويضام :

فَلَوْ كَانَ صُلْحًا لَمْ يَكُنْ بِشَفَاعَةٍ ، وَلَكِنَّهُ ذُلٌّ لَهُمْ وَغَرَامٌ^(١)
وَمَنْ لِفَرَسَانِ الثُّغُورِ عَلَيْهِمْ بِقَبْلِهِمْ مَا لَا يَكَادُ يَرَامُ^(٢)
كَتَائِبُ جَاءُوا خَاضِعِينَ فَأَقْدَمُوا ،
وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا خَاضِعِينَ بَلَّحُمَا^(٣)
وَعَزَّتْ قَدِيمًا فِي ذَرَاكَ خُيُومُهُمْ وَعَزُّوا وَهَامَتْ فِي نَدَاكَ وَعَامُوا^(٤)
حَلَّى وَجْهِكَ اللَّيْمُونَ فِي كُلِّ غَارَةٍ صَلَاةٌ تَوَالِي مِنْهُمْ وَسَلَامٌ^(٥)

يظلم : لما جعل عيش القليل موتا آخر ، قال : هو شر الموتين ؛ لما فيه من تحمل الضيم
وتجرح الدل والغيظ والمهوان .

(١) اسم « كان » يعود على قوله ما أتوا له ، والغرام : الشر الدائم لللازم ومالا
يستطاع أن يتفصى منه ، قال الله عز وجل « إن عذابها كان غراما » : أى ملحا دائما
ملازما . يقول : لو كان ما طلبوه مصالحة لما افتقروا إلى التشفع بفرسان الثغور ، لأن
الصالح أن ترغب فيه أنت أيضا ؛ ولكن طلبوا إليك أن تؤخر عنهم الحرب أياما ، فكان
ذلك ذلا لهم وعارا ملازما .

(٢) اللن - هنا - : النعمة . وفرسان الثغور : يريد بهم فرسان طرسوس وأذنة
والصيصة ، وكان الروم قد وسطوهم لدى سيف الدولة في طلب الهدنة وأن يؤخر عنهم
الحرب أياما ، وذلك مالا يكادون يقدرّون على طلبه إليه بأنفسهم ، فبلغهم ما كانوا
لا يظنون أنه يقع ، بفضل شجاعة هؤلاء الفرسان ، فلهؤلاء الفرسان المنة ، إذ بلغوهم ما لم
يكونوا ليلغوه بأنفسهم ، فقوله « ومن » عطف على « ذل » ؛ ويرام : يطلب .

(٣) الكتائب : جمع كتيبة ، الجماعة من الجيش . وخام عن اللقاء : جبن ونكص
على عقبيه . يقول : هؤلاء الفرسان كتائب جاءوا إليك خاضعين فأقدهوا - اجترءوا -
عليك بهذا الخضوع ، ولو لم يكونوا كذلك لجبنوا ولم يجسروا على لقاءك .

(٤) تقول هو في ذراه : أى في ظله وكنفه . يقول : إنهم تعودوا إحسانك قديما إذ
كانوا في كنفك وظلك وحمايتك تحسن إليهم حتى غرقوا في برك وإحسانك .

(٥) اليمون : ذو اليمن والبركة . والغبارة : الحرب . وتوالى : تتناح والمراد بالصلاة
والسلام : التعظيم . يقول : كلما سرت في غارة صلوا عليك وسلموا إعجابا بك وتعظيما
لما يعرفونه عنك من الشجاعة والإقدام وإن كانت الإغارة عليهم ، وهذا البيت - والذي
بعده - يؤكد البيت السابق .

وَكُلُّهُ أَتَانِسُ يَتَّبَعُونَ إِمَامَهُمْ ، وَأَنْتَ لِأَهْلِ الْكُرُمَاتِ إِمَامٌ^(١)
وَرُبَّ جَوَابٍ عَنْ كِتَابٍ بِمَثْنَةٍ ، وَعُنْوَانُهُ لِلنَّاطِلِينَ قَتَامٌ^(٢)
تَضِيقُ بِهِ الْبَيْدَاءُ مِنْ قَبْلِ نَشْرِهِ ، وَمَا فَضٌّ بِالْبَيْدَاءِ عَنْهُ خِتَامٌ^(٣)
حُرُوفُ هِجَاءِ النَّاسِ فِيهِ ثَلَاثَةٌ جَوَادٌ وَرُمَحٌ ذَابِلٌ وَحُسَامٌ^(٤)

(١) يقول : إن الكوام يقتدون به لأنه إمامهم .

(٢) القتام : الغبار ؛ وأراد بالجواب : الجيش . يقول : رب جيش أقمته مقام جواب كتاب كتب به إليك ، فصار غباره يدل عليه كما يدل العنوان على الكتاب . هذا : وعنوان الكتاب ما يعرف به سمى كذلك لأنه يعين الكتاب من ناحيته - أى يعرض - وأصله عنان - كرمان - وكلما استدلت بشيء تظهر على غيره فهو عنوان له كما قال حسان برئى عثمان :

ضَحَّوْا بِأَمْطِ عُنْوَانِ السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْيِيحًا وَقَرَأْنَا
وَالْعُنْوَانَ بِالضَّمِّ هِيَ اللَّفَّةُ الْفَصِيحَةُ ، قَالَ أَبُو دَوَادِ الرُّوَاسِي :
لَمَنْ طَلَّلْ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ بَيْطُنَ لُؤَاقٍ أَوْ بَطْنِ الذَّهَابِ^(١)
وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيُّ :

نَظَرْتُ إِلَى عُنْوَانِهِ فَنَبَذْتَهُ كَنَبْذِكَ نَمَلًا أَخْلَقْتَ مِنْ نِمَالِكَا
قَالَ اللَّيْثُ : وَالْعُنْوَانُ - لُغَةٌ فِي الْعُنْوَانِ - : غَيْرُ جَيِّدَةٍ ؛ وَقَدْ يُقَالُ عُنْوَانٌ وَعُنْيَانٌ .
(٣) الْبَيْدَاءُ الْأَرْضُ الْفَقْرَةُ الْبَعِيدَةُ . وَالنَّشْرُ : خِلَافُ الطِّيِّ . وَخِتَامُ الْكِتَابِ : الْطَائِفَةُ
الَّتِي يَخْتَمُ بِهَا . وَفَضُّهُ : كَسَرُهُ . يَقُولُ : تَضِيقُ الْبَيْدَاءُ هَذَا الْجَوَابَ وَلَمْ يَنْشُرْ وَلَمْ يَفْضْ
عَنْهُ الْخِتَامَ ؛ يَعْنِي أَنَّهُ جَيْشٌ كَثِيرٌ تَضِيقُ بِهِ الْأَرْضُ الْوَادِعَةَ قَبْلَ انْتِشَارِهِ ، فَكَيْفَ إِذَا
انْتَشَرَ وَتَفَرَّقَ لِلْحَرْبِ وَالْفَارَةِ ؟ وَقَدْ اسْتَعَارَ الْفَضُّ وَالْخِتَامَ وَهِيَ لِلْكِتَابِ وَالْجَوَابِ لِمَا جَمَلَ
الْجَيْشُ كِتَابًا وَجَوَابًا ، وَهُوَ تَخِيلٌ بِدَيْعِ رَائِعٍ :

(٤) الْجَوَادُ : الْفَرَسُ الْكَرِيمُ . وَالرَّمَحُ الذَّابِلُ : اللَّيْنُ الْحَسَامُ : السِّيفُ الْقَاطِعُ
لِمَا جَمَلَ الْجَيْشُ جَوَابًا جَمَلَ حُرُوفَ هِجَائِهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ ؛ أَيْ أَنَّهُ أَلْفٌ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
كَمَا يُؤَلَّفُ الْجَوَابُ مِنْ حُرُوفِ الْهِجَاءِ .

(١) هذا هو النص المصرح لهذا البيت ولواق : أرض معروفة ،
والذهاب : موضع .

(٨ - القنبي ٤)

أَذَا الْحَرْبِ قَدْ أَتَمَّبَتْهَا قَالَهُ سَاعَةً
وَأَنَّ طَالَ أَعْمَارُ الرِّمَاحِ بِهَذْنَةٍ ،
وَمَا زِلْتَ تَفْنِي الشُّمْرَ وَنَحْيَ كَثِيرَةً ،
مَتَى عَاوَدَ الْجَالُونَ عَاوَدْتَ أَرْضَهُمْ ،
وَرَبُّوْا لَكَ الْأَوْلَادَ حَتَّى تُصِيبَهَا ،
لِيُفَمِّدَ نَصْلُ أَوْ يُجَلَّ حِزَامٌ (١)
فَإِنَّ الَّذِي يَفْتَمِرْنَ عِنْدَكَ عَامٌ (٢)
وَتَفْنِي بَيْنَ الْجَيْشِ وَهُوَ لُحَامٌ (٣)
وَفِيهَا رِقَابٌ لِلشُّيُوفِ وَهَامٌ (٤)
وَقَدْ كَعَبَتْ بِنْتُ وَشَبٍّ غُلَامٌ (٥)

(١) إذا الحرب : أى ياساحب الحرب ؛ و يروى : أخوا الحرب : يقال هو أخو كذا أى ملازم له معروف به . ولحق الرجل عن الشيء من باب علم اشتغل عنه وتركه . يقول لقد أتت الحرب ، أى أتت أهلها بكثرة الغارات وملازمتها ، فأتى كها ساعة حتى تغمد الفرسان سيوفها وتخل حزم الخيل ،

(٢) عمر الرجل يعمر - من باب فهم - : أى طال عمره . يقول : إن سلمت الرماح من التكسر بترك استعمالها فى الحرب بالهدنة بين الفريقين فقصاراها أن تبقى عندك عاما واحدا ، لأنك لاتهادن العدو أكثر من هذه المدة ، وعبرة العكبرى : إن أعمار الرماح عند غيرك دعة تطول واتساع هدنة ، وغاية أعمارها عندك عام لاتتجاوزها ، لأن الانكسار يسرع إليها بدوامتك الطعن وأمد مهادتتك للروم عام ثم تعود إلى حربهم على عادتك ، وتكسر الرماح فيهم على سجيبتك ، وما تترك عادتك :

(٣) السمر : الرماح ، واللهم : الكثير الذى يلهم كل شيء . يقول : مازلت تفنى الرماح بكثرة استعمالها فى وقائعك مع كثرتها ، وتفنى بفنائها الجيش الكثير من الأعداء

(٤) الجالون : النازحون الذين أخرجوا من ديارهم ، واللهم : الرأس ، يقول : متى عاد الروم - الذين تركوا ديارهم خوفا منك بالهدنة التى أجبتهم إليها - إلى أوطانهم عاودت أنت تلك الأوطان بالغزو وقد توفر لسيوفك ما تقطعه من الرقاب والرؤس ، (٥) الكاعب : الذى قد بدا نديها للنهود : يقول لما هربوا منك وجلوا عن منازلهم

ربو أولادهم لئلا يسيهم ، وقد صارت البنت كاعبا والابن شابا أى صاروا بحيث يصلحان للسي قال العكبرى : يشير إلى أن مسألة سيف الدولة ضرب من التدبير ؛ لأنهم يباودون ما أخلوه من منازلهم فيكون ذلك أقرب لقتلهم وأمكن لسيهم : هذا : وقوله حتى تصيبها أى حتى تكون العقوبة إصابتك إياها ؛ على حد قوله تعالى « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم ، نوا وحزننا » ،

جَرَى مَعَكَ الْجَارُونَ حَتَّى إِذَا انْتَهَوْا

إِلَى النَّايَةِ الْقَصَى — وَى جَرَيْتَ وَقَامُوا^(١)

فَلَيْسَ لَشَمْسٍ مُذْ أَنْزَتْ إِنْارَةً ، وَلَيْسَ لِبَدْرٍ مُذْ تَمَّتْ تَمَامُ^(٢)

وَال يمدحه ويودعه ، وقد خرج إلى إقطاع قطعه إياه بناحية معرة النعمان :

أَيَا رَامِيًا يُضَيِّ فُوَادَ مَرَامِهِ تَرْبِي عِدَاهُ رِيشَهَا لِسِهَامِهِ^(٣)

أَسِيرُ إِلَى إِقْطَاعِهِ ، فِي ثِيَابِهِ عَلَى طَرَفِهِ ، مِنْ دَارِهِ ، بِحُسَامِهِ^(٤)

(١) يقول : جارك الملوك فيما نهجته من للكارم حتى إذا انتهوا إلى أقصى غاياتهم ووقفوا من الكلال متخلفين عنك جريت وحدك فسبقت غايتهم ، وأصل هذا في الخيل تجارى ، فإذا وى بعضها سبقه الذى لم يلحقه الكلال :

(٢) يقول : فليس لشمس منهم — من الملوك — إنارة مع ما يبدو من نورك ؛ ولا لبدر منهم تمام مع ما أتمه الله لك من الفضل : يعنى أن الملوك صغير كل كبير منهم عند قدرك وناقص كل من كان يتم منهم بالقياس إلى فضلك ، وعبرة بعض الشراح : أى من يشبه منهم بالشمس كسف بهاؤك مجده ، فلا إنارة له ، ومن يشبه منهم بالبدر ظهر نقصه عند ظهور فضلك :

(٣) الإصماء : إصابة للقتل فى الرمي — يقال رماه فأصماه : إذا أصاب ممتله . والرام : المطلب . يريد أنه حسن المحاولة لما يطلبه بصير بمواضع الظفر به ، كالرامي يصيب فؤاد مرميه فيقتله لساعته . وقوله ترى الخ أى أنه يغير على أعدائه فيأخذ أموالهم وعددهم ويستعين بها على إنفاذ بأسه فيهم فجعل ما يأخذه منهم كالريش ، وبأسه كالسهام التى لا تنفذ إلا بالريش الذى عليها . وقال ابن جنى : يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون يربون الريش فإذا تكامل رماه للمدوح بسهامه : أى أن الطائر يكون فرخاً فلا يكمل حتى يتم ريشه ، فهم يربونه إلى أن يصلح أن يصاد ، والآخر أن الأعداء يربون ريشهم ليأخذوه فيريش به سهامه فيكون فعلهم قوة له ، والعرب تكفى بالريش عن حسن الحال ، راش فلان فلانا ، كأنه جعل له ريشاً ينهض به .

(٤) يقال أقطعه أرض كذا : إذا جعل له غلتها رزقاً وإلإقطاع : اسم لتلك الأرض ، من التسمية بالمصدر . والطرف : الفرس الكريم . والحسام : السيف القاطع يقول : إن جميع ما أنصرف فيه ويضاف إلى من أرض وثياب وخيل ومنازل وسلاح فهو له ، وصل إلى من نعمته وقد أجل النابغة هذا المعنى فى قوله :

وَمَا مَطَرْتَنِيهِ مِنَ الْبَيْضِ وَالْقَنَّا وَرُومَ الْعَبْدِيِّ هَاطِلَاتُ حَمَامِهِ ^(١)
 فَتَى يَهَبُ الْإِقْلِيمَ بِالْمَالِ وَالْقَرَى وَمَنْ فِيهِ مِنْ فُرْسَانِهِ وَكِرَامِهِ ^(٢)
 وَيَجْمَلُ مَا خُوِّلَتْهُ مِنْ نَوَالِهِ جَزَاءَ لِمَا خُوِّلَتْهُ مِنْ كَلَامِهِ ^(٣)

وما أغفلتُ شكرَكَ فانتصحتني وكيف ومن عطائك جُلُّ مالى
 وقد فصله النابعة أيضا فقال :
 وَإِنْ تَلَادَى إِنْ نَظَرْتُ وَشِغْتِي ، ومُهرى وما ضمتُ إلى الأنايل
 حَبَاؤُكَ وَالْبَيْسُ الْعِتَاقُ كَأَنهَا هِجَانُ الْمَا تَرْدِي عَلَيْهَا الرَّحَائِلُ ^(١)
 وقال أبو نواس :

* وكلُّ خير عندنا من عنده *

(١) البيض : السيوف . والقنا : الرماح . والعبدى : العبيد ، جمع عبد . والغمام : السحاب ؛ وهاطلات : ساكات . يقول : وأسير كذلك فيما أمطرنى به سحاب جوده من السيوف والرماح يحملها العبيد الرومية : يعنى أنه وهبه العبيد بسلحها .
 (٢) الضمير فى «فرسانه وكرامه» : للإقليم . والإقليم : واحد أقاليم الأرض . قال ابن دريد : لا أحسب الإقليم عربيا ، وقال الأزهري : وأحسبه عربيا ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل إقليم معلوم كأنه سُمى إقليبا : لأنه مقلوم من الإقليم الذى يتاخذه : أى مقطوع .
 (٣) خوله كذا : ملكه إياه . والنوال : العطاء . يقول : إنه يجازينى بنواله إذا مدحته بما أستفيد من الادب من كلامه ، وهذا أغرب من قوله أبى تمام :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

قال بعض الشراح : يشير إلى قصة الواقعة التى ذكرها فى القصيدة التى مطلعها :
 طُولِال قَنَّا تَطَاعِنَهَا قَصْبَارُ وقطرك فى ندى ووغى بحار
 وكان سيف الدولة قد قص هذه الواقعة عليه فنظمها . يقول : أقطعنى هذه الأرض جزاء لما مدحته به فى القصيدة المذكورة ، وأنا إنما استفدت معانيها منه ونظمت فيها ما قص على من كلامه ، فالفضل فيها له ، لا لى .

(١) الشكة : ما يلبس من السلاح ، والجباء : العطاء ، والرديان : ضرب من السير بين العدو - الجرى - والثنى الشديد - وجملة عليها الرحائل : حال ؛ والرحائل : جمع رحالة ، سرج من جلود ليس فيه خشب كانوا يتخذونه للركض الشديد .

فَلَا زَالَتِ الشَّمْسُ الَّتِي فِي سَمَائِهِ مُطَالَعَةَ الشَّمْسِ الَّتِي فِي لِنَائِهِ ^(١)
وَلَا زَالَتِ تَجْتَازُ الْبَدُورُ بِوَجْهِهِ تَعَجَّبُ مِنْ نَقْصَانِهَا وَتَمَامِهِ ^(٢)

(١) أراد بالشمس التي في لثائه: وجهه . يقول : لا زال باقيا بقاء الشمس ، فكما طلعت في السماء كان وجهه طالعاً بإزائها ، وأضاف السماء إليه مبالغة في اللدح ، كما قال الفرزدق :

* لنا قراها والنجوم الطوالع *

وقال ابن جني : أضاف السماء إليه لإخراقتها عليه ، كما قال الآخر :

إِذَا كَوَكَبُ الْخُرْقَاءِ لَاحَ بِسُحْرَةٍ سُهَيْلٌ أَذَاعَتْ غَزْلَهَا فِي الْقِرَائِبِ ^(١)
أضاف الكوكب إليها لجدها في عملها عند طلوعه .

(٢) جمع البدر لأنه أراد بدركل شهر . وتعجب : أى تعجب . يقول : لا زال باقيا على توالى الأشهر تمر بدورها بوجهه فتظنه بدرا آخر لكأله ، ولكنها تعجب حين ترى أنها تنقص وهو لا يزال تاما .

(١) بعده :

وَقَالَتْ : سَمَاءُ الْبَيْتِ فَوْقَكَ مُنْهَجٌ وَلَمَّا تُبَسِّرُ أَحْبُلًا لِلرَّكَائِبِ

والخرقاء : المرأة التي لا تحسن عملا ، ومنه الخرقاء صاحبة ذى الرمة ، فإنه أول ما رآها أراد أن يستطعم كلامها فقدم إليها دلوا ، وقال أخرزها لى ، فقالت : إني خرقاء : أى لا أحسن عملا . قالوا : فأضاف الكوكب إلى الخرقاء بملابسة أنها لما فرطت في غزلها في الصيف ، ولم تستمد للشتاء استغزلت قرائها عند طلوع سهيل سحرا ، وهو زمان مجيء البرد ، فبسبب هذه الملابسة سمى سهيل كوكب الخرقاء . وسهيل : بدل أو عطف بيان لكوكب الخرقاء وأذاعت فرقت ، وجملة قالت في البيت الثاني عطف على « أذاعت » والسماء : السقف والمنهج من أنزع الثوب ، إذا أخذ في البلى وأجل : جمع جبل ، وهو الرسن ونحوه . والركائب : الإبل التي يسار عليها : أى وقالت لزوجها : سماء البيت فوق خلقى ولما تبسّر للركائب أحبلا فكيف تنتجع على هذه الحالة ؟

وأنشد سيف الدولة متمثلاً بقول النابغة :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ^(١)

* * *

فقال أبو الطيب مرتجلاً :

رَأَيْتُكَ تُوَسِّعُ الشُّعْرَاءُ نَيْلًا حَـدِيثَهُمُ الْمَوْلَدَ وَالْقَدِيمَا^(٢)

(١) كان سيف الدولة قد أرسل سرية ، ففزع الناس لحيل - جيش - لقيت السرية ببلد الروم فركب سيف الدولة وركب معه أبو الطيب ، فوجد السرية قد ظفرت . وأراه بعض العرب سيفه فنظر إلى الدم عليه وإلى فلول أصابته في ذلك اليوم ، فأنشد سيف الدولة متمثلاً ببيت النابغة الذي يأتي :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ بِهِنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
تُخَيِّرُنَ مِنْ أَرْزَامِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرُبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ
فقال أبو الطيب هذه الأبيات .

« والفلول : الثلوم ؛ والكتائب فرق الجيش . وتخيرن : أى أى السيوف . وحليمة : امرأة كانت تطعمهم إذا قاتلوا ؛ وفيها المثل للشهور : وما يوم حليمة بسر . وإلى اليوم : صلة تخيرن : وقد جربن : حال » والبيتان من قصيدته في عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بني غسان ومطلعها .

كَلَيْفَى لَهُمْ يَا أَمِيمَةً نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطْنِ الْكُوكَبِ

يمدح قومه يقول : لا عيب فيهم إلا أن سيوفهم مثلة من قراع الجيوش ، وهذا على الحقيقة فخر لهم ، وإذا لم يكن فيهم عيب إلا هذا فهو تأكيد لنفي العيب عنهم ، وهذا ما يعرف عند أهل البديع بتأكيد المدح بما يشبه الذم ، ثم قال في البيت التالي : هى من أجود السلاح تخيرها أسلافهم والذين من بعدهم ، من ذلك اليوم إلى يومنا هذا ، وقد جربت بكل وجه من وجوه التجارب : يعنى أنه لم يكن بها عيب ، فلما انتهت إلى نوبة المدوحين تثلث لما نالها من شدة القراع .

(٢) النيل : العطاء ؛ وأوسع العطاء ونحوه : بسطه : وكثره . وحديثهم بدل تفصيل من الشعراء . يقول : إنك توسع العطاء للشعراء المحدثين منهم والأقدمين ، ثم بين ذلك في البيت التالي .

فَتُعْطَى مَنْ بَقِيَ مَالًا جَسِيمًا وَتُعْطَى مَنْ مَضَى شَرَفًا عَظِيمًا ^(١)
تَمِمْتُكَ مُنْشِدًا بَيْتِي زِيَادٍ نَشِيدًا مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيمًا ^(٢)
فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ غَبِطْتُ بِذَلِكَ أَعْظَمَهُ الرَّيْمًا ^(٣)

وقال يمدحه، ويذكر إيقاعه بعمر بن حابس وبنى ضبة سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة
ولم ينشده إياها :

ذِكْرُ الصَّبِيِّ وَمَرَاجِعِ الْأَرَامِ جَلَبَتِ حِمَامِي قَبْلَ وَقْتِ حِمَامِي ^(٤)

(١) بقى - بفتح القاف - هى لغة طيء ، ومنه قول زيد الخيل الطائي :
لَعَمْرُكَ مَا أَخْشَى التَّصْمُكُ مَا بَقِيَ عَلَى الْأَرْضِ قَيْسِي يَسُوقُ الْأَبَاعِرَا
يقول : تعطى الباقيين منهم - أى الأحياء - عطاء جزيل ، والماضين شرفاً عظيماً
بأن تنشدا أعمارهم وتمثل بها استحساناً لها فيكون ذلك شرفاً عظيماً لهم .
(٢) زياد : اسم النابغة الذبياني ؛ والنابغة : لقب غلب عليه . ونشيداً مفعول مطلق ،
وضعه موضع الإنشاد .

(٣) القبضة : أن تتمنى مثل حال للقبوط من غير أن تريد زوالها عنه وليس بحسد ،
ورم العظم يرم زمة : بلى ، فهو رميم . وقوله أعظمه الرما : وصف الأعظم - وهى
جمع - بالمفرد ، لأن فعلاً وفِعْلاً يستوى فيهما الذكر والمؤنث والمفرد والجمع قال تعالى
« من يحيى العظام وهى رميم » . يقول : لم أنكر موضع زياد من الشعر وأنه أهل
لأن تنشده شعره لكنى غبطت عظامه البالية لما نالته بذلك من الشرف . هذا : ومما
يتصل بهذا الموقف ما يحكى أن المعتد بن عباد صاحب قرطبة وأشبيلية أنشد يوماً فى
مجلسه قول المتنبي :

وَمَا الْحُسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَى شَرَفَ لَهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعْلهِ وَالْخِلَاقِ
وجعل رده استحساناً له ، وفى مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الشاعر
الأندلسي ، فأنشد ارتجالاً ،

لئن جاد شعرُ ابن الحسينِ فإنما بِقَدَرِ الْعَطَايَا وَاللَّهِ تَفْتَحُ اللَّهُا
تنبأ فى نظمِ الْقَرِيضِ وَلَوْ دَرَى بِأَنَّكَ تَرَوِى شَمْرَهُ لَتَأَلَّهَا

(٤) ذكر : جمع ذكرى ، كأنهم حملوه على مؤنث التاء ، فجمعه - على حد : سدره
وسدر - وهو قياس عند الفراء والصبي : بمعنى اللهو والتصابى : ومراجع - بالجر -

دِمْنٌ تَكَاثَرَتْ اَلْهُمُومُ عَلَى فِي عَرَاصَتِهَا كَتَكَاثُرُ الْاَوْامِ (١)
فَكَانَ كُلُّ سَحَابَةٍ وَكَفَتْ بِهَا تَبْكِي بَعِيْنِي عُرْوَةَ بَنِ حِزَامِ (٢)
وَلَطَالَمَا اُنْفَيْتُ رِيْقَ كَمَا بِهَا فِيهَا وَاُنْفَيْتُ بِالْعِقَابِ كَلَامِي (٣)
قَدْ كُنْتُ تَهْزَأُ بِالْفِرَاقِ بِحَاجَةٍ وَتَجْرُ ذَيْلِي شِرْقٍ وَغُرَامِ (٤)

معطوف على الصبي ؛ و يروى بالرفع عطفاً على ذكر ؛ والمراتب : جمع مرتع ، الموضع ترتع فيه الدواب ؛ أى ترعى كيف شاءت . و يروى مرابع : جمع مربع ، المكان الذى يربمون - يقيمون - فيه ، يريد ديار الأجرة والآرام : الظباء البيض . وأراد بهن النساء جمع رُءْم - على القلب المكاني - والحمام : الموت . يقول : إن ذكر الصبي ومراتب النساء اللاتي أهيمن بهن جلبت على حالة هي والموت سواء ، يعنى شدة وجده على فراقهن ، فكانه مات قبل موته لشدة الوجد .

(١) الدمن : جمع دمنة ، ما تلبد من آثار الديار بعد رحيل القوم : ودمن خبر مبتدأ محذوف : أى تلك المراتع دمن ؛ والعراصات : جمع عرصة ، ساحة الدار . يقول : لما وقفت بآثار المحبوب تكاثرت همومي شوقاً إلى من كان بها كتكاثر لواامي في حبهن .

(٢) وكفت : أى قطرت ؛ وسالت : يروى وقفت ، وعروة بن حزام : هو صاحب عفرأ ، وهو أحد عشاق العرب المشهورين . شبه هطلان السحاب في تلك الدمن بيباء عروة بن حزام على فراق صاحبه . يريد كثرة ما تجرى عليها السحب من المطر ، بدليل أنها تحت آثار تلك الديار ، ولعله ينظر في هذا إلى قول أبي تمام

كَانَ السَّحَابُ الْفَرَّ غَيَّبَ تَحْتَهَا حَبِيبًا فَمَا تَرَقَّا لَهْنٌ مَدَامِ (١)

ومثله لعمد بن أبي زرعة :

كَانَ صَبِيْنٍ بَانَا طُؤُلَ لَيْلِيْهِمَا يَسْتَمِطِرَانِ عَلَى غُدْرَانِهَا الْقَلَا

(٣) الكعاب : الجارية دأديها للنهود . يقول : طالما رشفت ريق كعاب تلك الدمن فيها وأطالت هي - الكعاب : أى محبوبته - عتاني حتى ألحمتني عن الكلام ، فانا أذكر من كانه بهذه الدمن وارنحل عنها فيزيد وجدى وشوقى .

(٤) الحجاة : مثل الخلاعة ؛ والماجن : الذى لا يبالي بما يتكلم به ، والشرة الحدة

(١) السحاب جمع ، ولذلك وصفها بالفر ؛ وترقا : هو ترقا ، خفف ، ورقأت الدمعة . جفت وانقطعت

لَيْسَ الْقَبَابُ عَلَى الرَّكَّابِ وَلَا نَمَّا هُنَّ الْحَيَاةُ تَرَحَّلَتْ بِسَلَامٍ ^(١)
 لَيْتَ الَّذِي خَلَقَ النَّوَى جَعَلَ الْخَصَى خِلْفًا فِيهِنَّ مَفَاصِلِي وَعِظَامِي ^(٢)
 مُتَلَاخِظِينَ نَسَحُ مَاءَ شَوْوَيْنَا حَذَرَ أَمِنْ الرُّقَبَاءِ فِي الْأَكْمَامِ ^(٣)

والنشاط والبطر . والعرام : الشراسة ، وقيل الحبث ؛ قال شبيب بن البرصاء يصف إبلا
 سميت وحملت الشحوم :

كَأَنَّهَا مِنْ بُدْنٍ وَإِنْ بَارَزَ دَبَّتْ عَلَيْهَا عَارِمَاتُ الْأَنْبَارِ ^(١)

يقول - مخاطبا نفسه - : حين كنت شابا لم تبتل بالفراق وما كنت تدري وجد
 الفراق وعدته بعد ، وكنت تهزأ به لهوا وغفلة واستخفافا ، تمرح في شرك وعرامك
 غير مبال بما ستلاقيه من الشدائد .

(١) القباب : جمع قبة . والمراد بها : الهودج واسم « ليس » ضمير الشأن ، والقباب -
 على الركاب - مبتدأ وخبر ؛ والجملة خبر « ليس » ؛ والركاب : الإبل ؛ وتروى القباب -
 بالنصب - قال العكبري : من روى القباب بالنصب : جعله خبر « ليس » ويكون
 المعنى : ليس الذي تعابنه القباب . يقول : ليس هذا الذي تراه هودج الأحبة على
 الإبل ولكنها الحياة ترحلت عنا ، يعنى أنه يموت بعد فراقهن .

(٢) النوى : البعد ، والضمير في خفافهن : للركاب - الإبل - وأراد أخفافهن ،
 لأن خف البعير يجمع على أخفاف ؛ والخفاف : جمع الخف ، اللبوس ، فوضع أحدهما
 موضع الآخر تجوزا . يقول - متمنيا - : ليت الذي خلق الفراق جعل أعضائي لأخفاف
 الإبل التي تحمّلوا عليها حصى حتى تطأني بأخفافها .

(٣) متلاخطين . ^(٢) حال من فاعل « نسح » قدمت على العامل فيها وهو نسح ؛
 ونسح : نسكب . والشؤون : جمع شأن ، مجرى الدمع من الرأس . وفي الأكمام : متعلق
 بنسح . يصف حاله وحال الحبيبة لدى الوداع ، يقول : كانت الحبيبة تنظر إلى وأنا

(١) الأنبار جمع نبر ؛ وهو دويبة . شبيهة بالقراد إذا دبت على البعير تورم مدها .
 والبدن والبدن : السمن والاكتناز ، وإيفار : مأخوذ من الشيء الوافر - وروى :
 وإبقار - يريد أنها قد أوقرت من الشحم . يقول : من سمنها ووفور شحمها ، كأنما
 لسعتها الأنبار فورمت جلودها .

(٢) متلاخطين : رواء الواحدى هكذا على التنثية ، وقد رواها العكبري على
 صيغة الجمع .

أَرْوَاحُنَا أَنهَمَكْتَ وَعِشْنَا بَعْدَهَا مِنْ بَعْدِ مَا فَطَرْتَ عَلَى الْأَقْدَامِ (١)
 لَوْ كُنَّ يَوْمَ جَرَيْنِ كُنَّ كَصَبْرِنَا عِنْدَ الرَّحِيلِ لَكُنَّ غَيْرَ سِجَامٍ (٢)
 لَمْ يَنْزُ كُوَالِي صَاحِبًا إِلَّا الْأَسَى وَذَمِيلَ دِغْبِلَةَ كَفَحَلِ نَعَامٍ (٣)
 وَتَعَذَّرُ الْأَخْرَارِ صَبِيرَ ظَنَرَهَا إِلَّا إِلَيْكَ عَلَى فَرْجِ حَرَامٍ (٤)

أنظر إليها لدى الوداع ، وكلانا قد غلبه البكاء فستره بكه : خوفا من الرقباء . والأكام : جمع كم ؛ والكم : الثوب مدخل اليد ومخرجه . والذي في العكبري : الآكام بدل « الأكام » والأكام : جمع أكمة ؛ وهي التل ، والأكام أقرب .

(١) انهملت : انسكبت . يقول : ليست الدموع - التي أجريناها - بدموع ولكنها أرواحنا جرت على أرجلنا ، ثم تعجب من الحياة بعد انسكاب هذه الأرواح ونفاذها ، وفي مثل هذا المعنى يقول القائل :

وليس الذي يجري من العين ماءها ولكنها رُوحى تَذُوبُ فَتَقْطُرُ
 (٢) سجام : غزيرة كثيرة . يقول : لو كانت دموعنا في اليوم الذي جرت فيه - أى يوم الرحيل - مثل صبرنا في ذلك اليوم لكانت قليلة ، لكنها كانت سجاما غزيرة ، يخبر عن قلة صبره وكثرة دموعه ، هذا : و « كن » الثانية زائدة ، والعرب قد تجعل الكون زائدا في الكلام ، وكثير من النحويين حملوا قوله تعالى « كيف تكلم من كان في المهد صبيا » على زيادة « كان » وأنشد الفراء :

سراة بنى أبى بـكـر تـسـامى على كان المسومة العـسـراب (١)
 و « كان » في هذا البيت زائدة بلا خلاف .

(٣) الضمير في يتركوا : للراحلين ؛ والأسى : الحزن . والذميل : ضرب من السير سريع . والدغيلة : الناقة السريعة . وأراد بفعل النعام : الذكر . يقول : رحلوا وتركوا وحيد لم أصاحب بعدهم إلا الحزن وجدأ عليهم وسير ناقة كالظليم في عدوها وسرعنها في الفلوات

(٤) يقول : تعذر وجود الأحرار - أى الكرام - حرم على ركوبها - أى الناقة إلا للقصد إليك ، لأنك الحر الذي يستحق أن يقصد ويزار ، فأننا أنجب ركوبها إلا إليك كما أنجب قرجاً حراما على إتيانه - يعنى الزنا - وهذا من قول أبى نواس :

(١) المسومة : العملة بعلامة لتترك في المرعى ، أو هي من قولك : سومت فلانا :

أَنْتَ الْغَرِيبَةُ فِي زَمَانِ أَهْلِهِ وَلِدْتَ مَكَارِمَهُمْ لِغَيْرِ تَعَامٍ^(١)
 أَكْثَرْتَ مِنْ بَذْلِ التَّوَالِ وَلَمْ تَزَلْ
 عَلِمًا عَلَى الْأَفْضَالِ وَالْإِنْعَامِ^(٢)
 صَغُرْتَ كُلَّ كَبِيرَةٍ وَكَبُرْتَ عَنْ لَكَاةٍ^(٣) وَعَدَدَتْ سِنَّ غُلَامٍ

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ
 وَأَخَذَهُ مَهْيَارُ الدَّبَلَى فَقَالَ :
 يَا نَاقُ وَيَحْيَا عَجَلِي تَصِلِي هَذَا الْمَنَى فَلْيَهْنِكِ الطَّلَبُ
 فَإِذَا وَصَلَتْ بِنَا قِيَابَ قُبَا لَا مَسَّ ظَهْرَكَ بَعْدَهَا قَتَبُ
 وَهُوَ مَعْنَى قَدِيمٍ مُتَدَاوِلٍ .

(١) الغريبة : اسم لما يستغرب ؛ والناء فيه : للاسمية - كما في عجيبة ونحوها -
 وعبارة الواحدى المساء في « الغريبة » للمبالغة ، لا للتأنيث ، كما يقال راوية
 وعلامة : وقال التبريزي : أنت أعجوبة غريبة . كما تقول داهية دهباء ، ويقال ولد
 الولود لتمام ؛ وتمام : بالكسر وبالفتح . يقول : أنت غريبة هذا الزمان لأن أهله كلهم
 ناقصو المكارم وأنت تام الكرم بينهم .

(٢) النوال : العطاء والعلم : العلامة التي يعرف بها الشيء . يقول : لم تزل يعرف
 بك الإفضال والإنعام : أى لم تزل منعمًا مفضلًا ؛ وعبارة بعض الشراح : أى أن
 الإفضال والإنعام يتعرفان بك ويمتدئ إليهما بأفعالك ، فأنت كالعلامة لهما .

(٣) يقول : إن كل فعلة كبيرة صغرت بجانب أفعالك العظام ، لأن أفعالك أكبر
 منها ، وكبرت عن أن تشبه بشيء ، فيقال كأنك كذا وأنت مع ذلك شاب لم تبلغ
 الحسنة بعد ، وهو أشرف لك وأمدح . وعبار بعض الشراح : أى صغرت الأفعال
 الكبيرة بأفعالك ، لأن أفعالك أكبر منها ؛ وكبرت عن أن تشبه بغيرك لأنك لم
 تدع لأحد مزية عليك . مع أنك إذا عدت أيامك لم تتجاوز سن الغلام . هذا :

إذا خليت وسومه . أى وما يريد ؛ والعراب التي ليس فيها عرق هجين ؛ وتسامى -
 — بحذف إحدى التامين — أى تتسامى ؛ من السمو ؛ وهو العلو . يقول : سراً هذا
 تختال على تلك الحيلول .

وَرَفَلْتَ فِي حُلْلِ الثَّنَاءِ وَإِنَّمَا عَدَمُ الثَّنَاءِ نِهَآيَةُ الْإِغْدَامِ^(١)
 عَيْبٌ عَلَيْكَ تُرَى بِسَيْفٍ فِي الْوَعَى مَا يَصْنَعُ الصَّنْصَامُ بِالصَّنْصَامِ^(٢)
 إِنْ كَانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَأَنَّ فَبَرِئْتُ حِينَئِذٍ مِنَ الْإِسْلَامِ^(٣)
 مَلِكٌ زَهَتْ بِمَكَانِهِ أَيَّامُهُ حَتَّى أَفْتَخَرْنَ بِهِ عَلَى الْأَيَّامِ^(٤)

واللام من «لكائه» : للتوكيد ، وأراد قول القائل لكانه فلان أو كانه الأسد أو البحر ، لحذف خير «كأن» لأنه أراد مطلق التشبيه ، واستغنى عن ذكر انقول بالحكاية . وقال العكبري : وقد أدخل «لام التأكيد» على «كأن» وهو قليل جدا ، والقياس لا يمنع منه ، لأن «كاف» التشبيه تكون في صدر الكلام : وقولك كأن زيدا عمرو : مؤد عن قولك كهمر و زيد ، فجاز دخول اللام على الكاف ، كما جاز في قولك لزيد أفضل من بكر .

(١) رفل يرفل في ثيابه رفلا : إذا أطالها وجرها متبخترا فهو رافل ، ورفل رفلا ؛ فهو رفل خرق - حمق - باللباس وكل عمل ، أنشد الاصمعي :

* فِي الرَّكْبِ وَشَوَاشٌ وَفِي الْحَى رَفْلٌ *

«الوشواش : الخفيف السريع» الحلل : جمع حلة ، قالوا : ولا تكون الحلة لإثوبين . وقال ابن شميل : الحلة القميص والإزار والرداء . والإعدام : الفقر . يقول : إن عليك من الثناء حللا تبختر فيهن - يريد ثناء الشعراء والمادحين عليه بما أغدق عليهم من نعمه - ونهاية الإعدام - الفقر - هو عدم الثناء لاعداء اثناء ؛ وعبرة بعض اشعراج : كانه يشير إلى ما كسبه من الثناء بجوده : أى أنه أنفق ماله على الشعراء والمادحين ، فكان بذلك هو المثرى لأن ثناءهم باق والمسال يغدو ويروح :

(٢) ترى : أراد أن ترى ، لحذف «أن» وقوله بسيف : أى مع سيف والوعى : الحرب . والصمصام السيف ، وهو الصارم - القاطع - الذى لا ينبو عن الضريبة ، يقول : أنت سيف في حدثك ومضائك فلا حاجة بك إلى السيف .

(٣) «كان» الأولى ناقصة ، والثانية تامة ، بمعنى وجد ، وهى خبر الأولى ، و«أوهو كائن» . عطف على الخبر . وقوله فبرئت الخ : قسم . يقول : لم يكن مثلك ولا يكوث ، قال الواحدى : هذا من المدح البارد الذى يدل على رقة دين وسخافة عقل وهو من شعر الصبا - إذ قال المتنبي هذه القصيدة في صباه .

(٤) يقال زهى الرجل فهو مزهو : إذا تكبر وتاه . فكان حقه أن يقول زهيت

وَتَخَالَهُ سَلَبَ الْوَرَى أَحْلَامُهُمْ مِنْ حِلْمِهِ فَهُمْ بِلَا أَحْلَامٍ^(١)
وَإِذَا أَمْتَحَنْتَ تَكْشَفَتْ عَزَمَاتُهُ عَنْ أَوْحَدِي النِّقْصِ وَالْإِبْرَامِ^(٢)
وَإِذَا سَأَلْتَ بَنَانَهُ عَنْ تَنْبِيلِهِ لَمْ يَرْضَ بِالْأُنْيَا قَضَاءَ ذِمَامِ^(٣)
مَهْلًا إِلَّا لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْقَنَا فِي عَمْرٍو حَابٍ وَضَبَّةٍ الْأَغْنَامِ^(٤)

إلا أنه جاء به على لغة طيء في قولهم بقي في بقي ، كذلك قال زهى في زهى فسكرن الياء فلما دخلت تاء التأنيث سقطت الياء الساكنة ، وقال ابن منظور : قال ابن سيده : وقد زهى الرجل على لفظ مالم بسم فاعله وللعرب أحرف لا يتكلمون بها إلا على سبيل المفعول به وإن كان بمعنى الفاعل ، مثل زهى الرجل ، وعنى بالأمر ونتجت الشاة والناقة وأشباهها ، وحكى ابن دريد : زهازهو زهوا : أى تكبر ومنه قولهم : ما أرهاه ؟ وليس هذا من زهى ، لأن مالم بسم فاعله لا يتعجب منه ، قال الأحمر النحوى يهبو العتي والفيض ابن عبد الحميد .

لنا صاحب مؤلف بالخلاف كثير الخطأ قليل الصواب
ألج بجاجا من الخنفساء وأزهى إذا مامشى من غراب
قال الجوهري : قلت لأعرابي من بنى سليم : ما معنى زهى الرجل ؟ قال أعجب نفسه ، قلت : أقول زها إذا افتخر ؟ قال : أما نحن فلا نتكلم به . يقول : افتخرت بك الأيام على الأيام التى مضين ولم تكن فيهن .
(١) تخاله : تظنه . والورى : الخلق ، والحلم : الأناة والعقل ، ومن حلمه : أى من أجل حلمه . يقول : لرجاحة حلمه على أحلام - عقول - الناس كأنه أخذ أحلامهم فضمها إلى حلمه .

(٢) تكشفت : ظهرت ؛ وأراد بالأوحدى : الأوحد ، فزاد الياء للمبالغة . وأصل الإبرام : قتل الجبل ونحوه ، والنقص ضده . يقول : إذا اختبرته ظهرت لك عزائمها صادرة عن رجل لا نظير له في عزماته إن أبرم أمرا أو نقضه .

(٣) البنان : أطراف الأصابع . والنيل : العطاء . والذمام هنا : الحق ؛ ونصب « قضاء » : على الحال ، ويجوز أن يكون مفعول « يرض » وبالذميا : صلته . يقول : إذا طلبت عطاءه فأعطاك الدنيا كلها لم يرض بها في قضاء حقك .

(٤) مهلا : مفعول مطلق نائب عن فعله : أى امهل مهلا : وألا : استفتاح ؛ وفيه كلمة تعجب . والقنا : الرماح وقوله في عمرو وحاب : أراد عمرو بن حابس - بطن من أسد - فزخم المضاف

إليه ؛ قال الواحدى : وذلك غير جائز ، لأن الترقيم حذف يلحق أواخر الأسماء فى النداء تخفيفا ، والكوفيون يميزونه فى غير النداء وينشدون :

أَبَا عُرْوَةَ لَا تَبْعَدْ فُكْلُ ابْنِ حُرَّةٍ سِيدُ عُرْوَةٍ دَاعِي مَوْتِهِ فَيُجِيبُ^(١)

والبصريون ينكرون هذه الرواية وينشدون أيا عرو ؛ وقال المصبرى : ذهب أصحابنا - يريد الكوفيين - إلى جواز ترقيم للضاف ، وأوقعوا الترقيم فى آخر الاسم للضاف إليه . وحجتهم : أنه قد جاء فى أشعار العرب القدماء ، كقول زهير بن أبى سلمى :

خُذُوا حَظَّكُمْ يَا آلَ عِكرَمٍ وَأَحْفَظُوا

أَوَاصِرَنَا وَالرَّحِمُ بِالغَيْبِ تَذْكَرُ^(٢)

وقد جاء الترقيم فى قول جرير :

أَلَا أَضَحَّتْ حَبَالُكُمْ رِيَامًا وَأَضَحَّتْ مِنْكَ شَاسِعَةٌ أَمَامًا^(٣)

(١) عرو مرخم : عروة ، ولا تبعد : أى لا تهلك ؛ وهو دعاء خرج بلفظ النهى . فإن قيل : كيف قال لا تبعد وهو قد هلك ؟ فالجواب : أن العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة فى الدعاء للميت ، ولم فى ذلك غرضان : أما أولهما فهو أنهم يريدون بذلك استعظام موت الرجل الجليل ، وكأنهم لا يصدقون بموته . والثانى أنهم يريدون الدعاء له بأن يبقى ذكره ولا ينسى ، لأن بقاء ذكر الإنسان بعد موته بمنزلة حياته . وقوله : فكل ابن حرة : أراد فكل ابن امرأة .

(٢) من آيات قالها زهير لبنى سليم ، وبلغه أنهم يريدون الإغارة على غطفان . والحظ : النصيب . يقول : صونوا حظكم من صلة القرابة ، ولا تفسدوا ما بيننا وبينكم من القرابة فإن ذلك مما يعود مكروهه عليكم ، وعكرم : ترقيم عكرمة وآل عكرمة هم بنو عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان مضر ، والأواصر : جمع أصرة ، وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف . والرحم : موضع تكون الولد ، وتخفف بسكون الحاء مع فتح الراء وكسرها ، ثم سميت القرابة والوصلة مع جهة الولاء : رحم ، فالرحم خلاف الأجنبي ، وهى مؤنثة فى اللعنين .

(٣) قال الأعمى : الرمام : جمع رميم ، وهو الخلق البالى . يريد أن جبال الوصل بينه وبين أمامة قد تقطعت للفراق الحادث بينهما ، وقال غيره : الرمام جمع رمة - بالضم - وهى القطعة البالية من الجبل ، وهذا البيت مطلع قصيدة لجرير .

لَمَّا نَحَكَمَتِ الْأُسْنَةُ فِيهِمْ جَارَتْ وَهْنٌ يَجْرُونَ فِي الْأَحْكَامِ (١)
فَقَرَّ كَتَمَهُمْ خَلَالَ الْبُيُوتِ كَأَنَّمَا غَضِبَتْ رُؤُوسُهُمْ عَلَى الْأَجْسَامِ (٢)
أَحْجَارُ نَاسٍ فَوْقَ أَرْضٍ مِنْ دَمٍ وَنُجُومٌ يَبْضِي فِي سَمَاءِ قِتَامٍ (٣)

فهذا ترخيم في غير النداء ، على من قال يا حار بالكسر وضبة قبيلة مشهورة والأغنام جمع غنم جمع أغتم ورجل أغتم ، وغتمى : لا يفتح شيئاً والفتمة عجمة في النطق والغم في الأصل : قطع اللبن الثخان ، ومنه قيل للثقل الروح : غتمى ، والغم : شدة الحر والأخذ بالنفس قال الراجز يصف إبلا .

حرقها حَمْضُ بِلَادٍ فَلَّ وَغَمُّ نَجْمٍ غَيْرِ مُسْتَقِلٍّ (١)
* فَا تَكَادِ نَيْبُهَا تُولَى *

أى غير مرتفع لثبات الحر للنسب اليه ، وإليها يشتد الحر عند طلوع الشمسى التي في الجوزاء . قال الواحدي : جل هؤلاء أغتما لأنهم كانوا جاهلين حين عاصو حتى فعل ما فعل .

(١) قال العلامة العكبرى : يروى للنية بدل الأُسنة ، وليس بشيء ، والأصح الأُسنة ، ولهذا قال : وهن ؛ فجمع الضمير في اللبتدأ والخبر . ومن روى للنية أراد بها الناي ، وليس هو شيء ، إلا أنى وجدتها في بعض النسخ فذكرتها حتى لا أدخل بشيء على حسب الطاقة .

(٢) الخلل : فرجة ما بين الشئيين ، ونصبه على الظرفية . يقول : غزوتهم في عقر دراهم حتى تركتهم خلال بيوتهم أجساما بلا رؤوس كأن رؤوسهم قد غضبت على أجسامهم ففارقتها .

(٣) البيض : جمع بيضة ، وهى الخوذة . والقَتَام : القبار . وأحجار . خبر مبتدأ محذوف : أى هناك أحجار ناس . يصف للمركة وكثرة القتلى . يقول : صارت الأرض دما وصار مكان الحجارة ناس قتلى فوق تلك الأرض ، وصارت الخوذ نجوما لامعة في سماء من القبار . وبعبارة أخرى : انتشرت الجثث في ساحة الحرب كالحجارة ، منبثة على أرض من الدم ، وامتلا الهواء خوذا تلعب كالنجوم في سماء من القبار .

(١) الفل : الأرض القفرة ؛ وأفلطنا : أى صرنا - فى فل من الأرض - ومنه يقال فلان فل من الخير : أى خال من الخير .

وَذِرَاعُ كُلِّ أَبِي فَلَانٍ كُنْيَةٌ حَالَتْ فَصَاحِبُهَا أَبُو الْإِيْتَامِ^(١)
عَهْدِي بِمَرْكَةِ الْأَمِيرِ وَخَيْلُهُ فِي النَّقْعِ مُحْجَمَةٌ عَنِ الْإِحْجَامِ^(٢)
يَا سَيْفَ دَوْلَةِ هَاشِمٍ مَنْ رَامَ أَنْ يَلْقَى مَنَّاكَ رَامَ غَيْرِ مَرَامٍ^(٣)
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودِّعٍ
وَسَقَى قَرَى أَبَوَيْكَ صَوْبَ غَمَامٍ^(٤)

(١) وذراع : عطف على قوله أحجار ناس ؛ وحالت : تحولت وتغيرت . يقول هناك أحجار ناس وهناك ذراع كل أبي فلان : أى ذراع مقطوعة من رجل كان يكنى أبافلان ، فلما قتل حالت كنته فصار صاحب تلك الكنية يقال له أبو الإيتام ، لأن بنيه صاروا يتامى بهلاكه . هذا : وقد نصب كنية - كما قال الواحدى - على الحال من أى فلان وتقديره كل أب لفلان ، لأن كل إذا كان واحداً فى معنى جماعة لا يكون إلا شكرة ، كما تقول كل رجل وكل فرس ، وهذا كما يقال : رب واحد أمه لقيت ، ورب عبد بطنه ضربت ، على تقدير رب واحد لأمه ، ورب عبد لبطنه والإضافة يراد بها الانفصال . وقال ابن جنى : ويجوز نصبها بأعنى

(٢) وخيله : محجمة ، مبتدأ وخبر ، والجملة : حال صدت مسدخبر عهدي . وروى وخيله - بالجزم - عطفاً على معركة ، ومحجمة ، بالنصب على الحال ، والنقع : القبار ، والإحجام التأخر . يقول : لم أعهد معركته إلا على هذه الحال ، فغلبه مقدمة بدأت تأخر عن التأخر : أى تأفف من الرجوع فلا تقدم عليه .

(٣) رام : طلب ؛ ومنا لك . أى غايتك التى تنالها . يقول : من طلب أن يبلغ غايتك فقد طلب أمراً لا مطلب فيه : أى لا يفوز طالبه . وهذا البيت منحول فى الصحيح ؛ لم يروه الواحدى ، لأن سيف الدولة لم يلقب بهذا اللقب إلا سنة ثلاثين وثلاثمائة : لقبه به للثقى العباسى ، والقصيدة نظمت سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة .

(٤) الصلاة من الله : الرحمة والبركة . وصوب الغمام : المطر . يدعو له بالصلاة ولأبويه بالسقيا . وقوله غير مودع : حال . قال الواحدى : وقول الناس عند التوديع غير مودع معناه أنا معك قلباً وإن فارقت شخصاً . ويجوز أن يكون من جهة الفأل ؛ ذكره كلاً احتباساً لمكان ذكر أبويه وهما قدامنا : أى وأنت حى لا يودعك أهلك . ويجوز أن يكون المعنى : أن روحى صحبتك فأنت مشيع غير مودع .

وَكَسَاكَ ثَوْبَ مَهَابَةٍ مِنْ عِنْدِهِ ، وَأَرَاكَ وَجْهَ شَقِيقَتِكَ الْقَمَقَامِ (١)
 فَلَقَدْ رَمَى بِلَدِّ الْعَدُوِّ بِنَفْسِهِ فِي رَوْقِ أَرْعَنٍ كَالْفِطَمِ لُهَاِمِ (٢)
 قَوْمٌ تَفَرَّسَتْ الْمَنَآيَا فِيكُمْ فَرَأَتْ لَكُمْ فِي الْحَرْبِ صَبْرَ كِرَامِ (٣)
 تَأَلَّهَ مَا عَلِمَ أَمْرُؤُا لَوْلَاكُمْ كَيْفَ السَّخَاءُ وَكَيْفَ ضَرْبُ الْهَامِ (٤)

وقال ، وقد تُحَدَّثُ بحضرة سيف الدولة أن البطريق أقسم عند ملكه أنه
 يمارض سيف الدولة في الدرب وسأله أن ينجده ببطارقه وعدده وعُدده ، ففعل ؛
 فخاب ظنه ، أنشده إياها سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وهي آخر ما أنشده بحلب :
 عُقْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُقْبَى الْوَعَى نَدَمٌ مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمِ (٥)

(١) القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل ، وأصله البحر ، لأنه مجتمع
 الماء ، من قولهم ققم الله عصبه : أى جمعه وقبضه ، وأراد بشقيقه : أخاه
 ناصر الدولة .

(٢) روق الجيش : أوله ومقدمته ، وأصله القرن ، فاستعاره . والأرعن :
 الجيش المضطرب لكثرة والغطم : البحر الكثير الماء ، واللاهام : الجيش الكثير
 يلتهم كل شيء . يقول : إن أخاك قد رمى بلد العدو وحده ولم يكن معه من
 أهله أحد ، وهو قائد جيش يلتهم كل شيء ولا يخشى شيئا .

(٣) تفرست : تأملت . والمنايا : جمع منية : اللوت . يقول : أنتم قوم تأملتكم
 للمنايا وخبرتمكم فرأيتكم في الحرب صبرا كراما ، وإذا صبروا في الحرب كانت للمنايا
 إليهم أسرع . قال العكبرى : وكان الوجه أن يقول فيهم : فرأت لهم ، كما تقول
 أنتم قوم لهم وفاء ، ولكنه حمله على المعنى ، لأنه إذا خاطبهم بالكف كان أمدح .

(٤) الهام : الرءوس . يقول : منكم استفاد الناس البذل والشجاعة ولولا أنتم لما عرفا .

(٥) العقى : العاقبة ؛ وطى : متعلقة . يمين . يقول : من حلف على أن عاقبة
 الحرب له — أى أنه ظافر للاحالة — كانت العاقبة الندم ، لأنه ربما لا يظفر ، والقسم
 لا يزيد في الإقدام ، لأن الجبان لا يقدم وإن حلف . يشير إلى تمكذيب البطريق
 الذى حلف لملك الروم أنه لا بد أن يلتقى سيف الدولة في بطارقه ويجهتد في لقاءه
 (٩ — الثاني)

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ وَاعِدُهُ مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْمِعَادِ مُتَّبِعٌ^(١)
 آتَى الْفَتَى ابْنُ شُمَشَقِيقٍ فَأَخْبَتْهُ فَتَى مِنَ الضَّرْبِ تُنْسَى عِنْدَهُ الْكَلِمُ^(٢)
 وَقَاعِلٌ مَا اشْتَهَى يُغْنِيهِ عَنْ حَلْفٍ عَلَى الْفِعَالِ حُضُورُ الْفِعْلِ وَالْكَرَمُ^(٣)
 كُلُّ السُّيُوفِ إِذَا طَالَ الضَّرَابُ بِهَا يَمَسُّهَا غَيْرَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ السَّامُ^(٤)
 لَوْ كَلَّتِ الْخَيْلُ حَتَّى لَا تَحْمِلَهُ تَحْمِلْتُهُ إِلَى أَغْدَائِهِ الْهَيْمُ^(٥)
 ابْنُ الْبَطَارِيقِ وَالْخَلْفُ الَّذِي حَلَفُوا يَمْفَرِقُ الْمَلِكِ وَالزَّعْمُ الَّذِي زَعَمُوا^(٦)

بهم ففعل غيب الله ظنه ، فذكر المتنبي ذلك رد عليه وبهجوه . وكأنه يقول : لو كنت بمن إذا قال وفي لم تحتاج إلى اليمين . وماذا يزيدك : يروى « ماذا يفيدك » .

(١) في اليمين : خبر مقدم عن الموصول - في الشطر الثاني - يقول : إذا حلفت على ما تعده من نفسك دلت اليمين على أنك غير صادق فيما تعده لأن الصادق لا يحتاج إلى اليمين .

(٢) آتَى : حلف . وابن شمشقيق : بطريق الروم . وأخبت : الجاء إلى الحنت ، وهو نقض الحلف في اليمين . والكلم : الكلام . يقول : أقسم بطريق الروم أنه ظافر بسيف الدولة فاضطره إلى نقض يمينه فتى - يعنى سيف الدولة - أراه من شدة الضرب ما أذهله عن قسمه وأنساه كلامه ووعدده .

(٣) فاعل : عطف على قوله فتى . وما اشتهى : مفعول فاعل . والفعال : جمع فعل . يقول : وأخبت رجل يفعل ما يريد لأنه ملك لا معارض له . ويغنيه عن القسم على ما يفعله حضور فعله وكرمه : أى أنه موثوق بقوله لكرمه . وفعله ما يريد حاضر عاجل فلا يحتاج إلى أن يقسم على ما يريد فعله .

(٤) الضراب : أى المضاربة ؛ والسام : الضجر ، وهو فاعل « يمسها » . يقول : كل السيوف إذا ضرب بها كلت ونبت إلا هذا السيف ، فإنه مهما ضرب به لا يسأم مقارعة الأبطال .

(٥) يقول : لو عجزت الخيل عن حمله إلى أعدائه لساير إليهم بنفسه ، لأن همته لا تدعه يترك القتال . وقوله « حتى لا تحمله » - بحذف إحدى التاءين - : أى تتحمله ، قال ابن جنى : الاختيار فيه الرفع : لأنه فعل الحال من « حتى » كأنه قال : حتى هي غير متحملة له ، والنصب جائز على معنى إلى أن لا تحمله :

(٦) البطريق : القائد من الروم ؛ ومفرق الملك : يريد رأسه ؛ والملك : لغة في

وَلِي صَوَارِمَهُ إِكْذَابَ قَوْلِهِمْ - فَهِنَّ أَلْسِنَةً أَفْوَاهُهَا الْقِيمُ (١)
 نَوَاطِقُ تُخَيِّرَاتٌ فِي جَمَاجِمِهِمْ - عَنْهُ بِمَا جَهِلُوا مِنْهُ وَمَا عَلِمُوا (٢)
 الرَّاجِعُ الْخَيْلَ مُخَفَّاةً مُقَوَّدَةً - مِنْ كُلِّ مِثْلٍ وَبَارٍ أَهْلَهَا إِرَمُ (٣)
 كَتَلُ بِطَرِيقِ الْمَغْرُورِ سَاكِنَهَا - بَأَنَّ دَارَكَ قَنَسَرِينَ وَالْأَجَمُ (٤)

الملك : يقول : أين ذهبوا وأين يمينهم التي أقسموها برأس مليكهم أن يعارضوا سيف الدولة وما زعموا من أنهم يشتون على قتاله ويظفرون به ، والزعم كناية عن الكذب يعنى أن كل ذلك كان كذبا .

(١) وليته الأمر تولية فتولاه : أى باشره . والصوارم : السيوف القواطع : والقيم جمع قمة ، وهى الرأس ، يقول : ولي سيف الدولة سيوفه أن تكذبهم فيما ادعوا من الصبر على القتال ، فكذبهم سيوفه بقطع رؤوسهم وجعلها - أى السيوف - كالأسنة تعبر عن تكذبهم ؛ ولما جعلها الأسنة : جعل رؤوسهم كالأفواه ، لأنها - السيوف - تتحرك في تلك الرؤوس تحرك اللسان في الفم ؛ وهو تخيل بديع رائع .

(٢) نواطق : نعت ألسنة ، أو خبر عن محذوف ضمير الصوارم . وهذا البيت تفسير للمصرع الثانى من البيت السابق . يقول : إذا وقعت هذه السيوف في جماجمهم أخبرتهم عن سيف الدولة بما علموا من إقدامه وشجاعته وصبره في الحرب ، وبما جهلوا منه ، لأنهم لم يعرفوا ما عنده من البأس تمام المعرفة .

(٣) الراجع : بمعنى المرجع ، وهو خبر عن محذوف ضمير سيف الدولة . يقول : هو - سيف الدولة - الذى يرد الخيل عن غزوانه وقد حفيت من كثرة اللقى ، يقودها فرسانها قودا راجعا بها من كل بلد قد صيره مثل وبار في الخراب ، وأهلك أهلها وأبادهم فصاروا مثل قوم إرم . وليس يريد أن « وبار » كان أهلها إرم ، وإنما يريد أن الديار التي رد عنها خيله كانت كوار خرابا ، وأهلها كإرم هلاكا . وبار : مدينة قديمة الخراب ؛ قيل كانت من مساكن عاد : أى من كل مدينة مثل وبار ، وإرم : جبل من الناس هلكوا في قديم الدهر يقال إنهم من عاد .

(٤) تل بطريق : بلد بالروم ؛ وقنسرين : كورة بالشام بالقرب من حلب ؛ ويقال لها أيضاً قنسرون : من ألزمها الياء أعربها إعراب مالا ينصرف ومن قال بالواو أعربها إعراب الجمع السالم . هذا ، وقال الجوهري في ترجمة قنسر : وقنسرون بلد بالشام - بكسر القاف والنون مشددة تكسر وتفتح - وأنشد ثعلب بالفتح هذا البيت لذكرشة الضبي يرثى بنه :

وَلَا تَنْتَبِهْ أَنَّكَ الْمَصْبَاحُ فِي حَلَبٍ إِذَا قَصَدْتَ سِوَاهَا عَادَهَا الظُّلَمُ^(١)
وَالشَّمْسُ يَفْتُونُ إِلَّا أَنَّهُمْ جَهَلُوا وَالْمَوْتُ يَدْعُونُ إِلَّا أَنَّهُمْ وَهَمُوا^(٢)
فَلَمْ تَنْتَبِهْ لِمَرْجٍ فَتَحَ نَاطِرُهَا إِلَّا وَجَيْشُكَ فِي جَفْنَيْهِ مُزْدَحِمُ^(٣)
وَالنَّقْعُ يَأْخُذُ حَرًّا أَنَا وَبَقَعَتِهَا وَالشَّمْسُ تَسْفِرُ أَحْيَانًا وَتَلْتَمِمْ^(٤)

سقى الله فتياناً ورأى تركتهم بحاضر قنسرين من سبل القطر^(١)
والأجم : مكان بقرب الفراديس ، وهذا تفسير لقوله من كل مثل وبار : يعنى من كل بلد خراب كتل بطريق التي اغترسا كنها بأن دارك بعيدة عنه ، فظن أنك لا تقدر على قطع ما بينك وبينه من المسافة .
(١) ظنهم : معطوف على ما دخلت عليه الباء من قوله بأن دارك : أى واغتروا بظنهم وعادها : انتابها . يقول : واغتروا بظنهم أنك كالمصباح في حلب ، ومتى فارقتها وبعدت عنها أظلمت ، يريد انتقضت عليك ولايتها وشق أهلها عصا الطاعة .
(٢) هذا كالجواب لهم على ما اغتروا فيه . يقول : ما ظنوه من أنك مصباح حقيقته أنك الشمس التي تم كل مكان بضائها وإن كانت بعيدة ، إلا أنهم جهلوا الحقيقة ، وما ظنوه من أنك تستبعد أرضهم قد وهموا فيه وغلطوا إذ لم يعرفوا أنهم بتعريكهم إياك إنما يدعون الموت الذي لا يتعذر عليه مكان
(٣) سروج : بلد قرب حران . والناظر : العين : أى كانت غافلة عن قدومك فلم تنتبه له إلا وقد ازدحم الجيش عليها ؛ أو تقول : لم تصبح سروج إلا وخيلك مزدحمة عليها ، جعل الصباح لها بمنزلة فتح الناظر .
(٤) النقع : القبار . وحران : بلد من بلاد ما بين النهرين على بعد من سروج ،

(١) قال ابن برى : صواب إنشاده :

* سقى الله أجداناً ورأى تركتها *

وحاضر قنسرين : موضع الإقامة على الماء من قنسرين . وبعد البيت :

لمعري لقد وارت وضمت قبورهم أكففا شداد القبض بالأسل الشر
يذكرُ منهم كل خير رأيت وشرِّ فما أنفك منهم على ذكر
يريد أنهم كانوا يأتون الخير ويحتجبون الشر ، فإذا رأيت من يأتى خيراً ذكرتهم ، وإذا رأيت من يأتى شراً لا ينهأ عنه أحد فذكرتهم .

سُحِبَ تَمْرُهُ بِحِصْنِ الرَّانِ مُنْسَكَةً وَمَا بِهَا الْبُخْلُ لَوْلَا أَنَّهَا نَقِمٌ^(١)
جَيْشٌ كَأَنَّكَ فِي أَرْضٍ تُطَاوِلُهُ فَلَا أَرْضَ لَا أَمَمٌ وَالْجَيْشُ لَا أَمَمٌ^(٢)

وبقيتها : ضبطها أبو العلاء المعري بفتح الباء ، وقال : هي مكان كالبطحاء يعرف بقيمة حران ، قال : ولا يجوز أن تضم الباء في هذا الموضع ، لان النقع - وهو الغبار - إذا أخذ حران فقد أخذ بقيتها ، فلا يحتاج إلى ذكره ، أما ابن جنى وجماعة معه فقد رويها بضم الباء ، وقد فسروها بأنها للكان الواسع من الأرض ، وتفسر : من سفور للراءة وهو أن تكشف عن وجهها . يقول : انتشر الغبار وتكاثف حتى بلغ حران وبقيتها - وذلك لعظم الحرب وكثرة الجيوش - وحق حجب ضوء الشمس فهي تظهر من خلاله أحيانا ثم تعود فتحتجب كأنها الحسنة تسفر أحيانا ثم تعود فتلتئم .

(١) سحب : خبر عن مذهب يرجع إلى الجيوش . وحسن الران : موضع من عمل سيف الدولة . ومنسكة : أى بخيلة بالمطر . شبه جيشه بالسحب لكثرة وانتشاره . يقول : تمر هذه السحب بهذا الموضع فتمسك مطرها عنه وليس إمساكها هذا بخلا وإنما هو إشفاق على دياره ، وهذه السحب تقم ، والنقم إنما تصب على ديار الأعداء .

(٢) التاء - في تطاوله - للأرض ، والماء : للجيش : أى تطاول الأرض جيشك : أى تغالبه ط لا . والامم : القرب يقال : أخذت ذلك من أمم أى من قرب ودارى أمم داره : أى مقابلتها . وأصله القصد الذى هو الوسط ، والأمم - اليسير ، يقال ما سألت إلا أمما ، وقال زهير :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ وَجِيرَةٌ مَا هُمْ لَوْ أَنَّهُمْ أَمَمٌ^(١)

ريد : أى جيرة كانوا لو أنهم بالقرب منى ؟ يقول : بعدت الأرض فطالت كأنما تطاول أطرافها جيشك الكبير البعيد أطرافه ، فكلاهما طويل بعيد الأطراف لا قرب فيه ، ثم بين هذا البيت التالى .

(١) قال ابن برى : ويروى :

وعبرة ما هم لو أنهم أمم *

والسليل : واد واسع غامض ، قال ابن برى : قوله سال السليل بهم : أى ساروا سيرا سريعا . يقول : احمدهوا به ، فقد سال بهم . وقوله ما هم : « ما زائدة » و « هم » مبتدأ ، وعبرة خبره أى هم لى عبرة ، ومن رواه « وجيرة ما هم » فتكون « ما » استقمامية . أى أى جيرة هم

إِذَا مَضَى عِلْمٌ مِنْهَا بَدَأَ عِلْمٌ وَإِنْ مَضَى عِلْمٌ مِنْهُ بَدَأَ عِلْمٌ^(١)
وُسُزْبُ أَحْمَتِ الشُّعْرَى شَكَامَهَا وَوَسَمْتَهَا عَلَى آنَافِهَا الْحَكَمُ^(٢)
حَتَّى وَرَدَنَ بِسَمْنَيْنِ بِحَبْرَتِهَا تَنْشِشُ بِالْمَاءِ فِي أَشْدَاقِهَا الْأَجْمُ^(٣)

(١) علم الأرض : هو الجبل ؛ وعلم الجيش : الراية . يقول : كلما مضى جبل من الأرض بدا جبل آخر ؛ وكذلك هذا الجيش : كلما مضت كتيبة منه برأيتها جاءت كتيبة أخرى ، فلا الأرض تنفي ولا الجيش يفرغ . هذا : وقد جاء في أمالي ابن الشجري ما يأتي : قال الخطيب التبريزي : لو قال - المتنبي - وإن مضى عالم لكان أحسن ؛ لأن تكرار العلم كثر في البيت ، قال ابن الشجري : ولو استعمل أبو الطيب ما قال الخطيب لكان قبيحا في صناعة الشعر لأنه أتى بذكر العلم - الذي هو الجبل - مرتين ، فوجب أن يقابله بذكر العلم - الذي هو الراية - مرتين : وإذا قال مضى عالم : دل على كثرة الجيش ، فكذلك ذكر العلم يدل على كثرة الجيش ، لأن العلم يكون تحته أمير معه جماعة وأما كراهيته لتكرار العلم فقول من جهل ما في التكرار من التوكيد والتبيين إذا تعلق التكرار بعضه ببعض بحرف عطف أو شرط أو غيرها من العلاقات ، وقد جاء في الكتاب العزيز « وإن منهم لفرقا يلون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله » وأيضا فيه « فاستمتعوا بخلائقهم فاستمتعتم بخلائقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلائقهم » والتكرار في هذا النحو حسن مقبول ، وإذا ورد التكرار في الكتاب العزيز علمت أن التكرار في بيت المتنبي غير معيب ، وإنما يعاب التكرار إذا ورد اللفظ في بيتين أو ثلاثة والمعنى واحد ،

(٢) سُزْبُ : عطف على جيش ، أو على علم - الأخير - وهي تجمع شازب : الفرس الضامر . وخيل سُزْبُ : ضوامر . والشعري : يريد الشعري الجمانية ، نجم يطلع في فصل الصيف ، فهي تعد من نجوم القيقظ ؛ لأن طلوعها حينئذ يكون مع طلوع الشمس . والشكائم : جمع شكيمة ، الحديد الممتدة في فم الفرس ؛ والحكم : جمع حكمة ، ما أحاط من اللجم بالحكم . يقول : وخيل حميت حدائد لجمها من حر الشمس حتى جعلت الحكم تسم أنوف الخيل ؛ يعني لشدة الحر أحمت الشمس اللجم حتى صار مكان الحكم مثل الوسم - السكى -

(٣) سَمْنَيْنِ : موضع . والنشيش : صوت الماء وغيره إذا غلا ، يقول : حتى وردت هذه الخيل بحيرة هذا الموضع وكرعت في الماء فسمع للجمها نشيش في أشدّاقها لشدة حرارة الحديد . يريد أنها كانت محماة ؛ فلما أصابها الماء نشت ، ويريد أنها - لسرعتها - وردت الماء وشربت بلجمها .

وَأَصْبَحَتْ بَقْرَى هَنْزِيْطَ جَائِلَةٍ تَرْعَى الظَّبْيَ فِي خَصِيْبِ نَبْتِهِ^(١) ،
فَمَا تَرَكْنِ بِهَا خُلْدًا لَهُ بَصَرٌ تَحْتَ التُّرَابِ وَلَا بَازًا لَهُ قَدَمٌ^(٢) ،
وَلَا هِزْبًا لَهُ مِنْ دِرْعِهِ لِبَدٌ وَلَا مَهَاءَ لَهَا مِنْ شِبْهٍهَا حَشَمٌ^(٣) ،
تَرْمِي عَلَى شَفَرَاتِ الْبَا تَرَاتِ بِهِمْ مَكَامِنَ الْأَرْضِ وَالْفَيْطَانَ وَالْأَكَمَ^(٤) .

(١) وأصبحت : أى الخيل ، وهنزيط : موضع يبلاد الروم . والظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والظبي : فاعل ترعى ، والجملة : حال من قرى . يريد فى خصيب منها . واللمم : جمع لمة ، ما ألم بالنكب من الشعر . يقول : أصبحت الخيل جائلة بقرى هذا المكان للغارة والقتل ، والسيوف ترعى منها فى مكان خصيب نبتة الشعور : يعنى رءوسهم وعبرة ابن جنى والواحدى : إن السيوف ترعى فى مكان خصيب من رءوسهم فنبت هذا المكان إنما هو اللمم ، يعنى أن السيوف تصل من الروس إلى مكان مثل ما يصل إليه للمال الراعى - الماشية - فى البلد الحصب .

(٢) فما تركن أى الظبي - السيوف - والخلد ضرب من الفأر ليست له عيون قال ابن جنى وكذلك الواحدى : يقول : إن أهل الروم كانوا فريقين فريقا دخلوا المطامير والأسراب كالفأر إذا ربت من شئ دخلت جحرها وفريقا توقلوا - صعدوا - فى الجبال واعتصموا بها كالبلبازى يطير علوا ، فجعل من دخل الأسراب خلداً ذات أعين ، ومن تحصن بالجبال بزة لها أقدام . لأنه يريد بالفريقين ناسا والمعنى ما تركت السيوف إنسانا دخل المطامير تحت الأرض فصار كالخلد ولا من تعلق برأس الجبل فصار كالبلبازى إلا أهلكته وعبرة ابن القطاع : « ما تركن من هو فى ضعفه وخفاء مكانه كالخلد ، إلا أنه ذو بصر - يعنى إنسانا - ولا تركن من هو كالبلبازى فى ارتفاعه إلا أنه ذو قدم » يعنى إنسانا .

(٣) الهزبر الأسد ، واللبد : جمع لبدة ، كقربة وقرب ، وهى زبرة الأسد : أى ماعلى كنتيه من الشعر . والمهاة : البقرة الوحشية توصف بحسن العيون . والحشم : الحدم ، وهى حاشية الرجل العظيم . يقول : ولا تركت السيوف بطلا كالهزبر له مكان اللبدة درع ، ولا امرأة حسناء كالمهاة لها خدم من مثلها : يعنى نساء من الأمراء والأشراف .

(٤) الشفرات جمع شفرة ، حد السيف . والباترات . القاطعات . ومكامن الأرض : الخفيات منها . والفيطان : جمع غائط ، اللطمن من الأرض ؛ والأكم : جمع أكمة ، التل . يقول : إنهم لوشك حينهم - هلاكهم - وحلول آجالهم - لم يجدهم

وَجَاوَزُوا أَرْضَنَا مُعْصِمِينَ بِهِ وَكَيْفَ يَنْصِمُهُمْ مَا لَيْسَ يَنْصِمُ^(١)
وَمَا يَصُدُّكَ عَنْ بَحْرِ لَهْمٍ سَعَةً وَمَا يَرُدُّكَ عَنْ طَوْدٍ لَهْمٍ شِمَمٍ^(٢)
ضَرْبَتُهُ بِصُدُورِ الْخَيْلِ حَامِلَةً قَوْمًا إِذَا تَلَفُوا قَدْ مَا فَقَدْ سَلُوا^(٣)
تَجَحَّلُ الْمَوْجُ عَنْ لِبَاتِ خَيْلِهِمْ كَمَا تَجَحَّلُ تَحْتَ الْفَارَةِ الْقَعَمُ^(٤)
عَبَّرْتَ تَقْدُمُهُمْ فِيهِ وَفِي بَلَدٍ سَكَّانُهُ رِمَمٌ مَسْكُونُهَا حُمَمٌ^(٥)

ينفعهم - الحرب ، ولم ينجمهم من القتل ، حتى كأن الواضع التي هربوا إليها من الشيطان والجبال كانت تغذف بهم وترميمهم على حدود السيف .

(١) أرسناس : نهر معروف ببلادهم ، ومعصمين : أى ممتنعين ؛ وأسله أن يستملك الراكب بشيء خوفاً من أن يصرعه فرسه . يقول : قطعوا هذا النهر مستمسكين به ظانين أنه يعصمهم منك ، وكيف يعصمهم ما ليس ينصم منك ؟ لأنك تقطعه وتركه بالسفن والجسور وراءهم .

(٢) الطود : الجبل . والشمم : العلو والارتفاع . والبيت توکید للبيت السابق . يقول : إن سعة بحارهم لا تصدك عنها ، لأنك تقطعها وإن كانت واسعة ، وارتفاع جبالهم لا يردك عنها ، لأنك تعلوها وتصعدھا .

(٣) الضمير في ضربته : للنهر - وهو أرسناس - وقدماء - أى إقداما - حال يقول : ضربته بصدر خيلك حين عبرته وهى تحمل قوما يرون التلف في الإقدام سلامة : أى لا يهابون التلف ، بل يتهافون عليه ، وفيه نظر إلى قول أبى تمام :

يسستعذبون مناياهم كأنهم لا يياسون من الدنيا إذا قتلوا

(٤) تجحل - في الصراعين بحذف إحدى التاءين - أى تتجحل ، والتجحل : الإسراع في الذهاب . واللبات : جمع لبة . أعلى الصدر . و"نارة : الخيل الفائرة على العدو ؛ والنم : المواشى ، وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل يقول : إن الأمواج تنهزم أمام صدور خيلهم وهى سابحة فتتابع بسرعة كما تنهزم المواشى عند الفارة عليها فتنهزم وتجحل بسرعة .

(٥) تقدمهم أى تقدمهم ، والضمير من « فيه » للنهر والرمم : العظام البالية . والحلم بوزن صرد : الرماذ والفحم ، وكل ما احترق بالنار ، الواحدة حممة . وفى الأثر : إن رجلاً أوصى بنيه عند موته فقال : إذا أنامت فأحرقوني بالنار ، ثم إذا صرت حمياً فاسحقوني ، ثم ذروني في الريح لعل أضل الله وقال طرفة :

وَفِي أَكْثَمِهِمُ النَّارُ الَّتِي عُيِدَتْ قَبْلَ الْمَجُوسِ إِلَى ذَا الْيَوْمِ تَضْطَرُّمُ^(١)
 هِنْدِيَّةٌ إِنْ تُصَفِّرْ مَفْشَرًا صَفَّرُوا بِحَدِّهَا أَوْ تُعْظِمُ مَفْشَرًا عَظَمُوا^(٢)
 قَاسَمَتَهَا تَلَّ بِطَرِيقٍ فَسَكَانَ لَهَا أَنْطَأُهَا وَلَكَ الْأَطْفَالُ وَالْحَرَمُ^(٣)

أشجاك الربع أم قدّمه أم رماد دارس حمه

يقول : عبرت النهر متقدما رجالك فيه وفيما قصدت إليه من ذلك البلد الذي قتلت أهله فصاروا رمما ، وأحرقت مساكنهم فصاروا حمما . وذلك البلد هو تل بطريق .
 (١) وفي أكثمهم : أى أكف أصحاب سيف الدولة الذين ذكروهم في قوله حاملة قوما - وأراد بالنار : السيوف جعل السيوف نارا ، اضطراما وإهلاكا ؛ أولا فيها من البريق واللحان . يقول : إنها - السيوف - نار كانت مطاعة في كل وقت قبل أن تعبد المجوس النار ، وهى نار تضطرم إلى هذا اليوم : أى تتوقد وتبرق . وقال ابن جني : يريد سيوفا كالنار في الصفاء والجواهر : وقبل المجوس : يريد أنها قديمة . وعبارة الخطيب التبريزي : يريد بالنار : السيوف ، شبهها بالنار اضطراما وإهلاكا . وعبادتهم السيوف : اشتملهم بها كما يشتمل المسلمون بالصحف والسيحون بالصلب .
 (٢) هندية : أى هى سيوف منسوبة إلى الهند . وقال العكبرى : جزم الشرط ولم يأت له بجواب مجزوم ولا بما يقوم مقامه . والأولى في الشرط والجواب إذا كانا فاعلين أن يكونا مستقبلين ، ويجوز أن يكونا ماضيين : ويجوز أن يكون الشرط ماضيا والجواب مضارعا ، وبالعكس - كهذا « وهو أضعفها ، لأن الشرط إذا أثر في الشرط يريد أن يؤثر في الجواب . وذكر عبد القاهر أن الشرط إذا كان ماضيا والجواب مضارعا جاز فيه الجزم والرفع ، وأنشد بيت زهير :

وإن أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم^(١)

وهذا قول مردود . لأن سبويه يجعل هذا ضرورة في الشعر ، والشرط معترض ويقول خبر « لا » جواب ، وموضع الضرورة يؤخر الخبر إلى موضع الاعتراض ، ويقدم الاعتراض إلى موضع الخبر ، وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله : يقول ؛ ووجه التأخير أن المعنى يقول : لا غائب مالى إن أتاه خليل .

(٣) الهاء من « قاسمتها » و« لها » : للنار : أى السيوف ؛ وتل بطريق : مفعول

(١) التحليل : المحتاج للعدم والفقر المختل الحال ، والسغبة : المجاعة . وحرم .

أى ممنوع .

تَلْقَى بِهِمْ زَبَدَ الْتِيَّارِ مُقْرَبَةً ١ عَلَى جَحَافِلِهَا مِنْ نَضْجِهِ رَثِمٌ ٢
 دُهُمٌ فَوَارِسُهَا رُكَّابٌ أَبْطَنُهَا ٣ مَكْدُودَةٌ يَقُومُ لَابِهَا الْأَلَمُ ٤
 مِنَ الْجِيَادِ الَّتِي كِدَتْ الْعَدُوُّ بِهَا ٥ وَمَا لَهَا خَلَقَ مِنْهَا وَلَا شَيْمٌ ٦
 تَتَاجُ رَأْيِكَ فِي وَقْتٍ عَلَى عَجَلٍ ٧ كَلَفَظَ حَرْفٍ وَعَاهُ سَامِعٌ فَهَمٌ ٨
 وَقَدْ تَمَنَّوْا غَدَاةَ الدَّرَبِ فِي لَجَبٍ ٩ أَنْ يُبْصِرُوكَ فَلَمَّا أَبْصَرُوكَ عَمَّوْا ١٠

ثان لقاسمتها ؛ والضمير من أبطالها : لتل بطريق . يقول : قاسمت سيوفك سكان هذه البلدة - تل بطريق - فجعلت أبطالها للسيوف فأهلكتهم وسبيت أنت الأطفال والنساء .

(١) بهم : أى بالأطفال والحرم والزبد : رغبة للوج . والتيار : اللوج الذى ينضح - يرش - والمقربة - فى الأصل - : الحيل المدناة من البيوت ، لكرمها وإعدادها للغارة والجحافل : جمع جفلة ، وهى لدى الحافر كالشفة للإنسان ؛ والنضح : الرش ؛ والرثم : بياض فى شفة الفرس العليا ، يريد بالمقربة : السفر ؛ جعلها كالحيل للمقربة : يعنى عبر بالسبي الماء وهم فى زوارق تشق زبد الأمواج ؛ ولما سماها مقربة استعار لها الجحافل ، وجعل مالمصق من زبد الماء بها كالرثم فى جحافل الخيل .

(٢) دهم : أى هى - المقربة - دهم ، وفوارسها : مبتدأ ؛ وركاب : خبره ؛ ومكدودة أى مجهودة بسرعة السير - خبر آخر عن ضمير « المقربة » ؛ والألم : مبتدأ خبره : يقوم يقول : هى سود - لأنها مطلية بالقار ، وفوارسها تركب بطونها ، لاظهروها ، على خلاف الخيل إذا ركبت ، وهى متعبة فى سيرها ؛ إلا أن ألم هذا اللتعب ينال من الملاحين لامنها هى لأنهم هم الذين يعملون دونها .

(٣) الجياد : الخيل ، والجار والمجورور : خبر آخر عن ضمير « المقربة » والشيم : الأخلاق ، يقول : إن هذه السفن تعد من الخيل التى جعلتها كيدا لأعدائك لأنها تحمل جيوءك إليهم ، إلا أنه ليس لها خلقة الخيل ولاطباعها .

(٤) فى وقت : صلة تتاج ؛ وعلى مجل : بدل من الظرف قبله والمراد بالحرف هنا : الكلمة . يقول : إن هذه السفن مما أحدثه رأيك فى وقت قريب المدة كدمة فهم السامع ذى الفهم كلمة ينطق بها ناطق : أى كانت المدة فى انخاضها كالكمة التى يستغرقها فهم السامع الفطن حرفا : أى كلمة . قال الواحدى : ويجوز أن يريد الواحد من حروف المعجم بما له معنى : ك «ع» ، من وعيت ، و «د» : من وديت .

(٥) الدرب : موضع ؛ وغداة الدرب : أى غداة اليوم الذى كانوا فيه على هذا

صَدَدْتَهُمْ بِخَيْسٍ أَنْتَ غُرَّتُهُ وَصَمَرِيَّتُهُ فِي وَجْهِهِ غَمَمٌ^(١)
فَكَانَ أَثْبَتَ مَا فِيهِمْ جُسُومُهُمْ يَسْقُطْنَ حَوْلَكَ وَالْأَرْوَاحُ تَنْهَزِمُ^(٢)
وَالْأَعْوَجِيَّةُ مِلءُ الطُّرُقِ خَلْفَهُمْ وَالْمَشْرِفِيَّةُ مِلءُ الْيَوْمِ فَوْقَهُمْ^(٣)
إِذَا تَوَافَقَتِ الضَّرَبَاتُ صَاعِدَةً تَوَافَقَتْ قُلُلٌ فِي الْجَوِّ تَضْطَدِمُ^(٤)

الموضع ؛ وفي لجب : حال من فاعل « تمنوا » واللجب : الصياح واختلاط الأصوات ؛ وبكسر الجيم : نعت للجيش العظيم الذي تختلط أصواته . يقول : أرادوا أن يبصروك في ذلك اليوم ، فلما أبصروك عموا عن الرشد والرأى - أى تحيروا - أو تقول : تمنوا في ذلك اليوم أن يبصروك فلما أبصروك سددت عليهم مذهب الرأى فصاروا من شدة الحيرة كالعميان . وقال الواحدى : عموا : أى غضت هيبتك عيونهم عنك فكأنهم عموا .

(١) الخيس : الجيش . « والقرة » فى الأصل : البياض فى جبهة الفرس ، وقد يراد بها الوجه والطلعة وشريف القوم . والسمهرية : الرماح ؛ والغمم : كثرة الشعر وإسباله على الوجه . جعل الجيش كأنه فرس ، وسيف الدولة فى مقدمته كالقفرة ، والرماح المشرعة فى أيديهم كالغمم ، لكثرتها وتلززها ، وهذا ينظر إلى قول الآخر :

قَلَوْنَا أَنَا شَهْدَانَا كَمْ نُصِيرُنَا بِذِي لَجِبٍ أَرْبَ مِنَ الْعَوَالِي

(الأرب - فى الأصل الطويل الشعر الكثيرة ؛ والعوالى : الرماح . واللجب : اختلاط الأصوات ، وذو اللجب : الجيش) .

(٢) يسقطن : أى الجسموم ، والجملة حالية ، يقول : ثبتت أجسامهم أمامك ؛ لأنك لم تترك لهم سبيلا إلى الهزيمة ، فسقطت حولك وانهمزت أرواحهم .

(٣) الأعوجية : الخيل المنسوبة إلى أعوج - فرس كريم كان لبني هلال - وولء - فى الصراعين - حال من الضمير فى الظرف ؛ والمشرقية : السيوف ، يقول : إن الخيل كانت خلفهم مائلة الطرق لكثرتها ، وجعل السيوف ملء اليوم ، لأنها تملو فى الجو وتنزل عند الضرب فى الهواء ، فأينما كان النهار كانت السيوف . وهذا - كما قال الواحدى - مبالغة فى القول ، وإغراق فى الوصف .

(٤) الضربات - بسكون الراء - للضرورة . والقلل : جمع قلة ، أعلى الرأس . يقول : إذا توافقت الضربات من الأبطال صاعدة فى الهواء - لأن اليد ترفع للضرب - توافقت رءوس مقطوعة بتلك الضربات متصادمة فى الهواء : يعنى أنهم لا يضربون ضربة

وَأَسْلَمَ ابْنُ شُمَشَقِيقٍ أَلَيْتَهُ^(١) أَلَا أُنْتَفَى فَهَوَ يَنْأَى وَهَى تَبَقَسِمَ^(٢)
 لَا يَأْمُلُ النَّفْسَ الْأَقْصَى لِمُهْجَتِهِ^(٣) فَيَسْرِقُ النَّفْسَ الْأَذْنَى وَيَفْتَنِمَ^(٤)
 تَرُدُّ عَنْهُ قَنَا الْفُرْطَانِ سَابِقَةً^(٥) صَوَّبُ الْأُسْنَةِ فِي أَثْنَائِهَا دِيمَ^(٦)
 تَخْطُ فِيهَا الْعَوَالِي لَيْسَ تَنْفُذُهَا^(٧) كَأَنَّ كُلَّ سِنَانٍ فَوْقَهَا قَلَمَ^(٨)
 فَلَا سَقَى الثَّمِيثُ مَا وَارَاهُ مِنْ شَجَرٍ^(٩)
 لَوْ زَلَّ عَنْهُ لَوَارَتْ شَخَصَهُ الرَّخَمَ^(١٠)

إلا قطعوا بها رأسا ، فالردوس المقطوعة على قدر تلك الضربات ، لا تخطىء لهم ضربة عز قطع رأس .

(١) أسلم : ترك ؛ وابن شمشقيق : بطريق من بطارقة الروم : أى قوادم ؛ وأليته يمينه . وألا : أى أن لا ؛ و « أن » هنا : لتفسير ؛ ولا انتفى : حكاية اليمين ، وينأى يبعد . يقول : ترك يمينه التى حلف بها وآلى أنه يثبت ولا ينهزم ولا يرجع عنك ، فانهز وأبعد فى الهزيمة ويمينه تسخر منه وتضحك .

(٢) الأقصى : الأبعد : ضد الأدنى - وقد طابق بينهما - والمهجة : الروح . وقوله فيسرق : أراد فهو يسرق ، فرفقه . يقول : ليأسه من نفسه لا يأمل أن يستتم النفس البعيد - أى الطويل - فهو يقتنم أنفاسه القريبة سرقة من أبدى الأجل .

(٣) عنه : أى عن ابن شمشقيق ، والقنا : الرماح ، والسابقة : الدرع التامة الطويلة والصوب : الانصباب ، والديم : جمع ديمة ، المطر الدائم فى سكون ، وفى أثنائها : أى فى تضاعفها ومطاوئها ، يقول : تمنع الرماح من النفوذ فيه درع سابقة ، وقد تلطخت بالدماء التى تسيل من الأسنة عليها ، وقال ابن جنى : وقع الأسنة فى هذه الدرع كديمة المطر قابعاً .

(٤) العوالى : صدور الرماح ، وليس تنفذها : حال ، يقول : إن الرماح تؤثر فى درعه : أى تجرحها ، ولا تنفذها إلى جسمه ، حتى كأن أسنتها أقلام تخط فى القراطيس ولا تؤثر فيه ولا تغرقه .

(٥) الثيث : المطر ، وواراه : ستره وأخفاه ؛ ومن شجر : بيان لـ « ما » . وزل عنه : أخطأه ، والرخم : جمع رخمة ، طائر من الجوارح الكبيرة ، يشبه النسر فى الحلقة ، يقول : إنه لما هرب استتر فى الشجر فلم يبصره الفرسان ، ولولا ذلك لقتل وألقى للطير ،

أَلْهِىَ الْمَمَالِكَ عَنْ فَخْرٍ قَفَلْتُ بِهِ شُرْبُ الْمَدَامَةِ وَالْأَوْتَارُ وَالنِّعَمُ^(١)
مُقَلِّدًا فَوْقَ شُكْرِ اللَّهِ ذَا شُطْبٍ لَا تُسْتَدَامُ بِأَمْضَى مِنْهُمَا النِّعَمُ^(٢)
أَلَقْتُ إِلَيْكَ دِمَاءَ الرُّومِ طَاعَتَهَا
فَلَوْ دَعَوْتَ بِلَا ضَرْبٍ أَجَابَ دَمٌ^(٣)
يُسَابِقُ الْقَتْلُ فِيهِمْ كُلَّ حَادِثَةٍ فَمَا يُصِيبُهُمْ مَوْتُ وَلَا هَرَمٌ^(٤)
نَفَتْ رُقَادَ عَلِيٍّ عَنِ مَحَاجِرِهِ نَفْسٌ يُفَرِّجُ نَفْسًا غَيْرَهَا الْحِلْمُ^(٥)

فكانت تجتمع - الطير - عليه فتوارى شخصه ، ودعا على الشجر الذى أخفاه بأن لا يسقى الماء .

(١) الممالك : أى أصحاب الممالك ، وقفلت : رجعت ، يقول : ألهى الملوك عن مثل هذا الفخر - الذى كسبته فى هذه الغزوة - لهوهم واشتغالهم بشرب الخمر واستماع الغناء .

(٢) مقولدا : حال ، العامل فيها : قفلت ، وذا شطب : أى سيفاً فى منته طرائق ، والضمير فى « منهما » : للشكر والسيف ، يقول : جعلت الشكر شعارك ، وتقلدت فوقه سيفاً تمجده به أعداء الله ولا شيء يستديم النعم مثلها ؛ فقلوه : لاستددام الخ استئناف ، قال العكبرى : هو استئناف وليس بوصف لشكر الله وذا شطب : لأن أحدهما معرفة والآخر نكرة ، والمعرفة لاتوصف بالجملة ، ولا يجمع بين وصف المعرفة والنكرة ، جرى مجرى قولك : مررت بزيد وجاءنى رجل عاقلان : أى هما عاقلان ، لأنك استأنفت الجملة .

(٣) يقول : لكثرة ما قتلتهم منهم كأن دماءهم صارت تطيعك ، لعلها بأنها لا تمتنع منك كما أردت صفكها ، حتى لو دعوتهم للقتال ولم تضربهم لسات دماؤهم قبل الضرب إجابة لك .

(٤) يريد بالحادثة : ما يصيب الإنسان من مرض أو زمانة أو غيرها . يقول : إنك تعجل قتلهم فلا تمهلهم أن يموتوا خائف أنوفهم أو يهربوا من كبر السن . فيهلكون شاباً أصحاء الأبدان ؛ وبعبارة أخرى : إنك تفنهم بالقتل فأنت تسابق الحوادث فيهم والموت والمهرم ؛ فما ترك منهم أحداً حتى يموت خائف أنه ولا تدعه حتى يكبر فيهرم ، (٥) على : اسم سيف الدولة ؛ والمهاجر : جمع محجر ، وهو ما حول العين - يهد جفونه - والحلم : الرؤيا فى النوم . يقول : نفى الرقاد عن عينيه نفس كبيرة لا تسكن

القائمُ المَلِكُ الهَادِي الَّذِي شَهِدَتْ
 قِيَامَتُهُ وَهَدَاهُ الْعَرَبُ وَالْعَجَمُ^(١)
 ابْنُ الْمُعَفَّرِ فِي نَجْدٍ فَوَارِسَهَا
 بِسَيْفِهِ وَلَهُ كُوفَانُ وَالْحَرَمُ^(٢)
 لَا تَطْلُبُنَّ كَرِيماً بَعْدَ رُؤْيَيْهِ إِنَّ الْكِرَامَ بِأَسْخَاهُمْ يَدَاخُتُمُوا^(٣)
 وَلَا تَبَالِ بِشَعْرِ بَعْدَ شَاهِرِهِ قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَجِدَ الصَّمَمَ^(٤)

إلى الأحلام ولا ما تزنيه من بلوغ الآمال ، لأن مثله في قوة عزمه وبعد مرتقى همته لا يستريح أو يحقق بنفسه وقوة إرادته مقتضى عزمته . وقال العكبري : نفى رقاذه عن عينيه كبير همته وقوة عزمه ونفس يفرج عن غيرها النوم والدعة واللهو . ويفرج : تروى يفرج - بالحاء المهملة -

(١) القائم : إما بالرفع - على أنه خبر مبتدأ محذوف : أي هو القائم - وإما بالجر بدلا من « على » . يقول : هو القائم بالأمور يديرها ويمضيها على وجهها الهادي إلى دين الله ، الذي شاهدت العرب والعجم ومن بدا ومن حضر قيامه بالأمور والحروب ، وهده في الدين ؛ ولك أن تقول الهادي من هدى اللازم : أي المهتدى .

(٢) عنده : ألقاه على العفر : أي التراب ؛ وكوفان : اسم للكوفة ، وأراد بالحرم : مكة - يقول : هو ابن الذي قتل فرسان نجد وتركهم يتمرغون في التراب وملك الكوفة والحرم . قال الواحدى : يعنى حرب أبيه أي الهيجاء للقراطة وإفناءه إياهم وولايته الكوفة وطريق مكة . قال العكبري : وأنت ضمير نجد - بقوله فوارسها - على إرادة الجهة ؛ قال : ويجوز أن يكون الضمير لفرسان العرب ، وهو أجود من أن يعود على نجد .

(٣) يدا : تميز . يقول : متى رأيته وظفرت به فلا تطلب بعده كريما ، فلا كريم بعده ، لأنه خاتمة الكرام ؛ إذ هو أسخاهم يدا .

(٤) يريد بشاعره : نفسه ، ثم قال : قد فسد قول الشعر ، فخليق به ألا يسمع ، فالصمم حينئذ يحمد حتى يتفادى من سماع مثل هذا الشعر .

وقال يمدح إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله
فى صباه :

كُنِّيْ أَرَانِيْ وَبِكَ لَوْمَكَ الْوَمَا هَمْ أَقَامَ عَلَى فُوَادِيْ أَنْجَمًا^(١)
وَحَيَالُ جَنَسٍ لَمْ يُخَلِّ لَهُ الْهَوَى لَحْمًا فَيُنْجِلُهُ السَّقَامُ وَلَا دَمًا^(٢)
وَحُنُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لِهَيْبِهِ يَا جَنَّتِيْ لَظَنَنْتُ فِيْهِ جَهَنَّمَ^(٣)

(١) كفى : دعى وتركى ؛ وأرانى : يريد عرفنى وأعلمنى . ووبك : أصلها وبلك ،
غذفت اللام لكثرة الاستعمال ، وهى كلمة تقال فى مقام التعجب والإنكار ؛ وهم : فاعل
أرانى ؛ والياء - فى أرانى - مفعول أول ولومك : مفعول ثان ؛ و«الوما» مفعول ثالث
وأنجم أى أطلع وذهب . قال الواحدى : يقال أنجمت السماء : إذا أطلعت عن المطر ؛
وأنجم المطر : أى أمسك ؛ ولا يقال أنجم الفؤاد ، ولا فؤاد منجم ، ولكنه - للتنبي -
استعمله فى مقابلة أقام . يقول للعاذلة : تركى عدلى ، فقد أرانى الهم - القيم على فؤادى
الراحل الذاهب مع الحبيب - أن لومك إياى أحق بأن يلام منى . وعلى هذا يكون
«الوما» مبنيًا من اللوم ، وأفعل لا يبنى من المفعول إلا شاذًا . وقال قوم :
«الوما» من الليم ، وهو الذى استحق اللوم . يقول لها : الهم أرانى لومك أبلغ فى
الإلامه واستحقاق اللوم ، وهذا أبلغ فى الشذوذ . وقال الواحدى : المعنى أرانى الهم
القيم على فؤادى الراحل الذاهب مع الحبيب - أن لومك أبلغ تأثيرًا وأشد على وذلك
أن المحزون لا يطيق استماع اللوم ، فهو يقول لومك أوجع فى هذه الحالة ، فكفى عنى
وفيه نظر إلى قول عمر بن أبى ربيعة :

تَقُولُ وَتُظْهَرُ وَجَدًا بِنَا وَوَجَدَى لَوْ أَظْهَرْتَ أَوْجَدَ

وقال التبريزى : يحتمل المصراع الأول أن يكون مستغنيا بنفسه: أى كفى لومك فإنى
أرانى ألوم منك : أى أكثر منك لوما لنفسى ، فيكون «هم» مرفوعا بابتداء مضمرة .
أى هذا هم ، أو بفعل : أى أصابنى هم .

(٢) حَيَالُ : عطف على «هم» ، جعل جسمه خيالًا ليدل بذلك على دقته ونحوه ،
فإن الحيال أيسر لما يتخيل لك لا عن حقيقة . يقول . لم يترك الهوى بجسمى محلا من
لحم ودم فيعمل فيه السقام . ونصب «ينحله» لأنه جواب نفي بالفاء .

(٣) وخفوق . عطف آخر على «هم» ، والخفوق والخفقان : اضطراب القلب ،
واللهيب : ما التهب من النار ، ويريد بلهب قلبه : ما فيه من حرارة الشوق والوجد

وَإِذَا سَحَابَةٌ صَدَّ حَبًّا أُبْرِقَتْ تَرَكْتُ حَلَاوَةَ كُلِّ حَبٍّ عَلَقَمًا^(١)
يَا وَجْهَ دَاهِيَةٍ الَّتِي كَوَّلَاكَ مَا
أَكَلَ الضَّنَى جَسَدِي وَرَضَّ الْأَعْظَمَا^(٢)
إِنْ كَانَ أَغْنَاهَا الشُّلُو فَاثْنِي أَصْبَحْتُ مِنْ كِبْدِي وَمِنْهَا مُقَدِّمًا^(٣)

وعنى بالجنة : الحبيبة ، يقول : لو رأيت ما في قلبي من حر الشوق والوجد لظننت أن جهنم في قلبي ، وانتقل من خطاب العاذلة إلى خطاب الحبيبة ، والتصة واحدة ، وإن أراد بالعاذلة الحبيبة لم يكن انتقالا ، ولكن الحبيبة لا تعذل على الهوى إلا ترى إلى قول أبي حية النميري :

عَذَلْتَنِي فِي عَشِقَةٍ أَمْ عَمْرُو هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْمَاذِلِ لِلْمَشُوقِ ؟
والبیت فيه نظر إلى قول عبد الله بن الدمينه في وداع محبوبته :

عَذَّتْ مُقَلَّتِي فِي جَنَّةٍ مِنْ جَاهِلَا وَقَلْبِي غَدَا مِنْ مُحِبَّهَا فِي جَهَنَّمِ
(١) الحب : المحبوب . وأبرقت السحابة : أظهرت برقها ، والعلقم : شجر مر يقال هو شجر الحنظل ويقال لكل شيء مر : علقم ، استعار للصدود سحابا ، ولما استعار له سحابا استعار له برقا . يقول : إذا ظهرت مخايل الصدود ولاحت لوائحه : زالت حلاوة الحب واستحالته إلى مرارة .

(٢) قال ابن جني : داهية : اسم التي شرب بها ، وقال ابن فورجه : ليست باسم علم لها ، ولكن كنى بها عن اسمها على سبيل التضجر ، لعظيم ماحل به من بلائها : أى أنها لم تكن إلا داهية على ، قال الواحدى : والوجه قول ابن جني لترك صرفها في البيت ، ولو لم تكن علما لكان الوجه صرفها . أقول : الوجه ما ذهب إليه ابن فورجه ، وإنما هو كناية عن اسم الحبيبة نزلها منزلة العلم عليها ، فمنعها من الصرف لذلك . يقول لوجه الحبيبة : لولاك ما تسلط الهزال على جسدى ومادق عظمى ، والرض : الدق والكسر ورضاض كل شيء : دقائه ، فالعنى . ضعفت حتى كفى قد كسرت عظامى .

(٣) المعدم : الفقير ؛ ذكره في مقابلة قوله « أغناها » وسلاه وسلاعه سلوا : نسي ذكره وذهل عنه يقول : إن كان السلو قد أغناها عنى فليست تحتاج إلى وصلى ، فقد عديمها وعدمت كبدى ، لأن هواها أحرق كبدى ، فأنا معدم - فقير - منها ومن كبدى أى أنها سالية عنى وأنا فقير إليها ، وبعبارة بعض الشراح : يريد أنها قد سلبت كبده بحبها ؛ فإن كان السلو قد أغناها عنه حتى لا تحتاج إلى وصله فقد عدم كده وحبسته .

غُصْنٌ عَلَى نَقْوَى فَلَاةٍ نَابَتْ شَمْسُ النَّهَارِ تُقِلُّ لَيْلًا مُظْلِمًا^(١)
 لَمْ تَجْمَعْ الْأَضْدَادُ فِي مُتَشَابِهِ إِلَّا لَتَجْمَعَنَّ لِي لِعَرْمِي مَقَمًا^(٢)
 كَصِفَاتٍ أَوْجَدَنَا أَيْ الْفَضْلِ الَّتِي بَهَرْتُ فَأَنْطَقَ وَأَصْفِيهِ وَأَفْحَمًا^(٣)
 يُعْطِيكَ مُبْتَدِرًا فَلَنْ أَعْجَلْتَهُ أَعْطَاكَ مُعْتَذِرًا كَنْ قَدْ أَجْرَمًا^(٤)

لأنه قد حرهما جميعا : هذا . ومعدما رواها ابن جني « مصرما » والمصرم والمعدم واحد ؛ ومثلهما : المحقق والمناق والمبلط والمسر والمقتر والمفلس ، كل أولئك : الذي لا مال له ومن كلام العرب : كلاً تبع له كبد المضرم ، وهو الذي لا مال له ، يحزن أن لا يكون له إبل كثيرة فيرعها في هذا السكلاً فأوجعته كبده .

(١) نقوى: ثنية « نقام »، وهو الكتيب من الرمل، يقال في الثنية : نقوان ونقيان ، وسمى الكتيب من الرمل نقالاً لأن المطر إذا أصابه نقام وغسله كما ينقي الثوب بالغسل . والفلاة : المفازة . وتقل : تحمل ، يصف الحبيبة يقول : هي غصن - يعني قامتها - نابت على كتيب رملي « يعني ردفها » ووجهها شمس النهار تحمل من شعرها ليلامظما . (٢) يريد بالأضداد : ما ذكره في البيت السابق - من دقة قامتها ، وثقل ردفها ، وبياض وجهها ، وسواد شعرها - وهذه - على تضادها - مجموعة في شخص متشابه الحسن . يقول : لم تجمع هذه الأوصاف المتضادة في شخص تماثل حسنه إلا لتجعلني هذه الأضداد غنا لعرمي : أي لما لزم من عشقها وهواها ، يعني إلا لتستعبدني وترتهن قلبي فقله « في متشابه » أراد شخصها الذي تشابهت أعضاؤه في حسن الخلق وتناسبه ، والغرم : الغرام ، وهو ما لزمه من عشقها وهواها ؛ والمغرم : الغنيمه ، وهو ما يقنمه الإنسان ؛ وأصله من مال العدو ثم صار في كل ما يصيبه الإنسان من كسب أو هبة . ويروى « لم تجمع الأضداد » على إسناد الفعل للحبيبة .

(٣) بهر الشيء : ظهر وغلب بظهوره ، كالشمس تبهر النجوم . شبه هذه الأضداد بصفات المدوح من كونه مرا على الأعداء ، حلواً للأولياء ، طاقاً لدى الندى ، جهما عند اللقاء - في الحرب - وما أشبه ذلك . وقال : إن هذه الصفات غلبت واصفها فلم يقدرها على وصفها فأنتطق واصفيه ، لأنهم حاولوا وصفه ووصف محاسنه : ثم أخفهم لعجزهم عن إدراكها ، والإخام : ضد الإنطاق ، والمفحم : الذي لا يقول الشعر ، وهذا ضرب من التخلص .

(٤) يقول : إنه يتندرك بالعطاء ، فإن سبقته بالسؤال أعطاك واعتذر إليك عن تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بحرماً - أي ذنب - وهو في الأصل الكسب يقال تأخر عطائه عن سؤالك ، كأنه أتى بحرماً - أي ذنب - وهو في الأصل الكسب يقال (١٠ - التنبؤ ٤)

وَيَرَى التَّعَظَّمَ أَنْ يُرَى مُتَوَاضِعًا
وَيَرَى التَّوَاضُّعَ أَنْ يُرَى مُتَعَظِّمًا^(١)
ذَرَّ النَّعَالَ عَلَى الْمِطَالِ كَأَنَّمَا خَالَ السُّؤَالَ عَلَى النَّوَالِ مُحَرَّمًا^(٢)
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْمَصْنُوعِي جَوْهَرًا
مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أُنَمَّى مِنْ مِمَّا^(٣)

جرم مجرم واجترم : أى كسب ، وهو مجرم لأهله ويحترم : أى يتكسب ويطلب
ويحتال ، وجريمة القوم : كاسبهم ، يقال فلان جارم أهله وجريمته : أى كاسبهم ، قال
أبو خراش المذلي يصف عقابا شبه فرسه بها :

كَأَنِّي إِذْ غَدَوْتُ ضَمَنْتُ بُزْيَ مِنْ الْعِقْبَانِ خَائِثَةً طُلوْبًا

جريمة ناهض فى رأس نيق ترى لعظام ماجعت صليبا^(١)

(١) التعظم : إظهار العظمة ؛ وضده التواضع ، وهو أن يظهر الضعة من نفسه ووضع
التواضع موضع الضعة والحساسة ، كما وضع التعظم موضع العظمة ، يقول : يرى شرفه
وارتفاع رتبته فى تواضعه ، وانضاعها فى تكبره والمعنى : يرى العظمة فى أن يتواضع ،
ويرى الضعة فى أن يتعظم : أى فليس يتعظم

(٢) الفعال : اسم للفعل الجليل ، والمطال : الماطلة ، وهى المدافعة ، قال الواحدى :
ولو قال « المقال » : لكان أحسن ، ليكون فى مقابلة الفعال ، يقول : نصر فعله على
القول ، وعطاءه على المطل : أى يعطى ولا يعد ولا يماطل ، كأنه يظن أن السؤال حرام
على العطاء ، ولا يجوز إلى السؤال ، بل يسبق بعطائه السؤال ، قال الواحدى : وهذا
على المجاز والتوسع ، لأن العطاء لا يوصف بأنه مجرم عليه شيء ، ولكنه أراد أن
يذكر تباعده عن الإلجاء إلى السؤال .

(٣) أراد بالجواهر : الأُصل والنفس ، وذو الملكوت : هو الله سبحانه وتعالى ؛
يقول : أيها الملك الذى خلص جوهرها « أى أصلا ونقسا » من عند الله : أى أن الله تعالى

(١) غدوت : أى للحرب . وبزى : أى سلاحى . وخائثة : أى منقضة . يقال
خانت العقاب : أى انقضت ، وطلوبا : صفة لخائثة ، وجريمة : بمعنى كاسبة ، والناهض :
فرخها ، والنيق : أرفع موضع فى الجبل ؛ والصليب : ودك العظام . يقول عن هذه
العقاب التى شبه بها فرسه : إنها تعيد فرخها الناهض ما تأكله من لحم طيرا كلكته
وبقى عظامه يسيل منها الودك .

نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لَا هُوتِيَّةَ ، فَتَكَادُ تَعْلَمُ عِلْمَ مَا لَنْ يُفْعَلَ^(١)
وَيُهِمُّ فِيكَ إِذَا نَطَقْتَ فَصَاحَةً مِنْ كُلِّ عَضْوٍ مِنْكَ أَنْ يَتَكَلَّمَ^(٢)

تولى تصفية جوهره لا غيره ، فهو جوهر مصفى من عند الله تعالى . قال الواحدى وهذا مدح يوجب الوهم . والفاظ مستكرهه فى مدح البشر ، وذلك أنه أراد أن يستكشف المدوح عن مذهبه ، حتى إذا رضى بهذا : علم أنه ردى المذهب بادعائه الألوهية ؛ وإن أنكر : علم أنه حسن الاعتقاد ، لا يرضى بدعوى الألوهية لنفسه . وأسمى من سبأ : صفة لئى الملكوت - أما ابن جنى فإنه يجعله للمدوح ، لأنه قال : هو منادى ، كأنه قال : يا أعلى من علا . قال : ويجوز أن يكون موضعه رفعا ، كأنه قال : أنت أعلى من علا .

(١) لا هوتية : هى رواية ابن جنى ، قال : ونصبها على المصدر ، ويجوز أن تكون حالا من الضمير فى « تظاهر » . قال الواحدى : وهذا خطأ فى الرواية واللفظ ، لأن النور مذكر فلا تؤنث صفته ، والرواية لا هوتيه ، وتظاهر وظهر : بمعنى ، ويجوز أن تكون بمعنى تعاون : أى أعان بعضه بعضا ، ولا هوتية : إلهية ، وهى لغة عبرانية ، يقولون لله تعالى : لا هوت ، وللإنسان ناسوت ، وقال ابن جنى لو كان عربيا لكان اشتقاقه من أله الذى أدخل عليه الألف واللام فصار مختصا باسم الله تعالى - فى أحد قولى سيبويه - ويكون بوزن الطاغوت ، إلا أن الطاغوت مقلوب واللاهوت غير مقلوب ولو كان عربيا كان وزنه فعلوت بمنزلة الرهبوت والرحموت . يقول : قد ظهر فىك نور إلهى تكاد تعلم به الغيب الذى لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .

(٢) يهم : أى النور ، وفصاحة : مفعول له ، وأن يتكلم : صلة « يهم » يقول : ويهم هذا النور الإلهى لظهوره أن يتكلم فىك وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم جعل ظهوره فى كل عضو منه نطقا ، والمعنى : لفصاحتك يفعل النور ذلك فىك . وإليك نص كلام الواحدى : قال : قال ابن جنى : أى يهم كل عضو من أعضائك أن يتكلم بمدحك إذا نطقت لفصاحتك ، وهذا عند من يجوز زيادة « من » فى الإثبات ، وفىك - فى أول البيت - يتعلق بأن يتكلم فى آخره ، وفىك أى فى مدحك ووصفك . قال الواحدى وليس للمعنى على ما ذكره - أى ابن جنى - من وجهين : أحدهما : أنه جعل ظهور النور فى كل عضو منه نطقا . واللفظ لا يشعر به ، إلا أن يقال : هم به ولم يفعله ، والآخر : أنه لا يكون لقوله « إذا نطقت فصاحة » فائدة ، لأن قوله * ويهم فىك كل عضو منك أن يتكلم * أفاد المعنى المراد ، فبقى ذلك الباقي لقوا ،

أَنَا مُبْصِرٌ وَأُظِنُّ أَيْ نَأِئِمُّ مَنْ كَانَ يَحْلُمُ بِالْإِلَهِ فَأَحْلُمُ^(١)
كَعَبَرِ الْعِيَانِ عَلَى حَتَّى إِنَّهُ صَارَ الْيَقِينُ مِنَ الْعِيَانِ تَوْهُمَا^(٢)
يَا مَنْ لِحُودِ يَدَيْهِ فِي أُمُورِهِ نَقِمٌ تَعُودُ عَلَى الْيَقَايِ أَنْعَمَا^(٣)

واللغى أنه جعل التطق عبارة عن الظهور ، وكان ينبغي أن يقول هم - بأن يظهر - ولكنه لم يظهر ، لا أنه ظهر النور من جميع الأعضاء بالفعل وقال قوم : لما كان تكلم العضو بالنور الإلهي - أعني به القوة الناطقة - وكان هو للوجوب لنطق اللسان وغيره أضاف الفعل إليه وقال : بهم النور فيك أن يتكلم وينطق من كل عضو من أعضائك بخلاف سائر الناس الذين لا ينطقون إلا من أفواههم ، جعل ظهوره في كل عضو منه نطقا ، والغنى : لفصاحتك بفعل النور ذلك .

(١) يقول : أنا مستيقظ ولكن لعظم ما أرى منك وغرابته أظن أفي في الحلم ؛ ثم عدل عن ذلك وقال : بمن يحلم بالآله حتى أحلم بك ؟ يريد أن يثبت له الألوهية امتحانا ، وعبارة الشراح : أنا أبصرك وأظن أفي أراك في النوم ، قال هذا استعظاما لرؤيته ؛ وذلك أن الإنسان إذا رأى شيئا يعجبه وأنكر رؤيته قال : أرى هذا حلما ؛ أي أن مثل هذا لا يرى في اليقظة ؛ وهذا كما قال الآخر :

أَبْطَحَاءُ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي أَرَاهُ عِيَانًا وَهَذَا أَنَا

قال الواحدى : استفهم متعجبا مما رأى ؛ ثم حقق أنه رأى ذلك يقظان لا نائما يدل على هذا باقى البيت والغنى : لا يحلم أحد برؤية الله تعالى ؛ ولا يراه في النوم أحد حتى أراك أنا : أى كما لا يرى الله تعالى في النوم : كذلك لا ترى أنت قال الواحدى : وهذه مبالغة مذمومة وإفراط وتجاوز حد ثم هو غلط في إنكار رؤية الله تعالى في النوم ، فإن الأخبار قد توازرت بذلك . وقد ذكر للمبرون حكم تلك الرؤيا في كتبهم ، وروى أن ملكا من الملوك رأى في نومه أن الله تعالى قد مات ، فقص رؤياه على للمبرين فلم يتكلموا فيها بشيء استعظاما لما رأى ، حتى قال من كان أعلمهم : تأويل رؤياك أن الحق قد مات في بلدك لظلمك وجورك ، وذلك بأن الله هو الحق ، فعلم الملك أنه كما قال فرجع عن ظلمه وتاب .

(٢) هذا البيت تأكيد لما ذكر في البيت السابق . يقول : قد عظم على ما عاياه من المدح وحاله حتى شككت فيها رأيت ، إذ لم أر مثله ولم أسمع به حتى صار للعابن كالتوم الظنون الذى لا يدرك بالعيان ، أى لا يرى .

(٣) يقول : إن جودك يفرق مالك كأنه ينتقم منه كما تنتقم أنت من العدو بإهلاكه ،

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلًا ، وَيَقُولَ بَيْتُ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمًا^(١)
إِذْ كَارُ مِثْلِكَ تَرَكَ إِذْ كَارِي لَهُ إِذْ لَا تَرِيدُ لِمَا أَرِيدُ مُتَرَجِّمًا^(٢)

• • •

غير أن تلك النعم في أموالك نعم على الأيتام لأنها مفرقة فيهم : قال الواحدى : ولو قال: على البرايا لكان أعم وأشمل لأن اليتامى مقصور على صنف من الناس .
(١) ماذا - في للصراعيين « مركبة من « ما » النافية العاملة عجل « ليس » و « ذا » الإشارية . يقول : هو يفرط في جوده حتى ينسبه الناس إلى الجنون ، وحتى يقول بيت المال : ليس هذا مسلما ، لأنه فرق بيوت مال المسلمين ولم يدفع فيها شيئا ؛ ومثل هذا قول أبى نواس :

جُدْتُ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى قِيلَ مَا هَذَا صَحِيحٌ

يريد أبو نواس : ما هذا صحيح العقل . وقد صرح بذلك في موضع آخر فقال :

جَادَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى حَسِبُوهُ النَّاسَ حُمَقًا

وتبعه أبو تمام فقال ،

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَسْكَارِمِ وَالنَّدَى حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ عَمَلٌ

قال الواحدى : وهذا معنى بارد وقد زاده الطائى فسادا ، وأصل هذا المعنى من قول عبيد بن أيوب العنبرى :

حَرَاهُ تَأَمِكَةُ السَّانِمِ كَأَنهَا جَلُّ بَهْوَاجِ أَهْلِهِ مَظْمُونٌ

جَادَتْ بِهَا عِنْدَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كَلَّتَا يَدَيَّ عَمَرَ الْفِدَاءِ يَمِينُ

مَا كَانَ يُعْطَى مِثْلَهَا فِي مِثْلِهِ إِلَّا كَرِيمٌ الْخَلِيمُ أَوْ مَجْنُونٌ^(١)

(٢) أذكركه كذا : بمعنى ذكرته ، وللترجم : للعبر عن الشيء مثل الترجمان . يقول : إن مثلك لا يحتاج إلى إذكراك بحاجة ، لأنك تعلمها من غير تذكير ، فلست تحتاج إلى من يترجم لك عما يراد منك ، فيكون ترك الإذكراك إذكراكا لك . وهذا المعنى من قول أبى تمام :

وإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْءِ تَقْضَاهُ بَرَكَتُهُ تَقَاضَى

(١) تأمك السنام . اكتنز وتزوى ؛ وفي الصحاح : أى طال وارفع فهو تأمك ، وتأمة تأمك : عظيمة السنام .

وقال في صباه :

إِلَى أَى حِينٍ أَنْتَ فِي زَى مُحْرِمٍ . وَحَتَّى مَتَى فِي شِقْوَةٍ وَإِلَى كَمْ (١)
وَالْأَتَمْتُ تَحْتَ السُّيُوفِ مُكْرَمًا . تَمَّتْ وَتُقَاسِ الذِّلَّ غَيْرَ مُكْرَمٍ (٢)
فَتَبَّ وَائْتَقًا بِاللَّهِ وَثَبَّةً مَا جِئِدِ
يَرَى الْمَوْتَ فِي الْمَيْجَا جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمْرِ (٣)

وقال في مـصـباه :

ضَيْفُ أَلَمْ بِرَأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ . وَالسَّيْفُ أَحْسَنُ فِعْلاً مِنْهُ بِاللَّمِّ (٤)

(١) المحرم : من الإحرام بالحج والعمرة ، وزيه العرى ، لأنه لا يلبس الخيط .
يقول - لنفسه - : إلى متى أنت عريان شقي بالفقر ؟؟ ويجوز أن يريد أن المحرم لا يصيب
شيئا ولا يقتل صيدا فهو يقول : إلى متى أكف عن قتل الأعداء ؟ قال الواحدى : وهو
الوجه . هذا : و « كم » اسم مبنى على السكون وهو يقع عبارة عن الإخبار وعن
الاستفهام ؛ وهو هنا استفهام ؛ وحركته للقافية لا لالتقاء الساكنين ، قال العكبرى : فكأنه
قال : إلى كم التواني ؟

(٢) هذا حدث منه على الحرب والقتال وطلب العز . يقول : إن لم تقتل في الحرب
كريمة غير كريم في الذل والهوان : أى فلأن تصبر على شدة الحرب خير من أن
تبقى ثم لا تنحو من الموت في الذل

(٣) الميجا : من أسماء الحرب . وجنى النحل : ما يجتنى من خلاياها من العسل .
يقول : بادر إلى الحرب بدار شريف يستحلى الموت كما يستحلى العسل .

(٤) أراد بالضيف : الشيب ؛ كما قال الآخر :

أَهْلًا وَسَهْلًا بِضَيْفٍ نَزَلَ . وَأَسْتَوْدِعُ اللَّهَ إِلْفًا رَحِلًا

[يريد الشيب والشباب] وألم : نزل . والمحتشم : المنقبض المستحي . واللهم : جمع
لثة ، الشعر الذى جاوز شحمة الأذن وألم بالمنكبين . يقول : إن الشيب ظهر فى رأسه
شامعاً دفعة واحدة من غير أن يظهر فى تراخ ومهلة هذا هو معنى قوله « غير محتشم » ثم
فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب . كما قال البحرى :

إِبْعَدْ بَعْدَتْ بَيَاضًا لَا بَيَاضَ لَهُ لَأَنْتَ أَسْوَدُ فِي عَيْنِي مِنَ الظُّلَمِ^(١)

وَدِدْتُ بَيَاضَ السِّيفِ يَوْمَ لَقِينَنِي مَكَانَ بَيَاضِ الشَّيْبِ حُلَّ بِمَفَرِّي^(٢)
« جعل نزول السيف برأسه أحب إليه من نزول الشيب به » وقال الواحدى :
إنما فضل فعل السيف بالشعر على فعل الشيب ؛ لأن الشيب يبيضه وذلك أقبح ألوان
الشعر ، ولذلك حسن تغييره بالحمرة ؛ والسيف يكسبه حمرة إذا قطع اللحم . على أن
ظاهر قوله « أحسن فعلا منه باللمم » : يوجب أن الشعر للقطوع بالسيف أحسن من
الشعر الأبيض ؛ لأن السيف إذا صادف الشعر قطعه ؛ وإنما يكسبه حمرة إذا قطع
اللحم .

(١) يقال بعد يبعد بعداً - من باب فرح - إذا ذل وهلك قال ؛ تعالى « ألا بعداً
لمدين كما بعدت ثمود » وقوله بعدت : دعاء وبياضا ؛ تميز ؛ وعن البياض الأول : بياض
الشيب ؛ وبالثانى : المعانى الحميدة . يريد معنى قول أبى تمام :

له منظرٌ فى العين أبيض ناصعٌ ولكنه فى القلب أسود أسفعٌ
وقد قال المتنبي فى بياض الثلج ما يشبه هذا وهو قوله :

* فكأنها بياضها سوداء *

والظلم : جمع ظلمة ؛ بمعنى الظلام ؛ ويكون اسماً لثلاث ليال من آخر الشهر . يقول
إن بياض الشيب ليس بياض فيه نور وسرور وهو أشد سواداً من الظلم ؛ لما يورى به
من حلول الأجل وقطع الأمل . قال الواحدى : وقد ذهب جميع الشراح فى قوله *

* لأنت أسود فى عيني من الظلم *

إلى أن هذا من الشاذ الذى أجازة الكوفيون فى نحو قول الراجز :

* أبيض من أخت بنى إياض^(٢) *

(١) لقيننى : أى الفوانى المذكورة فى البيت قبله وهو :

أجِدْكَ ما وصل الفوانى بِمُطْمِعٍ ولا القلب من رق الفوانى بمعتق

(٢) قيل إنه رجز لرؤبة بن العجاج وقوله . .

لقد أتى فى رمضان الماضى جارية فى درعها الفضاض

تقطع الحديث بالإيماض أبيض من أخت بنى إياض

بِحُبٍّ قَاتِلَتِي وَالشَّيْبَ تَفْذِيْتِي هَوَايَ طِفْلاً وَشَيْبِي بَارِغَ الْحُلُمِ^(١)

إذا الرجالُ شَتَّوْا واشتدَّ أكلهم فأنْتَ أبيضهم سِرْبَالُ طَبَاخٍ^(١)
وسمعت العروضي . يقول : اسود ههنا : واحد السود ، والظلم : الليالي الثلاث في
آخر الشهر التي يقال لها ثلاث ظلم . يقول : لبياض شبيه أنت عندى واحد من تلك
الليالي الظلم . على أن ابن جني قد قال ما يقارب هذا ، فقال وقد يمكن أن يكون لأنت أسود
في عيني كلاماناما ، ثم ابتداء يصفه فقال من الظلم ، كما تقول هو كريم من أحرار . وهذا
يقارب ما ذكره العروضي ، غير أنه لم يحمل الظلم : الليالي .

(١) يريد بقائلته : حبيته ، لأن حبها قتله . وبحب قاتلتني : خبر مقدم ؛ وتنديق :

وبعده .

مثلُ الغزالِ زين بالخصاضِ قَبَاءَ ذاتُ كفلٍ رَضْرَاضِ

جارية : فاعل أنى والدرع : القميص ، والفضفاض : الواسع . وأخت بني أباض
معروفة بالبياض ، وبني أباض قوم . والخصاض : نوع من الحلي والقباء . الضامرة البطن
فعلاء من القبب وهو دقة الخصر . والرضراض : الكثير اللحم ، والإيماض ما يبدو
من بياض أسنانها عند الضحك والابتسام ، وشبهه بوميض البرق في لمعانه وتقطع الحديث
بالإيماض أى إذا ابتسمت وكان الناس على حديث قطعوا حديثهم ونظروا إلى حسن ثفرها
ويحتمل أن تكون هي المحدثه وأنها تقطع حديثها بالتبسم يصفها بطلاقة الوجه وسماحة
الحلق . وقيل المعنى : أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم . أى نظرت . شغلهم حسن عيניהما
فقطعوا حديثهم

(١) من أبيات لطرفة بن العبد هجاء بها ملك الحيرة عمرو بن هند . وتروى هكذا

أنت ابنُ هنديٍّ فأخيرُ من أبوك إذا لا يصلحُ الملكُ إلا كلُّ بذاخ

إن قلت : نصر فنصر كان شرفني قديماً وأبيضهم سِرْبَالُ طَبَاخِ

ما في المعالي لكم ظل ولا ورق ، وفي الخزازي لكم أسفاخ أسفاخ

مع أبيات آخر . قال ابن الكلبي . هذا الشعر منحول وقوله . واشتدَّ أكلهم

أراد بالأكل : القوت ، وهو مضموم الهزمة . أى غلت أسعارهم . ومن روى أكلهم

بفتح الهزمة . جعل الأكل بمعنى المأكول ، وقد يكون معناه أنهم إذا شتوا لا يجدون

الطعام إلا بعد جهد وشدة وجوع فإذا وجدوه بالقوا في الأكل . والسربال القميص .

فَمَا أَمْرُهُ بِرِئْسِهِ لَا أَسْأَلُهُ ، وَلَا يَذَاتِ خِجَارٍ لَا تُؤَيِّقُ دَمِي ^(١)
تَنَفَّسْتُ عَنْ وَفَاءٍ غَيْرِ مُنْصَدِّعٍ يَوْمَ الرَّحِيلِ وَشَعْبٍ غَيْرِ مُلْتَمِّمٍ ^(٢)
قَبْلَتْهُمَا وَدُمُوعِي مَزَجُ أَدْمُعِهَا وَقَبْلَتْنِي عَلَى خَوْفٍ فَمَا لِقَمٍ ^(٣)

مبتدأ مؤخر ، وهوأى وشيبي : قال ابن الشعري : يحتملان الرفع والجر ، فالرفع بأن يكونا مبتدأين ، و«طفلا» ، و«بالغ» حالين سداسد الخبرين ، كما تقول ضربني زيداً جالساً وتقديره : هوأى إذ كنت طفلاً ، وشيبي إذ كنت بالغ الحلم . والجر على إبدالهما من الحب والشيب ، وحسن إبدال الهوى من الحب إذ كان بعناه ، والعامل في الحالين على هذا القول : المصدران - هوأى وشيبي - والتقدير : تغذيق بحب قاتلتي والشيب بأن هويت طفلاً وشبت بالغ الحلم . وقد بين في المصراع الثاني وقت الهبة ووقت الشيب . يقول : إن تغذيق بهذين - الحب والشيب - ثم بين ذلك بقوله . هويت وأنا طفل ، وشبت حين احتلمت ، لشدة ما قاسيت من الهوى فصارا غذائي .

(١) الرسم : أثر الديار مما كان لاصقاً بالأرض ، والطلل : ما كان شاخصاً ، والخمار ما غطي به المرأة رأسها . يقول : كل رسم يذكرني رسم دارها ، فأسأله تسلياً ، وكل ذات خمار تذكرنيها ، فتريق « تسيل » دمي أي تغلني .

(٢) المنصدع : المنشق ، والشعب : مصدر بمعنى الفراق من قولهم « شعبته إذا فرقت » وللملثم المجتمع . يقول : تنفست عند الوداع تحسراً على فراقى عن وفاء : يعنى عما في قلبها من وفاء صحيح غير منشق ، وفراق غير مجتمع يريد وحزن فراق لحذف المضاف : أي أنها كانت منطوية على وفاء صحيح ، وهم فراق لا يلتئم « لا يجتمع » وكان تنفسها عن هذين . والمعنى : إنا افرقنا بالأجساد « لا بالقلوب » لأنها كانت معي على الوفاء . قال الواحدى : ويجوز أن يريد بالشعب : القبيلة ويكون المعنى : عن فراق شعب غير مجتمع ، لارتحالهم وتفرقهم في كل وجه .

(٣) يقول : بكيتاً جميعاً حتى امتزجت دموعي بدموعها في حال التقييل ؛ يعنى أنهما

يقول : إذا دخل فصل الشتاء الذى يمنع من التصرف وانقطعت الميرة وغات الأسعار واشتد القوت فسر بال طبابخك نقي ، للؤمك ، ولو كنت كريماً لا سود ، لكثرة طبخه على ما عهد من سر بال الطباخين . ومثل هذا المعنى قول الآخر

ثياب طهايتك عند الشتا بيض تلالاً لا تدنس

وقدرك لم يمزها طارق وكليك من جحر أخرس

والأسناخ جمع سنخ : الأصل

فَذَقْتُ مَاءَ حَيَاةٍ مِنْ مُقْبَلِهَا لَوْ صَابَ تَرْبَاً لَأَحْيَا سَالِفَ الْأُتَمِ^(١)
تَرَنُّوْا إِلَى بَيْنِ الظُّلَى مُجْهِشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَنَمِ^(٢)

تقارباً حتى اختلطت دموعهما حال التقييل ، ونصب « لما » على : الحال ، كقولك كلمته فاه إلى في : أى مشافهة ؛ ومزج : قال الواحدى مصدر بمعنى المزاج « ما يمزج بالشئ » سمى به الفاعل . يقول : دموعى مازجة دموعها : أى ممتزجة بها .

(١) المقبل : موضع التقييل : أى القم ، وصاب : أى نزل من قولهم « صاب المطر يصوب صوباً » ويجوز أن يكون بمعنى أصاب ، يقال صابه وأصابه ، يقول : إن ريقها عذب طيب ، فهو ماء الحياة ؛ إذا ذاقه العاشق حي به ، حتى لو وقع على الأرض لأحيا الموتى من الأتَم السالفة . وأصل هذا المعنى للأعشى ، إذ يقول :

لَوْ أُسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(٢) ترنو : تنظر ؛ ومجھشة ؛ متبهاة للبكاء ؛ ومراده بالطل : دموعها ؛ وهو في الأصل المطر الخفيف . والعنم : قيل هو ضرب من الشجر ، له نور أحمر ، تشبه به الأصابع الخضوبة ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبٍ رَخِصٍ كَانَ بِنَانُهُ عِلْمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ^(١)

قال الجوهري : هذا يدل على أنه نبت لادود ، قال ابن برى : وقيل العنم : ثمر العوسج^(٢) يكون أحمر ثم يسود إذا نضج وعقد ، ولهذا قال النابغة : لم يعقد يريد : لم يدرك بعد ، وقيل هو أطراف الحروب الشامى ، قال :

فَلَمْ أَسْمَعْ بِمَرْضِعَةٍ أَمَالَتْ لَهَا الطَّلَّ بِالْعَنَمِ الْمُسَوِّكِ

وعن الأعراب القدم : العنم : شجرة صغيرة خضراء لها زهرة عديدة الحمرة ، جعل الثنبي عينها عين ظبي لسوادها ، وأراد بالورد : خدها . وبالعنم : أطراف بناتها حمرة بالخصاب ومعنى البيت من قول أبى نواس :

يَا قُرْأَ أَبْصَرْتُ فِي مَا تَمَّ يَنْدَبُ شَجَواً بَيْنَ أَثْرَابِ

يبكى فيلقو الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطَمُ الْوَرْدَ بِعَنْابِ

(١) رخاصة الأتامل لينها .

(٢) العوسج : شجر من شجر الشوك ، له ثمر أحمر مدور كأنه خرز العقيق .

رُوِيَ حُكْمُكَ فِينَا غَيْرَ مُنْصِفَةٍ
أَبْدَيْتَ مِثْلَ الَّذِي أَبْدَيْتُ مِنْ جَزَعٍ
إِذَا لَبَزَكَ ثَوْبَ الْحُسْنِ أَصْفَرُهُ
لَيْسَ التَّعَلُّلُ بِالْأَمَالِ مِنْ أَرَبِي
بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ أَفْدِيكَ مِنْ حَكَمٍ^(١)
وَلَمْ تُجِنِّي الَّذِي أُجِنْتُ مِنْ أَلَمٍ^(٢)
وَصِرْتَ مِثْلِي فِي ثَوْبَيْنِ مِنْ سَقَمٍ^(٣)
وَلَا الْقَنَاعَةُ بِالْإِقْلَالِ مِنْ شَيْمِي^(٤)

ومثله لابن الرومي :

كَانَ تِلْكَ الدُّمُوعُ قَطْرُ نَدَى
وَأَحْسَنَ فِيهِ الْوَأْوَاءُ الدَّمَشْقِي بِقَوْلِهِ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ نَزْجٍ وَسَقَتْ
وَرَدَا وَعَصَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ
(١) رويد : اسم فعل بمنزلة صه ومه ، يقال رويد زيدا : أى دعه وأملهه . ونصب
« حَكَمُكَ » به ، وغير منصفة : حال ، والعاقل فيه : حَكَمُكَ : أى أن تحكى غير
منصفة : أى ظالمة ؛ ويحتمل أن يكون نداء مضافا يريد « يا غير منصفة » حذف حرف النداء
ومن حكم : فى موضع الحال : أى أفديك حاكمة ، أو تقول إنه فى موضع نصب على التمييز
و « من » زائدة . يقول : دعى أو ألقى حَكَمُكَ علينا وأنت ظالمة لنا ، ثم قال : أفديك
بِالنَّاسِ كُلِّهِمْ من حاكم ؛ يعنى أنت حبيبة إلى وإن جرت على فى الحكم .

(٢) الجزع : نقيض الصبر ، وأجن الشيء : ستره وكتمه . يقول : وافقتنى فى
ظاهر الجزع للفراق ولم تضمرى ما أضمرته من وجهه . وهذا كما يقول الناشئ :
لفظى ولفظك بالشكوى قد اختلفا ياليت شعرى فقلباناً لم اختلفا
(٣) إذن قال الزجاج : تأويله إن كان الأمر كما جرى أو كما ذكرت : يقول القائل
زيد بصير إليك ، فتقول : إذن أكرمه : أى إن كان الأمر على ما تصف وقع إكرامه
وتأويلها هاهنا : أنه ذكر أنها لم تجن الألم كأنه قال لو أجنت من الألم ما أجنته إذن
لبزك - أى لسلبك - ثوب الحسن أقل جزء من أجزاء الألم : أى لاذهب حسنك
وظهر عليك من أثره ما يذهب نضارة حسنك ويكسوك ثوب السقم . وإنما نثى الثوب
لأن العادة فى اللباس ثوبان ؛ إزار ورداء للعرب ، ويسمونهما الحلة ، فكانه قال :
وكسك حلة السقم كما كسافر .

(٤) التعلل : تزجية الوقت (*) بالشئ اليسير بعد الشئ . يقال فلان يتعلل بكذا :

(*) يقال زوجيت الشئ تزجية إذا دفعته برفق ، ويقال كيف تزجى الأيام ؛ أى
كيف تدافعها . وزجيت أيامى : دافعتها بقليل من القوت أجزئ به وأكتفى ويقال
تزجيت بكذا : اكتفيت به .

وَلَا أَظُنُّ بَنَاتِ الدَّهْرِ تَنْتَرُكُنِي حَتَّى تَسُدَّ عَلَيْهَا طَرِقَهَا هَمِي (١)
لَمْ اللَّيَالِي الَّتِي أَخْنَتْ عَلَى جِدَّتِي بَرَقَةَ الْحَالِ وَأَعْذَرَنِي وَلَا تَلَمْ (٢)
أَرَى أَنَا وَمَحْصُولِي عَلَى غَنَمٍ وَذِكْرُ جُودٍ وَمَحْصُولِي عَلَى الْكَلِمِ (٣)

أى يمضى به وقته ودهره . والإقلال : الفقر وقلة ذات اليد . يقول : ليس من عادتي أن
أزجى الآمال وأدافع الوقت بشيء أرجوه لعله لا يكون ولا أن أقنع باليسير ، يعنى أنه
يطلب الكثير ويسافر فى طلب المال كما قال أبو الأسود الدؤلى :

وَمَا طَلَبُ الْمَيْشَةِ بِالْمَنَى وَلَكِنْ أَلْتَى دَلُوكَ فِي الدَّلَاءِ

(١) بنات الدهر : صروفه ونوائبه التى تتولد منه وتحدث فيه قال العكبرى : والعرب
تستعمل البنية والأخوة فىمن فعل شيئا يعرف به فيقولون : هذا ابن سفر إذا كان
معتادا للأسفار ، وهو آخر معروف وأبو الأضياف . يقول : لا أظن النوائب تدعى
حق أدفعها عن نفسى بسد طريقها إلى ، وذلك أن يتقوى بالمال والأنصار .
(٢) أخنى عليه الدهر : أتى عليه وأهلكه . ومنه قول النابغة الذبياني :

أَضَحْتُ خِلَاءً وَأَضَحَى أَهْلَهَا احْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدٍ (١)
والجدة : النقى ، ورقة الحال : كناية عن الفقر . يقول - لمن لاهه فى الفقر -
لا تلمنى ولم الدهر الذى أتى على مالى وسلبنى النقى .

(٣) المحصول : مصدر بمعنى الحصول ، وقد يكون المفعول مصدرا : كقولهم ليس له
مفعول أى عقل ، وقوله «وذكر جود» مفعول لفعل محذوف دل عليه المقام . أى وأسمع
ذكر جود فهو من باب :

* عَلَقَتْهَا تَبَنًا وَمَاءَ بَارِدًا * (٢)

(١) من قصيدة للنابغة الذبياني يمدح بها النعمان بن النذر ويعتذر إليه بما بلغه عنه وهى
التي أولها .

يَادَارَ مِيَّةً بِالْعَلِيَاءِ فَالْسُنْدُ أَقْوَتْ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ
وليد هو آخر نسور لقمان بن عاد ، وتزعم العرب أن لقمان هو الذى بعثته عاد فى
وفدها إلى الحرم يستسقى لها ؛ فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء سبع بعرات صمر من
أظب عمر فى جبل وعمر لا يمسها القطر أو بقاء سبعة أنسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر ،
فاختار النسور فكان آخر نسوره يسمى لبداء

(٢) وماء باردا : أى وسقيها ماء باردا . جعله العيني صدرا ؛ وأورد له عجزاً
مكذا :

وَرَبُّ مَالٍ فَقِيرًا مِنْ مَرْوَةٍ لَمْ يُبْثِرْ مِنْهَا كَأَنْتَرَى مِنَ الْقَدَمِ (١)
 سَيَصْحَبُ النَّصْلُ مِنِّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ وَيَنْجَلِي خَيْرِي عَنْ صِمَّةِ الصَّمَمِ (٢)
 لَقَدْ تَصَبَّرْتُ حَتَّى لَا تَ مُصْطَبِرٍ فَالآنَ أَفْجِمُ حَتَّى لَا تَ مُتَّحِمٍ (٣)

يقول : أرى قوما على صورة الناس غير أنهم عند التحصيل كالغنم لا عقل لهم ،
 وأسمع ذكر الجود ، ولكن لا أحصل منه إلا على الكلام دون الفعال . وهذا من قول
 السيد الجبيري :

قد ضيع الله ما جمعتُ من أدبٍ بين الحسير وَبَيْنَ الشَّاءِ وَالْبَقَرِ
 قال العكبري : وهو من قول الحكميم : من كانت همته الأكل والشرب والنكاح فهو
 بطبع البهائم . لأننا نعلم أنها متى خلى بينها وبين ما تريده لم تفعل شيئا غير ذلك .
 (١) رب مال : معطوف على « أنا » - في البيت السابق - والمروءة . أصلها
 الحمز ، يقال امرؤ ذو مروءة ، تخفف الهمزة فيبقى واوان ، تدغم الأولى في الثانية ،
 وهى النخوة وكال الرجولية . والإثراء : الغنى . يقول : وأرى صاحب مال ليس له
 مروءة . ولم يستكثر منها كما استكثر من المال حتى أترى بعد الفقر : أى لم يكثر المروءة
 عند كثرة المال . فقوله « أترى من العدم » هو كما يقال استغنى من الفقر ؛ وهذا المعنى من
 قول أبي تمام :

لَا يَحْسَبُ الْإِفْلَاقَ عُدْمًا بَلْ يَرَى أَنَّ الْقُلَّ مِنَ الْمَرْوَةِ مُعْدِمٌ
 (٢) النصل : نصل السيف ؛ ومضرب السيف حده ؛ والصمة الشجاع ؛ وبه معنى
 الصمة : أبو دريد بن الصمة ؛ والصمم جمع صمة ، وينجلي : يتكشف . يقول
 سيصحب السيف منى رجلا مثل حده فى المضاء ، ويتبين للناس أنى أشجع الشجعان ؛
 يعنى أنه إذا قصد الحرب مضى مضاء السيف وعمل عمل الأشجع ؛ أى أنه أشجع
 الشجعان .

(٣) لات : بمعنى ليس ؛ والأصل فيها « لا » فزيدت عليها التاء ، كما فى : رب ت
 ونمت ، قال ابن جنى : من العرب من يجر بها ، وأنشد :

* حتى شئت همالة عيناها

وجمعه له غيره عجزاً وصدره لما حططت الرجل عنها وارداً
 ولا يعرف قائله ، وقيل : إنه لندى الرمة ، وشئت : أقامت شتاء وهمالة من هملت العين
 إذا صبت دمعها .

لَا تُرْكَنَّ وَجْهَ الْخَيْلِ سَاهِمَةً وَالْحَرْبُ أَقْوَمُ مِنْ سَاقٍ عَلَى قَدَمٍ (١)
وَالطَّنُّ يُحْرِقُهَا وَالزَّجْرُ يُقْلِقُهَا حَتَّى كَأَنَّ بِهَا ضَرْبًا مِنَ اللَّيْمِ (٢)
قَدْ كَلَمَتْهَا الْعَوَالِي فَهِيَ كَالْحِجَةِ كَأَنَّهَا الصَّابُ مَعْصُوبٌ عَلَى اللَّجْمِ (٣)

طَلَبُوا صَلَاحَنَا وَلَا تَأْوَانُ فَأَجَبْنَا أَنْ لَيْسَ حِينَ بَقَاءِ (١)

والمصطبر بمعنى الاصطبار؛ والمقتحم؛ كذلك، بمعنى الاقتحام، وهو الدخول في الشيء. يقول: تكلف الصبر حتى لم يبق اصطبار؛ فالآن أقم: أى أقم نفسك، أى أوردتها للمهلك وأوقعها في الحروب حتى أدرك مرادى فلا يبقى اقتحام. وعلى هذا فيقول «أقم» محذوف، ولك أن تقرأها أقم: أى أقمم، وقد ورد قم يقم - من باب خضع - بمعنى أقمم.

(١) ساهمة: متغيرة لما يلحقها من شدة الحرب: يقال سهم وجهه يسهم سهوماً: إذا تغير وجهه والحرب أقوم الخ: حالية. يقول: لأكلفن الخيل من أهوال الحرب ما تسهم له ألوانها ولا تُرْكَنَّ الحرب قائمة كانتصاب الساق على القدم: أى شديدة.

(٢) يحرقها: يروى يحرقها؛ والضمير: للخيل؛ والجملة: عطف على الجملة الحالية في البيت السابق - والزجر: الصياح؛ واللمم: الجنون. يقول: والطعن يعمل في الخيل عمل النار حتى كأنه يحرقها، والزجر - أى الصياح بها عند اقتحامها في الحرب أو في الماء - يمنعها عن التأخر، ويقلقها - أى يحركها - حتى كأن بها جنوناً. يريد أنها تضطرب لما يلحقها من ألم الطعن وخوف الزجر فكانت مجنونة، إذ لا تستقر ولا تثبت.

(٣) كلمتها: من الكلام الذي هو الجرح. والعوالى: الرماح. وكلح: كشر في عبوس. والصاب: شجر إذا اعتصر خرج منه كهيئة اللبن، وربما نزلت منه نزية - أى قطرة - فتقع في معين كأنها شهاب نار، وربما أضعف البصر، قال أبو ذؤيب الهذلي: إني أرقْتُ فَيْتُ اللَّيْلِ مُشْتَجِرًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ (٢)

(١) البيت لأبي زيد الطائي النصراني الشاعر الإسلامي من قصيدة راجعها في الجزء الرابع من الخزانة طبعة السلفية وراجع الكلام على «لات» هناك.
(٢) يروى:

* نام الخلى وبَّتْ الليل مُشْتَجِرًا *

والمشتجر: الذي يضع يده تحت حنكه مذكراً لشدة همه؛ ومذبوح: أى مشقوق معصور. وأصل الذبح: الشق.

بِكُلِّ مُنْصَلَةٍ مَا زَالَ مُنْتَظَرِي حَتَّى أَدَلَّتْ لَهُ مِنْ دَوْلَةِ الْخُدَمِ^(١)
 شَيْخٌ يَرَى الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ نَاقِلَةً وَيَسْتَحِلُّ دَمَ الْحُجَّاجِ فِي الْحَرَمِ^(٢)
 وَكَلَّمَا نَطِيعَتِ تَحْتَ الْعَجَّاجِ بِهِ أَسَدُ الْكَتَائِبِ رَامَتْهُ وَلَمْ يَرِمِ^(٣)

يقول : هي عابسة فاتحة أفواهها لما أصابها من جراح الرياح ، فكان الصاب قد شد على لجمها فهي تجد ممراته ، ومعصوب : يروى معصور ، ويروى : مذكور .
 (١) بكل منصلت : متعلق بقوله لأتركن . والمنصلت : الماضي في الأمور : وأدلت له من كذا : أى أعتته عليه حتى جعلت له الدولة . يقول : لأتركن الحرب قائمة بكل رجل ماض في الأمور طالما انتظر خروجى على السلطان حتى أعطيته الدولة من الخدم الذين لا يستحقون الإمارة ؛ يعنى بهم الأتراك الذين تملكوا العراق وخرجوا على السلطان .
 (٢) شيخ : إما بالجور على التبعية لمنصلت ، وإما بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف : أى هو شيخ . والنافلة : خلاف الفرض ، وهى ما يحسن فعله ولا يجرم تركه . يريد أنه يستعين بمثل هذا ممن لا يعتقد الدين حتى يزيل دولة الخدم . وقال ابن القطاع : كل من فسر الديوان قال : « الشيخ » هنا : واحد الشيوخ من الناس . يقول : أقصر على أعدائى بكل شيخ ماض في أموره ، لا يبالى بالعواقب ؛ مستحل للمحارم ، مافك للدماء وهذا بالهجم أشبه ؛ وإنما المعنى أن الشيخ هنا السيف ، فإن الشيخ من أسماءه ، وكذلك العجوز قال أبو القدام البصرى - واسمه جساس بن قطيب - :

رُبَّ شَيْخٍ رَأَيْتُ فِي كَفِّ شَيْخٍ يَضْرِبُ الْمُعْلَمِينَ وَالْأَبْطَالَ
 وَمَجْوُزٍ رَأَيْتُ فِي فَمِّ كَلْبٍ جِيلَ الْكَلْبِ لِلْأَمِيرِ جَالَا

سمى السيف شيخاً لقدمه لأنهم يمدحون السيوف بالقدم ، وقيل سمى شيخاً لياضه تشبيهاً بالشيب ، وكذلك المعنى في العجوز والكلب : مسبار من ذهب أو فضة يجعل في قائم السيف . جاء في لسان العرب : قال ابن الأعرابي : الكلب مسبار مقبض السيف ومعه الآخر يقال له العجوز ، وقيل : العجوز نصل السيف ، والكلب مافوق النصل من جانبيه . جديداً كان أو فضة .

(٣) العجاج : الغبار والكتائب : جمع كتبية ، الفرقة من الجيش . ورأته : يريد رامت عنه : أى زالت عنه ولم يزل هو عنها ، لحذف حرف الجر وأوصل الفعل والأصل استعماله بحرف الجر ، كما قال الأعشى :

أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عُنْدِنَا فَإِنَّا بِمَخِيرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

تَنْسَى الْبِلَادَ بُرُوقَ الْجُرِّ بَارِقَتِي وَتَكْنِي بِالْدِّمِ الْجَارِي عَنِ الدِّيمِ (١)
رِدَى حِيَاضَ الرَّدَى يَا نَفْسُ وَاتْرِكِي حِيَاضَ خَوْفِ الرَّدَى لِلشَّاءِ وَالنَّعْمِ (٢)
إِنْ لَمْ أَذْرُكَ عَلَى الْأَرْمَاحِ سَائِلَةً فَلَا دُعِيْتُ ابْنُ أُمِّ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ (٣)

وقال الجوهري : يقال رماه يرميه ربما : أى برحه ، ويقال لازمه : أى لا تبرحه ، ثم قال : ويقال : رمت فلاناً ورميت من عند فلان ، بمعنى ، وأنشد بيت الأعشى : يقول : إن الأبطال تنهزم عنه ولا ينهزم هو . قال ابن جني والواحدى : والنطح إنما هو للكبش ، ولا يستعمل في الأسود ، ولو قل كلما صدمت أورميت لكان أليق ، ولكنه أراد بالنطح : القتال .

(١) بارقتى : يريد سيوفه التى لها برق ولمعان . والدِّيم : جمع ديمة ، وهى للطر الدائم . يقول : إذا برقت سيوفى لأعدائى فى الحرب فإن ضوءها يزيد على ضوء بروق السحاب حتى تنسى الناس البروق ، ويكثر مع ذلك سيلان الدم حتى تستغنى البلاد عن الأمطار بما أسبه من الدماء . قال العكبرى : وهذا كلام مشبع بالحماقة حتى لو قاله أحد فى بويه أوفى أرتق أو بنى أيوب : لنسب إلى ذلك ، وهم ملوك الأرض وحماها ، وأرباب المغازى وولاتها

(٢) ردى : أمر — من ورد الماء يرد ورودا — والردى : الهلاك ؛ وياهس : يروى : حواء ؛ أى ياحوواء ؛ والحوواء : النفس . والشاء : جمع شاة ؛ والنعم : الإبل خاصة يقول — لنفسه — : ردى المهلك والحروب واركى خوف ورود الهلاك للنعم والشاء : أى أنها هى التى لا تقاتل عن نفسها ولا تدافع عنها من الذل . وقال ابن القطاع : قد صف هذا البيت جماعة فرووا : حياض خوف الردى — بالحاء المهملة ، قال لى شيعى : قال لى صالح بن رشدين : لما قرأت هذا البيت قرأته بالحاء المهملة ، فقال لى : لم أقل كذلك ؛ قلت فكيف قلت ؟ قال قلت حياض — بالحاء المعجمة — لأنى لو قلتها بالمهملة كنت قد نقضت قولى : ردى حياض الموت ، فإنها هى حياض خوف الردى . وكل من ورد الماء فلا بد أن يخوضه إما يبد ، أو قم ؛ والمعنى : ردى يانفس حياض الموت ، فإن الموت فى العز حياة ؛ واركى خياض خوف الردى للحيوان الذى لا يعقل ، ولو قال المتنبي : خياض غير الردى بالحاء أو قال : واركى ورد خوف الردى الخ . لم يحتاج إلى هذا ، إلا أن مذهبه أنه يعمض معانيه حتى لا يفهمها إلا العلماء .

(٣) يقول — لنفسه — : إن لم أتركك سائلة الدم على الرماح — أى إن لم أحضر العرب

أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ وَالْأَسْيَافُ ظَامِئَةٌ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَحْمٌ عَلَى وَضْمٍ (١)
 مَنْ لَوْ رَأَى مَاءَ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَلَوْ مَثَلَتْ لَهُ فِي الْقَوْمِ لَمْ يَنْمِ (٢)
 مِيعَادُ كُلِّ رَفِيقٍ الشُّفْرَتَيْنِ غَدًا
 وَمَنْ عَصَى مِنْ مُلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ (٣)

حق ليسيل الدم منى على الرماح - فلا دعيت أخا المجد والكرام ؛ قال العكبرى : وهو من قول ابن أيوب .

إِنْ تَقْتُلُونِي فَأَجَالُ السَّكَاةِ كَمَا خُبِّرْتُ قَبْلُ وَمَا بِالْقَتْلِ مِنْ عَارٍ
 وَإِنْ نَجَوْتُ لَوْ قَتَّ غَيْرُهُ فَصَى وَكُلُّهُ نَفْسٌ إِلَى وَقْتٍ وَمَقْدَارُ
 (١) ظامئة : عطشى ، ولحم : فاعل « يملك » والوضم : الحشبة يقطع الجزار عليها اللحم ، ويضرب اللحم على الوضم مثلاً للضعيف الذى لا امتناع عنده ، ويقال للمرأة : لحم على وضم ، ومنه قول القائل :

أَحَازِرُ الْفَقْرَ يَوْمًا أَنْ يَلِمَ بِهَا فِيهِتَكَ السِّرَّ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضْمٍ
 وَذَلِكَ أَنَّ الْحَيَوَانَ فِيهِ نَوْعٌ امْتِنَاعٍ ، فَإِذَا ذَبَحَ وَوَضَعَ لَحْمَهُ عَلَى الْوَضْمِ كَانَ عَرْضَةً لِكُلِّ أَحَدٍ ، حَقَّ الطَّيْرِ وَالذَّبَابِ . وَقَوْلُهُ : أَيْمَلِكُ الْمَلِكِ : اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ . يَقُولُ : لَا يَمَلِكُ الْمَلِكُ ضَعِيفٌ ذَلِيلٌ لَا يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ كَاللَّحْمِ عَلَى الْوَضْمِ ، وَأَسْيَافُنَا عَطَاشٌ إِلَى دَمِهِ وَالطَّيْرُ جَائِعَةٌ لَمْ نَشْبَعْهَا مِنْ لَحْمِهِ ، يَعْنِي أَنَّهُ يَقْتُلُ وَيَلْقَى لِلطَّيْرِ وَلَا يَمَلِكُ . قَالَ ابْنُ جَنَى : يَرِيدُ أَنْ مُلُوكَ عَصَرَهُ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ .

(٢) من : بدل من قوله لحم على وضم . والظما : العطش ، ومثلت : اتصبت وروى عرضت ، بدل مثلت . يقول : من لو كنت ماء وكان عطشان لخصه خوفه منى أن يشرب حتى يموت عطشا ، ولو رأى فى النوم مائلا له ليجبر النوم خوفا من أن يراى فى النوم ؛ وهذا ينظر إلى قول مروان بن أبى حفصة :

فَإِذَا تَنَبَّهَ رُعْتُهِ وَإِذَا غَفَى سَلَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُكَ الْأَحْلَامُ
 (٣) ميعاد : مبتدا ، خبره ؛ غدا ، وكل رفيق الشفرتين : أى كل سيف رفيق الشفرتين ، وهو الذى رقت شفرتاه « حداه » بكثرة الصقل . ومن عصى : أى من عصانى ، عطف على كل . يتوعد من عصاه من الملوك تجرب لإيقاد نار الحرب .
 (١١ - لُتْنِي ٤)

فَإِنْ أَجَابُوا فَمَا قَصْدِي بِهِمُ — وَإِنْ تَوَلَّوْا فَمَا أَرْضَى لَهَا بِهِمْ^(١)

وعذله أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي ، على ما كان قد شاهده من
تهوره فقال^(*)

أَبَا عَبْدِ الْإِلَهِ مُعَاذُ إِنِّي خَفِي عَنْكَ فِي الْمِجْبَا مَقَامِي^(٢)
ذَكَرْتُ جَسِيمَ مَا طَلَّبِي وَأَنَا نُخَاطِرُ فِيهِ بِالْمَسْجِ الْجَسَامِ^(٣)

(١) يقول : إن أطاعوني وأجابوني إلى ما أَدْعُوهم إليه : فلست أقصدم بسيوفى ،
وإنما أقصدم بها غير المطيع فأقتله بها ؛ وإن أدبروا عني ومضوا فى عصياتهم : فلا
أقتصر على قتلهم وحدم وإنما أقتلهم وكل من رأى رأيهم
* جاء جاء فى الصبح المنير :

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل : قدم أبو الطيب التنبى اللاذقية سنة نيف وعشرين
وثلثمائة وهو فقي ، فأكرمه وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن سمته . فلما تمكن
الأنس بيني وبينه وخلوت معه فى المنزل اغتناما لمشاهدته واقتباسا من أدبه ، قلت : والله
إنك لرجل خطير تصلح لنادمة ملك كبير ، فقال : ويحك : أندري ما تقول ؟ أنا نبي
مرسل ، فظننت أنه يمزح ، ثم تذكرت أنى لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته ،
فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبي مرسل كما ذكرت ؟ فقلت : مرسل إلى من ؟ فقال
إلى هذه الأمة الضالة المضلة ، قلت : ماذا تفعل ؟ قال : أملأ الدنيا عدلا كما ملئت جورا .
قلت : بماذا ؟ قال : بإدراة الأرزاق والثواب العاجل والآجل لمن أطاع وأتى ، وضرب
الأعناق لمن عصى وأبى ؟ فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر ؟
وعذلت على ذلك ، فأشدد يقول بديها ، وذكر هذه الأبيات .

(٢) معاذ : مرفوع بالبدل من « أبا عبد الإله » . قال الكبرى : ولو كان عطف
بيان لكان منصوبا منونا ، لأنهم أجروا عطف البيان مجرى الصفة . والهيحاء : من
أسماء الحرب . يقول : إنك تجهل منزلتى فى الحرب ومقدار ما طبعتم عليه من الجراءة
والبأس ، ومن ثم تلومنى على ما أنا مقدم عليه لظنك بى العجز عن بلوغه :

(٣) الجسيم : العظيم ؛ و « ما » : زائدة ، كقوله تعالى « فبأرحمه من الله » .
وكقوله الشاعر :

أَمِثْلِي تَأْخُذُ النَّكَبَاتُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ مِنْ مُلَاقَاةِ الْحِمَامِ ^(١)
وَلَوْ بَرَزَ الزَّمَانُ إِلَى شَخْصًا نَلْخُصِبَ شَعْرَ مَفْرِقِهِ حُسَامِي ^(٢)
وَمَا بَلَغْتَ مَشِيئَتَهَا اللَّيَالِي وَلَا سَارَتْ فِي يَدِهَا زِمَامِي ^(٣)
إِذَا أُمْتَلَأَتْ عُمُيُونُ الْخَلِيلِ مِنِّْي فَوَيْلٌ فِي التَّيَقُّظِ وَالنَّسَامِ ^(٤)

* * *

إن أمس ما شيخاً كبيراً فطالما عُحِرْتُ ولكن لا أرى العمر ينفع ^(١)
قالوا : ويحتمل أن تكون « ما » بمعنى الذي ، أو نكرة ، فيضمر هو بعدها ،
فإذا كانت نكرة فتقديره : جسم شيء هو طلي ، والمهج : الأرواح . يقول : عاتبتني على
محاولة الأمر العظيم وعاطرتنا فيه بالأرواح العظيمة .
(١) النكبات : الشدائد تنكب الإنسان . والجزع : تقيض الصبر ، والحمام : الموت .
يقول : مثلي لا تنال منه النكبات ولا تصيبه : إما لأنه حازم يدفعها بحزمه عن نفسه ، وإما
لأنه صابر عليها فليست تؤثر فيه .

(٢) للفرق : وسط الرأس . والحسام : السيف القاطع . يقول : إن الزمان
الذي هو محل النكبات والنوائب لو كان شخصاً لم برز إلى محاربا لخصب شعر رأسه سيفي .
(٣) يقول : إن الزمان لم يبلغ مراده مني ، ومن تغير حالي وتوهين أمري ، وما
انتقدت له اتقياد من يعطى زمامه فيقاد به ، وهذا كما يقوله البحري :

لعمري أبا الألام ما جارَ صرفها على ولا أعطيتها ثني مقودي

(٤) عيون الخيل : يريد عيون أصحاب الخيل . وقوله . فويل . يريد فويل لهم .
يقول : إذا امتلأت عيون أرباب الخيل من منظري فويل لهم في الحالتين لأنهم يخافونني
أشد الخوف ، فلا يكون لهم أمن في اليقظة ولا لذة ولا راحة في منامهم .

(١) البيت أحد أبيات عشرة أوردها أبو تمام في حماسه لجمع بن هلال قال :
غزا جمع بن هلال بن خالد بن مالك بن هلال بن الحارث بن تيم الله ، يزيد بن سعد بن
زيد مناة ، فلم يصب شيئا فرجع من غزاته تلك فر بمساء لبني تميم عليه ناس من بني
مجاهع قتل فيهم وأسر فقال في ذلك . إن أمس ما شيخا . إلى آخر الأبيات . قال
للرزوقي في قوله إن أمس ما شيخا : « ما » زائدة . يقول : إن صرت شيخا طاعنا في السن
هدفا لسهامه فذلك حق لأن من يعيش يكبر ، ومن يكبر يهرم ، وطول العمر لا يجدي إذ
كان مؤداه إلى الضعف وغايته الموت .

وقال له بعض بني كلاب : أَشْرَبَ هَذِهِ الْكَأْسُ سُرُوراً بِكَ ، فقال :

إِذَا مَا شَرِبْتُ أَخْلَفَرَ صِرْفًا مُنْهًا

شَرِبْنَا الَّذِي مِنْ مِثْلِهِ شَرِبَ الْكَرْمُ ^(١)

أَلَا حَبْدًا قَوْمٌ نَدَامَاهُمْ الْقَنَا يُسْقَوْنَهَا رِيًّا وَسَاقِيهِمُ الْقَزْمُ ^(٢)

* * *

(١) صرفاً : أى خالصة غير ممزوجة . والذي من مثله شرب الكرم : هو الماء . يريد أن شرا به الماء ، لا الخمر .

(٢) يقول : حبذا الأبطال الذين يقاتلون بالرمح ويلازمونها ملازمة النديم للنديم : أى كأنها ندامام ، لأنهم لا يخلون من صحبتها ، ويسقونها ما يرونها من الدماء ، فهم سقاة رماحهم ، وعزمهم على الحرب يسقيهم دماء الأعداء . هذا : والندامى جمع ندام ، والندام : جمع النديم ، وهو الشريب الذى ينادمه ؛ ويقال له النديمان أيضاً ؛ قال النعمان بن نضلة العدوى ، ويقال للنعمان بن عدى ، وكان عمر استعمله على ميسان :

فَإِنْ كُنْتَ نَدْمَانِي فَبِالْأَكْبَرِ أَسْقَى وَلَا تَسْقِنِي بِالْأَصْغَرِ الْمُتَشَلِّمِ

لِلْأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوُّهُ تَفَادُّمُنَا فِي الْجَوْسِقِ الْمُتَهَدِّمِ

ولمناسبة حبذا : فقولهم حبذا الأمر : أى هو حبيب ، قال سيبويه ، جعلوا حب مع ذا بمنزلة الشيء الواحد ، وهو عنده اسم ، وما بعده مرفوع به ، ولزم ذاحب ، وجرى كائس ، والدليل على ذلك أنهم يقولون فى اللؤث « حبذا » ولا يقولون « حبذه » ؛ ومنه قولهم : حبذا زيد ، فحب : فعل ماض لا يتصرف ، وأصله « حبب » على ما قاله الفراء — و « ذا » : فاعله ، وهو اسم مبهم من أسماء الإشارة ، جعل شيئاً واحداً ، فصار بمنزلة اسم يرفع ما بعده وموضعه رفع بالابتداء ؛ و « زيد » : خبره ، ولا يجوز أن يكون بدلا من « ذا » لأنك تقول : حبذا امرأة ، ولو كان بدلا : قللت حبذت امرأة قال جرير .

يَا حَبْدَا جَبْلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ وَحَبْدَا مَا كُنَّ الرِّيَّانُ مِنْ كَانَا

وقال وقد مد له إنسان يده بكأس وحلف بالطلاق ليشربها :
 وَأَخْرَجْنَا لَنَا بَمَثَ الطَّلَاقِ أَلِيَّةً لَا عَلَّانَ بِهِدِهِ أُخْرِطُومُ-^(١)
 فَعَلْتُ رَدِّي هِرْسَهُ كَفَّارَةً عَنْ شُرْبِهَا وَشَرِبْتُ غَيْرَ أَثِيمٍ-^(٢)

• • •

وقال يمدح الحسين بن إسحق التلخوي :
 مَلَامِي النَّوَى فِي ظُلُمِهَا غَايَةَ الظُّلْمِ لَعَلَّ بِهَا مِثْلَ الَّذِي بِي مِنَ الشُّمِّ-^(٣)

وَجَبَّذَا نَفَحَاتٍ مِنْ بِيَانِيَةٍ تَأْتِيكَ مِنْ قَبْلِ الرِّيَّانِ أحياناً^(١)
 (١) الألية : اليمين . والتعليل : التبرئة . وقال الشراح في قوله لا علان : إنه
 من العلل ، وهو السقي مرة بعد أخرى . والخراطوم : من أسماء الحجر ، قيل لأنها إذا
 بزل الدن انصبت في صورة الخراطوم ، وقيل سميت بذلك لأنها أخذها بخرطوم شرابهم - أي
 أنوفهم - كما قيل :

وَلَقَدْ شَرِبْتُ الْحَجَرَ حَتَّى خَلَّتْهَا أَفْصَى تَكِشٍ عَلَى طَرِيقِ الْمُنْخَرِ
 « كَشِيشُ الْأَفْصَى : صَوْتُ تَخْرُجِهِ مِنْ فِيهَا وَقِيلَ صَوْتُهَا مِنْ جِلْدِهَا لَا مِنْ فِيهَا فَإِنْ
 ذَلِكَ مِنْ لِحْيَتِهَا » .

(٢) العرس : الزوجة . يقول . إن هذا الأفع حلف أن أشرب وإلا فامرأته طالق
 فجعلت ردى امرأته وإبقاءها عليه كفارة عن شرب الحجر وشربتها غير آثم ، إذ كان
 قصدي بالشرب بقاء الزوجية بينهما .

(٣) النوى : البعد وهي مؤنثة . يقول : إن لومي العراق - في تفرقه بيننا وظلمه
 إيانا بالبعد - غاية الظلم منا فلعله يشقها كعشق إياها ، فلذلك يحترها لنفسه ويحول
 بيني وبينها . وقد حقق هذا المعنى في البيت التالي ، وهذا كما قال محمد بن وهيب :

(١) من قصيدته التي مطلعها :

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طَوَّعَتْ مَا بَانَ وَقَطَّعُوا مِنْ حَبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا
 وفيها يقول :

إِنْ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ قَتَلْتُنَا نَمْ لَمْ يَحْيَيْنَا قَتَلَانَا

فَلَوْ لَمْ تَقْرَ لَمْ تَزَوْ عَنِّي لِقَاءُكُمْ
وَلَوْ لَمْ تُرْزِكُمْ لَمْ تَكُنْ فِيكُمْ خَضِي^(١)
أَمْنِعَةً بِالْمَوَدَّةِ الطَّبِيعَةِ الَّتِي يَفْزِرُ وَلِيَّكَ كَانَ نَائِلَهَا الْيَوْمَنِي^(٢)

وحاربني فيه ريبُ الزمانِ كأن الزمان له عاشقُ
وقال البحتري :

قَدْ بَيَّنَّ الْبَيْنَ الْمَفْرَقُ بَيْنَنَا عِشْقُ النَّوَى لِرَيْبِ ذَاكَ الرَّبِّ
(١) زواه : نحاء وأبعده . يقول : لو كانت النوى لا تفار عليكم لما منعت عني لقاءكم
وطوته عني ، ولما خاصمني بسببكم . هذا : والحصم : الخصم ، يستوى فيه الجمع والواحد
والمؤنث يقول : هم خصم ، وهو خصم وهما خصم . وهي خصم .

(٢) الوسمى : أول مطر في السنة ، وأراد به : أول ما بدأت به من الوصال ،
والولى : المطر الثاني ؛ وأراد به ما بعد ذلك من الوصل . والنائل : العطاء ، وأراد به
وصالها ، يقول : إنها بدأت بوصل ثم لم تعد إليه ، فليتها أنعمت على رجوعهم إلى الوصل
مرة أخرى . وهذا منقول من قول ذي الرمة :

إِنِّي وَلِيَّةٌ تُتَمَرِّعُ جَنَابِي فَإِنِّي لِمَا نَاتُ مِنْ وَصْمِي نُفْعَاكَ شَاكِرٌ
(لنى : أمر من الولى : أى أمطرنى ولية منك : أى معروفا بعد معروف) . والعنى
من قول بشار :

قَدْ زُرْتَنِي زُورَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً ثَنِيٌّ وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدِّيكِ^(١)
هذا : ولك أن تجعل « منعمة » خبرا مقدما ؛ والظبية مبتدأ مؤخر : أو تجعل
« الظبية » : قاعلا لمنعمة ، سدت مسد خبرها على جعلها مبتدأ بعد الاستفهام .

يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ وَهْنُ أَضْعَفُ خَلْقُ اللَّهِ أَرْكَانًا
والريان : أطول جبال أجاء والجمانية : رياح الجنوب .

(١) قال أبو عبيد في البخيل يعطى مرة ثم لا يعود : كانت بيضة الديك ؛ فإن
كان يعطى شيئا ثم يقطعه آخر الدهر قيل للمرة الأخيرة كانت بيضة العقر ، وقيل
إن بيضة العقر هى بيضة الديك بيضها في السنة مرة واحدة ، وقيل يبيضها في عمره

تَرَشَفْتُ فَأَهَا سُحْرَةً فَكَأَنِّي تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ^(١)
فَتَاةٌ نَسَاوَى عِقْدَهَا وَكَلَامَهَا وَمَبْسِمُهَا الدَّرَى فِي الْحُسْنِ وَالنَّظْمِ^(٢)

(١) الترشف : المص، والسحرة : السحر. والظم : ماء الأسنان وبريقها ؛ وإنما خص
السحرة لأن الأفواه تتغير عند ذلك ، وإذا كانت طيبة النكهة في آخر الليل كان أمدح
لها ألا ترى إلى قول امرئ القيس :

كَأَنَّ الْمَدَامَ وَصُوبَ الْقَمَامِ وَرِيحَ الْخَزَامَى وَنَشْرَ الْقَطْرِ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْبَابِهَا إِذَا طَرَبَ الطَّائِرُ الْمُسْتَحِرَّ
وقال الحارثي :

كَأَنَّ فِيهَا قَهْوَةً بَابِلِيَّةً بِمَاءِ سَمَاءٍ بَعْدَ وَهْنٍ مَزَاجِهَا
والعاشق إذا مص ريق معشوقه زادت نار حبه تلهيا ، لذلك - قال :

• تَرَشَفْتُ حَرَّ الْوَجْدِ مِنْ بَارِدِ الظَّمِّ •

وقد ابن الرومي حين بسط هذا المعنى في هذه الأبيات البديعة :

أَعَانَقَهَا وَالنَّفْسُ بِمَدِّ مَشْوَقَةٍ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ الْعَنَاقِ تَدَانٍ
وَأَلِّمْتُ فَاهَا كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِي فَيَشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِ
وَمَا كَانَ مَقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى لِيَشْفِيهِ مَا تَرَشَّفُ الشَّفَتَانِ
كَأَنَّ فَوَادِي لَيْسَ بِشَيْ غَلِيْلِهِ سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانِ يَمْتَزِجَانِ

(٢) يقول ؛ إن كلامن قلاذتها ونطقها ونفثها الذي تبسم عنه سواء في الحسن
والنظم ، فهي درية العقد والكلام والنثر . وهذا معنى متداول ، قال البحتري :

فَمَنْ لَوْ لَوْ تَبْدِيهِ عِنْدَ ابْتِسَامِهَا وَمَنْ لَوْ لَوْ عِنْدَ الْحَدِيثِ تَسَاقُطِهَا
فذكر شيبين ، وقال اللؤلؤ بن أميل :

وإن نطقت دُرٌّ فَدُرُّ كَلَامُهَا وَلَمْ أَرُدُّهَا قَبْلَهَا يَنْظُمُ الدَّرَا

مرة واحدة فتضرب بيضة الديك مثلا للعطية القليلة التي لا يريها معطيها يريها ،
وقيل : إن بيضة العقر وبيضة الديك كلاهما كقولهم بيض الأنوق والأبلىق العنوق ، مثل
لما لا يكون .

وَنَكَمَتْهَا وَالْمَنْدَلِيَّ وَقَرَفَتْ مُعْتَمَّةٌ صَنْبَاءَ فِي الرِّيحِ وَالطَّقَمِ^(١)

فذكر شيئاً واحداً ، وأخذ أبو المطاع بن ناصر الدولة هذا المعنى فقال :
وَمُفَارِقِي نَفْسِي الْفِدَاءَ لِنَفْسِهِ وَدَغْتُ صَبْرِي عَنْهُ فِي تَوَدِّعِهِ
وَرَأَيْتُ مِنْهُ مِثْلَ لَوْلُو عَقْدِهِ مِنْ تَفَرُّهِ وَحَسْبِثِهِ وَدُمُوعِهِ
فزاد ذكر الدمع على التثنية .

(١) النكمة : راحة الفم ؛ والمندلي ، العود الذي يتبخر به ، نسبة إلى مندال : موضع
بالهند يجلب منه العود ، ومثله قمار ، قال : ياقوت : بفتح القاف ويروى بكسرها : موضع
يذهب إليه العود ، قال هكذا تقول العامة ، والذي ذكره أهل المعرفة « قاسرون » موضع
ببلاد الهند ، يجلب منه العود النهاية في الجودة ، قال ابن هرمة :

أَحِبُّ اللَّيْلِ إِنْ خِيَالِ سَلْمَى إِذَا نَمْنَا أَلَمْ يَنْسَا فِزَارَا

كَأَنَّ الرِّكْبَ إِذَا طَرَقَكَ بَاتُوا بِمَنْدَلٍ أَوْ بِقَارَعَتِي قَمَارَا

هذا : وقد يقع المندل على العود على إرادة ياء النسب وحذفها ضرورة فيقال
تبخرت بالمندل ، وهو يريد المندلي ، وبذلك على صحة ذلك دخول الألف واللام في المندل
قال عمر بن أبي ربيعة :

لَمِنْ نَارٍ قَبِيلَ الصُّبْحِ عِنْدَ الْبَيْتِ مَا تَخْبُو

إِذَا مَا أَخَذَتْ يُبْلَقِي عَلَيْهَا الْمَنْدَلُ الرُّطْبُ

ويروى إذا ما أوقدت ، وقال كثير :

بِأَطْيَبَ مِنْ أَرْدَانٍ عِزَّةَ مَوْهِنَا وَقَدْ أَوْقَدْتَ بِالْمَنْدَلِ الرُّطْبَ نَارَهَا

« يقال : لقيته موهنا ، أي حين يدبر الليل ، أو هو نحو من نصف الليل : أو هو
ساعة تمضي من الليل » ومناسبة بيت كثير روي أن إحدى اللديات قالت لكثير فاض
الله فاك ، أنت القائل : بأطيب من أردان عزة .. البيت ؟ فقال : نعم ، قالت : أرايت
لو أن زنجية بخرت أردانها بمندل رطب أما كانت تطيب ؟ هلا قلت كما قال سيدهم
امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرِيَانِي كُلَّ جَنَّتٍ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طَلِيًّا وَإِنْ لَمْ تَطْيِّبْ ؟

والقرقف : من أسماء الحجر ، وكذلك الصهباء ، وهذه الأشياء معطوفة على فاعل
« تساوى » - في البيت السابق يقول : استوت منها هذه الأشياء في طيب الرائحة

جَفَتْنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَنْطَقَ قَوْمَهَا وَأَطَقْنَهُمُ وَالشَّهْبُ فِي صُورَةِ الدِّهَمِ (١)
يَحَاذِرُنِي حَتَّى كَأَنِّي حَتَفُهُ، وَتَذَكِّرُنِي الْأَفْعَى فَيَقْتُلُهَا سُمِّي (٢)

والذوق . قال الواحدى : وإنما يستوى في الذوق شيثان : النكهة والحجر ، لأن العودمر اللذايق ، ولكنه جمع بينها في الريح ، وأراد في الطعم شيئين ، ثم النكهة أيضا لا طعم لها لأنها رائحة الفم ، واستفهام السلام إلى ذكر الريح ، ثم احتاج إلى القافية وإلى إقامة الوزن فذكر الطعم فأفسد ، لاختلاف ما ذكره في الطعم . قال العكبرى : وليس كما ذكر - أى الواحدى - لأنه - التنبي - قال : استوت نكهتها والمندلى وقرقف ، فلما وصف القرقف احتاج أن يقول في الريح والطعم ، ولم يرد سوى الحجر في الطعم .

(١) الشهب من الخيل : التى فى لونها بياض قد غلب على السواد ؛ والدم : السود . يقول : جفتى بهجرها كَأَنِّي لست الأنصح الأشجع من عشيرتها ، وإنما قال هذا لأن نساء العرب يعلن إلى الشجاع الفصيح ألا ترى إلى قول العنبرى لما رآته امرأته يطعن فأزدرته :

تقول وصكّت وجهها بييمينها أَبْقَلِي هَذَا بِالرَّحَى الْمُتَقَاعَسُ
فقلت لها لا تعجلي وتبئني بِلَأْنِي إِذَا تَفَتَّ عَلَى الْفَوَارِسِ (١)

قد ذكر لها شجاعته وحسن بلائه عند الحرب لترغب فيه ، فذكر أبو الطيب أن هذه غادرة ناقضة عادة أمثالها ، بحفائه ، وقوله « والشهب في صورة الدم » يريد إذا زوَّيت الخيل الشهب سوداء لتلطخها بالدماء وجفافها عليها ، كما قال النابغة الجعدي :

وَتَفَكَّرْ يَوْمَ الرُّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنْ الطَّعْنِ حَتَّى تَحْسَبَ الْجَوْنُ أَشْقَرَا
(٢) الحنف : الهلاك ، ونكزته الحية : لسعته بأنفها ، فإذا عضته بنا بها قيل نشطته

(١) بعد البيتين :

أَلَسْتُ أَرَدُ الْقِرْنَ بِرُكْبِ رَدْعِهِ وَفِيهِ سَنَانُ ذُو غَرَارَيْنِ يَابِسُ
إِذَا هَابَ أَقْوَامُ تَجَشَّعَتْ هَوْلُ مَا يَهَابُ مَحِيَّاءَ الْأَلْدُ الْمَدَاعِسُ
لَعَمْرُ أَيْلِكَ الْخَيْرِ إِنِّي لَخَادِمٌ لَضِيْفِي وَإِنِّي لَأَنْ رَكِبْتُ لِفَارِسُ

أبلى هذا - بإشارة التحقير - تعجب مما رأت ، والمتقاعس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره ، تقيض للتحادب ؛ وبالرحى : تبين ، وبِلَأْنِي : مصدر أبلى الرجل إذا اجتهد فيه حرب أو كرم ، ويركب رده : يريد يصرع منكوسا رأسه أسفله ، والفراران : الخدان

طَوَالَ الرَّدَيْنِيَّاتِ يَنْصِفُهَا دَمِي وَبَيْضُ الشَّرِيحِيَّاتِ يَقْطَعُهَا لَحْمِي ^(١)
 بَرْتَنِي السَّرِي بَرْتِي الْمَدَى فَرَدَدَنِي
 أَخَفْتُ عَلَى الْمَرْكُوبِ مِنْ نَفْسِي جِرْمِي ^(٢)

قال الوحدي : الحتف لا يتصور منه الحذر وإنما يريد أن قرني الذي منه حتفي لو قاتلني
 لحذرتني كأني حتفه : أي كأني أقتله يقينا وأغلبه ، فهو يحذرتني حذر من يقين هلاكه من
 جهة إنسان ؛ ويعتدل أن يكون هذا مجازاً ومبالغة في وصف شجاعته وقوله : وتنكرني
 الأفي : أي يتعرض لي أعدائي فأهلكه ، وقد جعل أعداءه قسمين : حاذراً يحاذره ،
 ومتعرضاً له يهلكه للتنبئ ، ولما سمي عدوه أفي : سمي قوة نفسه وشجاعته بها ، لشدة
 تأثيره في عدوه .

(١) الردينيات : الرماح ، نسبة إلى ردينة : امرأة كانت تقوم الرماح . والسريحيات
 السيوف ، نسبة إلى « قين » اسمه سريح . يقول : إن الرماح تنقص قبل الوصول
 إلى إراقة دمي ، والسيوف تنقطع قبل أن تقطع لحمي . فجعل دمه يقصفاً لما كان السبب
 في قصفها . وكذلك لحمه ؛ والفعل قد ينسب إلى من كان سبباً فيه ، وعبارة التبريزي :
 أي أنا من نفسي وعشيرتي في منعة ، فإذا أصابني طعن كبر الطعن في طلب ثأري حتى
 تنقص الرماح ، وإذا ضربت تنكسر السيوف حتى يدرك ثأري .

(٢) يرتني : أي هزلتني ، مأخوذ من برى السهم ، وهو نحت حتى يبدق ، والسري
 جمع سريّة ، ومن ثم أنشأ ، وقال برتنى وهي سير الليل ، والدى : جمع مدية ، وهي
 السكين ، وجرمي : أي جسدي ، مبتدأ مؤخر ، خبره : أخف : والجملة : حال من
 الضمير في « رددني » أو مفعول ثان لها . وهذا على رواية أخف — بالرفع — وتروى
 منصوبة ، فتكون حالا ، أو مفعولاً ثانياً . وجرمي : بدلا من الباء في ، « رددني » ،
 وإنما أبدل « جرمي » من الضمير لإثبات الوزن وإقامة القافية ، وإلا فقد تم المعنى دونه
 ولا يجوز جعله فاعلاً لـ « أخف » ، لأن أفعول التفضيل لا يرفع الظاهر إلا في مسألة الكحل
 يقول : أذهب السري لحمي فجعلتني في خفق على المركوب كنفسى الذي يخرج من في .

وياس : يريد أنه صلب لا تأنيث فيه ، ويروى نائس من ناس ينوس إذا تهرك واضطرب
 وهاب : يروى « خام » بمعنى نكص وجبن والحما : السورة والشدة ؛ والآله : الشديد
 الخصومة ، وللداعس : للطاعن ،

وَأَبْصَرَ مِنْ زَرْقَاءَ جَوٍّ لَأَنْتَى إِذَا نَظَرْتَ عَيْنَايَ سَاوَاهُمَا عَلَيَّ^(١)
كَأَنِّي دَحَوْتُ الْأَرْضَ مِنْ خِزْبَتِي بِهَا
كَأَنِّي بَنَى الْإِسْكَانَ السَّدَّ مِنْ عَزْمِي^(٢)

(١) نصب « أبصر » عطفا على موضع الجملة - في البيت السابق - في رواية من رفع ، أو على لفظ « أخف » في رواية من نصب وجو : قصبة اليمامة ؛ وزرقاء : اسم امرأة من أهل « جو » حديدة البصر ، ندرك بصرها الشيء البعيد ، فضربت العرب بها المثل ، فقالوا أبصر من زرقاء اليمامة ، قالوا : إنها امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، فلما قتلت جديس طسما خرج رجل من طسم إلى حسان بن تبع فاستجاشه ورغبه في الغنائم فجهز إليهم جيشا ، فلما صاروا من « جو » على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت إلى الجيش ، وقد أمروا أن يعمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : يا قوم قد أتكم الشجر أو أتكم حمير ، فلم يصدقوها فقالت :

أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ خَيْرٌ قَدْ أَخَذْتُ شَيْئًا يُجَرُّ

فلم يصدقوها . فقالت أحلف بالله لقد أرى رجلا ينهش كتفا أو يخسف النعل ، فلم يصدقوها ولم يستعدوا حتى صبحهم حسان فاجتاحهم ، فأخذ الزرقاء فشق عينيها فإذا فيهما عروق سود من الإثم ، وكانت أول من اكتحل بالإثم من العرب ، وقد ذكرها الشعراء من قديم في شعرهم : مثل النابغة في قصيدته الدالية ، والاعشى في قصيدة هذيلة فضل المتنبي نفسه على زرقاء اليمامة فقال : إذا نظرت عيناى ساواهما علمى : أى أنهما لا يسبقان علمى فإذا رأيت الشيء يبصر علمته بقلبي . وروى ابن جني شأواهما علمى . والشأو : الأمد والغاية . يقول : إذا نظرت عيناى فغائتاها : أن تعرف ما علمته بقلبي ؛ يعنى أنه عارف بأعقاب الأمور . وروى شاءهما : أى سبقهما ، مقلوب « شأى » ؛ وروى أيضاً ساواهما علمى ؛ والشأو : الهمة أى همة عيني أن تريا ما عرفت .

(٢) الدحور : البسط ؛ والإسكندر : هو ذو القرنين - الذى بنى السد بين يأجوج وبين سائر البلاد كما جاء في القرآن الكريم ، وليس هذا موضع تبين حقيقة هذا السد - وهل ذو القرنين هذا هو الإسكندر المقدوني أو خلافه ؟ يصف المتنبي كثرة أسفاره في الأرض وتقلبه في البلاد حتى عرف الأرض كلها ، وحق كونه بسطها لعله بها . ويذكر قوة عزمه على الأمور ؟ حتى كأن الإسكندر بنى السد من عزمه هذا : وقد فرق أهل

لَأَلْقَى ابْنَ إِسْحَاقَ الَّذِي دَقَّ فَهْمُهُ ؛ فَأَبْدَعَ حَتَّى جَلَّ عَنْ دِقَّةِ الْفَهْمِ (١)
وَأَسْمَعَ مِنَ الْفَاطِلَةِ اللَّثْمَةِ الَّتِي يَلْدُهُ بِهَا تَجْمَعُ وَلَوْ ضُمِّنَتْ شَتَّى (٢)
يَمِينُ بَنِي قَعَطَانَ رَأْسُ قَضَاعَةٍ ، وَعِزَّيْنَهَا بَذَرُ الثُّجُومِ بَنِي فَهْمِ (٣)
إِذَا بَيَّتَ الْأَعْدَاءُ كَانَ أَسْمَاعُهُمْ صَرِيرُ الْعَوَالِي قَبْلَ قَمَقَمَةِ الثُّجَمِ (٤)
مُذِلُّ الْأَعْرَاءِ الْمِزُّ وَإِنْ يَبْنُ بِهِ يَتَمَتُّهُمْ فَالْمَوْتُ الْجَابِرُ الْيَتَمِ (٥)

اللفة بين السد بالضم وبينه بالفتح فقال الزجاج : ما كان مسدوداً خلقه فهو سد - بالضم - وما كان من عمل الناس فهو سد - بالفتح .

(١) لألقى : متصلة بقوله برثى السرى ؛ وأبدع : أى جاء بالأمر البديعة للبتكرة التى لم يسبق لها مثال ، يقول : تكلفت المشاق وكابدت شدائد الأسفار لألقى للمدح المذكور الذى دق فهمه وأبدع فى دقة الفهم حتى صار أعظم من أن يوصف بدقة الفهم فيقال إنه عالم بالنيب ، أو تقول حتى صار أعظم من أن تدركه الأفهام الدقيقة (٢) يلد بها : يروى يلد لها . ويقال : لذت الشيء ولذت به : أى استلذذته . وقوله ولو ضُمِّنَتْ : يروى « وإن ضمنت » . يقول : إنه صحيح اللفظ ، مستحلى الكلام ، ياتذ السمع بكلامه ولو كان شتاً ، لصعته وعذوبته .

(٣) قعطان : أبو قبائل اليمن ؛ وقضاعة : قبيل منه ؛ وبنو فهم : حى من قضاعة ، وهم رهط المدح ؛ والعرينين - فى الأصل - ما تحت ملتقى الحاجبين من الأنف . يقول إنه فى هؤلاء كاليمن من الجسد ، وفى هؤلاء كالرأس والعرينين : أى أنه رئيسهم وبه عزم ، والعرينين يجعل مثلاً فى العز ، وكذلك الأنف ، وجعله كاليسدر فى « بنى فهم » الذين هم كالنجوم .

(٤) بيت الأعداء : طرقتهم ليلاً . والصرير والقمقة : من مرادفات الصوت ؛ والعوالى الرماح : يقول : إذا وفى أعداءه ليلاً أخفى تدبيره ومكره وتحفظ من قبل أن يفتن له فيأخذهم على غفلة حتى يسمع صرير رماحه بين ضلوعهم قبل أن يسمعوا أصوات اللجم متحركة فى أحناك خيله . وحاصل المعنى أنه يهجم عليهم فلا يشعرون به إلا وقد طعنهم برماحه لإسراعه ولطف تدبيره . وقد زلت قدم ابن جنى فى تفسيره هذا البيت إذ قال : يبادر إلى أخذ الرمح : فإن لحق إسراج فرسه فذاك ، وإلا ركبه عريانا .

(٥) يبن - مضارع أن يبن - أى يحين ، وقوله : به ، أى على يديه ؛ وللموت اسم فاعل - من أيتم - يقول : هو مذل الأعراب ، وممز الأذلاء ؛ يرفع قوماً ويضع

- وَأِنْ تَمْسِ دَاءُ فِي الْقُلُوبِ قَتَاتُهُ فَمُسْكُهَا مِنْهُ الشَّفَاءُ مِنَ الدُّمِ (١)
 مُقَلَّدُ طَاغِي الشُّفَرَتَيْنِ مُحْكَمٌ عَلَى الْهَامِ إِلَّا أَنَّهُ جَائِرُ الْحُكْمِ (٢)
 تَمُحَّرَجٌ عَنْ حَقْنِ الدِّمَاءِ كَأَنَّهُ يَرَى قَتْلَ نَفْسٍ تَرَكَ رَأْسَ عَلَى جَنْبِهَا (٣)
 وَجَدْنَا ابْنَ إِسْحَاقَ الْحُسَيْنِ كَجَدِّهِ عَلَى كَثْرَةِ الْقَتْلِ بَرِيئًا مِنَ الْإِثْمِ (٤)
 مَعَ الْحَزْمِ حَتَّى لَوْ تَمَمَّ تَرْكُهُ لَأُلْحَقَهُ تَضْيِيعُهُ الْحَزْمَ بِالْحَزْمِ (٥)

آخرين ، ثم قال : وإن حان يتمهم - أى يتم الأجزاء - فهو الموت وهو فى الوقت عينه الجابر اليتيم : يعنى أنه يقتل الآباء ثم يحسن إلى أبنائهم الأيتام ويكفلهم بنعمته .
 (١) القنائة : الرمح ، ويريد بمسكها : نفسه . ومن روى فمسكها - بفتح السين أراد موضع الإمساك : وهو الكف ، مثل المدخل والخرج ؛ ومنه : لتجريد ؛ والعدم : الفقر . يقول : إن أدوى (١) قلوب اللطونيين بقناته فإن الذى أمسكها هو الذى يشفى من الفقر بعطائه ، وقد قابل بين الداء والشفاء .
 (٢) الطاغى : الجائر الذى يتجاوز الحد ، وشفرنا السيف : حذاه . والهام : الرؤوس يصف سيفه يقول : هو مقلد سيف جائر الشفرتين لكثرة ما يقتل ؛ محكما فى رؤوس الأعداء ؛ جائرا فى حكمه ، لأنه يحكم بقتلهم جميعا ولا يبقى منهم أحدا .
 (٣) تمحرج عن الشيء : كف عنه وأمسك تأمنا وحقن الدماء : حفظها وتركها فى أبدانها . يقول : إنه يريق دماء أعدائه ولا يبقى عليها ، فكانه يرى ترك رأس من رؤوس أعدائه على جسمه قتل نفس لا يحل له قتلها : أى يتحرج من هذا كما يتحرج من ذلك .
 (٤) قال الواحدى : لما وصفه بكثرة القتل ذكر أنه لا يقتل إلا من يستحق القتل كجده - وكان غازيا يقتل الكفار - فكان بريئا من إثم القتل على كثرة ماله من القتل وروى ابن جنى : كعده بالحاء وقال : أى كعد هذا السيف : أى أنه كثير القتل ولا إثم عليه ، لأنه لا يضع الشيء فى غير موضعه ، كما أن حد السيف كثير القتل ، وهو غير آثم كما قال أبو تمام :

إِنْ أَجْرَمْتَ لَمْ تَنْصَلْ مِنْ جُرَائِمِهَا وَإِنْ أَسَاءْتَ إِلَى الْأَقْوَامِ لَمْ تُلَمْ
 (٥) مع الحزم : متعلق بقوله « وجدنا » . والحزم : ضبط الإنسان أمره والأخا

(١) أدواه : أحدث به داء .

وَفِي الْحَرْبِ حَتَّى لَوْ أَرَادَ تَأْخِرًا لَأَخَّرَهُ الطَّبِيعُ الْكَرِيمُ إِلَى الْقَدَمِ^(١)
لَهُ رَحْمَةً تُحْنِي الْعِظَامَ وَغَضَبَةً

بِهَا فَضْلَةٌ لِلْجُرْمِ عَنْ صَاحِبِ الْجُرْمِ^(٢)
وَرِقَّةٌ وَجِبْهَةٌ لَوْ خَشِمَتْ بِنَظَرَةٍ عَلَى وَجْنَتَيْهِ مَا انْمَحَى أَثَرُ الْعُتْمِ^(٣)
أَذَاقَ الْغَوَايِ حُسْنَهُ مَا أَذَقْنِي ، وَعَفَّ لِحَاظَاهُنَّ عَنِّي عَلَى الصَّرْمِ^(٤)

فيه بالثقة . يقول : وجدناه ملازماً للجزم حتى لو تعمد تركه لم يعد مع تركه إلا حازماً
لأن الجزم ملازم له ، والمعنى أنه لا ستيلاء الجزم عليه يلحقه تركه إياه بفعله حتى لو أراد
ترك الجزم لم يمكنه ، وفي هذا نظر إلى قول أبي تمام :

تَعُودُ بَسْطُ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ ثَنَّاكَاهَا لِقَبْضٍ لَمْ تَجْنِبْهُ أَنَايِلَهُ
ولك أن تقول إن المعنى : أنه لو تعمد ترك ما هو حزم في بادئ الرأي لم يكن
تركه إلا لا مراً يقتضيه الجزم ، لأنه يرى مالا يراه غيره ولا يضع الأشياء في غير
مواضعها .

(١) في الحرب : عطف على « مع الجزم » : والتقدم : التقديم . يقول : هو صاحب
الحرب وفي الحرب أبداً ، حتى لو أراد تأخراً لكان تأخره تقدماً إذ ليس عنده إلا التقدم
والمعنى لا أخره الطبع الكريم عن التأخر إلى التقدم .

(٢) يقول : بلغت رحمته إلى حد أنها تكاد تحيي العظام وهي رميم . قال الواحدى :
أى فضلت عن الأحياء إلى الأموات وغضبه فضل عن صاحب الجرم فضلة هي للجرم :
يعنى أنه يفتى بغضبه المجرم وتبقى من غضبه فضلة تفتى الجرم القدى اجترمه أيضاً ، بمعنى أنه
بعد تنكيه بالمجرم لا يجترى أحد أن يأتي مثل جرمه خوفاً من غضبه فضله يفتى المجرم وجرمه
(٣) رقة الوجه : كناية عن الحياء وكرم الأخلاق . يقول : هو رقيق الوجه
حياء وكرماً ؛ فلو نظرت إليه لظهر على وجهه أثر نظرك كأثر الختم : ثم لا يذهب ذلك
الأثر ولا ينمحي .

(٤) الغوايى : جمع غانية ، وهى الشابة التى غنيت بهاها عن الحلى ، وقيل
التي غنيت بزوجها عن الرجال ، وقيل التى غنيت بيت أبويها فلم يقع عليها سبأ .
واسكن « الغوايى » : ضرورة ، لأنها مفعول أذاق . والصرم : المجرى وللقاطعة ،
يفتح الصاد وضماً - وقيل : الصرم المصدر ؛ والصرم : الاسم . يقول إنه لحسنه تشقه

فَدَىٰ مَنْ قَتَلَ الْغَبْرَاءَ أَوْ لَهُمْ أَنَا هَذَا الْأَبَى الْمَاجِدِ الْجَائِدِ الْقَرَمِ (١)
لَقَدْ حَالَ بَيْنَ الْجِنِّ وَالْأَمْنِ سَيْفُهُ

فَمَا الظَّنُّ بَعْدَ الْجِنِّ بِالْعَرَبِ وَالْمَجْمِ (٢)
وَأَرْهَبَ حَتَّىٰ لَوْ تَأَمَّلَ دِرْعَهُ جَرَتْ جَزَعًا مِنْ غَيْرِ نَارٍ وَلَا فَحْمِ (٣)

النساء ولكنه يعف عنهم ولا يواصلهم ، فكان ذلك منه جزاء لمن على مصارمتهم إياي .

(١) فدى خبر عن الوصول بعده ، والغبراء : الأرض . والآبى : بمعنى الآبى وهو الذى يأبى الدنيا . والجائد : الفاعل من جاد يهود ، والقرم : السيد ؛ وأصله : الفحل من الإبل يترك للفحلة ولا يحمل عليه . يقول : يفدى هذا المدوح كل من على الأرض وأولهم أنا ، لأنه سيدهم .

(٢) حال : اعترض . يقول : لقد أخاف سيفي الجن حتى حال بينهم وبين أن يأمنوه فما ظنك بالإنسى بعد خوف الجن ، والعرب والعرب واحد ، وكذلك العجم والعجم .

(٣) أرهب : أخاف ؛ والجزع : نقاد الصبر من شدة الخوف . يقول : أخاف كل أحد حتى لو نظر بهيبته إلى درعه لذابت جزعا من خوفه وجرت مجرى الماء . وهذا من قول الآخر :

لو صال من غضب أبو دُلف على بيض السيوف لَدُبْنَ في الأغصان
هذا : ويقال غم وغم مثل نهر ونهر ، وفي المثل : لو كنت أُنخِغ في غم : أى لو كنت أعمل في عائدة . قال الأغلب العجلي :

هل غيرُ غار هذَّ غاراً فانهدم قد قاتلوا لو ينفخون في فحم
* وصبروا لو صبروا على أمم *

يقول : لو كان قتلهم يغنى شيئاً ، ولكنه لا يغنى فكان كالذى ينفخ نارا ولا غم ولا حطب ، فلا تنقد النار : يضرب هذا المثل للرجل يمارس أمراً لا يجدى عليه ، والفحيم كاللحم . قال امرؤ القيس :

وإذ هي سوداء مثل الفحيم تُنَشَّى المطانِبَ والمنكبا (١)

(١) وإذ هي سوداء : يعنى اللمة ؛ وذلك دليل الشباب والفتوة ، والمطانب : جمع المطنب ، وهو جبل العاتق الممتد إلى المنكب .

وَجَادَ فَلَوْلَا جُودُهُ غَيْرَ شَارِبٍ لَقِيلَ كَرِيمٌ هَيَّجَتْهُ ابْنَةُ الْكَرْمِ^(١)
أَطْعَمَكَ طَوْعَ الدَّهْرِ يَا ابْنَ ابْنِ يُوسُفَ
لَشَهَوْتِنَا ، وَالْحَاسِدُ لَكَ بِالرَّغْمِ^(٢)

(١) غير شارب : حال . وابنة الكرم : الحمر ، يقول : جاد بالأموال فأكثر
وتخرق في الكرم ، فلولا أننا رأيناه صاحباً لقلنا كريم هيجه الحمر فحركته إلى
الجود وابتغته عليه ، وقد جانس بين الكريم والكرم ، وهذا من قول
البحرئى :

صَحَا وَاهْتَزَّ لِلْمَعْرُوفِ حَتَّى قِيلَ نَشْوَانُ

(٢) طوع الدهر : لك أن تجعل المصدر مضافاً إلى الفاعل ، فيكون المعنى : أطعمتك
كما أطعمك الدهر ، ولك أن تجعله مضافاً إلى المفعول ، فيكون المعنى أطعمتك غاية الطاعة
شهوة منا لطاعتك كما نطيع الدهر — ولا ينفك أحد من طاعة الدهر — وأطعمتك
حاسدوك على الرغم منهم خوفاً منك . هذا وقوله : الحاسدوك ، أراد والحاسدون ،
خذف النون ، لأنه شبهه بالفعل ، كأنه قال والذين حسدوك ومثل هذا كثير ، قال
عبيد بن الأبرص :

وَلَقَدْ يَفْنَى بِهِ جِيرَانُكَ الْمُسْكُومُ بِأَسْبَابِ الْوِصَالِ
أَرَادَ الْمُسْكُونِ ، وَأَنْشَدَ جَمِيعَ النُّحَوِيِّينَ :

وَالْحَافِظُ عَوْرَةَ الْمَشِيرَةِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ وَرَائِنَا وَكَفَّ^(١)

(١) من قصيدة لعمر بن امرئ القيس الخزرجي ، وقوله :

نَحْنُ الْمَكِيثُونَ حَيْثُ تَحْمَدُ بِالْمَكِّ وَنَحْنُ الْمَصَالَتُ الْأَنْفُ

والمكيثون : جمع مكث فعل من المكث وهو البث — الانتظار — والمراد هنا الصبر
والرزاة والمصالت : جمع مصلت ، وهو الماضي في الأمور لايهاب شيئاً . والأنف : جمع
أنف ، من الأنفة ، وهي الحمية . والحافظو : عطف على « المصالت » والعورة :
المكان الذي يخاف منه العدو ؛ والوكف : العيب والإثم . يقول : ونحن نحفظ
عورة عشيرتنا فلا يأتيهم من ورائنا شيء يخابون به من تضييع ثغرهم وقلة رعايته .
« راجع القصيدة وقصتها وشرحها في الجزء ٤ ص ٢٠٥ من « الخزائن » طبعة « السلفية »

وَقِنَّا بَأْنَ تُعْطَى فُلُو لَمْ نَجْزِدْ لَنَا خِلْنَاكَ قَدْ أُعْطِيتَ مِنْ قُوَّةِ الْوَهْمِ^(١)
 دُعِيتُ بِتَقْرِيطِكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ ، وَظَنَّ الَّذِي يَدْعُوْنَا إِيَّكَ أَسْمَى^(٢)
 وَأَطْعَمْتَنِي فِي نَيْلٍ مَا لَا أَنَالُهُ
 بَمَا نِلْتُ حَتَّى صِرْتُ أُطْعَمُ فِي النَّجْمِ^(٣)

أراد الحافظون ، ولذلك نصب عورة ، وقرأ بعض القراء « والمقيم الصلاة »
 بنصب « الصلاة » وارتفع الحاسدو : بالعطف على الضمير في « أطعناك » وحسن العطف
 على الضمير المرفوع ، وإن لم يؤكد ، لطول الكلام .

(١) خلتك : حسبناك ؛ والوهم : تخيل الشيء وتمثله كان في الوجود أولم
 يكن . وقال الجوهري : وهمت في الشيء - بالفتح - أم وما : إذا ذهب وهمك
 إليه وأنت تريد غيره ؛ وتوهمت : أى ظننت ؛ ووهم - بكسر الهاء - : غلط
 وسها . يقول : وثقنا بأنك تعطينا لما تحققناه من جودك فلو لم تعطنا لظنناك
 قد أعطيتنا .

(٢) التقريظ : المدح . وقوله : الذى يدعو ، أراد يدعوني ، فحذف المفعول .
 يقول لكثرة مدحى إياك دعيت مدحك وشاعرك ، والذى يدعوني يظن أن اسمى
 ثنائى عليك فيقول يامثنى فلان - يامادح فلان - وبعبارة أخرى : لقد اشتهرت بمدحك
 بين الناس حتى سموني مادح فلان ، وصار الذى يريد أن يدعوني ، ينادى بهذا اللفظ ،
 لظنه أنى مسمى به ؛ وقال ابن جنى : أنا أمدحك بالشعر ، فيقول الناس هذا شاعر
 الأمير ، فاشتق لى من مدحك اسم ، وهذا المعنى من قول الناس : من أكثر من شيء
 عرف به ، وقد قال جعفر بن كثير لجليل قد ملأت البلاد بذكر بثينة وصار اسمها لك
 نسبا وإنى لأظنها حديدة العرقوب دقيقة الظنبوب ، وقد نقل المتنبي هذا من قول
 البحتري

وما أنا إلا عبدُ نعمتك التى نُسِبتُ إليها دون رهطى ومعشرى
 (٣) يقول : قد نلت بمجودك كل ما أردت ، ولما أدركت ذلك طعمت فيما لا ينال ،
 لأن من نال ما أراد طمع فيما وراءه مما لا يناله ، ولم يزل فى هذا الطمع حتى صرت
 أطعم فى إدراك النجوم حتى أناها كما قال البحتري :

لَمْ لَا أُمْدُ يَدَى حَتَّى أَنَالُ بِهَا زُهرَ النجوم إذا ما كنت لى مُضدَا
 (١٧ - المتنبي ٤)

إِذَا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ نُمُّ أَجَزَتْ نِي فَكَلْ ذَهَبًا لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلَمِ (١)
 أَبَتْ لَكَ ذُمِّي نَخْوَةً بِمَنْيَّةٍ ، وَنَفْسٌ بِهَا فِي مَازِقِ أَبَدًا تَرْمِي (٢)
 فَكَمْ قَائِلٌ لَوْ كَانَ ذَا الشَّخْصِ نَفْسُهُ لَكَانَ قَرَاهُ مَكْمَنَ الْمُسْكَرِ الدَّهْمِ (٣)
 وَقَائِلُهُ وَالْأَرْضَ أَغْنِي تَعَجُّبًا عَلَى أَمْرُو يَمْشِي بِوَقْرِي مِنَ الْحِلْمِ (٤)
 عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تُكَلِّمْ مَهَابَةً
 تَوَاضَعْتَ وَهُوَ الْعُظْمُ عَظْمًا عَنِ الْعُظْمِ (٥)

(١) القرن : الكفء في الحرب . وأجزتني : أعطيتني جائزة ، وهي العطاء والكلم الجرح . يقول : إذا أردت أن تعطيني وقد ضربت أحد أقرانك في الوغى ؛ فأجعل عطائي ملء جرحه ذهباً ، فإن ذلك يكون كفيلاً لي بالغنى . يصفه بسعة الضربة وبعد غور جرحه ورحابته .

(٢) بمنية : تروى عربية ؛ والنخوة : الكبر ؛ يريد بها ترفعه عن الدنيا وعمما يورثه عيباً ؛ والمأزق : اللصيق ؛ والمراد به : ساحة الحرب . يقول : ترفعه عن انقائص ونفesk التي ترمي بها أبداً في مآزق الحرب بإيثار ذمي لك : أي لا موضع للدم فيك ، لأنك مترفع عن كل ما يزيى بك ، لأنك كريم شجاع

(٣) القرا : الظهر . والمكمن : الحجاب . والدهم : الكثير . يقول : كم من قائل يقول لو كان جسمه على قدر نفسه وهمته لاختفى وراء ظهره الجيش العظيم .

(٤) وقائلة : أي ورب قائلة . والأرض : منصوب بأعنى ، وتعجبا : مفعول له ، أو حال ؛ ولك أن تجعله مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف : أي أتعجب تعجبا . وعلى امرؤ : مبتدأ وخبر وقوله : بوقري أي بمثل وقري : أي ثقل : يصف زرائته وثقل حمله . يقول إن الأرض تقول تعجبت تعجبا يمشي على امرؤ ثقل حمله كثقل .

(٥) الضمير من « وهو العظم » : يرجع إلى التواضع المفهوم من قوله تواضعت ، والجملة : معترضة ، وعظما : مصدر في موضع الحال من « التاء » في « تواضعت » وعن العظم ، متعلق بعظما . يقول : أنت عظيم القدر والنفس والهمة ، فلم يكلمك الناس مهابة لك : فلما هابوك تواضعت متعظما عن تلك العظمة ، وهذا التواضع والتعظيم عن العظمة هو عين العظمة ، لأن تواضع الشريف عن شرفه هو الشرف كل الشرف :

وقال يمدح على بن إبراهيم التنوخي :

أَحَقُّ عَافٍ بِدَمْعِكَ الْهِمَمُ أَحَدْتُ شَيْءَ عَهْدٍ بِهَا الْقَدَمُ^(١)
وَأَتَمَّا النَّاسُ بِالْمُلُوكِ وَمَا تُفْلِحُ عُزْبٌ مُلُوكَهَا عَجَمُ^(٢)
لَا أَدَبٌ عِنْدَهُمْ وَلَا حَسَبٌ وَلَا عُبُودٌ لَهُمْ وَلَا ذِمَمُ^(٣)
بِكُلِّ أَرْضٍ وَطِئَتْهَا أُمَمٌ تُرْعَى بَعْدَ كَانِهَا غَمَمُ^(٤)

(١) أحق - أي أولى وأجدر - : خبر مقدم عن الهمم : والعافى : الدارس الذاهب - من غفت النيار : درست - والقدم : خلاف الحدوث . يقول : أحق عاف بأن ييكي عليه هو همم الكرام التي قد درست وذبحت : أي أنها أولى بالبكاء من الدمن والأطلال ثم قال : إن أقدم أحدث الأشياء عهداً بها - أي بالهمم - أي أن دروسها قديم ، وإذن لا عهد لأحد بها ، قال الواحدى : لأن المحدثات تتأخر عن القدم وإذا كان القدم أحدث الأشياء عهداً بها فلا عهد بها لأحد ، وهذا كما تقول أحدث الناس عهداً بها آدم ، دل هذا على أنه لا عهد بها لأحد من الناس وقال ابن جني : سأله - أي للتنبى - عن معنى هذا البيت فقال : أحق ما صرفت إليه بكاءك همم الناس ، لأنها قد غفت ودرست فصار أحدثها عهداً قديماً . وعبرة التبريزى : أحق عاف بأن ييكي عليه همم الكرام لأنها قد غفت كما تغفو الربوع ، فمن أحق بدمعك من كل الدارسات ، وجعل القدم أحدث الأشياء عهداً بالهمم : أي أن دروسها قديم ، فلا همم فى الأرض (٢) يقول : إن الناس بالملوك يرتفعون ، والعرب إذا ملكهم العجم لم يملحوا ، لما بينهما من التباين والتنافر واختلاف الطبائع واللغة ، ثم بين هذا فى البيت التالى ، هذا : وقد قال أبو عبيد : أصل الفلاح البقاء ، وأنشد للأضبط بن قريع :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنْ أُمُورِ سَعَةٍ وَالْأُسَى وَالصَّبْحُ لَا فَلَاحَ مَعَهُ

يعنى ليس مع كل الليل والنهار بقاء ، ثم كثر استعماله حتى صار يطلق على الفوز بكل ما يقتبط به ؛ وفيه صلاح حال .

(٣) الحسب : ما يعسده الإنسان من مفاخر آباءه ، وقيل : الحسب الفعال الصالح ؛ والذمم : جمع ذمة ، وهى الأمان والعهد .

(٤) قوله ترعى بعد : يريد عبيد الخلفاء من الأتراك الذين كانوا يؤمرون على الناس .

بَسْتَخْشَنُ الْحَزَّ حِينَ يَلُصُّهُ وَكَانَ يُبْدِي بِظُفْرِهِ الْقَلَمَ^(١)
 إِنِّي وَإِنْ لُمْتُ حَاسِدِي فَمَا أَنْكَرُ أَنِّي عَقُوبَةُ لَهُمْ^(٢)
 وَكَيْفَ لَا يُحْسَدُ أَمْرُو عَلمَ لَهُ عَلَى كُلِّ هَامَّةٍ قَدَمٌ^(٣)
 يَهَابُهُ أَبْسَأُ الرِّجَالِ بِهِ وَتَتَّقِي حَدَّ سَيْفِهِ الْبَهْمُ^(٤)
 كَفَانِي الذَّمُّ أَنَّنِي رَجُلٌ أَكْرُمُ مَالٍ مَلَكَتُهُ الْكِرْمُ^(٥)
 يَجْنِي الْغَنَى لِلشَّامِ تَوْعَلُوا مَا لَيْسَ يَجْنِي عَلَيْهِمُ الْعَدَمُ^(٦)

(١) الحز : ثياب تعمل من الأبريسم : أى الحرير الصوف لا يشوبها قطن ولا كتان . يقول : يرى من كبريائه الحز خشنا ، وكان قبلاً رثاً حافياً طويلاً الأظفار .
 (٢) يقول : إني - وإن لمت حسادي - لا أنكر أنهم معذرون في حسدي لأنهم معاقبون بتقدمي عليهم وظهور نقصانهم بزيادة فضلي .

(٣) العلم : الجبل : أى شهير كالعلم : والمهامة : الرأس ، وهذا تأكيد لبيان عذرهم في الحسد . يقول : لم لا يحسد من صار كالعلم في كل فضل . أى اشتهر وصار كالشار إليه ، وعلا الناس كلهم فصارت قدمه فوق المهامات : يعنى علت درجته درجاتهم ، وقد نظر في هذا إلى قول البحترى .

واعذر حسودك فيما قد خصصت به إن العلى حسنٌ في مثلها الحسدُ

(٤) أبسأ الرجال به : أى آنسهم به وآلفهم له ، يقال بسأت بالشيء : إذا أذهبت هيئته من قلبك . وتتقى : تحذر . والبهمة : جمع بهمة ، البطل الذى لا يدرى من أين يؤتى من عدة بأسه . يقول : كيف لا يحسد من كان من الهية بحيث يهابه أنيسه ، ومن الشجاعة بحيث تتقيه الأبطال ؟

(٥) كفاه الشيء : صرفه عنه ؛ وإنى : فاعل كنى . والكرم : نقيض اللؤم : يقول : منع عنى الذم أنى رجل كريم أرى ما بى من الكرم أعز شئ أملكه وأصونه يذل المال دونه وأبخل به بأجل غيرى بالمال .

(٦) اللثيم الدنيء الأصل ، الشحيح النفس ، نقيض الكريم . والعدم - بفتح العين الدال ، وبضم العين وسكون الدال وبضمها - : الفقر وقلة المال . ويجنى لهم : يكسب لهم . يقول : إن غنى اللثيم لو علم بجنى عليه ما لا يجنيه اللؤم ، لأن الفقر يقطع عنه الطمع ولا يظهر لؤمه ، لأنه لا يقصد فى حاجة ؛

هُمْ لِأَمْوَالِهِمْ وَلَسَنَ لَهُمْ وَالْعَارُ يَبْقَى وَالْجَرْحُ يَلْتَمِمْ^(١)
 مَنْ طَلَبَ الْمَجْدَ فَلْيَكُنْ كَمَلِي يَهَبُ الْأَلْفَ وَهُوَ يَنْتَقِمُ^(٢)
 وَيَطْمَنُ الْخَيْلَ كُلَّ نَافِذَةٍ كَيْسَ لَهَا مِنْ وَحَايَهَا أَلَمْ^(٣)

أما الغنى فإنه يظهر لؤمه لأن الأطلاع تتصل به ، ولؤمه يمنع من تحقيقها ، فيتوجه عليه الذم .

(١) الضمير في «لسن» للأموال ، والتأم الجرح : التحم . يقول : إن الثام مملوكون لأموالهم لأنهم يتعبون في سبيل حفظها وجمعها ومنعها وهي كأنها تشير عليهم بأن يصونوها ولا يبذلوها فيطيعونها . وهم لا يملكونها ، لأنهم ليست لهم قدرة على البذل لها ، ولا أن يكسبوا بها محمداً في الدنيا أو أجراً ومثوبة في العقب ، فضلا عن أنها صائرة إلى الوارث ؛ وإذن : فهم للأموال وليست لهم وبهذا يوصف اللئيم المكثر ، كما قال حاتم الطائي .

إذا كان بعض المال رباً لأهله فإني بحمد الله مالى معبداً
 وقال الآخر :

ذريني أكن للمال ربا ولا يكن لي المال رباً تحمدي غيبه غداً
 وقال أبو نواس :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقتة فالمال لك
 وقال الخزومي :

إن رب المال آكله وهو للبخال أكل

ثم قال : إن العار أبقى من الجرح ، لأن جرح السيف يبرأ ويلتم ؛ أما جرح العار فإنه يبقى ولا يزول عن صاحبه .

(٢) الكاف من «كلى» : في موضع نصف خبر «يكن» : أى مثل على وجهه «وهو ينتقم» : في موضع الحال . وقوله يهب الألف : أى من الدنانير .

(٣) ويطمئن الخيل : أى فرسانها ؛ وكل نافذة أى كل طعنة نافذة : أى تنفذ في المطعون إلى الجانب الآخر . والوحاء : السرعة . يقول : إن مطعونه لا يحس بألم الطعنة ، لأنها - لسرعته - تقتله قبل أن يدرك ألمها . قال ابن جنى : لم توصف الطعنة بوحاء أسرع من هذا ، وقد قال غيره في السيف

وَيَعْرِفُ الْأَمْرَ قَبْلَ مَوْقِعِهِ فَمَا لَهُ بَعْدَ فَقْلِهِ نَدَمٌ ^(١)
وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالسَّلَاحُ وَالْيَيْسُ لَهُ وَالْقَيْدُ وَالْحَشْمُ ^(٢)
وَالسُّطُوتُ الَّتِي سَمِعْتَ بِهَا تَكَادُ مِنْهَا الْجِبَالُ تَنْفَعُهُمْ ^(٣)

تَرَى ضَرْبَاتِهِ أَبْدَأَ خِطَابًا إِلَى أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ قَتِيلٌ

(١) الموقع - ههنا - مصدر بمعنى الوقوع ، يريد أن يقول : إنما يندم من لا يعرف العواقب أما من يعرف الأمر قبل وقوعه ، فإنه لا يندم على فعله ؛ لأنه يعلم وجه الصواب فيه فيفعله عن بصيرة ومعرفة ، فلا يلزم به بعد ذلك ما يبعثه على الندم ، وعبارة ابن جني : إذا حمل هذا البيت على صحة الظن كان كما قال أوس بن حجر :

الْأَلَمِيُّ الَّذِي يظُنُّ بِكَ الظَّنَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

أى هذا الممدوح لا يندم لأنه لا يفرط في الأمور ، وإنما يندم من ضيع حزمه وقت المنفعة ؛ وقد شرح هذا الغرض من قال :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصُرْتَ حَاصِدًا نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ

(٢) السلاح : الحيل الطوال ، جمع سلهب وسلهبة ، يقال : فرس سلهب وسلهبة للدكر : إذا عظم وطال وطالت عظامه . والبيض . السيوف والحشم : أتباع الرجل الذين يفضون لفضبه ويرضون لرضاه . يقول : له هذه الأشياء لأنه ملك . فقوله والأمر : ابتداء ، وما بعده : عطف عليه ، والخبر : قوله : له .

(٣) السطوت : جمع سطوة ، وهى القهر بالبطش ، وسطا عليه وبه سطوا وسطوة : صال . والقصم - بالقاف - أن ينكسر الشئ فيبين ، وأما القصم - بالفاء - فهو أن ينصدع الشئ من غير أن يبين . قال ذو الرمة يصف ظيبا قد انحى في نومه فشبهه بدمليج - مايلبس في المعصم من الحلى - قد انقصم :

كَأَنَّهُ دُمْلِجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبَهُ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عَذَارَى الْحَىِّ مَفْصُومٌ ^(١)

(١) شبه الغزال وهو نائم بدمليج فضة قد طرح ونسى ، وكل شئ سقط من إنسان لنسيه ، ولم يهتد إليه : فهو نبه ، وجعله مفصوما لتثنيه وانحنائه إذا نام ، ونبه هنا بدل من «دمليج» ويقال أصله نهبأ : أى لم يدر متى ضل . قال الأصمى : أضلوه نهبأ لا يدرون متى ضل حتى انتبهوا له . وذهب ابن برى إلى أن النبه هنا الشئ المشهور ، قال : شبه ولد الظبية حين انمطف لما سقته أمه فروى بدمليج فضة نبه أى بدمليج أبيض نقي . كما

يُرْعِيكَ سَمْعًا فِيهِ اسْتِمَاعٌ إِلَى الدَّاعِي وَفِيهِ عَنِ الْخَلْقِ صَمَمٌ^(١)
يُرِيكَ مِنْ خَلْقِهِ غَرَائِبُهُ فِي مَجْدِهِ كَيْفَ تُخَاقُ النَّسَمَ^(٢)

يقول : وله السطوات المشهورة التي يتحدث بها الناس وتنتساع أخبارها والتي تنكاد الجبال تنصدع وتهد لها لشدها .

(١) يقال : أرعى سمعك - أى اصغ به إلى واستمع مني ؛ ومعناه اجعل سمعك الكلامي بمنزلة الموضع الذي يرعى فيه ويتصرف . والضمير من فيه في الشطرين للسمع ، والحناء : الفحش في الكلام . يقول : هو يسمع الداعي إذا دعاه واستغاث به لنصرة أو فعل مكرمة ، فهو عند ذلك سميع ، ويعرض عن الفحش كأنه به صمماً ، هذا : والداعي رواها ابن جنى بدون ياء ، وقال : أراد الداعي وقد حذف القراء ياء الداعي في مواضع من القرآن الكريم وأثبتوها في مواضع ، فأثبتها أبو عمرو وورش عن نافع في قوله تعالى « أجب دعوة الداعي إذا دعان » وصلاً ؛ وحذفها وقفاً اتباعاً للمصحف ، وأثبتها البرزى وقفاً ووصلاً في قوله « يدع الداعي » في سورة القمر ؛ وأثبتها وصلاً أبو عمرو وورش ، وإلى الداعي أثبتتها في الحالين ابن كثير وفي الوصل نافع وأبو عمرو وحذف الجميع الباقون وصلاً ووقفاً اتباعاً للمصحف .

(٢) خلقه : مصدر : أى إبداعه ، وغرائبه : منصوب به ؛ والنسم : جمع نسمة وهي : نفس الروح وذو الروح . قال الشاعر :

ما صورَ اللهُ حينَ صورَها في سائرِ الناسِ مثلها نَسَمَه

يقول : إن خلقه غرائب المجد ، وإبداعه من المكارم ما لم يسبق إلى مثله يعرفك ويصحح لك خلق الله عز وجل النسَم ، لأن المخلوق إذا كان قادراً على خلق شيء كان الخالق أولى بالقدرة عليه . وقال ابن جنى : أراك كيف يخلق الله النفوس ، يعظم قدر ما يأتيه ، كأنه شبه أفعاله بأفعال الله تعالى .

كان ولد الظبية كذلك . وقال في ملعب من عذارى الحى ؛ لأن ملعب الحى قد عدل به عن الطريق المساوك ، كما أن الظبية قد عدلت بولدها عن طريق الصيد . وقوله مفصوم ولم يقل مفصوم ، لأن الفصم الصدع والقصم : الكسر والتبرى ، إنما يريد أن الخشف - ولد الظبية - لما جمع رأسه إلى غنذه واستدار كدملج مفصوم : أى مصدوع من غير انفراج .

مِلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا إِنْ كُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْفَسِمُ^(١)
 مِنْ بَعْدِ مَا صَيَّغَ مِنْ مَوَاهِبِهِ لِمَنْ أَحْبَبَ الشُّنُوفُ وَأَعْلَمَ^(٢)
 مَا بَدَّلَتْ مَا بِهِ يَجُودُ يَدٌ وَلَا تَهْدَى لِمَا يَقُولُ فَمُ^(٣)
 بَنُو الْعَفْرَنَى مَحْطَةُ الْأَسَدِ الْأَسَدُ وَلَكِنْ رِمَاحُهَا الْأَجَمُ^(٤)

(١) يخاطب صاحبيه على عادة العرب . يقول : إني عدلت إلى زيارة رجل لوجئنا
 بإصاحي تسألانه يكاد ينقسم بينكما ، فيصير لكل واحد منكما نصفه إن سألتاه نفسه
 وهذا مبالغة في الجود :

(٢) الشنوف : جمع شنف ، وهو ما يعلق في أعلى الأذن ؛ أما القرط : فهو ما يعلق
 في شحمة الأذن . والخدم : جمع خدمة ، وهي الخلخال . وقوله من بعد : متعلق بـ «ملت»
 - في البيت السابق - يقول : ملت إلى زيارته من بعد ما كثرت عطاياه عندي حتى
 صغت لمن أحبه الشنوف والخلخال من الذهب الذي أعطاني : يعني أن عطائه وصل إلى
 قبل زيارته .

(٣) تهدي : اهتدي . يقول : لم تبذل يد ما يجود به ، ولا اهتدي فم لأن يأتي بما
 يقول ، يعني أنه أجود الناس بنا وأفصحهم لسانا .

(٤) بنو العفرنى : مبتدأ ، خبره الأسد . والعفرنى : الأسد القوى ، والنون زائدة
 وأصله من العفر ، كأنه يعفر صيده لقوته ، ومحطة : اسم جد المدوح وهو في موضع
 خفض ، لأنه بدل من «العفرنى» ، إلا أنه لا ينصرف ، والأسد : صفة لمحطة - وروى
 الحوازمي محطة - بالجر - جعله من الحط ، وهو الوضع أى أنه يحط الأسد عن منزلته
 وشجاعته . والأجم : جمع أجمة ، الغاية يأوى إليها الأسد . يقول : إن بني محطة القدي
 هو أسد ، أسود مثله ، لكن غاباتهم التي يستعصمون بها ، إنما هي الرماح بدل الآجام
 التي يمتنع بها الأسود ، كما قال طي بن جبلة :

كَأَنَّهُمْ وَالرِّمَاحُ شَائِلَةٌ أَسَدٌ عَلَيْهَا أَظَلَّتِ الْأَجَمُ
 وقال أبو تمام :

أَسَادُ مَوْتٍ مُنْخَدِرَاتٌ مَا لَهَا إِلَّا الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا آجَامُ
 وقال أيضا :

أَسَدُ الْعَرِينِ إِذَا مَا الْمَوْتُ صَبَّحَهَا أَوْ صَبَّحَتْهُ وَلَكِنْ غَابَهَا الْأَسْلُ

قَوْمٌ بُلُوغُ الْفُلَامِ عِنْدَهُمْ طَعْنُ نُحُورِ الْكِمَاةِ لَا الْحِلْمُ^(١)
كَأَنَّمَا يُولَدُ الْفَدَى مَعَهُمْ لَا صِفَرٌ عَاذِرٌ وَلَا هَرِمٌ^(٢)
إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا صَدِيقَةً كَتَمُوا^(٣)

وانتدب إلى عفرني فنقول : يقال أسد عفرني ولبوة عفرني أيضا ، والنون لللاحق
بسفر جل ، وناقاة عفرناة : أى قوية قال عمر بن لجأ التيمى يصف إبلا

حَمَلَتْ أَثْقَالِي مَصِّمَاتِهَا غُلِبَ الذَّفَارِيُّ وَعَفَرْنِيَاتِهَا^(١)

(١) قوم : أى هم قوم . والنحور : جمع نحر ، وهو موضع القلادة . والسكاة : جمع
كمى ، وهو البطل المستتر فى سلاحه . والحلم : البلوغ . يقول : هم قوم بلوغ الفلام عندهم
أن يحمل على الأعداء فى الحرب ويطعنهم فى نحورهم ، لأن يبلغ سن الحلم ، فذاك
هو معنى الرجولية عندهم . قال أبو دلف :

علامة القوم فى بُلُوغِهِمْ أَنْ يُرْضِعُوا السِّيفَ مُهْجَةَ الْبَطْلِ

وقال يحيى بن زيد بن على بن الحسين :

خَرَجْنَا نَقِيمُ الدِّينِ بَعْدَ أَغْوَجَاجِهِ سَوِيًّا وَلَمْ نَخْرُجْ لِحَمَجِ الدَّرَمِ
إِذَا أَحْكَمَ التَّنْزِيلُ وَالْحِلْمُ طِفْلَانَا فَإِنْ بُلُوغَ الطِّفْلِ ضَرْبُ الْجَمَاجِمِ

(٢) الذدى : الجود . والهرم : الكبر والعجز عن التصرف . يقول : إنهم نشأوا
مع الجود وفطروا عليه ، فلا يحول دون جودهم حائل من عجز ، فهم أجواد على كل حال :
وهذا من قول البحترى :

عَرِيقُونَ فِي الْإِفْضَالِ يُؤْتَنَفُ الذِّى لِفَاشِهِمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتَنَفُ الْعُمَرُ

(٣) الصنعة : المعروف . يقول : إذا عادوا أحدا جاهرُوا بعداوتِهِ ، لأنهم لا يخافون
عدوا ؛ وإذا اصطنعوا صنعة أخفوها ولم يباهوا بها ، حياء ونبلا .

(١) الذفارى : جمع الذفرى ، والذفرى من القفا : الموضع الذى يعرق من
البعير خلف الأذن ؛ والغلب : جمع الأغلب ، وهو الغليظ . يقال غلب غلبا :
أى غلب .

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ أَغْتَدَادَهُمْ أَهْمُ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا^(١)
 إِنْ بَرَقُوا فَالْحُتُوفُ حَاضِرَةٌ أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحُكْمُ^(٢)
 أَوْ حَلَفُوا بِالْغَمُوسِ وَاجْتَهَدُوا فَقَوْلُهُمْ « خَابَ سَائِلِي » الْقَسَمُ^(٣)

(١) يقول : إنهم لا يعتدون بما صنعوا من المعروف ، لتناسيمهم وغفلتهم عنه ، كأنهم لم يعلموا به ، كما قال الحريري :

زاد معروفك عندي عظيماً أنه عندك مستورٌ حقيرٌ
 تَنَدَّاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَثِيرٌ
 وقال الآخر :

وَمَنْ تَكَرَّهْتُمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ جَارٌ
 « المحل : الجذب »

(٢) برقوا : خوفوا وهددوا . والحتوف : جمع حتف ، وهو الهلاك . يقول : إذا هددوا أعداءهم حضر هلاكهم ، وإن نطقوا تكلموا الصواب والحكمة .

(٣) الغموس : اليمين التي من كذب فيها غمسته في الإثم . يقول : إذا أرادوا أن يخلفوا يميناً يخافون فيها الإثم عند الحنث فتلك اليمين هي أن يقول حالقهم « خاب سائلي إن فعلت كذا أو لم أفعل كذا » لأن هذه اليمين أعظم شيء عليهم ومن أحسن ما سمع في انقسام قول الأشتري النخعي الشاعر الصحابي ومن أنصار سيدنا علي كرم الله وجهه :

بَقِيْتُ وَفَرَى وَانْحَرَفْتُ عَنِ الْعَلَا
 لَمْ أَشْنُ عَلَى ابْنِ هِنْدٍ غَارَةً
 وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسٍ
 لَمْ تَحُلْ يَوْمًا مِنْ نِهَابِ نَفُوسٍ
 خَيْلاً كَأَمْتَالِ السَّعَالِي شُرْبًا
 تَعْدُو بَيِضَ فِي الْكَرْبَةِ شُوسٍ
 حَتَّى الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ
 لَمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شَمَاعُ شُمُوسٍ

« السعالي : جمع سعاة ، سحرة الجن ، أو القول . والشرب : الضوامر . يصف الحيل بالنشاط والضمور ، والبيض : يريد الفرسان يصفهم بأنهم كرام نقيّة أعراضهم . وفي الكربة : صلة شوس ، وشوس جمع أشوس وهو الشديد الجريء . على القتال . يقول إنهم شجعان في الحرب » .

أَوْ رَكِبُوا الْخَيْلَ غَيْرَ مُسَرَّجَةٍ فَإِنْ أَفْخَاذَهُمْ نَهَا حُزْمٌ^(١)
 أَوْ شَهِدُوا الْحَرْبَ لَا قِيحًا أَخَذُوا مِنْ مُهْجِ الدَّارِعِينَ مَا احْتَكَمُوا^(٢)
 تَشْرِيقُ أَعْرَاضِهِمْ وَأَوْجُوهُمْ كَأَنَّهُمْ فِي نُفُوسِهِمْ شَيْمٌ^(٣)
 لَوْلَاكَ لَمْ أَتْرُكِ الْبَحِيرَةَ وَالْفَوْرُ دَفِيءٌ وَمَاؤُهَا شَيْمٌ^(٤)
 وَالْمَوْجُ مِثْلُ الْفُحُولِ مُزْبِدَةٌ تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا بِهَا قَطْمٌ^(٥)

(١) يقول : إذا ركبوا الخيل عريا لكثرة ما يطرقهم المستغيث فلم يمهلم حتى يسرجوا خيلهم صارت أخذاهم حزما لهم تمنعهم من الوقوع إذا أجروها كما يمنع الحزام السرج أن يقع فيقع الراكب .

(٢) اللاقح : الحرب الشديدة ، شبت بالناقة إذا حملت . والمهج : جمع مهجة دم القلب . والدارع : لابس الدرع . يقول : إذا شهدوا الحرب ونازلوا الأبطال تحكوا في الأرواح فقتلوا من أرادوا .

(٣) الأعراض : جمع عرض ، ما يمدح به الإنسان ويذم . والشيم : الخلائق أى كأن أعراضهم خلائق تشرق في نفوسهم . يصفهم ببقاء الأعراض والوجوه والشيم ، وهذا ينظر إلى قول أبي الطمعمان القيني :

أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيْلِ حَتَّى نَقَطَ الْجَزَعِ نَاقِبُهُ
 وقول الآخر :

فَإِنْ كَانَ خُطْبٌ أَوْ أَلْتْ مَلَمَةٌ كَفَى خَابِطَ الظُّلَمَاءِ فَقَدَ الْمَصَاحِرِ

(٤) يريد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والفور : منخفض بالشام ، بجوار بلد الممدوح ؛ والشيم : البارد . يقول : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وجئت ببلدك الدفء الحار . وقال بعضهم : المراد بالفور : السكان المجاور طبرية ، فيكون المعنى : لولاك لم أترك البحيرة وماؤها بارد وغورها دفيء .

(٥) الموج : جمع موجة . ومن ثم قال : مثل الفحول ؛ ولك أن ترفع ثل وتنصب مزبدة ، على أن مثل خبر ومزبدة حال من الفحول ، ولك أن تعكس فتجعل « مثل » حالا من فاعل مزبدة ومزبدة خبر والضمير من « تهدر بها » للموج ، ومن « فيها » للبحيرة ، وهدر الفعل : إذا هاج وأخرج زبده ، والقطام : شهوة الضراب وهياج الفعل عند ذلك شبه الأمواج في اضطرابها وما يسمع من صوتها بالفحول إذا هاجت واشتت

وَالطَّيْرُ قَوْقَ الْحَبَابِ تَحْسِبُهَا فُرْسَانَ مُبَاتٍ تَخُونُهَا اللَّجْمُ (١)
 كَانَهَا وَالرِّيَّاحُ تَضْرِبُهَا حَيْشًا وَغَى هَازِمٌ وَمُنْهَزِمٌ (٢)
 كَانَهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ حَفٌّ بِهِ مِنْ جِنَانِهَا ظَلَمٌ (٣)
 نَاعِمَةُ الْجِسْمِ لَا عِظَامَ لَهَا لَهَا بَنَاتٌ وَمَا لَهَا رَحِمٌ (٤)

الضراب فرمت بالزبد من أفواهاها؟ ومعنى تندر فيها: تصيح في البحيرة هديرًا مثل هدير الفحول وما بها شهوة الضراب .

(١) الحباب : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وقوله فرسان بلق: أراد فرسان خيل بلق ، والبلق : التي فيها سواد وبياض . جعل الأمواج بلقا لأن زبد الماء أبيض وما ليس بزبد فهو إلى الخضرة . وتخونها اللجم : الضمير للفرسان ، أى تنقطع أعنتها ، فتذهب الخيل حيث شاءت . يريد تصرف الموج على غير مراد الطائر في كل وجه . وقال ابن جني : تخونها اللجم : فهي تكبو : يريد رفرقة الطير على الماء ثم انغماسها فيه . قال الواحدى : وليس هذا بشئ لأن الفرس إذا انقطع لجامه لم يكب ، وليست الرفرقة والانغماس مما ذكر في البيت ، وإنما بناهما على الكبو الذى ذكره .

(٢) كَانَهَا : أى الطير . والوغى : الحرب . شبه الطيور وهى يتبع بعضها بعضاً على وجه الماء تضربها الريح ، بجيشين : هازم ومنهزم فالهازم يتبع للهزوم . ولك أن تقول كَانَهَا - أى الطير والموج ، لأن الريح تضربهما معا فتحتاج الطير على أثر الموج .

(٣) حف به : أحاط به ، قال الواحدى : وكان حقه أن يقول حفه ؛ كما روى في الحديث « حفت الجنة بالمسكاره » والجنان : جمع جنة ، وهى البستان ، شبه ماء البحيرة في صفائه - وقد أحاطت به البساتين في خضرتها الضاربة إلى السواد - بقمر أحاطت به ظلمات ، وخص النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل . قال العكبرى : وشبه شدة الخضرة حولها بالسواد على حد قوله تعالى : « مدهامتان » أى سوداوان ، وقال حف به ولم يقل حفه لأنه ضمنه معنى أحاط فعداه تعديته على حد قوله تعالى « وقد أحسن بي إذ أخرجنى من السجن » أى لطف بي وكقوله تعالى « فليحذر الذين يخافون عن أمره » أى يخرجون عن أمره .

(٤) قال العكبرى : لما وصف البحيرة ألفز فيها فقال لا عظام لها وهى ناعمة الجسم وبناتها السمك : أى أن البحيرة ماء والسمك بناتها فهى أمهن ومالها رحم

يُنْقَرُ عَنْهُمْ بَطْنُهَا أَبَدًا وَمَا تَشْكِي وَلَا يَسِيلُ دَمٌ^(١)
تَفَنَّتِ الطَّيْرُ فِي جَوَانِهَا وَجَادَتِ الرِّوَضَ حَوْلَهَا الدَّيْمُ^(٢)
فَهِيَ كَمَاوِيَةٍ مُطَوَّقَةٍ جُرَّدَ عَنْهَا غِشَاؤُهَا الْأَدَمُ^(٣)
بَشِينَهَا جَزِيئًا عَلَى بَلَدٍ تَشِينُهُ الْأَدْعِيَاءُ وَالْقَزَمُ^(٤)
أَبَا الْحُسَيْنِ اسْتَمِيعْ فَمَذْحُكُمُ فِي الْفِعْلِ قَبْلَ الْكَلَامِ مُنْتَظِمٌ^(٥)
وَقَدْ تَوَالَى الْعَهَادُ مِنْهُ لَكُمْ وَجَادَتِ الْمَطَرَةُ الَّتِي نَسِيمٌ^(٦)
أَعْيَدُكُمْ مِنْ صُرُوفِ دَهْرِكُمْ فَإِنَّهُ فِي الْكِرَامِ مُبْتَلِمْ^(٧)

* * *

- (١) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها نبات كفى عن استخراج ممكها وصيدها منها بالقر، وهو شق البطن.
- (٢) جادت : من الجود - بفتح الجيم - وهو المطر ، والديم : جمع ديمة ، وهي المطر الدائم في سكون.
- (٣) الماوية . المرأة . وجعلها مطوقة لما حولها من سواد البساتين . والأدم : الجلد ، وهو بيان للقشاة . شبه البحيرة - مع ما يحقق بها من البساتين - بالمرأة وقد جردت مما تغلف به من الجلد
- (٤) يشينها : يعيبها . والأدعياء : الذين ينسبون إلى غير آبائهم والقزم : رذال الناس وسفاههم ، يستعمل للواحد وغيره ، يقال : هذا رجل قزم وناس قزم . يقول : إن عيب هذه البحيرة أنها في بلد أهله لثام خساس .
- (٥) يقول : إن فعلكم مدحكم قبل أن ينظم في الشعر : أي أنه لحسنه يثنى عليكم ، ويروى في العقل : يعني أن الناس عقلوا مدحكم قبل أن يتكلموا به .
- (٦) العهد : جمع عهد ، وهو المطر بعد المطر ؛ وقيل أمطار بعضها في أثر بعض : ومنه : أي من المدح : والمطررة التي تسم : هي الوسمي ، وهو مطر الربيع الأول ، فهو الذي يسم الأرض بالنبات . شبه مدائحهم فيهم بالأمطار المتتابعة لأنها تنبت لها أنعامهم عليه وأراد بالتي تسم : هذه القصيدة .
- (٧) يقول : إن الدهر مولع بالكرام يأتي عليهم ويعصف بهم ، ومن ثم أسأل الله أن يعصمكم من نوائبه ، وفي هذا المعنى يقول البحترى :

وقال يمدح المنيف بن العجلي :

فَوَادٍ مَا تُسَلِّيهِ الدَّمَامُ وَعُمَرُ مِثْلُ مَا تَهَبُ اللَّثَامُ^(١)
وَدَهْرٌ نَاسُهُ نَاسٌ صِفَارٌ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ مُجَثُّ ضِخَامُ^(٢)

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ
وَكَيْفَ تَرُومُ لِلشَّرَفِ الْمُتَلَى وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضَّئِيلِ
وَمَا تَنْفَكُ أَحْدَاثُ اللَّيَالِي تَمِيلُ عَلَى النَّبَاهَةِ لِلْخُمُولِ

« النوافل : جمع نافلة ، كل عطية تبرع بها معطيها من صدقة أو عمل خير . والفضول : الإفضال والتفضل »
وأصل المعنى لا شيء تمام :

إِنْ يَنْتَحِيلُ حَدَثَانُ الدَّهْرِ أَنْفُسَكُمْ وَيَسْلَمَ النَّاسُ بَيْنَ الْخَوْضِ وَالْعَطَنِ
فَالْمَاءَ لَيْسَ عَجِيبًا أَنْ أَغْذَبَهُ يَفْنَى وَيَمْتَدُّ عُمَرُ الْآجِنِ الْأَسَنِ^(١)

(١) فؤاد : لك أن تجعله مبتداً ، محذوف الخبر : أى لى فؤاد ؛ أو خبر مبتداً محذوف
أى فؤادى فؤاد . والدَّمَام : الحُر . واللثيم : هو الذى يتلاقى فيه الشح ومهانة النفس
والآباء ، نقيض الكريم . قال ابن فورجه : يعنى أن غرضى بعيد ومرامى متعذر ، إذ
لست كالنَّاس أَرْضَى بِمَا يَرْضُونَ بِهِ وَيَلْهِنُنِي السَّكْر ، ثم قال - المتنبي - : وعمر مثل ما
تهب اللثام ، وهذا تأسف منه . يقول لو كان العمر طويلاً لرجوت أن أدرك أغراضى
بطول العمر ؛ ولكن العمر قصير ومدته قليلة ، فهو كهيئة اللثام يسيرة حقيرة ، فما أخوفنى
أن لا أدرك طلبى بقدر ما أرجوه من العمر . قال الواحدى : وكان هذا من قول أبى
تمام :

وَكُنَّ الْأَنَامِلَ اغْتَصَرَتْهَا بَعْدَ كَدٍّ مِنْ مَاءٍ وَجْهَ الْبَخِيلِ

(٢) يقول : إنهم صغار الأقدار والهمم وإن كانوا ضخام الأبدان ، كما قال حسان
ابن ثابت :

لَا عَيْبَ بِالْقَوْمِ مِنْ طُولِ وَمِنْ قِصَرِ جِسْمِ الْبِغَالِ وَأَحْلَامِ الْمَصَافِيرِ

(١) الآجن : الماء المتغير الطعم واللون ، والأسن : الأسن ، وهو الآجن

وَمَا أَنَا مِنْهُمْ بِالْعَيْشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ^(١)
 أَرَانِبُ غَيْرِ أَنَّهُمْ مُلْكُكَ مُفْتَحَةُ عِيُونِهِمْ نِيَامُ^(٢)
 بِأَجْسَامٍ يَحْرُ الْقَتْلُ فِيهَا وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الطَّعَامُ^(٣)
 وَخَيْلٍ مَا يَحْرُ لَهَا طَعِينُ كَانَ قَنَا فَوَارِسَهَا ثَمَامُ^(٤)

وقال العباس بن مرداس :

فَمَا عِظَمُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِفَخْرِ وَلَكِنْ فَخْرُهُمْ كَرَمٌ وَخَيْرُ

هذا : وقال أهل اللغة : الجنة : شخص الإنسان قاعداً أو نائماً ، وقيل جنة الإنسان شخصه متكناً أو مضطجعاً ، وقيل لا يقال له جنة إلا أن يكون قاعداً أو نائماً ، فأما القائم فلا يقال جنته إنما يقال قننه ، وقيل لا يقال حنة إلا أن يكون على سرج أو رحل معتما . حكاه ابن دريد عن الأخفش ، قال وهذا شيء لم يسمع من غيره .

(١) الرغام : التراب . يقول : لست من هؤلاء الذين ذكرتهم وإن عشت فيما بينهم مثلى في ذلك مثل الذهب الذي معدنه التراب ثم لا يعد بكونه فيه منه . هذا : والمعدن بكسر الدال - مكان كل شيء فيه أصله ومبدؤه ؛ ومنه معدن الذهب والفضة ، سمى كذلك لإنبات الله فيه جوهرهما وإثباته إياه في الأرض حتى عدن - أي ثبت - فيها .
 (٢) المعهود في مثل هذا أن يقال : هم ملوك ، إلا أنهم في طبع الأرانب ، لكنه عكس الكلام مبالغة ، فجعل الأرانب حقيقة لهم والملوك مستعاراً فيهم ؛ قال ابن جني : وهذا عادة له - للمتنبي - يختص بها . يقول هم وإن انفتحت عيونهم نيام من حيث الغفلة كالأرانب تنام مفتحة الأعين ، كما قال :

* وَأَنْتَ إِذَا اسْتَيْقَظْتَ أَيْضًا فَنَامُ *

وكما قال أبو تمام :

أَيْقَظْتَ هَاجِمَهُمْ وَهَلْ يُغْنِيهِمْ سَهْرُ النَّوَاطِرِ وَالْقُلُوبُ نِيَامُ

(٣) بأجسام : أى مع أجسام . ويحر : يشتد - من قولهم حر يومنا يحرق حرارته . والاقتران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو الكفو في الحرب . يقول : إنهم لا يحفلون إلا بالآكل ، ومن ثم يموتون بالنخمة من كثرة الأكل لا في وقائع الحروب .

(٤) خيل : معطوف على أجسام . وخر : سقط . والقنا : الرماح . والثمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص ، وربما حش به وسد به خصاص البيوت ، قال الشاعر يصف ضعيف الثمام :

خَلِيلُكَ أَنْتَ لَا مَنْ قُلْتَ خِلِّي وَإِنْ كَثُرَ التَّجَمُّلُ وَالْكَلَامُ^(١)
وَلَوْ حِيزَ الْحِفَاطُ بِفَيْرٍ عَقْلٍ تَجَنَّبَ عَنْقَ صَيْقَلِهِ الْحَسَامُ^(٢)
وَشِبَهُ الشَّيْءُ مُنْجَذِبٌ إِلَيْهِ وَأَشْبَهْنَا بِدُنْيَانَا الطَّغَامُ^(٣)

ولو أن ما أبقيت مني معلق بمودئيم ما تأود عودها
وقولهم : هو على طرف الثمام : أى أنه ممكن لا محال . يقول : إن طعنهم لا يؤثر في
المطعون لضعفهم ، فكأنهم يطعنون بالثمام .

(١) يقول لا صديق لأحد على الحقيقة إلا نفسه ، وليس من تقول هو خليل خليل
لك وإن كثرت تملته ، ولأن لك قوله . هذا : وكما يطلق الخليل على الصديق ، يقال للفقير
المختل الحال : خليل ، قال زهير :

وإن أناه خليل يوم مسغبة يقول : لا غائب مالى ولا حرم
« مسغبة : مجاعة ؛ وحرم : ممنوع » .

(٢) حيز : مجهول حاز : بمعنى ملك ، والحفاظ : المحافظة على الحقوق ورعى الذمام
والصقيل : الذى يعمل السيوف . والحسام : السيف القاطع يقول : لو كان فى الإمكان
أن يحافظ على الوفاء ورعى الذمام مالا عقل له لكان السيف إذا ضرب به عنق الصقيل
الذى صقله لا يقطعه ، يعنى أنهم لا عقول لهم ، ولذلك ليس لهم حفاظ .

(٣) الطغام : رذال الناس وغرغراؤهم ؛ قال الأزهرى : وصمعت العرب تقول للرجل
الأحمق : طغامة ودغامة ، والجمع : طغام -- كنعامة ونعام -- . وروى ابن السكيت أن
رجلا كان يتردد إلى أبى مهدية الأعرابي ، وأنه سافر ، فلما قدم قال له أبو مهدية : كيف
حال الناس ؟ أو نحو ذلك -- فقال له : وما الحال ؟ فقال أبو مهدية : ياطغامة لقد أحنيتنى
فى المسألة ، وأنت لا تدري ما الحال : ولزمت ذلك الرجل الطغامة ، فقال فيه بعض
النحويين :

مَنْ كَانَ يُنْجِهُ الطَّغَامَةَ كُلَّهَا فَعَلَيْهِ مَيْمُونًا أَبَا الضَّحَّاكِ
رَجُلًا تَجَمَّعَتِ الطَّغَامَةُ كُلُّهَا فِيهِ وَحَالَفَهَا : بَرَّاكُ بَرَّاكُ
« قال الجوهري : يقال فى الحرب براك براك -- كقطام -- أى ابركوا »

يقول : إن الشيء يميل إلى شبهه ، والدنيا خسيصة . فذلك ألف الحساس ، لأنهم
أشبهها فى اللؤم والخسة ، والشكل إلى الشكل أميل .

وَلَوْ لَمْ يَنْقَلْ إِلَّا ذُو مَحَلٍّ تَعَالَى الْجَيْشُ وَانْخَطَ الْقَتَامُ^(١)
 وَلَوْ لَمْ يَرْعَ إِلَّا مُسْتَحِقُّ رِثَتِهِ أَسَامُهُ^(٢) الْمَسَامُ^(٣)
 وَمَنْ خَبَرَ الْغَوَانِي فَالْغَوَانِي سَيَلَا فِي بَوَاطِنِهِ ظِلَامُ^(٤)
 إِذَا كَانَ الشَّبَابُ الشُّكْرَ وَالشَّيْبُ هَمًّا فَالْحَيَاةُ هِيَ الْحِمَامُ^(٥)
 وَمَا كُلُّ بِمَمْدُورٍ يُبْخَلُّ وَلَا كُلُّ عَلَى مَحَلٍّ يُبْلَامُ^(٥)

(١) ذو محل : أى ذو منزلة رفيعة . والقتام . القبار . يقول : إن علومهم فى الدنيا لا يدل على علمهم واستحقاقهم ، ولو كان كذلك لما ارتفع القبار فوق الجيوش .
 (٢) رع : أى يكون راعيا ، وسامت الماشية . إذا رعت وهى سائمة ، وأسامها صاحبها . ويريد بالمسام ههنا : الرعية . والضمير فى « أسامهم » لقوله ملوك-فى أوائل القصيدة - يقول : لو كانت الإمارة بالاستحقاق : لوجب أن يكون أولئك الملوك رعية ، ورعيته ملوكا يسوسونهم ، لأنهم أحق منهم بالملك وقال ابن فورجه : المسام المال المرسل فى مراعيه . يقول : هؤلاء شر من البهائم ، فلو كانت الولاية بالاستحقاق لكان الراعى لهم البهائم ، لأنها أشرف منهم وأعقل . وقال ابن جنى : السيم الذى يدبر أمور الناس محتاج إلى من يدره وهو مهمل بلا ناظر فى أمره ، فلو لم يل الأمر إلا من يستحقه لحلا الناس من خليفة بلى أمرهم لأنه لا يستحق أن يلى عليهم .
 (٣) الغوانى : جمع غانية ؛ وهى التى غنيت بحسنها عن التبعمل . يقول : من جرب الغوانى فالغوانى ضياء فى الظاهر ظلام فى الباطن . يريد أنهم يتبعن من يصبوا إليهن ويعطى قلبه بجهن .

(٤) الحمام : للوث . يقول : إذا كان الإنسان فى شببته كالسكران لهوا وغفلة ، وفى المشيب غارقا فى بحر من المم لضعفه واهتمامه لمسا فأت من عمره - فإن حياته هى للوث على الحقيقة : أى أن حاله وحال الميت سيات . يريد أن الحياة فى الدنيا منصفة مكدره ؛ فالإنسا لدى المشيب يفكر فيما فأت من عمره وهو فى غفلة ؛ أو تقول : إذا كان الإنسان فى شببته غائبا فى سكر من اللهو والصبا ؛ وعند مشيبه غائبا فى بحر من المم حتى لا يرمى فى عمره شيئا - فحياته أشبه بالمات .

(٥) قال الواحدى : يقول : ليس كل أحد يعذر إذا بخل ، لأن الواحد الغنى لا عذر له فى البخل والمنع ، وليس كل أحد يلام على البخل ؛ فإن العسر المحتاج إلى ما فى يده لا يلام فى بخله ، ووجه آخر : وهو : أن الذى لا يعذر فى بخله من ولده الكرام ؛
 (١٣ - التنبى ، ٤)

وَلَمْ أَرِ مِثْلَ حَيْرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامٌ^(١)
 بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتَ رَأَيْتَ فِيهَا فَلَيْسَ يَفْوَتْهَا إِلَّا الْكَرَامُ^(٢)
 قَهْلًا كَانَ نَقْصُ الْأَهْلِ فِيهَا وَكَانَ لِأَهْلِهَا مِنْهَا الْقَامُ^(٣)
 بِهَا الْجَبَلَانِ مِنْ صَخْرٍ وَفَخْرٍ أَنَا : ذَا الْمَغِيثُ وَذَا الْكَامُ^(٤)
 وَلَيْسَتْ مِنْ مَوَاطِنِهِ وَلَكِنْ يَمُرُّ بِهَا كَمَا مَرَّ الْقَامُ^(٥)

والذي لا يلام على بخله من كان آباؤه لثامًا بخلاء ؛ لأنه لم يتعلم غير البخل ، ولم ير في آبائه الكرم والجود ، فيكون هذا من قول أبي تمام :

إِكْلٌ مِنْ بَنَى حَوَاءَ عُدْرٌ وَلَا عُذْرٌ لِطَائِيٍّ لَتِيمٍ
 وقال ابن جني : هو من قول أبي نواس :

كَفَى حَزَنًا أَنْ الْجَوَادُ مُقْتَدِرٌ عَلَيْهِ وَلَا مَعْرُوفٌ عِنْدَ بَخِيلٍ

(١) مقام : مصدر ميمي ، بمعنى إقامة . يقول : لم أر مثل حيراني في سوء الجوار وقلة المراعاة ولا مثلي في مصابرتهم مع فرط جفوتهم ، يشكو حيرانه ويلوم نفسه على الإقامة بينهم . وقوله لثلى : خبر مقدم عن مقام ،
 والجملة : مفعول ثان لقوله « لم أر » ولك أن تقول إن مراده : أثلثي ؟ على الاستفهام التعجبي .

(٢) يقول : كل ما تشتهى وتطلب تجده في هذه الأرض إلا الكرام فإنهم غير موجودين فيها .

(٣) فيها : خبر « كان » ؛ ومنها : حال مقدمة عن « التمام » . يقول هلا كان نقص أهل الأرض في الأرض ، وتمام الأرض — أى كمالها — في أهلها ؟ يعنى أن هذه الأرض كاملة في أحوالها ، وأهلها ناقصون في أخلاقهم ، فهو يتمنى أن يكون كمالها في أهلها ونقصانهم فيها لها ، إذ أن كمال الأرض مع نقص قطانها ليس يجدى شيئاً .

(٤) أنا : أشرفاً وطالاً . والمغيث : هو الممدوح . واللكام : جبل بالشام ، يقال له جبل الأبدال . يقول : بها جبلان أحدهما من صخر — وهو جبل اللكام — والثاني من غر — وهو الممدوح — وقدم الصخر على الفخر صنعة وحذاقة . لما استعار للفخر جبلاً عطفه على الجبل الحقيقي .

(٥) التمام : السحاب . وإنما قال هذا لأنه ذم أهل هذه الأرض فهو يقول :

سَقَى اللَّهُ ابْنَ مُنْجِبَةٍ سَقَانِي بِدَرٍّ مَا لِإِصْبَعِهِ فِطَامٌ^(١)
وَمَنْ إِحْدَى فَوَائِدِهِ الْعَطَايَا وَمَنْ إِحْدَى عَطَايَاهُ الدَّوَامُ^(٢)
فَقَدْ خَفِيَ الزَّمَانُ بِهِ عَلَيْنَا كَسَلِكِ الدَّرِّ يُخْفِيهِ النَّظَامُ^(٣)
تَلَذُّ لَهُ الْمُرُوءَةُ وَهِيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعْشَقُ يَلْذُّ لَهُ الْقَرَامُ^(٤)

ليست هذه البلدة موطن المدوح ، ولكنه يمر بها أحيانا مرور السحاب فتصيب من نفعه ، كما قال أبو تمام :

إِنْ حَنَّ نَجْدٌ وَأَهْلُوهُ إِلَيْكَ فَقَدْ مَرَّرْتَ فِيهِمْ مُرُورَ الْعَارِضِ الْهَطِلِ

(١) يقولون : سقى الله فلانا ، يريدون الدعاء له بالحصب والنماء ، والمنجية : التي تلد النجباء ، وابنها : هو المدوح ، يريد أنه نجيب ، والدري : اللبن ، والمراد به عطاياه ؛ والفطام : انفصال الولد عن ثدي أمه . يريد : أنه ليس يقطع عن بره .

(٢) من : عطف على ابن منجية . والدوام : يروى الدمام ، أى العهد . يقول : إن فوائد المدوح لا تقتصر على العطايا ، فإن في التقرب منه فوائد أخرى كالشرف وعزة أجنب وما إليها ، وعطاياه لا تنحصر في الأموال ، فإن منها العهد والحفاظ والوفاء يريد أنه لا يعامله معاملة الشعراء الذين يطلبون الجوائز . ولكن يعامله معاملة خلصائه

(٣) السلك : الحيط الذى ينظم به العقد ؛ والنظام : مصدر نظم . قال الواحدى : يعنى أنه غطى بمحاسنه مساوى الدهر ، وتجمل الزمان به تجمل السلك إذا نظم فيه الدر ومن روى « بها » : عاد الضمير إلى العطايا ، والمعنى : لبس الزمان من عطاياه ما لبس السلك من الدر وقال ابن القطاع : هذا البيت على القلب . يقول : قد خفينا بأفعاله عن حوادث الزمان ، فلا يرانا ولا نراه ، ويجوز أن يكون المعنى . استخفى الزمان عنا فلم نر أذاه ولا حوادثه واستتر عنا خوفا من هذا المدوح . وقال آخرون : إن مآثر المدوح قد كثرت وتواصلت على ممر الساعات ، كما يتواصل الدر في السلك ، فامتلا الزمان من فضائله ، وصارت لا تمر لحظة إلا وله فيها أثر بأس أو كرم ، وحينئذ لم نعد نرى إلا أفعاله وآثاره حتى صارت كأنها هي الزمان ، وخفى الزمان الذى هي منتظمة فيه كما يخفى السلك وراء الدر .

(١) المرودة : كمال الرجولية ؛ والمراد بالفطام هنا : العذاب اللازم . قال أهل اللغة الفطام اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء والحب والعشق ومالا لا يستطاع أن يتفصى منه . قال الزجاج : هو أشد العذاب في اللغة . قال الله عز وجل « إن عذابها

تَمَلَّقَهَا هَوَى قَيْسٍ لِلَيْلَى وَوَاصَلَهَا فَلَيْسَ بِهِ سَقَامٌ^(١)
يَرُوعُ رَكَاتَةً وَيَذُوبُ ظَرْفًا فَمَا نَذَرِي أَشِيخٌ أَمْ غُلَامٌ^(٢)
وَتَمَلِّكُهُ الْمَسَائِلُ فِي نَدَاهُ وَأَمَّا فِي الْجِدَالِ فَلَا يَرَامُ^(٣)
وَقَبِضُ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ وَقَبِضُ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ ذَامٌ^(٤)
أَقَامَتْ فِي الرَّقَابِ لَهُ أَيْادٍ هِيَ الْأَطْوَاقُ وَالنَّاسُ الْحَمَامُ^(٥)

كان غراما . يقول : الروءة تؤذى صاحبها بما فيها من التكليف ، وهى مع هذا تملذه كالمشوق لتبذل مع ما فيه من النصب والعذاب ، كما قال المتنبي :

والمشوق كالمشوق يعذبُ قربه للمبتلى وينال من حوْبائه

(١) تملقها ، أى تملق الروءة : أى هوىها ؛ وهوى : مفعول مطلق . يقول : عشق الروءة كما عشق قيس بن الملوح الجنون لىلى العامرية ، غير أنه واصل الروءة فلم يورثه حبها سقما كما أورث عشق لىلى قيسا الجنون حين لم يجد إلى وصلها سبيلا .

(٢) يروع : يزعزع ويخيف : والركاة : الرزاة والوقار ؛ والظرف : خفة الروح وذكاء القلب . يقول : إنه قد جمع بين وقار الشيوخ وظرف الفتيان . هذا : وشيخ : خبر عن محذوف : أى أشيخ هو ؟ والجملة فى محل رفع سادة مسد معمولى ندرى ؛ ويروى : فما يدري .

(٣) المسائل : المطالب ؛ والندى : الجود ؛ والجدال : معروف ، يصفه بالجود وقوة العلم والفهم . يقول : إنه يتقاد لسؤال من سأله : أى أن المسائل إذا وردت عليه من جهة السؤال تملكته وانقاد لها حتى لا يستطيع رد مسألة منها بالحجة ، أما المسائل التى ترد عليه فى الجدل فإنه لا يطاق فيها .

(٤) النوال : العطاء ؛ والذام : المذمة والعيب . يقول : إن قبول عطائه شرف وعز لا أخذه ، أما قبول عطاء غيره من اللثام فهو عار . وهذا كقول بعضهم

عطاؤك زين لأمرىء إن أصبته بخير وما كلُّ العطاء زين
وليسَ بعار لامرئ بَذْلُ وجهه إليك كما بفضُّ السؤال بشين
وكقول البحتري :

وَيُعْجِبُنِي فَقْرِي إِلَيْكَ وَلَمْ يَكُنْ لِيُعْجِبْنِي - لَوْلَا مَحَبَّتُكَ - الْفَقْرُ

(٥) الأيادى : النعم ، والحمام عند العرب : اسم جامع لذوات الأطواق من الطير

إِذَا عُدَّ الْكِرَامُ فَتِلْكَ عَجَلٌ كَمَا الْأَنْوَاءُ حِينَ تُمَدُّ عَامٌ^(١)
تَقَى جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذُرَاهُمْ إِذَا بِشِفَارِهَا حَمَى اللَّطَامُ^(٢)

كالقمارى والفواخت وساق حر . يقول : إن نعمه وأياديه قد أحاطت برقاب الناس ولازمتها كالأطواق لأعناق الحمام ، وهذا كما قال السرى الرفاء :

وَطَوَّقَتْ قَوْمًا فِي الرِّقَابِ صَنَائِمًا كَأَنَّهُمْ مِنْهَا الْحَمَامُ الْمَطَوَّقُ
وقبلهما يقول أبو تمام :

أُبْقَيْنَ فِي الْأَعْنَاقِ فَلَكَ جَوْهَرًا أَبْقَى مِنَ الْأَطْوَاقِ فِي الْأَعْنَاقِ

(١) عجل : قبيلة الممدوح . والأنواء : جمع نوء ، وهو سقوط نجم من منازل القمر في المغرب مع الفجر وطلوع رقبه من الشرق . يقول : إذا عد الكرام لم يتجاوز العد هذه القبيلة ، كما أن الأنواء من سقوط أولها إلى سقوط آخرها هي العام ، فكذلك عجل هم الكرام : يعنى من أراد أن يعد الكرام في الدنيا فليقل هم بنو عجل فإنهم يشملون جميع الكرام لبطلان من عدام ، كما أن الأنواء بطلوعها وسقوطها تشتمل جميع العام . ولك أن تقول لكل شهر من شهور العام نوء ، فإذا عدت تلك الأنواء فهي عام تام . والمعنى أن الكرم مقصور عليهم لا يتجاوزهم .

(٢) الذرى - بفتح الذال - كل ما استترت به ، تقول : أنا في ذرى فلان ، أى في كنفه وستره . والشفار : جمع شفرة - وهى حد النصل . والضمير في « شفارها » : للسيوف ، وإن لم يجر لها ذكر ، لدلالة الحال ، واللطام : المصادمة بالسيوف . يقول : إنهم يتلقون السيوف بوجوههم ليدفعوا عن استدرى بهم من الحرم والوفود ، وهو من قول الحماسى « الجريش بن هلال القريعى » :

نُعْرَضُ لِلْسَيْفِ إِذَا التَّقِينَا خَدُودًا لَا تُعْرَضُ لِلطَّامِ
وروى :

* تَقَى جِبَاهَتُهُمْ مَا فِي ذُرَاهُمْ *

فالذرى : جمع ذروة ، وهى أعلى كل شئ . والمراد بما في ذراهم : السيوف لأنها تقلد في أعلى البدن . يقول : إن سيوفهم تحمى وجوههم إذا اشتدت الملاحظة بشفار السيوف

وَلَوْ يَمْتَنُّهُمْ فِي الْخَشْرِ تَجْدُو لَاغْطَوْكَ الَّذِي صَلَّوْا وَصَامُوا^(١)
فَإِنْ حَلَمُوا فَإِنَّ الْخَيْلَ فِيهِمْ خِفَافٌ وَالرَّمَاحُ بِهَا عُرَامٌ^(٢)
وَعِنْدَهُمُ الْجِفَانُ مُكَلَّلَاتٍ وَشَرَرُ الطَّعْنِ وَالضَّرْبُ الْقَوَامُ^(٣)

(١) بمصنوعهم : قصدتهم . وتجدو : تطلب جدوام . يقول : لجودهم وكرمهم لا يردون سائلا حق لو قصدهم سائل يوم القيامة لا أعطوه سلاتهم وصياهم .
وفي هذا يقول أبو تمام :

وَلَوْ قَصُرَتْ أَمْوَالُهُ عَنْ سَمَاحِهِ لِقَاسَمَ مَنْ يَرْجُوهُ شَطَرَ حَيَاتِهِ
وَلَوْ لَمْ يَمِزْ فِي قِسْمَةِ الْعُمَرِ حِيلَةً وَجَازَ لَهُ الْإِعْطَاءُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
لَجَادَ بِهَا مِنْ غَيْرِ كُفْرِ بِرَبِّهِ وَوَأَسَاهُمْ مِنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ
ويقول أبو التتاهية :

فَمَنْ لِي بِهَذَا ؟ لَيْتَ أَنِّي أَصْبَيْتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَالِي مِنَ الْحَسَنَاتِ
وَأَخَذَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ :

وَلَوْ جَاءَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَائِلٌ تَعَرَّيَ لَهُ عَنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ

(٢) العرام : الشراسة ؛ وبها خبر : مقدم عن عرام . يقول : إن كانوا حُلُمَاءَ ذَوِي
وَقَارَ فَإِنَّ خَيْلَهُمْ خِفَافٌ فِي الْعَدُوِّ - الْجَرَى - وَرَمَاحُهُمْ شَرَسَةٌ عَارِمَةٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ . هذا
والحلم . الأناة والعقل ، يقال منه حلم - يحلم حلما فهو حلِيمٌ ؛ أما الحلم - بمعنى الرؤيا في
المنام - ففعله حلم - بالفتح - يقال حلم واحتمل إذا رآه في النوم ، أما الحلم - بالتحريك -
وهو أن يفسد الجلد في العمل ويقع فيه دود فيتنقب ففعله حلم - بالكسر - يقال حلم
الأديم ؛ قال الوليد بن عقبة ابن أبي عقبة من أبيات يحض فيها معاوية على قتال علي عليه
السلام ، ويقول له أنت تسعى في صلاح أمر قد تم فسادك ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم
الحلم - الذي وقعت فيه الحلة فتقبتته وأفسدته - فلا ينتفع به :

فَإِنَّكَ وَالْكِتَابَ إِلَى عَلِيٍّ كَذَابِفَةٍ وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
وقد تقدمت بقية الأبيات .

(٣) الجفان : القصاع ، جمع جفنة ؛ ومكَلَّلَاتٍ : حال : أي مغطاة باللحم فهو عليها
كالا كاليل ، كما قال زياد بن منقذ :

نَصَرْتَهُمْ بِأَعْيُنِنَا حَيَّاهُ وَتَنْبُو عَنْ وُجُوهِهِ السَّهَامُ^(١)
 قَبِيلٌ يَحْمِلُونَ مِنَ الْمَعَالِي كَمَا حَمَلَتْ مِنَ الْجَسَدِ الْعِظَامُ^(٢)
 قَبِيلٌ أَنْتَ أَنْتَ وَأَنْتَ مِنْهُمْ وَجَدُّكَ بِشْرُ الْمَلِكِ الْمُعَامُ^(٣)
 لِنِ مَالٍ تُمَزَّقُهُ الْعَطَايَا وَيَشْرُكَ فِي رَغَائِبِهِ الْأَنَامُ^(٤)
 وَلَا نَدْعُوكَ صَاحِبَهُ فَتَرْضَى لِأَنَّ بِصُحْبَتِهِ يَجِبُ الذَّمَامُ^(٥)

* ترى الجفان من الشيزى مكحلة^(١) *

والشرر : ما كان عن يمين وشمال ، والتوأم : جمع التوأم - طى غير قياس - أى مزدوج ؛ والقياس : توأم . يقول : عندهم الجفان مملوءة وعندهم الضرب التدارك التوالى ؛
 يعنى : أنهم مطاعين مطاعين بلغوا أقصى غايات الجود والشجاعة .

(١) صرعه : طرحه ؛ والتشديد : للتكثير ، ونبا السهم عن الهدف : لم يعمل فيه .
 يقول : إنهم رفاق الوجوه لفرط الحياء ، فإذا نظر إليهم الناظر صرعهم - أى قدر عليهم
 - إذ يفلهم الحياء احتشاما وكرما . أما إذا نازلوا العدو فى الحرب فإنهم شجعان يردون
 السهام بأوجهم ، وفيه نظر إلى قول العطوى^(٢)

أَهَابُ الرِّيمِ أَرْمُقُهُ وَأَضْرِبُ هَامَةَ الْأَسَدِ
 وَيَجْرَحُنِي بِمُقْلَتِهِ وَيَنْبُو السِّيفُ عَنْ جَسَدِي

(٢) قبيل خبر عن محذوف يعود إلى المدحوحين : والقبيل : الجماعة . يقول : إن
 المعالى مشتملة عليهم احتمال اللحم والجلد على العظام ، يعنى أنهم للمعالى كالعظام للأجسام ،
 (٣) قال الواحدى : أراد قبيل أنت منهم وأنت أنت فى علو قدرك ، يعنى إذا كنت
 أنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك غفرا ، وقد أخرج حرف العطف فى قوله « وأنت »
 وهو قبيح جدا ، وهذا كما تقول قامت زيد وهند ، وأنت تريد قامت هند وزيد .

(٤ و ٥) الرغائب : جمع رغبة ، وهى كل ما كان مرغوبا فيه ؛ والأنام : ما طى
 وجه الأرض من الخلق ، وقد يراد به الناس بخصوصهم ، وقوله : لأن ، فاسم « أن »

(١) الشيزى : خشب أسود تتخذ منه الجفان ، قيل إنه الآبنوس ؛ وقيل
 شجر الجوز .

(٢) محمد بن عبد الرحمن بن أبى عطية شاعر من شعراء الدولة العباسية .

تَحَايِدُهُ كَأَنَّكَ سَامِرِيٌّ تَصَافِحُهُ يَدٌ فِيهَا جُذَامٌ^(١)
إِذَا مَا الْعَالَمُونَ عَرَوْكَ قَالُوا أَفِئْدَانَا أَيُّهَا الْحَبِيزُ الْإِمَامُ^(٢)

محذوف ضمير الشأن . والذمام : الحرمة والعهد . يقول : متمعبا ، لمن هذا المال الذي نراه عندك تفرقه عطايك وبشترك فيه الناس حتى كأن ليس له مالك مخصوص ؟ ثم قال في البيت الثاني : إذا دعوناك صاحب هذا المال لا ترضى بذلك لأنك متى كنت صاحبه وجبا عليك أن تصونه على عادتك وتحفظ له حرمة الأصحاب وعبرة الشراح : لمن هذا المال الذي نراه عندك وعطايك تفرقه والخلق كلهم شركاء في رغبته، وأنت لا ترضى أن تقول هولك وتدعوك صاحبه : لأن الصحة توجب ذمامه ، وأنت لا ترضى له ذماما : أي فلن هذا المسألة ؟ قال الواحدى : هذا إذا كان البيتان مقترنين ويجوز أن ينفرد كل منهما بالمعنى ، فيكون معنى البيت الأول : لمن مال هذه حاله ؟ يعنى لا مال لأحد بهذه الصفة إلا لك ، وأراد لمن مال هذه حاله غير حالك ، خذف دلالة المعنى ، ثم ينفرد معنى البيت الثانى بما ذكرناه ، ويرى فبرى - بالياء - أى إذا دعوناك صاحبه رضى المال بذلك رجاء أن يبقى معك لأجل الصحة .

(١) حاد عن الشيء : مال عنه ، وحايده محايده : جانبه . والسامرى : واحد السرامرة ، وهم طائفة من اليهود عديدة التنطس ، إليهم نسب السامرى الذى عبد المجل القدى سمع له خوار ، قال الزجاج . وهم إلى هذه الغاية بالشام . والجذام ، داء معروف . يقول أنت تحيد عن هذا المال وتتجنبه وتنفر منه كما ينفر السامرى من مصافحة رجل فى يده جذام ، فانت تأمر بتوزيعه ولا تمسه . هذا . وقد قال الواحدى ، كان حقه أن . يقول كأنك السامرى معرفا ، لأن هذا نسب له ليس باسم علم ، وهو فى القرآن معروف بأل ، إلا أن يكون أراد واحدا من قبيلته . وقال العكبرى وهذا الذى قال هو الذى أراد أبو الطيب أى كأنك رجل سامرى كما تقول هو محمدى وداودى وهارونى فتنسبه إلى نبي من الأنبياء المذكورين عليهم السلام ، كقولك حنفى وشافعى .

(٢) عراء واعتراه : إذا أناه وقصده طالبا معرفته ، ومنه قول النابغة الذبياني .

أَتَيْتُكَ عَارِيَا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تَظُنُّ بِي الظُّنُونَا

والحبر - بالكسر ، ويفتح : الرجل العالم ، قال الجوهري : الحبر والحبر واحد أحبان اليهود ، وبالكسر أفصح ، وقال الفراء : إنما هو حبر بالكسر وهو أفصح ، لأنه يجمع على أفعال دون فعل ، ويقال ذلك للعالم ، كأنه من تحبير الكلام : أى تحسينه . يقول : إن العلماء يستفيدون منه ويتعلمون .

إِذَا مَا الْمُفْلِمُونَ رَأَوْكَ قَالُوا بِهَذَا يُفْلِمُ الْجَيْشُ اللَّهُامُ^(١)
لَقَدْ حَسُنَتْ بِكَ الْأَوْقَاتُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدَّهْرِ ابْتِسَامُ^(٢)
وَأَعْطَيْتَ الَّذِي لَمْ يُفْطَ خَلْقٌ عَلَيْكَ صَلَاةَ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ

(١) العلم - بكسر اللام - الذى يشهر نفسه فى الحرب بعلامة يعرف بها أنه بطل ، يقال : أعلم الرجل نفسه ؛ ومن روى بفتح اللام فهم الذين أعلموا بعلامة . واللهام : الكثير الذى يلتهم كل ما يستقبله . يقول : إذا رآك الأبطال المعلومون قالوا هذا علامة الجيش العظيم ، لأنه ليس فى الجيش أشهر منه ، فهو دليل على قوة الجيش الذى يكون فيه أى كما أن علامة الفارس تكون دليلاً على شجاعته تكون أنت دليلاً على قوة الجيش الذى تكون فيه ؛ قال الواحدى : يجوز أن يكون يعلم - بفتح اللام - من العلم : أى بهذا يعرف الجيش أى أنه صاحب الجيش وفارس العسكر ، ومن روى يعلم - بكسر اللام - فعناه أن الجيش يعلمون أنفسهم بهذا الرجل ليعرف أنهم شجعان إذا كان هو بين ظهرانيهم .

(٢) يقول : طابت بك أيام الدهر وبدأت بشاشتها حتى كأن الدهر مبتسم بك ، يعنى أنها كانت متجهمة غابسة فزال بك عبوسها ، فكأنك ابتسام لها وطلاقة ، كما قال أبو تمام :

وَبَضَحَكَ الدَّهْرُ مِنْهُمْ عَنْ غَطَارِفِهِ كَانَ أَيَّامَهُمْ مِنْ حُسْنِهَا جُمُعُ

وقال يمدح عمر بن سليمان الشرابي وهو يومئذ

يقولى الفداء بين العرب والروم :

نَرَى عِظْمًا بِالْبَيْنِ وَالصَّدُّ أَعْظَمُ وَتَهُمُ الْوَاشِينَ وَالْدَّمْعُ مِنْهُمْ ^(١)
وَمَنْ لُبُّهُ مَعَ غَيْرِهِ كَيْفَ حَالُهُ وَمَنْ سِرُّهُ فِي جَفْنِهِ كَيْفَ بَيْكُم ^(٢)
وَلَمَّا التَّقِينَا وَالنَّوَى وَرَقِينَا غَفُولًا نَعْنَا ظَلَّتْ أُنْبُكِي وَتَبْسِيم ^(٣)
فَلَمْ أَرْ بَدْرًا ضَاحِكًا قَبْلَ وَجْهِهَا وَلَمْ تَرَ قَبْلِي مَيْتًا يَتَسَكَّم ^(٤)
ظَلُومٌ كَمَتْنِيهَا لِيَصَبَّ كَغَضْرُهَا ضَعِيفُ الْقَوَى مِنْ قِعْلِهَا يَتَعَلَّم ^(٥)

(١) البين : البعد والفراق . والواشى : التمام . يقول : نستعظم البين والصدود أعظم منه ، لأن البين يقرب بقطع المسافة ومسافة الصدود لا يمكن تقريبها ، وتهم الواشة بإذاعة أسرارنا والدمع واحد منهم لأنه لا يرقأ ويظهر ما في القاب من الوجد ، فهو أولى بأن تنهم بإذاعة أسرارنا . وروى ابن الشعري .

* نَرَى عِظْمًا بِالصَّدِّ وَالْبَيْنُ أَعْظَمُ *

يعنى أن الحبيب إذا صد فإن العين تنظره ، وإذا فارق ، حال البعد دون النظر إليه وهو معنى حسن .

(٢) اللب : العقل ، ويكنم : يروى بالعلوم والمجهول ، وأراد بكون سره في جفنه أنه يظهر مع ظهور الدمع فكأنه في الجفن . يقول : إذا كان عقلك مع غيرك كيف يكون حالك ؟ وإذا كان سرك في جفحك كيف تقدر على كتمانك ؟ يريد أن قلبه أسير غيره ، وهو دائم السكاء ، فالدمع يظهر سره ويفتضحه .

(٣) النوى : البعد ؛ والواو فيه : واو الحال . وظلت : ظلمت . يقول : ولما التقينا ، وكان البعد والرقب في غفلة عنا ، ظلمت أنبكي من الوجد ، وهى أضحك تعجبا من حالى ودلالا على .

(٤) اللتان : الجانبان الأسفلان من الظهر ؛ والخصر : ما فوقهما . وتظلم الرجل : اشتكى الظلم ، جعل نفسه في الدقة تخلصها ، وجعل ظمها إياه بشكليه مالا يطبق حمله كظلم متنها لخصرها ، ثم وصف نفسه بضعف القوى . هذا : وقد جرت عادة الشعراء — كما قال الواحدى — أن يصفوا الردف : بالعظم ، والخصر : بالهيف ، ولم يسمع ذكر سمن اللتان وكثرة لحمه ، وإنما يصفون النصف الأعلى بالحفة والرشاقة ، وهو يقول

بَفَرَعٍ يُعِيدُ اللَّيْلَ وَالصُّبْحُ نَيْرٌ وَوَجْهٌ يُعِيدُ الصُّبْحَ وَاللَّيْلَ مُظْلَمٌ^(٣)
فَلَوْ كَانَ قَلْبِي دَارَهَا كَانَ خَالِيًا
وَلَكِنْ جَيْشَ الشَّوْقِ فِيهِ عَرَمَرَمٌ^(١)

منها ممتلئ يظلم خصرها بتكليفه حمله ، والصحيح في هذا المعنى قول خالد بن يزيد الكاتب .

صَبَا كَتِيبَا يَنْشَكِي الْهَوَى كَمَا اشْتَكَى خَصْرُكَ مِنْ رَدْفِكَ
(١) بفرع : متعلق بمحذوف تقديره تبدو ، أو نسي ، أو تقبل بفرع والفرع : شعر الرأس . يقول : تريك للنهار ليلاً بشعرها ، والليل نهاراً بوجهها وفيه نظر إلى قول بكر بن النطاح :

بَيْنَاهُ تَسْحَبُ مِنْ قِيَامِ شَمَرِهَا وَتَغِيبُ فِيهِ وَهَوَ جَنْلُ اسْحَمُ
فَكَانَتْهَا فِيهِ نَهَارٌ مُشْرِقٌ وَكَانَتْهُ لَيْلٌ عَلَيْهَا مُظْلَمٌ
« جَنْل : كَشِيف . وَاسْحَم : أَسْوَد » وقول أبي تمام :

بَيْنَاهُ تَبْدُو فِي الظَّلَامِ فَيَكْتَسِي نُورًا وَتَسْرُبُ فِي النَّهَارِ فَيُظْلَمُ
« تسرب : تتوارى » . وقوله أيضاً .

لَحَقْنَا بِأَخْرَاهُمْ وَقَدْ حَوَّمِ الْهَوَى قُلُوبًا عَهْدَنَا طَيْرَهَا وَهَى وَقَعُ
فَرُدَّتْ عَلَيْنَا الشَّمْسُ وَاللَّيْلُ رَاغِمٌ بِشَمْسٍ لَمْ مِنْ جَانِبِ الْخِذْرِ تَطْلُعُ
نَضَاضُوهَا صَبْغَ الدُّجْنَةِ وَانطَوَى لِيَهْجَتْهَا ثَوْبُ الظَّلَامِ الْجَزْعُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَى الْأَخْلَامُ نَأْمُ أَلَمَتْ بِنَا أَمْ كَانَ فِي الرِّكْبِ يَوْشَعُ

« لحقنا بأخراهم الخ : أى قصدنا للتأخيرين منهم ، وقد جعل الهوى قلوبنا نحوم حولهم كحوم الطائر على الماء بعد أن كانت ساكنة بقرهم هادئة لعدم فراقهم . وقوله ثوب الظلام المجزع : جملة مجزعا لأجل النجوم ، والتجزيع في الشيء : أن يكون فيه لوان مختلفان »

(٢) العرمرم : العظيم الكثير . يقول : إنها رحلت وترك دارها خالية ولكن قلبي ليس خاليا مثلها ؛ إذ أنه ملآن بالشوق إليها ، وفيه منه جيش عظيم ، فبها ، لارم له لا يفارقه .

أَنَافِ بِهَا مَا بِالْفُؤَادِ مِنَ الصَّلَى وَرَسْمٌ كَجَسْمِي نَاحِلٌ مُتَهَدِّمٌ^(١)
 بَلَلْتُ بِهَا رُدْنِي وَالْقَيْمُ مُسْعِدِي وَعَبْرَتُهُ صِرْفٌ وَفِي عِبْرَتِي دَمٌ^(٢)
 وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مَا أَنَهَلَ فِي أَخْلَدٍ مِنْ دَمِي
 لَمَا كَانَ مُحْمَرًّا بِسِيلٍ قَاسِمٍ^(٣)

(١) أناف : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى فيها : أو هناك أناف . والآنافى : جمع أنفية ، وهى الحجر ينصب تحت القدر . وتقدير أنفية أفعولة من نثيت قال الأزهري : الأنفية حجر مثل رأس الإنسان وجمعها أنافى — بالتشديد — قال : ويجوز التخفيف . والصلى : الاصطلاء بالنار ، وإذا فتحت الصاد قصرت ، وإذا كسرت مددت . والرسم : ما بقى من آثار الديار . يقول : فى ديارها أناف بها من الصلاء ما بفؤادى ، يعنى أن النار حرقها وأتت فيها كما أحرقت الشوق والحب قلبى ، وكأن رسم دارها بال متهدم كذلك جسمى ، لفراقها .

(٢) ردنا القميص : كاه ، والغيم : السحاب ؛ وأسعده : أعانه ؛ والعبرة الدمع ؛ أو تحلب الدمع ، وعبرت عينه واستعبرت : دمعت ، وعبر الرجل يعبر عبدا : إذا حزن ، وامرأة عاب وعبرى وعبرة : حزينه . قال الحارث ابن وعله الجرمى :

يقولُ لى النهدي هل أنت مرد فى وكيف ردافُ الفَرِّ أملك عابر
 يُذكّرني بالرحم بينى وبينه وقد كان فى نهدي وجرم تدار
 نجوت نجاه لم ير الناس مثله كأنى عقاب عند تيمن كاسر^(١)
 والصرف : الخالص . يقول ؛ وقفت على دارها والسحاب يعطر كأنه يساعدى فى البكاء ولكن دمه كان خالصا وكان دمعى ممزوجاً بالدم .

(٣) أنهل : سال وجرى . يقول : لو لم يكن دمعى دماً ما كان أحمر وما كنت هزات وسقمت بعد انهماله .

(١) عابر : ناكل ؛ وتدار : تقاطع ، والنهدي : رجل من بنى نهدي يقال له سليط سأل الحارث أن يردفه خلفه لينجو به ؛ فأبى أن يردفه ، وأدركت بنو سعد النهدي فقتلوه .

بِنَفْسِي الْخَيَالُ الزَّائِرِي بَعْدَ هَجْمَةٍ وَقَوْلُهُ لِي بَعْدَنَا الْغَمُضَ تَطْعَمُ^(١)
 سَلَامٌ فَلَوْلَا الْخَوْفُ وَالْبُخْلُ عِنْدَهُ
 لَقُلْتُ أَبُو حَنْصٍ عَلَيْنَا الْمَسْلَمُ^(٢)
 مُحِبُّ النَّدَى الصَّابِي إِلَى بَذْلِ مَالِهِ صُبُوءًا كَمَا يَصُبُّو الْمُحِبُّ الْمُتِمُّ^(٣)
 وَأَنْفِسُ لَوْلَا أَنْ فِي كُلِّ شَعْرَةٍ لَهُ ضَيْغَمًا قُلْنَا لَهُ أَنْتَ ضَيْغَمٌ^(٤)

(١) المجععة : الرقدة . وقوله بعدنا . أى - أبعدها بهمزة الإنكار - لحذف لضيق المقام ؛ وطعم الشيء ، ذاقه . يقول : أفدى بنفسى الخيال الذى زارنى بعد ما نمت وقال لى معاتباً : أتمام بعد فراقنا ؛ وهل من فارقه أحبته ينام ؟
 (٢) سلام : من حكاية قول الخيال ؛ أى قال لى الخيال معاتباً ؛ أتمام بعد مفارقتنا ؛ سلام ، أى عليك سلام ، ويروى سلاما ؛ أى أسلم سلاما ؛ وأبو حنص ؛ كنية الممدوح يقول ؛ لولا أن هذا الخيال بخيل لا يجمود بمطلوب وجبان لا يزور مجاهراً لملئى الابتهاج به والإجلال له على أن أظنه الممدوح يسلم على ؛ وقال ابن جنى ؛ لولا خوفاً من مفارقتة أو معاتبته على نومى ، ولولا بخله لأنه لا حقيقة لزيارته ، لقلت للمسلم على الممدوح ، قال الواحدى ؛ أخطأ ابن جنى فى تفسيره لأنه جعل الخوف للتنبى ، وأن لا حقيقة لزيارته ، وما هو كذلك لا يوصف ببخل والجبن ، ويقال إن هذين من شر أخلاق الرجال وهما من خير أخلاق النساء ؛ قالوا : وقوله بعدنا الغمض تطعم ؛ هو من قول الصنوبرى

قال ، والنوم ممكنٌ : غرغيرى لا تُمَوِّهْ فَلَسْتَ بِالْمُسْتَهَامِ

(٣) الصابى ؛ المشتاق . وتيمه الحب ؛ عبده وذله ، والتيم ؛ العبد ، وتيم الله منه ، كما تقول عبد الله ، وقيل التيم المضلل ، ومنه قيل للفلاة تيماء ، لأنه يضل فيها ، ويقال تيمه الحب وتامه ، قال الأصمعى ؛ تيمت فلانة فلانا تيممه وتامته تيممه تيماً فهو متيم بالنساء ، ومتيم بهن ، وأنشد للقيط بن زرارمة :

تَامَتْ فَوَادُكَ لَوْ يَحْزُنُكَ مَا صَنَعْتُ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي ذَهْلٍ بَنِ شَيْبَانَا

يقول ؛ إنه يصبو إلى إنفاق المال على العفاة كما يصبو الحب إلى محبوبه .

(٤) الضيغم ؛ الأسد . يقول إنه يزيد على الأسد قوة وشجاعة بعدد شعر بدنه ، ولولا ذلك لفلنا إنه أسد ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

أَنْقَضَهُ مِنْ حَظِّهِ وَهُوَ زَائِدٌ وَتَبَخَّسَهُ وَالْبَخْسُ نَقْصٌ مُحَرَّمٌ^(١)
يَحْلُلُ عَنِ الْقَسْبِ لَآ السَّكْفُ لُجَّةٌ وَلَا هُوَ ضِرْغَامٌ وَلَا الرَّأْيُ مُحْذَمٌ^(٢)
وَلَا جَرْحُهُ يُؤَسَّى وَلَا غَوْرُهُ يُرَى وَلَا حَدُّهُ يَنْبُو وَلَا يَقْتَلَمُ^(٣)
وَلَا يُبْرَمُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ حَالِلٌ وَلَا يُحْلَلُ الْأَمْرُ الَّذِي هُوَ مُبْرَمٌ^(٤)

(١) يقول : إنه زاد على الأسد شجاعة ، فإن جعلناه كالأسد كنا قد نقصناه حظه ونقصناه حقه ، لأنه يستحق أكثر من ذلك . هذا : ويقال بخسه حقه ينخسه فهو باخس أى نقصه .

(٢) اللجة : معظم الماء ، والضرغام : الأسد ؛ والمحذم : السيف القاطع . يقول : هو أجل من أن يشبه كفه بالبحر ونفسه بالأسد ورأيه بالسيف فكفه فوق البحر ، ورأيه أنفذ من السيف ، وهو أشجع من الأسد .

(٣) يؤسى : يداوى - أسوت الطيل آسوه أسوا - والآسى : الطبيب ؛ والغور : العمق ؛ والضمير المضاف إليه : للجرح - أى أن جرحه أوسع من أن يعالج ، لا يبرأ بالعلاج ، ولا يرى غور جرحه لعمقه . ويجوز أن يكون الضمير للممدوح ، على معنى أنه بعيد الغور فى الرأى والتدبير ، فلا يدرك غوره : وحده - على المعنى الأول - يراد به حد سيفه ، وعلى الثانى : حدة زيمته ، على تشبيهها بالسيف . وينبو : أى يكل عن الضريبة . وفى إعراب البيت يقول ابن جنى : عطف بـ «لا» فى هذا البيت على مدخول «لا» فى الذى قبله فى ظاهر اللفظ ، لا فى المعنى ، وذلك لأن قوله لا السكف لجة : أى فيها مافى البحر وزيادة عليه ، ولا هو ضرغام : أى فيه مافى الضرغام من الشجاعة وزاد عليه : ولا الرأى محذم : أى لرأيه مضاء السيف وفوق ذلك . وأما قوله ولا جرحه يؤسى : فليس يريد أنه يؤسى ويزاد عليه وكذا ولا غوره ، ولا حده وليس يريد أنه يقتل ويزيد كما أراد فى البيت فهو فى البيت الأول مثبت فى المعنى لما نفاه فى اللفظ ، وفى الثانى نفاه فى اللفظ والمعنى جميعا . قال : ألا ترى إلى إحسانه الصنعة وصحة نظمه وتوفيقه بين الأضداد المتباينة ؟

(٤) يقول : ليس للأمر الذى يحكمه ناقص ، ولا الذى نقضه مبرم : يعنى أنه لا يخالف فيما أراد ، هذا : وقد فك الإدغام من قوله حالل ويحلل ، ضرورة وهو من التجوزات المكروهة ؛ قالوا : وربما فعل الشاعر هذا ليشعر أنه يعلم بالضرورات ، كما قال قعنب بن أم صاحب - شاعر أموى - :

وَلَا يَرْمَعُ الْأَذْيَالُ مِنْ جَبَرِيَّةٍ
وَلَا يَخْدُمُ الدُّنْيَا وَلِيَّاهُ تَخْدُمُ^(١)

مَمْلَأَ أَعَاذِلَ قَدْ جَرَّبَتْ مِنْ خُلُقِي
أَنْتَى أَجُودُ لَأَقْوَامٍ وَإِنْ ضَنَّوْا^(٢)
(١) الرمع : الرفس بالرجل ؛ ويقال للمختال : إنه ليرمع الأذيال ، وذلك إذا كان يطبل ثوبه ولا يرفعه ويضربه برجله ، ومنه قول القحيف العقيلي :

يَقُولُ لِي الْمَغْنَى وَهُنَّ عَشِيَّةٌ بِمَكَّةَ يَرْمَحْنَ الْمُهْدَبَةَ الشُّحْلَا
« المهدبة : الثياب التي لها هدايب ، والسحل : البيض » والجبرية : الكبر ، والجبار : المتكبر الذي لا يرى لأحد عليه حقاً ؛ يقال جبار بين الجبرية والجبرية - بكسر الجيم والباء - والجبرية والجبروه والجبروه ، والجبروت والجبورة والجبورة مثل الفروجة ، والجبرياء والتجبار هو بمعنى الكبر ، وأنشد الأحمر :

قول مغلس بن لقيط الأسدي يعاتب رجلاً كان والياً على أضاح ؛
فإِنَّكَ إِنْ عَادَيْتَنِي غَضِبَ الْحَصَى عَلَيْنِكَ وَذُو الْجُبُورَةِ الْمُتَغَطِرِ
« يقول ؛ إن عاديته غضب عليك الخليفة ، وما هو في العدد كالحصى وللتغطير ؛ المتكبر » .

يقول ؛ هو على عظمتها وغمامة قدره متواضع لا تزدهيه المراتب همياً واختيلاً ، وليس هو من الذين يخدمون الدنيا وينصبون في طلب حطامها ، وإنما الدنيا تخدمه وتسوق إليه أرزاقها ، بما يحمل إليه من جبايات الملك .

(١) من قصيد له يقول فيها :
مَا بَالُ قَوْمٍ صَدِيقًا ثُمَّ لَيْسَ لَهُمْ
إِنْ يَسْمَعُوا رِيَّةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا
هُمْ إِذَا سَمِعُوا خَبْرًا ذُكِرَتْ بِهِ
جَهْلًا حَتَّى وَجِبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ
وَيَقُولُونَ أَدْنَتْ لَهُ : أَيْ سَمِعَتْ لَهُ .
عَهْدٌ وَلَيْسَ لَهُمْ دِينَ إِذَا اتَّعَمُوا
عَنَى وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
وَمِنْ ذُكِرَتْ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
لَبِثْتَ اتَّخَلَّتَانِ : الْجَهْلُ وَالْجَبْنُ

وَلَا يَشْتَهَى يَبْقَى وَتَفْنَى هَبَانُهُ وَلَا تَسْلُمُ الْأَعْدَاءُ مِنْهُ وَيَسْلُمُ^(١)
 أَلَدُهُ مِنَ الصَّهْبَاءِ بِالْمَاءِ ذِكْرُهُ وَأَحْسَنُ مِنْ يُسْرِ بَقَاءُهُ مُعْدِمُ^(٢)
 وَأَغْرَبُ مِنْ عُنُقَاءِ فِي الطَّيْرِ شَكْلُهُ
 وَأَعْوَزُ مِنْ مُسْتَرْفِدٍ مِنْهُ يُجْرِمُ^(٣)
 وَأَكْثَرُ مِنْ بَعْدِ الْأَيَادِي أَيَادِيًا
 مِنَ الْقَطْرِ بَعْدَ الْقَطْرِ وَالْوَبْلُ مُنْجِمُ^(٤)
 سَنِيَّ الْعَطَايَا لَوْ رَأَى نَوْمَ عَيْنِهِ مِنَ اللَّوْمِ آلَى أَنَّهُ لَا يَوْمُ^(٥)

(١) ولا يشتهى يبقى؛ يريد أن يبقى خذف « أن » للضرورة . يقول ؛ لا يحب أن يبقى ولا عطاء له ؛ أى إنما يحب البقاء ليعطى ، فإذا لم يكن له عطاء لم يحب البقاء ، ولا يحب أن يسلم في نفسه مع سلامة الأعداء منه . أى أنه يحب أن يقتلهم وإن كان في ذلك هلاكه .

(٢) الصهباء ؛ الحمر ؛ واليسر ؛ الغنى ؛ والمعدم ؛ الفقير . يقول ؛ إن ذكره على الألسنة ألد من الحمر قد مزجت بالماء ، وأحسن من اليسر لدى المعدم .

(٣) عنقاء مغرب ؛ طائر ، يقال إنه ذهب ولم يبق إلا اسمه ، وأعوز قال ابن جني ؛ كان الوجه أن يقول أهد إعوازا لأن ماضيه أعوز ، ولكنه جاء على حذف الزيادة ؛ والمسترفد ؛ السائل . يقول ؛ مثله في الناس أغرب من العنقاء في الطير ؛ وأشد إعوازا وأقل وجودا من سائل منه شيئا يحرمه ولا يعطيه ، وهو لا يجرم أحدا ، أى فكما أن هذين لا يوجدان كذلك نظيره ومثله .

(٤) الأيادى ؛ النعم ؛ وأياديا ؛ تميز ؛ ومن القطر ؛ صلة أكثر ؛ والقطر ؛ المطر ، والوبل ؛ المطر الغزير ؛ والواو قبله ؛ للحال . وأنجمت السماء ؛ دام مطرها ، أراد . هو أكثر أيادى بعد الأيادى من القطر بعد القطر ، يعنى أن نعمه ومواهبه أكثر تتابع من قطر المطر حين يكون كثيرا دائما المظللان .

(٥) السنى ؛ الرفيع الشريف ، واللؤم ، الحسة تقيض الكرم . وآلى ؛ أقسم . والتهويم ؛ اختلاس أدنى النوم ، وأصله النوم القليل ، كأنهم يريدون به أخذ النوم في هامة — رأس — الإنسان ، لأنه يبدأ برأسه ثم ينتشر في سائر الجسد . يقول ؛ لو كان النوم الذى لابد منه للإنسان لؤما ، لحلف أنه لا ينام

وَلَوْ قَالَ هَاتُوا دَرَاهِمًا لَمْ أَجْزِ بِهِ عَلَى سَائِلٍ أَعْيَا عَلَى النَّاسِ دَرْهَمٌ^(١)
وَلَوْ ضَرَّ مَرَّةً قَبْلَهُ مَا يَسْرُهُ لَا تَرَفِيهِ بَأْسُهُ وَالْحَكْرُمُ^(٢)
يُرَوَّى بِكَالْفِرْصَادِ فِي كُلِّ غَارَةٍ يَتَأَمَّى مِنَ الْأَغْمَادِ تَنْضَى فِتُونُهُ^(٣)
إِلَى الْيَوْمِ مَا حَطَّ الْفِدَاءُ سُرُوجَهُ
مُذُ الْغَزْوُ سَارَ مُسْرَجُ الْخَيْلِ مُجَمَّ^(٤)

(١) يقول : إن جميع ما في أيدي الناس من المال إنما هو من عطاياه ، حتى لو طلب درهما ليس من عطائه لأعيا على الناس — أمجزم — وجوده

(٢) يقول : هو يرتاح إلى بأسه وكميه ويسرهما ، فلو كان مايسر الإنسان بضره لضره الكرم والبأس . هذا ؛ وقد قال الجوهري : المرء الرجل ، تقول : هذا مرء صالح ، ومررت بمرء صالح ، ورأيت مرءاً صالحاً ، قال ؛ وضم الميم لغة ، تقول هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، وتقول : هذا مرء ورأيت مرءاً ومررت بمرء ، معرباً من مكانين ، قال وإن صغرت أسقطت ألف الوصل ، فقلت : مرء ومريرة . وبعد ؛ فإذا أرادت التوسع في هذه المادة فعليك بـ « لسان العرب » .

(٣) بكالفرصاد : أى بدم مثل الفرصاد في حرته ، والفرصاد : ثمر التوت الأحمر ؛ والغارة : اسم من أغار على القوم : إذا هجم عليهم في منازلهم — ويتأوى : مفعول « يروى » والظرف بعده : متعلق به . وأراد باليتأوى : السيوف التي تفارق أغمادها ، جعلها يتأوى لأنها فارقت ما كان يؤويها ويحوطها كالو الدين ، وتنضى : تسلك . وتوتم ؛ مضارع أيتم يقول : إنه يروى بدم مثل الفرصاد سبوحاً قد فارقت أغمادها فصارت مثل اليتامى . وتلك السيوف تيتم أولاد من يقتلها بها في كل غارة يغيرها على الأعداء .

(٤) قوله : مذ الغزو . قال ابن جني : من رفع « الغزو » رفعه بالابتداء وخبره محذوف ، تقديره مذ الغزو واقع أو كائن ومن جره أراد مذ زمن الغزو ، لحذف المضاف وقال الإمام التبرزى ؛ « الغزو » مجرور بـ « مذ » ، لأنها بمعنى « في » ؛ كقولك أنت عندنا مذ اليوم أى في اليوم ؛ وسار ؛ خبر مبتدأ محذوف ؛ أى هو سار — يعنى المدح — ومسرج ؛ يجوز أن يكون من إضافة الوصف إلى مرفوعه فيكون بفتح الراء ، أو إلى منصوبه فيكون بكسرها ، وحكم « ملجم » كذلك . يقول — كما قال سائر الشراح — : مذ الغزو إلى اليوم وهو مشغول بعمله في قداء أسارى المسلمين من أيدي الروم لم يحط هذا الاشتغال سروج خيله عن ظهورها ، ولكنه سار وخيوله مسرجة ملجمة لا ينفك كذلك . قل الواحدى وليس في هذا مدح ، وإنما المعنى أنه لا يقبل الفداء ولا يدع الغزو ، بل يغزو ولا يمنعه (١٤ — الثاني ٤)

الفداء : قال ؛ وما بعد هذا من الآيات يدل على أن المعنى ما ذكرنا . وإليك بعد هذا ما قال العكبري النحوي الكوفي في إعراب مذ ومنذ ، ولكن بودنا أن نتبسط في هذا الموضوع فنورد ما قال أهل اللغة وعلماء النحو ولكننا لا نبني أن نعيد عما شرطنا على أنفسنا وهو أن نورد كل ما أورده شراح للتبني ليس غير ، لا نعدوه ، وحسبنا شرح الشواهد التي أوردها ، وهو كل ما يعيننا في هذا الشرح الذي كررنا القول بأنه كأنه شرح للتبني وشروحه . قال العكبري : مذ ومنذ ؛ مركبان من « من وإذ » فغيرا عن حالهما في أفراد كل واحد منهما لحذفت الميمزة ووصلت « من » بالذال ، وضمت للميم للفرق بين حالة الأفراد والتركيب ؛ والدليل على أن كلا مركب من « من وإذ » ؛ قول بعض العرب مذ ومنذ - بكسر الميم - فدل « على أنهما مركبان وإذا ثبت أنهما مركبان كان الرفع بعدهما بتقدير فعل ، لأن الفعل يحسن به « إذ » ، والتقدير ما رأيته « مذ » مضي يومان و« منذ » مضي شهران ، ومن خفض بهما فقد اعتبر « من » ولهذا كان الخفض عند أجود لظهور نون « من » فيها تعليلاً لـ « من » ، والرفع بهما أجود ، لحذف نون « من » منها تعليلاً لإذ ، ويدل على أن أصل « مذ ؛ منذ » أنك لو سميت بها قلت في تصغيره « منيد » وفي تكثيره « أمناذ » ؛ فترد النون المحذوفة لأن التصغير والتكثير يردان الأشياء إلى أصولها . هذا قول أصحابنا الكوفيين ؛ وقال الفراء يرتفع الاسم بعدهما بتقدير مبتدأ محذوف وذلك أنهما مركبان من « من وذو » التي بمعنى « الذي » وهي لغة مشهورة قال سنان بن الفحل .

فإن الماء ماء أبي وجدّي وبرى ذو حقرت وذو طويت^(١)

(١) أحد آيات خمسة أوردها أبو تمام في الحماسة لسنان بن الفحل الطائي قالها سنان حين اختصم بنو أم كهف من جرم طيء وبنو هرم بن العثراء من فزارة في ماء وهم غلظون متجاوزون ، والآيات .

وقالوا قد جئنت فقلت كلاً وبرى ما جئنت وما انتشيت
ولكني ظلمت فكذت أنبكي من الظلم البين أو بكيت
فإن الماء ماء أبي
وقبلك رب خصم قد تمالوا على ما هلك ولا دعوت
ولكني نصبت لهم جيبيني وآلة فارس حتى قرئت

يَشُقُّ بِلَادَ الرُّومِ وَالنَّقْعُ أَبْلَقُ بِأَسْيَافِهِ وَالْجُلُوءُ بِالنَّقْعِ أَذْهَمُ^(١)
إِلَى الْمَلِكِ الطَّاعِي فَكَمْ مِنْ كَتِيبَةٍ تُسَايِرُ مِنْهُ حَقْفَهَا وَهِيَ تَعْلَمُ^(٢)
وَمِنْ عَاتِقِ نَصْرَانَةٍ بَرَزَتْ لَهُ أَسِيلَةٌ خَدَّ عَنْ قَرِيبٍ سَتْلَطَمُ^(٣)
صُفُوفًا لِلْيَيْثِ فِي لُيُوثٍ حُصُونُهَا مُتُونُ الْمَذَاكِي وَالْوَشِيحُ الْمَقُومُ^(٤)

وقال البصريون : هما اسمان فيرتفع ما بعدهما ، لأنه خبر عنهما ويكونان حرفي جر فيكون ما بعدهما مجروراً بهما ، وإنما بنينا لتضمنهما معنى « من ، وإلى » في قولك : ما رأيته مذ يومان ، معناه : ما رأيته من أول هذا الوقت إلى آخره - وبنيت « مذ » على السكون . لأنه للأصل في البناء ، و« مذ » على الضم لأنه لما وجب تحريكها لالتقاء الساكنين حركت بالضم ، لأن من عادتهم أن يفتحوا الضم بالضم .

(١) النقع : الغبار ، والأبلىق : ما فيه سواد وياض ؛ الأدهم : الأسود . يقول : يخترق بلاد الروم وغبار جيشه أبلق بأسيافه - يريد سواد الغبار ولعان السيوف - والجو من فوقه أسود بالغبار لانه ليس فيه لمعان سيوف .

(٢) إلى الملك : متعلق بـ « يشق » والراد بالملك الطاعى : ملك الروم . والكتيبة : الفرقة من الجيش ، ومنه : تجريد . والحنف : الهلاك يقول : يخترق بلاد الروم إلى الملك الطاعى ، فكلم من كتبية للروم تعارضه المدوح في مسيره إليها وهي تعلم أنه حنفتها (٣) العاتق : الشابة البكر . ونصرانة أى نصرانية ، تأنيث نصران . وخدا سبل ناعم طويل . يقول : كم من حسناء عاتق من نساء الروم برزت للمدوح عن سترها - لأنها سبيت - فهي تلطم وتهان وإن كانت أسيلة الحد ؟

(٤) صفوفا : أى برزت صفوفا ، لأن عاتق - ههنا - فى معنى الجماعة ؛ فصفوفا ؛ حال منها . وللتون ؛ جمع متن ، الظهر ؛ والمذاكى ؛ الحيل للسنة ؛ والوشيح ؛ شجر

و « ذو » هنا ؛ اسم موصول بمعنى اتى لأن البئر مؤنثة ، ومن ثم تقع مكان جميع اللوصولات ولا يتغير لفظها . وتماثوا ؛ بمعنى اجتمعوا وتقصبوا على ؛ وهلمت ؛ جزعت ، ولادعوت ؛ أى ما ناديت أحداً ولا استمرخت ، ولكنى كنت أرد الخصم بقوتى وجلادى . وقوله : وآلة فارس ؛ يريد بها آلة الحرب ، وقريت ؛ أى جمعت ، يعنى أنه خاصمهم حتى إذا بلغ الخصام بهم إلى الرماح طاعنهم فقلبهم ، وجمع الماء فى الحوض .

تَغِيبُ الْمَلَايَا عَنْهُمْ وَفَوَّغَائِبُ
أَجِدْكَ مَا تَنْفَكُ عَنْ تَفْكُهُ عُمَ بْنَ سُلَيْمَانَ وَمَالُ تَقْسَمُ^(٢)

تتخذ منه الرماح : يقول ؛ برزت هذه العوائق صفوها لهذا المدوح الذى هو فى شجاعته كالأسد ، وقد قام فى جمع كالأسود قد تحصنت بالحيل والرماع .
(١) يقول : إذا غاب فلم يغزم غاب عنهم الموت ، لأنه يكف عن قتلهم ، وإن قدم إليهم أهلكهم لذلك يقدم معه الموت .

(٢) نصب « أجدك » على المصدر ، كأنه قال ؛ أجدد جدك ومعناه ؛ أجدد هذا منك ، هذا أصله ، ثم صار افتتاحا للكلام . وعان ؛ أى أسير ، مبتدأ ، خبره تفكه ، وجملة « عان تفكه » خبر « تفك » . وعم ؛ ترخيم عمر ، جرى فيه على مذهب الكوفيين وهو لحن عند البصريين ، لأن الاسم الثلاثى لا يجوز ترخيمه ، لأنه على أقل الأصول عددا ، فترخيمه إجحاف به قاله ابن جنى . وقال العكبرى : وذهب أصحابنا الكوفيون إلى جواز ترخيم الثلاثى من الأسماء إذا كان متحرك الوسط كعمر وزفر ؛ وقال البصريون والكسائي : لا يجوز وحجة . الكوفيون إذا كان سطره متحركا ماجاء من نحو « يد ، ودم » إذا الأصل فى يد « يدى » ؛ وفى دم « دمو » بدليل قول بعض العرب فى تثنيته « دموان » وقيل أصله « دى » قال الشاعر .

فلو أننا على جُحْرٍ ذُبَحْنَا جَرَى الدَّمِيَانِ بِالْخَبْرِ الْيَقِينِ^(١)

(١) قبله ؛

لممرك إننى وأبا رباح
ليُفَضِّلَني وأبفضله وأيضاً يرانى دونه وأراه دونى

روى هذه الأبيات ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي ونسبها لعل بن بدال ابن سليم . والتكاثر : يروى التجاور ، والتكاثر الباسطة ، وعلى : بمعنى مع ، والجحر بضم الجيم وبسكون الحاء الشق فى الأرض ؛ وأراد بالخبر اليقين : ما اشتهر عند العرب من أنه لا يمتزج دم المتباغضين ؛ أى لما امتزجا وعرف ما بيننا من العداوة . قال ابن الأعرابي ؛ معناه لم يختلط دمي ودمه من بغضى له وبغضه لى ، بل يجرى دمي بمنه ودمه بسرة قال المتلس ؛

مُكَافِيكَ مَنْ أَوْلَيْتَ دِينَ رَسُولِهِ يَدَا لَا تُؤْدِي شُكْرَهَا الْيَدُ وَالْفَمُ^(١)
 عَلَى مَهْلٍ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ بِرَاحِمٍ لِنَفْسِكَ مِنْ جُودٍ فَإِنَّكَ تُرَحِّمُ^(٢)
 مَحَلَّكَ مَقْصُودٌ وَشَأْنِيكَ مُفْحَمٌ وَمِثْلَكَ مَقْصُودٌ وَنَيْلَكَ خِضْرَمُ^(٣)
 وَزَارَكَ بِي دُونَ الْمُلُوكِ تَحَرَّجِي إِذَا عَنْ بَحْرٍ لَمْ يَجْزُ لِي التَّيْمُمُ^(٤)

فهو من ذوات الياء ، والترخيم إنما وضع للتخفيف بالحذف ، والحذف قد جاز في مثله للتخفيف ، فوجب أن يكون جائزاً ولا يجوز الترخيم في الاسم الثلاثي الساكن الوسط كريد ، لأنه إذا حذف الأخير وجب حذف الساكن فيبقى على حرف واحد ، وذلك لانظير له ؛ بخلاف ما إذا كان متحرك الوسط وحجة البصريين أن الترخيم حذف آخر الاسم المنادى إذا كثرت حروفه تخفيفاً والثلاثي في غاية الحقة . قوله : ومال تقسم ، أى تقسمه ، حذف لدلالة المقام . يقول : ما تنفك تفك أسيراً وتقسم مالا .

(١) مكافيك ؛ أصله الهمز ، ولكنه لينة للضرورة ، وهو خبر مقدم ؛ ومن أوليت ؛ مبتدأ مؤخر . وأوليت ؛ أعطيت . ولا تؤدى شكرها اليد والفم ؛ أى لا يؤدى شكرها فعل ولا قول . يقول إن مكافأتك إنما هى عند الله الذى عززت دين رسوله بقوة لا يؤدى شكرها قول ولا فعل .

(٢) يقول : ارفق بنفسك فإنك إن لم ترحمها من بذلك إياها فى الحرب ، فإن الناس يرحمونك .

(٣) الثانى ؛ المنفص ، وأصله الهمز ، ولكن لينة للضرورة . وللهمز ؛ الـاكت القى لا يقدر على النطق ، والنيل : العطاء ؛ والخضرم ؛ الكثير . يقول : محلك مقصود يقصده العفاة وعدوك لا يستطيع أن ينطق فيك بعب لأنه لا يجد لك عيباً يعيبك به وأنت منقطع النظير لأنك قد تفردت بأشياء لم يقدر عليها غيرك ، وعطاؤك كثير .

(٤) التعرج ؛ تجنب الحرج ، وهو الإثم . وعن : ظهر . يقول : تخرجى من

أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

« تساط » تغلط وقال بعضهم ؛ المعنى ؛ لو ذبحنا على جعر لعل من الشجاع منا من الجبان يجرى دمه وجوده ، لأن من زعمهم أن دم الشجاع يجرى ، ودم الجبان لا يجرى .

فَمِنْ لَوْ فَدَى الْمَلُوكُ رَبًّا بِنَفْسِهِ
مِنَ الْمَوْتِ لَمْ تَفْقَدْ وَفِي الْأَرْضِ مُسْلِمٌ^(١)

واجتاز بمكان يعرف بالفراويس من أرض قنشرين فسمع زبير الأسد فقال:

أَجَارِكِ يَا أَسَدَ الْفَرَاوِيسِ مُكْرَمٌ فَتَسْكُنَ نَفْسِي أَمْ مَهَانٌ فَمَسْلَمٌ^(٢)
وَرَأَيْتِي وَقَدْ أَمِي عُدَاةٌ كَثِيرَةٌ أَحَازِرُ مِنْ لَيْسَ وَبَيْنَكَ وَمِنْهُمْ^(٣)
فَهَلْ لَكَ فِي حِلْفِي حَلًى مَا أُرِيدُهُ فَإِنِّي بِأَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ أَغْلَمُ^(٤)
إِذَا لَأَنَّاكَ الْخَيْرُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَأَثْرَيْتِ بِمَا تَقْنَعِينَ وَأَغْنَمُ^(٥)

أن أقصد غبرك من الملوك مع إمكان قصدك حملي على إيثارك بالزيارة واختصاصك بها دونهم ، ثم ضرب له المثل بالبحر والملوك بالتراب ، وإذا حضر الماء بطل التيمم ، كما قال أبو تمام .

لَيْسْتُ سِوَاهُ أَقْوَامًا فَكَانُوا كَمَا أَغْنَى التَّيْمُمُ بِالصَّغِيرِ
هذا ؟ والباء في قوله « وزارك بي » للتعدي . تقول : زرتك بزید ، وزرتك زيدا ، وأزرت زيدا إليك .

(١) يقول : إن المسلمين جميعا مملوكون لك ، فلو كان يقبل المملوك فداء عن ماله لم تمت مادام في الأرض مسلم واحد ، لأنهم يفدونك بأنفسهم
(٢) يقول - مخاطبا أسود هذا المكان - : هل يكون من جوارك مكرما عزيزا فتسكن نفسي إلى جوارك ، أو يكون مهانا مخذولا ؟ والفراويس موضع بالشام . وقوله : فتسكن : جواب الاستفهام ، ومن ثم نصبه بالفاء .

(٣) يقول : إنما أطلب جوارك لآمن هؤلاء الذين أخافهم وأحذرهم .

(٤) الحلق : اسم من المحالفة ، وهي المعاهدة . يقول : هل لك رغبة في معاهدتي على ما أريده من جوارك . فإنني أعلم منك بأسباب المعيشة والتصرف في كسب الرزق ؟ وهذا كالتغيب لها في جواره .

(٥) الوجهة : الجهة والناحية . وأثريت : أى كثر مالك . يقول : إن رغبت في

وقال في لعبة كانت تدور فسقطت عند بدر بن عمار :

مَا نَقَلْتُ فِي مَشِيئَةِ قَدَمَا وَلَا أَشْتَكْتُ مِنْ دَوَارِهَا أَلَمًا^(١)
لَمْ أَرِ شَخْصًا مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْهَا يَفْعَلُ أَعْمَالَهَا وَمَا عَزَمَا
فَلَا تَكُنْهَا عَلَى تَوَاقِعِهِمْ أَطْرَبَهَا أَنْ رَأَيْتُكَ مُبْتَسِمًا^(٢)

وخرج أبو الطيب إلى جبل حرس ، فنزل بأبي الحسين على بن أحمد المري
الخراساني ، وكان بينهما مودة بطبرية ، فقال بمدحه :

لَا أَفْتِخَارُ إِلَّا لِمَنْ لَا يُضَامُ مُدْرِكُ أَوْ مُحَارِبٍ لَا يَنَامُ^(٣)

جوارى أقبل إليك الخير والرزق وكنت خذ لك المال ، مما تمنينه أنت من الصيد ،
وأكسبه أنا من المال والفضيلة .

(١) يقول : إنها لا تنقل قدما في مشيتها وإرادتها : يعنى لا قصد لها ولا إرادة في
تحركها ، ولا يأخذها في دورانها دوار فتألم به ، لأنه لا شعور لها ولا حس ، ويروى « في
مشية » تصغير مشية .

(٢) تواقعها : أى وقوعها وسقوطها . قال ابن جني : هذا البيت يناقض الأول ،
لأنه وصفها بأنها لا تشاء ولا تحس بألم ، ثم جعلها تضطرب لابتسام المدوح ، وليس
بمريب في صناعة الشعر لأنه مبنى على الحال .

(٣) يقول : لا غر إلا لمن لا يظلم ، لاستنائه وقوته على دفع الظلم ، وهو إمامدرك
ما طلب ، أو محارب لا ينام ولا يفعل حتى يدرك مطلوبه . هذا : وكان الوجه أن يقول
لا افتخار - بفتح الراء - كما يقال : لا رجل في الدار ، وإنما يجوز الرفع مع النفي « لا »
إذا عطف عليه فيرفع وينون ، فيقال : لا رجل في الدار ولا امرأة ، ولكنه أجاز به غير
عطف ، لضرورة الشعر ، أو لأنه جعل « لا » بمعنى « ليس » كبيت الكتاب :

مَنْ صَدَّ عَنْ نِزَائِنِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحُ^(١)

(١) من قصيدة عدتها خمسة عشر بيتا لسعد بن مالك أحد سادات بكر بن وائل
وفرساتها وشعراتها في الجاهلية وأول القصيدة :

يَا بُوَيْسَ لِلْحَرْبِ الَّتِي وَضَعْتَ أَرَاهِطَ فَاسْتَرَا حُوا

وبعد البيت :

لَيْسَ عَزَمًا مَا مَرَضَ الْمَرْءُ فِيهِ لَيْسَ هُمَا مَا عَاقَ عَنْهُ الظَّلَامُ^(١)
وَأَحْتِمَالُ الْأَذَى وَرُؤْيَا جَانِبِهِ غِذَاءُ تَضَوَّى بِهِ الْجِسَامُ^(٢)
ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الدَّلِيلَ بِعَيْشٍ رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ^(٣)

وجعل « من » نكرة وجر « مدرك ، أو محارب » لأنهما وصف لها ، كما يقال :
مررت بمن عاقل : أى بإنسان عاقل .

(١) مرض : قصر ؛ والهم : ما هممت به فى نفسك . يقول : لا يعد عزمًا ما قصر
الإنسان فيه ، إذ العزم على الشيء لا يقصر فيه ، ولا يدع مهمة ما حال الظلام دون طلبه ،
لأن ذا المهمة لا يحوقه دون إدراك طلبته شيء .

(٢) تضى : تهزل . يقول : إن الصبر على الأذى ورؤية من يجنى عليك الأذى
غذاء ينحل عليه البدن كما ينحل على الأطعمة الحبيثة ، يعنى يشق على الإنسان ذلك حتى
يفضى به إلى التحول والضوى .

(٣) غبط الرجل يغبطه : إذا تمنى أن يكون مثله دون أن يتمنى زاول نعمته ،
وإلا كان حسداً . والحمام : اللوت ، وأخف : خبر مقدم ؛ والحمام : مبتدأ مؤخر .
يقول : من عاش فى ذل فليس له عيش يغبط عليه ، ومن غبطه على ذلك العيش الدليل
فهو ذليل ، لأن اللوت فى المز أخف من العيش فى الدل . قال العكبرى : وهذا من
قول الحكميم : إذا لم تتصرف النفوس فى شهواتها ومرادها ، لحياتها موت ، ووجودها
عدم ؛ ومن قول تأبط شراً :

هَما خَطَطًا إِمَّا إِسَارٌ وَمِئَةٌ وَإِمَّا دَمٌ وَالْقَتْلُ بِالْخُرِّ أَجْدَرُ^(١)

وَالْحَرْبُ لَا يَبْقَى لَهَا جِهَا التَّخْيِيلُ وَالْمِرَاحُ

إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَجْدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

وقد اختارها أبو تمام فى الحماسة . وقوله : فأنا ابن قيس : أى أنا للشهور فى النجدة
كما سمعت ، وأضاف نفسه إلى جده الأعلى لشهرته به ، وجملة « لا براح » حال مؤكدة لقوله
أنا ابن قيس كأنه قال أنا ابن قيس ثابتاً فى الحرب ، والبراح مصدر . برح الشيء من
باب تعب ، إذا زال من مكانه .

(١) من أبيات فى الحماسة يقول فيها تأبط شراً .

أَقُولُ لِلْعَيَّانِ وَقَدْ صَفَرَتْ لَهُمْ وَطَائِي وَيُومِي ضَيْقُ الْجَمْرِ مُعَوَّرُ

كُلُّ حِلْمٍ أَنَّى يَفْزِرَ اقْتِدَارِ حُجَّةٌ لَأَجَى، إِلَيْهَا اللُّثَامُ^(١)
 مَن يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا يُلْجِزُجِ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ^(٢)
 ضَاقَ ذُرْعًا بِأَن أُضِيقَ بِهِ دَرْ عَازَمَانِي وَأَسْتَكْرَمَتْنِي الْكِرَامُ^(٣)

(أراد خطئان ، خدف النون ، طلباً للخفة)

(١) اللثم ؛ الحسيس ، ضد الكريم . يقول ، إن الحلم إذا لم يكن عن قدرة كان عجزاً ، وهو حجة يحتاج بها اللثام ، يسمون عجزهم عن مكافأة العدو حملاً ، كما قال الآخر
 إِنِّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرَامِ
 (٢) يقول : إذا كان الإنسان هيناً في نفسه سهل عليه احتمال الهوان كاليت الذي لا يتألم بالجراحة ، قال بعضهم ؛ وهو من قول موسى بن جابر الحنفي — شاعر إسلامي ادرك بني أمية — .

إذا ما علا المرء رَامَ الْمَلَا ويقنع بالدونِ من كان دونا
 وابن هذا من ذاك ؟

(٣) زماني ؛ فاعل ضاق ؛ والذرع ؛ الطاقة ؛ وضاق بالأمر ذرعه وذراعه ؛ أي ضعفت طاقته ولم يجد من المكروه فيه مخلصاً ولم يطقه ولم يقو عليه . وأصل الذرع وإنما

هُمَا خَطَا « البيت »
 وبعده :

وَأُخْرَى أَصَادِي النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنِهَا لَمُورِدُ حَزَمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ
 فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصِّفَا بِهِ جَوْجُوْ غَيْلُ وَمَوْتُ مُخَصَّرُ
 نَخَالِطُ سَهْلِ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصِّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
 فَأَبَتْ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكْ آيَا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارْقَتَهَا وَفِي تَصْفِيرِ
 وكان بنو لحيان من هذيل أخذوا على نابط شراً طريق جبل وجدوه فيه يحنى عسلاً ولم يكن له طريق غيره ، فأقبلوا عليه وقالوا استأسر أو تقتلك ، فكره أن يستأسر وصحب مامعه من العسل على الصخر ووضع نفسه عليه حتى انتهى إلى الأرض من غير طريقهم ، فصار بينه وبينهم ثلاثة أيام ونجا منهم ، فعكى الحسابة في هذه الآيات ، وتأمل قوله « وللوت خزيان ينظر » يتجلى لك شعر الشاعر :

وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصٍ قَدَرِ نَفْسِي وَاقِفًا تَحْتَ أَحْمَصٍ الْأَنَامِ (١)
 أَقْرَارًا أَلَدَّ فَوْقَ شَرَارِ وَمَرَامًا أَبْنَى وَظَلَمِي يُرَامِ (٢)
 دُونَ أَنْ يَشْرِقَ الْحِجَارُ وَنَجْدُ وَالْعِرَاقَانِ بِالْقَنَاءِ وَالشَّامِ (٣)
 شَرِقَ الْجَوُّ بِالْقُبَارِ إِذَا سَا رَ عَلَيَّ ابْنُ أَحْمَدَ الْقَنْقَامِ (٤)
 الْأَدِيبُ الْمُتَهَذَّبُ الْأَصِيدُ الضَّرْبُ بِالدَّكِيِّ الْجَفْدُ السَّرِيُّ الْهُمَامِ (٥)

هو بسط اليد ، فكأنك تريد مددت يدي إليه فلم تنله . وذرعا — في قولهم — ضاق به
 ذرعا — نصبوه ، لأنه خرج مفسرا محولا ، لأنه كان ؛ في الأصل ؛ ضاق ذرعى به ؛
 فلما حول الفعل خرج قوله « ذرعا » مفسرا ، ومثله ؛ طبت به نفسا وقررت به عينا .
 يقول : عجز الزمان عن أن يدخل على أمرا لا أحتمله ؛ أى لست أضيق بالزمان ذرعا
 وإن كثرت ذنوبه وإساءته إلى ، ثم قال : واستكرمتى الكرام . أى وجدنى الكرام
 كريما صبوراً على نوائب الدهر غير جزوع ، ومن قولهم استكرمت فاربط ، أى وجدت
 كريما فتمسك به .

(١) الأخص . باطن القدم ، وواقفا الأولى ، حال عن ضمير المتكلم « في البيت
 السابق » والثانية عن الضمير المستتر في « واقفا » الأولى . يقول : إنه قد وقف تحت
 أحمص همته وقدر نفسه في الحال التي وقف الناس فيها تحت أخمصيه . يعنى أنه وإن بلغ
 هذا الحد لا يزال ذلك تحت رتبة همته ، لأنها تقتضى ما هو أسمى من ذلك . وعبرة
 ابن جنى . نفسى عالية وإن كان جسمى يرى بين الناس ، فأنا واقف تحت قدر نفسى ،
 والأَنَامِ وقوف تحت إخصى .

(٢) (٤، ٣، ٢) الهزمة . للاستفهام الإنكارى ، والشرار . ما تطاير من النار ، والمرام
 المطلب ، وبشرى يخص ، والعراقان : العراق العربى والعراق العجمى ، والقنا الرماح
 والشام : الشام ، وأصله الهزمة ، والق مقام السيد ، يقول ، لا أستلذ «قرار فوق شرار
 النار : أى لا أصبر على مقاساة الدل ، ولا أبغى مطلباً مادام ظلمى يرام ويطلب ، كأنه
 يقول . لا أبغى مراماً بالم أذفع الظلم عن نفسى وأترك هذه المواضع غاصة بالرياح كما
 يخص الجو بالغيار عند ركوب هذا المدوح . قال العكبرى ، ولعل هذه البلاد قد كانت
 لآبائه — المتنبى — «فاغتصبت منهم ، فهو يحاول أن يستردها . . . وهذان حماقته المعروفة
 ولا بد له في كل قصيدة من مثل هذا .

(٥) الأصد . الملك العظيم الذى لا يلتفت كبرا . والضرب . الماضى فى الأمور

وَالَّذِي رَبُّ دَهْرِهِ مِنْ أَسَارَا ۖ وَمِنْ حَاسِدِي يَدَيْهِ الْفَعَامُ^(١)
يَتَدَاوَى مِنْ كَثَرَةِ الْمَالِ بِالْإِقْلَالِ جُودًا كَأَنَّ مَالًا سَقَامُ^(٢)
حَسَنٌ فِي عُيُونِ أَغْدَائِهِ أَقْبَحُ مِنْ ضَنْفِهِ رَأْتُهُ السَّوَامُ^(٣)

وأصله الخفيف اللحم ، والجعد ، الكريم ، قالوا ، وإذا ذكر الجعد مضافا لليدين فقليل
ففلان جعد الدين : كان بمعنى البخيل ، وإذا ترك بغير إضافة كان بمعنى الكريم - من
الترى الجعد ، وهو الندى - والسرى : الشريف من السرو ؛ قال الجوهري : السرو
سخاء في مروءة ، وسرا يسرو ، وسرى - بالكسر - يسرى سرواً فهما ، وسرو يسرو
سراوة : أى صار سرياً ورجل سري : من قوم أسرياء وسروء كلاهما عن اللحياني ، والسراوة
اسم للجمع ، وليس بجمع عند سيوبه ، قال ودليل ذلك قولهم سروات . قال الشاعر :
تلقى السرى من الرجال بنفسه وابن السرى إذا سرى أسراها
أى أشرفهما . وقولهم : قوم سراة جمع سرى : جاء على غير قياس أن يجمع فليل
على فصلة . والمهام الذى ينفذ ما يهم به .

(١) ريب الدهر ، صروفه ونوابه . وأساراه بفتح الهمزة وضمها جمع أسرى جمع
أسير . يقول ، إنه حبس صروف الدهر على مراده فلا يتمكن الدهر من إحداث شيء
إلا ما يريد ولا يصيب أحدا إلا بإذنه ، وقد تخرق في الكرم وأطلق يديه بالبذل حتى
صار الفعام - السحاب - حاسدا لهما لقصوره عنهما في البذل والسخاء

(٢) الإقلال ، قلة المال وجودا ، مفعول له ، عامله « الإقلال » أو الفعل قبله ،
يقول ، كان المال لكثير سقام ، وكأن الإقلال برء ذلك السقام ، فهو يتداوى من كثرة
المال بالإقلال : أى يبذل المال حتى يصير مقلا ، فيصير ذلك دواء له من الداء الذى
هو الإكثار .

(٣) السوام ، للماشية ، وقوله حسن ، أى هو حسن ، وتم الكلام ، ثم قال ، وهو
في عيون أعدائه أقبح من ضيفه في عيون ماله الراعى لأنه ينحر إليه للأضياف فهى
تكرههم ، كما قال الآخر يصف الضيف .

حَبِيبٌ إِلَى كَلْبِ الْكَرِيمِ مُنَاخُهُ ۖ بَفِيفٌ إِلَى الْكُومَاءِ^(١) وَالْكَلْبُ أَبْعَرُ

(١) الكوماء ، الناقة الضخمة السنام

لَوْ حَيَّ سَيِّدًا مِنَ الْمَوْتِ حَامٍ لَحَمَّاكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامُ^(١)
وَعَوَارٍ لَوَامِعٍ دِينَهَا الْحِلُّ وَلَكِنْ زِيَّهَا الْإِحْرَامُ^(٢)
كُتِبَتْ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمِ اللَّهِ ثُمَّ قَيْسٌ وَبَعْدَ قَيْسِ السَّلَامُ^(٣)

فَقَوْلُهُ فِي عَيُونِ أَعْدَائِهِ ، ظَرْفٌ لَا قَبِيحَ لَا « لِحَسَنِ » قَدَمُهُ عَلَيْهِ ، كَقَوْلِكَ زَيْدٌ فِي الدَّارِ أَحْسَنُ مِنْكَ . قَالَ ابْنُ جَنِّي ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ « فِي عَيُونِ أَعْدَائِهِ » ظَرْفًا لِحَسَنِ ، فَالْمَعْنَى هُوَ فِي عَيُونِ أَعْدَائِهِ حَسَنٌ ، إِنْ قِيلَ كَيْفَ يَكُونُ حَسَنًا فِي عَيُونِ أَعْدَائِهِ وَأَقْبَحُ مِنْ ضَيْفِهِ إِذَا رَأَتْهُ الْإِبِلُ لِأَنَّهُ يَذْبَحُهَا لِالضَّيَافِ فَهِيَ تَكْرَهُهُمْ ؟ جَوَابُهُ أَنْ أَعْدَاءَهُ يَرُونَهُ حَسَنَ الصُّورَةِ قَبِيحَ الْفِعْلِ بِهِمْ ، فَهُمْ يَرُونَهُ حَسَنًا وَقَبِيحًا ، وَفِي الْأَوَّلِ قَبِيحًا لِأَخِيرِ (١) لِحَمَّاكَ الْإِجْلَالَ وَالْإِعْظَامُ ، أَيْ لِحَمَّاكَ مِنَ الْمَوْتِ إِجْلَالُ الْمَوْتِ لَكَ وَإِعْظَامُهُ إِيَّاكَ فَلَمْ يَجْعَرْ عَلَيْكَ تَهْنِئًا . وَقَالَ الْوَاحِدِيُّ . يَقُولُ : لَوْ كَانَ سَيِّدٌ مَحْمِيًّا مِنَ الْمَوْتِ لِحَمَّاكَ وَحَفِظَكَ مِنْهُ إِجْلَالُ النَّاسِ إِيَّاكَ ، وَإِعْظَامُهُمْ ، أَيْ أَنَّهُمْ يَفِدُونُكَ بِنَفْسِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ لَوْ قَبِلَ انْتِفَاءً فَكُنْتَ لَا تَمُوتُ ؟ قَالَ ، وَقَالَ ابْنُ دُوسْتٍ ، لَا تُنْهَمُ بِهَا بَوْنُكَ فَلَا يَقْدَمُونَ عَلَيْكَ ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى فِي إِجْلَالِ النَّاسِ إِيَّاهُ مَا ذَكَرَ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ الْمَوْتِ الْقَتْلَ حَقٌّ يَصَحُّ مَا ذَكَرَهُ .

(٢) عَوَارٍ ، عَطْفٌ عَلَى « الْإِجْلَالِ » - فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ - أَيْ وَلِحَمَّاكَ سَيْفٌ عَوَارٍ - مَجْرَدَةٌ - مِنَ الْأَعْمَادِ ، دِينُهَا اسْتِحْلَالُ قَتْلِ النَّفُوسِ ، فَهِيَ لَا تَخْرُجُ مِنْ شَيْءٍ ، وَلَكِنْ زِيَّهَا الْإِحْرَامُ أَيْ الْأَمْرُ كَالْحَرَمِ فِي الْحُجِّ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ عَارِيًّا مِنَ الثِّيَابِ .

(٣) يَقُولُ : كُتِبَ فِي صَحَائِفِ الْمَجْدِ بِسْمِ اللَّهِ - وَهُوَ افْتِتَاحُ الْكَلَامِ - ثُمَّ قَيْسٌ - وَهِيَ قَبِيلَةُ الْقَمَدُوحِ - ثُمَّ السَّلَامُ الَّذِي يَكْتُبُ فِي أَوَاخِرِ الْكُتُبِ : يَعْنِي أَنَّ بَنِي قَيْسٍ قَدْ تَفَرَّدُوا بِالْمَجْدِ ، فَلَا يُقَالُ لِغَيْرِهِمْ أَهْلُ مَجْدٍ . هَذَا وَمَنْ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ - بِالرَّفْعِ - أَجْرِي « الْبَاءُ » كَبَعْضِ حُرُوفِهَا لَطُولُ صَحْبَتِهَا الْأَسْمَ ، كَمَا أَشَدَّ الْفَرَاءُ :

فَلَا وَاللَّهِ لَا يُبْلَغُنِي لِمَا بِي وَلَا لِلْمَيَابِيتِ أَبَدًا شِفَاءً^(١)

(١) لِسُلَيْمِ بْنِ مَعْبُدِ الْوَالِي ، هَاضِمٍ إِسْلَامِيٍّ مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

بَكَتْ إِبِلِي وَحَقَّ لَهَا الْبَيْكَاةُ وَفَرَقَهَا الْمَظَالِمُ وَالْمَدَاءُ

وَكَانَ سَبَبُ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَنَّ مُسْلِمًا كَانَ غَالِيًا ، فَكُتِبَتْ إِلَيْهِ الْمَصْدُقُ - أَيْ عَامِلُ الزَّكَاةِ - وَكَانَ رَقِيعُ الْوَالِي عَرِيفًا فَظَنَ مُسْلِمٌ أَنَّ رَقِيعًا هُوَ الَّذِي أَغْرَى الْمَصْدُقَ وَكَانَ مُسْلِمُ ابْنِ أَخْتِ رَقِيعٍ ، ابْنُ عَمِّهِ فَقَالَ هَذِهِ الْأَيَّاتُ . « انْظُرْ خَزَانَةَ الْأَدَبِ » ج ٢ ص ٢٦٧ سُلْفِيَّةٌ .

أَتَمَّا مُرَّةُ بْنُ عَوْفٍ بْنِ سَعْدٍ جَمَرَاتٌ لَا تَشْتَهِيهَا النَّعَامُ (١)
لَيْلَهَا صُبْحُهَا مِنَ الدَّارِ وَالْإِصْبَاحُ لَيْلٌ مِنَ الدُّخَانِ تَمَامٌ (٢)

وأنشد الآخر:

وَكَاتِبٍ قَطَطَ أَفْلَامًا وَخَطَّ بِسْمَاءِ الْفَا وَلَا مَا

ومن قال بسم - بالخفض - خفضه بالباء وأراد بسم الله ، وهذا قبيح جداً كما قال الواحدى ، أن يجعل ما ليس من نفس الكلمة كالجزء منه . وقوله : وبعد قيس : من كسر السين حذف التنوين لاجتماع الساكنين ؛ ومن نصب « قيس » ذهب إلى القبيلة فلم يصرفها للتعريف والتأنيث .

(١) الجمرة : كل قبيل انضموا فصاروا جماعة واحدة ولم يحالفوا غيرهم . قال أبو عبيدة : جمرات العرب ثلاثة : بنو ضبة بن أد ، وبنو الحرث بن كعب ، وبنو نعيم ابن عامر . طفت منهم جمرتان : طفت « ضبة » لأنها حالفت الرباب ، وطفت بنو الحرث لأنها حالفت مذحج ، وبقيت نعيم لم تطفأ لأنها لم تحالف ؛ وقال الجاحظ : يقال - لعبس وضبة ونعيم - : الجمرات ، وأنشد لأبي حية النخري :

لَنَا جَمَرَاتٌ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مِثْلُهَا كَرَامٌ وَقَدْ جُرُّنَا كُلَّ التَّجَارِبِ
نَعِيمٌ وَعَبْسٌ يُتَّقَى نَفْيَاتُهَا وَضَبَةٌ قَوْمٌ بِأَسْهُمٍ غَيْرُ كَذِبِ
وهؤلاء يسمون جمرات لشوكتهم وعدتهم ، وقد فضل المتنبي هذه القبيلة على سائر الجمرات ، إذ جعلها لا تشتهيها النعام ، لأنها قبيلة ذات بأس وشدة لا ذات جمر في الحقيقة فهي جمرات حرب - لا جمرات لعب - والنعام تشتهي جمرة النار لفرط برودة في طبعها .

(٢) الإصباح : مصدر ، بمعنى الصبح . يقول : إنهم يوقدون نار القرى ليلاً ونهاراً فليلهم صبح بضوء النار التي أوقدوها للأضياف ، ونهارهم ليل بسواد الدخان إذ يستر ضياء الشمس . ويجوز أن يريد أنهم يغيرون في النهار ويحاربون فيزول نور النهار بالغبار وهو معنى حسن ، وقد أخذه الحيص ييس فقال :

نَفَى وَاضِحَ الشَّرِيقِ عَنْ شَمْسِ أَرْضِهِ دُخَانُ قُدُورٍ أَوْ مَحَا جَعَةُ قَسَطَلٍ
وقوله تمام بكسر التاء . فليل التمام أطول ليالي الشتاء ، خصه لاشتداد ظلمته ؛ وأكثر ما جاء ليل التمام بالالف واللام والإضافة ، ولكنه أتبعه هنا للضرورة على أن اللقي تم بدونه ، وإنما أتى به لإتمام القافية .

هَمَّ بَلَفْتَكُمْ رُبَّاتٍ قَصُرَتْ عَنْ بُلُغِهَا الْأَوْهَامُ
وَنُفُوسٌ إِذَا أَنْبَرَتْ لِقِتَالٍ نَفِدَتْ قَبْلَ يَنْفَدِ الْإِقْدَامُ^(١)
وَقُلُوبٌ مُوْطِنَاتٌ عَلَى الرُّوْ عَ كَانَ أَفْتَحَاهُمَا أُسْتِسْلَامُ^(٢)
قَانِدُو كُلِّ شَطْبَةٍ وَحِصَانٍ قَذَرَاهَا الْإِسْرَاجُ وَالْإِلْجَامُ^(٣)
يَتَعَثَّرْنَ بِالرُّهُوسِ كَمَا مَرَّ بِنَا آتٍ نَطَقَ بِهِ التَّمْتَامُ^(٤)
طَالَ غَشْيَانُكَ الْكَرَاهَةِ حَتَّى قَالَ فِيكَ الَّذِي أَقُولُ الْخُسَامُ^(٥)

(١) الانبراء التعرض للشيء ، ونفذ الشيء : فنى ؛ وقبل ينفد ؛ أى قبل أن ينفد . يقول : إن نفوسهم لا تزال مقدمة في الحرب حتى تنفى وإقدامها باقى على حاله ، لأنها لم تتأخر ، فنفاذاها قبل نفاذ إقدامها ، ويجوز أن يكون المعنى أنهم يعلمون الناس الإقدام فيفنون وإقدامهم باقى ؛ ويجوز أيضا أن يريد أنهم متجسمون من الإقدام ، فإذا فنيت الروح فالجسم الباقى هو الإقدام .

(٢) توطين النفس على الشيء كالتمهيد ، قال ابن سيده : وطن نفسه على الشيء وله فتوطنت : حملها عليه فتحملت وذلت له ، قال كثير :

فَقَلْتُ لَهَا يَا عَزَّ كُلُّ مُصِيبَةٍ إِذَا وُطِنَتْ يَوْمًا لَهَا النَّفْسُ ذَلَّتْ

وأراد بالروع : الحرب . والافتحام : الدخول في الحرب . والاستسلام : طلب السلم والصلح . يقول : كأن دخولهم في الحرب طلب للسلم لاسترسالهم وانسلاطهم .

(٣) الشطبة : الفرس الطويلة ، وبراهها : هزلها وأنحلها . وأراد براهها : أى الشطبة والحصان ، فاكثنى بضمير الأول ، كافى قوله تعالى « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

(٤) يتعثرن : أى الحيل ؛ والتمتاء ، الذى يتردد لسانه بالثناء . يقول . إن خيلهم تعثر برؤوس القتلى من الأعداء كما يعثر التمتاء بالثناء ، يريد : من كثرة القتلى لم يبق للخيل مجال إلا بين رؤوس القتلى .

(٥) غشيانك : إتيانك ؛ والكرائه : جمع الكريهة ، والكريهة من أسماء الحرب - فعيلة فى معنى مفعولة - . والحسام : السيف القاطع ، وهو فاعل « قال » . يقول : طال إتيانك الحروب حتى إن السيف ليشهد لما أقول وأصفك به من الشجاعة

وَكَفَّنْتَ الصَّفَاخَ النَّاسَ حَتَّى قَدْ كَفَّنْتَ الصَّفَاخَ الْأَقْلَامَ^(١)
وَكَفَّنْتَ التَّجَارِبَ الْفِكَرَ حَتَّى قَدْ كَفَّاكَ التَّجَارِبَ الْإِلْهَامَ^(٢)
فَارِسٌ يَشْتَرِي بِرِازِكَ لِلْفَخْرِ بِقَتْلِ مُعْجَلٍ لَا يُلَامَ^(٣)
نَائِلٌ مِنْكَ نَظْرَةً سَاقَهُ الْفَقْرُ عَلَيْهِ لِقَفْرِهِ إِنْغَامَ^(٤)
خَيْرٍ أَعْضَانَا الرُّمُوسُ وَلَكِنْ فَضَّلْتَهَا بِقَصْدِكَ الْأَقْدَامَ^(٥)

والإقدام . يريد بشهادة السيف مابه من الفلول الدالة على كثرة الضرب ، وجعل ذلك الانتفال كالقول من السيف .

(١) الصفاخ . السيوف العريضة . يقول : هاب الناس سيوفك فكفوا عنك ولم تحتج إلى قتالهم ، ثم صرت إلى أن كفنتك الأقلام السيوف لما استقرت لك من الهيبة في القلوب ، وقال ابن دوست . كفنتك سيوفك الناس من العساكر وغيرها حتى استغنت عنهم ولم تحتج إليهم ؛ قال الواحدي : وهذا فيه ضعف ، لأن السيوف تحتاج إلى من يعملها ليحصل له الهيبة وهي بمجرد لها لا تكفيه الناس . والناس : يروى البأس .

(٢) يقول : قد جربت الأمور وعرفت حق لا تحتاج إلى التفكير فيها ، ثم صار الصواب بيدك حتى صرت لا نلهم سواء ، فكفأك الإلهام الله التجارب قال العكبري . وهذا وما قبله من قول البحري .

يَوْمَ أَرْسَلْتَ مِنْ كَتَائِبِ آرَا نِكَ جُنْدًا لَا يَأْخُذُونَ عَطَاءَ
وَيَبُودُ الْأَعْدَاءُ لَوْ تَضَعُ الْجِدَّ شَ عَلَيْهِمْ وَتَصْرِفُ الْأَرَاءَ
(٣) البراز . البارزة ، وهي أن يبارز الرجل قرنه . يقول : إن الفارس الذي يجعل نفسه قريباً لك ويبارزك في الحرب ينال بذلك نفراً عظيماً ، فإذا قتله كان قد اشترى الفخر بنفسه فلا يلام عليه .

(٤) يقول : الذي ينال منك نظرة ممن ساقه الفقر إليك . أي دعاه فقره إلى زيارتك فإن للفقر منة عليه ، لأنه كان سبباً لهذه النظرة .

(٥) يقول : خير أعضاء الإنسان الرأس ، لأنه مجمع الحواس ، وفيه الدماغ الذي هو محل العقل ، ولكن الأقدام صارت بقصدك أفضل من الرموس ، لأنها كانت آلة للشيء إليك ، وهذا كما قال أيضاً :

قَدْ لَعَمْرِي أَقْصَرْتُ عَنْكَ وَلِلْوَفْدِ أَزْدِحَامٍ وَلِلْعَطَايَا أَزْدِحَامٍ^(١)
خِفْتُ إِنْ صِرْتُ فِي يَمِينِكَ أَنْ تَأْخُذَنِي فِي هَيْبَتِكَ الْأَقْوَامِ^(٢)
وَمِنْ الرَّشْدِ لَمْ أَزُرْكَ عَلَى الْقُرْبِ ، عَلَى الْبُعْدِ يُعْرِفُ الْإِلْتِمَامِ^(٣)
وَمِنْ الْخَيْرِ بَطْنُ سَيْبِكَ عَنِّي أَسْرَعَ السُّحْبِ فِي السَّيْرِ الْجَهَامِ^(٤)
قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرِ بِنِظَامٍ وَدُهَا أَنْهَكَ بَيْنَكَ كَلَامِ^(٥)
هَابَكَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَلَوْ تَنَاهَاهُمَا لَمْ تَجْزُ بِكَ الْأَيَّامِ^(٦)

وإن الفِتْخَامَ التي حَوَّلَهُ لَتَحْسُدُ أَرْجُلَهَا الْأَرْوُسُ

(١) أقصر عن الشيء : تركه مع القدرة عليه . والوفد : القوم الوافدون . يقول :
لم آتتك حين ازدحمت عليك الوفود وازدحمت عليهم عطايك ، وتمة المعنى في البيت
التالي .

(٢) ذكر علة تأخره عنه ، وهي خوفه أن تأخذه الوفود في جملة هيباته . وهذا
إغراق في وصف كثرة عطايه حتى يخاف شاعره وزأره أن يجعله من جملة تلك الهبات
وهذا كقول البحتری :

وَمِنْ لَوْ تَرَى فِي مِلْكِكَ عُذْتَ نَائِلًا لِأَوَّلِ عَافٍ مِنْ مُرْجِيهِ مُقْتَرٍ
(٣) قوله على القرب : تم الكلام عنده ، ثم استأنف مابعد . والإلّام : الزيارة .
يقول : من إصابة الرعد أفي لم أزرك وأنا قريب منك ، لأن حق الزيارة إنما يعرف إذا
كانت من موضع بعيد .

(٤) البطء : اسم من الإبطاء ، وهو التأخر . والسبب : العطاء ، والجهام : السحاب
الذي لاماء فيه . يقول : تأخر عطائك عني - أي تأخر وصوله إلى بسبب تأخر زيارتي
إليك - يدل على كثرة ذلك العطاء ، كالسحاب ، إنما يسرع منه ما كان جهاما - لاماء
فيه - أما ما يكون فيه الماء فإنه يكون ثقیل الذي :

(٥) النظام : خيط المقد ؛ وودها : مبتدأ ؛ خبره : المصدر للتصيد مما بعده . يقول
- للمدوح - قل وتكلم فإن الجوهر المنظوم يتعنى أن يكون كلاما لك ، لحسن نظامك
وانتظام كلماتك .

(٦) لم تجز : لم تمر . يقول : إن الدهر يهابك ويأتمر بأمرك ، فلو نهيت عن المرور
بك لم يمر : أي لو أمرته أن يقف لوقف .

حَسْبُكَ اللَّهُ مَا تَضِلُّ عَنْ الْحَقِّ وَمَا يَهْتَدِي إِلَيْكَ أُنَامٌ^(١)
لَمْ لَا تَحْذَرُ الْعَوَاقِبَ فِي غَيْرِ الدُّنْيَا أَمَا عَلَيْكَ حَرَامٌ^(٢)
كَمْ حَبِيبٌ لَا عُذْرَ فِي الْيَوْمِ فِيهِ لَكَ فِيهِ مِنَ التَّقَى لُؤَامٌ^(٣)
رَفَعَتْ قَدْرَكَ الزَّاهَةُ عَنْهُ وَثَبَّتْ قَلْبَكَ الْمَسَاعِي الْجِسَامُ^(٤)
إِنْ بَعْضًا مِنَ الْقَرِيبِ هَذَا لَيْسَ شَيْئًا وَبَعْضُهُ أَحْكَامٌ^(٥)

(١) الأنام — كلام — جزاء الإثم ، قال تعالى « يلق أُنَامًا » وهو هنا الإثم يقول : كافيك الله ، أى هو الذى يكفيك كل شر وغائلة ، فأنت مع الحق لا تضل عنه ، ولا يجد الإثم سبيلا إليك ؛ لأنك لا تأتى ما تأثم به لعصاة الله إليك .

(٢) الدنيا . النقاىس . و « أما عليك حرام — » وهى رواية ابن جنى — : يعنى ما بالك لا تحذر عاقبة شيء سوى الدنيا ؛ أما عليك شيء محرم تتق عاقبته ؟ وكأن هذا تأكيد لما ذكره فى البيت السابق ، يعنى أن المحرمات مصروفة عنه بعصاة الله له ، فلا ينهيا له إتيانها ، فلم يبق عليه ما يغشى عاقبته إلا الدنيا وروى غيره : وما عليك حرام ، بأوالعاطفة وجعل « ما » موصولة معطوفة على « الدنيا » أى ما هو حرام ، قال الواحدى : يعنى أنه يقدم على المهلك وكل شيء ، لا يتفكر فى عاقبة شيء إلا ما كان من دينية أو شيء حرام فإنه لا يقدم عليه ، يريد لم تفعل ذلك ؟ قال اليازجى : وهذا يصح لولا هذا الاستفهام ، وإلا فهو تعجب فى غير محله ، وحاصله الإنكار لا للدخ ، كما يظهر بالتأمل وقال ابن القطاع . لم تلق نفسك فى المهلك ؟ أو ماتظن أن ذلك حرام ؟ يشير إلى شجاعته ، وعجزة ابن جنى — الذى روى « أما عليك حرام ؟ » . يعنى لإفراطك فى توقى الدنيا صار كأنه لأحرام عليك غيرها . يعنى أنه لا يفكر فى عاقبة شيء سوى الدنيا ، فكأنه لم يحرم عليه شيء .

(٣) يصفه بتقوى الله وخشيته . يقول . كم حبيب يستحق المواصلة لتمام حسنه ولا تلام لوواصلته ، اسكنك مع ذلك تتركه لتقوى الله ، فكأنك قد أقت عليك من التقوى لوأما يلومونك فيها لا يوافق مقتضاها وقدأكد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول . زاهتك وبعادك عن الآثام رفعا قدرك عن مواصلته ، وصرفت قلبك عنه الأمور الجسام — العظام — التى تسمى فيها .

(٥) القريض . الشعر ، من قرض الشعر . إذا قطعة ، كأن للمرء يقطعه من فكره ، (١٥ — للتبني ٤)

مِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبَرَاءَةَ وَالْفَضْلُ وَمِنْهُ مَا يَجْلِبُ الْبِرْسَامُ^(١)

وورد على أبي الطيب كتاب من جدته لأمه تشكو شوقها إليه وطول غيبته عنها ، فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه وصول الكوفة على حالته تلك ، فأنحدر إلى بغداد ، وكانت جدته قد يئست منه ، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه ، فقبلت كتابه ، وحثت لوقتها سروراً به ، وغلب الفرح على قلبها فقتلها ، فقال يرثيها :

أَلَا لَا أَرَى الْأَحْدَاثَ حَمْدًا وَلَا ذَمًّا فَمَا بَطَشُهَا جَهْلًا وَلَا كَفُّهَا حِلْمًا^(٢) (١)

والتقريض : صناعة التقريض ، وفي المثل : حال الجريض دون القريض ، الجريض . الفصص ؛ والقريض . الشعر ، وهذا المثل لعبيد بن الأبرص ، قاله المنذر حين أراد قتله في يوم يؤسه فقال له : أنشدني من قولك فقال عند ذلك : حال الجريض دون القريض ؛ وقال الجوهري . القريض قول الشعر خاصة يقال قرضت الشعر أقرضه إذا قلته والشعر قريض ، قال ابن بري . وقد فرق الأغلب العجلي بين الرجز والقريض بقوله .

أَرْجَزًا تُرِيدُ أَمْ قَرِيضًا كَلِمَةً أَجِيدُ مُسْتَرِيضًا

« مستريضاً أى واسعاً ممكناً من استراض المكان أى فسح واتسع » وهذى يهذى هذاء وهذيانا : إذا قال قولاً لا طائل له . والأحكام : جمع حكم بمعنى حكمة ، والبيت من الحديث : « إن من الشعر لحكمة » أى حكمة .

(١) منه : أى من القريض — الشعر — ما يجلبه الفضل والبراءة : أى ما يكون عن فضل ومعرفة وتفوق ، ومنه ما يجلبه البرسام أى ما يكون عن مرض وهذيان . فقوله ما يجلب : أى ما يجلبه . والبرسام علة معروفة يقال برسم : إذا خلط في مرضه . (٢) الأحداث : نوب الدهر ومصابه . والبطش : الأخذ بغبلة وقوة . يقول : لا أحداث - الحوادث السارة ولا أذى الضارة ؛ فإنها إذا بطشت بنا أو آذنتنا لم يكن ذلك جهلاً منها ، وإذا كفت عن البطش والضرر لم يكن ذلك حِلْمًا يعنى أن الفعل في جميع ذلك ليس لهلاً ، وإنما تنسب الأفعال إليها استعارة وعجازاً .

- (٢) إِلَى مِثْلِ مَا كَانَ الْفَتَى مَرْجِعُ الْفَتَى يَعُودُ كَمَا أَبْدَى وَيُكْرِى كَأَزْمَى (١)
 (٣) لَكَ اللَّهُ مِنْ مَفْجُوعَةٍ بِحَبِيبِهَا قَتِيلَةٌ شَوْقٍ غَيْرِ مُلْحِقِهَا وَضَمًّا (٢)
 (٤) أَحْنُ إِلَى الْكَأْسِ الَّتِي شَرِبْتُ بِهَا وَأَهْوَى لِمَثْوَاهَا التُّرَابَ وَمَا ضَمًّا (٣)

(١) أبدى : هو أبدى : أى أبداه الله : أى خلقه ، فأصله الهمز ، ولينه للضرورة ؛ وأكرى الشيء : نقص . وأرمى : أرمى وزاد . يقول : إن كل واحد يرجع إلى مثل ما كان عليه من العدم ويعود إلى حاله الأولى كما أبدى . وينقص ما حدث فيه من الحياة كما زاد ؛ وإذن لا ذنب للحوادث حتى أدمها أو أحدها . هذا : وأكرى - كما أنه بمعنى زاد - أتى بمعنى نقص ، فهو من الأضداد ، يقال أكرى الرجل : قل ماله أو نقد زاده وقد أكرى زاده : أى نقص ، قال لبيد :

كَذَى زَادِ مَتَى مَا يُكْرِ مِنْهُ فَلَيْسَ وَرَاءَهُ ثِقَةٌ بِزَادٍ
 وقال آخر يصف قدراً :

يُقَسِّمُ مَا فِيهَا فَإِنْ هِيَ قَسَمَتْ فَذَلِكَ وَإِنْ أَكْرَتْ فَمَنْ أَهْلَهَا تُكْرِى
 « قسمت : عمت في القسم ، وإن أكرت : أراد وإن نقصت ، فمن أهلها تنقص : أى القدر » .

(٢) لك الله : دعاء لها ؛ و« من » - من مفجوعة - : زائدة ، ومفجوعة ، في موضع نصب على التمييز ؛ والوصم : العيب . وعنى بحبيبها : نفسه . يدعو لها ويقول : هى مفجوعة قتلت بسبب شوقها إليه ، وليس هذا الشوق بما يلحق بها عيباً ، لأنه شوق الأم إلى ولدها .

(٣) يريد بالكأس التي شربت بها : كأس الموت . ومثواها : مقامها . يعنى القبر . يقول : لا أحب البقاء بعدها وأحب - لأجل مقامها في التراب - التراب وما ضمه التراب يعنى شخصها أو كل مدفون في التراب . وجه التراب : يجوز أن يكون جبا لدفن فيه ، ويجوز أن يحب التراب لأنها فيه . هذا : والكأس مؤنثة وجمعها كئوس وأكؤس . وكئاس ، قال أهل اللغة : الكئاس الزجاجة ما دام فيها خمر ، فإذا لم يكن فيها خمر نهى قدح ؛ قال الله تعالى « يطاف عليهم بكأس من معين » . بيضاء لثة للشاربين « وقال ية ابن أبي الصلت :

مَا رَغْبَةُ النَّفْسِ فِي الْحَيَاةِ وَإِنْ تَحْمِي قَلِيلًا فَاَلْمُوتُ لَأَحْمَقُهَا

بَكَيْتُ عَلَيْهَا خَيْفَةً فِي حَيَاتِهَا وَذَاقَ كَلَانًا تُكَلِّ صَاحِبِهِ قَدِيمًا^(١)
وَلَوْ قَتَلَ الْهَجْرُ الْمُحِبِّينَ كُلَّهُمْ مَضَى بِلَدٍ بَاقٍ أَجَدْتُ لَهُ صَرَمًا^(٢)

يُوشِكُ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا لِلْمَوْتِ كَأْسٌ وَالزَّمْرَةُ ذَائِقُهَا^(١)
(١) الشكل : القعد . وقدا : قديما . يقول : كنت أبكي عليها في حياتها
خوفا من فقدها ، وصرب الدهر من ضرباته وفرق بيغنا وتغربت عنها فذاق كل
واحد منا ثكل صاحبه قبل الموت : قالوا : وفي المصراع الأول نظر إلى بيت
الحجاسة :

فِيهِ كِيَانٌ نَاوَا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ^(٢)

(٢) أجد : بمعنى جدد . والصرم : القطيعة . يقول : لو كان الهجر يقتل كل محب
كما قتلها هجرى لقتل بلدها أيضا : يعني أن بلدها كان يحبها لافتخاره بها لما لها عليه وعلى
أهله من الإفضال ، ولكن الهجر إنما يقتل بعض المحبين دون بعض . قال بعض الشراح
وقد نفى في هذا البيت ما أثبتته في قوله :

لَا تَحْسَبُوا رِبْعَكُمْ وَلَا طَلَّاهُ أَوَّلَ حَيٍّ فِرَاقُكُمْ قَتَلَهُ

(١) قال ابن بري : عبطة : أي شابا في طرأته ، وانتصب على الصدر : أي موت
عبطة وموت هرم ، فحذف المضاف ، وإن شئت نصبتما على الحال : أي ذا عبطة وذاهرم
فحذف المضاف أيضا ، وأقام المضاف إليه مقامه .

(٢) من أبيات جميلة منها :

وَمَا فِي الْأَرْضِ أَشَقُّ مِنْ حَبَّةٍ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُولَ الذَّاقِ
تَرَاهُ بِأَكْيَا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لِأَشْيَاقِ
فِيهِ كِيَانٌ [البيت]

وبعده :

فَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَاسُلِ وَتَسْخُنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

(٧) عَرَفْتُ اللَّيَالِي قَبْلَ مَا صَنَعْتُ بِنَا
فَلَمَّا دَهَنَتِي لَمْ تَزِدْنِي بِهَا عِلْمًا^(١)
(٨) مَنَافِعُهَا مَا ضَرَّ فِي نَفْعِ غَيْرِهَا
تَغْدَى وَتَرَوِي أَنْ تَجُوعَ وَأَنْ تَظْمَأَ^(٢)
(٩) أَتَاهَا كِتَابِي بَعْدَ يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ
فَمَاتَتْ سُرُورًا بِي فَمُتْ بِهَا غَمًّا^(٣)
(١٠) حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي السُّرُورُ فَإِنِّي
أَعُدُّ الَّذِي مَاتَ بِهِ بَعْدَهَا سُيْمًا^(٤)

(١) بقول : كنت عالما بالليالي وتفريقها بين الأجابة قبل أن تصنع بنا هذا التفريق فلما دهنتني هذه للصيبة لم زدني بها علما ، قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : من نظر بعين العقل ورأى عواقب الأمور قبل حلولها لم يجزع بحلولها . ومن قول أبي تمام :

حَلَمْتُنِي زَعْمُكُمْ وَأَرَانِي قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيمًا
ومن قول بعض العرب وقد مات ولده فلم يجزع فقيل له في ذلك ، فقال أمر كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره .

(٢) قال ابن فورجه : الضمير في « منافعها » للمرثية : يعني أنها قتين — قليلة الطعم — تؤثر بالطعام على نفسها فتجوع وتظمأ لتنفع غيرها ، ثم جعل المصراع الثاني تفسيراً للمصراع الأول فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع وتظمأ ، لأن سرورها بإطعام غيرها يقوم مقام شبعها وربها . وعلى هذا فقوله « ماضر » تقديره ماضرها ، والجار والمجرور التاليان في موضع الحال من فاعل « ضر » وقال الواحدى : الضمير في « منافعها » لليالي والأحداث : يعني أن منافع الليالي في مضره غيرها من الناس ، ثم فسر ذلك فقال : غذاؤها وربها في أن تجوع أيها المخاطب وتظمأ ، لولوعها بالإساءة بنا كأن ربها وشبعها في جوعنا وظمئنا قال : وروى : نجوع ونظمأ ، بالنون على ما ذكرنا من التفسير ، ويجوز أن يكون أن تجوع وأن تظمأ بالتاء خبراً عن الليالي ، والمعنى غذاؤها وربها جوعها وعطشها : أى لارى لها ولاشبع ، لأنها لا روى ولا تشبع من إهلاك الأنفس وإزهاق الأرواح وتقدير « ماضر في نفع غيرها » ما أثر في نفع غيرها بالضرر كأنه قال : منافعها في ضر غيرها .

(٣) الترحه : الاسم من الترح ؛ وهو الحزن — يقول : اعتد حزنى عليها فكأنى مت بها غمًا ، وماتت هى من شدة سرورها بحياتى بعد إياسها منى .

(٤) يقول : السرور حرام على فإننى بعد موتها بالسرور أعدده مما فأجنبه وأحرمه على نفسى .

تَعَجَّبُ مِنْ خَطِي وَلَفِطَى كَأَنَّهَا تَرَى بِحُرُوفِ السَّطْرِ أَغْرِبَةَ عُصْمَا^(١)
وَتَلْتَمِسُهُ حَتَّى أَصَارَ مِدَادَهُ مَحَاجِرَ عَيْنَيْهَا وَأُنْيَابَهَا سَحْمَا^(٢)
رَقَا دَمْعُهَا الْجَارِي وَجَفَّتْ جُفُونُهَا وَفَارَقَ حُجِّي قَلْبَهَا بَعْدَ مَا أَدْمَى^(٣)
وَلَمْ يُسَلِّهَا إِلَّا الْمَنَايَا وَلِئِمَّا أَشَدَّ مِنَ السَّقَمِ الَّذِي أَذْهَبَ السُّنْمَا^(٤)

(١١)

(١٢)

(١٣)

(١٤)

(١) تعجب - بحذف إحدى التاءين - أى تعجب ، والباء من قوله « بحروف »
للتجريد . والأغربة : جمع غراب . والعصم : جمع أعصم ، وهو الذى فى جناحه
بياض والغراب الأعصم نادر الوجود . قال التبريزى : إنها كانت تعجب من
كتابى - عند رؤيته - حتى كأنها تنظر إلى مالا يوجد ، كالغراب الأعصم ووجه
تعجبها أنه سافر عنها حتى يئست منه ، فلما نظرت إلى كتابه أكرثت النظر شغفاً به
لا عجباً حقيقياً ، قال ابن جني : شبه البياض الذى بين الأسطر بالبياض فى الغراب
الأعصم .

(٢) المهاجر : ما حول العينين . وسحما : سودا . يقول : لم تزل تقبل كتابى وتضعه
على عينيها حتى صارت أنيابها وما حول عينيها سودا بمداده - جبره - هذا :
ويقال لثم فاها - بالكسر - إذا قبلها ، وربما جاء بالفتح ، قال عمر بن أبى ربيعة -
وقيل لجبل بن معمر :

قالت وعيش أبى وحرمة إخواني لَا نَبْنَئُ الْحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجْ
نَفَرَجْتُ خِيفَةَ أَهْلِهَا فَتَبَسَّمتْ فَعَلْتُ أَنْ يَمِينَهَا لَمْ تَخْرُجْ
فَلَتَمْتُ فَأَهَا آخِذَا بَقْرُونِهَا شَرِبَ النَّزِيفُ بِيْرِدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ^(١)

(٢) رقا الدمع والدم : انقطع ، فأصله الهمز ؛ ولكنه لينة هنا للضرورة يقول :
لما ماتت انقطع ما كان يجرى من دمعها على فراقى ويبست جفونها عن الدمع وصليت
عنى بعدما أدمى حبي قلبها فى حياتها .

(٤) يقول : لم يسلبها عنى إلا الموت وقد ذهب به ما نالها من السقم جزعاً

(١) النزيف : المحموم الذى منع من الماء ، ونصب « شرب » على المصدر المشبه
به ، لأن لما قبلها امتص ريقها ، فكأنه قال شربت ريقها كشرب النزيف للماء
البارد ، والحشرج : الماء الذى يجرى على الرضراض صافياً رقيقاً ، والحشرج : كوز
صغير لطيف .

(١٥) طَلَبْتُ لَهَا حَظًّا فَقَاتَتْ وَفَاتَنِي وَقَدَّرَضِيَّتْ بِي لَوَرَضِيَّتْ بِهَا قِسْمًا^(١)
 (١٦) فَأَصْبَحْتُ أَسْتَسْقِي الْغَمَامَ لِقَبْرِهَا
 وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَسْقِي الْوَعْيَ وَالْقَنَا الصُّمَّا^(٢)
 (١٧) وَكُنْتُ قُبَيْلَ الْمَوْتِ أَسْتَعْظِمُ النَّوَى
 فَقَدْ صَارَتْ الصُّغْرَى الَّتِي كَانَتْ الْمُعْطَى^(٣)

على ، ولكن الذي أذهب ذلك السم كان أهد عليها من السم ، كما قال أبو تمام :

أقولُ وقد قالوا استراح بموتها
 من الكرب روح الموت شرًّا من الكرب
 ومثله له :

أجارك المكروه من مثله فاقرة نجتكَ من فاقرة^(١)

(١) يقول : إنما سافرت وفارقها لأطلب لها حظا من الدنيا ففاتتني هي بموتها وفاتني ذلك الحظ لأنني لم أدركه وكانت قد رضيت بي حظا من الدنيا لو كنت أنا قد رضيتها حظا لي

(٢) استسقى : طلب السقيا ، والغمام : السحاب . والوعى : الحرب ، والقنا : الرماح ، والصم : الصلاب . يقول : بعد أن كنت أستسقى الحرب والرماح دماء الأعداء صرت أستسقى السحاب قبراها فأقول : سقى الله قبرها - على عادة العرب في الدعاء للقبور بسقيا السماء - يعني تركت الحرب وجدأ بها واشتغلت بالدعاء لها : قالوا : وفيه نظر إلى قول الآخر :

وبرغني أصبحت أمنحك الودَّ وأهدي إليك صوب الغمام

(٣) قبيل : تصغير قبل ؛ والنوى البعد . يقول : كنت قبل موتها أستعظم فراقها فلما ماتت صارت حادثة الفراق صغيرة وكانت عظيمة ، يعني أن موتها أعظم من فراقها .

(١) الفاقرة : الداهية الكاسرة لفقر الظهر .

هَيِّبِي أَخَذْتُ الثَّارَ فِيكَ مِنَ الْعِدَا

(١٨)

فَكَيْفَ بِأَخْذِ الثَّارِ فِيكَ مِنَ الْحَمَى^(١)

وَمَا أُنْسَدَتْ الدُّنْيَا عَلَى لِيَصِيفُهَا وَلَكِنْ طَرْفًا لَا أَرَاكَ بِهِ أَعْمَى^(٢)

(١٩)

قَوَا أَسَفًا أَنْ لَا أَكِبَ مُقَبَّلًا لِرَأْسِكَ وَالصَّدْرِ الَّذِي مُلْنَا حَزَمًا^(٣)

(٢٠)

(١) يقول : اجعليني واحسيني بمنزلة من أخذ ثأرك من الأعداء لو قتلك فكيف أخذ ثأرك من العلة التي قتلتك ، وهي العدو الذي لا سبيل إليه قالوا وفيه نظر إلى قول عمران بن حطان :

وَلَمْ يُفْنِ عَنْكَ الْمَوْتَ يَا حَزَرَ إِذْ أَنَى رَجَالٌ بِأَيْدِيهِمْ سِيُوفٌ قَوَّاضِبٌ^(١)
وأحسن فيه أبو الحسن التهامي :

لَوْ كُنْتُ تُمْنَعُ خَاضَ نَحْوُكَ فِتْيَةً مِنَّا بِحَارَ عَوَامِلٍ وَشِيفَارٍ^(٢)
(٢) يقول : إنه قد صار لفقدها كالأعمى فانسدت عليه المسالك لذلك ، لا لأن الدنيا قد ضاقت .

(٣) الألف من قوله « قوا أسفا » : للندبة ؛ وأكب على الشيء : مثل انكب : أى انحنى على وجهه . والذى : أراد الذين ، حذف النون لطول الاسم بالصلة ، وقيل بل هى لفة فى تثنية « اللذ » وأنشدوا على ذلك قول الأخطل :

أَبْنَى كَلْبِيبٍ إِنَّ عَمَى اللَّذَّا كَسَرَ الْقِيُودَ وَفَكَّكَ الْأَغْلَالَ^(٣)
وقول الأشهب بن ربيعة - شاعر غنضم أدرك الجاهلية والإسلام :

وإن الذى حانت بفلج دِمَاؤُهُمْ مُمُّ الْقَوْمِ كُلِّ الْقَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدٍ^(٤)

(١) حمز : ترخيم حمزة ، وقواضب : قواطع :

(٢) عوامل : جمع عامل وعامل الرمح : صدره ، والمراد الرماح نفسها ، والشفار : جمع شفرة والشفرة ماعرض من الحديد وحدد ، والمراد السيوف .

(٣) يفتخر الأخطل على جرير ، وجرير من بنى كلب ، بمن اشتهر من بنى تغلب ومنهم الأخطل ، كعمرو بن كلثوم قاتل عمرو بن هند ، وأبى حنش عاصم بن النعمان قاتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو آكل للراير يوم الكلاب الأول .

(٤) بعده :

هو ساعدُ الدهر الذى يُتَقَى به وماضِرٌ كَف لا ينوء بساعد
وفلج : طريق تاخذ من طريق البصرة إلى اليمامة .

وَأَنْ لَا أَلَا فِي رُوحِكَ الطَّيِّبِ الَّذِي (٢١)
وَلَوْ لَمْ تَكُونِي بِنْتُ أَكْرَمِ وَالِدِ (٢٢)
لَكُنْ لَدَى يَوْمِ الشَّامِتِينَ يَوْمِهَا (٢٣)
تَقَرَّبَ لَا مُسْتَفْظًا غَيْرَ نَفْسِهِ (٢٤)
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فَوَادَ عَجَاجَةٍ (٢٥)
يَقُولُونَ لِي مَا أَنْتَ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ (٢٦)

كَأَنَّ ذَاكَ الْمَسْكُ كَانَ لَهُ جِسْمًا (١)
لَكَانَ أَبَاكَ الضَّخْمُ كَوْنُكَ لِي أُمًّا (٢)
فَقَدْ وَلَدَتْ مِنِّي لِأَنْفِهِمْ رَغْمًا (٣)
وَلَا قَابِلًا إِلَّا لِنَالِقِهِ حُكْمًا (٤)
وَلَا وَاجِدًا إِلَّا لِمَكْرُمَةِ طَفْمًا (٥)
وَمَا تَبْتَغِي مَا أَبْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسَمَّى (٦)

يقول : ما أشد حزني أن لا أكب عليك مقبلا رأسك وصدرك اللذين ملئا حزامه وعقلا . يتأسف لغيته لدى وفاتها وأنه لم يودعها قبل دفنها .

(١) يقول : ووا أسفى أنى لا ألقى روحك الطاهر الذى كان جسمه أى - جسم ذلك الروح - من المسك الذكى الشديد الرائحة .

(٢) الضخم : العظيم ؛ والجدة : تسمى أما ؛ يقول : لو لم يكن أبوك أكرم والد لكنت ولادتك إياى بمنزلة أب عظيم تنسبين إليه : أى إذا قبل لك أم أبى الطيب قام ذلك مقام نسب عظيم لو لم يكن لك نسب .

(٣) لذ : طاب ؛ والشامت : الفرح بمصيبة عدوه . ويومها : أى يوم موتها . ومنى تجريد . يقول : إن كانوا قد شمتوا بموتها فقد خلفت منى من يرغم أنوفهم : أى ياصقها بالرغام - التراب - أى يذلهم ويقهرهم .

(٤) يقول : ولدت منى رجلا تغرب عن بلاده : أى خرج عن بلده إلى الغربة لأنه لا يستعظم غير نفسه ، فأراد أن يغادر الدين كانوا يتعظمون عليه بغير استحقاق ، ولا يقبل حكم أحد عليه إلا حكم الله الذى خلقه

(٥) العجاجة : الغبار . يقول . ولا أسلك طريقا إلا قلب غبار الحرب ، ولا أستلذ طعام شئ إلا طعام المسكارم : يعنى لا أجد لذتى إلا فى الحرب والمسكارم .

(٦) ما أنت : قال بعض الشراح : أى ما أنت صانع . على حذف الخبر ، أو ما تصنع على حذف الفعل وإبراز الضمير . وقال العكبرى . «ما» واقعة على صفات من يعقل فإذا قال ما أنت فالمراد أى شئ أنت فتقول كاتب أو شاعر أو فقيه . يقول : يقول الناس لى لما يرون من كثرة أسفارى : أى شئ أنت فإننا نراك فى كل بلدة وما الذى تطلبه ؟ فأقول لهم : إن ما أطلبه أجل من أن يذكر اسمه ، يعنى قتل الملوك والاستيلاء على ملكهم .

كَأَنَّ بَيْنَهُمْ عَالِمُونَ بِأَنِّي جَلُوبٌ إِلَيْهِمْ مِنْ مَعَادِنِهِ الْيَتِيمَا^(١)
وَمَا أَلْجَمُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالْفَارِ فِي يَدَيَّ بِأَصْعَبَ مِنْ أَنْ أَجْعَ الْجَدَّ وَالْقَهْمَا^(٢)
وَلَكِنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ وَمُرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْقَشْمَا^(٣)
وَجَاهِلُهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ تَحِيَّتِي وَإِلَّا فَلَنْتُ السَّيِّدَ الْبَطْلَانَ الْقَرْمَا^(٤)
إِذَا فَلَّ عَزَمِي عَنْ مَدَى خَوْفٍ بَعْدِهِ فَأَبْعَدُ شَيْءَ مُمَكِّنٍ لَمْ يَجِدْ عَزَمًا^(٥)

(٢٧)

(٢٨)

(٢٩)

(٣٠)

(٣١)

(١) اليتيماء : مفعول للجلوب ، والضمير في « معادنه » لليتيم . يقول : إن أبناء هؤلاء الذين يسألون عن حالي وسفري كأنهم يعلمون أني أجلب إليهم اليتيم وأصيرهم يتامى بقتل آبائهم : أى فهم لذلك يخضوننى .

(٢) الجد : الحظ والبخت . يقول : إن الفهم والعلم والعقل لا تجتمع مع الحظ في الدنيا ، وليس الجمع بين الضدين كالماء والنار بأصعب من الجمع بين الحظ والفهم : أى فيها لا يجتمعان كما لا يجتمع الضدان ، وهذا كالتفسير لقول الحمدوى :

إِنَّ الْمُقَدَّمَ فِي حَذَقٍ بِصَنَعَتِهِ أَنَّى تَوَجَّهَ فِيهَا فَهُوَ مُحْرَمٌ

وقد وفينا القول على هذا المعنى في غير موضع من هذا الشرح .

(٣) بذبابه : أى بذباب السيف ، وإن لم يتقدم له ذكر ، لدلالة المقام . وذباب السيف حده ، والغشم : الظلم . يقول : لكننى إن لم أقدر على الجمع بين الجد والفهم أطلب النصرة بذباب السيف وأركب الظلم في كل حال ؛ يعنى أعظم أعدائى بسيفى .

(٤) القرم في الأصل : البعير الذى لا يحمل عليه وإنما يعد للفتلة ، وهو هنا السيد يقول ، وأحيى أعدائى يوم الحرب بسيفى : أى أجعله لهم بدل التحية ، كما قال عمرو بن معديكرب :

وَحِيلَ قَدْ دَلَفْتُ لَهَا بِحَيْلٍ تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجَمِيعٌ^(١)

(٥) قل : يروى بالفاء وبالقاف ، فبالفاء ، يرتفع « خوف » لأنه فاعل ، وبالقاف ينتصب على المفعول له ؛ وقل السيف : ثلثه ، استعاره للرمز على تشبيهه بالسيف ،

(١) المراد بالهيل : الفرسان ؛ ودلفت : دنوت وزحفت ، من دلف الشيخ : إذا

مشى مشيا لنا — وتحية مضاف ، وبينهم مضاف إليه مجرور بكسر النون ، لأنه ظرف منصرف . ووجيع بمعنى موجه ، والعرب تقول : تحيتك الضرب وعتابك السيف فهذا من هذا .

وَأَمَّا لِمَنْ قَوْمٌ كَانُوا نَفُوسًا
بِهَا أَنْفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ وَالْعَظْمَ^(١)
كَذَا أَنَا يَا دُنْيَا إِذَا شِئْتَ فَأَذْهَبِي
وَيَا نَفْسُ زِيدِي فِي كَرَاهِيهَا قُدَمَا^(٢)
فَلَا عَبَرَتْ بِي سَاعَةٌ لَا تُعِزُّنِي وَلَا صَحِبَتْنِي مُهْجَةً تَقْبَلُ الظُّلْمَ^(٣)

وقال يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة ، وكان أبو محمد قد كثرت مراسلته إلى أبي الطيب من الرملة ، فصار إليه ، فلما دخل الرملة أكرمه أبو محمد فدحه بهذه القصيدة :

والمدى: الغاية. وأبعد شيء : مبتدأ، خبره : يمكن. يقول: إذا أضعف عزمي عن غاية خوف بعد تلك الغاية فإن الممكن وجوده لا ينال أيضا إذا لم يكن لدى طالبه عزم : يعني لا يدرك شيء ألبته إلا بالعزم عليه ، وإذا كنت تحتاج إلى العزم لنيل القريب وتدركه بالعزم ، فأعزم أيضا على البعيد لتناوله ولا يمنعك منه خوف بعده فإنه يقرب بالعزم ويمكن .

(١) الأنف : الاستنكاف من الشيء . يقول : إني من قوم ديدنهم التعرض أبدا للحرب ليقتلوا ، فكان نفوسنا ترى السكنى في أجساد هي لحم وعظم عارا تأنف منه ، ومن ثم تتطلع لسكنى غيرها لتتخلص من هذا العار : أى تختار القتل على الحياة . قال الواحدى ولو قال : كأن نفوسهم لكان أوجه لإعادة الضمير على لفظ القبية ، لكنه قال نفوسنا لأنهم هم القوم الذين عناهم ، ولأن هذا أمدح .

(٢) الكراهة : جمع كراهية ، فصلة بمعنى مفعولة . يقول — للدنيا — : أنا كما وصفت نفسى لا أقبل ضيا ولا أسف لدنية فاذهبي عني إن شئت فليست أبالي بك؛ ويأنفس زیدی قدما — أى تقدما — فيما تكرهه الدنيا من التعزز والتعظم عليها وترك الانقياد لها . قال الواحدى : وإن شئت قلت فى كراهيها — أى فى كراه أهلها — يعنى زیدی قدما فى الحروب ، وهى — الحروب — مكروهة عند أهل الدنيا ، ولذلك تسمى الحرب الكراهية ، فيكون الكلام من باب حذف للضاف .

(٣) يقول : لا مرت بي ساعة — لحظة — لا أكون فيها عزيزا ، ولا صحبتي نفس تقل أن يظلمها أحد .

أَنَا لَا أَيْمَى إِنْ كُنْتُ وَقْتُ اللَّوَائِمِ عَلِمْتُ بِمَا بِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ ^(١)
 وَلَسِكُنِّي بِمَا شَدِدتُ مُتَيْمٍ كَسَالٍ وَقَلْبِي بِأَيْحٍ مِثْلُ كَانِمِ ^(٢)
 وَقَفْنَا كَأَنَّا كُلُّ وَجَدٍ قُلُوبِنَا تَمَكَّنَ مِنْ أَذْوَادِنَا فِي الْقَوَائِمِ ^(٣)
 وَدُسْنَا بِأَخْفَافِ الْمَطَى تَرَابَهَا فَلَا زِلْتُ أُسْتَشْفِي بِلَثْمِ الْمَنَاسِمِ ^(٤)

(١) أنا لا أَيْمَى : أى أنا لائِمٌ نفسى إن كنت الح . وأثبت ألف « أنا » : ضرورة لأنها لا تثبت لفظاً إلا فى الوقف . وقوله : رتت اللوائِم : أى وقت لوم اللوائِم . وللعالم أى معالم ديار الأُحبة ، وهى حيث تظهر علامات الراحلين عن الديار من آثار النار والدواب والحيام . يذكر وقوفه على ديار الأُحبة وما أصابه من الدهش والوجد لفرقتهم مما أذهب عقله حتى لم يشعر بما كان منه من الجزع والبكاء . يقول : إن كنت حين تلومنى اللوائِم على فرط جزعى علمت ما بى وما الذى دهانى هناك ، فأنا لا أَيْمَى : أى فأنا لائِمٌ نفسى فى قصور محبى ، لأن ثبات على وعقلى معى فى ديارهم بعد ارتحالهم دليل على أن هواى قاصر . وقال بعض الشراح : يعنى : إن كنت حين لامتنى اللوائِم على فرط جزعى وبكاى علمت بما عرأنى من ذلك فأنا لائِمٌ نفسى على تهتكى واستسلامى للوجد والعبء ، يذكر وقوفه فى ديار الأُحبة وما أدركه من الدهش والوجد لفرقتهم حتى انتهكت ستره ولم يعلم .

(٢) شدة الرجل - كدهش - فهو مشدوه : إذا نحر ، ويروى : بما ذهلت و« ما » قبله : مصدرية ، وللتيم : الذى تيمه الحب - أى عبده وذله - يقول : ولكننى من فرط دهشنى ذهلت عن إدراك ما خاضعتنى من الوجد ، فصرت كالسالى ، وباح قلبى بما فيه من أسرار الغرام وهو لا يعلم بما فعل فكان كأنه باق على السكتمان ، وعبرة الواحدى : ولكننى من فرط دهشنى وذهولى حتى كأننى ذهلت عن الهوى صرت كالسالى مع أنى متيم ، وباح قلبى بما فيه من الوجد وهو مع ذلك كالسكاتم ، لأنه لم يقصد البوح ولا يدرى ما فعل .

(٣) الأذواد . جمع ذود ، وهو ما بين الثلاثة إلى العشرة من من الإبل . يقول : أطلنا الوقوف هناك ، فكأن ما فى قلوبنا من الوجد حل فى قوائِم إبلنا ، لأنها وقفت ولم تبرح .

(٤) المناسم : جمع المنسم ، وهو الخنف كالسنبك للحافر . يقول : لما وطئت الإبل تراب تلك المعالم . جعلت أطلب شفاء ما بى بلثم - تقبيل - أخفانها ، لأنه علق بها ذلك التراب ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

دِيَارُ الْوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيْزَةٌ بِطُولِ الْقَنَا يُحْفَظْنَ لَا بِالتَّائِمِ
حِسَانُ التَّنْقِي يَنْقُشُ الْوَشْيُ مِثْلُهُ إِذَا مِسْنَ فِي أَجْسَامِهِنَّ الْنَوَائِمِ (٢)
وَيَبْسِمْنَ عَنْ دُرٍّ تَقْلَدْنَ مِثْلُهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِهَا سِيمِ (٣)
فَمَا لِي وَلِلدُّنْيَا طِلَابِي نُجُومَهَا وَمَسْعَايَ مِنْهَا فِي شُدُوقِ الْأَرَاقِمِ (٤)

أَمْسَحُ الرَّبْعَ بِخَدِّي أَنْ مَشَى فِيهِ الْخَلِيلُ

(١) القنا : الرماح . والتائم : جمع تيمة ، العودة . يقول : ديارهن منبعا لا يتوصل إليها ، وهن يحفظن بالرمح لا بالعود .

(٢) الوشي : النقش في الثوب وهي الثياب المنقوشة . و«مسن» تبخرن . يقول : لنعومة أبدانهن ورقتهن إذا مشين متبخرات ينقش الوشي في جلودهن مثل صورته ، كما قال السري الرفاء :

رَقَّتْ عَنِ الْوَشْيِ نَعْمَةٌ فَإِذَا صَافَحَ مِنْهَا الْجُسُومَ وَشَاهَا
وفي مثل هذا يقول الآخر :

رَقَّ فَلَوْ مَرَّتْ بِهِ نَمْلَةٌ مُنْمَلَةٌ أَرْجُلُهَا بِالْحَرِيرِ
لَأَثَرَتْ فِيهِ كَمَا أَثَرَتْ مُدَامَةً فِي عَارِضٍ مُسْتَدِيرِ

« العارض : الخد »

(٣) التراقي : جمع ترقوة ، وهي العظام التي فوق الصدر . والباسم : جمع البسم ، الثغر . يقول : إن نعورهن في الصفاء وحسن النظم مثل الدر الذي تقلدنه ، فكأن تراقيهن حليت بشعورهن ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

تِلْكَ الثَّنَائِيَا مِنْ عِقْدِهَا نُظِمَتْ أَمْ نُظِمَ الْعِقْدُ مِنْ ثَنَائِيَا

(٤) طلابي : أي مطلوبي ، مبتدأ ، خبره : نجومها . والأراقم : ذكور الحيات . يشكو الدنيا وأنها لا تسمعه ولا تحقق ما يطلبه . يقول : مالي وللدنيا أطلب معالي الأمور وأنا مرتبك في نوائبها وخطوبها ؟ يعني أن الدنيا عكست عليه الأمر ، هو يطلب المعالي وهي تدفعه عنها بما توقعه فيه من النوائب . وكفى بنجوم الدنيا عما فيها من الشرف والمجد والذكر . وبشدوق الأراقم عن الخطوب المهلكة والنوائب المفضلة .

مِنَ الْحِلْمِ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْجَهْلَ دُونَهُ
 إِذَا اتَّسَعَتْ فِي الْحِلْمِ طُرُقُ الْمَظَالِمِ ^(١)
 وَأَنْ تَرِدَ الْمَاءَ الَّذِي شَطَرُهُ دَمٌ
 فَتَشْقَى إِذَا لَمْ يُسَقَ مَنْ لَمْ يُزَاحِمِ ^(٢)
 وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ مَعْرِفَتِي بِهَا
 وَبِالنَّاسِ رَوَى رُحْمَهُ غَيْرَ رَاحِمِ ^(٣)
 فَلَيْسَ بِمَرْحُومٍ إِذَا ظَفَرُوا بِهِ
 وَلَا فِي الرَّدَى الْجَارِي عَلَيْهِمَ بَأْسِمِ ^(٤)

(١) الحلم : الأناة والعقل . الجهل : هنا - نقيض الحلم . والمظالم : جمع المظلمة - بكسر اللام - وهي الظلم . يقول : إذا كان حملك داعياً إلى ظلمك ، فإن من الحلم أن تجهل لأن الحلم إنما يلجأ إليه لتدارك الشر ، فإذا تفاقم به الشر ولم يتدارك الشر إلا بالجهل كان الجهل حلاً ، كما قال النابغة الجعدي :

فَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ بُوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكْذَرَا
 وهذا معنى قد تداوله الناس من قديم ؛ قال العكبري : وهو من كلام الحكميم :
 ثلاثة إن لم تظلمهم ظلموك : ولدك ، وزوجتك ، وعبدك : فسبب صلاحهم التعدي عليهم .
 (٢) شطره : نصفه . يقول ومن الحلم أن ترد الماء الذي كثر القتل عليه حتى
 امتزج بدماء للقتولين عليه . يعني أن زاحم على الأمر المتنافس عليه . وبعبارة أخرى .
 من المحلم أن زاحم من يزحمك حتى ترد الماء وقد كثر عليه القتل والقتال حتى صار
 نصفه من دم القتلى ، فتشرب منه حيث لا يمكن أن يشرب إلا المهجوم الذي يزاحم
 الناس . وهذا المعنى ينظر إلى قول القائل :

لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا مَنْ قَلِبَ دَمٍ وَلَا يَبِيتُ لَهُ جَارٌ عَلَى وَجَلٍ
 (٣) و (٤) يقول : من عرف الناس حق المعرفة - كعمر فق أنا بهم - قتلهم غير
 راحم لهم ، لأنهم إذا ظفروا بمن عرفهم لم يرحموه ، فإذا قتلهم - والحالة هذه - فلا
 إنم عليه ، على أنه إن لم يبادر بقتلهم فإنهم ميتون ألبتة حتف أنوفهم . وهذا هو
 مغزى قوله : « الردى الجارى عليهم » .

إِذَا صَلُّتُمْ لَمْ أَنْزُكْ مَصَالاً لِصَائِلٍ وَإِنْ قُلْتُمْ لَمْ أَنْزُكْ مَقَالاً لِعَالِمٍ (١)
وَلَا فَخَانَتْنِي الْقَوَافِي وَعَاقَفَنِي عَنْ ابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ ضَعْفُ الْقَزَائِمِ (٢)
عَنِ الْمُقْتَنَى بَذَلَ التَّلَادِ تِلَادَهُ وَتُجْتَنَّبُ الْبُخْلُ أَجَقِنَابِ الْحَارِمِ (٣)
تَمَنَّى أَعَادِيهِ مَحَلَّ عَفَاتِهِ وَتَحْسُدُ كَفَيْهِ نِقَالُ الْغَنَائِمِ (٤)
وَلَا يَتَلَقَّى الْحَرْبَ إِلَّا بِمُهْجَةٍ مُعْظَمَةٍ مَذْخُورَةٍ لِلْعِظَائِمِ (٥)

(١) صال عليه : وثب واستطال ، يريد أنه بلغ الغاية في الشجاعة والعلم ، فلذا صال أو قال أو في طى الغاية وكفى غيره ، وكان القدم الذى لا يجارى ولا يشق له قبار .
(٢) يقول : وإن كنت كاذبا فيما قلت فلا وفى لي القوافي - أى الشعر - حتى أعجز عن نظمها ، وضمعت عزيمتى فى قصد المدوح حتى يعوقنى عنه ضعف عزى : أى فلا أصل بقعودى عنه إلى المطلوب ، ويكون حرمانى من إنضاله كاللقوبة لى طى ذلك .

(٣) التلاد والتلبد : المال القديم الموروث ، نقيض الطارف والطريف . يقول : عن الذى يحرص على بذل ماله التلاد كما يحرص غيره على حفظ تلاده . وعبرة الواحدى : أى عن الذى يدخر البذل مالا فيقوم بذل ماله مقام ما يقتنيه ؛ يعنى أنه يلزم البذل ملازمة المال المقتنى . وعبرة الخطيب التبريزى : أى إلى الجاعل بذل التلاد تلادا له يهب التلاد ويجعل بذله تلادا له ، هذا : وخص « التلاد » لأنه إذا كان هذا فعله بالمال القديم ، فكيف بالحادث ؟

(٤) تمنى - محذف - إحدى التامين - أى تمنى ؛ والعفاة : جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والغنائم : السحائب ، وأراد بكونها ثقالا : أن ماءها كثير . يقول : إن أعداءه يتمنون أن يكونوا فى مكان عفاة منه ، لأن عفاة منه فى أمان من نوايب الدهر ، وهذا أقصى ما يتمناه أعداؤه . ويجوز أن يكون المعنى : أن عفاة يغيرون على أمواله ويترقبون فى نعماته ، وهذا ما يتمناه أعداؤه ، ثم قال : إن السحاب الثقيل بالماء يحسد كفيه ، لأنها أندى منه ، فلماذا يحسدهما لعجزه عن إدراكها .

(٥) المهجة : النفس . يقول : ولا يستقبل الحرب إلا بنفس مرفوعة عن الدنيا لا تسف لأمر دنى ، وهى مدخرة لكفاية الأمور العظيمة التى لا تسفى إلا بمثله .

وَذِي لَبٍ لَأَذُو الْجَنَاحِ أَمَامَهُ بِنَاجٍ وَلَا الْوَحْشُ الْمُتَّارُ بِسَالِمٍ^(١)
تَمَرُهُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ تُطَالِعُهُ مِنْ بَيْنِ رِيشِ الْقَشَاعِمِ^(٢)
إِذَا ضَوْؤُهَا لَاقَى مِنَ الطَّيْرِ فُرْجَةً تَدَوَّرَ فَوْقَ الْبَيْضِ مِثْلَ الدَّرَاهِمِ^(٣)

(١) وذى لب : عطف على مهجة ، أى ولا يتلقى الحرب إلا بجيش ذى لب الخ .
واللجب : اختلاط الأصوات . والثار : الذى أثاره الخوف من مكمنه . قال ابن فورجه :
المعنى عندى أن هذا الجيش جيش ملك تصعبه الفهود والبزاة والكلاب ، فلا الطائر
يسلم منه ولا الوحش ، قال : ونكت بقوله « الثار » ، فإن الجيش الكثير يشتر
ما كمن من الوحوش ، لأجل ذلك قال مالك بن الرب :

بجيشٍ لُهامٍ يَشْمَلُ الْأَرْضَ جَمْعُهُ عَلَى الطَّيْرِ حَتَّى مَا يَجِدَنَّ مَنَازِلًا
وقال التبريزى . إذا طار ذو الجناح أمامه فليس بناج لكثرة الرماة فى الجيش ، وأن
ثار وحش أخذ ، وقال ابن جنى : الجيش يصيد الوحوش والعقبان فوقه تسايه :

* ثِقَّةٌ بِالشَّيْبِ مِنْ جَزَرِهِ *

فتخطف الطير أمامه ؛ قال ابن فورجه - ناقدآ - : صيد الطير بالنبل والسهم مستمر
معتاد ، فلم ينسبه إلى العقبان ولا مدح فى ذلك من فعلها ، فإنها تصيد الطير وإن لم تصحب
جيش المدوح .

(٢) القشاعم : النسور . يقول : تمر الشمس على هذا الجيش وهى ضعيفة من شدة
غبارها أو من كثرة عقبانها التى تخيم عليه وتتبعه ، ولا ينفذ ضؤؤها إليه إلا من خلال
ريش النسور ، وهو ما ذكره فى البيت التالى .

(٣) الفرجة - بضم الفاء - الحلل بين الشيتين : أى الانفراج ، أما بفتح الفاء فهى
التفصى من الهم ونحوه ، قال أمية بن أبى الصلت :

لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقَدْ تَكُنْ شَفُّ عَمَّاوُهَا بَغِيرِ احْتِيَالٍ
رُبَّمَا تَكْرَهُ الثُّفُوسُ مِنْ الْأَمْرِ مِرْلُهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ
والبيض : جمع بيضة ؛ وهى الخوذة ، شبه ما يتساقط من الضوء فى فرج أجنحة
الطير بالدراهم ، وشبهه فى موضع آخر بالدنانير ، وهو قوله :

وَأَلْتَقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفَرُّ مِنَ الْبَنَانِ
يريد هنا أنه لكثرة اشتبائك أجنحة الطير فوقه لا يصل إليه ضوء الشمس إلا من
منافذ ضيقة فيقع مستديرا .

- وَيَخْنِي عَلَيْكَ الْبَرْقُ وَالرَّعْدُ فَوْقَهُ^(١) مِّنَ اللَّعْنِ فِي حَافَاتِهِ وَالْهَمَامِ^(٢)
أَرَى دُونَ مَا بَيْنَ الْفَرَاتِ وَبَرْقَةٍ^(٣) ضِرَابًا يُمَشِّي الْخَيْلَ فَوْقَ الْجَاهِجِ^(٤)
وَطَمَنَ غَطَارِيفٍ كَأَنَّ أَكْفَهُمْ^(٥) عَرَفْنَ الرَّدِينِيَّاتِ قَبْلَ الْمَعَامِ
حَتَّى عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
سُيُوفُ بَنِي طَنْجِجِ بْنِ جُفِّ الْقَمَاقِمِ^(٦)
هُمْ الْمُخْسِنُونَ الْكَرَّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى وَأَخْسَنُ مِنْهُمْ كَرُّهُمْ فِي الْمَكَارِمِ^(٧)

(١) حافاته : جوانبه . والهمام : جمع مهمة . وهو صوت يتردد في الصدر لا يفهم يقول : لكثرة ما في ذلك الجيش من برق الأسلحة ولعائها يخنق عليك البرق إذا برقت السماء فلا تعرفه لثقله ضوئها عليه ، ولكثرة ما فيه من الأصوات وشدها يخفي عليك الرعد .

(٢) الفرات : النهر المعروف ؛ وبرقة : قرية في العراق . يقول : أرى دون وصول الأعداء إلى هذا الموضع محاربة بالسيوف يكثر فيها قطع الرؤوس حتى تطأها الخيل فتمشي فوق جماجم القتلى .

(٣) طمن : عطف على « ضرابا » . والغطاريف : جمع غطريف ، وهو السيد الكريم . والردينيات : جمع رديني ، وهو الرمح ، نسبة إلى ردينة ، امرأة من العرب كانت تقوم الرماح ، والمعاصم : جمع معصم . وهو موضع السوار من الساعد . يصف قوم المدوح يقول : لحذقهم بالطعان كأنهم عرفوا الرماح قبل أن تشد على سواعدهم : أي في طفولتهم .

(٤) الضمير في « حتمه » : عائد على « ما بين الفرات وبرقة » . وطنجج بن جف : جد المدوح — قال ابن جني : والأجود أن تكسرهما وتحذف التنوين لا لتقاء الساكنين . وطنجج — في الأصل — بضم النين ، وإنما غيره لأن العرب إذا نطقت بالأعجمي اجترأت على تغييره كيف شاءت . والقاقم : جمع ققام ، وهو السيد العظيم ؛ وأصله البحر ، وكان حق الجمع « قاقم » . ولكنه حذف الياء ضرورة . يقول : جعلت سيوفهم هذا المكان حامي على الأعداء فلا يهومون حوله ولا يستطيع أحد أن يصل إليه من أية ناحية من نواحيه لمكانهم — بنى طنجج — من القوة والشجاعة .

(٥) الكر : الرجوع على العدو بعد الفر ، للجلولان في الحرب ، وحومة كل شيء معظمه والوغى : الحرب . يقول : إنهم يكرون في الحرب على أعدائهم ، وكذلك يعددون

وَمَنْ يُخْسِنُونَ الْعَفْوَ عَنْ كُلِّ مُذْنِبٍ وَيَحْتَمِلُونَ الْفُرْمَ عَنْ كُلِّ غَارِمٍ (١)
 حَيِّونَ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي نَزَاهِمٍ أَقْلٌ حَيَاءٌ مِنْ شِفَارِ الصَّوَارِمِ (٢)
 وَلَوْلَا اخْتِفَارُ الْأُسْدِ شَبَهَتْهَا بِهِمْ وَلَكِنَّهَا مَعْدُودَةٌ فِي الْبَهَائِمِ (٣)
 سَرَى النُّومُ عَنِّي فِي سُرَايَ إِلَى الَّذِي صَنَائِمُهُ تَسْرِي إِلَى كُلِّ نَائِمٍ (٤)
 إِلَى مُطْلِقِ الْأَسْرَى وَتُخْتَرِمُ الْعِدَا وَمُشْكِي ذَوِي الشُّكْوَى وَرَغِمَ الْمُرَاغِمِ (٥)

في للكارم فيضاعفونها ، فهم يفعلون ذلك مرة بعد مرة ولا يقتصرون في الأمرين على مرة واحدة .

(١) الفرم : ما يلزم الرجل أداؤه من دية أو ضمان أو غير ذلك ؛ والرجل غارم : أي لزمه ما يفرم عنه .

(٢) الشفار : جمع شفرة ، وهي حد السيف ، والصوارم السيوف القواطع : يقول هم حيون إلا في وقت الحرب ، فإنهم فيها صفاق الوجوه لا يلبثون لأقراهم . وهذا من قول بكر بن النطاح :

يَتَلَقَّى النَّدَى بِوَجْهِهِ حَيًّا وَصَدُورَ الْقَنَا بِوَجْهِهِ وَقَاجَ

(٣) قال العكبري يقول: الأسد - وهي جمع أسد - معدودة من البهائم ، ولولا ذلك لكنت أشبهها بهم ، فأقول الأسد مثلهم ، وإنما يقع التشبيه للمفضول بالفاضل إذا كانت بينهما مناسبة ، ولا مناسبة بين هؤلاء وبين الأسود إلا بالإقدام . قال : وهذا البيت مما وقع فيه جماعة من الناس فينشدونه شبهتهم بها . وهو على الظاهر بين ، وإنما أغرب أبو الطيب .

(٤) السرى : السير ليلا . والصنائع : جمع صنعة ، وهي المعروف . يقول: ذهب النوم عني في مسيرى إليه - المدوح - وهو الذي تسير عطاياه إلى كل نائم عن قصده . فضلا عما يقصده . هذا : ويقال : سرى ومسرى وأسريت - بمعنى - إذا سرت ليلا ، بالألف لغة أهل الحجاز ، وجاء القرآن العزيز بهما جميعاً ، قال تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا » وقال سبحانه « والليل إذا يسر » ؛ وقال حسان بن ثابت .

حَيِّ النَّصِيرَةِ رَبَّةَ الْخِذْرِ أَسْرَتْ إِيَّاكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي

(٥) اخترمهم الدهر : أهلكهم واستأصلهم . ومشكى - من أشكى الرجل : إذا

- كَرِيمٌ نَفَضْتُ النَّاسَ لَمَّا بَلَغْتُهُ كَأَنَّهُمْ مَاجِفٌ مِّنْ زَادٍ قَادِمٍ^(١)
وَكَادَ سُرُورِي لَا يَنِي بِنَدَامَتِي عَلَى تَرْكِهِ فِي عُمُرِي الْمُتَقَادِمِ^(٢)
وَفَارَقْتُ شَرَّ الْأَرْضِ أَهْلًا وَتُرْبَةً بِهَا عَلَوِي جَدُّهُ غَيْرُ هَاشِمٍ^(٣)
بَلَى اللَّهُ حُسَادَ الْأَمِيرِ بِحِلْمِهِ وَأَجَلَسَهُ مِنْهُمْ مَكَانَ الْعَامِمِ^(٤)
فَإِنَّ لَهُمْ فِي سُرْعَةِ الْمَوْتِ رَاحَةً وَإِنَّ لَهُمْ فِي الْعَيْشِ حَزَّ الْفَلَاحِمِ^(٥)

أزلت شكواه - والمهزة فيه للسلب ، مثلها في قولهم : أعتبت الرجل : أى أزلت عتبه - أى أراضيته - والرغم : القهر والإذلال ؛ والمراغم : اللغاضب ؛ والمراغمة : اللغاضبة تقول : راغم أهله : أى نبذهم وتعمد عليهم وعاداهم . يقول : إنه بمن على الأسرى فيطلقهم من الإيسار ، ويختطف الأعداء في الحرب بسيوفه وأسنته ، ويزيل شكوى ذوى الشكوى بالإحسان إليهم ويرغم - يذل - للمراغم : أى الذى راغمه وبنافضه .

(١) يقول : نقضت الناس لما بلغت نفص القادم حثالة زاده لاستغفائة عنها بعد القدوم وكذلك أنا : استغفيت به عن غيره .

(٢) يقول : لما اتصلت به عظم سرورى بهذا الاتصال فعظمت من أجله ندامتى على حرمانى من الاتصال به فيما مضى من عمرى حتى كاد هذا السرور لا ينى بذلك الندم . قالوا : وهذا الملقى مثل قول أبى فراس :

أَيَّامُ عَزْمِي وَنَفَازِ أَمْرِي هِيَ الَّتِي أَحْسَبُهَا مِنْ عُمُرِي
(٣) شر الأرض : قال ابن جنى : هى طبرية ، وفيها أعداء أبى الطيب الذين قال فيهم أنا نانى وعيد الأديعاء « البيت »

وتربة : عطف على « شر الأرض » وجملة « بها علوى » : نعت لتربة . يقول : لما اتصلت به فارقت أرضاً أهلها شر الأهل ، وتربة رجل يدعى نسبه إلى على وليس من ولده ، فليس بشريف .

(٤) يقول : ابتلى الله حساده بحلمه حتى لا يقتلهم ، ورفعه فوقهم حتى يكون منهم مكان عمامهم ؛ وذلك أن بقاءهم أصعب عليهم من الموت ، لأنهم يعيشون في ذلة وخوف كما بين ذلك في البيت التالى .

(٥) الفلاصم : جمع غلصمة ، وهى الموضع النأتى فى الحلق ، وقيل اللحم الذى بين الرأس والعنق . يقول : سرعة الموت راحة لهم من حسدهم ، لأن فى عيشهم وبقائهم سوتا يتجدد على مر اللحظات .

كَأَنَّكَ مَا جَاوَدْتَ مَنْ بَانَ جُودُهُ عَلَيْكَ وَلَا قَاتَلْتَ مَنْ لَمْ تَقَاوِمِ^(١)

* * *

وأقسم عليه أبو محمد أن يشرب فأخذ الكأس وقال ارتجالاً :

حَيِّتَ مِنْ قَسَمٍ وَأَفْدَى الْمُقْسِمَ أَمْسَى الْأَنَامُ لَهُ مُجَلًّا مُنْظَمًا^(٢)
وَإِذَا طَلَبْتُ رِضَا الْأَمِيرِ بِشُرْبِهَا وَأَخَذْتُهَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ الْأَحْرَمًا^(٣)

* * *

وحدث أبو محمد عن مسيرم في الليل لكبس بادية وأن المطر أصابهم فقال :

غَيْرُ مُسْتَنَكِرٍ لَكَ الْإِقْدَامُ فَلَمِنْ ذَا الْحَدِيثِ وَالْإِعْلَامُ
قَدْ عَلِمْنَا مِنْ قَبْلُ أَنَّكَ مَنْ لَمْ يَمْنَحِ اللَّيْلُ هَمَّهُ وَالْقَمَامُ^(٤)

* * *

(١) جاودنى : غالبنى فى الجود لجودته . أى كنت أجود منه . قال الواحدى : هذا تعريض بالذين يبارون المدوح فى الجود والشجاعة من حساده . يقول : أيها الإنسان الذى تباريه فى الجود ويظهر عليك جوده ، كأنك ما جاودته ، لأن الفضل والغلبة له عليك ، وكأنك لم تقاوم فى الحرب ، لأن من غلبك فى الحرب لم تنفعك محاربتك إياه . والمعنى أن مفاخرتهم - أى حساده - إياه - المدوح - لا تنفعهم إذ كانت الغلبة له .

(٢) الخطاب فى « حيت » : للقسم ؛ ومن قسم : فى محل نصب على التمييز « من » زائدة . وقوله أمسى الأنام له : فى موضع الحال من اللقسم ؛ ولك أن تجعلها فى موضع خفض على الصفة للقسم ، فيكون الضمير فى « له » عائدا على القسم ، لا للقسم .
(٣) يقول : إن شربها حرام ؛ وعصيان الأمير حرام ، لكن عصيانه أحرم من شربها فإذا شربها وترك عصيانه فقد ترك الأحرَمَ .

(٤) هم : ما بهم به .

وقال وقد كبست أنطاكية فقتل مهره الطخور والجر أمه :

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَفْنَحْ بِمَا دُونَ الْجُومِ^(١)
فَطَّعْ الْمَوْتَ فِي أَمْرِ صَغِيرٍ كَطَّعِ الْمَوْتَ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ^(٢)
سَتَبْكِي شَجْوَهَا فَرَسِي وَمَهْرِي صَفَّاحُ دَمْعِهَا مَاءُ الْجُسُومِ^(٣)
قَرَبْنِ النَّارِ ثُمَّ نَشَانِ فِيهَا كَمَا نَشَأُ الْعَذَارَى فِي النِّعَمِ^(٤)

(١) الغامرة : الدخول في المهالك ؛ والغمرات : الشدائد . وفي شرف : أى في طلب شرف . ومروم : مطلوب . يقول : إذا حاولت الشرف وخطرت بنفسك في سبيل الحصول عليه فلا تفنح بما دون أعلاه ؛ ولا ترض باليسير منه .

(٢) يقول : إن طعم الموت في الأمر الهين كطعمه في الأمر الشديد الصعب ، وإذن فلا سبيل للخاص إلا أن يقصد أسمى الأمور .

(٣) صفائح : فاعل « تبكى » وفرسى مفعول ، والشجو : الحزن ، وهو مصدر وضع موضع الحال ، على تقدير مشجوة شجوها ؛ ثم حذف العامل وأقيم المصدر مقامه ، على حد قوله تعالى « وأقسموا بالله جهد أيمانهم » والضمير : للصفائح أيضاً ؛ والصفائح جمع ؛ صفيحة ، السيف العريض . وماء الجسوم كناية عن الدم يقول : سبكي حزناتى فرسى ومهرى سيوف دمعا الدماء ؛ يشير إلى أنه سيقتل من قتلها فتكون دماء قتلاه التى تقطر من سيوفه دموا تبكى بها سيوفه . وكل هذا مجاز واستعارة - كما ترى - والمعنى : أنه سيقتل من قتل فرسه ومهره .

(٤) قرين - من قولهم قربت الإبل الماء : إذا وردته صبيحة ليلها - قال الواحدى : يريد أن السيوف وردت النار . وهذا قلب للمعهود ، لأن القرب إنما يستعمل في ورود الماء ، فجعل النار لهذه السيوف كالماء الذى ترده الشاربة ، والنار تهلك وتنفى ، وقد أتمت هذه السيوف وربتها تربية النعيم للعذارى ، يريد أنها تخلصت من الحبث وحسنت صنعها بحسن تأثير النار في تخليصها ، وإنما طبعت وصارت سيوفاً - بعد أن كانت زبراً - قطما - بالنار ، فذلك نشاؤها نشاء العذارى في النعيم ، وقرين : هى رواية ابن جنى وتروى قرين - من القرى - : ما يقرى به الضيف - أى جعلت النار قرى لها فنشأن بحسن القرى ؛ وتروى : قرين النار - بالبناء للعلوم - جعل السيوف بما تؤديه إلى النار من الحبث قارية لها . وكان حكم النماء أن يكون للقرى - للقاءى - فهكس موجب القرى بأن جعل النشاء - النشاء - للقاءى .

- وَفَارَقَنَ الصَّيَاقِلَ مُخْلَصَاتٍ وَأَيْدِيهَا كَثِيرَاتُ الْكُلُومِ^(١)
 يَرَى الْجَبْنَاهُ أَنَّ الْمَجْزَ عَقْلٌ وَتِلْكَ خَدِيدَةُ الطَّنْبِجِ اللَّثِيمِ^(٢)
 وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي وَلَا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ^(٣)
 وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتُهُ مِنَ الْفَنَمِ السَّقِيمِ^(٤)
 وَلَكِنْ تَأْخُذُ الْأَذَابُ مِنْهُ عَلَى قَدْرِ الْقَرَأْنِ وَالْمُلُومِ^(٥)

(١) الصياقل : جمع صيقل ، وهو القين الذي يصنع السيوف . ومخلصات : أى خالصات من الخبث . والكلوم : الجراح : جمع كلم . يقول : إن الصياقل لم تستطع أن تحفظ أيديها من هذه السيوف لشدة مضائها ، فأيدى الصياقل جراح منها .
 (٢) الجبان : نقيض الشجاع . يقول : إن لؤم طبع الجبان يره العجز عن افتحام العظام في صورة العقل حتى يظن أن عجزه وجريه على حكم الجبن عقل ، وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك لسوء طبعه الرديء وصغر همته .
 (٣) تغنى : من الغناء : يقول : إن الشجاعة كيفما كانت وفيمن كانت تغنى صاحبها وتكفيه مؤنة الحسف والعار ، ولكن الشجاعة في الحكيم لا تقاس بها الشجاعة في غيره لأنها تكون حينئذ مقرونة بالحزم ، فتكون أبعد عن الفشل ، يريد أن العقل لا يغنى عن الشجاعة وهى تغنى كيفما كانت فتستغنى عن العقل ، ولكن إذا اجتماعا تعززت الشجاعة بالعقل . هذا : ومثل - من قوله ولا مثل - اسم لا ، وإن كان مضاعفا إلى معرفة ، لأنه من الأسماء التى لا تتعرف بإضافتها إلى المعارف ، والخبر محذوف : أى ولا مثل الشجاعة في الحكيم موجودة .

(٤) الآفة : العاهة ؛ والضمير في آفته : للعقول ، وهذا المعنى من قول أبى تمام - وقد قال له أبو سعيد الضرير : يا أبا تمام لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال له : يا أبا سعيد : لم لا تفهم ما يقال ؟

(٥) القرية - في الأصل - : أول ما يخرج من البرحجين تحفر ؛ وقرية الإنسان : طبيعته التى جبل عليها ، لأنها أول خلقته ، ويقال لفلان قرية جيدة ، يراد إستنباط العلم بمجودة الطبع . يقول : إن كل أذن تأخذ مما تسمع على قدر قرية صاحبها وعلمه : يعنى أن الغبي الجاهل إذا سمع شيئا لم يفهمه ولم يعلمه وكل أحد يدرك ما يسمع على قدر طبعه وعلمه ، فإذا عاب إنسان قولا صحيحا فذلك لأنه لم يفهمه ، وإنما آى من سقم

وسار أبو الطيب من الرملة يريد أنطاكية في سنة ست وثلاثين ، فنزل بطرابلس وبها إسحاق بن إبراهيم الأعمور بن كيفلغ ؛ وكان جاهلا ، وكان يحالسه ثلاثة نفر من بني حيدرة ، وكان بينه وبين أبي الطيب عداوة قديمة ، فقالوا له : أنحب أن يتجاوزك ولا يمدحك ؟ وجعلوا يفرونه ، فراسله أن يمدحه ، فاحتج عليه بيمين لحفته لا يمدح أحدا إلى مدة ، فعاقه عن طريقه ينتظر المدة ، وأخذ عليه الطريق وضبطها ؛ ومات النفر الثلاثة الذين كانوا يفرونه في مدة أربعين يوما ؛ فجهأ أبو الطيب ، وأملاها على من يثق به ، فلما ذاب الثلج خرج كأنه يسير فرسه وسار إلى دمشق ، فأتبعه ابن كيفلغ خيلا ورجلا ، فأعجزهم ، وظهرت القصيدة وهي :

لَهْوَى الثُّفُوسِ سَرِيرَةٌ لَا تُعْلَمُ عَرَضًا نَظَرْتُ وَخِلْتُ أَنِّي أَسْلَمُ ^(١)
يَا أُخْتُ مُعْتَنِقِ الْفَوَارِسِ فِي الْوَعَى لِأَخُوكِ نِمَّ أَرْقُ مِنْكَ وَأَرْحَمُ ^(٢)
يَرْنُو إِلَيْكَ مَعَ الْعَفَافِ وَعِنْدَهُ أَنَّ الْمَجُوسَ تُصِيبُ فِيمَا تَحْكُمُ ^(٣)

قريبته . هذا معنى رائع بديع ، وهو كثير ، قال جل شأنه : « وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم » ، وقال أبو العلاء المعري :

والنجم تستصفرُ الأبصارُ صورتَهُ والذنبُ للطرف لا للنجم في الصفر

(١) لهوى الثفوس : يروى لهوى القلوب . والسريرة السر : وعرضا أى جفأة واعتراضا عن غير قصد ، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق : أى نظرت نظرا عرضا ، فيكون صفة مصدر محذوف : وخلت : حسبت . يقول : إن سر الهوى لا يعرف ولا يدري من أين يأتي ويتسرب إلى قلب العاشق ، كما قال :

إن المحبة أمرها عجبٌ تلقى عليك وما لها سببٌ

ثم قال : إني نظرت إليها عن غير قصد - يعنى إلى المحبوبة - فعمقتها وكنت أظن أنى أسلم من هواها .

(٢) و (٣) معتنق الفوارس : وصف للشجاع ؛ لأنه يعتنقهم عند الضرب بالسيف . والوعى : الحرب . ونم : هناك . ورنأ إليه يرنو : أدام النظر . وقد اضطررت كلمة

الشراح في هذين البيتين ، قال ابن جني : يرميه بأخته وبالأبنة وثم إشارة إلى المكان الذي يحلو فيه للحال المكروهة ، ويجوز أن تكون إشارة إلى موضع الحرب ، يصفه بالجبن ؛ وقال العروضي : شيب بامرأة أخوها مبارز فتاك ؛ فقال لها : أخوك على قساوة قلبه وإراقة الدماء أرحم منك ؛ وكيف يرميه بالأبنة وبأخته وهو يقول ينو إليك مع العفاف ؟ وهذه العفة من جهة الإسلام ، وإلا فهو يرى أن تزوج الأخوات عند المجوس من حكمهم فمن حسنها يرى أن المجوس أصابوا في حكمهم . قال : وقد روى أن بشاراً كان في جماعة من نساء بداعهن ، فقلن له : ليتنا بتاك ، فقال : وأنا على دين كسرى . . . وقال ابن فورجه : عجب بامرأة ومدح أخاها وزعم أنها من بيت الفوارس الأنجاد ، كما قال في أخرى :

مَتَى تَزُرُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يَتَحَفُّوكَ بَغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
وكقوله أيضاً :

دِيَارُ اللّوَاتِي دَارُهُنَّ عَزِيزَةٌ بِطُولِ الْقَدَا يُحَفِّظَنَّ لَا بِالتَّمَامِ
وكقوله

* تَحُولُ رِمَاحُ الْخَطِّ دُونَ سِبَائِهِ *

ثم قال لحييته : أنت قاسية القلب ، وأخوك — على بسالته — إذا لقي العدو كان أرحم منك لي وأرق منك علي ، ثم أراد المبالغة في ذكر حسنها فقال : أخوك يود لو كان دينه دين المجوس فيتزوج بك ؛ ومن الدليل على النهاية في الحسن أن يود أخوها أنها تحل له ، ولهذا قال أبو بكر الخوارزمي .

* تَحْشَى عَلَيْهَا أُمُّهَا أَبَاهَا *

وقال أبو تمام في مثل هذا :

بِأَبِي مَنْ إِذَا رَأَاهَا أَبُوهَا قَالَ حُبًّا : يَا لَيْتَ أَنَا بَجُوسُ

ومثله لعبد الصمد بن العذل في جارية كان سميها بنته .

أَحِبُّ بُنْيَتِي حُبًّا أَرَاهُ يَزِيدُ عَلَى مَحَبَّاتِ الْبَنَاتِ

أَرَانِي مِنْكَ أَهْوَى قَرَصَ خَدِّ وَرَشْفًا لِلثَّنَائَا وَاللَّثَاتِ

وَالصَّاقَا بَبْطُنٍ مِنْكَ بَطْنِي وَضَمًّا لِلْقُرُونِ الْوَارِدَاتِ

وَشَيْنًا لَسْتُ أَذْكَرُهُ مَلِيحًا بِهِ يَخْطَى الْفَتَى عِنْدَ الْفَتَاةِ
أَرَى حُكْمَ الْمَجُوسِ إِذَا التَّقَيْنَا يَكُونُ أَحَلَّ مِنْ مَاءِ الْفَرَاتِ

هذا وقد قال أبو علي الفارسي : المجوس واليهود إنما عرفا على حد يهودى ويهود ومجوسى ومجوس ، ولولا ذلك لم يجز دخول الألف واللام عليهما ، لأنهما معرفتان مؤنثتان مجريا في كلامهم مجرى القبيلتين ولم يجعلهما كالحيين في باب الصرف ، وأنشد :

أَصَاحُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِيرُ اسْتِعَارًا^(١)

(١) قال ابن برى : صدر البيت لامرؤ القيس ، وعجزه للتوأم اليشكرى . روى أن امرأ القيس - وكان معنا عريضا - يتعرض الناس بالشر - ينازع كل من قال إنه شاعر - فأنى قتادة بن التوأم اليشكرى وأخويه الحارث وأبا شريح ؛ فقال لابن التوأم : إن كنت شاعرا فملط أنصاف ما أقول وأجزها فقال : نعم فقال امرؤ القيس :

* أَصَاحُ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنَا *

فقال ابن التوأم

* كَنَارِ مَجُوسَ تَسْتَعِيرُ اسْتِعَارًا *

فقال امرؤ القيس

* أَرَقْتُ لَهُ وَنَامَ أَبُو شَرِيحَ *

فقال ابن التوأم

* إِذَا قُلْتُ قَدْ هَذَا اسْتَطَارَا *

فقال امرؤ القيس

* كَأَنَّ هَزْبَهُ بُورَاءَ غَيْبَ *

فقال ابن التوأم

* عِشَارُ وَلَهُ لَاقَتْ عِشَارَا *

رَاعَتِكَ رَائِعَةُ الْبَيَاضِ بِعَارِضِي وَلَوْ أَنَّهَا الْأُولَى لَرَاعَ الْأُسْحَمُ^(١)

(١) رائعة البياض : الشعرة البيضاء التي تروع الناظر ، ورواها ابن جني : راعية البياض ، قال : والراعية من الشعر : أول شعرة تطلع من الشيب ، وجمعها رواع ، وأنشد :

أَهْلًا بِرَاعِيَةِ الشَّيْبِ وَاحِدَةً تَنْعَى الشَّبَابَ وَتَنْهَانَا عَنِ الْفَزَلِ
وَالْأُسْحَمِ : الأسود ، والعارض : صفحة الحد ، يقول : راعك - أفزعك - شيب
ولو كان أول لون الشعر بياضا ثم يسود لراعك الأسود إذا ظهر ، فلا تراعى - إذن -
بالبياض لأنه كالسواد .

فقال امرؤ القيس

* فَلَمَّا أَنْ عَلَا كُنْفِي أَضَاخ *

فقال ابن التوأم

* وَهَتْ أَعْجَازُ رَيْقِهِ لِحَارَا *

فقال امرؤ القيس

* فَلَمْ يَتْرُكْ بِذَاتِ السَّرِّ ظَلِيْمَا *

فقال ابن التوأم

* وَلَمْ يَتْرُكْ بِجِلْمَتِهِمَا حِمَارَا *

« هب وهنا : فالوهن بعد هده من الليل ، وتصغير بريقا تصغير التعظيم ، كقولهم دويبة ؛ وخص نار الجوس لأنهم يعبدونها . وقوله : أُرقت له : أى سهرت من أجله مرتقباً له لأعلم أين مصاب مائه ، واستطار : انتشر ، وهززه : صوت رعده ، وقوله بوراء غيب : أى بحيث أسمع ولا أراه . وقوله عشار وله : أى فاقدة أولادها ففى تكثر الحنين ، ولا سيما إذا رأت عشاراً مثلها ، فإنه يزداد حنينها . شبه صوت الرعد بأصوات هذه العشار من النوق . وأضاخ : اسم موضع ، وكنفاه : جانباه . وقوله : وهت أعجاز ريقه : أى استرخت أعجاز هذا السحاب ، وهى مآخيره كما تسيل القربة الحلق إذا استرخت ، وريق اللطال أوله ، وذات السر . موضع كثير الطباء والحمر ، فلم يبق هذا الطر ظليما به ولا حمارا إلا وهو هارب أو غريق . والجلمة ما استقبلك من الوادى إذا وافيته . »

لَوْ كَانَ يُفَكِّنِي سَفَرْتُ عَنْ الصَّبَا فَالشَّيْبُ مِنْ قَبْلِ الْأَوَانِ تَلَمُّ (١)
وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ فَلَا أَرَى يَقَقًا يُمِيتُ وَلَا سَوَادًا يَغْصِمُ (٢)
وَالْهَمُّ يُخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحْوَ سَافَةٍ وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ وَيُهْرِمُ (٣)
ذُو الْعَقْلِ يَشْقَى فِي النِّعَمِ بِعَقْلِهِ وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي الشَّقَاوَةِ يَنْفَعُمُ (٤)

(١) سفرت -- من سفور المرأة -- أى كشفها عن وجهها . يقول : لو أمكننى أن أظهر صباى لكشفت عنه فإنى حدث السن ، ولكن الشيب جار على عاجلا فسترشبابى فكانه تلمم بستر ما تحته من السواد . يعنى أن على شبابه لثاما من الشيب الذى عجل إليه قبل وقته .

(٢) اليقق : الأبيض ؛ ويغصم يحفظ . يقول : ليس يياض الشعر موجبا للموت فقد يعيش الشيخ ، وليس سراده وأقيا من الموت فقد يموت الشاب كما هو مشاهد .

(٣) نترم : يمتطع ويستأصل ؛ والجسيم : العظيم الجسم . والنحافة : الهزال ؛ ونصبه على التمييز . والناصية : شعر مقدم الرأس . يقول : إن الحزن إذا استولى على المرء أذهب جسم العظيم الأسد وهزله حتى يأتى عليه من الهزال ، ويشيب الناصى قبل الأوان حتى يصير كالهمرم من الضعف والعجز . يشير إلى علة مثليه ، وأن الهم هو الذى أهابه ، كما قال أبو نواس :

وَمَا إِنْ شِيتُ مِنْ كِبَرٍ وَلَسِكُنْ لَقِيتُ مِنَ الْحَوَادِثِ مَا أَشَابَا
(٤) يقول : إن العاقل يشقى وإن كان فى نعمة لتفكيره فى عاقبة الأمور وعلمه بتحول الأحوال ، والجاهل ينعم وهو فى الشقاوة لغفلته وقلة تفكيره فى العواقب ؛ قال البحتري :

أَرَى الْحَلْمَ بُوْسًا فِي الْمَعِيشَةِ لِلْفَتَى وَلَا عَيْشَ إِلَّا مَا حَبَاكَ بِهِ الْجَهْلُ
وقال أبو نصر بن نباتة :

مَنْ لِي بِعَيْشِ الْأَغْبِيَاءِ فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ مَنْ لَمْ يَعْلَمْ
وقال ابن المعتز :

وَحَالَاوَةُ الدُّنْيَا لِجَاهِلِهَا وَمَرَارَةُ الدُّنْيَا لِمَنْ عَقَلَا
وقال ابن مكيال :

الْعَقْلُ عَنْ دَرْكِ الْمَطَالِبِ عُقْلَةٌ عَجَبًا لِأَمْرِ الْعَاقِلِ الْمَعْقُولِ

وَالنَّاسُ قَدْ نَبَذُوا الْحِفَاطَ فَمُطْلَقٌ يَنْسَى الَّذِي يُؤَلَى وَعَافٍ يَنْدَمُ^(١)
لَا يَخْذَعَنَّكَ مِنْ عَدُوٍّ دَمْعُهُ وَأَرْحَمُ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوٍّ تَرْحَمُ^(٢)
لَا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ^(٣)
يُوْذِي الْقَلِيلُ مِنَ اللَّثَامِ بِطَبْعِهِ مَنْ لَا يَقِلُّ كَمَا يَقِلُّ وَيَلُومُ^(٤)

وَأَخُو الدَّرَايَةِ وَالنَّبَاهَةِ مُتَعَبٌ وَالْمَيْشُ عَيْشُ الْجَاهِلِ الْمَجْهُولِ
(١) نبذ الشيء: ألقاه وطرحه؛ والحفاظ: المحافظة على الحقوق والعهود؛
وأولاه كذا: أنعم به عليه. وعاف: من العفو عن الإساءة. يقول: إن الناس
لا يحافظون على الحقوق ولا يراعون الأذمة - جمع ذمة: الحرمة والحق - ويتركون
عرفان النعم، فمطلق من الإيسار ينسى إحسان مطلقه، وعاف عن سوء يندم لما يرى
من كفران صنيعته وعدم شكرها. قال ابن جني: الندم على كل حال غير مستحسن:
قال الحطيطه.

مَنْ يَقِلُّ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(١)
(٢) يقول: لا تنخدع بىكاء عدو يستعطفك ولا ترحمه وارحم نفسك منه فإنك إن
رحمته وأقيت عليه ثم ظفر بك لم يرحمك ولم يبق عليك.

(٣) يقول لا يسلم للشرى شرفه من أذى الحساد والمعادين حتى يقتل حساد
وأعداءه، فإذا أراق - سفك - دماءهم سلم شرفه، لأنه يصير مهيباً فلا يتعرض له،
قاله ابن جني: أشهد بالله لو لم يقل إلا هذا لكان أشعر الشعراء المجيدين ولكان له أن
يتقدم عليهم، قال العكبري: وهو منقول من كلام الحكيم: الصبر على مضض الرياسة
ينالك به شرف النفاسة.

(٤) القليل - هنا ليس قليل العدد وإنما هو الحسب الحقيق؛ واللثام جمع لثيم،
ضد الكريم. وضمير الفعلين الآخرين: للقليل يقول: إن اللثيم مطبوع على أذى
الكريم لعدم المشاكلة بينهما

« شوقي » إن الكرام مشاغل السفهاء

(١) قال ابن جني: ظاهره أن « جوازيه » جمع جاز. أى لا يعدم جزاء عليه
وجاز أن يكون جمع جزاء - لمشابهة اسم الفاعل للمصدر - فلما جمع « سيل » على
سبائل جاز أن يكون جوازيه جمع جزاء.

الظلمُ مِنْ شِمِّ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلَمِلَّةٌ لَا يَظْلِمُ^(١)
يَحْمِي ابْنَ كَيْفَلَخَ الطَّرِيقَ وَعِزُّهُ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهَا الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ^(٢)

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي بَقِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللَّثَامِ وَلَا تَرَى شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
« الطرماح بن حكيم »

(١) الشيم : جمع شيمة ، وهى الخليفة والطبيعة ، ومن شيم النفوس : يروى فى خلق النفوس . يقول . إن الناس جبلوا على الظلم ، فإذا رأيت عفيفا لا يظلم فأما تركه الظلم لمة كالحوف والعجز ونحوهما ؛ قال العكبرى : وهو من كلام الحكميم : الظلم من طبع النفس ، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين . إما علة دينية ؛ أو علة سياسية ، كخوف الانتقام منها

(٢) قال الواحدى : إنما قال هذا لأنه - ابن كيفلخ - كان قد أخذ الطريق على المتنبي حين سأله أن يمدحه فلم يفعل وهرس . ، ومعنى البيت من قول الفرزدق :
وَأُنَحَّتْ أُمِّكَ يَا جَرِيرُ كَأَنَّهَا لِلنَّاسِ بَارِكَةٌ طَرِيقُ مُعَمَّلٍ
وقد أبدع ابن الرومى فى مثل هذا إذ يقول فى امرأة ابن المعلم :

وَتَبَيْتُ بَيْنَ مُقَابِلٍ وَمُدَابِرٍ مِثْلَ الطَّرِيقِ لِمُقْبَلٍ وَلْمُدْبِرِ
كَأَجْبَرِي الْمِنْشَارَ يَغْتَوِرَانِهِ مُتَنَازِعِيهِ فِي فَلَجٍ صَنْوَبِرِ
وَتَقُولُ لِلضَّيْفِ الْمَلِمُ بِسَاحَةِ إِنْ شِئْتُ فِي أَسْتِي فَأَتْنِي أَوْ فِي حَرِي
أَنَا كَمَبَةُ النَّيْكِ الَّتِي خَلَقَتْ لَهُ فَمَلَقَ مِنِّي حَيْثُ شِئْتَ وَكَبُرِ
أَنَا زَوْجَةُ الْأَنْعَمَى الْمُبَاحِ حَرِيمُهُ

أَنَا عِرْسُ ذِي الْقَرَنَيْنِ لِأَبِي الْإِسْمَكَنْدَرِ
قَالَتْ إِذَا أَفْرَدْتُ عِدَّةَ نَيْكِيهَا تَدْعُوا عَدِمْتُ الْفَرْدَ عَيْنَ الْأَعْوَرِ
فَإِذَا أَصَفْتُ إِلَى الْفَرِيدِ قَرِينَهُ قَالَتْ عَدِمْتُ مُصَلِّيًّا لَمْ يَوْتِرِ
مَا زَالَ دَبْدَنَهَا وَذَلِكَ دَيْدَنِي حَتَّى بَدَأَ عِلْمُ الصَّبَاحِ الْأَزْهَرِ
أَزِي مَشِيمَتَهَا بِرَأْسِ مُلْكِهِ رِيَّانَ مِنْ مَاءِ الشَّبِيَّةِ أَعْجَبُ

أَقِمِ السَّالِحَ فَوْقَ شُفْرِ سَكِينَةٍ إِنَّ الْمَنِيَّ بِمَحَلَّتَيْهَا خِضْرِمُ^(١)
وَأَرْفُقْ بِنَفْسِكَ إِنَّ خَلْقَكَ نَاقِصٌ وَاسْتَرْ أَبَاكَ فَإِنَّ أَصْلَكَ مَظْلُمُ^(٢)
وَعِثَاكَ مَسْئَلَةٌ وَطَبِشُكَ نَفْخَةٌ وَرِضَاكَ فَيْشَلَةٌ وَرَبُّكَ دِرْهَمُ^(٣)
وَاحْذَرْ مُنَاوَاةَ الرُّجَالِ فَإِنَّمَا تَقْوَى عَلَى كَمَرِ الْعَبِيدِ وَتُقَدِّمُ^(٤)
وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مَنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ غِيٍّ وَخِطَابٍ مَنْ لَا يَفْهَمُ^(٥)
يَمْشِي بِأَرْبَعَةٍ عَلَى أَغْفَايِهِ تَحْتَ الْمُلُوجِ وَمِنْ وَرَاءِ يُلْجَمُ^(٦)

عَبَلٌ إِذَا قَلَقَ النَّسَاءَ بِحَدِّهِ نِلْنِ الْأَمَانَ مِنَ الْوِلَادِ الْأَعْمَرِ

(١) السَّالِحُ : اللواضع يعلق عليها السلاح ؛ والشفر، والشافران : حرفا فرج المرأة .
ويريد بمحلقته : الفرج والرحم : والحضرم : البحر الكثير الماء ؛ شبه المني -
لكثرة في رحمها - بالبحر .

(٢) وارفق بنفسك : يريد لا تتحكمك بالشعراء كي لا يذكروا خلقك الناقص -
لأنه أعور قصير - وأصلك ذنء لثيم .

(٣) يقول : أنت مكذ فليكون غناك في مسألة الناس ، وليس وراء طيشك حقيقة ،
وإنما ذلك نفخة نفخت فيك ، ورضاك أن ترى ذا فيشلة - ذكر - من عبد أو ممن مائل
العبد : وربك الذي تعبد درهم يعني أنه بخيل .

(٤) المناواة : للمعادة ، وأصله المناواة ، لأنه من النوء وهو النهوض ؛ والسكر
جمع كمر ، وهي رأس الذكر ، يقول : لانعاد الرجال فإنك لا تقدر عليهم ولا لك بهم
طاقة : وإنما قدرتك وإقدامك على « أيور العبيد » يصفه بالأبنة .

(٥) العذل : اللوم ؛ ويرعوى : يكف ويقطع ، وعن غيه : فالنئ نقيض الرشد ،
ويروى : عن جهله .

(٦) الملوج : جمع عليج ، وهو في الأصل : حمار الوحش ، لاستعلاج خلقه وغلظه ،
ويقال للرجل القوى الضخم من كفار المعجم - غير العرب - عليج وهو المراد هنا .
يقول : يمشي القهقري حبا للاستدخال ، أي أن الملوج كانت تركبه فيمشي إلى خلفه على
غير العادة ، فإن من عادة الركوب أن يمشي إلى قدام ، وهو بخلاف الركوب لأنه يلجم من
ورائه هذا : وقوله بأربعة كان القياس أن يقول بأربع . لأنه يريد اليدين
والرجلين ، لكنه ذهب إلى الأعضاء فذكر على اللغى على حد قول الأفشى :

أَرَى نَارَ جَلَا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشَعِيهِ كَفًّا مُخَضَّبًا^(١)
وقد أثتوا المذكور على المعنى ، قال أبو عمرو بن العلاء : سمعت أعرابيا يمانيا يقول :
فلان لغوب - أى أحق - جاءته كتابي فاحتقرها ، فقلت له : أتقول كتابي ؟ فقال :
أليس بصحيفة ؟ ومن تأنيث المذكور على المعنى تأنيث الأمثال في قوله تعالى « فله عشر
أمثالها » لأن الأمثال في المعنى حسنات . فالتقدير عشر حسنات أمثالها ؛ وإذا أنت
المذكر فتذكير المؤنث أسهل : لأن حمل الفرع على الأصل أسهل من حمل الأصل
على الفرع ؛ وقوله على أعقابهم : قال العكبري : جمع في موضع التثنية ، وحقه أن يقول
على عقبيه - كما جاء في التنزيل : « نكص على عقبيه - » ولكنهم جمعوا في
موضع الإفراد فقالوا :

شابت مفارقة ؛ وقال الشاعر :

والزعفرانُ على ترائيبها شَرِقٌ بِهِ اللَّبَّاتُ وَالنَّحْرُ^(٢)

فجمع الترية واللبة بما حولهما ، وإذا كان هذا جائزا في موضع الواحد فالجمع في
موضع التثنية أجوز ، ثم قال العكبري في إعراب « من وراء » : حذف المضاف إليه ،
والظروف إذا حذفت منهم المضافات بنيت على الضم ، كقبل وبعد وفوق وتحت ،
وإنما بنيت لأن المضاف إليه مقدر عندهم حتى إنها متعرفة به محذوفا ، فلما اقتصروا على
المضاف جعلوه نهاية فصار كبعض الاسم وبعض الاسم لا يعرب ، فإن نكروا شيئا
منها أعربوه ، فقالوا : جئت قبلا ، ومن قبل وبعدا ومن بعد قال الشاعر :

فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْفُرَاتِ^(٣)

وقرى من قبل ومن بعد ، فأعرب لنية التنكير : فقوله « من وراء » على نية التنكير :
كأنه قال : من جهة تخالف وجهه .

(١) الأسيف : الغضبان . بقول : كأن يده قطعت فاخضبت بدمها ، وقال المبرد
أسيفا من التأسف لقطع يده ، وقيل هو أسير قد غلت يده ، فخرج الغل - القيد - يده .

(٢) الترائب : موضع القلادة من الصدر ، واحدها تريبة .

(٣) ويروى هذا البيت : « أكاد أغص بالماء الحميم » .

وروى « أغص بنقطة الماء الحميم » من أبيات لبزید بن الصمق

انظر « الحزانة » ج ١ ص ٣٨٤ « سلفية »

وَجَفُونُهُ مَا تَسْتَقِرُّ كَأَنَّهَا مَطْرُوقَةٌ أَوْفَتْ فِيهَا حِصْرِمٌ^(١)
وَإِذَا أَشَارَ مُحَدَّثًا فَكَأَنَّهُ قَرَدٌ يُقَهِّقُهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطِمُ^(٢)

(١) طرفت عينه : إذا أصيبت بشيء فدمعت . والحصرم : العنب الأخضر ، وهو معروف أنه حامض . قال الواحدى : يقول : إنه أبداً يحرك جفونه يستدعى العلاج ويشير بها إليهم فتبقى وكأنها أصيبت بقذى أو عصر فيها الحصرم ، لأنها لا تفرعن التحريك : هذا : وقال المبركى فى إعراب فت : عطف « فت » على مطروقه وليس من حق الفعل أن يمطف على الاسم ولا الاسم على الفعل ، ولكن ساغ ذلك فى اسم الفاعل واسم المفعول لما بينهما وبين الفعل من التقارب بالاشتقاق وللغنى وذلك عملاً فيه . وقد عطف الفعل على الاسم فى القرآن الكريم — فى قوله تعالى « صافات ويقبضن » وقوله « والمصدقين والمصدقات وأقرضوا الله » وقال الراجز :

* تَبَيَّتْ لَا تَأْوِي وَلَا تُفَاشَا^(١) *

أى لا تأوى ولا تنفش ، وكذلك صافات وقابضات والذين تصدقوا وأقرضوا .
(٢) يريد : قبح وجهه وكثرة تشنجه ، وجعل حديثه كضحك القرد ، حيث إنه الكنى عي لا يفصح ، ولهذا جعله مشيراً ، لأنه لا يقدر على الكلام فيشير ، وجعل إشارته كلطم العجوز إذا ولولت ، قال الإمام ابن الشجرى فى أماليه : عيب على أبى الطيب قوله هذا ، وقالوا لامعنى لتشبيهه الحديث بالطم ، وإنما كان حقه أن يضع فى موضع تلطم تولول أو تبكى أو نحوهما ، لكن لما شبه صوت حديثه بهقهية القرد ، وهى صوت ، شبهه بلطم عجوز ، ولطم النساء لابد أن يصحبه صوت فلما اضطرتة القافية إلى ذكر اللطم الدال على الولولة والنوح اكتفى بذكر الدليل عن المدلول عليه . و « أو » للإباحة ؛ أى إن شئت شبهت حديثه بهقهية قرد وإن شئت شبهته بعجوز تلطم . وقول ثان : وهو أنه شبه عيشين بعيشين ، شبه حديثه بهقهية القرد وشبه إشارته فى أثناء حديثه بلطم العجوز ، لأنه من عيه لا يفهم ، وجعله مشيراً بيديه لأنه لا يقدر على الإفصاح ، فهو يستعين بالإشارة إذا حدث كما أشار بأقل لما عجبوا عن الجواب وقد مر بقوم ومعه ظبي قد اشتراه بأحد عشر درهماً ، وهو متأبطه ، فقالوا له بكم اشتريته ؟ فد يديه وفرق أصابعه وأخرج لسانه ؛ يريد بأصابعه عشرة

(١) نفشت الإبل والغنم تنفش نفشا ونفوشا : انتشرت ليلاً فرعت بلاراع وخص بعضهم به دخول الغنم فى الزرع ومنه قوله تعالى « إذ نفشت فيه غنم القوم »

يَقْلِي مُفَارَقَةً إِلَّا كَفَّ قَذَالَهُ حَتَّى يَكَادَ عَلَى يَدَيْهِ يَتَعَمَّمُ^(١)

وبلسانه درهما ، فشرد الظي ، وفي هذا التشبيه معنى آخر . وهو أنه أراد قبح وجهه وكثرة تشنجه ، فهو في القبح كوجه القرد ، وفي التشنج كوجه العجوز . فإن قيل : كيف شبه شيئين بشيئين ، وعطف بـ «أو» وهى لأحد الشيئين ، وحقه أن يعطف بالواو ؟ قلنا : إن «أو» قد وردت في كلامهم بمعنى الواو . . أقول : ومن مجيئها بمعنى الواو قوله حميد بن ثور :

قَوْمٌ إِذَا نَقَعَ الصَّرِيخُ رَأَيْتَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ^(٢)
وقول النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن النذر :

وَأَحْكُمُ كَحُكْمِ فِتْنَةِ الْحَى إِذْ نَظَرْتُ إِلَى حَمَامٍ سِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
قَالَتْ أَلَا لَيْتَمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَامِئِنَا أَوْ نِصْفُهُ فَقَدْ
فَحَسَبُوهُ فَالْفَوْهُ كَمَا ذَكَرْتُ سِتًّا وَسِتِّينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدْ^(٣)
ومنه قوله تعالى « إلى مائة ألف أو يزيدون » أى ويزيدون .

(١) قلاه يقليه قلى وقلاه وقلية يقلاه : لغة طى . ، والقلى : البغض . وقال ابن سیدم : قلتيه قلى وقلاه ومقلية : أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته ؛ وحكى سيويه قلى يقلى وهو نادر ، شبهوا الألف بالهمز ، وحكى ابن جنى : قلاه وقلية ، قال . وأرى يقلى . إنما هو على قلى ؛ وحكى ابن الأعرابي قلتيه فى المجرى قلى ، مكسور ومقصور ، وحكى فى البغض قلتيه — بالكسر — أقلاه على القياس . والقذال . جماع

(١) الصريخ : أى للحرب ، والسافع : أخذ الناصية بلالجام .
(٢) واحكم يريد تبصر فى الأمر وكن حكيماً معنى ولا تقبل بمن سعى إلى إليك وكن كفتاة الحى إذ وصفت فأصابت ، وفتاة الحى : هى زرقاء اليمامة ، زعموا أنها كانت تبصر من ثلاثة أيام ؛ فربها سرب من القطا ، فقالت :

لَيْتَ الْحَمَامَ لَيْتَهُ إِلَى حَمَامَتِيهِ أَوْ نِصْفُهُ قَدْرِيهِ تَمَّ الْحَمَامُ مِيَهُ
فإذا هو ست وستون وإذا ضم نصفه — وهو ثلاث وثلاثون — إليه كان المجموع تسعا وتسعين فبحمامتها تكمل المائة ، وسراع : سريع الطيران ، والثمد — بفتحين — الماء القليل لامادة له ، وحسبوه ، عدوه .

وَتَرَاهُ أَصْفَرَ مَا تَرَاهُ نَاطِقًا وَيَكُونُ أَكْذَبُ مَا يَكُونُ وَيُقَسِّمُ^(١)
وَالذَّلُّ يُظْهِرُ فِي الدَّلِيلِ مَوَدَّةً وَأَوْدٌ مِنْهُ لِمَنْ يَوْدُ الْأَرْقَمُ^(٢)

مؤخر الرأس ، وهو فاعل يقلى ؛ ويجوز أن يكون مفعول المفارقة — وفاعل يقلى ضمير المهجو ، أى أن قفاه يكره مفارقة الأَكْف ، لأنه قد ألف صحبتها في الصنع فيكاد يتعم على إحدى يديه ، لئلا يخلو قفاه من كف . يريد أنه صنعان تعود أن يصنع فيكاد يتعم على يده لتصفه يده أيضا .

(١) يقول . تراه أحقر ما يكون حين ينطق ، لأن عي فلا يكاد يبين ، أو لأنه ينطق بغير معقول ، وأكذب ما يكون إذا خلف — أى حين يكون الصدق أوجب — وذلك كما قال الآخر .

فَلَا تَحْلِفْ فَإِنَّكَ غَيْرُ بَرٍّ وَأَكْذَبُ مَا تَكُونُ إِذَا حَلَفْتَ

وقوله ويقسم . يريد وهو يقسم . هذا . وقد قال ابن الشجري في أماليه . فعل الرؤية من العين يمدى إلى مفعول واحد ، « وأصغر » نصب على المصدر لأنه أضيف إلى « ما » المصدرية . و « ناطقا » نصب على الحال ، وأفضل المضاف إلى الفضل عليه إنما هو بعض ما يضاف إليه ، فصار كقولك : سرت أشد السير ، و « أكذب » حكاه في ذلك حكم « أصغر » ونصب « ناطقا » ترى الأول من الرؤية ، وانتصابه على الحال ، وتقديره وتراه ناطقا أحقر رؤيتك إياه ، فالتعقير تناول الرؤية في اللفظ ، والمراد تعقير المرئى ؛ والمعنى : تراه ناطقا أحقر منه إذا رأيته ساكنا ؛ ويكون كلاهما بمعنى يوجد ؛ وإن جمعت « يكون » الأول ناقصا وخبره « أكذب » لم يحز ، لما ذكرته من انتصاب « أكذب » على المصدر لإضافته إلى المصدر ، والمضمر في « يكون » عائد على المهجو ؛ وخبر « كان » إذا كان مفردا فهو واسمها عبارة عن شيء واحد بطل أن يجعل « يكون » ناقصا لفساد الإخبار عن الجثث بالأحداث ، والواو في قوله « ويقسم » واو الحال ؛ والجملة بعده حال عمل فيها « يكون » الأول ، وهى جملة ابتداء ، والمبتدأ محذوف ، والتقدير وهو يقسم لحذف هو ، وقال اليازجى : الأظهر أن « أفعل » في الموضعين مرفوع على الابتداء . وسدت الحال بعده مسد الخبر ، والجملة فى محل نصب بالناسخ ، لأنها فى الأصل خبر ابتداء ، كما فى قولك : هند أحسن مآراها . أحسن ما تكون سافرة ، فلما دخل الناسخ عمل فى المبتدأ الأول لفظا ، وفى جملة الخبر محذوف ، كما تقول رأيت هنداً ، أو كانت هنا أحسن ما تكون سافرة . فتأمل .

(٢) أود : خبر مقدم عن الأرقم ، والأرقم : ب من الحيات فيه سواد نوبياض

وَمِنَ الْعَدَاوَةِ مَا يَنَالُكَ نَفْعُهُ وَمِنَ الصَّدَاقَةِ مَا يَضُرُّ وَيُؤْلِمُ ^(١)
 أُرْسِلْتَ تَسْأَلُنِي الْمَدِيحَ سَفَاهَةً صَفَرَاهُ أَضِيقُ مِنْكَ مَاذَا أَرْعُمُ ^(٢)
 أُرَى الْقِيَادَةَ فِي سِوَاكَ تَكْشِبُهَا يَا ابْنَ الْأَعْيَرِ وَهِيَ فِيكَ تَكْرُمُ ^(٣)
 فَلَشَدَّ مَا جَاوَزْتَ قَدْرَكَ صَاعِدًا وَلَشَدَّ مَا قَرَّبَتْ عَلَيْكَ الْأَنْجُمُ ^(٤)

وفاعل « يود » ضمير الدليل ، والعائد محذوف أى لمن يوده : أى لمن يظهر له وده .
 يقول : إن الدليل يظهر المودة - المحبة - لمن أذله ، إذ ليس يقدر على مكافأته ولا امتناع
 عنده فيتودد إليه ، على أن الحلية أقرب إلى المصافاة من الدليل إذا أظهر الود لمن يوده
 وهذا من قول سديف :

ذُلُّهَا أَظْهَرَ الْمَوَدَّةَ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ اللَّوَايِسِ ^(١)
 (١) قال ابن جني : يعنى أن عداوة الساقط تدل على مباينة طبعه فتتفع - يريد لا تضمر -
 وصدافته تدل على مناسبتها فتضمر ، قال الواحدى : وهو من قول صالح بن عبد
 القدوس :

هَدُوكَ ذُو الْعَقْلِ خَيْرٌ مِنْ صَدِيقِ لَكَ الْوَاقِعِ الْأَخْقِ

« الواقى : الحب » . وعبارة بعض الشراح : أراد بالنفع - هنا - ما هو أعم منه
 يعنى انتقاء الضرر والبيت مبني على الذى قبله : أى أن عداوة الدليل الذى يطوى كشحه
 على البغض تظهر ما أضمر من الحب فتتفع من يعاديه بأن يطلع على دفينته فيحذر جانبه
 وبمكسها صداقته فإنها قد تكون سبباً يتوصل بها إلى أذاه ، لأنه يسارته العداوة ويترتب
 به نهزة للعدو .

(٢) صفراء : اسم أمه : يقول : هى - على سمعتها - أضيق منك ، فكيف يتجه لى
 مدحك ؟

(٣) أعير : تصغير أعور ، قال الواحدى : وكان أبوه - واسمه إبراهيم - أعور .
 يقول : إن القيادة فى غيرك كسب وأنت تتكرم بها : أى تحسبها كرماً .

(٤) لشد : بمعنى ما أشد ، واللام قبلها : للتوكيد ؛ و « ما » : مصدرية . يقول :
 ما أشد تجاوزك قدرك حين تطلب منى المديح ! وما أشد ما قربت الانجم عندك فطمعت
 فى نيلها ! وأرادت بالانجم : أبيات شعره .

(١) من أبيات يحرض فيها سديف بن ميمون بن العباس على بني أمة .

وَأَرَغْتَ مَا لِأَبِي الْعَشَائِرِ خَالِصًا إِنَّ الثَّغَاءَ لَمِنْ يُزَارَ قَيْمُغِمٌ^(١)
وَلَمِنْ أَقَمْتَ عَلَى الْهَوَانِ بِيَابِهِ تَذْنُو فَيُوجِبُ أَخْذَعَاكَ وَتُنْهَمُ^(٢)
وَلَمِنْ يَهِينُ الْمَالُ وَهُوَ مُكْرَمٌ وَلَمِنْ يَجْرُ الْجَيْشُ وَهُوَ عَرْمَرَمٌ^(٣)
وَلَمِنْ إِذَا أَلْتَقَتِ الْكِمَاةُ بِمَازِقٍ فَنَصِيبُهُ مِنْهَا الْكَمِ، الْمَعْلَمُ^(٤)

(١) الإراغة : الطلب ؛ تقول أرغت الصيد وفلان بريغ كذا وكذا ويلبسه : أى يطلبه ويدبره ، قال عبد الله بن عمر في ابنه سالم :

يَذِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأُرِيقُهُ وَجِلْدَةُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ^(١)
« يدروني : كيربوني ، ويقال فلان يربني أو يدبرني على أمر وعن أمر : أى يرادني ويطلبه مني » . يقول : طلبت من اللديج ما هو خالص لأبي العشائر ؛ لأنه الذى ينعم على زواره وقصاده ، فقلوه « خالصا » حال ، أى الذى ثبت لأبي العشائر خالصا لا ينازع فيه .

(٢) ولمن : عطف على « لمن يزار » والأخذعان : عرقان في صفحتي العنق قد خفيا وبطنا ، ويقال لأقيمنا أخذعيك : أى لأذهبن كبرك . والوجه : السكر والضرب ، ومراده بوجه أخذعيه : صفعه . والنهم . الزجر الشديد . يقول : والثناء لمن تزلفت إليه فأقمت بيابه ذليلا تصفع هزوا واستخفا ، ثم تزجر مطرودا ، والبيت من قول جرير :

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نَفَتَ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ
(٣) وهو مكرم : أى والمال مكرم يضمن بمثله ، فالضمير عائد على المال ، ولك أن ترجمه للمدوح : أى يهين المال ويكرم عند الناس . والعرمم . الكثير العظيم .
(٤) الكمأة . جمع كمى ، وهو البطل للشملة بالسلاح . والمأزق : الضيق ومنه سمى موضع الحرب مأزقا . والعلم : الذى وسم نفسه بسماء الحرب . وفي هذا البيت نظر إلى قول أبي تمام :

إِنَّ الْأَسْوَدَ أَسْوَدَ النَّابِ مِمَّتْهَا يَوْمَ الْكَرْبَةِ فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبِ

(١) قال الجوهري : يقال للجلدة التى بين العين والأنف « سالم » وأورد هذا البيت ، قال : وهذا المعنى الذى أراد عبد الملك في جوابه من كتاب الحجاج : إنه عندي كسالم والسلام ، قال ابن برى : هذا وهم قبيح - أى جعله سالما اسما للجلدة التى بين العين والأنف ، وإنما سالم ابن ابن عمر فجعله لهبته بمنزلة جلدة بين عينه وأنه

وَلَرُبَّمَا أَطْرَعَ الْقَنَاطَةَ بِفَارِسٍ وَتَنَّى قَقْوَمَهَا بِأَنْتَرٍ مِنْهُمْ^(١)
وَالْوَجْهَ أَزْهَرُ وَالْفَوَادُ مُشِيعٌ^(٢) وَالرُّمَحُ أَنْمَرُ وَالْحَسَامُ مَصْمَمٌ^(٣)
أَفْعَالٌ مِنْ تِلْدِ الْكِرَامِ كَرِيمَةٍ^(٤) وَفَعَالٌ مِنْ تِلْدِ الْأَعَاجِمِ أَعْجَمٌ^(٥)

واجتاز بيمليك نخلع عليه على بن عسكر ، وسأله أن يقيم عنده . وكان يريد
السفر إلى إنطاكية ، فقال يستأذنه :
رَوِينَا يَا أَبْنَ هَسْكَرِ الْمَمَامَا وَلَمْ يَثْرُكْ نَدَاكَ بِنَا هُبَامَا^(١)

(١) أطره : عطفه وثناه ولواه ؛ وتأطر الرمح : تنى . يقول : إذا اعوجت قناته
في مطعون طعن بها آخر فتقفها بذلك ، يريد شدة طعنه وتناجه
(٢) « ال » هنا نالبة عن ضمير المدوح : أى ووجهه وفؤاده ؛ وهلم جرا ، والواو
أول البيت : للحال . يقول : إذا التقى هو والسكاة فى مأزق : فوجهه أزهر - نير مشرق
أبيض - وفؤاده مشيع - أى جرى - ورعحه يطعن به ، وسيفه مصمم : أى يطبق
المفصل ويصيب الهز ، فلا ينبو عن الضريبة .
(٣) الفعّال هنا الفعل . يقول : إن الفعل يشابه النسب والأصل ، فمن كرمت مناسبه
كرمت أفعاله ، ومن كان لثيم النسب كان لثيم الفعل والأعاجم عند العرب لثام ، ولذلك
جعل الأعاجم فى مقابلة الكرام ، وإنما قال ذلك لأن هذا الرجل كان روميا . وم
يسمون من لم يتكلم بلغتهم أجهم من أى جيل كان ، قال الراجز :
سَلُومُ لَوْ أَصْبَحْتَ وَسَطَ الْأَعْجَمِ^(١) فِي الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِي الدَّيْلَمِ
إِذَا لَزُزْنَاكَ وَلَوْ يَسْلَمُ

وقال حميد بن ثور :

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ شَاقِهِ صَوْتُ مِثْلِهَا وَلَا عَرَبِيًّا شَاقَهُ صَوْتُ أَعْجَمٍ

فإنه عنى بالأعجم : حمامة سمع صوتها .

(٤) الممام : العظيم الهمة والسيد الشجاع السخى والهيام : أشد العطش .

(١) يقال رجل أجهم وقوم أجهم

وَصَارَ أَحَبُّ مَا تُهْدِي إِلَيْنَا لَغَيْرِ قَلِيٍّ وَدَاعَكَ وَالسَّلَامَ^(١)
وَلَمْ تَمَلَّنْ تَفْقُدَكَ الْمَوَالِي وَلَمْ تَذُمَّمْ أَبَا دِيكَ الْجَسَامَ^(٢)
وَلَكِنَّ الْقُيُوثَ إِذَا تَوَالَتْ بِأَرْضِ مُسَافِرٍ كَرَّةَ الْمُقَامِ^(٣)

يقول : نزلنا بفنائك فروينا من عطشنا ولم تترك بنا عطشا ، يريد أنهم غمروا بإنعامه وإحسانه إليهم حتى اكتفوا . هذا : وقد قلنا إن « الهيام » هنا أشد العطش وأنشد ابن بري .

يَهِيمُ وليس الله شافِ هِيَامَهُ بِفِرَاءِ مَا غَفَى الْحَمَامُ وَانْجَدَا^(١)
والهيام أيضا . كالجنون من العشق ، وقد هيمه الحب ، والهيام أيضا ؛ داء يأخذ الإبل فتهم في الأرض لا ترمي ، يقال ؛ ناقة هيام ، قال كثير عزة .

فَلَا يَحْسَبُ الْوَاثُونَ أَنَّ صِبَابَتِي بِمَرَّةٍ كَانَتْ تَغْمَرَةً فَتَجَلَّتْ
وَأَنْتَى قَدْ أَبْلَتْ مِنْ دَنْفِهَا كَمَا أَذْنَقْتُ هِيَامَهُ ثُمَّ اسْتَقْبَلْتُ^(٢)

(١) القلى ؛ البغض ؛ ولغير قلى ؛ احتراس جميل . يقول ؛ قد استغنينا عن الهدايا وأردنا الارتحال فأحب ما تهديه إلينا أن نودعك وإن لم عليك .

(٢) الموالى - بفتح الميم - جمع مولى ، وهو هنا العبد ، ورواها العكبري ؛ الموالى - بضم الميم - أى الذى يلى بفضه بعضا . والأيدى ؛ النعم . والجسام ؛ العظام . يقول ؛ لسننا نرتحل عنك لأننا مللنا تفقدك إيانا بالإحسان ولأننا ذمنا نعمك العظيمة .

(٣) توالى ؛ تتابعت ؛ والقيام ؛ السحاب ؛ وهذا تتمه لما ذكر فى البيت السابق . يقول إن المسافر إذا كثرت عليه المطر مل مقامه - إقامته - واحتباسه لأجل المطر ، كذلك نحن عطاياك تأتينا وأنت قيدتنا بإحسانك وأنا مسافر أريد الارتحال ، ولولا أنى على سفر لم أملل نعمتك والمطر يسأله كل أحد إلا المسافر ؛ وكره المقام ؛ رواها بعض الشراح ؛ كره الغما ، وقال ؛ المعنى ؛ إنما عفا الزيادة من إحسانك ، لأنه يقيدنا بخدمتك ويحبسنا عن السفر ، فهو كالطير يعترض المسافر ويعوقه عن طريقه ، فيكرهه لذلك ، لأنه مكروه من نفسه .

(١) شاف ؛ فى موضع نصب خبر « ليس » ؛ وإن شئت جعلته خبر « الله » ، وفى « ليس » ضمير الشأن

(٢) أبل واعتقل ؛ برا من مرضه

وكان مع أبي العشاء ليلا على انشرب ، فكلما أراد النهوض وهب له شيئا ، حتى وهب له ثيابا وجارية ومهرا فقال :

أَعَنْ إِذْنِي تَهَبُ الرِّيحُ رَهْوًا وَيَسْرِي كَلَمًا شَيْتُ الْقَمَامِ ^(١)
وَلَكِنَّ الْقَمَامَ لَهُ طِبَاعٌ تَبَجَّسُهُ بِهَا وَكَذَا الْكَرَامِ ^(٢)

وقال يمدح كافورا ، وقد أهدى إليه مهرا آدم في شهر ربيع الآخر

سنة ٣٤٧ هـ :

فِرَاقٌ وَمَنْ فَارَقْتُ غَيْرُ مُذَمَّمٍ وَأُمٌّ وَمَنْ يَمُتُ خَيْرُ مُيَمَّمٍ ^(٣)
وَمَا مَنَزَلُ اللَّذَاتِ عِنْدِي بِمَنَزَلٍ إِذَا لَمْ أُبْجَلْ عِنْدَهُ وَأَكْرَمٍ ^(٤)
سَجِيَّةُ نَفْسٍ مَا تَزَالُ مُلِيحَةً مِنَ الضِّيمِ مَرَمِيًا بِهَا كُلُّ مُخْرَمٍ ^(٥)

(١) هذا استفهام معناه الإنكار . والرهو ؛ السير السهل . يقول ؛ الريح لا تهب ساكنة سهلة بإذني ، وكذا الغمام لا يسرى بمشيئتي ؛ ويريد بالريح والغمام ؛ المدح على تشبيهه بهما في سرعة العطاء وكثرته - يعني أن الذي يفعله ليس يفعله بإذني ومشيتي إنما يفعله طبعاً طبع عليه - كما بين في البيت التالي .

(٢) تبجسه : مبتدأ ؛ وبها ؛ خبره ؛ والتبجس ؛ التفجير .

(٣) فراق مبتدأ ، محذوف الخبر ؛ أي لي فراق ؛ وقال المكبري : فراق خبر لمبتدأ محذوف ، ويجوز رفعه بإضمار فعل أي حدث فراق . وأم ؛ أي قصد ؛ ويمت ؛ قصدت يقول - عند ارتحاله - : هذه الحالة التي أنا فيها فراق ، والذي أفارقه - يعني سيف الدولة - غير مذموم - وهذا الفراق هو في الوقت عينه قصد لإنسان آخر - يعني كافورا - وهو خير مقصود .

(٤) عنده ؛ أي فيه ، يقول ؛ لا أقيم بمكان للذة العيش وطيب الحياة إذا لم أكن بكرماً معظماً . لأنه مع الذل لا يطيب لي

(٥) مليحة ، مشفقة خائفة ، يقال : ألح من الأمر ؛ إذا أشفق منه . والمخرم الطريق في الجبل . يقول ؛ هذا الفراق أو هذا الذي أذكره من أنفق والاحتفاظ بكرامتي سجيعة - طبيعة - نفس التي هي أبداً خائفة من أن تظلم ويخس حقها من الإكرام ، وأنا أرمي بها كل طريق هارباً عن الضيم والذل .

رَحَلْتُ فَكَمَّ بَاكِ بِأَجْفَانِ شَادِنِ
وَمَا رَجَبُهُ الْقَرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانُهُ
عَلَى وَكَمَّ بَاكِ بِأَجْفَانِ ضَنِغَمِ
بَأَجْزَعٍ مِنْ رَبِّ الْحَسَامِ الْمُصَمِّمِ
هَذَرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعِ
هَوَى كَاسِرٍ كَفَى وَقَوْمِي وَأُسْهُمِي
رَحَى وَاتَّقَى رَنْسِي وَمِنْ دُونِ مَا أَتَقَى
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ
وَصَدَقَ مَا يَتَقَادُهُ مِنْ تَوْهُمْ^(٥)

(١) الشادن : ولد الغزال ؛ والضنغم : الأسد . يقول : فكم من رجال ونساء بكوا على فراقى وجزعوا لا رتمالى عنهم أقالبا كي بجفن الشادن : المرأة المليحة الحسناء ، والبأكي بأجفان الضنغم : الرجل الشجاع الكريم : قال ابن جني . بأجفان ضنغم : يريد سيف الدولة ، وهذا وفاء لما أوعده به من قوله :

* لِيُحْدِثَنَّ لِيْنَ قَارِقَتُهُ نَدَمٌ

(٢) القُرط : الذى يعلق فى شحمة الأذن . ومكانه : فاعل المليح ؛ والحسام : السيف القاطع ، والمصمم : الذى يطبق للفواصل ؛ ولك أن تجعله صفة لرب . يقول : لم تكن للمرأة بأجزع على فراقى من الرجل .

(٣) يقول : لو كان الذى أشكوه من الضربى كان من امرأة عذرتها ، لأن شيمة النساء الضدر ، ولكنه من رجل فلا أعذره . فكفى بالحبيب للفتح : عن المرأة ؛ وبالحبيب للمعم : عن الرجل .

(٤) قال الواحدى : هذا مثل يقول : لم يحسن إلى - أى سيف الدولة - ولم أهجه لحى إياه ، فضرب المثل لإساءته إليه بالرعى ، ولأنه من المكافأة - المجازاة - بالهجا بالانتقاء ، بحب يكسر كفه وقومه وسهامه إن أراد أن يرميه ؛ والحفى أن حبي إياه منعى عن مكافأته بالإساءة ، فكان كرام يرمى وهو وراء جنة - ستره - من حبي تمنعنى من أن أرميه .

(٥) يتقاده : يتنابه ؛ ومن توم : بيان له « ما » . يقول : إذا كان فعل المرء سيئا قبيحا ساء ظنه بالناس لسوء ما انطوى عليه ، وإذا توم فى أحذية أسرع إلى تصديق ما توممه لما يجد من مثل ذلك فى نفسه . وعبرة الواحدى : للسى يسى الظن ، لأنه لا يأمن من أحماء إليه . وما يخطر بقلبه من التوم على إساءة غيره يصدق ذلك ، قكلما سمع عن شخص كلام سوء يظنه فيه لسوء وهمه وفعله ، وهو كقول الآخر :

وَمَا فَسَدْتُ لِي بِشَهِدِ اللَّهِ نِيَّةً عَلَيْكَ بَلِ اسْتَفْسَدْتُ قَاتِمَتِي

وَعَادَى مُحِبِّيهِ بِقَوْلِ هُدَايَةِ وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٌ^(١)
أَصَادِقُ نَفْسِ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ وَأَعْرِفَهَا فِي فِعْلِهِ وَالتَّكَلُّمِ^(٢)
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّي وَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَتَى أَجْزَاهُ حَلَّتْ عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمُ^(٣)

(١) يقول : ولسوء ظنه يعادى الذين يحبونه بوشاية أعدائه . فلا يميز صديقه من عدوه ؛ إذ يشك في كل أحد ويصبح في كل أموره حائراً بسبب أنه يصدق ما يتوهمه .

(٢) يريد بالنفس : المعاني الكريمة والفضائل الإنسانية التي تستشف من الإنسان بذكر لطف حسه ودقة علمه ، وأنه قبل أن يقع بينه وبين من يحبه معرفة يصادق نفسه أولاً ، ويستدل عليها بكلامه وفعله ، قال العكبري : وهذا من قول الحكميم : الاتفاق بالجواهر قبل الاتفاق بالأجسام .

(٣) يقول : وأصنع عن خليلي علماً بأنني متى جازيته على سفهه وجهله بالحلم ندم على قبيح فعله ، فاعتذر إلى واعتبني - أرضاني - ورجع إلى مرادى ، وهذا من قول سالم ابن واجة :

وَنِيرَبِ مِنْ مَوَالِي السُّوءِ ذِي حَسَدٍ يَقْتَاتُ لِحْيٍ وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ^(١)
دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَلْتُ أَظْفَارًا يَلَا جَلَمَ^(٢)
بِالْحَزْمِ وَالْخَبْرِ أَسْدِيهِ وَالْحِمَّةُ تَقْوَى إِلَهِهِ وَمَالُهُ يَرْعَى مِنْ رَحِمِ
فَأَصْبَحَتْ قُوَّتُهُ دُونِي مُوْتَرَةً تَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مَكْتُمِ
إِنَّ فِي الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكَرَمِ
وَمَنْ رَوَى

وأحلم عن خلي وأعلم أنني متى أجزاه يوماً على الجهل أندم
بكون المعنى ؛ متى جهلت عليه كما جهل على نعمت على ذلك ، لأن السفه والجهل ليسا من أخلاق في شيء

(١) رجل نيرب : وذو نيرب : ذو شر ونميمة ؛ والقمر : شدة الشهوة إلى اللحم
(٢) القمر ؛ الحقد والغل . والجلم : أحد شقي القراض ، وإنما هما جلمان

وَأَنْ يَذَلَ الْإِنْسَانُ لِي جُودِ عَابِسٍ حَزَيْتُ بِجُودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّمِ^(١)
وَأَهْوَى مِنَ الْفَتَيَانِ كُلِّ سَمِذَعٍ نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْقَوِّمِ^(٢)
خَطَّتْ تَحْتَهُ الْعَيْسُ الْفَلَاةَ وَخَالَطَتْ بِهِ الْخَلِيلُ كَبَابَاتِ الْخَمِيسِ الْعَرْمَرَمِ^(٣)
وَلَا عَفْةً فِي سَيْفِهِ وَسِنَانِهِ وَلَكِنَّهَا فِي الْكُفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَمِ^(٤)
وَمَا كُلُّ هَاوٍ لِلْجَمِيلِ بِفَاعِلٍ وَلَا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمُتَمِّمٍ^(٥)
فَدَى لِأَبِي الْمِسْكِ الْكِرَامُ فَإِنَّهَا سَوَابِقُ خَيْلٍ يَهْتَدِينَ بِأَذْهَمِ^(٦)

(١) يقول : إني لا آخذ من الإنسان الصلة - العطية - حتى يكون معها بشرو وبشاشة وإذا بذلها وهو عابس جدت عليه بترك تلك الصلة وأنا مبتسم راض بتركها ، وقال ابن القطاع : صحف هذا البيت سائر الرواة فرووه بجود التارك ؛ ولا معنى للتارك ، وإنما هو الباذل ، ومعناه ؛ وإن بذل الانسان لى جوده وهو عابس الوجه غير منشرح الصدر جازيته مجازاة من بذل لى جوده وهو ضاحك ولم أكافته .

(٢) السמידع ، والسמידع ؛ السيد الكريم الجليل الجسم الموطأ الا كناف وقيل هو الشجاع . والنجيب - الفاضل الكريم - ضد اللثيم - والسهمري ؛ الرمح القوى الصلب وصدره ؛ مقدمه مما يلي السنان . يقول : أحب من الفتیان كل سيد يغشى الناس بيته للضيافة ، نجيب جميل طويل القد كالرمح المقوم .

(٣) خطت ؛ جابت وقطعت ؛ والضمير من تحته ؛ للسמידع . والعيس ؛ الإبل البيض والسكة ؛ الحملة فى الحرب - من قولهم كبه لوجهه ؛ إذا ألقاه - قال بعض العرب ؛ طعنته فى السكة ؛ طعنه فى السبة ، فأخرجتها من اللبة ، فقل له كيف طعنته فى السبة ؛ هى حلقة الدبر - فقال إن رعمه كان قد سقط من يده فأكب لياأخذه فطعنته ، والنجيب الجليل من خمس فرق . والعرمم ؛ الكثير . يقول : قد سافر كثير أو قطعت به الإبل الفلوات وشهد الحروب وألفها ، فخالطت به الخيل الجيوش وحملاتها .

(٤) يقول : ليس بعفيف السيف والرمح ، فإنه إذا شهد الحرب قتل الأقران ولم يتعفف عن دماهم ، وإنما عفته فى كفه ، لا يأخذ من مال أحد شيئاً ، وفى فرجه لا يقرب الزنا ، وفى فمه ، فهو يمسك لسانه عن كل مالا يحل ولا أكل إلا من حل .

(٥) يقول : ليس كل من أحب الأمر الجليل يصنعه ولا كل من يصنعه يتممه (٦) فدى : خبر مقدم ؛ والكرام : مبتدأ مؤخر والأدم : الأسود . جعل الكرام

أَغْرَ بِمَجْدٍ قَدْ شَخَّضَ وَرَاءَهُ إِلَى خُلُقٍ رَحْبٍ وَخَلَقَ مُطَهَّمٍ (١)
 إِذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا فَكَفَّ وَقَفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمُ (٢)
 يَضِيقُ عَلَى مَنْ رَأَاهُ الْعُذْرُ أَنْ يُرَى ضَمِيفَ الْمَسَاعِي أَوْ قَلِيلَ الْفُكْرُمِ (٣)
 وَمَنْ مِثْلُ كَافُورٍ إِذَا اخْتَلِيلُ أَحْجَمَتْ وَكَانَ قَلِيلًا مَنْ يَقُولُ لَهَا أَقْدُمِي (٤)
 شَدِيدُ ثَبَاتِ الطَّرْفِ وَالنَّقْعُ وَاصِلٌ إِلَى لَهَوَاتِ الْفَارِسِ الْمُتَلَثَّمِ (٥)

كخيل سوابق ، وجعله كأدم يتقدم تلك السوابق وهن يحجرين على آثره . يعنى أنه
 إمام الكرام وسابقهم .

(١) أغر : أى يأدم أغر ، فهو نعت لأدم ؛ وبمجد : متعلق بأغر ، وشخص
 رفقن أبصارهن ، والرحب ؛ الواسع ومطهمن تام . يقول : إن هذا الأدم أغر غير أن
 غرته المجد لا البياض ، وهذه السوابق قد مدت أعينها وراء هذا الأغر تنظر منه إلى
 خلق واسع وخلق تام الجمال .

(٢) يقول : إذا لم تحسن السياسة فوقفه واحدة في مجلسه - وهو يتعاطى سياسة -
 الأمور - تكفيك لأن تتعلم منه السياسة .

(٣) راءه : مقلوب « رآه » ؛ والعذر : فاعل يضيق . والمساعي : جمع مسعاة .
 وهى السعى فى طلب المجد . يقول : من رآه ورأى أفعاله لم يكن له عذرى أن يكون ضعيف
 المساعى ، قليل الكرم ؛ يعنى منه تتعلم هذه الأشياء ، فمن رآه ولم يتعلمها منه فهو غير
 معذور ، وقد جعل ابن جنى هذا داخلا فى المعجاء على معنى لم أر مثله فى حسنه ولؤم أصله
 إذا كان له مسعاة وتكرم فلا عذر لأحد بعده فى تركها كما قال الآخر :

لَا تَبْأَسَنَّ مِنَ الْإِمَارَةِ بَعْدَمَا خَفَقَ اللَّوَاهُ عَلَى عِمَامَةِ جَرُولِ

(٤) يقول : من مثله إذا أحجمت الكنتية - تأخرت - وقل من مجنأ على ورود
 المعركة ؛ أى أنه يحث الجيش عند الإحجام ويشجعه على لقاء العدو . قال الواحدى :
 والرواية أقدمى - بضم الدال - أى تقدمى : من قدم يقدم إذا تقدم ؛ ومن روى
 أقدمى - بفتح الدال - فمعناه ردى الحرب - من الورد - من قدم يقدم قدوما .

(٥) الطرف : الفرس ؛ والنقع : الغبار ؛ واللهوات : جمع لهواة ، وهى الأحمة المتدلية
 فى أقصى الحلق ، وكأنه جمعها على إرادة اللهاة واللوزتين . من باب التغليب . يقول : إذا
 سطع الغبار وثار حق وصل إلى لهوات من شد على فمه اللثام اتقاء الهواة والغبار ،

أَبَا الْمِسْكِ أَرْجُو مِنْكَ نَصْرًا عَلَى الْعِدَا وَآمَلُ هَذَا يَخْضِبُ الْبَيْضَ بِالْقَدَمِ^(١)
 وَيَوْمًا يَنْفِظُ الْخَالِصِينَ وَحَالَةً أَقِيمُ الشَّقَا فِيهَا مَقَامَ التَّنْعَمِ^(٢)
 وَلَمْ أَرْجُ إِلَّا أَهْلَ ذَلِكَ وَمَنْ يُرِذْ مَوَاطِرَ مِنْ غَيْرِ السَّحَابِ يَظْلِمُ^(٣)
 فَلَوْ لَمْ تَكُنْ فِي مِصْرَ مَا سِرْتُ نَحْوَهَا
 بِقَلْبِ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ الْمَتِيمِ^(٤)
 وَلَا تَبَعَتْ خَيْلِي كِلَابُ قَبَائِلٍ كَأَنَّ بِهَا فِي اللَّيْلِ خَلَاتٍ دَيْلِمَ^(٥)

فهو حينئذ ثابت في المركة لا يحجم ولا يتأخر ولا يتسرب إليه الفزع . ومن روى
 الطرف — بفتح الطاء — أى العين ، فمعناه أن عينه لا تبرى (١) ولا يتداخله
 الفزع .

(١) أبا المسك : أى يا أبا المسك ؛ والبيض : السيف . يقول : أرجو منك أن
 تصرنى على أعدائى بحسن رأيك وتؤتىنى عزا أتمكن به منهم وأخضب سيفى بدمائهم
 (٢) يقول : أرجو أن أدرك بعزك حالة شقائى فيها عندى مثل التمتع أى أشقى فى
 حرب الأعداء فأنتعم بهذا الشقاء ؛ ويجوز أن يكون المعنى ؛ أنى أبادل تنعم الأعداء بالشقاء
 لما أجليب لهم من الحسد لنعمتى والفيظ لمكانى فيشققون بى .

(٣) يقول : أنت أهل لأن يرجى لديك مارجوته ، ولم أضع الرجاء منك فى غير موضعه
 كمن يرجو مطرا من غير سحاب فيقال له ظلمت — أى وضعت الشئ فى غير محله حين
 رجوت للطر من غير موضعه .

(٤) المستهام : الذى ذهب على وجهه من عشق ونحوه . والمتيم : الذى ملك عليه
 الحب أمره واستعبده .

(٥) الديلم : جيل من الترك ، كانت بينهم وبين العرب عداوة ؛ فصار اسمهم عبارة
 عن الأعداء ، حتى جاء أن الديلم هم الأعداء ، قال عترة :

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدَّخْرُضَيْنِ فَأَصْبَحْتُ زَوْزَاءَ تَنْفِرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلِمِ^(٢)

(١) برق البصر يبرق ، من باب طرب : إذا تحير فلم يطرف .

(٢) قيل إن الديلم فى بيت عترة ، رجل من ضبة ، وهو الديلم بن ناسك بن ضبة

وَلَا اتَّبَعْتُ آثَارَنَا عَيْنُ قَائِفٍ فَلَمْ تَرَ إِلَّا حَافِرًا فَوْقَ مَنْسِمٍ^(١)
وَمِنْهَا بَهَا الْبَيْدَاءُ حَتَّى تَفْغَرَّتْ مِنْ النَّيْلِ وَاسْتَذَرَتْ بِظِلِّ الْمُقَطَّمِ^(٢)

وقال ابن جني ؛ سألت أبا الطيب بعض من حضر فقال ، أتريد بالديلم الأعداء أم هذا الجبل من العجم ؟ فقال ؛ من العجم . وحملت جمع حملة ، وأسكنه ضرورة . يقول إنه كان يمر بالليل في طريقه إلى مصر على القبايل فتصول كلابها على خيله كأنها أعداء تحمل عليها .
(١) القائف : الذي يقفو الآثار - يتبعها - والمنسم . خف البعير . يقول :
إن الذي اتبعنا واقتفى آثارنا ليردنا عن السير إليك لم ير إلا آثار الإبل والحيل . أى لم يدركنا لسرعة سيرنا ، وكان من عادتهم إذا طالت الرحلة أن يركبوا الإبل ويحبوا الحيل ، فلذلك قال إلا حافراً فوق منسم . أى إلا أثر حافر فوق أثر خف ومن هذا قول مقاس العائذى (١) .

أولى فأولى يا امرء القيس بعدما
[يقال خصفت الإبل الحيل : تبعها]

(٢) تغمرت : أى شربت قليلاً من الغمر ، وهو القدح الصغير ؛ واستغمرت . نزلت في ذراه : أى في كنفه وناحيته ؛ والمقطم : الجبل المعروف بمصر . يقول : ومننا البيداء بآثار خيلنا وركابنا — يعنى سرنا في أرض غفل لا أثر بها لسالك فصار آثار الحيل والإبل كالسمة لها — أى العلامة — حتى وردت النيل — نيل مصر — فغمرت منه دون الرى ، وذلك لأنها وردت الماء مكدودة فقل شربها ، ومنه قول طفيل النضوى :

وذلك أنه لما سار ناسك إلى أرض العراق وأرض فارس استخلف الديلم ولده على أرض الحجاز ، فقام بأمر أبيه وحوض الحياض ، وحمل الأحياء ؛ ثم إن الديلم لما سار إلى أبيه أو حشنت داره وبقيت آثاره ، فقال عنترة فى ذلك ما قال ، والده خان همدان وحرض ووسيع — ما آن قد حرض لآل الزبرقان بن بدر ووسيع لبني أنف الناقة وقيل أراد عنترة أن عداوتهم كعداوة الديلم للعرب كما قال .

جاءوا يَجْرُؤُونَ البرود جراً صُهِبَ السَّيَالُ يَبْتَغُونَ شراً

أراد أن عداوتهم كعداوة الروم للعرب ، والروم صهب السبال ، وألوان العرب السمرة والأدمة إلا قليلاً .

(١) مسهر بن النعمان من بني عائذة ، شاعر مقل مجيد ، وهذا البيت من أبيات نحتها فى « الفضليات »

وَأَبْلَحَ بَعْضِي بِاخْتِصَاصِي مُشِيرَهُ عَصَيْتُ بِقَصْدِيهِ مُشِيرِي وَلَوْحِي^(١)
 فَسَأَى إِلَى الْعُرْفِ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسَعَتْ إِلَيْهِ الشُّكْرُ غَيْرَ مُجْمَعٍ^(٢)
 قَدْ اخْتَرْتُكَ الْأَمْلَاكَ فَاخْتَرْتَهُمْ لَهُمْ بِنَا
 حَدِيثًا وَقَدْ حَكَمْتُ رَأْيِكَ فَاخْتَرْتَهُمْ^(٣)
 فَأَحْسَنُ وَجْهِهِ فِي الْوَرَى وَجْهُهُ مُحْسِنٌ وَأَيْمَنُ كَفِّهِ فِيهِمْ كَفُّهُ مُنْعِمٌ^(٤)

أَخْنَأَ فُسَمَاءَهَا النُّطَافَ فَشَارِبٌ قَلِيلًا وَآبٍ صَدٌّ عَنْ كُلِّ مَشْرَبٍ
 « النطاف : جمع نطفة ، وهي الماء الصافي - قل أو كثر - » وسامه الأمر سوما :
 كلفه إياه أو عرضه عليه .

(١) الأبلح : العظيم في نفسه ، وهو من صفات الملوك ، ويروي بالجمع ، فهو الجليل
 الوجه ، وهو عطف على « المقطم » . وقوله بقصدي : أي بقصدي إياه . يقول :
 واستدريت بطل أبلح يعصى من يشير عليه بتركي بأن يختصني دون غيري ، كما أني
 عصيت من أشار على بترك المسير إليه . قال الواحدى : يقال إله أراد بهذا ابن حنزابه -
 جعفر بن الفرات - وزير الأسود ولم يكن للتنبي مدحه قال ابن جني : هو مما يجوز
 نقله إلى الهجاء . وابن جني يحاول دائماً أن يوجه مدائح للتنبي في كافور إلى الهجاء ،
 ولعل له عذراً في ذلك ، وهو أدرى بدهاء التنبي ومكانة كافور لديه .

(٢) العرف : المعروف ، والجمعيم : من قولهم جمعيم كلامه ؛ إذا عماء وسقته
 ولم تأت به على الوجه الذي يهتدى إليه . يقول ؛ لم يكدر إحسانه إلى بلان ولم ينقصه
 بالأذى ، فكان شكره صريحاً خالصاً غير مشوب . قال ابن جني ؛ هذا التنبي يشهد
 بمادكرته من قلب المدح إلى الهجاء .

(٣) قوله اخترتك الأملاك ؛ يريد اخترتك من الأملاك - الملوك - غذف « من »
 وأوصل الفعل ، كما في قوله تعالى « واختار موسى قومه سبعين رجلاً » . يقول ؛
 اخترتك من بين ملوك الدنيا ، وآثرتك بقصدي إياك دونهم ، فاخترتهم بنا حديثاً من
 مدح أو هجاء ، بمنع أو جرمان ؛ أي أنهم سيتحدثون بنا وبما كان منا ، فاخترنا تريد ؛
 من ثناء وإطراء بالبر والإعسان أو ذم وهجاء بالبخل والحرمان ، فأثت الحكم
 فيما تختار ؛ يعني إن أحسنت مكافأتى صوبوا رأيي في قصدك ومدحك وإلا شتموا
 بي وذنوك .

(٤) أيمن : من اليمن ، وهو البركة . قال الواحدى : هذا البيت يورى عن هجاء

وَأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هِمَّةً وَأَكْبَرَ إِقْدَامًا عَلَى كُلِّ مُنْظَمٍ ^(١)
لِمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرْزَ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ ^(٢)
وَقَدْ وَصَلَ الْمَهْرُ الَّذِي فَوْقَ فَخْذِهِ مِنْ أَسْمِكَ مَا فِي كُلِّ عُقْوَ وَمِقْصَمٍ ^(٣)
لَكَ الْحَيَوَانُ الرَّاكِبُ الْخَلِيلَ كُلَّهُ وَلَئِنْ كَانَ بِالنَّيِّرَانِ غَيْرَ مُوسَمٍ ^(٤)

بقبح الصورة وأنه لا منقبة له يمدح بها ، غير أنه إذا أحسن بالإعطاء فوجهه أحسن الوجوه ويده أيمن الأيدي بالإنعام ، وكذلك البيت الذي بعده .

(١) معظم؛ أى أمر عظيم . قال الواحدي : يريد أنه خال عما يمدح به الملوك من حسب أو نسب أو شرف تليد — قديم موروث — فإن لم يستحدث لنفسه شرفا بعلوهم وإقدام لم يكن له خصلة يمدح بها .

(٢) لمن : استفهام إنكار . يقول : إنما تراد الدنيا ويتناحر عليها ويتنافس فيها لنفع الأولياء وضر الأعداء وليس تصلح لغير هذين ، قال العكبري : وهذا من قول الحكيم إذا لم تصن بالمال أبناء الجنس ، وتقتل به أعداء النفس فما تصنع بالأعراض ؟

(٣) للمصم : موضع السوار من الزند ، يريد أن «المهر» الذى أهدها إليه كان موسوما باسمه ليعلم أنه من خيله ، وأن ذلك غير خاص بالخيول ، فإن كل حيوان موسوم باسمه كذلك يعنى أنه يملك جميع الأحياء ، فكأنهم موسومون باسمه ، وإن لم يوصموا حقيقة — كما كشف عن ذلك في البيت التالى — هذا : وللمهر هو الصغير السن من الخيل ، و«الأبق» مهرة وجمع المذكر : أمهار ومهار . ومهارة ؛ وجمع للوث : مهر ومهرات . قال الريح بن زياد العبسى يحرض قومه في طلب دم مالك بن زهير العبسى ، وكانت فزارة قتله لما قتل حذيفة بن بدر الغزاري :

أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بْنِ زُهَيْرٍ تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ
مَا إِنْ أَرَى فِي قَتْلِهِ لِدَوَى الْحَجَى إِلَّا الْمَطَى تُشَدُّ بِالْأَكْوَارِ
وَمُحَبَّاتٍ مَا يَذْفُقْنَ عَذُوقَهُ يَقْدِفْنَ بِالْمَهْرَاتِ وَالْأَمْهَارِ ^(١)
(٤) أراد بالحيوان الراكب الخيل : الإنسان ؛ واللوسم : اللعلم . يقول : لك الخيل

(١) المحنات : الخيل تنجب إلى الإبل ويقال ما ذاق عذوقا ولا عذوفة — بالذال والذال — أى ما ذاق شيئا .

وَلَوْ كُنْتُ أَذْرِي كُمْ حَيَاتِي قَسَمْتُهَا وَصَبَرْتُ ثُلُثِيهَا أَنْتَظَرَكَ فَأَعْلَمُ^(١)
وَلَسَكُنَّ مَا يَمْنَعِي مِنَ الْعُمْرِ فَأَنْتَ فَجُدْ لِي بِحِطِّ الْبَادِرِ الْمُتَغَنِّمِ^(٢)
رَضِيتُ بِمَا تَرْضَى بِهِ لِي مَحَبَّةً وَقُدْتُ إِلَيْكَ النَّفْسَ قَوْدَ الْمُسْلَمِ^(٣)
وَمِثْلُكَ مَنْ كَانَ أَلَوْسِيَطَ فُؤَادِهِ فَكَلَّمَهُ عَنِّي وَلَمْ أَنْكَلَمْ^(٤)

وقال يذكر محمى كانت تشاء بمصر ويعرض بالرحيل عن مصر ، وذلك
في ذى الحجة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة :

مَلُومُكُمْ يَجِلُّ عَنِ الْمَلَامِ وَوَقَعُ فَعَالِهِ فَوْقَ الْكَلَامِ^(٥)

ومن يركبها وكل حيوان وإن كانت غير معلة ، ومراده بالحيل ما هو أعم منها من الحيوان
وإنما خصها بالذكر لكان ذكر المهم .

(١) هذا استبطاء لما يرجوه منه ، يقول : لو كنت أعرف كم مقدار بقاى في الدنيا
لجعلت ثلثي ذلك المقدار مدة انتظار عطايتك ، وهذا من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ كَانَ عِنْدَكَ مِثْقَالُ يُمْلَأُ يُجْلَدُنَا إِلَى الْأَشْيِبِ أَنْتَظَرْنَا سَلَوَةَ الْكَبِيرِ

(٢) البادر : السريع ؛ والمتغنىم : الذى يغتنم الشيء . يقول : ما فات من العمر
لا يعود : أى أن ما بقى من الحياة غير طويل ، فإن الماضى غير مستدرك ، فجلى بحظ من
يستعجل ويبادر إلى الأمور ويغتنمها وقت القدرة والإمكان .

(٣) هذا كالعود من عتاب الاستبطاء . يقول : إن كنت ترضى بتأخير ما أرجوه
فأنا أَرْضَى بِهِ أَيْضاً مَحَبَّةً لَكَ ، وانجذاباً إلى هوائك وموافقة لرؤياك لأنى قدت نفسى إليك
قود من سلم إليك أمره تصرفه كما تشاء .

(٤) يقول : مثلك فى كرمك ومماحتك يكون فؤاده وسيطاً بينه وبينى فيكلمه عنى
ولا يحوجنى إلى الكلام .

(٥) الفعّال : بمعنى الفعل . يقول - لصاحبيه اللذين يلومانه على تحشم الأسفار
وإخطاره بنفسه فى طلب المعالى - : ملومكما - يعنى نفسه - أجل من أن يلام ، لأن
فعله يجوز طرق القول ، فلا يدرك فعله بالوصف والقول ، ولا أنه لا مطمع للأنم فيه بأن
يطيعه أو يخذعه هو بلومه ، وذهب ابن القطاع إلى أن الكلام : بمعنى الجراحات ، قال

ذَرَانِي وَالْفَلَاةَ بِلَا دَلِيلٍ وَوَجْهِي وَالْهَجِيرَ بِلَا لِثَامٍ^(١)
 فَأَنِّي اسْتَرَيْحُ بِذِي هَذَا وَأَنْعَبُ بِالْإِنَاخَةِ وَالْمَقَامِ^(٢)
 عُيُونُ رَوَاحِلِي إِنْ حَرَّتْ عَيْنِي وَكُلُّهُ بِنِغَامٍ رَازِحَةٌ بُغَايِي^(٣)
 فَقَدْ أَرَدُ الْمَيَاةَ بِخَيْرِ هَادٍ سِوَى عَذْيٍ لَهَا بَرَقَ النِّغَامِ^(٤)

الغنى ملوم كما يحل من لو مكا ووقع فعال لوم كما فوق الكلام : أى الجراحات ، والكلام بكسر الكاف - جمع كلم -

(١) ذراني : دعاني واتركاني . والفلاة : الصحراء . ونصب الفلاة والمجير لأنهما مفعولان معهما . ووجهي : عطف على «الياء» من ذراني ، والمجير حر نصف النهار يقول : دعاني مع الفلاة أسلكها بنير دليل لاهتدائي فيها وخبرني بمسالكها ، ودعاني مع المجير أسير فيه بنير لثام يقي وجهي ، لثامى قد اعتدت ذلك .

(٢) الإناخة : النزول ؛ والمقام : مصدر ميمي ، بمعنى الإقامة . وقوله بذى وهذا معنى بالفلاة والمجير . يقول : راحق فيهما وتعني في النزول والإقامة .

(٣) الرواحل جمع راحلة وهى الناقة وبغام الناقة : صوت لا تفصح به وبغمت الناقة تبغم بغاما : قطعت الحنين ولم تمدد ورزحت الناقة : سقطت من الإعياء . قال الواحدى قال ابن جنى : معناه أن حارت عيني ، فانا بهيمة مثل رواحلي ، وعيني عينها وصوتي صوتها ، كما تقول : إن فعلت كذا فأنت حمار ، وأنت بلا حاسة ، وزاد ابن فورجه هذا بيانا فقال : يريد أنه بدوى عارف بدلالات النجوم فى الليل ، فيقول إن تحيرت فى المفازة فعينى البصيرة عين راحلقى ، ومنطلق الفصح : بغامها ، وقال التبريزي : عيون رواحلي تنوب عني إذا ضللت أهتدى بها وصوتها إذا احتجبت إلى أن أصوت لسمع الحى يقوم مقام صوتي ، وإنما قال « بغامى » على الاستعارة .

(٤) يقول : لا أحتاج فى ورود الماء إلى دليل يدلنى سوى أن أعد برق النمام ، وأستدل بذلك على المطر فأتابع موقعه ، على عادة العرب فى عدها بروق النمام ، وذلك أن العرب كانوا إذا لاح البرق عدوا سبعين برقة ، وقيل مائة ، فإذا كملت وثقوا بأن البرق برق ما طر ، فرحلوا يطلبون موضع الغيث . قال قائلهم :

سَقَى اللَّهُ جَبْرَانًا حَدَثُ جِوَارِمٍ كَرَامًا إِذَا عُدُّوْا وَفَوْقَ كِرَامٍ
 يَمُدُّونَ بَرَقَ الْمُزْنِ فِي كُلِّ مَهْمَةٍ فَمَا رَزَقُهُمْ إِلَّا بُرُوقُ غَمَامٍ

(١٨ - المتنبي)

يَذِمُّ لِمُحَجَّتِي رَبِّي وَسَيِّفِي إِذَا احتَاجَ الْوَحِيدُ إِلَى الدَّمَامِ (١)
وَلَا أُمْسِي لِأَهْلِ الْبَخْلِ ضَيْفًا وَلَيْسَ قَرَى سِوَى مُخِ الدَّمَامِ (٢)
فَلَمَّا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خَيْبًا جَزَيْتُ عَلَى ابْنِسَامٍ بِابْنِسَامِ (٣)
وَصِرْتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفِيهِ لِعِلْمِي أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ (٤)
يُحِبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ (٥)

(١) يقال أذم له : أى أعطاه الذمة ، وهى العهد والحفارة ، والمهجة : الروح ، يقول من احتاج فى سفره إلى ذمة ليا من بذلك ، فإنى أكون فى ذمة الله وذمة سبى يعنى : لا استصعب أحداً فى سفرى لآمن بصحبته .

(٢) وليس قرى : أى وليس لى قرى . فخير « ليس » محذوف ، والجملة : حال . يقول : لا أُمْسِي ضيفاً للبخل وإن لم يكن لى طعام البتة - لأنه لا مخ للنعام - ويجوز أن يريد بهذا أن البخل لا قرى عنده ، ويروى مع - بالحاء المهملة - وهو وصفة البيض وقيل ما فى جوف البيض من أصفر وأبيض كله مع . والمعنى على هذا لو لم يكن لى قرى سوى بيض النعام شربته ولم آت بخيلا .

(٣) الحب ، الخداع . يقول : لما فسد ود الناس وصار خداعاً يبشون بوجوههم وكشعهم منطو على الحبث عاملتهم بمثل ما يعاملونى به ؛ فهم يكاشروننى وأنا أكاشرم أى ابتسمت إليهم كما يبتسمون إلى .

(٤) يقول : لعموم الفساد فى الخلق كلهم صرت إذا اصطفت - اخترت - أحداً لمودنى لم أكن على ثقة من مودته لعلمى أنه من جملة الخلق . حكى عن المتنبي أنه قال : كنت إذا دخلت على كافور وأنشدته يضحك إلى ويبش فى وجهى حتى أنشدته هذين البيتين فما ضحك بعدهافى وجهى إلى أن تفرقتنا . فعجبت من فطنته وذكائه .

(٥) الوسام والوسامة : حسن الصورة . يقول : العاقل إنما يحب من يحبه لأجل صفاء الود بينهما . فمن أصفى له الود أحبه ، أما الجاهلى الأحمق فإنه يحب على جمال الصورة ، وذلك حب الجهال - الحمقى - لأنه ليس كل جميل المنظر يستحق المحبة كخضراء الدمن (١) رافق اللون وبى المذاق .

(١) أصل الدمن : ما تدمنه الإبل والغنم من أبقارها وأبقارها - أى تلبده فى مرابضها فربما نبت فيها النبات الحسن النضير وأصله من دمنة ، فذلك النبات هو خضراء الدمن وفى الحديث « إياكم وخضراء الدمن » قيل : وما ذاك يارسول الله قال : المرأة الحسناء

وَأَتَفُّ مِنْ أَخِي لِأَبِي وَأُمِّي إِذَا مَا لَمْ أَجِدْهُ مِنَ الْكِرَامِ (١)
أَرَى الْأَجْدَادَ تَفْلِحُهَا كَثِيرًا عَلَى الْأَوْلَادِ أَخْلَاقُ النَّسَامِ (٢)
وَلَسْتُ بِقَانِعٍ مِنْ كُلِّ فَضْلٍ بَأْسٌ أَعَزَّى إِلَى جَدِّ هُمَامِ (٣)
عَجِبْتُ لِمَنْ لَهُ قَدْ وَحْدٌ وَيَنْبُو نَبْوَةَ الْقَضِمِ الْكُهَامِ (٤)
وَمَنْ يَحْدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي فَلَا يَذَرُ الْمَطَى بِلَا سَنَامِ (٥)
وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى الْقَتَامِ (٦)

(١) آتف : أى استنكف . وقوله لأبى وأمى : حال ؛ أى مولودا لهما - يعنى الأخ الشقيق -

(٢) يقول . إذا لؤمت الأخلاق غلبت الأصل الطيب الكريم حتى يكون صاحبها لثما وإن كان من أصل كريم ، كما قال آخر :

أَبُوكَ أَبٌ حُرٌّ وَأُمُّكَ حُرَّةٌ وَقَدْ يَلِدُ الْحُرَّانِ غَيْرَ نَجِيبٍ
وقال آخر :

لئن فخرتَ بآبَاءِ لَهْمُ شَرَفٍ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا

(٣) أعزى : أنسب . والهمام : السيد الشجاع السخى . يقول : لا أقنع من الفضل

بأن أنسب إلى جد فاضل ، يعنى إذا لم أكن فاضلا بنفسى لم يغنى عنى فضل جدى

(٤) القد : القامة ، وحد : أى حد السيف . يريد بمن له قد وحد : انشاب الذى لم

يهدم الحرم جسمه ولم يذهب الكبر بقوته ، وبينا السيف : كل عن الضريبة ، والقضم

السيف الذى فيه خلل ؛ والكهام : الذى لا يقطع . يقول : عجبت لمن توافرت له قوة

الشباب وبأسه ثم لا ينفذ فى الأمور ولا يكون ماضيا .

(٥) المطى : الإبل ؛ والسنام : ما شخص من ظهر البعير . يقول : وعجبت لمن وجد

الطريق إلى معالى الأمور فلا يبادر إلى قطعها ليصل إليها ، ولا يتعب مطاياها فى ذلك

الطريق حتى تذهب أسنمتها .

(٦) يقول : ولا عيب أبلغ من عيب من قدر أن يكون كاملا فى الفضل فلم يكمل :

فى الثبت السوء « شبه المرأة بما ينبت فى الدمن من السكلا له غضارة وهو وبى المرعى
متن الأصل .

أَقَمْتُ بِأَرْضٍ مِصْرَ فَلَا وَرَأَى تَحَبُّ بِى الْمَلِئُ وَلَا أُمَامِ^(١)
وَمَلَنِى الْفِرَاشُ وَكَانَ جَنبِى يَمَلُّ لِقِصَآءِهِ فِى كُلِّ عَامِ^(٢)
قَلِيلٌ عَائِدِى سَقَمٌ فَوَادِى كَثِيرٌ حَاسِدِى صَنْبٌ مَرَامِ^(٣)
عَلِيلُ الْجَنَمِ مُتَمَنِّعُ الْقِيَامِ شَدِيدُ السُّكْرِ مِنْ غَيْرِ الْمَدَامِ^(٤)
وَزَارَتْنِى كَأَنَّ بِهَآ حَيَاءُ فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِى الظَّلَامِ^(٥)
بَذَلْتُ لَهَا الْمَطَارِفَ وَالْحَشَايَا فَعَاقَبْتَهَا وَبَاتَتْ فِى غِلَظِى^(٦)
بَضِيقُ الْجِلْدِ عَنْ نَفْسِى وَعَنْهَا فَتَوَسَّعَتْ بِأَنْوَاعِ السَّقَامِ^(٧)
إِذَا مَا فَارَقْتَنِى غَسَّ لَتَنِى كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامِ^(٨)

أى لا عذر له فى ترك الكمال إذا قدر على ذلك ثم تركه ، والعيب ألزم له من الناقص الذى لا يقدر على الكمال . يشير بهذه الايات إلى نفسه ويعرض بالرحيل عن مصر .
(١) الحجب : ضرب من السير ؛ والركاب : الإبل . يقول : أقمت بمصر لا تسير إلى الإبل إلى خلف ولا إلى قدام ، يعنى أنه لزم الإقامة بها لا يريم .
(٢) يقول : إن مرضه قد طال حتى مله الفراش وكان هو يمل الفراش وإن لاقاه جنبه فى العام مرة واحدة ، لأنه أبداً كان يكون على سفر .
(٣) يقول : إني بمصر غريب فليس يعودنى بها إلى القليل من الناس ، وفوادي سقيم لتراكم الأحزان على ، وحسادى كثير لوفور فضلى ، ومرامى - مطلبى - صعب لأنى أطلب الملك .

(٤) قوله من غير اللدام : أى أنى سكران من غير خمر ، وإنما من الضعف والهموم
(٥) وزارتنى : أى ورب زائرة لى - يريد الحمى وكانت تأنيه ليلاً - يقول : كأنها حية إذا كانت لا تزورنى إلا فى دجنات الظلام .

(٦) المطارف : جمع مطرف ، وهورداء من خز فى جنبه علمان . والحشايَا : جمع حشية ، وهى ما حشى من الفراش مما يجلس عليه . وعاقبتها : كرهتها وأبتها . يقول : هذه الزائرة - يعنى الحمى - لا تنبت فى الفراش ، وإنما تنبت فى عظامى .

(٧) يقول : جلدى لا يسمعها ولا يسمع أنفاسى للصعداء ، والحمى تذهب لحمى وتوسع جلدى بما تورده على من أنواع السقام .

(٨) قال الواحدى : يريد أنه يعرق عند فراقها ، فكأنها تغسله لعكوفها على ما يوجب

كَانَ الصُّبْحَ يَطْرُدُهَا فَتَجْرِي مَدَامِهَا بَارِبَةً سِجَامَ (١)
 أَرَاقِبُ وَقْتَهَا مِنْ غَيْرِ شَوْقٍ مُرَاقِبَةَ الْمَشُوقِ الْمُسْتَهَامِ (٢)
 وَيَصْدُقُ وَغَدَا وَالصَّدْقُ شَرٌّ إِذَا أَلْفَاكَ فِي الْكَرْبِ الْعِظَامِ (٣)
 أَبْنَتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلُّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلَتْ أَنْتِ مِنَ الزَّحَامِ (٤)
 جَرَحْتَ مُجْرَحًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ مَكَانٌ لِلشَّيْوَفِ وَلَا السَّهَامِ (٥)
 أَلَا يَأْلَيْتَ شَمَرَ يَدِي أُنْمِسِي تَهَرَّفُ فِي عِنَانٍ أَوْ زِمَامِ (٦)

الفعل ، وإنما خص الحرام للفاقية ، وإلا فالاجتماع على الحلال كالاجتماع على الحرام في وجوب الفعل. وقال ابن الشجري: وإنما خص الحرام لأنه جعلها زائرة غريبة ولم يجعلها زوجة ولا مملوكة .

(١) سجم الدمع : سال انسكب : أى بأربعة أدمع . يقول : إنها تفارقه عند الصبح ، فكان الصبح يطردها وكأنها تكره فراقه فتبكي بأربعة أدمع . يريد كثرة الرضاء وهو عرق الحمى ، والدمع يجرى من الموقين ، فإذا غلب وكثر جرى من المحاطين أيضا . والموق . طرف العين مما يلي الأنف ؛ والمحاط : طرفها مما يلي الصدغ .

(٢) يقول : إنه لجزعه من ورودها يراقب وقت زيارتها خوفا لا شوقا
 (٣) يقول : إنها صادقة الوعد في الورود - لأنها لا تتخلف عن ميعاتها - وذلك الصدق شر من الكذب لأنه صدق يضر ولا ينفع ، كمن أوعدهم صدق في وعده .

(٤) يريد بينت الدهر : الحمى ؛ وبنات الدهر . هدامه . يقول : للحمى - : عندي كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنحك ازدحامها من الوصول إلى ؟ وهذا من قول الآخر :

أَتَيْتُ فَوَادَهَا أَشْكُو إِلَيْهِ قَلَمُ أَخْلَصُ إِلَيْهِ مِنَ الزَّحَامِ
 (٥) يقول : لقد جرحت رجلا من كثرة ملاقاته الحروب لم يبق فيه مكان لضرب السيوف ولا للسهم .

(٦) يقولون ليت شعري ما حال فلان ؟ أى ليتنى أشعر ؛ وخبر « ليت » محذوف : أى ليت شعري حاصل ونحوه ؛ والعنان : سبيل اللجام ، والزمام : للقدود . يقول : ليت يدى علمت هل تتصرف بعد هذا في عنان خيل أو زمام إبل ؟ يعنى ليتنى علمت : هل أصح وأبرا فاسافر على الخيل والإبل ؟

وَهَلْ أَزْمَى هَوَاىَ بِرَاقِصَاتِ مُحَلَّاتٍ الْمُقَاوِدِ بِاللَّغَامِ^(١)
 فَرُبَّمَا شَفَيْتُ غَلِيلَ صَدْرِي بِسَيْرٍ أَوْ قَفَاةٍ أَوْ حُسَامِ^(٢)
 وَضَاقَتْ خُطَّةٌ تَخَلَّصْتُ مِنْهَا خَلَاصَ الْخَمْرِ مِنْ نَسْجِ الْفِدَامِ^(٣)
 وَفَارَقْتُ الْحَبِيبَ بِلَا وَدَاعٍ وَوَدَّعْتُ الْبِلَادَ بِلَا سَلَامِ^(٤)

(١) هَوَاىَ : يعنى ما يهواه ويطلبه ، وبراقصات : أى يابل تسير الرقص ، وهو ضرب من الحب ، يقال رقص البعير رقصة إذا خب ؛ ومحلاة : من الحلية ؛ واللغام : زبد يخرج من فم البعير . يقول : وهل أقصد ما أهواه من المطالب والمقاصد يابل تسير الرقص وقد حمد الزبد على مقاوده انصار عليها مثل الحلى الفضية ؟ وهذا كما قال منصور النخري :

وَيَقْطَعُ الْبَيْدَ مِنْهَا كُلُّ يَعْمَلَةٍ خُرْطُومُهَا بِاللَّغَامِ الْجَفْدِ مُلْتَفِعُ^(١)

(٢) الغليل : العطش ، ويراد به كل ما حز في الصدر ، والقناة : الرمح . والحسام : السيف القاطع . يقول : إنه لما كان صحيحا كان يسافر ويقاتل فيشفى غليله بالسيف إلى ما يهواه ، وبالسيف والرمح .

(٣) الخطوة : الأمر والقصة ، والفدام : ما يجعل على فم الإبريق ونحوه ليصق به ما فيه . يقول : ربما ضاق أمر على غلصت منه كما تخلص الحمر من النسيج الذى تشد به أفواه الأبريق .

(٤) يقول : وربما فارقت الحبيب بلا وداع لمعلى ؛ يريد أنه قد هرب من أشياء كرهها فلم يقدر على توديع الحبيب ولا على أن يسلم على أهل ذلك البلد الذى هرب منه .

(١) لغام جعد : متراكب مجتمع ، وذلك إذا صار بعضه فوق بعض على خطم البعير أو الناقة ، يقال : جعد اللغام ، قال ذو الرمة :

تَنْجُوا إِذَا جَعَلَتْ تَذْمَى أَخَشَتَهَا وَاغْتَمَ بِالزَّبْدِ الْجَعْدُ الْخُرَاطِيمُ
 « تنجو : تسرع السير ، والنجاء : السرعة ، وأخشتها جمع خشاش ، وهى حلقة تكون فى أنف البعير » .

يَقُولُ لِي الطَّبِيبُ أَكَلْتَ شَيْئًا وَدَاوُكَ فِي شَرَابِكَ وَالطَّعَامِ^(١)
وَمَا فِي طَبْعِهِ أَتَى جَوَادُ أَضَرَ بِجَسْمِهِ طُولُ الْجِمَامِ^(٢)
تَعَوَّدَ أَنْ يُفَقِّرَ فِي السَّرَايَا وَيَدْخُلُ مِنْ قَتَامٍ فِي قَتَامِ^(٣)
فَأَمْسِكَ لَا يُطَالُ لَهُ فَيَزْعَى وَلَا هُوَ فِي الْعَلِيقِ وَلَا اللَّجَامِ^(٤)
فَإِنْ أَمْرَضَ فَمَا مَرَضَ اضْطَبَّارِي وَإِنْ أُنْحَمَ فَمَا حَمَّ اعْتَزَامِي^(٥)
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَنْبَى وَلَسِكِنْ سَلِمْتُ مِنَ الْجَمَامِ إِلَى الْجَمَامِ^(٦)

(١) و (٢) الجمام : الراحة . يقول : إن الطبيب يظن أن سيب دأى الأكل والشرب فيقول : أكلت كذا وكذا مما يضر ، وليس في طبعه أن الذي أضرب بجسمي طول لبني وقعودي عن الأسفار ، كالفرس الجواد ، يضر بجسمه طول قيامه في اللرابط ، فيفتر ويبي .

(٣) السرايا : جمع سرية ، وهى القطعة من الجيش تسرى إلى العدو ؛ والقنام : الغبار وأراد بدخول القنام : حضور الحرب . يقول : تعود هذا الجواد - يعنى نفسه أن يثير الغبار في الجيوش ويخرج من حرب فيدخل في غيرها .

(٤) فأمسك : أى الجواد . ولا يطال له : أى لا يرعى طوله ، وهو جبل طويل تشد به قائمة الدابة وترسل في المرعى . يقول : أمسك هذا الجواد لا يرعى له الطول فيرعى فيه ولا هو في السفر فيعتف من الخلة - التى تعلق على رأسه - وليس هو في اللجام . وهذا مثل ضربه لنفسه ، وأنه حليف الفرائس ، ممنوع عن الحركة ، وجائز أن يكون هذا الثلث قد ضربه لحالته مع كافور .

(٥) أحمم : من الحمى . يقول : إن كنت قد مرضت في بدني فإن صبرى وعزى باقيا على ما كانا عليه لم يمرضنا بمرض جسمي .

(٦) الحمام : الموت . يقول : وإن سلمت من الحمى لم أبق خالدا ، ولسكنى أسلم من الموت بها إلى الموت بغيرها ، وهذا قريب من قول طرفة بن العبد :

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لَكَالطَّوِيلِ الْمُرْحَى وَثَنِيَاهُ بِالْيَدِ^(١)

(١) الطويل : الجبل الطويل جدا ، أو جبل طويل تشد به الدابة ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترحى .

تَمَتَّعَ مِنْ سُهَادٍ أَوْ رُقَادٍ وَلَا تَأْمُلْ كَرْمِي تَحْتَ الرُّجَامِ^(١)
فَإِنَّ لِلثَّالِثِ الْحَالَيْنِ مَعْنَى سِوَى مَعْنَى انْتِبَاهِكَ وَالْمَقَامِ^(٢)

وقال يهجو كافوراً :

مِنْ أَمِيَةِ الطَّرْقِ يَأْتِي نَحْوَكَ الْكَرْمُ^(٣) أَيْنَ الْحَاجِمِ يَا كَافُورُ وَالْجَلْمُ^(٤)
جَازَ الْأُلَى مَلَكَتْ كَفَاكَ قَدَرَهُمْ^(٥) فَمَرُّوْا بِكَ أَنَّ الْكَلْبَ فَوْقَهُمْ^(٦)

ومن قول الآخر

إِذَا بَلَ مِنْ دَاءٍ بِهِ خَالَ أَنَّهُ نَجَاوَيْهِ الدَّاءُ الَّذِي هُوَ قَاتِلُهُ^(١)

(١) السهاد . السهر والكرى . يريد به النوم ، والرجام . القبور - واحده رجم وأصلها حجارة ضخام تجعل على القبر ، ومنه قول عبد الله بن مغفل : لا ترجوا قبوري أى لا تجعلوا عليه الرجم - أى لا تسنموه بل سووه بالأرض . يقول : مادمت حيا فتمتع من حالتي السهر والنوم ولا ترج النوم في القبر : وفيه نظر إلى قول الآخر .

تَمَتَّعَ بِالرُّقَادِ عَلَى شِمَالٍ فَنَوْمُكَ قَدْ يَطُولُ عَلَى الْيَمِينِ

(٢) يريد بثالث الحالين . الموت . يقول : إن الموت حال غير حال السهر والنوم

فلا يتمتع فيه بشئ .

(٣) المحاجم . جمع الحجمة ، وهى القارووة يحجم بها الجلد . والجلم . أحد شقي المقرض وهما جلدان . يقول . لا طريق للكرم إليك ، فإنك لست منه فى شئ ، إنما أنت أهل لأن تكون حجاما - مزينا - فأين آلة الحجامة حتى تشتغل بها ؟ وفيه إشارة إلى أن الذى اشتراه قديما كان حجاما .

(٤) الألى . أى الدين ؛ وقدرهم ؛ مفعول « جاز » . يقول : إن هؤلاء الذين تملكهم قد تجاوزوا قدرهم بالبطر والظن . فلذلك الله عليهم تحقيرا لهم ووضعنا من قدرهم ، حين ملكهم كلب .

(١) بل : برا وصح . والداء الذى هو قاتله : الهرم .

لَا شَيْءَ أَقْبَحُ مِنْ خَلِّ لَهُ ذَكَرٌ تَقُودُهُ أُمَةٌ لَيْسَتْ لَهَا رَحِمٌ ^(١)
 سَادَاتُ كُلِّ أُنَاسٍ مِنْ نَفُوسِهِمْ وَسَادَةُ الْمُسْلِمِينَ الْأَعْبُدُ الْقَزَمُ ^(٢)
 أَغَايِبَةُ الدِّينِ أَنْ تُخْفُوا شَوَارِبَكُمْ يَا أُمَّةَ ضَحِكْتَ مِنْ جَهْلِهَا الْأُمَمُ ^(٣)
 أَلَا فَتَى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَامَتَهُ كَيْمًا تَزُولُ شُكُوكُ النَّاسِ وَالْثَمَمُ ^(٤)
 فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤَاذِي الْقُلُوبَ بِهَا مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالْقَطْعُ طِيلُ وَالْقَدَمُ ^(٥)
 مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ يُخْزِي خَلِيقَتَهُ وَلَا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الدِّي زَعْمَرَا ^(٦)

(١) قال الواحدى . يريد بالفحل ذى الذكر . رجاله عسكره ، وبالأمة التى لارحم لها . الأسود - كافورا - يوغهم بانقيادهم له ، يقول : لا شيء اقبح فى الدنيا من رجل ينقاد لأمة حتى تقوده إلى ما تريد ؛ وقال ابن فورجه ؛ يريد أن ابن طنجى فحل له ذكر وكافورا خصى ، فهو كالأمة من حيث إنه خصى لكنه قد خالفها بكونه لارحم له ، فكأنه أنقص من أمة ، فهذا إغرابه ، يقول : لم تملكه أمرك وأنت فحل وهو أمة فى العجز ودناءة القدر ؟

(٢) القزم : رذال الناس وسفلتهم ؛ يستوى فيه الذكر والمؤنث والواحد والجمع ، وروى ابن جنى : القزم - بضمتين - وهو جمع ، مثل أسد وأسد . وهذا إغراء لأهل مملكته به . يقول : كل جيل وأمة يملكهم من هو من جنسهم ، فكيف ساد المسلمين عبيد رذال لثام ؟

(٣) أحفى شاربه : استأصله . يقول - لأهل مصر - : لا شيء عندكم من الدين إلا إحقاء الشوارب حتى ضحكت منكم الأمم ، وهذا إنكار عليهم طاعة الأسود وتقريره فى المملكة .

(٤) الهندى : السيف ، نسبة إلى الهند ، والهامة : الرأس ؛ يحرض على قتله ، يقول ألا رجل منكم يقتله حتى يزول عن العاقل الشك والتهمة ؟ وذلك أن تملك مثله يشكك العاقل فى حكمة البارى - جل شأنه - حتى يفضى به إلى أن يظن أن الناس معطلون عن صانع يدبرهم .

(٥) يقول : إن الدهرى يقول لو كان للعالم مدير وكانت الأمور جارية على تدبير حكيم : لما ملك هذا العبد .

(٦) ولا يصدق قوما : أى لا يجعلهم صادقين . يقول - كما قال الواحدى - : إن الله

وقال يهجوهُ أيضاً :

أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كَرِيمٌ تَزُولُ بِهِ عَنِ الْقَلْبِ الْهُمُومُ^(١)
 أَمَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَكَانٌ يُسَرُّ بِأَهْلِهِ الْجَارُ الْمَقِيمُ^(٢)
 تَشَابَهَتْ الْبَهَائِمُ وَالْعَبْدِيُّ عَلَيْنَا وَالْمَوَالِي وَالصَّمِيمُ^(٣)
 وَمَا أَدْرَى أَذَا دَاءٍ حَدِيثٌ أَصَابَ النَّاسَ أَمْ دَلَالَةٍ قَدِيمُ^(٤)
 حَصَلَتْ بِأَرْضٍ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ كَأَنَّ الْحُرَّ بَيْنَهُمْ يَنْتَبِهُ^(٥)
 كَأَنَّ الْأَشْوَدَ اللَّابِي فِيهِمْ غُرَابٌ حَوْلَهُ رَحْمٌ وَبُومُ^(٦)

تعالى قادر على إخراج الخليفة بأن يملك عليهم اثماً ساقطاً من غير أن يصدق الملاحدة الذين يقولون بقدوم الدهر . يشير إلى أن تأمير مثله إخراج للناس ، وأن الله تعالى فعل ذلك عقوبة لهم وليس كما يقول الملاحدة ، وذهب بعضهم إلى أنه يحتمل أن يكون المراد أن الله قادر أن يخزي الملحدين ويكذب زعمهم بأن يسلط عليه - على كافور - من يقتله ويبطل حجبتهم .

(١) يشكو خلو الدنيا من الكرام يقول : أما فيها كريم يؤنس به ويستروح إليه وتزول به الهموم ؟

(٢) يقول : إن كل الأمكنة التي وصل إليها قد عمها الأؤم والأذى ، ليس في الدنيا مكان يحفظ أهله الجار ويرعونه فيسر بحوارهم ؟

(٣) العبدى : العبيد ، جمع عبد ، والمراد بهم هنا : العباد - أى الناس - وللموالى جمع مولى ، المملوك ، والصميم : الصريح النسب الخالص . يقول : عم الجهل الناس كلهم الذين هم عبيد الله - حق التبتسوا علينا بالبهائم ؛ إذ أشبهوها في الجهل ، ومملك المملوكون فالتبتس الصميم - الأحرار - بالموالى - أى الذين كانوا عبيداً أرقاء - وذلك أن نفاذ الأمر يترجم عن علو القدر . والإمارة إذا صارت إلى اللثام : التبتسوا على هذا الأصل بالكرام ، يعنى أن التملك إنما يستحقه الكرام ، فإذا صار إلى اللثام ظنوا كراماً (٤) يقول : لست أدري أهذا الذى أصاب الناس من تملك العبيد واللثام : عليهم حدث الآن ، أم هو قديم كان قبلنا فيما تقدم ؟

(٥) يعنى : أن الحر بينهم محفو مهان كاليتيم .

(٦) اللابى : نسبة إلى اللاب ، بلد بالنوبة ، ويقال أسود لوبى ونوبى : نسبة إلى

أَخَذْتُ بِمَدْحِهِ فَرَأَيْتُ لَهَوًا مَقَالِي لِلْأَخِيمِ يَاحْلِمُ^(١)
وَلَمَّا أَنْ هَجَوْتُ رَأَيْتُ عِيَا مَقَالِي لِابْنِ آوَى يَالْتِيمُ^(٢)
فَقُلْ مِنْ عَازِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا قَدْ فُوعَ إِلَى السَّقَمِ السَّقِيمِ^(٣)
إِذَا أَنْتِ الْإِسَاءَةُ مِنْ لَتِيمٍ وَلَمْ أَلَمْ الْمُسِيءُ قَنَ الْوَمُ^(٤)

ودخل عليه صديق له بالكوفة وبيده تفاحة نذر عليها اسم فانتك ، وكانت مما
أهداه له ، فاستحسنها الرجل ، فقال المتنبي :
يُذَكِّرُنِي فَاتَرَكَا حِلْمُهُ وَتَنَى مِنْ النَّدِّ فِيهِ اسْمُهُ^(٥)

اللوبة والنوبة ، وهما في الأصل : الأرض التي قد ألبستها حجارة سود . والبوم : الطائر
المعروف الذي يسكن الحراب ، وبه يضرب المثل في الشؤم والرخم : طائر من الجوارح
الكبيرة الجثة الوحشية الطباع . شبه الأسود بالفراب — وهو طير خسيس كثير الصيوب
وشبه أصحابه أيضا بخساس حول الفراب .

(١) أخذت : رواها الواحدي بصيغة المجهول . قال : أى أكرهت ، وتروى أخذت
بصيغة المعلوم — أى شرعت ؛ و« لهوًا » مفعول ثان مقدم ؛ ومقالى : مفعول أول .
يقول : أكرهت على مدحه فرأيتنى لاها . أن أصف الأحمق بالحلم وأن أمدحه بما
ليس فيه .

(٢) ولما أن هجرت : أى ولما هجوت : ف « أن » زائدة . والى : ضد الفصاحة :
عبي في منطقته عيا : إذا لم يوفق إلى التعبير عما في نفسه — وابن آوى : ضرب من
الكلاب البرية تنذر بالسبع بصياحها . يقول : ولما هجوته وهو ظاهر اللؤم ؛ كان نسبق
إياه إلى اللؤم عيا ، لأن التكلم بما لا يحتاج فيه إلى بيان عى ، ومن قال لابن آوى — وهو
من الأم السباع وأخسها — باللتيم ، كان متكلفا .

(٣) يقول : فهل من عاذر لى يقوم بعذرى في مدحه وهجائه — فإنى كنت مضطراً
لم يكن لى فيهما اختيار ، كالسقم يطرأ على السقيم من غير اختياره ؟
(٤) يعتذر من تكلفه هجاءه يقول : إذا أساء إلى وضع لتي لم أوجه اللوم إليه
فإلى من أوجه ؟ وهذا من قول أبى تمام :

إِذَا أَنَا لَمْ أَلَمْ عَنَرَاتِ دَهْرٍ أُصِيتُ بِهِ الْغَدَاةَ فَمَنْ الْوَمُ
(٥) الند : عود يتبخر به ؛ والضمير فى « اسمه » : لفاتك .

وَأَسْتُ بِنَاسٍ وَلَكِنِّي يُجَدُّ لِي رِيحُهُ تَمَّةُ (١)
وَأَيُّ فَتَى سَلَبَنِي الْمَنُونُ وَلَمْ تَذِرْ مَا وَلَدَتْ أُمُّهُ (٢)
وَلَا مَا تَضُمُّ إِلَى صَدْرِهَا وَلَوْ عَلِمْتَ هَالِكًا ضَمُّهُ (٣)
بِمَصْرَ مُلُوكٍ لَمْ يَمَلْهُ وَلَكِنَّهُمْ مَا لَمْ يَمَلْهُ (٤)
فَأَجُودُ مِنْ جُودِهِمْ بِخُلَّةٍ وَأَحْمَدُ مِنْ تَحْدِهِمْ ذَمُّهُ (٥)
وَأَشْرَفُ مِنْ عَيْشِهِمْ مَوْتُهُ وَأَنْفَعُ مِنْ وَجْدِهِمْ عُدْمُهُ (٦)
وَإِنْ مَنِيَّتُهُ عِنْدَهُ لَكَاظِمٌ سَقِيهًا كَرَمُهُ (٧)

(١) الضمير في « ريحه » : لفاتك ؛ وفي « تمة » : لند .

(٢) المنون : الموت ؛ وأمه : تنازعه كل من « تدر » و « ولدت » أي لم تدر أمه ما ولدت .

(٣) هالكا : أفرعها . يقول : لو علمت أمه التي كانت تضمه إلى صدرها في صغره أنه شجاع فأتاك قتال : لفرغت منه ولهاها ضم ذلك الولد إلى صدرها .

(٤) قوله بمصر ملوك : يعرض بكافور ، وهمه — أي همته — يقول : إن لم يمالأ كثيراً مثل ماله ولكن ليس لهم مثل علو همته ، وهذا من قول أشجع السلمي :
وَلَيْسَ بِأَوْسَعِهِمْ فِي الْفَنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
وقول الآخر :

وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَتَيَانِ مَالًا وَلَكِنْ كَانَ أَوْسَعَهُمْ ذِرَاعًا

(٥) يقول : إذا بخل كان أجود منهم ، وإذا ذم كان أحمدهم . وقال العكبري :
للعنى أنه لا يبخل بشيء تمتد يده إليه ، فإذا لم يجد شيئاً يهبه كان يعدمه من نفسه بخلا .
قال : وقوله أحمدهم من أحمدهم : أي لا يذم إلا بالإسراف في الجود والمخاطرة بنفسه في الإقدام ، وهذا أحمدهم من حمدهم .

(٦) الوجد : الفنى ؛ والعدم : الفقر . يقول : إنه وهو ميت أشرف منهم وهم أحياء ، وهو في حال عدمه أنفع منهم وهم أغنياء ؛ لأنه كان يجود بما يجد ، وهم يبخلون مع الوجد والفنى ؟

(٧) اللية : الموت ؛ والحجر : تذكر وتؤنث ، فن ذكرها ذهب بها إلى النبذ . يقول : إن اللية كانت منه تنبث في الناس ثم عادت عليه فأهلكته ؛ وبصارة أخرى : إنه كان

فَذَاكَ الَّذِي عَبَّه مَآوُهُ وَذَاكَ الَّذِي ذَاقَهُ طَمَنُهُ^(١)
وَمَنْ ضَاغَتِ الْأَرْضُ عَنْ نَفْسِهِ حَرَى أَنْ يَضِيقَ بِهَا جِسْتَهُ^(٢)

وقال يذكر مسيره من معمر و برئى فانسكا ، وأنشأها يوم الثلاثاء لتسع خلون
من شعبان سنة ٣٥٢ :

حَتَّامَ نَحْنُ نُسَارِي النَّجْمَ فِي الظُّلْمِ وَمَا سُرَاهُ حَلَى خُفٍّ وَلَا قَدَمٍ^(٣)

يسقى المنية لأعدائه ، فلما مات سقيها ، فكانت في ذلك كالحجر التي أصلها الكرم ومنه
خرجت . ثم عادت فسقيها الكرم وردت إليه .

(١) عبه : جرحه وشربه ، قال ابن جني : يعنى أن الزمان آتى من موته بما فيه تقضى
العادة ، وذلك أن الماء مشروب لا شارب ، والطعم مذوق لا ذائق ، فموته كاتقلاب الأمر
وهو أن يحب الماء مع كونه مشروباً ، ويذوق الطعم مع كونه مذوقاً . وقال ابن فورجه
عند ابن جني أن الضمير في « عبه » لفاتك ، وكذلك الماء في « ذاقه » — حلى ما ذكر
في تفسيره — وليس كذلك ، لأنه قد قال في البيت الذى قبله : إن اللوت الذى أصابه هو
بمنزلة الحجر سقيها الكرم : أى كانت المنية مما يسقيه الناس بسيفه فصارت شراباً له ، ثم
قال : فذاك الذى عبه — يعنى الحجر — هو ماء الكرم فعبه ، وذاك الذى ذاقه هو اللوت
وهو طعم نفسه الذى كان يموت به الخلق ؛ قال الواحدي : والمعنى حلى ما قاله ابن فورجه
لكنه لم يبينه بياناً شافياً ، والمعنى أن هذا مثل ، وهو أن الكرم إذا سقى الحجر فشربه فقد
شرب ماء نفسه ، والذى ذاقه من طعم الحجر هو طعم الكرم : كذلك موت « فانك »
لما أهلكه . فشرب شراب اللوت وذاق طعمه ، فكأنه شرب شراب نفسه وذاق طعم
نفسه .

(٢) حرى : أى خلىق وجدير . يقول : إن من ضاغت الأرض عن همته لخلق
أن يضيق جسمه بهمته فلا يسعها ، وإذا لم يسعها ولم يطق احتياها هلك ، لعظم ما يطلبه
كما قال الآخر :

* حَلَى النُّفُوسِ جَنَائِبَاتِ مِنَ الْمِمْمِ *

(٣) حَتَّام : هى « حق » و « ما » ، حذفت ألف « ما » لامتزاجها بـ « حق » — وكثرة

وَلَا يُحْسُ بِأَجْفَانٍ يُحْسُ بِهِنَّ
تَسْوَدُ الشَّمْسُ مِنَّا بِيضَ أَوْجُهِنَا وَلَا تَسْوَدُ بِيضَ الْعُذْرِ وَاللَّعْمِ
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ أَحْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حَكْمِ
وَتَنَزُّكُ الْمَاءَ لَا يَنْفَكُ مِنْ سَفَرٍ مَاسَرًا فِي الْقَيْمِ مِنْهُ سَارَ فِي الْأَدَمِ
لَا أَبْيَضُ الْعَيْسَ لِكُنْيِ وَقَيْتُ بِهِ
قَلْبِي مِنَ الْحُزْنِ أَوْ جِسْمِي مِنَ السَّقَمِ

استعملها ، ويجوز إثباتها على الأصل . ونسارى : تفاعل — من السرى وهو السير
ليلا — والنجم : اسم جنس — أى النجوم — قال تعالى « وبالنجم هم يهتدون » ، والواو
من « وما سراه » — حالية ، والخف للبعير : بمنزلة الحافر للدابة . يقول : إلى مق نسرى
مع النجوم فى ظلم الليل وليست تسرى هى على خف — كالإبل — ولا على قدم كالناس
أى أن النجوم لا يصيبها السكلال من السرى كما يصيبنا ويصيب مطايانا .

(١) فاعل « يحس » الأولى ؛ يعود على « الفجم » ، وفاعل « يحس » الثانية :
غريب . يقول : إن النجوم لا يؤثر فيها عدم النوم كما يؤثر فى رجل بعيد على أهله بات
يسرى ساهراً : يعنى نفسه .

(٢) العذر : جمع عذار ، وأصلها ، عذر « بنم الذال » ولكنه أسكنها هنا ط لفة
والعذار : جانب اللحية « أى الشعر الذى يحاذى الأذن » واللحم : جمع لمة ، وهو الشعر
المجاور شحمة الأذن والذى يلم بالنكب . يقول : إن الشمس تغير ألواننا فتسود وجوهنا
البیض ؛ ولمكنها لا تؤثر ذلك التأثير فى شعورنا البیض ، وهذا من قول أبى تمام :

تَرَى قَسَمَاتِنَا تَسْوَدُ فِيهَا وَمَا أَخْلَقْنَا فِيهَا بِسَوْدٍ

« القسما — بفتح السين وكسرها — الوجوه »

(٣) الحكم : الحاكم ؛ واحتكنا : تحاكنا . يقول : لو احتكنا إلى حاكم من حكام
الدنيا لحكم بأن ما يسود الوجه يسود الشعر ، ولكن الله قضى بأن الشمس إنما تسود
الوجه ولا تسود الشعر ، ومن ثم لا تجرى فى شأنها على أحكام الناس .

(٤) الأدم — بفتحين وبضمين — جمع أديم وهو الجلد المدبوغ . يقول : ونجعل
الماء لا يزال مسافراً : إما فى السحاب ، وإما فى قربنا ، لأننا نتغترفه من السحاب فتودعه
رواياتنا .

(٥) العيس : الإبل . يقول . ليست الإبل يغيضة إلى ، فليس إتعاى إياها فى السفر

طَرَدْتُ مِنْ مِصْرَ أَيْدِيهَا بِأَرْجُلِهَا حَتَّى مَرَقَنَ بَنًا مِنْ جَوْشٍ وَالْعَلَمِ^(١)
تَبْرَى لَهُنَّ نَعَامُ الدَّوِّ مُسْرَجَةً تَعَارِضُ الْجُدُلَ الْمُرَخَّاةَ بِاللَّجْمِ^(٢)

بنضا لها منى ، ولكنى أسافر عليها لأقى قلبى من الحزن أو جسر من السقم ، وذلك أن السقيم إذا غر الهواء والماء وسافر صبح جسمه ، وكذلك المهزون : يتنسم بروح الهواء أو يصير إلى مكان يسرفيه بالإكرام .

(١) أيدىها وأرجلها : أى العيس ، ، وأسكن الباء فى « أيدىها » ضرورة كقول الراجز يصف إبلا بالسرعة :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدَى نِسَاءٍ يَتَعَاطَيْنَ الْوَرِقِ^(١)
ومرقن : أى خرجن . من مرق السهم من الرمية : إذا خرج من الجانب الآخر وجوش والعلم : مكانان يقول : حشنتها على السير وأعجلتها حتى كأن أرجلها طاردة لأيدىها ، كما قال بعض العرب :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاوُهَا طَرِيدَانِ وَالرَّجُلَانِ طَالِبَتَا وَتَرِ^(٢)
وذلك أن اليد أمام الرجل كالطروء يكون أمام الطارد . شبه خروجها من هذين المسكانين بخروج السهم من الرمية لسرعة سيرها ، ولذلك قال : « مرقن » .
(٢) تبرى : تعارض - يقال برى له وانبرى له . إذا عارضه - قال أبو النجم :

* تَبْرَى لَهَا مِنْ أَيْمَنِ وَأُشْمَلِ^(٣) *

والدو : الفلاة ؛ وأراد بنعام الدو : الحيل ، جعلها كالنعام فى سرعة عدوها وظهر بقوله مسرجة أنها الحيل . والجدل . جمع جديل ، وهو جبل من آدم أو شعر فى عنق البعير . يقول : تنبرى الحيل للعيس وتعارض أزمتها باجمها وأعنتها ؛ أى تبارىها فى السير ؛ وكأن هذا من قلب التشبيه . أراد أن هذه الإبل تبارى الحيل وتعارض أعنتها بالزمام ، فقلب الكلام تفننا ومبالغة فى وجه الشبه فى المشبه حتى صار أكمل فيه من المشبه به . وقال ابن جنى يقول - المتنبي - : الحيل - لعلو أعناقها وإشرافها - تبارى أعناق الإبل : فتكون اللجم فى أعناقها كالجدل - الأزمة - فى أعناق الإبل .

(١) قاع : قرق : مستو وقد شرحنا هذا البيت فى موضع آخر من هذا الشرح .

(٢) النجاء : السرعة .

(٣) يبرى : روى يأتى ؛ يصف ظلما ونعامة يقول : كلما أسرعت إلى أديها - وهو مبيضا - عرض لها يمينا وشمالا ، مزعجا لها .

فِي غِلْمَةٍ أَخْطَرُوا أَرْوَاحَهُمْ وَرَضُوا بِمَا لَقِينَ رِضَا الْأَيْسَارِ بِالزُّلْمِ (١)
 نَبْدُوا لَنَا كُلَّمَا أَلْقَوْا عِمَامَتَهُمْ عَمَائِمٌ خَلَقَتْ سُودًا بِلَا لُثْمٍ (٢)
 بِيضُ الْعَوَارِضِ طَعَانُونَ مَنْ لَحَقُوا مِنَ الْفَوَارِسِ شَلَالُونَ لِلنَّعَمِ (٣)
 قَدْ بَلَّغُوا بِقِنَائِهِمْ فَوْقَ طَاقَتِهِ وَلَيْسَ يَبْلُغُ مَا فِيهِمْ مِنَ الْهِمَمِ (٤)
 فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا أَنْ أَنْفُسَهُمْ مِنْ طَيِّبِينَ بِهِ فِي الْأَشْهُرِ الْحَرُمِ (٥)

(١) غلمة : جمع غلام . وأخطروا أرواحهم : أى خاطروا بها ولقيني : أى الأرواح والأيسار : جمع يسر ، وهم الذين يتقاسرون ويحتممون على اللبس . والزلم : السهم من سهام اللبس . يقول : سرت من مصر في غلّة حملوا أرواحهم على الخطر لبعد المسافة وصعوبة الطريق ، ورضوا بما يستقبلهم من فوز أو تهلكة ، كما يرضى المقامرون بما يخرج لهم بالأزلام .

(٢) اللثم : جمع لثم ، ما يلقى على الوجه من طرف العمامة . يقول : إن هؤلاء الغلّة كلّا ألقوا عمامتهم التي على رءوسهم ظهر من شعورهم على رءوسهم عمامة سود ليس لها لثم ، وذلك أن العرب تجعل العمامة بعضها لثماً على الوجه وبعضها على الرأس ، فهو يقول إن شعورهم على رءوسهم كالعمائم وليس فيها شيء على وجوههم : يعنى أنهم مردلم يتصل شعر العوارض والوجوه بشعر الرأس — كما بين ذلك في البيت التالى .

(٣) العوارض : جمع عارض ، صفحة الحد ، وشلالون : طرادون . والنعم : بالماشية وغلب على الإبل . يقول : إنهم مرد صعاليك (١) قتالون للفوارس طرادون للنعم ، يغيرون عليها أينما وجدوها .

(٤) بلغوا — بالتشديد — مبالغة في بلغوا — بالتخفيف — ورواها بعض الشراح بلغوا — بالتخفيف — وقال في تعليقه : وجه الكلام أن يقال بلغوا — بتخفيف اللام — والباء بعده للتعدي ، فيكون الجزء مطويا والقنا : يذكر ويؤنث ، وفوق هنا اسم متعكن مفعول « بلغوا » يقول : قد استخرغوا وسع الرماح طعنا ومع ذلك لم تبلغ الرماح غاية مهمهم :

(٥) الضمير في « به » للقنا . يقول : هم — أبداً — في القتال والغارة ، كفعل أهل الجاهلية ، إلا أن أنفسهم طابت بالقتل وسكنت إليه ، فكانتهم في الأشهر الحرم أمنا وسكونا ، وكان أهل الجاهلية يأمنون في الأشهر الحرم ، لأن القتال يترك فيها ،

(١) لصوص ، قطاع طريق ، وصعاليك العرب : ذؤبانها ولصوصها .

نَاشُوا الرِّمَاحَ وَكَانَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ قَتَلُوهَا صِيَاحَ الطَّيْرِ فِي الْبِهِمِ (١)
تَخْدِي الرُّكَابُ بِنَا بِيضًا مَشَا فَرُهَا خُضْرًا فَرَّاسِنَهَا فِي الرُّغْلِ وَالْيَتِيمِ (٢)
مَكْمُومَةٌ بِسِيَاطِ الْقَوْمِ نَضْرِبُهَا
عَنْ مَنبِتِ الْعُشْبِ تَنْبِي مَنبِتِ الْكَرَمِ (٣)

وعبارة ابن القطاع : للبنى أنهم لتمرهم في الحرب والقنل في مثل أحوال الجاهلية ، إلا أن أنفسهم غير خائفة من الحرب ، أشجاعتهم وثقة بظهورهم على أعدائهم ، فكأنهم في الأشهر الحرم ، هذا : والأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة سرد ، وهى ذو القعدة ، وذو الحجة والمهرم ، وواحد فرد وهو رجب .

(١) ناشو : تناولوا- والبهيم : جمع بهيمة ، وهو الشجاع الذى لا يدرى من أين يؤتى يقول : تناولوا الرماح وكانت جمادا لا تنطق فأسمعوا الناس صريرها في طعان الشجعان فصارت كأنها طير تصيح ، وهذا من قول هلال اللاتنى (١) .

تصيح الرُّدَيْنِيَّاتُ فِينَا وَفِيهِمْ صِيَاحَ بَنَاتِ الْمَاءِ أَصْبَحْنَ جُوهَا
ومثله قول بعض العرب .

زُرُقُ تَصَابِحْنَ فِي الْمَتُونِ كَمَا هَاجَ دَجَاجَ الْمَدِينَةِ السَّحَرُ
(٢) خدت الناقة تخدى . أى أسرع مثل وخذت وخودت قال الراعى .

حَتَّى غَدَتْ فِي بِيَاضِ الصُّبْحِ طَيِّبَةً رِيحَ الْمَبَاةِ تَخْدِي وَالْثَرَى عَمْدُ (٣)
والركاب ، الإبل ، والمشافر . جمع المشفر ، وهو للبعير بمنزلة الشفة للإنسان .
والفراسن . جمع فرسن ، لحم خف البعير . والرغل والينم ؛ فبتان . يقول ، تسير الإبل بنا وهى بيض المشافر باللغام - زيد أفواه الإبل - وقال ابن جني : لأنها لا تترك رعى لشدة السير فيجف اللغام على أشداقها . خضر الفراسن لكثرة وطئها
هذين المتنين

(٣) كهم البعير : شد فمه كيلا يعض أو يأكل ، ومثله : عكم . يقول : إن السباط

(١) شاعر إسلامي

(٢) ضمير « غدت » بكرة وحشية تقدم ذكرها ، ومبأتها : مكمنها ، وعمد شديد الابتلال ، وإنما نصب ريح المبابة لما نون طيبة ، وكان حضا الإضافة ، فصارح قولهم : هو ضارب زيدا .

(١٩ - التنبيه ٤)

وَأَيْنَ مَنبِتُهُ مِنْ بَعْدِ مَنبِتِهِ أَبِي شُجَاعٍ قَرِيعَ الرُّبِّ وَالْعَجَمِ ^(١)
لَا فَاتِكَ آخَرَ فِي مِصْرَ تَقْصِدُهُ وَلَا لَهُ خَلْفٌ فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ ^(٢)
مَنْ لَا نُشَابِيَهُ الْأَحْيَاءُ فِي شَيْءٍ أَمْسَى نُشَابِيَهُ الْأَمْوَاتُ فِي الرَّمَمِ ^(٣)

كانت تمنعها من الرعى ، فكأما قد شدت أفواهاها ؛ وهذا من قول ذى الرمة :

* يَهْمَاهُ خَابِطُهَا بِالْخُوفِ مَكْمُومٌ *

[أى لا يتكلم فيها خوفاً ، فكأن الخوف قد كتم فمه] وكنا نضربها عن الرعى في منبت العشب لأننا نبغى منبت الكرم . والبيت من قول الأصدى :

إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَحَلْتُهَا مِنَ الطَّلَحِ تَبْنِي مَنبِتَ الزَّرْجُونِ
« الزرجون : الكرم ، ويعنى بمنبت الزرجون : الشام ، لأنها أكثر البلاد عباً » .

(١) القرية : السيد وأصله : الفحل المختار للفحلة ، وسمى قريباً لذلك ، ولأنه يقرع الناقة ، قال ذو الرمة :

وَقَدْ عَارِضَ الشَّعْرَى سُهَيْلٌ كَأَنَّهُ قَرِيعٌ هِجَانِ عَارِضِ الشُّولِ جَافِرٌ ^(١)
يقول : أين منبت الكرم بعد موت هذا الرجل الذى كان منبت الكرم وكان سيد العرب والعجم ! وهذا استدراك — كما ترى — لما ذكره في البيت السابق .

(٢) يقول : ليس لنا في مصر رجل آخر مثله في جوده وتقصده ، وليس له خلف مثله كرماً وشجاعة ، فقله : لا فانك : كأنه يقول لا رجل آخر مثل « فانك » ومن ثم نعتة بنكرة .

(٣) الشيم : الخلائق ، جمع شيمة ، والرمم : العظام البالية . يقول : من لم يكن له شبيه من الأحياء في شيمه وأخلاقه صار الأموات يشابهونه في العظام البالية : أى مات فأشبهه الأموات وأشبهوه .

(١) يقال للبعير إذا أكثر الضراب حتى ينقطع : قد جهر فهو جافر وفي الأثر أن علياً كرم الله وجهه رأى رجلاً في الشمس فقال : قم عنها فإنها جفيرة : أى تذهب شهوة النكاح ، وعارضها : أى جانبها وهدل عنها .

عَدِمْتُهُ وَكَأَنِّي سِرْتُ أَطْلُبُهُ فَمَا تَزِيدُنِي الدُّنْيَا عَلَى الْعَدَمِ (١)
مَا زِلْتُ أَضْحِكُ إِبْلَى كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَى مَنْ اخْتَضَبَتْ أَخْفَافُهَا بِدَمٍ (٢)
أَسِيرُهَا بَيْنَ أَصْنَامٍ أَشَاهِدُهَا وَلَا أَشَاهِدُ فِيهَا عِفَّةَ الصَّنَمِ (٣)
حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلِي أَلْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ أَلْمَجْدُ لِلْقَلَمِ (٤)

(١) يقول : لكثرة أسفاري وترددي في الدنيا كأني أطلب له نظيرا ، ولكنني لا أحصل إلا على العدم : أي لا أجد مثله بعده .

(٢) إبل - بسكون الباء - تخفيف إبل - بكسرهما - يقول : مازلت أسافر على إبل إلى من لا يستحق القصد إليه ، فلو أنها مما يضحك لضحكت إذا نظرت إلى من جشمتها جوب الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم استخفافا به ، وفي الكلام محذوف به يتم المعنى تقديره : إلى من اختضبت أخفافها بدم في قصده أو في المسير إليه : قال العكبري : وفيه تعريض ببعض أهل بغداد .

(٣) أسار دابته : كسرها ، وروى أسيرها - مضارع سرت - أي أسير عليها . وعنى بالأصنام : قوما يطاعون ويعظمون ، وهم كالجماد لا اهتزاز فيهم للكرم ولا أريحية للعبود ، ثم فضل الصنم عليهم فقال : ليست لهم عفة الصنم لأن الصنم وإن لم ينفع فهو غير موصوف بالفضائح والقبائح ، وهؤلاء لا يعفون عن منكرو ولا قبيح .

(٤) يقول : حتى حدت إلى وطني وقد علمت أن المجد إنما يدرك بالسيف لا بالقلم ، لأن ذا الفضل لا يعظم ولا يهاب كما يهاب صاحب السيف ، ولا يدرك من معاني المجد والشرف ما يدركه ، وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكِتَابِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

هذا : وقال العلامة العكبري : قطع - المتنبي ألف الوصل في أول النصف الثاني ، وقد ذكره سيبويه في الضرورات - أي الضرورات الشعرية - وأنشد للأعشى

إِذْ سَأَمَهُ خَطَّتِي خَفِيفٌ فَقَالَ لَهُ إِغْرِضْهُمَا هَكَذَا أَسْمَعْهُمَا حَارِ

وحسن هذا أنه حكاية عن قائل . قال ، ولقطع ألف الوصل أربع مراتب : الأولى أن تكون في أول البيت ، وهذا لا ضرورة فيه كقول القطامي :

الضَّارِبُونَ عُمَيْرًا عَنْ بِيوتِهِمْ بِالْمُثَلِّ يَوْمَ مُحَمَّرٍ ظَالِمٍ حَادٍ

والثانية : هكذا لأبي الطيب ، والثالثة أن تكون بعد حرف ساكن كقول جميل :

أَكْتُبُ بِنَا أَبَدًا بَعْدَ الْكِتَابِ بِهِ (١)
فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْطَّلَمِ (٢)
أَتَمَّتْ بِنِي وَدَوَاتِي مَا أَشْرَتْ بِهِ (٣)
فَإِنْ غَفَلْتُ فِدَائِي قِلَّةُ الْفَهْمِ (٤)
مَنْ اقْتَضَى بِسُورَى الْهِنْدِيِّ حَاجَتَهُ
أَجَابَ كُلَّ سُؤَالٍ عَنْ هَلٍ يَلْمُ (٥)

أَلَا لَا أَرَى اثْنَيْنِ أَحْسَنَ شَيْئَةً
وَكَقُولِ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ :
إِذَا جَاوَزَ الْإِثْنَيْنِ سِرًّا فَإِنَّهُ يَنْثُ وَتَكْتَبِرُ الْحَدِيثُ قَمِينَ (٦)
والرابعة — وهي أقبح الضرورات — أن تكون ألف الوصل بعد متحرك
كقول الراجز :

* وكلُّ اثنين إلى افتراق *

قال : ولو ترك قيس بن الخطيم الاثنين وقال الخليل للتخلص من الضرورة وكذلك
الراجز وقد قيل إنهما نطقا به على الصواب وغيره الرواة .
(١) الكتاب : مصدر كالكتابة وهذا من حكاية قول الأعلام . يقول : قالت لي
الأعلام أخرج على الناس بالسيف واقتلهم ثم اكتب بنا ما ضلت بالسيف وما تقول من
الشعر في ذلك ، فإن القلم كالخادم للسيف ، جعل الضرب بالسيف كالكتابة به ، وهذا
من قول البحتری :

تَعْنُو لَهُ وَزَرَاهُ الْمُلْكُ خَاصِمَةً
وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَعْدِمَ الْقَلَمَ
(٢) هذا جواب منه للأعلام ، يقول — لها — : اسمعتي قولك ، والذي أشرت
به على هو الدواء الذي يشفي ما بي ، فإن تركت مشورتك ولم أظن لها صار داء هو
قلة الفهم ، لا ما أظنه من قلة إنصاف الناس وعدم تقديرهم إياي .

(٣) هذا : تأكيد لما أشارت به الأعلام عليه من استعمال السيف ، يقول من طلب
حاجته بغير الهندي — السيف — أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك ؟ بقوله

(١) حدثان الدهر : ما يحدث فيه من النوائب والنوازل ، وجل — بضم الجيم
وسكون الليم — اسم امرأة .

(٢) نث الحديث ينثه ثا : أفشاء : أي جدير ، وبنث متعلق به ، وتكثير
حذف على « بنث » . وبعده

وإن ضيغ الإخوان سراً فإنني كقوم لأسرار المشير أمين

نَوَهَمَ الْقَوْمُ أَنَّ الْعَجْزَ قَرَّبَنَا وَفِي التَّقَرُّبِ مَا يَدْعُو إِلَى التَّهَمِ (١)
وَلَمْ تَزَلْ قِلَّةُ الْإِنْصَافِ قَاطِعَةً بَيْنَ الرُّجَالِ وَلَوْ كَانُوا ذَوِي رَحِمِ (٢)

لم أدرك، أولم أصل أو لم أظفر، ونحو ذلك. قال القاضي أبو الحسن طي بن عبد العزيز صاحب الوساطة بين المتنبي وخصومه : كان الواجب أن يقول : عن هل بلا . لأن الطالب بغير السيف يقول : هل تبرع لي بهذا المال؟ فيقول المستول : لا ، فأقام «لم» مقام «لا» لأنهما حرفا نفي : قال الواحدى : وهذا ظلم منه — من القاضي — للمتنبي ، وقلة فهم من القاضي ، ولو أراد ذلك الذى ظنه لقال أجيب عن كل سؤال بـ «هل» بـ «لا» ، لأن للفتنـى عجب ليس هو الحبيب ، والذى أراد المتنبي أن الناس يسألونه : هل أدركت حاجتك ؟ هل وصلت إلى بغيتك ؟ فيجيب ويقول لم أدرك ، لم أبلغ لم أظفر ، لم أصل إلى ما أطلب هذا ، وأعرب هل ولم وهما حرفان لأنهما قد صارا علمين على لفظهما ، وقال ابن جني : جعل «هل» و «لم» اسمين فجربا و «هل» حرف استفهام و «لم» حرف نفي ، قال : ويجوز أن تكون الكسرة فى «لم» كسرة الساكن إذ احتسج إلى تحريكه للقافية . كقول النابغة * وكان قد (١) . وحكى الخليل قال قلت . لأبى الدقيش — الأعرابي — هل لك فى ثريدة كان ودكها عيون الضياون ؟ فقال أسد الجواب لهل أوحاه — أسرعه (٢)

(١) يقول : إن القوم الذين قصدناهم بالمديح توهموا أن العجز عن طلب الرزق قربنا إليهم ثم قال : ولهم الحق فى أن يتوهموا ذلك ، لأن بعض التقرب قد يدعو إلى التهمة ، لأنك إذا تقربت إلى إنسان توهمك عاجزا محتاجا إليه .

(٢) الإنصاف : إعطاء الحق . قال ابن الأعرابي : أنصف إذا أخذ الحق وأعطى ، قال : وتفسيره أن تعطيه من نفسك النصف ، أى تعطيه من الحق كالذى تستحق لنفسك ،

(١) قطعة من بيت هو :

أَزِفَ التَّرْحُلُ غَيْرَ أَنْ رَكَبْنَا لَمَّا تَزَلْ بِرَحَالِنَا وَكَأَنَّ قَدِ

(٢) قال الأزهري : أبو الدقيش كنية واسمه الدقيش قال يونس سألت أبا الدقيش ما الدقيش ؟ فقال : لا أدري قلت : ما الدقيش ؟ فقال ولا هذا قلت فاكتنيت بما لا تعرف ما هو ؟ قال : إنما الكنى والأسماء علامات ، وقال أبو زيد . دخلت على أبى الدقيش الأعرابي وهو مريض فقلت له كيف تجدك يا أبا الدقيش ؟ قال أجد ما لا أشتهى وأشتهى ما لا أجد وأنا فى زمان سوء ، زمان من وجد لم يجد ، ومن جاد لم يجد . والضياون جمع ضيون : السنور الذكر أو دويبة تشبهه .

فَلَا زِيَارَةَ إِلَّا أَنْ تَزُورَهُمْ أَيْدِي نَشَانٍ مَعَ الْمَصْقُولَةِ الْخُذْمِ^(١)
 مِنْ كُلِّ قَاضِيَةٍ بِالمَوْتِ شَفَرَتُهُ مَا بَيْنَ مُنْتَقِمٍ مِنْهُ وَمُنْتَقِمٍ^(٢)
 صُنَا قَوَائِمَهَا عَنْهُمْ فَمَا وَقَعَتْ
 مَوَاقِعَ اللُّؤْمِ فِي الْأَيْدِي وَلَا الْكَزَمِ^(٣)
 هَوْنٌ عَلَى بَصَرٍ مَا شَقَّ مَنَظَرُهُ فَإِنَّمَا يَقْطَعُ الْعَيْنُ كَالْحِلْمِ^(٤)

والرحم : القرابة . يقول : إن ترك الإنصاف يدعو إلى التقاطع بين الناس ولو كانوا أقارب
 فما الظن بمن لا قرابة بينهم . يشير إلى إعراضه عن القوم الذين ذكرهم لأنهم لم ينصفوه
 في قصده لهم . وهذا من قول الآخر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجَدْتَهُ عَلَى طَرَفِ الْهَجْرَانِ إِنْ كَانَ يَمْعِلُ
 (١) الخدم : جمع خذوم : أى القاطع : يعنى السيوف ، وأيد فاعل تزورهم يقول :
 فلا أزورهم بعد ذلك إلا بأيد قد ألفت القتال ونشأت فى صجة السيوف ، يعنى إذا لم
 ينصفوا فإنى لا أزورهم إلا محاربا .

(٢) من كل . بيان للمصقولة الخدم ، وشفرته : أى حده فاعل قاضية : يقول : من
 كل سيف تقضى شفرته بالموت بين الفريقين ، الظالم والمظلوم :

(٣) قوائمها : مقاضها ؛ واللؤم : خسة الأصل ضد الكرم ، والكزم : قصر اليد ،
 وناقة كزماه : قصر خطاها ، يقول : صنا قوائم السيوف فما وقعت إلا فى أيدينا التى
 لا لؤم فيها ولا قصر : يعنى أنهم لا يحسنون العمل بالسيوف ونحن أربابها نشأت أيدينا
 معها ، والمعنى أنهم لم يسلبونا سيوفنا فتقع فى أيديهم التى هى مواقع اللؤم والقصر عن
 بلوغ الحاجة ،

(٤) ماشق منظره : ماصعبت رؤيته . يقول : هون على العين ماشق عليها النظر
 إليه مما تراه من المكاره ، وهبك تراه فى الحلم . لأن ماتراه فى اليقظة شبيه بما تراه فى
 المنام ، لأنهما يمكنان قليلا ثم يزولان ، فكأنهما لم يكونا . وروى منظره — بفتح الراء
 فيكون المراد الشئ الذى يشق البصر ويفتحه باقتضائه النظر إليه ؛ والضمير على هذا :
 للبصر ، وعلى الرواية الأولى له « ما » . قال الواحدى : ولم يعرف ابن جنى شيئا من هذا وقال
 يقال شق بصر الميت شقوقا ، الفعل للبصر ، قال : ومعنى البيت : هون على بصرك
 شقوقه ومقاساة النزع . . . وهذا كلام — كما تراه — فى غاية الفساده والبعد عن الصواب
 وقال ابن القطاع : قول ابن جنى هون على بصرك شقوقه ومقاساته النزع والحشرجة

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتَشْمِثَهُ
 شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْفَرَبَانِ وَالرَّخَمِ^(١)
 وَكُنْ عَلَى حَذَرٍ لِلنَّاسِ تَشْتَرُهُ^(٢) وَلَا يَفْرُكَ مِنْهُمْ ثَقَرٌ مُتَيْسِمٍ^(٣)
 غَاضٍ الْوَفَاءَ فَمَا تَلْقَاهُ فِي عِدَةٍ^(٤) وَأَعُوزَ الصَّدْقِ فِي الْإِخْبَارِ وَالْقَسَمِ^(٥)
 سُبْحَانَ خَالِقِ نَفْسِي كَيْفَ لَدَتْهَا^(٦) فِيهَا النُّفُوسُ تَرَاهُ غَايَةَ الْأَلَمِ^(٧)
 الدَّهْرُ يَنْجَبُ مِنْ حَمَلِي نَوَائِبَهُ^(٨) وَصَبْرُ جِسْمِي عَلَى أَحْدَانِهِ الْخَطْمِ^(٩)
 وَقْتُ يَضِيعُ وَغَمْرُ لَيْتَ مُدَّتَهُ^(١٠) فِي غَيْرِ أَمْتِهِ مِنْ سَالِفِ الْأَمَمِ^(١١)

صحيح ، فإن الحياة كالحلم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : كروا الأيام أحلام ،
 وغداؤها أسقام وآلام

(١) يقول : لا تشك إلى أحد ما ينزل بساحتك من ضرر وشدة فتشمته بشكواك ،
 فتكون شكواك كشكوى الجريح إلى الطير التي ترقب أن يموت فتأكله ، وعبرة التبريزي
 الناس بعضهم أعداء بعض ، فمن شكا حاله إليهم فهو كمثل جريح اجتمعت عليه الطير
 لتأكل لحمه ؛ فهو يشكو إلى من ليس عنده رحمة ، لأن التبريان - جمع غراب - والرخم
 جمع رحمة - طائر من الجوارح الخسيسة - إنما يجتمعان حول الجريح ليأكلوا لحمه .

(٢) يقول : احذر الناس واستر حذرهم ولا تقربا بتسامهم إليك ، فإنهم يضمرون
 في قلوبهم مالا يريدون لك من القدر والحداد . قال العكبري : وهذا من قول الحكيم
 الحيوان كله متقلب وليس من السياسة شكوى بعض إلى بعض

(٣) غاض : قل ونقص ، وأعوز الشيء : عز فلا يكاد يوجد يقول : لا ترى الوفاء
 في عدة : أي إذا وعدك أحد بشيء لم يف به ، ولا يوجد الصدق في إخبار ولا قسم : أي
 إذا أخبرك أحد بشيء لم يصدق فيه ، وإذا حلف لم يصدق .

(٤) يتعجب من أن الله سبحانه جعل لذته في جوب المفاوز والتمرس بالمهاالك واقتحامها
 وهو غاية ألم النفوس . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : النفس الشريفة ترى
 الموت بقاءً لدرکها أما كن البقاء ، وهذه حالة تعجز الخلق عن ركبها .

(٥) الخطم - بالضم - جمع حطوم ، وبفتح الطاء . جمع الحطمة : أي التي تحطم
 من أمت به . وصبر جسمي : يروى : وصبر نفسي .

(٦) وقت : أي لى وقت ، فهو مبتدأ محذوف الخبر ، أو تقول : إن التقدير : هو
 وقت فيكون « وقت » خبر مبتدأ محذوف . يقول : لى وقت أو هو وقت يضيع في مخالطة

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبَابِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ^(١)

وقال يمدح عضد الدولة وقد نثر عليهم الورد وهم قيام بين يديه حتى غرقوا فيه :

قَدْ صَدَقَ الْوَرْدُ فِي الَّذِي زَعَمَا أَنْكَ صَيَّرْتَ نَثْرَهُ دِيَمًا^(٢)
كَأَنَّمَا مَانِجُ الْهَوَاءِ بِهِ بِحَرْ حَوَى مِثْلَ مَائِهِ غَنَمًا^(٣)

أهل هذا الدهر ومصاحبهم ، لأنهم سفلة أنذال يضيع الوقت بصحبهم؛ ولت مدة عمرى كانت في أمة أخرى من الأمم السالفة التى تقدر الرجل حق قدره . يشكون أهل دهره ويتأسف على ضياع وقته فى معاشرتهم .

(١) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حدثان الدهر وجدته فسرهم وأتاهم بما يلرحون ، ونحن أتيناها وقد هرم وخرف فلم نجد عنده ما يسرنا ، وقد أخذ أبو الفتح البسقى هذا المعنى وجنس اللفظ فقال :

لَا غَرَوْا إِنْ لَمْ نَجِدْ فِي الدَّهْرِ مُحْتَرَفًا فَقَدْ أَتَيْنَاهُ بِمَدِّ الشَّبَابِ وَالْخُرُوفِ
وقد نظر المتن فى بيته إلى قول من قال :

وَنَحْنُ فِي عَدَمٍ إِذْ دَهَرْنَا جَذَعُ فَالآنَ أَمْسَى وَقَدْ أَوْدَى بِهِ الْخُرُوفُ

(٢) نثره . أى منثور - أى ما نثر منه - والديم : جمع الديعة ، وهى المطر الدائم فى سكون ، يريد أن الورد لسكرة ما نثر عليهم كأنه يقول لهم : قد صيرنى الأمير مطرا . يقول : قد صدق الورد فيما قاله ، لأننا نراه كذلك .

(٣) مانج : يروى مازج ، والغم : شجر له ثمرة حمراء يشبه بها البنان المخضوب ، قال النابغة :

بِمُخَضَّبِ رَخْصِ الْبِنَانِ كَأَنَّهُ غَنَمٌ عَلَى أَغْصَانِهِ لَمْ يُعْقَدِ^(١)

يقول : كأن الهواء - وهو مانج بهذا الورد عند نثره بجر من الغم ، يريد كثرة الورد فى الهواء ، حتى صار كأنه بجر قد حوى الغم مثل مائه كثرة .

(١) لم يعقد : يريد لم يدرك بعد .

نَائِرُهُ نَائِرُ السُّيُوفِ دَمًا وَكُلُّ قَوْلٍ يَقُولُهُ حِكْمًا^(١)
وَالْخَيْلَ قَدْ فَصَلَ الصِّيَاحَ بِهَا وَالنِّعَمَ السَّابِقَاتِ وَالنِّقْمَ^(٢)
فَلِيرِنَا الْوَرْدُ إِنْ شَكَا يَدَهُ أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ جُودِهِ سَلَامًا^(٣)
وَقُلْ لَهُ لَسْتُ خَيْرَ مَا نَثَرْتُ وَإِنَّمَا عَوَّذْتُ بِكَ الْكَرَمًا^(٤)

(١) يقول : إن الذي نثر هذا الورد هو الذي ينثر السيوف : أى يفرقها في أعدائه وهى دم - أى متطلحة بالدم - فكأنها دم ، وينثر كل قول يقوله وهو حكم : أى إذا قال قولاً قال حكمة . هذا : ومن نصب « كل » فعلى أنه معطوف على المعنى ، كما تقول : هذا ضارب زيد وعمرا ، ومنه قوله تعالى « وجاعل الليل سكناً والشمس » يريد في قراءة الحرمين ، وأبى عمرو وابن عامر . على معنى : وجعل الشمس .

(٢) الخيل : عطف على ما قبله . قال الواحدي : والسابقات : التامات ، ويقال فصل العقد إذا نظم فيه أنواع الحرز فجعل كل نوع مع نوع ثم فصل بين الأنواع بذهب أو شيء آخر ، هذا هو الأصل في تفصيل العقود ، ثم يسمى نظم العقد تفصيلاً ، فيقال عقد مفصل : إذا كان منظوماً ؛ ومنه قول امرئ القيس :

* تَعْرِضُ أَثْنَاءَ الْوِشَاحِ الْمَفْصَلِ^(١) *

والمعنى أنه جمع هذه الأشياء بالخيل : أى تمكن من جمعها بالخيل وجعل جمعها تفصيلاً . لأنها أنواع ، فجعل ذلك كتفصيل العقد . يقول : إنه ينثر الخيل - أى يفرقها في الغارة - ثم ذكر أنه جمع بها هذه الأشياء التي ذكرها من النعم لأوليائه والنقم لأعدائه انتهى كلام الواحدي ، ويؤخذ من كلامه أن « النعم » عنده - عطف على « الخيل » ، ولكن الأوجه جعلها عطفاً على « السيوف » أى والذي ينثر الخيل - أى يفرقها - في الصياع فينظمها بها ، والذي ينثر النعم على أوليائه والنقم على أعدائه .

(٣) أحسن منه : مفعول ثانٍ لـ « ليرنا » ، والضمير في « منه » للورد . يقول : إن يده تنثر ما هو أحسن من الورد - يريد الدنانير والدرهم - فإن كان الورد يشكو يده - لأنها نثرته - فليرنا شيئاً أحسن منه سلم من جود يده .

(٤) عوذه : رقاؤه رقية تدفع عنه السوء . يقول : قل للورد لست أفضل ما نثرت

(١) من معلقته ، وصدرة :

* إِذَا مَا الثَّرَى فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ *

خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ أَنْ يُصَابَ بِهَا أَصَابَ عَيْنًا بِهَا يُصَابُ عَمَى^(١)

يد هذا الملك ، وإنما خشيت أن تصيبه عين الناس حين يرون سعة بذله بذلك . فنترك وقاية لكرمه من أعينهم إذا رأوه يجود بما لا قيمة له .

(١) خوفا : مفعول له عامله عوذت ، وبها يصاب : رواها ابن جنى « بها يعان » من قولهم عين الرجل فهو معين ومعينون : إذا أصابته العين - وقوله أصاب عينا إلى آخره دعاء ؛ وعمى : فاعل أصاب يقول : أعمى الله عينا يصاب بها .

قال الواحدى : وهذه الأبيات في نثر الورد غير مليحة ، وليس التنبي من أهل الأوصاف ، قال العبرى : إنما التنبي من يحسن الأوصاف في كل فن ، وإنما هذا الذى يأتى له فى البديهة والارتجال - أو فى وقت يكون على شراب أو غيره فلا يعتد به . ولو كان أبو الفتح ابن جنى عمل صوابا لكان أسقطه من شعره .

قافية النون

وعزم سيف الدولة على لقاء الروم في السنْبوس سنة أربعين وثلاثمائة وبلغه أن
المدو في أربعين ألفاً ، فتهيبتهم أصحابه ، فأنشد أبو الطيب بحضرة الجيش :

تَزُورُ دِيَارًا مَا نُحِبُّ لَمَّا مَغْنَى وَنَسْأَلُ فِيهَا غَيْرَ سَاكِينَهَا الْإِذْنَ^(١)
نَقُودُ إِلَيْهَا الْآخِذَاتِ لَنَا الْمَدَى عَلَيْهَا السَّكَاةُ الْمُحْسِنُونَ بِهَا الظَّنَّ^(٢)
وَنُصْفِي الَّذِي يُكْفَى أَبَا الْحَسَنِ الْهُمَى
وَنُرْضِي الَّذِي يُسَمَّى الْإِلَآهَ وَلَا يُسَكَّى^(٣)

(١) المغنى : المنزل الذى كان به أهله فغنى بهم . لما قال زور والزيارة تقتضى المحبة
نفى أن يكون محبا لتلك الديار ، لأنها ديار أعداء . يقول : زور هذه الديار على غير محبة
لغنى من مغانيها لأنها ديار عدو ، وإذا أردنا زيارتها طلبنا الإذن فى ذلك من غير
ما كتبنا أى استأذنا فى الإسراع إليها والتشعب فيها للاغارة : سيف الدولة ، لأصحابها
الروم .

(٢) اللدى : الغاية . والسكاة : جمع كى ، وهو البطل المستقر فى السلاح . يقول :
نقود إلى هذه الديار خيلا تبلغ بنا الغاية التى نترامى إليها ونحمرز لنا قصب السبق ،
عليها فرسان قد جربوها وعرفوها فأحسنوا بها الظن لكثرة ما انتصروا عليها .

(٣) نصفى : نمحص . وأراد بالذى يكفى أبا الحسن : سيف الدولة ، لأن اسمه على ،
والذى : مفعول أول لنصفى ؛ مفعول ثان . وقوله يسمى الإله ولا يكفى : أى أنه
سبحانه لا كنية له ، وتعالى عن الولد حتى يكفى به يقول : ونصفى سيف الدين مودتنا
فنتقاتل أعداءه ونقيه بأنفسنا ونرضى الله بمجاهدة أهل الحرب . هذا ويقال كنى
فلانا ، إذا دعوته بكنيته تعظيما له أن تدعوه باسمه . والعرب - كما قال العكبرى - كانت
تكنى أولادها وهم صغار تفاؤلا أن يصيروا آباء . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله
عليها وسلم كان يدخل بيت أبى طلحة الأنصارى وكان له ولد صغير من أم سليم - وهى
أم أنس بن مالك - فكان يقول له - أى لولده - « يا أبا عمير : ما فعل النغير (١) » .

(١) النغير تصغير النغر ، وهو فرخ العصفور أو طائر يشبه العصفور أو من صغار
المصاير تراه أبدا صغيرا ضاويا ، وكان لهذا الولد نغر .

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّنَا إِذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلَفْنَا عُدُنَا ^(١)
وَأَنَا إِذَا مَا أَلَمْتُ صَرَحَ فِي الْوَغَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَ ^(٢)
قَصَدْنَا لَهُ قَصْدَ الْحَبِيبِ لِقَاؤُهُ إِلَيْنَا وَقُلْنَا لِلسُّيُوفِ هَلُمْنَا ^(٣)
وَحَيْلٍ حَشَوْنَاهَا الْأَسِنَّةَ بَعْدَمَا تَكْدُسُنْ مِنْ هُنَا عَلَيْنَا وَمِنْ هُنَا ^(٤)

(١) يقول : إذا أنا من أرضهم عدنا إليها : أي فلا نكف عن قتالهم .

(٢) صرح : برز وظفر ؛ والوغى : الحرب . يقول : إذا صار للوت صريحاً في الحرب بارزاً ليس دونه قناع توسلنا إلى ما نطلبه بالطعن بالرمح والضرب بالسيوف : أي اتخذنا الضرب والطعن وقاء لنا منه وتوسلنا بهما إلى ما نطلبه .

(٣) لقاءه مرفوع بـ « حبيت » : أي المحبوب لقاءه يقول : قصدنا الموت كما يقصد ما يحب لقاءه وقلنا للسيوف هلمى إلينا أدخل على « هلمى » نون التوكيد ، وحذف الياء لالتقاء الساكنين ، ثم أشبع فتحة النون فصار هلمنا . ومن ضم « اليم » خاطب السيوف مخاطبة من يعقل ، كقوله تعالى « ادخلوا مساكنكم » ثم أسقط الواو من « هلموا » لاجتماع الساكنين ثم أشبع الفتحة ولأئمة النحو في هلم كلام كثير ولعل أوجه ما قاله الخليل ابن أحمد قال : أصله لم من قولهم : لم الله شعثه أي جمعه ، كأنه قال : لم نفسك إلينا . أي اقرب و « ها » للتنبية ، وحذف ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعل اسما واحدا يستوى فيه الواحد والجمع والتأنيث والتذكير في لغة أهل الحجاز ، قال الله تعالى : « والقائلين لإخوانهم هلم إلينا » وأهل نجد يصرفونها فيقولون للاتين : هلمنا ، وللجمع : هلموا ، والمرأة : هلمى ، وللنساء : هلمن . والأول أفصح ، وقد توصل باللام فيقال : هلم لك ، وهلم لكما ، كقولهم : هيت لك ، وإذا أدخلت عليه النون الثقيلة قلت هلمن يارجل ، والمرأة هلمن - بكسر اليم - وفي التثنية : هلمان للمذكر والمؤنث جميعا ، وهلمن يارجل ، وهلمنان يانسوة . وإذا قيل لك هلم إلى كذا : قلت : إلام أهلم - بفتح الألف والماء - كأنك قلت : إلام « ألم » وتركك الماء على ما كانت عليه ، وإذا قال لك هلم كذا وكذا : قلت : لا أهله ، أي لا أعطيه .

(٤) يريد بالخيـل : خيل العدو ، وحشوناها الأسنة : أي جعلنا الأسنة حشوا لها بأن طعناها بها . وتكدسن : أي الخيل - أي خيل العدو - أي اجتمعن علينا وركب بعضهن بعضا من كثرتها . و « هنا » بمعنى ههنا ، ومنه قول العجاج :

* هُنَا وَهَنَا وَهَلَى الْمَسْجُوحِ *

ضُرِبْنَ إِلَيْنَا بِالسَّيَاطِرِ جَهَالَةً فَلَمَّا تَعَارَفْنَا ضُرِبْنَ بِهَا عَنَا^(١)
تَمَدُّ الْقُرَى وَالْمُسُ بِنَا الْجَلِيشَ لَمَسَةً نُبَارُ إِلَى مَا نَشْتَهِي بِذِكِّ الْيُمْنِ^(٢)
فَقَدْ بَرَدَتْ فَوْقَ اللَّقَانِ دِمَاؤُهُمْ وَنَحْنُ أَنَاسُ نُتَبِّعُ الْبَارِدَ الشَّخْنَا^(٣)

« يصفه بالعطاء : أى يعطى يمينا وشمالا ؛ وعلى منجيته : أى طبيعته » . وقد أخذ
المتنى قوله حشوناها الأسنه من قول الوليد بن المغيرة :

وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ الْجَدُّ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وَآخَرَ يَهْوَى قَدْ حَشُونَاهُ نَعْلِبَا
« يقال للقتيل ركب رده : إذا خر لوجهه على دمه ، وأصل الردع : التلطيح
بالزعفران ، والتعلب . طرف الرمح الداخل في جبة السنان »

(١) قال ابن جنى : كانت خيل الروم قد رأت عسكرا سيف الدولة فظنوم روما ،
فأقبلوا نحوهم مسترسلين ، فلما تحققوا الأمر ولوا هاربين ، ولهذا قال « جهالة » ووصل
ضربنا بـ « إلى » و « عن » فقال ضربن إلينا ، و « عنا » على تضمينه معنى
« حشئن » ونحوه .

(٢) تمد : تجاوز ؛ ونبار : نسابق . وروى نبادر : من المبادرة وهى الإسماع
يقول - لسيف الدولة - : تجاوز القرى إلى الصحراء وحارب بنا جيش الروم وأدنا منهم
دنو اللامس من الملموس نسابق يذكى النخى إلى تبليغك ما تريد من الظفر بهم : أى أن
الظفر يكون أسرع إليك مما لوتناولته بيده ، هذا : وقد قال العكبرى في تفسيره
الغريب من هذا البيت : المباراة أن يفعل الرجل كما يفعل الآخر ، وباراه إذا جربه
واختبره ، وكذا الابتيار ، وأنشد للكيت .

قَبِيحٌ بِمَثَلِي نَمْتُ الْفَتَاةِ إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا
ولكن أهل اللغة يقولون : إن الذى بمعنى الاختبار هو البور . قال الأصمى : بار يبور
بورا إذا جرب ، قالوا : ويقال للرجل إذا قذف امرأة بنفسه إنه جرب بها ، فإن كان
كاذبا فقد ابترها ، وإن كان صادقا فهو الابتيار ، أفعال - من برت الشيء أبوره :
إذا خبرته - وأنشدوا بيت الكيت هذا ، وقول الكيت « إِمَّا ابْتِهَارًا وَإِمَّا ابْتِيَارًا » أى
إِمَّا بَهْتَانًا وَإِمَّا اخْتِبَارًا بالصدق لاستخراج ما عندها .

(٣) اللقان موضع بالروم . يقول . تقادم عهدنا بسفك دماؤهم وقد برد ماسفكناه
وعادتنا أن نتبع البارد من دماء الأعداء السخن منها ، يعنى لانفك من سفك دماؤهم
فإذا برد ماسفكناه أتبعناه دما طرياحارا .

وَأِنْ كُنْتَ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَضْبَ فِيهِمْ
 فَدَعْنَا نَكُنْ قَبْلَ الضَّرَابِ الْقَنَا اللُّدْنَا^(١)
 فَنَحْنُ الْأَلَى لَا نَأْتِي لَكَ نُصْرَةً وَأَنْتَ الَّذِي لَوْ أَنَّهُ وَخَدَهُ أَغْنَى^(٢)
 يَفِيكَ الرَّدَى مَنْ يَبْتَغِي عِنْدَكَ الْمَلَا وَمَنْ قَالَ لَا أَرْضَى مِنَ الْعَيْشِ بِالْأَذْنَى^(٣)
 فَلَوْلَاكَ لَمْ تَجْرِ الدِّمَاءُ وَلَا اللَّهُا وَلَمْ يَكُ لِلدُّنْيَا وَلَا أَهْلِهَا مَغْنَى^(٤)
 وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الْفَتَى وَلَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمْنًا^(٥)

(١) العضب : القاطع ؛ والقنا : الرماح ؛ واللدن : اللينة . ويقال رمح لدن - بفتح اللام - ورماح لدن - بضمها - يقول : إن كنت فيهم سيفاً قاطعاً فدعنا تقدم إليهم تقدم الرماح ، فنكون أمامك كما تكون الرماح أمام السيوف . قتل إن سيف الدولة لما أحرق البقعة توجه إلى قلعة « سمندو » وبلغه أن العدو بها معه أربعون ألفاً ، فتهيب جيشه للمسير إليهم ، فلما أنشد هذا البيت ، قاله سيف الدولة قل لهؤلاء - وأشار بيده إلى من حوله من العرب والعجم - يقولوا كما تقول حتى لا ننثني عن الجيش ، فما تجعل أحد منهم بكلمة .

(٢) الألى : الدين ؛ ولا نأتى : لا نقصر ، ونصرة : تميز . يقول : نحن الذين لا نقصر في نصرتك ، وأنت لو اكتفيت بنفسك في قتال الأعداء لاستغنيت عنا .

(٣) الردى : الموت ، والأذنى : الدون : يعنى بهذا نفسه ، لأنه يطلب بخدمته العلى ولا يرضى عنده بالعيش الدنى ، فكأنه يقول أفيك بنفسى .

(٤) اللهأ : جمع لهية ، وهى العطية . يقول : لولاك لم تكن شجاعة ولا جود ، لأن الدماء إنما تجري بشجاعتك وقتلك الأعداء والعطايا تجري بجودك ، ولولاك لم يظهر للدنيا ولا لأهلها معنى .

(٥) هذا تعريض بجيش سيف الدولة ، وذلك أنه أرأغهم على الذهاب إلى الروم ، فخافوا خوفاً منهم على أنفسهم . يقول : الخوف على الحقيقة ما يراه الإنسان خوفاً ، فإن خاف شيئاً غير مخوف فقد صار خوفاً ، وإن أمن غير مأمون فقد تعجل الأمن ؛ وهذا من قول دعبل :

مِى النَّفْسِ مَا حَسَنَتْهُ فَمَحَسَنَ لَدَيْهَا وَمَا قَبَحَتْهُ فَمَقَبَحَ

وخال يمدحه وقد أهدى له ثياب ديباج ورحها وفرساً ممها مهرها ، وكان
المهر أحسن :

ثِيَابُ كَرِيمٍ مَا يَصُونُ حَيَاتَهَا إِذَا نَشِرتْ كَانَ الْهَبَاتُ صِيَوَانَهَا^(١)
تَرِينًا صَنَاعُ الرُّومِ فِيهَا مُلُوكُهَا وَتَجَلُّوْا عَلَيْنَا نَفْسَهَا وَقِيَانَهَا^(٢)
وَلَمْ يَكُنْهَا تَصْوِيرُهَا الْخَيْلَ وَخَدَهَا فَصَوَّرَتْ الْأَشْيَاءَ إِلَّا زَمَانَهَا^(٣)
وَمَا أَذْخَرَتْهَا قُدْرَةً فِي مُصَوِّرٍ سِوَى أَنَّهَا مَا أَنْطَقَتْ حَيَوَانَهَا^(٤)
وَتَتَمَرَاهُ بَسْتَقْوَى الْفَوَارِسِ قَدْهَا وَيَذْكُرُهَا رَاتِيهَا وَطِعَانَهَا^(٥)

(١) ثياب - بالرفع - على أنه مبتدأ محذوف الخبر ، أو فاعل للفعل محذوف : أى
هندى ثياب كريم . أو أنتنى ثياب كريم . والصوان : التخت ، وهو ما يصون الثياب
ويحفظها . يقول : أنتنى ثياب من كريم لا يصون الثياب الحسنة ، وإنما يهبها ، فليس لها
صوان غير الهبات : أى أنه لا يصونها فى الصوان وإنما يهبها ، ويجوز أن يريد بقوله
« كان الهبات صوانها » : أن ما يصونها من لفاف ومتنيل كان هبة أيضاً ، كما قال
فى موضع آخر :

• أَوَّلُ مَحْمُولٍ سَبِيهِ الْحَمَلَةِ •

(٢) الصنّاع : المرأة الحاذقة بالعمل . والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية . يقول :
إن ناسجتنا من الروم قد نقشت عليها صور ملوك الروم ، فمى ترينا إيام فيها ،
وترينا كذلك صورة نفسها وجواربها .

(٣) يقول : لم تكنف بتصوير الخيل وحدها ، بل صورت الأجسام وما يمكن
تصويره فلم تترك شيئاً إلا صورته ما عدا الزمان ، لأنه لا صورة له ، فذلك لم تصوره .

(٤) يقول : إن هذه الصنّاع لم تدخر عن الثياب المذكورة شيئاً هو فى وسع المصور
إلا بذلته ، غير أنها لم تقدر على إنطاق ما صورت من حيوان ، فهذا فقط هو الذى لم
تستطعه . هذا : وقوله « ادخرتها » لا يتعدى إلى مفعولين لكنه ضمير فعلا فى معناه
يتعدى إلى مفعولين ، كأنه قال : وما حرمتها قدرة .

(٥) سمراء : عطف على قوله ثياب كريم — فى البيت الأول . — وقد كانت فى
جملة الهبات . يريد قناة سمراء ، واستنواء قدها الفوارس إطاعه إيام بطوله وملات
وشرائط كاله فى تصريفه واستعماله ، وإظهار مجزئته عنه إذا باشروا ذلك ، وتذكيرهم
السكر والطمع .

رُدِّيْنِيْةٌ تَمَّتْ فَسْكَادَ نَبَاتُهَا يُرْكَبُ فِيهَا رُجُهَا وَسِفَانُهَا^(١)
وَأُمُّ عَتِيْقٍ خَالُهُ دُونَ عَمِّهِ رَأَى خَلْقَهَا مِنْ أَعْجَبَتِهِ فَقَانَهَا^(٢)
إِذَا سَايَرَتْهُ بَايَنْتُهُ وَبَانَهَا وَشَانَتْهُ فِي عَيْنِ الْبَصِيرِ وَزَانَهَا^(٣)
فَأَيْنَ الَّتِي لَا تَأْمَنُ الْخَيْلُ شَرَّهَا وَشَرِّى وَلَا تُعْطَى سِوَاىَ أَمَانَهَا^(٤)
وَأَيْنَ الَّتِي لَا تَرْجِعُ الرُّمَحَ خَائِبًا إِذَا خَفَضَتْ يُسْرَى بَدَى عِنَانَهَا^(٥)
وَمَالِي ثَنَاءٌ لَا أَرَاكَ مَسْكَاةً قَهْلُ لَكَ نَعْمَى لَا تَرَانِي مَكَانَهَا^(٦)

(١) ردينية : أى أنها مما عملته ردينة ، امرأة كانت تعمل الرماح ، والزج حديدة تجعل فى أسفل الرمح . والسنان : الذى يحمل فى أعلاه . يقول : لحسن نباتها - الذى أنبته الله - كاد نباتها يجعلها ذات زج وسان .

(٢) أم عتيق : عطف أيضا على ثياب . والعتيق : الكريم من الخيل . وهانها : أصابها بعينه . يقول : وفرس أنى لها مهر كريم خال ذلك المهر فى الشرف دون عمه ؛ يعنى أن أباه كان أكرم من أمه ، لأن العم والأب أخوان كما أن الحال والأم أخوان ، فإذا كان العم أكرم من الحال فالأب أكرم من الأم ، وقوله رأى خلقها الخ . يقول : كأنها مصابة بالعين لقبح خلقها . يريد أن الفرس كانت قبيحة ، أما المهر فكان جميلا .

(٣) شانتة : عابته وقوله فى عين البصير : لعله يريد البصير بأمر الخيل دون غيره ويحتمل أن يكون البصير من أبصرها ولم يكن له علم ، لأن بصره قد كفاه يقول : إذا سايَرَت الأم المهر ظهر بينهما البون وبانت مزيتة عليها ، لأن للمهر أكرم من الأم وأجمل فهي تشين للمهر بقبحها ، ولأنها أمه ، وللمهر يزينا بحسنه ، ولأنه ابنها .

(٤) يقول : هلا أهديت إلى فرسا إذا ركبتها خافت الفرسان شرها وشرى ، ولا يحسن ركوبها غيرى ؟ أى لا تنقاد لغيرى ، يعنى أين التى تصلح للحرب ؟

(٥) السنان : سير الاجرام . يقول : وأين الفرس التى تصلح للطعان فلا ترد الرمح فى الحرب خائبا إذا طاعت عليها وقرطت عنانها (*) يبدى اليسرى : يريد أن هذه لا تصلح لذلك . هذا : ويقال رجه رجه وأرجعه يرجعه فى لغة هذيل .

(٦) يقول : ليس لى ثناء إلا وأنا أراك أهلا له أنى عليك به ، قهل لك نعمى - نعمة - لا تعرفنى أهلا لها فتدخرها عنى .

(*) قرط الفارس عنان فرسه : مديده بالعنان لجملة على قذاز فرسه ، وهى تخضر تجرى - والمراد : أرخى العنان

ومد نهر قويق وهو نهر بحلب حتى أحاط بدار سيف الدولة ، وخرج أبو الطيب من عنده فبلغ الماء إلى صدر فرسه فقال أبو الطيب مرتجلا :
 حَجَبَ ذَا الْبَحْرَ بِحَارِ دُونَهُ يَذْمُهَا النَّاسُ وَيَحْمَدُونَهُ^(١)
 يَا مَاهُ هَلْ حَسَدْتَنَا مَعِنَهُ أَمْ اِشْتَهَيْتَ أَنْ تُرَى قَرِينَهُ^(٢)
 أَمْ اِنْتَجَعْتَ لِلْفِي يَمِينَهُ أَمْ زُرْتَهُ مُكْتَرَأَ قَطِينَهُ^(٣)
 أَمْ جِئْتَهُ مُحْنَدِقًا حُصُونَهُ إِنْ الْجِيَادَ وَالْقَنَا يَكْفِينَهُ^(٤)
 يَا رَبِّ لُجَّ جُمِلَتْ سَفِينَتُهُ وَعَازِبِ الرُّوضِ تَوَقَّتْ عُونَهُ^(٥)

(١) يريد بالبحر : سيف الدولة ؛ وبالبحار : أمواه ذلك النهر ، ثم قال : هي دونه في الشرف والنفع ، وأنها قامت له مقام الحاجب : فمنعت الناس من زيارته ، فهي لذلك مذمومة وهو محمود ، قال العكبري : يقال إن سيف الدولة رأى في المنام أن حية طوقت داره ، فغظم ذلك عليه ، ففسر ذلك أنه ماء ، فأمر أن يحفر بين داره وبين قويق حتى أدار الماء حول الدار ، وكان بمهمص رجل ضرير من أهل العلم يفسر للنامات ، فدخل على سيف الدولة ، فقال له كلاما معناه : إن الروم تحتوى على دارك . فأمر به فأخرج بعنف ، وقدر الله تعالى أن الروم فتحوا حلب ، واحتلوا على دار سيف الدولة ، فدخل عليه الضرير بعد ذلك ، فقال : هذا ما كان من المنام ، فأعطاه شيئا .

(٢) المعين : الماء الذي يخرج من الأرض ، من عين ونحوها . يقول هل حسدتنا عليه فحجبت بيننا وبينه ، أم أردت أن تكون مثله في الندى فزخرت وزدت .

(٣) أصل الاتعاج : طلب للرعى ، ويقال اتعجه : أى قصده يطلب معروفه . والقطين : الجماعة يسكنون مكانا ، والمراد : حشمه وأتباعه وأهل منزله قال :

نَهْتَهُ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهْيَ عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مِمَّا شَجَاهَا قَطِينُهَا

يقول : أم جثته تطلب معروفه لتصير غنيا ، أم أتيت زائرا لتكثير من عنده في مجلسه ؟

(٤) الخندق : معروف ، وهو الحفير حول المدينة . يقول : أم جثته لتعفر خندقا لحصونه منعا للعدو ؟ لاجابة به إلى الخندق ، لأن جياده - خيله - ورماحه تمنعه وتغنيه عن الخنادق والحصون .

(٥) اللج : جمع لجة ، ولجة البحر : معظمه ؛ والسفين : جمع سفينة ؛ والعاذب :

(٢٠ — التنبي ٤)

وَذِي جُنُونٍ أَذْهَبَتْ جُفُونَهُ وَشَرَبَ كَأْسَ الْكُفْرِ رَيْنَهُ (١)
وَأَبْدَلَتْ غِنَاءَهُ أَيْنَهُ وَضَمَّتْ أَوَّلَهَا عَرِيْفَهُ (٢)
وَمَلِكٍ أَوْطَأَهَا جَبِيْنَهُ يَقُوْدَهَا مَسْمُوداً جُفُونَهُ (٣)
مُبَاشِراً بِنَفْسِهِ شُشُونَهُ مُشْرِقاً بِطَفْنِهِ طَمِيْنَهُ (٤)
• عَفِيْفَ مَا فِي تَوْبِهِ مَأْمُونَهُ (٥) •

البعيد والعون : جمع غانة ، وهي القطعة من حمر الوحش . وتوقفا : أخذتها وافية ،
وقيل أهلكتها . يقول : رب ماء عظيم عبرته خيله فمكّن له كالسفين ، ورب
روض بعيد الراعى أهلكته خيله حمرة . وجميع ما فيه من أنواع الوحش فصادتها
بجملتها .

(١) وذی جنون : أي ورب ذی جنون - یعنی عاصيا متمردا مغرورا بهمه -
أذهبت الخيل جنونه : أي أذلته حتى انقاد وأطاع ، ثم قال : ورب شرب - اسم جمع
بمعنى الشاربين - أي رب قوم لا هين بشرب الخمر هجمت عليهم خيله وأعملت فيهم القتل
حتى كثرت رنينهم - أي صياحهم وبكاؤهم - على قتلاهم ، هذا : ويجمع « الشرب » على
« شروب » ، قال الأعشى :

هو الواهبُ السَّمْعَاتِ الشُّرُوْ بَ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَبَيْنَ الْكُتَنِ (١)

(٢) الضمير في « غنائه ، وأينته » للشرب ؛ والضميم : الأسد ، والعرب :
مأوى الأسد . يقول : وأبدلت الخيل غناء الشرب وطربه أيننا ، لما ألم به من
قتل ذويه ، ثم قال : ورب رجل مثل الأسد عزة وقوة أدخل خيله أرضه فوطنتها
وأخذت بلاده .

(٣) يقول : ورب ملك عظيم من الملوك عصاه فقتله فوطنت خيله جبينه وهو يقودها
إليه لا يعطى جفنه حظا من النوم لسرعة السير واتصاله .

(٤) طمينه : مطمونه . يقول : إذا طمن إنسانا شرفه بطعمة إياه ، لأنه رآه أهلا
للمبارزة والمحاربة .

(٥) يقول : إنه عفيف الفرج مأمونة لا يقرب الزنا .

(١) الكتن : الكتان ، حذف الألف « الألف » من الكتان وصماه الكتن للضرورة
قال ابن : لم اسمع الكتن في الكتان إلا في شعر الأعشى ، وللمسمعات : اللغنيات
جمع مسمعة .

أَبْيَضَ مَا فِي تَاجِهِ مَيِّمُونَهُ^(١) بَحْرٌ يَكُونُ كُلُّ بَحْرٍ نُونَهُ^(٢)
 * شَمْسٌ تَمْتَحِي الشَّمْسُ أَنْ تَكُونَهُ^(٣) *

إِنْ تَدْعُ بِأَسِيفٍ لِنَسْتَعِينَهُ يُجِبُكَ قَبْلَ أَنْ تُتِمَّ سَيْفَهُ^(٤)
 أَدَامَ مِنْ أَعْدَائِهِ تَمَكِينَهُ مَنْ صَانَ مِنْهُمْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ^(٥)

وقال يمدحه عند منصرفه من بلد الروم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وأنشده
 إياها بآمد :

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَفَى الْمَحَلِّ الثَّانِي^(٦)
 فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مِرْقٍ بَلَفَتْ مِنَ الْعُلَيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ^(٧)

(١) يقول : إنه أبيض الوجه مباركه .

(٢) النون : الحوت . يقول : هو بحر — أى كثير المطاء — يصخر كل ملك
 بالإضافة إليه .

(٣) يقول : إن الشمس تمتحى أن تكونه ، لأنه أشرف منها وأكثر مناقب ، وذكر
 الضمير في «تكونه» لأنه عني بالشمس الأولى المدحوح .

(٤) يقول : إن تدعه أيها المخاطب فقلت ياسيف — مستعينا — أجايبك قبل إتمام سبيل
 السيف . يريد سرعة إجابته للداعى .

(٥) من صان : فاعل أدام ، وهذا دعاء يقول : أدام الله — الذى صان هذا المدحوح
 وصان دينه من أعدائه — تمكينه منهم — من أعدائه — فالضمير في « نفسه » للمدحوح ،
 وفي « دينه » لله سبحانه وتعالى .

(٦) الرأى : مبتدأ ، خبره : الظرف بعده : وقوله هو أول الخ : استئناف . يقول :
 إن العقل مقدم على الشجاعة ، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أنت على صاحبها
 وأوردته موارد الهلاك ولم تعد شجاعة ، وإنما هي خرق . والحاصل أن العقل — فى
 ترتيب للنائب — هو الأول ، والشجاعة ثان له .

(٧) هما : فاعل لمحذوف يفسره المذكور ، والأصل : إذا اجتماعا اجتماعا ، فحذف الفعل
 الأول وانفصل ضميره ، والظرة — بكسر الهم — القوة والشدة ، والمراد الإباء وهزة
 النفس ، وأصل المرة لإحكام القتل ، يقال أمر الحبل إمراراً ، وتروى حرة بدل مرة .

وَلَرَبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ^(١)
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَعِيفٍ أَدْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ^(٢)
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ الْنُفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدِي الْكِمَاءِ عَوَالِي الْمُرَانِ^(٣)
لَوْلَا سَيْمُ سَيْوفِهِ وَمَضَاؤُهُ لَمَّا سُلِّنَ لَكِنْ كَالْأَجْفَانِ^(٤)
خَاضَ الْحِمَامَ بَيْنَ حَتَّى مَا دُرِيَ أَمِنْ اخْتِقَارٍ ذَاكَ أَمْ نِشْيَانٍ^(٥)

وتروى مرة - بضم الميم - من المראה : يقول : إذا اجتمع العقل والشجاعة لنفس تأبى
الذل والضعيم ولا تلين قناتها للأعداء : بلغت أعلى المبالغ من العلى .
(١) الأقران : جمع قرن - بكسر القاف - وهو السكفة في الحرب ، يؤكد
تفضيل العقل ، يقول : قد يطعن الفتى أقرانه بالكيدة ولطف التدبير ودقة الرأي قبل
أن يصرح بالقتال .

(٢) و(٣) الضيفم : الأسد ، والمراد بأدنى ضعيف : أدون ؛ فأدنى : أخس وأدون .
وأدنى إلى شرف : أى أقرب . والكساء : جمع كمى ، وهو البطل للشملة بالسلاح .
والعوالى : صدور الرماح . والمران : الرماح اللينة . يقول : إنما تتفاضل نفوس الحيوان
بالعقل ، فالأدنى أفضل من البهيمة بعقله ، ثم يتفاضل بنو آدم بالعقل أيضاً ، كما قال
المأمون : الأجسام أبضاع ولحوم ، وإنما تتفاضل بالعقول ، فإنه لا لحم أطيب من لحم .
وقوله ودبرت : أى ولما دبرت أى إنما توصلوا إلى استعمال الرماح في الحرب بالعقل ،
ولولا العقل ما عرفت الأيدى تدبير الطعان بالرماح . يريد أن الشجاعة إنما تستعمل
بالعقل . قال الخطيب التبريزي : غزت «تميم» حنيفة فاستأقت أموالاً ورجالا ، فبانت
حنيفة ثلاثاً ، ثم تبعوهم ، فقبل لعلام منهم : كيف صنع قومك بهوافر الخيل حتى
لحقوهم بعد ثلاث ؟ قال : جملوا المران أرضية الموت ؛ فاستبقوا بها
أرواحهم .

(٤) سيمى سيفه : بمعنى سيف الدولة . والأجفان : جمع جفن ، وهو غمد
السيف . يقول : لولا سيف الدولة ما أغنت السيوف شيئاً ، ولكانت في قلة الغناء
كالأجفان ، لأن السيف إنما يعمل بالضارب ، وهذا مثل قول عمرو بن معد يكرب
الزبيدي أحد فرسان العرب ، وقد أعطى سيفه الصمصامة لرجل فلم يعمل به شيئاً فقال :
إنما يفعل الساعد لا السيف .

(٥) يقول : خاض الحمام الموت - بسيفه حتى لم يعلم ذلك الخوض من احتقار الموت أم

وَسَمَى فَقَصَرَ عَنْ مَدَاهُ فِي اللَّغَى أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ^(١)
تَحَذُّوا الْمَجَالِسَ فِي الْبُيُوتِ وَعِنْدَهُ أَنْ الشُّرُوجَ بِمَجَالِسِ الْفَتَيَانِ^(٢)
وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الْوَغَى وَالطَّعْنَ فِي الْمَهْجَاءِ غَيْرِ الطَّعْنِ فِي الْمِيدَانِ^(٣)
قَادَ الْجِيَادَ إِلَى الطَّعَانِ وَلَمْ يَقْضِ إِلَّا إِلَى الْمَعَادَاتِ وَالْأَوْطَانِ^(٤)
كُلُّ ابْنِ سَابِقَةٍ يُغَيِّرُ بِحُسْنِهِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ عَلَى الْإِحْزَانِ^(٥)
إِنْ خَلَّتْ رُبِطَتْ بِآدَابِ الْوَغَى فَدَعَاوَهَا يُغْنِي عَنِ الْأَرْسَانِ^(٦)

نسيان للموت وغفلة عنه ؟ ودرى : مجهول « درى » لغة طيء . وثانى مفعولى « درى » محذوف سد مسده جملة الاستفهام .

(١) اللدى : الغاية ؛ وأهل الزمان : أصحاب أهل الزمان الحاضر : فـ « أل » فيه للمهد الحضورى : أى قصر عن بلوغ ما بلغ أهل زمانه وأهل كل زمان غيره .

(٢) تخذوا واتخذوا : بمعنى . يقول : إن أهل الزمان مجالسهم فى البيوت ، أما هو فإنه يرى أن الفتى لا يلبق به أن يتخذ البيوت مجالس ، وإنما سروج الخيل يقضى أيامه عليها فى الفارة على أعدائه .

(٣) الوغى والمهجاء : من أسماء الحرب . وقوله والطعن إلى آخره : كلام مستأنف يقول : وظنوا أن الحرب لعب : أى إذا لعبوا فى الميدان فتطاعنوا بالرمح ظنوا أن ذلك هو الحرب ، والطعن فى اللعب غير الطعن فى الحرب ، لأن طعن اللعب طعن مع إبقاء ولا إبقاء فى الحرب . يريد أن أهل زمانه لاهون ، أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلى .

(٤) يقول : إذا قاد خيله إلى طعان الأبطال فى الحرب ، فقد قادها إلى ما هو عادة له وإلى وطنه ، لأنه من للمركة فى وطن .

(٥) كل : إما بالرفع على أنه خبر عن ضمير محذوف يعود على الجياد ، وإما بالنصب على أنه بدل من الجياد ، وابن سابق : أى كل فرس ولدته سابقة من الخيل . يقول : كل فرس كريم إذا نظر إليه صاحبه راقه وسر بحسنه وبدد أحزانه .

(٦) الوغى : من أسماء الحرب ؛ والأرسان : جمع رسن ، ما يكون فى رأس الدابة تمنع به من التصرف . يقول إن خيله مؤدبة بآداب الحرب إذا خليت لم تفرج من مكانها

فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ الْعُيُونُ غِبَارَهُ فَكَأَنَّمَا يُبْعِرُنَ بِالْأَذَانِ^(١)
يَرْمِي بِهَا الْبَلَدَ الْبَعِيدَ مُظْفَرٌ كُلُّ الْبَعِيدِ لَهُ قَرِيبٌ دَانٌ^(٢)
فَكَأَنَّ أَرْجُلَهَا بِتَرْبَةٍ مَنبِجٍ يَطْرَحْنَ أَيْدِيَهَا بِحِصْنِ الرَّانِ^(٣)
حَتَّى عَبْرَنَ بَارَسَنَاسَ سَوَاحِمًا يَنْشُرْنَ فِيهِ عَمَائِمَ الْفُرْسَانِ^(٤)
يَقْمُضْنَ فِي مِثْلِ الْمُدَى مِنْ بَارِدٍ يَذَرُ الْفُحُولَ وَهْنٌ كَالْخُصْيَانِ^(٥)

فكانها مربوطة ، وإذا دعوتها أتتك ، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن ؛ قال ابن جني : وهذا كقوله .

تَمَطَّطُ فِيهِ وَالْأَعْفَى شَعْرُهَا وَتُضْرَبُ فِيهِ وَالسَّيَاطُ كَلَامُ

(١) الجحفل : الجيش العظيم . وفي جحفل : حال من الجياد . يقول : قاد خيله في جيش عظيم قد تكاثف غباره حتى ستر العيون ؛ فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسة نظرها ؛ ولما سكنها إذا أحست شيئاً نصبت آذانها ، فكانها تبصر بآذانها ، وهذا من بديع التخيل ، وفيه نظر إلى قول البحرى :

وَمُقَدِّمُ الْأُذُنَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ بِهِمَا رَأَى الشَّخْصَ الَّذِي لِأَمَامِهِ

(٢) يريد بالمظفر : سيف الدولة . يقول : إنه رجل قد عوده الله الظفر والنصر ؛ فلا يبعد عليه شيء ، فالبعيد في نظره كالقريب في نظر غيره . لعزمه على الأمور .

(٣) منبج : بلد بالشام : — على مرحلتين من حلب — وحصن الران : من بلاد الروم . يريد سعة خطورها في العدو — الجرى — يقول : كأن أرجلها بالشام وأيديها بالروم لبعد مواقع أيديها من أرجلها ، أى كأنها تقصد أن تبلغ الروم بخطوة واحدة . قال ابن جني : وبين « منبج » و « حصن الران » مسيرة خمس ليال .

(٤) أر سناس : نهر بالروم ، بارد للماء جداً ، يريد : لسرعته في السباحة — تنتشر عمايم فرسانها ..

(٥) يقمضن : يثنن . والمدى : جمع مديّة — السكين . يقول : إن الخيل تثب في هذا النهر الذي هو كالمدى — السكاكين — لضرب الريح إياه حتى صيرته طرائق كأنها مدى من ماء بارد يذر — يدع — الفحل كالخصى لتقلص . خصيته لشدة برده

وَالْمَاءَ بَيْنَ عَجَاجَتَيْنِ مُخْلَصٌ تَتَفَرَّقَانِ بِهِ وَتَلْتَقِيَانِ ^(١)
 رَكْضَ الْأَمِيرِ وَكَالْعَجِينِ حَبَابُهُ وَتَفَى الْأَعْنَةُ وَهُوَ كَالْعَقِيَانِ ^(٢)
 فَتَلَ الْجِبَالَ مِنَ الْفَدَائِرِ فَوْقَهُ وَبَنَى السَّفِينِ لَهُ مِنَ الصُّلْبَانِ ^(٣)
 وَحَشَاهُ عَادِيَةً بِفَرْقَاقٍ قَوَائِمِ عَقَمَ الْبُطُونِ حَوَالِكَ الْأَلْوَانِ ^(٤)
 تَأْنِي بِمَا سَبَتْ الْخَيُْولُ كَانَهَا تَحْتَ الْحَسَانِ مَرَايِضُ الْغِزْلَانِ ^(٥)

(١) المعجاجة : العبرة . يقول : إن الجيوش صار فريقين في عبور هذا النهر : فريق عبروا ، وفريق لم يعبروا ، ولكل واحد منهما عجاج - غبار - والماء بينهما ، فالمعجاجتان تفترقان بالماء وتلتقيان من فوقه لشدة انتشارهما ؛ وقال ابن جني : يعنى معجاجة المسلمين ومعجاجة الروم قال الواحدى : وليس كما ذكر ، لأنهم عند عبور النهر ما كانوا قاتلوا الروم بعد . ولكن البيت التالى يؤيد ما ذهب إليه ابن جني . قال ابن جني : ربما حجز الماء بين عجاجتين وربما جازتاه فالتقنا ، وقلما تشور المعجاجة في الشتاء ؛ قال : وسألته : أى المتن - عند القراءة عن هذا ، فذكر أنه شاهده ، قال ؛ وكان في حزيران - وقال هو من أبرد المياه في كل وقت ، لأنه يذوب من الثلج .

(٢) اللجين : الفضة ؛ والحباب : الفقاقيع التى تملو للماء ؛ والأعنة : جمع عنان ، ما يصكون في رأس الفرس ؛ والعقيان : الذهب . يقول : عبر سيف الدولة هذا النهر وركض خيله إلى الروم والماء أبيض كالفضة ، فلما قتلهم وجرت فيه دماؤهم عاد وقد احمر كالذهب

(٣) الفدائر : جمع غديرة ، وهى الحصلة من الشعر ؛ والسفين : جمع سفينة . يقول : اتخذ جبال سفنه من ذوائب سبابه من نسائهم ، واتخذ خشبها من الصلبان التى استولى عليها من معابدهم ، وذلك لكثرة ما غنم وسبى .

(٤) حشاه : فعل ماض ، والضيم للماء . وعادية : أى راكضة ، من العدو - الركض - وعقم : جمع عقيم ، وهو الذى لا يلد ؛ والحوالك : الشديدة السواد : يقول : حشا ماء النهر سفنا تعدو ولا قوائم لها ، وهى عقم لا تلد ، وألوانها سوداء لأنها مقيرة - مطلية بالقار - شبه السفن بالحيل العادية والحيل لها قوائم ، ومن عادتها أن تنتج ، فبين أنه أراد السفن .

(٥) يقول : إن هذه السفن تحمل النساء التى سبتهن الفوارس وكانهن غزلان والسفن

رَرَّ تَعَوَّدَ أَنْ يُذِمَّ لِأَهْلِهِ مِنْ دَهْرِهِ وَمَلَوَارِقِ الْحَدَثَانِ^(١)
 قَتَرَتْ كُتْبَهُ وَإِذَا أَذَمَّ مِنَ الْوَرَى رَاعَاكَ وَاسْتَنْقَى بَنِي خَمْدَانَ^(٢)
 الْمُخْفَرِينَ بِكُلِّ أَبْيَضٍ صَارِمٍ ذِمَمَ الدُّرُوعَ عَلَى ذَوَى التَّيْجَانِ^(٣)
 مُتَصَلِّكِينَ عَلَى كَثَافَةِ مُلْكِهِمْ مُتَوَاضِعِينَ عَلَى عَظِيمِ الشَّانِ^(٤)
 يَتَقَيَّلُونَ غِلَالًا كُلُّ مُطَهَّمٍ أَجَلَ الظَّلِيمِ وَرِبْقَةَ السَّرْحَانِ^(٥)

مرايض لها ، هذا : والمرريض جمع مريض ، وهو ماوى الغنم والوحش ويجمع مريض على مرايض وأرباض ، قال المعجاض يصف الثور الوحشى ؛

واعْتَادَ أَرْبَاضًا لَهَا أَرَى مِنْ مَعْدِنِ الصَّيْرِانِ عُدْمِي^(١)
 (١) و (٢) بحر أى هو - النهر - بحر الح . وأذم له من فلان . أجاره منه .
 والحدثان : حوادث الدهر ونوائبه . وقوله وإذا أذم ، جملة حالية : والورى : الخلق .
 وبنو حمدان : عشرة سيف الدولة . يقول : هذا النهر الذى عبره سيف الدولة ببحر تعود
 أن يجبر أصحابه من حوادث الدهر بأن يمنع العدو من العبور إليهم ، ولكن لما عبرته
 أنت تركته يجبر أهله من كل أحد إلا من بنى حمدان ، يعنى أن غيرك لا يقدر على عبوره .

(٣) المخفرين : نعمت بنى حمدان ، أو منصوب على اللدح . ويقال : خفرت الرجل : إذا أجرته وأخفرتة : إذا نقضت عهده . والأبيض : السيف . والصارم : القاطع . والقدم جمع ذمة : يقول : إن بنى حمدان هم الذين ينقضون عهود الدروع التى على الملوك بسيوفهم لما جعل الملوك فى ذمم الدروع لأنهم تحصنوا بها وهى وقاء لهم ، فكأنهم فى خفارتها جعل سيوف بنى حمدان تنقض تلك القدم بهتك دروعهم والوصول إلى أرواحهم .

(٤) التصعلك . التشبه بالصعاليك ، وهم المتلصصون الذين لا مال لهم وعلى كثافة ملكهم : أى مع عظمة ملكهم وخفامته . يقول : هم على عظم ملكهم كالصعاليك . لتمرضهم للغارات وشدايد الأسفار . وهم مع عظم شأنهم يتواضعون للناس كرماء ولينا (٥) الثقيل : النوم فى القائلة ، وهى نصف النهار . والمطهم : الحسن التام الخلق من الحيل . والأجل وقت الشيء الذى يحل فيه ويراد به أجل الموت وهو صفة لمطهم ؛

(١) اعتادها : أتاها ورجع إليها ، وقوله لها أرى : أى لها آخية من مكانى البقر لا تزول ، ولها أصل ثابت فى سكون الوحش ، بها قال ابن السكيت . وقد تسمى الآخية أريا ، وهو جبل تشد به الدابة فى محبسها ، والمدىلى : القديم

خَضَعَتْ لِمُنْصَلِكِ الْمَاصِلِ عَنُودَ وَأَذَلَّ دِينُكَ سَائِرَ الْأَدِيَانِ^(١)
وَعَلَى الدُّرُوبِ وَفِي الرُّجُوعِ غَضَاضَةٌ وَالسَّيْرُ مُتَمَتِّعٌ مِنَ الْإِمْكَانِ^(٢)
وَالطَّرِيقُ ضَيِّقَةٌ الْمَسَالِكِ بِالْقَنَا وَالْكُفْرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الْإِيمَانِ^(٣)
نَظَرُوا إِلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ كَأَنَّمَا يَضَعَدْنَ بَيْنَ مَنَاقِبِ الْعِقْبَانِ^(٤)

والظلم القدر من النعام . والريقة : العروة من جبل يشد بها والسرطان : القدر .
يقول : إذا خرجوا في الغارات استظلوا عند اعتداد الحر بظل خيولهم ، يعني أنهم مثل
البدو لا ظل لهم ، فإذا قالوا - من القيلة - لجأوا إلى ظلال خيلهم .
ومعنى قوله :

* أجل الظلم وريقة السرطان *

أنها - الخيل - إذا طردت النعام والذئاب أدركتها فقتلتها ومنعتها من العدو :
وهذا من قول امرئ القيس :

بُمَنْجَرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلُ

وامرؤ القيس : هو أول من قال « قيد الأوابد » ثم تبعه الشعراء قال ابن الرومي في الغزل :

وَحَدِيثُهَا السِّحْرُ الْحَلَالُ لَوَ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
إِنْ طَالَ لَمْ يُمَلِّمْ وَإِنْ هِيَ أَوْجَزَتْ وَدَّ الْمَحَدَّثُ أَنَّهَُا لَمْ تُوجَزِ
شَرُّ الْعُقُولِ وَتَرْهَةٌ مَا مِثْلُهَا لِلْمُطَمِّنِّ وَعَقْلَةٌ الْمُسْتَوْفِرِ

ورواية يتقيلون : هي رواية ابن جني ، وذهب في معناها مذهبا غير الذي أسلفنا ،
قال يتقيلون من قولهم فلان يقيل أباه ؛ إذا كان يتبعه ، والمعنى يتقيلون آباءهم السابقين
في الشرف والسبق إليه كالفرس المظم . وقال ابن فورجه وابن القطاع : إنما الراوية
يتقيلون ، يعني أنهم يستظلون في شدة الحر بأفياء خيلهم يصفهم بالغرب والتبدي - أي
التقشبه بأهل البادية .

(١) المنصل : السيف ؛ وعنود : أي قهرا .

(٢) و(٣) و(٤) على الدروب : صلة نظروا في البيت الثالث - أو حال من ضميره ؛

والدروب : المداخل إلى الروم . والغضاضة : القلة والعار - أي ما يغض من الإنسان ؛
والقنا : الرماح . والمراد بالكفر والإيمان . أصحابهما والزبر : جمع زبرة ، وهي القطعة
من الحديد والبراد : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، الطائر المعروف . يقول : حين

وَفَوَارِسُ يُحْيِي الْجَمَامُ نُفُوسَهَا فَكَأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْحَيَّوَانِ^(١)
مَا زِلْتَ تُضْرِبُهُمْ دِرَاكًا فِي الذَّرَى ضَرْبًا كَأَنَّ السَّيْفَ فِيهِ اثْنَانِ^(٢)
خَصَّ الْجَمَاجِمَ وَالْوُجُوهَ كَأَنَّمَا جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانٍ^(٣)

كنا على الدروب وقد اشتدت الحال حتى تصذر علينا الانصراف والرجوع ، لما في ذلك من العار والغضاضة وتعذر التقدم لكثرة الجيوش أماننا وقد ضاقت الطرق لكثرة الرماح واشتباكها وأهل الكفر قد أحاطوا بأهل الإيمان وتكاثروا عليهم - في هذه الأحوال وفي هذا المكان نظر الروم إلى سيوف المسلمين ترتفع في الهواء - عند رفع الأبطال إياها للضرب - كأنها تصعديا منكب العقبان ، فلا يرونها إلا فوق رؤوسهم أو تقول : في هذه الأحوال نظر الروم إلى المسلمين وهم مقنعون في الحديد ، حتى كأنهم قطع الحديد ، لاشتباهه عليهم ، وهم فوق خيل كالعقبان في خفنها وسرعتها .

(١) فوارس : عطف على « زبر الحديد » . والحمام : الموت . يقول : ونظروا إلى فوارس إذا قتلوا في الحرب حيوا : أي يرون حياتهم في قتلهم في الحرب ، وكأنهم ليسوا من الحيوان ، لأن الحيوان لا يحيى بهلاكه ، يعني أنهم غزاة مجاهدون في سبيل الله من استشهد منهم بالقتل صار حياً مرزوقاً عند الله ، كما قال سبحانه وتعالى « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون » وهذا ينظر إلى قول أبي تمام :

يَسْتَعِذُّونَ مَنَافِيَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَيَاسُونَ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا قُتِلُوا

وقال ابن القطاع : هو مأخوذ من قول زهير نقله نقلاً :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كَأَنَّكَ تَعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

وهو من الأخذ الخفي ، لأن زهيراً جعل المدح يسر بما يعطى سائله حتى كأنه يأخذه ، وجعل التنبئ هؤلاء الفرسان يسرعون إلى القتل في الحرب حتى كأنه حياة .

(٢) الدراك : للتابعة . والذرى جمع ذروة ، وهي أعلى كل شيء . يقول : مازلت تضربهم ضرباً متتابعاً في أعلى أبدانهم ، يعمل السيف الواحد فيه عمل سيفين ، من السرعة ، أو لأنه ينفذ المضروب إلى آخر فيقطعه أيضاً ، فكأنه سيفان . وقال ابن جني : يريد أنك سيف ومعك سيف ، فالضرب ضرب سيفين .

(٣) الضمير في « خص » يعود على الضرب والجماجم : جمع جمعة ، وهي عظم الرأس الشتمل على الدماغ . يقول : إن هذا الضرب لا يقع إلا في وجه أو في رأس ، لأنه

فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَذْبَرُوا يَبْغِشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُفَصَّلاً حُرْمُوا الَّذِي أُمِلُوا وَأَذْرَكَ مِنْهُمْ وَإِذَا الرِّمَاحُ شَفَلْنَ مُهْجَةً ثَائِرٍ يَطْوُونَ كُلَّ حَنِيَّةٍ مِرْنَانَ^(١) يُمْتَقِفُ وَمُهَنْتِدِرٍ وَسِنَانَ^(٢) أَمَالَهُ مَنْ عَادَ بِالْحَرَمَانِ^(٣) شَفَلَتْهُ مُهْجَتُهُ عَنْ الْإِخْوَانِ^(٤)

أوحى قتلا ، ولا يتعرض لسائر الجسد ، فكان أجسامهم أمت إليك بأمان ، ومن ثم لا تعرض لها .

(١) الحنية : القوس . والمرنان : التي يسمع لها رنين . يقول : رموا قسيهم التي كانوا يرمون عنها ثم انهزموا مدبرين يطوان في هزيمتهم تلك القسي . التي رموك بها .

(٢) مفصلاً : من تفصيل القلادة ، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة وللتقف : المقوم ، يعني الرمح . والمهند : السيف الهندي . والسنان : الزج الذي في أسفل الرمح يقول : كان وقع السلاح كوقع المطرياتي دفعة دفعة ؛ وأراد بالسحاب : الجيش ؛ وبالطر الوقعات التي تقع بهم من السيوف والرماح ؛ وهي تقع بهم مفصلة ، لأنهم يضربون تارة بالرمح وتارة بالسيوف .

(٣) يقول : حرموا ما أملوا من الظفر بك ، فصار من عاد منهم إلى بيته بالحرمان بعد نفسه مدركا أملة ، لأنه نجا بنفسه ، و« عاد » يروى عاذ — بالذال للمعجمة — من عذت بالشئ : امتنت به ، وعلى هذه الرواية يكون المعنى : أدرك أملة منهم من لجأ إلى الرضى بالحرمان فترك الحرب وسلم بنفسه . هذا : ويقال أملت الشئ : تأملا ، وأملته أملة أملا .

(٤) المهجة : الروح . والثائر : طالب الدم . يقول إذا تناوشت الرماح صاحب ثأر شغلته صيانة روحه عن إدراك ثأر إخوانه . يعني أن الروم لما أحسوا بالتهلكة خذل بعضهم بعضا وشغلوا بأنفسهم عن إدراك ثأر قتلاهم وهنا زلت قدم ابن القطاع ، فذهب في تفسير البيت إلى غير الذي ذكرنا وخبط خبط عشواء ، قال : هذا البيت من معانيه الغامضة . وذلك أنه في مدح سيف الدولة ، وظهره هجاء محض ، لأنه يقول : شغلت سيف الدولة مهجته عن إخوانه ؛ وهذا غاية الهجو ، لأن العرب مهدت الرئيس بقتاله عن أصحابه وبذله مهجته دونهم ، وقد قال : إن سيف الدولة اشتغل بالدفاع عن الإخوان ، فحذف الجار ، وقد قيل فيه : إن معناه : إذا الرماح شغلن مهجة ثأر مشغول بمهجته اشتغل سيف الدولة ، بالدفاع عن الإخوان ، فالأول يكون الضمير فيه لسيف الدولة ،

هَيْهَاتَ عَاقٍ عَنِ الْعِوَادِ قَوَاضِبُ كَثُرَ الْقَتِيلُ بِهَا وَقَلَ الْعَانِي (١)
وَمَهْذَبُ أَمْرِ التَّنَايَا فِيهِمْ قَاطَمُنُهُ فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ (٢)
قَدْ سَوَدَتْ شَجَرَ الْجِبَالِ شُعُورُهُمْ فَكَأَنَّ فِيهِ مُسِنَّةَ الْغُرَبَانِ (٣)
وَجَرَى عَلَى الْوَرَقِ النَّجِيعُ الْقَانِي فَكَأَنَّهُ النَّارَنْجُ فِي الْأَغْصَانِ (٤)
إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَقُلُوبِهِنَّ إِذَا التَّقَى الْجُمُعَانِ (٥)

والثاني يكون « شغلته » صفة لثأر ، وهذا إن سلم من المجيء صح به المعنى ، فإن الكلام يحتمل في الحذف مالا يحتمله ، والصحيح من معنى هذا البيت أن قوله « عن » بمعنى الباء ، فيكون المعنى شغلته سيف الدولة مهجته بإخوانه ؛ وهو مثل قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » أى بالهوى .

(١) العواد : للمعاودة ، مصدر عاود ، بمعنى عاد . والقواضب : السيوف ؛ والعاني : الأسير . يقول : بعد ما أملاوا من العود إلى القتال فقد عاقهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتل منهم وقل من يفرح ولا يموت فيؤسر .

(٢) مهذب : عطف على « قواضب » : يقول : يعوقهم عن العودة مهذب — يعنى سيف الدولة — أطاعته للتناي في إهلاكهم — أى الروم — وهذه الطاعة : أى طاعة التناي له هى طاعة لله سبحانه ، لأنه جهاد في سبيل الله .

(٣) للسفة : من قولهم أسف الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه . والضمير في قوله « فيه » للشجر . يقول : كثرت قتلام حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها فكأن الغربان وقعت عليها . شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغربان السود .

(٤) النجيع : الدم . والقاني : الشديد الحرارة . وأصله الهمز فليته لتضريح . والنارنج : معروف . يقول : لما بعثر شعورهم على الأشجار اسودت ، ولما جرت دماؤهم على ورق الشجر احمر ، فصار لحرته كأنه النارنج في الأغصان .

(٥) يقول : إن السيوف إنما تعين الشجعان الذين لا يفرعون في الحرب ، كما لا تفزع هى ولا ذكر قلوبهم استعار لها — للسيوف — قلوباً ؛ وهذا من قول البحترى :

وَمَا السِّيفُ إِلَّا بَرْغَادٍ لَزِيْزَةٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَمْضَى مِنَ السِّيفِ حَامِلُهُ
قال ابن جني : قوله إن السيوف مع : يدل على معنى النصر والمهونة ، كما تقول : الله معنا : أى معين وناصر ، وليست في معنى الصلبة ، لأنها لو كانت كذلك لم يكن لها

تَلَقَى الْحَسَامَ عَلَى جِرَاءَةٍ حَدٍّ مِثْلَ الْجَبَانِ يَكْفُ كُلُّ جَبَانٍ ^(١)
 رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَيَّرَتْ قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النَّيِّرَانِ ^(٢)
 أَنْسَابُ فَخْرِهِمْ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا أَنْسَابُ أَصْلِهِمْ إِلَى عَدْنَانٍ ^(٣)
 يَا مَنْ يُقَتِّلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ أَصْبَحْتُ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ ^(٤)
 فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونِكَ نَاطِرِي وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فِيكَ إِسَانِي

وقال في صباه في المكتب :

أُبَلَى الْهَوَى أَسَفًا يَوْمَ النَّوَى بِدَنِي وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ ^(٥)

نفع ، والمراد أن السيوف تنصر الدين قلوبهم كقلوبها ، وإنما يريد إذا كانوا ماضين في الحرب كانت السيوف قاطعة ماضية .

(١) تلقى : أى أيها المخاطب . والحسام : السيف القاطع . وعلى جراءة حده : أى مع جراءة حده : يريد مع مضائه في الضريبة ، فعبر عن ذلك بالجراءة لمقابلة الجبان . يقول : إن السيف الماضى إذا كان في يد الجبان لم يغن في يده شيئاً ، كما لا يغنى الجبان ، لأن الفعل للضارب .

(٢) العِمَاد : الأبنية الرفيعة ، يذكر ويؤنث : الواحدة عمادة ، ويقال : فلان رفيع العِمَاد : إذا كان في قومه شريفاً ، فهم يعنون عماد بيت الشرف ، والعرب تضع البيت موضع الشرف في النسب والحسب ؛ وانقمم : جمع قمة وهى أعلا الرأس ؛ وللواقد : جمع موقد . يقول : ارتفعت بك العرب وشرفت وقاتلوا الملوك فأوقدوا على رؤوسهم نار الحرب ، ولك أن تقول : قاتلوا الملوك فقطعوا رؤوسهم وجعلوا جماجمهم أئناً فى ، احتقاراً لهم .

(٣) يقول : هم ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان ، ولكنهم في الفخر والشرف ينتسبون إليك .

(٤) يقول : أنت تقتل من أردت بسيفك : أى لا يمنع منك قتل من أردت ، لكنك أحسنت إلى وغمرتني بإحسانك حتى قتلني : أى استعبدتني بالمنة والإحسان .

(٥) يقال : بلى الثوب يبلى بلى وبلاء وأبلاه غيره يبليه إبلاء . والآنسف : شدة الحزن ؛ ونصب « أسفا » على المصدر ، وعامله محذوف دل عليه ما تقدمه ، لأن « إبلاء

رُوحٌ تَوَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتْ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبِينِ^(١)

الهوى بدنه « يدل على أسفه ، كأنه قال أسفت أسفا : ويوم النوى : ظرف له « أبلى » ويجوز أن يكون معمول المصدر الذى هو قوله « أسفا » ، والنوى : البعد ؛ والوسن : النوم . ومعنى إلباء الهوى البدن : إذهابه كله وقوته بما يورد عليه من شدائده ؛ وخص يوم النوى ، لأن برح الهوى إنما يشتد عند الفراق . والهوى عذب مع الوصال ، سمع مع الفراق ، كما قال السرى الرفاء :

وَأَرَى الصَّبَابَةَ أُرْيَةَ مَا لَمْ يَشُبْ يَوْمًا حَلَاوَتَهَا الْفِرَاقُ بِصَابِهِ
« أُرْيَةَ : فعلة من الأرى ، وهو العسل » . يقول : أفضى الهوى ييدنى إلى الأسف والمزال يوم الفراق ، وأبعد هجر الحبيب بين جفنى والنوم ، أى لم أجد بعده نوما .
(١) روح : مبتدأ ، محذوف الخبر : أى لى روح . والروح : يذكر ويؤنث ؛ ومن ثم لك أن تجعل « تردد » فعلا ماضيا - على تذكير الروح - وأن تجعله مضارعا - على تأنيها - وأصله تردد - بتاءين - فحذفت إحداها للتخفيف . والخلال : هو ذلك العود الدقيق الذى تخلل به الأسنان . يقول : لى روح تذهب وتجيء فى بدن مثل الخلال فى النحول والدقة إذا طيرت الريح عنه الثوب الذى عليه لم يظهر ذلك البدن لدقته : أى إنما يرى لما عليه من الثوب فإذا ذهب عنه الثوب لم يظهر . ويجوز أن يكون معنى « لم يبين » لم يفارق أى أن الريح تذهب بالبدن مع الثوب لحفته . قال الواحدى : وأقرانى أبو الفضل العروضى فى مثل الخيال ، قال - العروضى - : أقرانى أبو بكر الشمرانى خادم المتنبي : الخيال ، قال ولم أسمع الخلال إلا بالرى فما دونه ؛ يدل على صحة هذا أن الواواء الدمشقى سمع هذا البيت فأخذه فقال :

وَمَا أَتَبَقَى الْهَوَى وَالشَّوْقُ مِنِّى سِوَى رُوحٍ تَرَدَّدُ فِي خِيَالِ
خَفِيتُ عَلَى النَّوَائِبِ أَنْ تَرَانِ كَأَنَّ الرُّوحَ مِنِّى فِي مَحَالِ
وهذا المعنى - كما قال الواحدى والعكبرى - كثير قد ألت به الشعراء القدامى والمحدثون ، وأحسن ما قيل فيه قول بعضهم :

بَرَانِ الْهَوَى بَرَمَى الْمُدَى وَأَذَابِنِ صُدُودُكَ حَتَّى صِرْتَ أَعْمَلُ مِنْ أَمْسِ
فَلَسْتُ أَرَى حَتَّى أُرَاكَ وَإِنَّمَا يَبِينُ هَبَاءُ الدَّرِّ فِي أَتَقِ الشَّمْسِ
وقول الآخر :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا نَفْسٌ خَافَتْ وَمُقَلَّةٌ إِنْسَانَهَا بَاهَتْ

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولًا أَنِّي رَجُلٌ نَوَلًا مُحَاطَبِي إِيَّاكَ لَمْ تَرِنِي^(١)

(١) الباء في « بجسمي » : زائدة ؛ وجسمي : مفعول « كفى » ونحوها : تمييز ؛ وأنني رجل : في تأويل مصدر ، فاعل « كفى » . يقول — صاحبه — : كفاني فعل النحول بي أنني رجل لو لم أنسلكم لم يقع على البصر : أي إنما يستدل على بصوتي ، كما قال أبو بكر الصنوبري :

ذُبْتُ حَتَّى مَا يُسْتَدَلُّ عَلَى أَذَى حَتَّى إِلَّا بِبَعْضِ كَلَامِي
وَأَصْلُ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةُ الْبَحْرِ
وزولا على حكم خطئنا في هذا الشرح نورد ما ذكره ابن الشجري في تطبيقه النحوية على هذا البيت قال فيه سؤال في الإعراب يعر « كفى بجسمي نحولا » وبين « كفى باقه » و « أن » المفتوحة تسكن مع مدخولها في تأويل المصدر كقولك : بلغني أنك ذاهب ، أي ذهابك ، فبأي مصدر تتقدر ؟ وجملة « لولا مخاطبي » وصف لرجل ، و « رجل » من قبيل الغيبة ، فكيف عاد إليه منها ضمير متكلم ؟ وكان الوجه أن يقال : لولا مخاطبته إياك لم تره ؟ الجواب : إن « كفى » بمعاملت فيه زيادة الباء تارة مع فاعله ، وتارة مع مفعوله : ودخولها على مفعوله قليل ، فزيادتها مع الفاعل مثل : كفى بالله . والمعنى : كفى الله ، والذي يدل على أنها مزيدة في « كفى بالله » قول سحيم :

* كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلرَّءِ نَاهِيَا *

وأما زيادتها مع المفعول ، ففي مثل قول حسان :

* وَكَفَى بِنَا فَضْلًا عَلَى مَنْ غَيْرُنَا^(١) *

وكفى بجسمي ، لأن فاعل كفى : « أن » وما بعدها ، وأسبك لك من ذلك فاعلا بما دل الكلام عليه من النفي بـ « لم » ، وامتناع الشيء لوجود غيره بـ « لولا » ، والتقدير : كفى بجسمي نحولا انتفاء رؤيتي لولا وجود مخاطبي ، و « نحولا » نصب على التفسير ، والتفسير في هذا النحو للفاعل دون المفعول ، وقوله : « كفى بالله وكيفا » فوكيلا لتفسير

(١) تقدم أن « من » زائدة بين « على » ومجرورها وهو « غيرنا » وعجزه :

* حُبُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ إِيَّانَا *

لاسم الله ، ونحوها : تفسير لاتقاء الرؤية ، كما أن « فضلا » في بيت حسان تفسير لحب النبي صلى الله عليه وسلم بإمام ، فهذا فرق في الإعراب بين « كفى بالله » وبين « كفى بحمى » من حيث كان بالله فاعلا ووكيلا ، و« بحمى » مفعولا ، وإنما زيدت الباء في نحو كفى على معناه إذ كان معناه اكتف بالله ، ونظيره : حسبك زيد ، وأما قوله : « أنى رجل » فغير موطن ، والخبر في الحقيقة هو الجملة التي وصف بها رجل ، والخبر الموطئ هو الذي لا يفيد بانفراده عما بعده ، كالحال الموطئة في نحو : « إنا أنزلناه قرآنا عربيا » ألا ترى أنك لو اقتصرنا هنا على رجل ، لم تحصل به فائدة ؟ وإنما الفائدة مقرونة بصفته ، فالخبر كالزيادة في الكلام ، فلذلك عاد الضميران اللذان هما « الياءان » في « مخاطبى » و « ترى » إلى الياء في « أنى » ولم يعودا على رجل ، لأن الجملة في الحقيقة خبر عن « الياء » في « أنى » وإن كانت بحكم اللفظ صفة « لرجل » ولو قلت « إن رجل » لما كان هو الياء التي في « أنى » من حيث وقع خبراً عنها عاد الضميران إليه على المعنى كان قولاً ؛ ونظيره عود الياء إلى « الذى » في قول على عليه السلام :

* أَنَا الَّذِي سَمِعْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ * (١)

لما كان في المعنى « أنا » وليس هذا مما يحمل على الضرورة ، لأنه قد جاء مثله في القرآن « بل أنتم قوم تجهلون » فتجهلون فعل خطاب وصف به قوم ، وقوم من قبيل الغيبة ، كما ترى ، ولم يأت بالياء ولكنه جاء وفق المبتدأ الذي هو « أتم » في الخطاب ولو قيل : « بل أنتم قوم » لم تحصل بهذا الخبر فائدة ، ومما جاء في الشعر بغير ضرورة قوله :

أَأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فَتَبَتْنِي بِهِ الْجَاهُ أُمُّ كُنْتُ اسْرَأَّ لَا أُطِيعُهَا

(١) قال أبو العباس ثعلب : لم تختلف الرواة في أن هذه الأبيات لعلى بن أبي طالب رضوان الله عليه :

أَنَا الَّذِي سَمِعْتَنِي أُمِّي الْحَيْدَرَهُ كَلَيْتَ غَابَاتِ غَلِيظِ الْقَصْرَةِ

* أَكَيْلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّفْدَرَةِ *

الحيدرة : الأسد ؛ والقصرة : أصل العنق ؛ والسندرة : مكيال كبير ، وقيل اسم امرأة كانت تكيل كيلا وافيا .

وقال في صباه على لسان بعض التنوخيين وقد سأله ذلك :

قُضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنِّي الْقَسِيُّ الدِّرِّي اذْخَرْتُ لِصِرُوفِ الزَّمَانِ^(١)
وَتَجِدُنِي بِدُلِّ بَنِي خَنْدِفٍ حَلَّى أَنْ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانٍ^(٢)

أعاد من « أطيعها » ضمير متكلم ، ولم يعد ضمير غائب وفاقا لامرئى ، فهذا دليل إلى دليل التنزيل .

(١) قضاة : بطن من حمير ، وهى قبيلة التنوخى . والفقى : أصله الكريم الشجاع القوى . يقول : قبيلتي تعلم أنى فتاها الذى يحتاجون إليه فيدخرونه لدفع ما ينزل بهم من الحوادث لمكانه من الشجاعة وسداد الرأى . وليلاحظ أن هذه الأبيات هى على لسان غيره وهو من أهل اليمن .

(٢) خندف : امرأة إلياس بن مضر ، ينسب إليها أحد غزى مضر . يقول : إن شرفي يدهم على أن كل كريم يعنى - أى من قبائل اليمن - لأنى منهم . ولنعُد إلى خندف قال الأخباريون : خندف هى بنت عمران بن الحاف بن قضاة ، وهى امرأة إلياس بن مضر ، ولدت له مدركة . وطابخة وقعة ، وكان اسم مدركة « عامرا » واسم طابخة « عمرا » ، قيل إنهم كانوا فى إبل لهم يرعونها فصاد عامر وعمرو صيدا ، فقعدا يطبخانه فعدت عادية على إبلهما فقال عامر لعمر : أتدرك الإبل ، أم تطبخ هذا الصيد ؟ فقال بل أطبخ ، فلحق عامر بالإبل ، فجاء بها ، فلما رجعا على أبيهما حدثاه بشأنهما ، فقال لعامر : إنك مدركة ، وقال عمرو : أنت طابخة ، فجاءت أمهما تمنى فقال لها : أنت خندف^(١) وأما قعة فيقال إن خزاة من ولده ، من ولد عمرو بن لحي الذى هو ابن قعة ابن إلياس ، وهو عمرو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رأيت يجر قصبة فى النار »^(٢) .

وقال محمد بن إسحق بن يسار صاحب المغازى فى أول كتابه : ولد معد بن عدنان أربعة : نزار بن معد وقضاة بن معد - وكان قضاة بكر معد ، وكان به يكنى - وقنص ابن معد ، فأما قضاة فيمت إلى حمير بن سبأ ، وكان اسم سبأ « عبد شمس » ، وإنما

(١) الخندفة : مشية كالهرولة ، فسميت خندف لأنها خندفت فى أمر ابنها : أى أسرع ، وأما « قعة » فسمى كذلك لأنه انقمع فى البيت .

(٢) القصب : الأمعاء .

أَنَا ابْنُ اللَّفَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ أَنَا ابْنُ الضَّرَابِ أَنَا ابْنُ الطَّعَانِ^(١)
 أَنَا ابْنُ الْفَيَافِ أَنَا ابْنُ الْقَوَافِ أَنَا ابْنُ الشَّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرَّعَانِ^(٢)
 طَوِيلُ النُّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ طَوِيلُ الْفَنَاءِ طَوِيلُ السَّنَانِ^(٣)

سمى سبأ ، لأنه أول من سبى في العرب ، واليمن تقول : قضاة ابن مالك ، وأنشد
 عمرو بن مرة الجهني :

نَحْنُ بَنُو الشَّيْخِ الْمُهْجَانِ الْأَزْهَرِ^(١) قُضَاعَةُ بْنُ مَالِكِ بْنِ حَمِيرٍ
 * النَّسَبِ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ الْمُنْكَرِ *

وأما «نص» فهلكت ، وهم ملوك الحيرة الذين منهم النعمان بن المنذر ؛ وقوله « كل
 كريم يمان » يريد : من قبائل اليمن الذين ينسبون إلى سبأ ، وقد جاء في مدح اليمن ما فيه
 كفاية ؛ ويكفيهم غفرا قوله عليه الصلاة والسلام : « الإيمان يمان ؛ وأجد ريح الرحمن
 من قبل اليمن ، والحكمة يمانية ، وأهل اليمن ألين قلوبا »

(١) جرت عادة العرب أن يقولوا لكل من لزم شيئا أنه ابنه حتى قالوا لطير الماء :
 ابن الماء . واللقاء : ملاقة الاقتران في الحرب ، والضراب : مصدر ضارب يضارب
 ضرابا ، وهو من ضرب السيف . والطعان : كذلك ، مصدر طاعن يطاعن طعانا ، وهو
 من الطعن بالرمح . يقول : أنا صاحب هذه الأشياء لا افارقها .

(٢) الفيافي : جمع ففاء ، وهي الفلاة ؛ والقوافي : جمع قافية ، وهي في الأصل
 آخر البيت ، وقد يقولون للقصيدة قافية . والرعان : جمع رعن ، وهو أنف الجبل
 الشاخص منه . يقول : أنا صاحب الفلوات لكثرة جوبى إياها وصاحب القصائد أجدها
 وأبداع فيها ، وصاحب الجبال لكثرة سلوكي طرقها .

(٣) النجاد : حمالة السيف ، وطولها دليل على طول القامة ، والطول مما تتمدح
 به العرب .

* وَإِنْ أَعَزَّاءَ الرِّجَالِ طِيْلُهُمَا *

والعماد : عمود الخيمة الذي تقوم عليه ، وذلك مما يمدح به ، لأنه يدل على كثرة

(١) المهجان : الكريم ؛ والمهجان من كل شيء : الخالص ، مأخوذ من المهجان ،
 وهو الأبيض .

حَدِيدُ اللَّحَاطِ حَدِيدُ الْحِفَاطِ حَدِيدُ الْحِمَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ^(١)
يُسَابِقُ سِنِي مَنَآيَا الْعِبَادِ إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانٍ^(٢)

غاشيته وزواره . وطول القناة - الرمح - يدل على قوة حاملها لأنه لا يقدر على استعمال القناة الطويلة إلا القوى .

(١) اللحات : طرف العين مما يلي الصدغ . يريد أن بصره حديد يرى مقاتل عدوه في الحروب . والحفاظ : المحافظة على ما يجب حفظه . والحمام : السيف القاطع . والجنان : القلب . يقول : هذه الأشياء مني حديدة - قوية -

(٢) النايا : جمع منية ، وهي الموت . والرهان : السباق . يقول : سيني يبادر آجال الناس ليسبقها فيقتلهم قبل انقضاء آجالهم ، قال صخرة :

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاقِفِ كُلِّهَا وَالطَّمَنُ مِنِّي سَابِقُ الْآجَالِ
ومثله قول أبي تمام :

يَكَادُ حِينَ يُبْلَاقِي الْقِرْنَ مِنْ حَفَقٍ قَبْلَ السِّبَانِ قَلَى حَوْبَانِهِ يَرْدُ^(١)
هذا : والرهان من قولهم راهنت فلانا على كذا - أى خاطرته - وهو الرهن الذي كانوا يرهنون في سباق الخيل ، وقد جاء رهنته وأرهنته بمعنى ، وأشدوا لهمام بن مرة وفي الصحاح لعبد الله بن همام السلولي :

فَلَمَّا خَشِيتُ أَظَافِيرَهُمْ نَجَوْتُ وَأَرْهَنْتُهُمْ مَالَكَا
غَرِيبًا مُقِيمًا بَدَارِ الْمَوَا نَ أَهْوَنَ عَلَى بِي هَالَكَا
وَأَحْضَرْتُ عُذْرِي عَلَيْهِ الشُّهُوَ دَمَانٌ هَازِرًا لِي وَإِنْ تَارَكَا
وَقَدْ شَهِدَ النَّاسُ عِنْدَ الْإِمَا مَ أَنِي عَدُوٌّ لِأَعْدَائِكَا

قال أبو العباس ثعلب : كل الرواة قالوا وأرهنتهم ، إلا الأصمعي فإنه رَوَاهُ وَأَرْهَنْتُهُمْ عَطَلًا لِفِعْلِ مُسْتَقْبَلٍ عَلَى فِعْلِ مَاضٍ وَشَبَّهَ بِقَوْلِهِمْ : قَتَ وَأَصَكَ وَجْهَهُ ، لِأَنَّ الْوَاوَ وَوَاوَ الْحَالِ . فَيَجْعَلُ « أَصَكَ » حَالًا لِلْفِعْلِ ، وَقَدْ طَابَ الْأَخْفَشُ قِرَاءَةَ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ الْعَلَاءِ فَرَهَنَ مَقْبُوضَةً وَقَالَ : هِيَ قَبِيحَةٌ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجْمَعُ فِعْلٌ عَلَى فِعْلِ إِلَّا شَاذًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَهْنٌ جَمْعُ رِهَانٍ مِثْلَ ثَمَرٍ وَثِمَارٍ ، وَرِهَانٌ جَمْعُ رَهْنٍ ؛ وَغَابَ عَنِ الْأَخْفَشِ

(١) الحوباء : النفس .

يَرَى حَدَّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي^(١)
سَاجِدُهُ حَكَمًا فِي النَّفْسِ وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي^(٢)

وقال أيضا في صباه :

كَتَمْتُ حُبَّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ مُمَّ اسْتَوَى فِيكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي^(٣)

جمعهم سقفا على سقف ، فقد قرأ أهل الكوفة ونافع وابن عامر « وليونهم سقفا من فضة » وهذا جمع سقف ، فكان الأولى أن يعيب على هؤلاء جمعهم سقفا على سقف « راجع لسان العرب والعبرى »

(١) الضمير في « حده » للسيف ، والهبوة : الغبار . وغامضات القلوب : الغامضة في الأبدان ، وإنما خصها دون سائر الأعضاء الغامضة ، لأنها مقاتل بلا شك . يقول : يرى حد سيني قلوب الأعداء فيتهدى إليها حين يظلم الغبار في الحرب حتى لا يرى الفارس نفسه ؛ وهذا من قول زيد الخيل :

وَأَثَمَرَ مَرْفُوعَ يَرَى مَا أَرَيْتُهُ بِصِيرٍ إِذَا صَوَّبْتُهُ بِالْمَقَاتِلِ
[يريد إذا هيأته نحو العدو ؛ وبالمقاتل : صلة بصير] . وقال أبو تمام :

مِنْ كُلِّ أَرْزَقٍ نَظَارٍ بِلَا نَظَرٍ إِلَى الْمَقَاتِلِ مَا فِي مَتْنِهِ أَوْدُ

هذا : قوله : لا أراي قال الواحدى : لا يجوز أراي بمعنى أرى نفسى ، وإنما يجوز ذلك فى أفعال معدودة نحو ظننى وحسبته وباهما ؛ وقد جاء شاذاً : فقدتني وعدمته ، ولا يقال ضربتني ولا رأيتني ولا أكرمتني ، وإنما يقال ضربت نفسى وأكرمت نفسى فكان الواجب أن يقول : لا أرى نفسى ، وقد جاء رأيتني ، فعمله على هذا .

(٢) الحكم : بمعنى الحاكم . يقول : سأقتل من أعدائى من شئت ولسانى كسيفى فى الحدة ، فلو جعلت لسانى مكان سيني لا كتفيت به ، لأنى أبلغ من التأثير فى أعدائى بلسانى ما يبلغه السيف . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : ولو ناب اللسان عن السيف — بأن يطيعوا أمرى — لم أستعمل فيهم السيف .

(٣) يقول : تكلمت بكتمان حبك حتى كتمته منك أيضا — ويجوز أن يكون معنى

كَأَنَّهُ زَادَ حَتَّى فَاضَ مِنْ جَسَدِي فَصَارَ سَقَمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَتْمَانِي^(١)

* * *

ودخل على علي بن إبراهيم التنوخي فعرض عليه كأساً فيها شراب أسود ، فقال ارتجالاً :

إِذَا مَا الْكَأْسُ أُرْعَشَتِ الْيَدَيْنِ صَحَوْتُ فَلَمْ تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنِي^(٢)

تكريمة : إكراما للحب وإعظاما له حتى لا يطلع عليه — ثم تغيرت الحال حتى صار الإعلان والإسرار سواء ، يعني لم ينفع الإسرار وصار كالإعلان ؛ حيث ظهر الحب بالشواهد الدالة عليه وبطل الكتمان .

(١) يقول : كأن الحب زاد حتى لم أقدر على إمساكه وكتمانه ؛ ثم فاض عن جسدي كما يفيض الماء إذا زاد على ملء الإناء ، وصار سقمي بالحب في جسم الكتمان : أي سقم كتمانِي وضعف ، وإذا سقم الكتمان صح الإفشاء والإعلان . وعبرة ابن الشجري في أماليه : شبه أبو الطيب حبه بالأشياء المائعة فوصفه بالفَيْض ثم قال — المتنبي — فصار سقمي لما أفرط حبي في الزيادة وصار كالشيء الفائض — صار سقمي قويا به وانتقل إلى جسم كتمانِي فأذا به وأضعفه . فلما ضعف الكتمان ظهر الحب لضعف محفیه . قال : وقال أبو الفتح — ابن جني — دل الكتمان على ، قال وهذا في بدائمه ، وفي هذا القول اختلال في الإعراب وفساد في المعنى وتناقض في اللفظ ، وذلك أنه إذا عاد الضمير من كأنه إلى الكتمان وجب إعادة الضمائر التي بعده إلى الكتمان ، فيصير التقدير : كأن الكتمان زاد حتى فاض فصار سقمي به — أي بالكتمان — في جسم كتمانِي ؛ ففنى هذا اختلال في الإعراب كما ترى وقد جعل الكتمان هو الذي أسقمه ، مع أن الحب هو المسقم له .

(٢) أرعشت : من الرعشة ، وهي الرعدة : أي حركت اليدين لسكر شاربها وقوله بيني وبين أي بيني وبين عقلي . يقول : غيري يشرب الخمر حتى ترعش يدها سكرا ، أما أنا فإني أبقي على صحوى : أي لا أشربها حتى لا تهول الكأس بيني وبين عقلي ، قال ابن جني . وجاء به من طرز كلام الصوفية ، كقول قائلهم :

عَجِبْتُ مِنْكَ وَمِنِّي أَفْنَيْتَنِي بِكَ عَنِّي
أَقْنَيْتَنِي بِمَقَامٍ خَلَفْتُ أَنْكَ أَنْتِي

هَجَرْتُ أَنْظَرَ كَالذَّهَبِ الْمَصْنَى فَخَرَى مَا مَزْنِ كَالْحَبِينِ^(١)
 أَغَارُ مِنَ الزُّجَاجَةِ وَهَى تَجْرَى عَلَى شَفَةِ الْأَمِيرِ أَبِي الْحُسَيْنِ^(٢)
 كَانَ بَيَاضَهَا وَالرَّاحُ فِيهَا بَيَاضٌ مُحْدَقٌ بِسَوَادِ عَيْنِ^(٣)
 أَتَيْنَاهُ نَطْلِبُهُ بِرَفْدٍ يُطَالِبُ نَفْسَهُ مِنْهُ بِدَيْنِ^(٤)

(١) المزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء ؛ واللجين : الفضة . وقوله كالذهب المصنى : حال من « الحجر » وقد قابل بين الفضة وبين الذهب . يقول : لا اشرب الحجر وحسبي الماء .

(٢) هذا من قول أبي تمام :

أَغَارُ مِنَ الْقَمِيصِ إِذَا عَلَاهُ خَافَةٌ أَنْ يُلَامِسَهُ الْقَمِيصُ
 ومن قول الجيز أرى :

مِنْ لُطْفٍ لِإِشْفَاقٍ وَدِقَّةٍ غَيْرَتِي أَنِّي أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ مَلَكِيكَ
 وَلَوْ اسْتَطَلْتُ جَرَحْتُ لَفُظَكَ غَيْرَةً أَنِّي أَرَاهُ مُقَبَّلًا شَفَتَيْكَ

وقال الواحدى : ولقد أساء أبو الطيب ، لأن الأمراء لا يغار على شفاهم : ويقول من يعذره - التنبي - إنما يغار لأنه يرفع شفتيه عن رتبة الكأس والحجر ، لأنهما - أى شفتيه - للأمر والنهى والألفاظ الحسنة والأمر بالصلة . ويجوز أن الزجاجاة نالت ما لم ينله أحد ، فهو يغار حيث لا تستحق الزجاجاة ذلك

(٣) الضمير فى « بياضها » للزجاجاة ، والراح . الحجر ؛ وأحدق به : أحاط به ، يقول : كأن الزجاجاة البيضاء - وفيها هذه الحجر السوداء - بياض محدق بسواد عين .

(٤) الرغد : العطاء . يقول : إن الرغد الذى سألتناه إياه عده هو ديننا على نفسه واجب الأداء لمكانه من الكرم والأريحية ، كما قال أبو تمام :

غَرِيمٌ لِّلْعَلْمِ بِهِ وَحَاشَا نَدَاهُ مِنْ مُمَاطَلَةِ الْغَرِيمِ

وقال أيضا :

إِلَّا نَدَى كَالَّذِينَ حَلَّ قَضَاؤُهُ إِنَّ الْكَرِيمَ لِمُتَغَفِيهِ غَرِيمٌ

وقال يمدح بدر بن عمار وقد صار إلى الساحل ، ثم عاد إلى طبرية ، وكان أبو الطيب قد تخلف عنه ، فقال يعتذر إليه :

أَلْحَبُّ مَا مَنَعَ الْكَلَامَ أَلَلْسَنَا وَأَلَدُّ شَكْوَى عَاشِقٍ مَا أَغْلَنَّا^(١)

(١) ما - في الشطرين موصولة بمعنى « الذي » خبر عن الرفع قبلها . يقول : حق الحب أن يمنع لسان صاحبه من الكلام فلا يقدر على وصف ما في قلبه منه كما قال المجنون :

وَلَمَّا شَكَوْتُ الْحُبَّ قَالَتْ كَذَبْتَنِي فَمَا لِي أَرَى الْأَعْضَاءَ مِنْكَ كَوَاسِيَا
فَمَا الْحُبُّ حَتَّى يَلْصِقَ الْجِلْدَ بِالْحَشَا وَتَخْرُسَ حَتَّى لَا تُجِيبَ الْمَنَادِيَا
وكما قال قيس بن ذريح :

وَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ أَرَاهَا فُجَاءَةً فَأُثْبِتَ حَتَّى مَا أَكَادُ أُجِيبُ
قال الواحدى : والظاهر أن « ما » - في قوله ما منع - نفي ، لأن الصراع الثانى حدث على إعلان العشق ، وإنما يعلن من قدر على الكلام ، وهذا كما يقول أبو نواس :

قُبِيعٌ بِأَسْمٍ مَنْ تَهَوَّى وَدَعْنِي مِنَ الْكُنَى
فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِرُّ

ويقول على بن الجهم :

تَهْتِكُ وَبُحٌّ بِالْمَشْقِ جَهْرًا فَقَلَّمَا يَطِيبُ الْهَوَى إِلَّا لِمُنْهَتِكَ السِّرِّ
ويقول السرى الرفاء :

ظَهَرَ الْهَوَى وَتَهْتَكْتَ أَسْتَارُهُ وَالْحُبُّ خَيْرٌ سَبِيلِهِ إِظْهَارُهُ
أَعْصَى الْعَوَازِلَ فِي هَوَاهُ جَهَارَةً فَأَلَدُّ عَيْشِ الْمُسْتَهَامِ جِهَارُهُ
ولعل مادعا الواحدى إلى جواز أن تكون « ما » نفيًا ؛ هو ما يظهر من التناقض فى البيت إذا جعلت « ما » موصولة ، ومن ثم قال بعض الشراح عقب شرحه البيت بما شرحناه للتفصى من هذا التناقض . فقد وقع الحب فى بلاء بين هذين أى بين كون حق الحب أن يغلب على اللسان وبين كون ألد الشكوى : الإعلان . هذا : و« الألسنا » يروى بفتح السين - أى الذلق اللسان ؛ وبضمها : جمع لسان ؛ واللسان : الجارحة ، واللفظة أيضا . وقد يؤنث ويذكر ، قال أعشى باهلة :

لَيْتَ الْحَبِيبَ الْهَاجِرِ هَجَرَ الْكَرَى مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وَأَصْلِي صِلَةَ الضَّنَا^(١)
 بَنًا فَلَوْ حَلَيْتُنَا لَمْ تَذَرِ مَا أَلَوَانُنَا جَمًّا امْتَقِنَ تَلَوْنَا^(٢)
 وَتَوَقَّدَتْ أَنْفَاسُنَا حَتَّى لَقَدْ أَشْفَقْتُ تَحْتَرِقُ الْعَوَازِلُ بَيْنَنَا^(٣)

لَمْنِي أَتَقْنَى لِسَانٌ لَا أَسْرُهُ بِهَا مِنْ عُلُوٍّ لَا عَجَبَ مِنْهَا وَلَا سَخَرُ^(١)
 وإذا ذكر : كان على معنى الكلام ، قال الخطيئة :

نَدِمْتُ عَلَى لِسَانٍ فَاتَ مِنِّي فَلَيْتَ بَأْتُهُ فِي جَوْفِ عَيْكُم^(٢)
 ومن آتته : قال في جمعه السن ؛ كذراع وأذرع ؛ ومن ذكره : قال في جمعه السنة
 كحمار وأحمرة ، وهذا قياس ما جاء على فعال من للذكر والمؤنث ، وقد تقدم ذلك في
 هذا الشرح مستوفى .

(١) هجر وصلة : مفعولان مطلقان ؛ وواصل : خبر « ليت » ؛ والكرى : النوم ؛
 والجرم : الذنب ؛ والضي : المرض والهزال . يقول : ليت العبيب الذي هجرني من غير
 ذنب كهجر النوم لأجفاني يواصلني كواصل الضي الجسمي من أجل صده وبعده عني :
 يعني أن الضي ملازم له ، فتمنى أن يكون وصل العبيب ملازما له ملازمة
 الضي جسده .

(٢) بنا : افترقنا ، ويروى « بتنا ولوحيتنا » و« بتنا » تامة ؛ والواو بعدها حالية ،
 و« امتقن » يروى سفعن : وهو بمعنى امتقن ؛ وحليتنا : وصفت حليتنا ؛ وهي هيئة الشخص
 وما يتميز به ، وامتقن لونه : تغير حياء أو خيفة ؛ وتلونا : مفعول له . يقول : فارقنا
 أحبابنا ولعظم مانالنا من ألم الفراق لو أردت أن تصفنا ما قدرت لتغير ألواننا ، فكنت
 لا بدري بأن لون تصفنا .

(٣) أشفقت : خفت . وقوله تحترق : أراد أن تحترق ، لحذف « أن » وبقي الفعل
 مرفوعا ، وقد مررت له نظائر . والعوازل : جمع العاذلة - اللأمة - يقول : لشدة حرارة
 الوجد صارت أنفاسنا كالنار المتوقدة حتى خفت على العوازل أن يحترقن فيما بيننا ، قال
 الواحدى : وإنما خاف ذلك لأنه كان يتم على ما في قلوبهم من حرارة الهوى . وقال

(١) مطلع قصيدته التي يرثي بها المنتشرين وهب الباهلي .
 (٢) فليت بأنه : يروى فليت بياؤه : ويروى وددت بأنه ؛ والمعكم : داخل الجنب ،
 على المثل بالعكم الذي هو النمط تجعله المرأة كالوعاء تدخر فيه متاعها .

أَفْدَى الْمَوَدَّعَةَ الَّتِي أَتْبَعْتُهَا نَظَرًا فَرَادَى بَيْنَ زَفَرَاتٍ ثَمًا^(١)
 أَنْكَرْتُ طَارِقَةَ الْحَوَادِثِ مَرَّةً ثُمَّ اعْتَرَفْتُ بِهَا فَصَارَتْ دَيْدَنَا^(٢)
 وَقَطَعْتُ فِي الدُّنْيَا الْفَلَاحَ وَرَكَابِي فِيهَا وَوَقَّتِي الضُّحَى وَالْمَوْهِنَا^(٣)

الحطيب التبريزي : وجه الإغفاق أن ينم إحراقهم على ما كانوا فيه من حر أنفاسهم .
 هذا : وقد قلنا أشفقت : أى خفت ، وزيد هنا أن الشفقة الحيفة والحبّة ، وهى الاسم
 من الإغفاق ، وكذلك الشفق قال الشاعر إسحاق ابن خلف ، وقيل هو
 لابن المعلّى :

تَهْوَى حَيَاتِي وَأَهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًا وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالٍ عَلَى الْحَرَمِ
 وَأَعْفَقْتُ عَلَيْهِ فَأَنَا مَشْفُقٌ وَشَفِيقٌ ، وإذا قلت أشفقت منه فإيما تعنى حذرته ،
 وأسلمها واحد ، ولا يقال شفت ، وقال ابن دريد : شفت وأشفقت بمعنى ، وأنكره
 أهل اللغة .

(١) فرادى : اسم جمع لفرد ؛ والزفرات : جمع زفرة ، وهى النفس الحار ،
 وسكن « فاء » ضرورة . و« ثنا » — من قولهم جاء القوم ثناء — أى اثنين ، وإنما
 قصرها للقافية . يقول : أفدى بنفسى هذه المحبوبة التى قد ودعتنى ، فكلما
 نظرت إليها نظرة واحدة زفرت زفرتين ، لشدة ما فى صدرى من
 حرارة الوجد .

(٢) الديدن : العادة ، تقول : مازال ذلك ديدنه وديدانه ودينه ودأبه وعادته وسدمه
 وهجره وهجراه .

يقول . أنكرت حوادث الدهر أول ما طرقتنى وقلت ليست تقصدنى وإنما أخطأت
 فى قصدى ، ثم لما كثرت وتتابعت أقررت بها وعرفت أنها تأتيني ، فصارت عادة لى لا
 تفارقنى ولا أنفك منها ، وهذا المعنى من قول الآخر :

رُوِّعْتُ بِالْأَيْنِ حَتَّى مَا أَرَاعُ لَهُ وَبِالْحَوَادِثِ فِي أَهْلِ وَجِيرَانِي

(٣) الفلا : جمع فلاة ، المغازاة البعيدة . والركاب : جمع ركاب ، وهى الإبل ؛
 والوهن : نحو نصف الليل . يصف كثرة أسفاره وتردده فى الدنيا حتى قطع الفلوات
 بالسير ، وقطع المركوب أيضا بكثرة الإلتعاب ، وقطع الليل والثمار بقطع المسافات ، يعنى
 أنه قطع للكان والزمان والمركوب ، يريد أنه أفنى كلا منها بأسفاره : هذا : وقد قال
 صاحب الصحاح : الضحى مقصورة تؤنث وتذكر ؛ فمن أنت ذهب إلى أنها جمع ضحوة ،

وَوَقَفْتُ مِنْهَا حَيْثُ أَوْقَفَنِي النَّدَى وَبَلَفْتُ مِنْ بَذْرِ بْنِ عَمَارٍ الْمَفَا^(١)

ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل مثل صرد وتقر (١)، وهو ظرف غير متمكن؛ مثل سحر، يقول لقيته ضحى وضحى، إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه، قال ابن بري: ضحى مصروف على كل حال، قال الجوهري: ثم بعد الضحى: الضحاء، ممدود مذكر، وهو عند ارتفاع النهار الأعلى، تقول منه أقمت بالمكان حتى أضحيته، كما تقول من الصباح أصبحت، ومنه قول عمر رضى الله عنه: أضحوا بصلاة الضحى: أى صلوا لوقتها ولا تؤخروها إلى ارتفاع الضحى، ويقال أضحيته صلاة الضحى: أى صليتها في ذلك الوقت؛ وقد أسلفنا القول على «الضحى» في هذا الشرح بأن وفي من ذلك.

(١) منها: أى من الدنيا؛ وبروى: فيها. ويقال وقفت ووقفتى زيد ووقفت دابق ووقفت وقفا للسالكين، فقوله أوقفنى الندى: معناه عرضنى للوقوف، قال أبو عمرو بن العلاء: لو قال رجل فلان أوقفنى - أى عرضنى للوقوف - لم أر بذلك بأساً؛ وأوقفته: لغة عند بعضهم: والمضى: جمع منية، وهى الشئ الذى يتمناه. يقول: وقفت من الدنيا حيث حبسنى الجود - يريد عند الممدوح - أى لما انتهى إليه انقطع عن السفر، لأنه أدرك عنده ما كان يتمناه، وهذا من الخالص الحسنة. هذا: وحذف التنوين من «عمار» - كما قال الشراح وكما أسلفنا فى هذا الشرح على نظائر لذلك - لالتقاء السالكين كقوله تعالى «وآتيننا نهمود الناقة»، قال المكي: قرأه القراء كلهم بغير تنوين، وكلهم صرف «نهمود» إلا حمزة وحفصا وواقفهما أبو بكر فى آخر سورة النجم، وصرف الكسائى فى موضع الجر فى هود عند قوله تعالى «نهمود»، قال: وقد يجوز عندنا - وهو كوفى - إسقاط التنوين فى النهمر، وشاهدنا قول العباس بن مرداس يوم حللن للنبي صلى الله عليه وسلم:

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِى مَجْمَعٍ^(١)

فكلهم رووه مرداس - من غير تنوين.

(١) الصرد: طائر ضخم الرأس، أبيض البطن، أخضر الظهر، يصطاد صغار الطير، الجمع صردان، والنعر: طائر يشبه العصفور، تراه صغيراً ضاوياً، وتصغيره نعر، وجمعه نعران.

(١) تقدم القول على هذا البيت فى غير موضع من هذا الشرح.

لِأَبِي الْحُسَيْنِ جَدِّي يَضِيقُ وَعَاوُهُ عَنْهُ وَلَوْ كَانَ الْوِعَاءُ الْأَزْمُنَا^(١)
وَشَجَاعَةً أَغْنَاهُ عَنْهَا ذِكْرُهَا وَنَهَى الْجَبَانَ حَدِيثُهَا أَنْ يَجْبُنَا^(٢)
نِيطَتْ حَمَائِلُهُ بِعَاتِقِ مِخْرَبٍ مَا كَرَّ قَطُّ وَهَلْ يَكُرُّ وَمَا أُنْثَى^(٣)
فَكَأَنَّهُ وَالطَّمَنُ مِنْ قَدَامِهِ مُتَخَوِّفٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ يُطْمَنَا^(٤)
نَفَتِ التَّوَهُّمَ عَنْهُ حِدَّةُ ذَهَبِهِ فَقَضَى عَلَى غَيْبِ الْأُمُورِ تَيْقُنًا^(٥)

(١) الجدا : العطاء - أى ماتهطيه مجتديك - يقول : إن عطاء لا يسعه وعاء ولو كان ذلك الوعاء الدهور مع سعتها للعالم بما فيه ، وإذا ضاقت الدهور عن شيء فحسبك به عظم .

(٢) شجاعة : عطف على « جدى » - فى البيت السابق - يقول : إن ذكر شجاعته واشتهارها بين الناس أغناه عن إظهارها واستعمالها ، فكل أحد يهابه لما يسمع من شجاعته ، وذلك أيضا يشجع الجبان ، لأنه يسمع ما يتكرر فيترك حينئذ الجبن .

(٣) نيطت : علفت . والحائل : علائق السيف والعاتق : ما بين النكب والعنق . والمخرب : صاحب الحرب المارس لها ، ويعنى به : الممدوح - على جهة التجريد - وكر عليه فى الحرب : عطف ؛ واثنى : رجع . يقول : علفت حمائل سيفه بعاتق رجل تمرس بالحرب واعتركها واعتركته ، ماكر قط ، لأن الكر يكون بعد الفر ، وهو لم ينثن عن حرب ولم يول العدو ظهره ، فكيف يكر ؟ وهذا منقول من قول الآخر .

أَلَلَّهُ يَنْفَلُمُ إِنِّى لَسْتُ أَذْكَرُهُ وَكَيْفَ أَذْكَرُهُ إِذْ لَسْتُ أَنْسَاهُ

قله لجن جنى : الشعراء الفصحاء القدماء والمحدثون قد يصفون الكرم بعد الأعيان ، لأن الحرب خدعة وتحتاج إلى الإطراء والطراد - إلا أنه بالغ ولم يجعله يكر لأنه لا ينثنى .

(٤) يقول : أشدة إقدامه فى الحرب لا يرجع ولا يلتفت إلى خلفه ، فهو أبدا مقدم ؛ فكأنه يخاف طعنا من خلفه ، فهو يتقدم خوفا مما وراءه ، كما قال بكر بن النطاح :

كَأَنَّكَ عِنْدَ الطَّمَنِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى تَفَرُّ مِنَ الصَّفِّ الَّذِي مِنْ وَرَائِكَ
(٥) التوهم : خلاف التيقن . وهذا كأنه اعتذار مما ذكر من إفراطه وإقدامه فقال : إن فطنته تغفه على عواقب الأمور حتى يعرفها بقينا ، لا وهما

يَتَفَزَّعُ الْجَبَّارُ مِنْ بَفْتَاتِهِ قَيِّظَلُّ فِي خَلَوَاتِهِ مُتَكَفِّفًا^(١)
أَمْنَى إِرَادَتُهُ فَسَوْفَ لَهُ قَدْ وَاسْتَقَرَّبَ الْأَقْصَى قَمَّ لَهُ هُنَا^(٢)
يَجِدُ الْحَدِيدَ عَلَى بَضَاضَةِ جِلْدِهِ ثَوْبًا أَخْفَ مِنَ الْحَرِيرِ وَالْثِيَابِ^(٣)
وَأَمْرٌ مِنْ قَدْرِ الْأَحْبَبِ عِنْدَهُ فَقَدْ السُّيُوفِ الْفَاقِدَاتِ الْأَجْفُنَا^(٤)

(١) الجبار: العظيم الشديد البطش. وبفتاته، جمع بفته، وهو ما يفعل فجأة؛ ولتكنف: لايس الكنف. يقول: إن الرجل الجبار يخاف أن يأخذه بفته ويهجم عليه من حيث لا يدري فيظل لايس كنفه توقعا لبفته وتأهبا للموت. ومتكفنا؛ قال الواحدى: يروى متلفنا؛ والتلفن: التندم على ما فات؛ يعنى أنه يندم على معاداته.

(٢) سوف: الاستقبال؛ وقد: لما مضى ومقاربة الحال؛ والأقصى: الأبعد. وثم: للمكان البعيد المترأخى؛ وهنا: يستعمل فيما قرب ودنا. يقول: هو ماضى الإرادة، فما يقال فيه سوف يكون: يقول عنه قد كان، والبعيد عنده قريب لقوة عزمه، فما يقال فيه ثم — هنالك — يقال هو هنا، يعنى أن ما يكون من العزائم مستقبلا عند غيره بعده ماضيا لأنه سيقع لا محالة، فكأنه قد وقع، وما يكون من المطالب بعيدا على غيره بعده حاصل بين يديه ثقة منه بأنه لا يفوته. هذا وقد استعمل هذه الكلمات — سوف وقد وهنا — استعمال الأسماء، ولذلك أعرب «قد» ونونها.

(٣) البضاضة: مثل الغضاضة، يقال غض بض: أى طرى لين، يقول: إنه تعود لبس الدروع فى الحروب حتى صار يجدها خفيفة لينة كالحرير على بضاضته ونومته، وفى هذا نظر إلى قول البحرى:

مُلُوكٌ يَمْدُودُونَ الرَّمَاحَ مَخَاصِرًا إِذَا زَغَزَعُوهَا وَالدَّرُوعَ غَلَاثِلًا^(١)
(٤) أمر: خبر مقدم؛ وقعد السيوف: مبتدأ مؤخر. والأجفن: جمع جفن، غمد السيف، ويجمع جفن على أجفان وجفون أيضاً. يقول: إن الحرب أحب إليه من الغزل والتشبيب، فإذا قد سيوفه كان ذلك أشد عليه من فقد أحبته، ووصف سيوفه بأنها فاقدة لجفونها — أغمادها — لأنها أبداً مستعملة فى الحروب.

(١) المخاصر: جمع مخصرة، ما يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه من قضيب وسوط ونحوهما، وقد يتوكأ عليه، وكانت من شعار الملوك والغلائل: جمع غلالة، شعار يلبس تحت الثوب.

لَا يَسْتَسْكِنُ الرَّغْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ يَوْمًا وَلَا الْإِحْسَانُ أَنْ لَا يُحْسِنًا^(١)
مُسْتَنْبِطٌ مِنْ عِلْمِهِ مَا فِي غَدٍ فَكَأَنَّ مَا سَيَكُونُ فِيهِ دُونًَا^(٢)

(١) استسكن : من الكن ، أى توارى وخفى . والإحسان — الأول — مصدر أحسنت الشيء إذا حذقته وعلمته ؛ والإحسان الثانى : ضد الإساءة ، والايحسنا : فى موضع نصب ، لأنه مفعول المصدر — الذى هو الإحسان — ولو قال ولا إحسان أن لا يحسنا : كان أقرب إلى الفهم من استعماله بالألف واللام — وإن كان المعنى سواء — فإن قولك أعجبني ضرب زيد : أقرب إلى الفهم من قولك أعجبني الضرب زيدا . يقول : إن الرغب — الخوف والفزع — لا يستكن بين ضلوعه أبداً لأنه شجاع لا يخشى مخلوقا ، ثم قال : وهو لا يحسن أن لا يحسن : أى لا يعرف ترك الإحسان — حتى إذا رام أن لا يحسن لم يعرف ذلك ولم يمكنه ، وهذا من قول الآخر :

يُحْسِنُ أَنْ يُحْسِنَ حَتَّى إِذَا رَامَ سِوَى الْإِحْسَانِ لَمْ يُحْسِنِ

وقال ابن فورجه : الإحسان ضد الإساءة . يقول : لا يستكن الإحسان حتى يحسن — أى لا يثبت حتى يفعله — وعلى هذا الإحسان : الهم به . يقول : إذا هم بالإحسان لم يصبر عليه حتى يفعله ، وقال ابن الشجرى : الإحسان : ضد الإساءة ، يتعدى بحرف الجر — بالباء ، وإلى — قال كثير عزة :

أَسِيدِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(١)

والثانى : يكون بمعنى إجادة العمل إذا كان حاذقا فى فعله ، وفعله يتعدى بنفسه ، قال الله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا » وقال امرؤ القيس :

وَقَدْ زَعَمْتَ بَسْبَاسَةَ الْيَوْمِ أَنْتَى كَبِزْتُ وَأَنْ لَا يُحْسِنَ اللَّهُ أَمْثَالِي

(٢) الاستنباط : الاستخراج : وأصله من استنباط الماء ؛ ونبط الماء : نبع ؛ وأنبط

الحفار : بلغ الماء . والضمير من « فيه » لعلمه . ودون الشيء : جمعه فى ديوان — أى فى كتاب — . يقول : هو من ذكائه وفطنته يعرف بعلمه ما يقع فيما يستقبل ، فكأن ما سيكون قد كتب فى علمه . والمعنى أن علمه صحيفة الكائنات ، وروى من يومه : يعنى أنه يستدل بما فى يومه على ما سيقع فى غد فيعرفه .

(١) تقلى الشيء : تبغض ؛ وقد خاطبها ثم غاب ،

تَتَقَاصِرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ مِثْلَ الَّذِي الْأَفْلَاكُ فِيهِ وَالْأَفْهَامُ^(١)
 مَنْ لَيْسَ مِنْ قَتْلَاهُ مِنْ طَلْقَائِهِ مَنْ لَيْسَ يَمُنُّ دَانَ يَمُنُّ حِينًا^(٢)
 لَمَّا قَفَلَتْ مِنَ السَّوَاخِلِ نَحْوَنَا قَفَلَتْ إِلَيْهَا وَخَشَّةٌ مِنْ عِنْدِنَا^(٣)
 أَرَجَ الطَّرِيقُ فَمَا مَرَزْتَ بِمَوْضِعٍ إِلَّا أَقَامَ بِهِ الشَّدَا مُسْقَوطًا^(٤)

(١) الدنيا : جمع دنيا - مثل كبر وصغر ، في جمع كبرى وصغرى - . يقول : إن أفهام الناس تتقاصر عن إدراك هذا المدوح كما تقاصرت عن علم الشيء المحيط بالأفلاك وبالأرضين ، فإن أحداً لا يعرف ما وراء الأفلاك وراء العالم إلى ما ينتهي من الأعلى والأسفل . قوله «مثل» بالنصب - صفة لصدر محذوف : أى تقاصرا مثل تقاصرها عن إدراك القدي الخ . ورواها بعضهم مثل - بالرفع - على أنها خبر مبتدأ محذوف : أى فهو مثل القدي الخ . وقال العكبرى : قال أبو الحسن عفيف الدين على بن عدلان : الرواية الصحيحة مثل - بالرفع - ويكون التقدير هو مثل ؛ يعنى أن الأفهام تتقاصر عن هذا المدوح في معرفة حقيقته ، فهو مثل علم الله تعالى ؛ ومن رواه بالنصب يحتاج إلى حذف كثيرين يخل حذفه بالمعنى ، ويكون التقدير مثل تقاصر الأفهام عن علم الله تعالى هذا : وقد قال ابن جني : لقد أفرط - المتنبي - جداً ، لأن الذي فيه الأفلاك والدنا : هو علم الله تعالى وتقدس .

(٢) الطليق : الذي أطلق من القتل ؛ أو الأسير أطلق عنه إيساره ، الجمع : طلقاء . ودان : خضع وأطاع ؛ وحينا - بضم الحاء - أى أهلك ؛ وروى بفتح الحاء على المعلوم : أى ممن أهلكه . يقول : من أفلت من سيفه فلم يقتله فهو ممن أطلقه ومن عليه بالعفو ومن لم يطعمه وليس من أهل طاعته فهو من المالكين .

(٣) قفل : رجع . والسواحل : بلاد الساحل . يقول : لما غبت عنا إلى السواحل عرتنا ، لك وحشة فلما رجعت ذهب إليك الوحشة من عندنا إلى المكان الذي انصرفنا منه إلينا :

(٤) أرج الطيب يأرج أرجا وأريجا : إذا فاح ؛ والأرج والأريج : توهج ريح الطيب : قال أبو ذؤيب الهذلي :

كَأَنَّ عَلَيْهَا بَالَةً لَطَمِيَّةً لَهَا مِنْ خِلَالِ الدَّائِتَيْنِ أَرِيحُ^(١)

(١) أراد بالبالة الرائحة والشممة ، مأخوذ من بلوته ، أى شمته وأصلها بلوة قدم

لَوْ تَعْقِلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلْتَهَا مَدَّتْ مُحْيِيَةً إِلَيْكَ الْأَغْصَانُ^(١)
سَلَكْتَ تَمَائِيلَ الْقَبَابِ الْجَنُّ مِنْ شَوْقٍ بِهَا فَأَذْرَنَ فِيكَ الْأَهْمِينُ^(٢)

والشذا : شدة ذكاء الريح الطيبة، قال المعبر السلوى، وقيل لمعرو بن الأطنابة :
إذا ما مَشَتْ نَادَى بِمَا فِي ثِيَابِهَا ذِكْرُ الشَّذَا وَالْمَنْدَلِ الْمَطِيرِ^(١)
يقول : طاب الطريق الذى سلكته ففاحت رائحته ، فامررت بطريق إلصارت
الرائحة الطيبة مقيمة فيه لا تريم .

(١) محيية : حال من فاعل « مدت » : والأغصنا : مفعول مدت ؛ وإليك : متعلق
بـ « مدت » ، وهذا المعنى كثير ؛ قال الفرزدق :

يَكَادُ يُسَكُّهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ رُكْنُ الحَظِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
وقال البحتري :

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنِيرُ
(٢) القباب : جمع قبة ، وهى الخيمة . أو البيت المستدير من بيوت العرب .
والمراد بالتأثيل : الصور المنقوشة على القباب . يقول : إن الصور التى فيها تكاد من
صحتها وإتقانها كأن أرواح الجن سلكتها — تخلصتها — شوقاً إليك فأدارت — الصور
— أعينها ، قال ابن جنى : كان بدر قد خرج من المدينة ثم عاد إليها فضربت القباب ،
ثم قال : ما أعلم أنه وصفت صورة بأنها تكاد تنطق بأحسن من هذا . وقال الواحدى :
المعنى : اشتاقت الجن إليك فتوارت بتأثيل القباب للنظر إليك : وتمايل القباب : هى
القباب فيكون فاعل « أدرن » الجن ؛ يعنى أن الجن من الشوق الذى بها إلى رؤيتك
دخلت فى الصور المنقوشة على القباب التى فوقك لتراك .

الواو وصيرها ألفا ، واللطيمة واللطيمة العبرة التى لطمت بالمسك فتفتقت به حتى نشبت
رائحتها والداية : فغار الكاهل فى مجتمع ما بين الكتفين .

(١) إذا مامشت : يروى إذا انتكأت : وقيل الشذا فى هذا البيت له الملهك ،
والمندلى : العود الهندى ، منسوب إلى « مندلى » بلد بالهند يجلب منه العود والطير ،
قال ابن جنى : هو العود ، وإذا كان كذلك كان بدلا من المندلى ، وقيل ضرب من
صنعه ، وقيل الطير المشقق المكسر .

طَرَبْتُ مَرَاكِبُنَا فَخَلْنَا أَنَّهَا لَوْلَا حَيَاءُ عَاقِمَا رَقَصَتْ بِنَا^(١)
 أَقْبَلْتُ تَبَسُّمُ وَالْجِيَادُ عَوَاسٍ يَجْهَبُنَ بِالْحَلْقِ الْمَضَاعِفِ وَالْقَنَا^(٢)
 عَقَدْتُ سَنَابِكَهَا عَلَيْهَا عِثْرًا لَوْ تَبَتَّنِي عَنَقًا عَلَيْهِ أَمَكْنَا^(٣)
 وَالْأَمْرُ أَمْرُكَ وَالْقُلُوبُ خَوَافُ فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ الْمَنِيِّ وَالْمَيِّ^(٤)
 فَمَجِبْتُ حَتَّى مَا عَجِبْتُ مِنَ الظُّبَى وَرَأَيْتُ حَتَّى مَا رَأَيْتُ مِنَ السَّنَا^(٥)

(١) المراكب : جمع مركب ، بمعنى مركوب ، يعنى الخيل . يقول : لسرورها
 بقدمك طربت حتى ظننا أنها لولا الحياء لرقصت بنا : يعنى أن السرور بقدمك غلب
 حتى ظهر في البهجة التي لا تعقل .

(٢) قوله تبسم : في موضع الحال - أى باسم - والجياد : الخيل ، جمع جواد - على
 غير قياس - والعوايس : جمع عابس ، وهو المكح الوجه والحب : ضرب من
 العدو . الحلق المضاعف : الدروع - والحلق : جمع حلقة ؛ والمضاعف : الكثير ،
 والقنا : الرماح . يقول : أقبلت ضاحكا وجيادك عوايس لطول سيرها وإثقالها بالدروع
 والقنا الطوال وما قاست من شدة الحروب .

(٣) السنايك : جمع سنك ، وهو طرف مقدم الحافر . والعثير : الغبار . والعنق :
 ضرب من السير عليه سريع . يقول : عقدت سنايك الخيل فوقها غبارا كثيفا لو تطلب
 السير عليه لأمكن من كثافته ، وهذا المعنى من قول العتاي :

تَبَتَّنِي سَنَابِكُهَا مِنْ فَوْقِ أَرْوُسِهِمْ سَقَفًا كَوَاكِبُ الْبَيْضِ الْبَوَاتِيرُ
 وأخذ العتاي من قول الأول :

وَأَرْعَنَ فِيهِ السَّوَابِغَ لُجَّةً وَسَقَفُ سَمَاءٍ أَنْشَأَهُ الْخَوَافِرُ
 [الأرعن : الجيش ؛ والسابغ : الدروع] .

(٤) خوافق : مضطربة ؛ والنية : الموت ؛ واللى : جمع نية ، ما يتمناه الإنسان
 من الخير . يقول : أمرك مطاع حتى في حال الحرب حيث اضطراب القلوب ، والناس
 بين خائف يتوقع القتل وبين مؤمل الظفر بالعدو ، ومقتول قذلقى منيته ، وقاتل قد
 أدرك أمنيته : أى فإن كنت في هذه الحال مطاعا فما ظنك بغيرها ؟

(٥) الظبي : جمع ظبة ، حد السيف ، والمراد : السيف نفسه ؛ والسنا : الضوء .
 يريد وصف يوم قدومه إذ رأى السيوف والأسلحة مع عسكره . يقول : عجبت من

إِنِّي أَرَاكَ مِنَ الْمَكَارِمِ عَسْكَرًا فِي عَسْكَرٍ وَمِنَ الْعَمَالَى مَعْدِنًا ^(١)
 فَظَنَ الْفُؤَادُ لِمَا أُتَيْتَ عَلَى النَّوَى وَلِمَا تَرَكْتَ خَافَةً أَنْ تَفْطِنَا ^(٢)
 أَضْحَى فِرَاقُكَ لِي عَلَيْهِ عُقُوبَةٌ لَيْسَ الَّذِي قَاسَيْتُ مِنْهُ هَيِّفًا ^(٣)
 فَاغْفِرْ فِدَايَ لَكَ وَاحْبُبْنِي مِنْ بَعْدِهَا لِيَخْصُنِي بِعَطِيَّةٍ مِنْهَا أَنَا ^(٤)
 وَأَنَّهُ الْمَشِيرَ عَلَيْكَ فِي بِضَلَّةٍ فَالْحُرُّ مُتَمَحِّنٌ بِأَوْلَادِ الزَّوَانَا ^(٥)

كثرة السيوف في ذلك اليوم حتى ذهلت فعبزت عن العجب ، ورأيت من الضوء وتألق الحديد ما خطف نظري ؛ فرجع وهو حسير ، فلم أتمكن من الرؤية . قلوا : وفيه نظر إلى قول أبي تمام :

حَتَّى أَنَّهُا الْأَيَّامُ قَدْ صِرْنَ كُلَّهَا عَجَائِبَ حَتَّى لَيْسَ فِيهَا عَجَائِبُ

(١) يقول إني أراك عسكراً في عسكر من الكارم : أي أنت في نفسك عسكراً وحولك عسكراً آخر من الكارم ، وأراك معدناً من المعالي : أي أصلها ، فهي تؤخذ منك .

(٢) فظن للشئ — بكسر الطاء وفتحها — يقول — كما قال الواحدى — : إن قلبك يعرف ما فعلته في حال بعدك وما تركته فلم أفعله خوفاً من أن تعلم فتعابني عليه : أي فليست في حاجة إلى وشاية الواشين . وكان قدوشى به إليه ، وكأنه قد اعترف بتقصيره — كما يدل على ذلك سياق الأبيات — وقال اليازجى : إن فؤادى لم يغفل عما فعلته في حال بعدك من التقصير فى خدمتك وما أهملته من السير معك ، لآنى كنت خائفاً أن تظنن له فتعابني عليه : يعنى أنى لم أغفل عن ذلك التقصير ولو لم يوش به إليك ، فظن أن المراد بالفؤاد فؤاد المتنبي ، وليس بشئ .

(٣) عليه : أي على ما فعلته . والضمير في « منه » يعود على الفراق . يقول : صار فراقك عقوبة لى على ما فعلته مما كرهته ، أي لحسبى هذا عقوبة .

(٤) فاغفر : أي فاغفر لى — أي ذنبى أو تقصيرى — وفدى : خبر عن محذوف . أي أنا فدى لك . وجباه : أعطاه . والجباه — بكسر الحاء — العطاء ومن بعدها : أي من بعد هذه المرة ، أو من بعد المغفرة ؛ ومنها : خبر مقدم عن الضمير بعده ، والجملة : صفة لعطية . يقول فاغفر لى هذا الذنب الذى فرط منى فدى لك بنفسى ، وأعطنى بعد المغفرة لأكون مخصوصاً بعطية منها نفسى : يعنى إذا عفوت عني وأعطينى كنت قد خصصتني بعطاء أنا من جلته لأنه إذا عفا عنه فقد وهبه نفسه .

(٥) الضلة : الضلال ؛ قال الواحدى : كان الأعور بن كروس قد وشى به ابن بدر

(٢٢) — المتنبي ٢٠٤

وَإِذَا الْفَتَى طَرَحَ الْكَلَامَ مُعَرِّضًا فِي تَجَالِسٍ أَخَذَ الْكَلَامَ اللَّذَعَنًا ^(١)
وَمَكَائِدُ الشُّفَهَاءِ وَأَقِيعَةٌ بَيْنَهُمْ وَعَدَاوَةُ الشُّعْرَاءِ بِئْسَ الْمَقْتَنَى ^(٢)
لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّثِيمِ فَإِنَّهَا ضَيْفٌ يَجْرُ مِنْ النَّدَامَةِ ضَيْفًا ^(٣)

ابن عمار لما سار وتأخر عنه المتنبي . يقول : أشار عليك بهجراني وحرمانى ، وهذا ضلال ، لأننى لا أستحق ذلك ، وقال ابن جني : ضلة : أى إذا قبلت منه ما أشار به عليك وأطعته فى ضلالت ، يهدده بالهجاء ، وعنى بالحر : نفسه ، وبأولاد الزنا : الوشاة . وهذا تعريض بابن كروس . هذا : والأصل فى هذا المعنى قول مروان بن أبى حفصة : مَا ضَرَفَنِي حَسَدُ اللَّثَامِ وَلَمْ يَزَلْ ذُو الْفَضْلِ يَحْسُدُهُ ذُو الْتَقْصِيرِ
وقال أبو تمام :

لَقَدْ آسَفَ الْأَعْدَاءُ مُجْدِدَ ابْنِ يُوسُفَ

وَذُو النَّقْصِ فِي الدُّنْيَا بِذِي الْفَضْلِ مُوَلَّعَ

(١) اللذعنا : يريد الذى عناء ، يعنى أنه عرض بذكر أولاد الزنا ، وقد فهم هذا التعريض من عناء به ، فهو يأخذه لنفسه .

(٢) السفية : الذى لا عقل له ولا رأى ، وأصله الذى لا يعرف أن يدبر أمره ، والأصل فيه الخفة ، وتسفت الريح الفصون : حركتها واستخفها قال ذو الرمة :

مَسَّيْنِ كَمَا اهْتَزَّتْ رِمَاحٌ تَسْفَهُتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيحِ الْنَوَاسِمِ
وتسفت الريح الشجر : أى مالت به ، وناقاة سفية الزمام إذا كانت خفيفة السير ، ومنه قول ذى الرمة يصف سيفاً :

وَأَبْيَضَ مَوْشَى الْقَمِيصِ نَصَبَتْهُ عَلَى ظَهْرِ مِقْلَاتِ سَفِيهِ جَدِيلُهَا

[يعنى خفيف زمامها ، يريد أن جديلها يضطرب لاضطراب رأسها ، والمقلاات التى تلد واحداً ثم تقلت رحمها فلا تحمل] . وتسفت فلانا عن ماله : إذا خدعته عنه : وعنى بالسفهاء : السعاة ، والوشاة : الذين وشوا به . يقول : كيدهم يعود عليهم بالشر ، ثم قال : وإذا عودى الشاعر الحق بعرض عدوه ما يبقى لاصقا به بقاء الدهر . وهذا تهديد بالهجاء

(٣) الضيفن : الذى يتبع الضيف ، ونونه زائدة ، وهو فعلن ، إذا أخذ من الضياقة ، وإن أخذ من الضفن — وهو الثقيل الكثير الاعم — فوزنه فعل قال الشاعر :

غَضَبُ الْحَسُودِ إِذَا لَقِيتُكَ رَاضِيًا رُزُّهُ أَخَفُّ عَلَىَّ مِنْ أَنْ يُوزَنًا^(١)
أَمْسَى الَّذِي أَمْسَى بِرَبِّكَ كَافِرًا مِنْ غَيْرِنَا مَعْنًا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنًا^(٢)
خَلَّتِ الْبِلَادُ مِنَ الْغَزَالَةِ لَيْلَهَا فَأَعَاضَهَا اللَّهُ كَيْ لَا تَحْزَنًا^(٣)

إِذَا جَاءَ ضَيْفٌ جَاءَ لِلضَّيْفِ ضَيْفٌ فَأَوْدَى بِمَا تُقْرَى الضُّيُوفُ الضَّيْفَ مِنْ
الضيافين : فاعل أودى ؛ وبما تقرى الضيوف : أى بما تقراه الضيوف .
يقول : إن مخالطة اللئيم مذمومة ملمونة لما تجر وراءها من الندامة ، فهى كضيف
بليه ضيف من الندامة ؛ والأصل فى هذا ما جاء فى بعض الآثار : « الجليس السوء
كصاحب الكبر — أى الحداد — إن لم يصبك من شره أصابك من دخانه ، والجليس
الصالح كالدارى — يعنى العطار — إن لم يصبك طيبه أصابك من ريحه » .
(١) الرزء : اللصية . يقول : إذا كنت راضيا عنى لم أكرث بعد ذلك لغضب
الحسود ، لأنه يكون فى هذه الحالة من أهون الأرزاء على فهو رزء لو كان مما يوزن
لم يستحق أن يوزن لحفنة ،

(٢) من غيرنا : حال من اسم أمسى — الثانية — ومعنا : متعلق ، بمؤمنا ؛
ومؤمنا : خبر أمسى — الأولى — يقول : من كان يكفر بالله من غيرنا أمسى مؤمنا معنا
بفضلك : أى أن من يخالفنا فى الإيمان بالله يوافقنا فى الإقرار بفضلك .

(٣) الغزاة : اسم الشمس . يقول : جعلك الله عوضا من الشمس للبلاد وأهلها
عند فقد الشمس بالليل كيلا يحزنوا . هذا : وقد قال ابن جني : إن سيويه لا يجيز
تقديم ضمير الغائب المتصل على الحاضر فى مثل قولك ما فعل الرجل الذى أعطاهك
زيد — على معنى الذى أعطاه إياك — فتأتى بالضمير النقص وتدع المتصل ، وأبو العباس
يجيزه ، فالصواب عند سيويه : فأعاضها إياك ، ولكن الشعر موقف ضرورة ، فيجوز
فيه ما لا يجوز فى غيره قاله العكبرى : والصواب عند أهل النحو إذا اجتمع ضمير المخاطب
والغائب فالواحب تقديم ضمير المخاطب ، فكان الواجب : فأعاضها الله : ويقال عاضه
وأعاضه وعوضه

وقال وقد سأله الجلوس :

يَا بَدْرُ إِنَّكَ وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ لِمِثَالِهِ تَكُونُ^(١)
لَعَظُمْتَ حَتَّى لَوْ تَكُونُ أَمَانَةً مَا كَانَ مُؤْتَمِنًا بِهَا جَبْرِينُ^(٢)
بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا فَإِذَا حَضَرْتَ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونِ^(٣)

(١) قوله والحديث شجون : جملة معترضة بين اسم « إن » وخبرها كقول القائل :
وَقَدْ أَدْرَكْتَنِي وَالْحَوَادِثُ جَعَتْ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافَ وَلَا عَزْلَ^(١)
وقولهم الحديث شجون : مثل ، معناه الحديث ذو شجون : أى ذو فنون وطرائق
مشتبكة مختلطة . يقول : إنك الرجل الذى لم يكون الله مثله ولم يخلقه ، قال الواحدى :
وأشار بقوله « والحديث شجون » إلى أن تحت قوله « من لم يكن لمثاله تكوين »
معانى كثيرة لا تحصى .

(٢) اللام فى « لعظمت » رابطة لقسم مضمرة ، على تقدير « قد » بعدها : أى
لقد عظمت وجبرين : لغة فى جبريل ، كما يقال فى إسماعيل : اسمعين ، وفى إسرائيل :
إسرائيلين . يقول : لو كنت أمانة لكانت هذه الأمانة عظيمة حتى لا يؤتمن يتأديتها
جبريل الأمين على وحى الله وكتبه إلى أنبيائه . قال الواحدى : وهذا إفراط وتجاوز
حد يدل على قلة دين وسخافة عقل

(٣) البرية : الخلق ؛ وخاليا : حال . وقد أجرى « فوق ، ودون » مجرى الأسماء ،
فأعربهما إعرابها . يقول : إذا خلا الناس منك تباينوا وكانوا درجات يعلو بعضها
بعضا ، فإذا حضرت بينهم استووا كلمهم فى التقصير عنك وصار أشرفهم وأعلام دونك .

(١) من أبيات لرجل من بنى دارم أسرته بنو جهل فلما أنشدتم إياها أطلقوه ، وقبله :
وَقَائِلُهُ مَا بِالْبَلَاءِ لَا يَزُورُنَا وَقَدْ كُنْتُ عَنْ تِلْكَ الزِّيَارَةِ فِي شُغْلٍ
وبعده :

لَعَلَّهُمْ أَنْ يُمَطَّرُونِي بِنِعْمَةٍ كَمَا صَابَ مَاءُ الْمُزْنِ فِي الْبَلَدِ الْمَخْلِ
فَقَدْ يُنْعِشُ اللَّهُ الْفَقِيَّ بَعْدَ عَثَرَةٍ وَتَصْطَلِحُ الْحُسْنَى سَرَاةُ بَنِي عَجَلٍ

وقال يمدح أبا عبيد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الحصببي وهو يومئذ يتقلد القضاء بأنطاكية :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضُ لِيذَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنْ أَلَمٍ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ (١)
وَلِإِنَّمَا نَحْنُ فِي جَيْلٍ سَوَاسِيَةٍ شَرٌّ عَلَى الْخُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ (٢)
حَوْلَى بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خِلَقٌ تُخْطِئُ إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ (٣)

(١) الأغراض : جمع غرض ، وهو الهدف يرمى بالسهم ؛ والضمير في « أخلام » للناس يقول : إن الأفاضل من الناس كالأغراض للزمان يرميهم بنوائبه ويقصدهم بالحن ، فلا يزالون محزونين لبعدهم ولطف إحساسهم واهتمامهم بما دق وجل من عبر الدهر وصروفه فكأنهم هم المقصودون بها وإنما يخلو من الحزن من كان خاليا من الفطنة . وحاصل المعنى أن الزمان إنما يقصد بشره الأفاضل ، قال حكيم : على قدر الهم تكون الموم ، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب الأمور فلا يزال مهجوما ، وأما الجاهل فلا يفكر في شيء من هذا . وفي هذا المعنى يقول الجاهلي ذو الأصبع العدوانى :

أَطَافَ بِنَارِيبِ الزَّمَانِ فَذَاسْنَا لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بِصِيرُ
ويقول البحتري :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو إِلَى أَهْلِ النَّوَافِلِ وَالْفُضُولِ

(٢) الجبل : ضرب من الناس . وسواسية : يعنى متساوين في الشر والأو ، ولا يقال في الخير ؛ وشر تفصيل بمعنى أشر ، والمراد بالخر هنا : الكريم - ضد اللئيم - يقول : نحن في جيل من الناس قد تساوا في الشر دون الخير ، فليس فيهم من يركن إليه ويعول عليه .

(٣) خلق : جمع خلقه ، وهى الصورة التى يخلق عليها الشيء أراد بها الأشباح والأشخاص . ويروى : خلق - بالحاء - جمع حلقة ، وهى القوم يجتمعون مستديرين . وهو معلوم أن « من » يستفهم بها عن يعقل ، و « ما » عما لا يعقل ، تقول للجماعة من الناس : من أنتم ؟ وتقول : ماهذه القطعة أغتم هى أم إبل أم خيل ؟ . يقول : حولى من هؤلاء الناس جماعة كالبهايم ، إذا أردت الاستفهام عنهم فقل : ما أنتم ، ولا تقل : من أنتم ، وإلا عدوت الصواب : قالوا - وفى البيت - نظر إلى قوله تعالى « إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل » .

لَا أَفْتَرِي بَلَدًا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَلَا أَمُرُّ بِمَخْلُقٍ غَيْرِ مُضْطَفِّنٍ ^(١)
وَلَا أَعَاشِرُ مِنْ أُمَّلَاكِهِمْ أَحَدًا إِلَّا أَحَقَّ بِضَرْبِ الرَّأْسِ مِنْ وَثْنٍ ^(٢)
إِنِّي لَأَعْذِرُهُمْ بِمَا أَعْتَفُ عَنْهُمْ حَتَّى أَعْتَفُ نَفْسِي فِيهِمْ وَإِنِّي ^(٣)
فَقَرُّ الْجَهْلُولِ بِلَا عَقْلِ إِلَى أَدَبٍ فَقَرُّ الْحِمَارِ بِلَا رَأْسٍ إِلَى رَسَنِ ^(٤)

(١) تقول : قروت البلاد واستقريتها : إذا تتبعتها تخرج من بلد إلى بلد. والغرر : الاسم - من قولهم غرر بنفسه إذا عرضها للهلكة - ومضطفن : ذو ضغن وحقد . يقول : لا أسافر إلا على خطر وخوف على نفسي من الحساد والأعداء . ولا أمر بأحد لا يكون له على حقد ؛ يعنى أنهم جهال أعداء لدوى الفضل والعلم ، فلجهمهم وفضلى يمدوننى .

(٢) الأملاك : جمع ملك . كجمل وأجمال والوثن : الصنم . يقول : لا أخالط أحدا من ملوكهم إلا وهو يستحق القتل . مثله مثل الصنم الذى لا يستحق إلا أن يحطم ويفصل بين رأسه وبدنه حتى لا يبقى على خلقة الإنسان . ويجوز أن يكون ضرب الرأس كناية عن الإهانة والإذلال يقول هو أحق بالإذلال من الصنم ؛ وإنما خص الصنم لأنه أراد أنهم - أى الملوك - صور لا معنى وراءها . كالأصنام التى يفتن بها أقوام يعبدونها وهى تماثيل لا معنى وراءها .

(٣) التعنيف : التعبير واللوم ؛ والعائد على الموصول : محذوف : أى مما أعتفهم عليه و « حتى » ابتدائية ، وأنى : بمعنى أفتى ، قال تعالى : « ولا تنيا فى ذكرى » ومنه : الأثناة من النساء ، وهى التى فيها فتور عند القيام وتأن ، قال أبو حية النخري :

رَمَتْهُ أَثَاةٌ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ نَوُومُ الضُّحَى فِي مَأْتَمٍ أَى مَأْتَمٍ ^(١)
يقول : إنى أجعل لهم عذرا فيما ألومهم به من الغفلة واللوم حتى أعود على نفسى باللوم وأنى - أى أقصر - فى لومهم ، أما عذرهم فهو أنهم جهال ، والجاهل لا يلام على ترك المسكارم والرغبة عن المعالى ، وقد بين هذا فى البيت التالى .
(٤) الجهول : الكثير الجهل - والجهل : ضد العقل ؛ والرسن : الحبل الذى تقاد به الدابة ، قال ابن مقبل :

(١) قال الجوهري : المأتم عند العرب : النساء يجتمعن فى الخير والشر ، وأنشد هذا البيت ثم قال : فهذا لا محالة مقام فرح .

وَمُذْقِعِينَ بِسُبُوتِ صَحْبَتِهِمْ عَارِينَ مِنْ حُلَلِ كَاسِينَ مِنْ دَرَنِ (١)
 خَرَابٍ بَادِيَةٍ غَرْنِي بَطُونَهُمْ مَكْنُ الضَّبَابِ لَهُمْ زَادٌ بِلَا أَمْنٍ (٢)
 يَسْتَخْبِرُونَ فَلَا أُعْطِيهِمْ خَبْرِي وَمَا يَطِيشُ لَهُمْ سَهْمٌ مِنَ الظَّنِّ (٣)
 وَخَلَّةٍ فِي جَلِيسٍ أَتَقِيهِ بِهَا كَيْمًا يَرَى أَنَّنَا مِثْلَانِ فِي الْوَهْنِ (٤)

هَرَيْتُ قَصِيرُ عِذَارِ اللَّجَامِ أَسِيلُ طَوِيلُ عِذَارِ الرَّسَنِ (١)
 يقول : إن الجاهل لا يفتقر إلى الأدب إذ لا عقل له؛ وأول ما يحتاج إليه الإنسان : العقل الذى به يعقل ، ثم يتأدب بعد ذلك ، فإذا لم يكن عاقلاً لم يحتج إلى أدب ، كالبحار ما لم يكن له رأس لم يحتج إلى الرسن .
 (١) الواو : واو « رب » ؛ وللدفع : الذى لا شئ له ، من دفع - بالكسر - إذا لصق بالتراب ، والدقعاء : التراب ، وفيه معنى الخضوع . والسبروت : الأرض لا نبات فيها ، ومنها سمى الرجل المعدم : سبروت . ويقال للقبر : سبروت من ثم . والحلل : جمع حلة ، وقالوا : الحلة رداء وقيص ، وتماها : العمامة . والدرن : الوسخ والقذر . يقول : رب قوم صعاليك يجلسون لفقرهم على التراب عارين من الثياب كاسين من الوسخ والقذر صحبتهم .

(٢) خراب : جمع خراب وهو الذى يسرق الإبل خاصة ، ثم معنى به كل اص . وغرنى : جمع غرثان ، وهو الجوعان ؛ وغرنى : خبر مقدم ؛ وبطونهم : مبتدأ مؤخر ومكن الضباب : بيضها ، جمع مكنة ، والضباب : جمع ضب ، الدويبة المعروفة . يقول : هم لصوص سراق فلوات ليس لهم زاد ، ومن جوعهم يأكلون بيض الضباب ، يحصلون عليه بلائمن .

(٣) طاش السهم : خرج عن صوب الرمية ولم يصب . والظنن : جمع ظنة ، وهى ما تظنه بالإنسان من سوء . يقول : يسألونى عن خبرى فلا أخبرهم وأكتمهم أمرى وهم لا تخطئ ظنونهم بأنى أنا المتنبي الذى سمعوا به ، ولكفى أكتم خبرى عنهم خوفاً من غائلتهم .

(٤) أتقيه : رواها بعضهم « أتقيه » . والحلة : الحصلة المحمودة والذمومة ، ويرى

(١) هريت واسع الشدقين ، ومنه يقال للخطيب من الرجال : أهرت الشقةشة ، وقصير عذار اللجام : يريد أن مشق شديقه مستطيل ، وإذا طال الشق قصر عذار اللجام ، ولم يصفه بقصر الحد وإنما وصفه بطوله ، بدليل قوله : طويل عذار الرسن :

وَكَلِمَةٍ فِي طَرِيقٍ خِفْتُ أَعْرِبُهَا فَيَهْتَدِي لِي فَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى اللَّحْنِ ^(١)
 قَدْ هَوَّنَ الصَّبْرُ عِنْدِي كُلَّ نَازِلَةٍ وَلَكِنَّ الْقَرْمُ حَدَّ الْمَرْكَبِ الْحَشِينِ ^(٢)
 كَمْ مَخْلَصٍ وَعَلَا فِي خَوْضٍ مَهْلِكَةٍ وَقَتْلَةٍ قَرَنْتُ بِالذَّمِّ فِي الْجُبْنِ ^(٣)
 لَا يُفْجِئُنَّ مَضِيًّا حُسْنُ بَرِّهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِينًا جَوْدَةُ الْكَفْنِ ^(٤)

يظن والوهن : الضعف . يقول : رب خصلة في جليس لي أستقبله بمثلها من نفسى -
 أى أتخلق بمثلها - حتى يظننى مثله في ضعف الرأى ، كما قال الآخر :

أَحَامِقُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أَهَاقِلَةً

يريد التنبي أنه يخفى نفسه وفضله خوفا من الحسد .

(١) خفت أعربها أى خفت أن أعربها ، وقد تقدم لذلك نظائر . وأصل الإعراب التبيين ،
 ومنه الأثر « والثيب : تعرب عن نفسها » وأصل معنى اللحن : العدول عن الظاهر إما خطأ
 وإما إلغازا وفطنة . ويسمى الفطن لحنًا ، ومنه الحديث « ولعل بعضكم ألحن بحجته » أى
 أفطن لها ، والمراد هنا : الخطأ . يقول : رب كلام أردت ترك الإعراب فيه لئلا يهتدى
 إلى ولا يطلع على أنى التنبي فلم أقدر على ذلك . يريد أنه مطبوع على الفصاحة لا يقدر
 أن يحيد عنها إلى اللحن .

(٢) النازلة : الحادثة من حوادث الدهر تنزل بالإنسان . ومراده بالمركب الحشن
 ما يركبه من الأمور الشاقة يقول : صبرى جعل كل حادثة تلم بساحق سهلة هينة ، وعزى
 ألان المركب الحشن . يريد لا أشتكى النوازل ، بل أصبر عليها ، ولا أستحسن الخطوب
 الصعبة لقوة عزمى إذا عزمت .

(٣) العلى : جمع العليا ، وهى فى الأصل اسم للمكان العالى ، ثم استعملت بمعنى
 الرفعة والشرف والقتلة : المرة من القتل يقول : كم من خلاص وعولمى خاض المهلك
 وكم من قتل مع القدم للجبان ؟ يعنى أنه كثيرا ما يتخلص خائض المهلك للأقدم عليها مع
 ما يكسب من الرفعة ، وكثيرا ما يقتل الجبان المحجم مع ما يلحقه من المذمة والعار .

(٤) المضم : المظلوم ، والبزة : اللباس ، وراقه الشئ : أعجبه ، والدفين : المدفون
 وأراد بحسن البزة : اليسر وسعة الرزق .

يقول : لا ينبغي المظلوم أن يسر بسعة رزقه - التى من آثارها حسن البزة - مع ما هو
 فيه من الذل ، فإنه مثل الميت الذى دفن ، والميت لا يسر بحسن كفنه . شبه المظلوم
 الذى لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت ، وجعل ثوبه الحسن كالكفن .

للهِ حالٌ أرَجَّيْها وَتُخْلِفُنِي وَأَقْتَضِي كَوْنَهَا دَهْرِي وَيَمِطُّنِي ^(١)
 مَدَحْتُ قَوْمًا وَإِنْ عِشْنَا نَظَمْتُ لَهُمْ قَصَائِدًا مِنْ إِنْاثِ الْخَيْلِ وَالْحَصَنِ ^(٢)
 تَحْتَ الْعِجَاجِ قَوَافِيهَا مُضْمَرَةٌ إِذَا نُنْوِشِدْنَ لَمْ يَدْخُلْنَ فِي أُذُنٍ ^(٣)
 فَلَا أُحَارِبُ مَدْفُوعًا إِلَى جُذْرِ وَلَا أَصَالِحُ مَفْرُورًا عَلَى دَخَنِ ^(٤)
 تُخَيِّمُ الْجَمْعُ بِالْبَيْتِ دَاءٌ يَصْهَرُهُ حَرُّ الْمَوَاجِرِ فِي صُمٍّ مِنَ الْفِتَنِ ^(٥)

(١) يقال عند التعجب من شيء : لله هو : والإخلاف : ضد الإنجاز وأقتضى : أطلب ، وكونها - أي حصولها - مفعول ثان لأقتضى ؛ ودهرى : مفعول أول : أى أطلب دهرى بمحصلها . ومطله حقه : سوفه ولم يقضه . يقول : إنه يرجى أن يصل إلى حال ترضيه ، وتلك الحال تخلف رجاءه فلا يصل إليها ، ويطلب دهره بمحصلها فباطله في تبليغه إياها : وعبارة الواحدى : المعنى ههنا أن القادر على تمكيني من هذه الحال التى أرجو بلوغها وهى تخلفنى : أى لا تصل إلى ولا تنجز وعدى وأسأل دهرى بمحصلها وهو يمطنى - هو الله تعالى .

(٢) الحصن جمع حصان ، وهو الذكر الفحل من الخيل . يقول : مدحت قوما لا يستحقون اللدح - لشحهم وجهلهم - ولكن إن عشت غزوتهم بخيل إناث وذكور . جعل الخيل قصائد بدل القصائد التى مدحهم بها .

(٣) تحت العجاج : خبر مقدم ، وقوافيها : مبتدأ مؤخر ؛ ومضمرة : حال ، والعجاج الفيار . والمضمرة من الخيل : العدة للسباق ، يقول : قوافى هذه القصائد خيل مضمرة تحت العجاج ، وليست من القوافى التى إذا أنشدت دخلت الآذان . قال العكبرى : وصفها بالتضمير وهو مدح للخيل ، وكذلك القوافى فى الشعر إذا جادت جاد الشعر ، قال ابن الأعرابى : استعبدوا القوافى فإنها حوافر الشعر .

(٤) مدفوعا . حال ، وكذلك مفرورا . والجدر : جمع جدار ، وهو الحائط ؛ والدخن الفساد والغش والعداوة فى القلب ، ومنه الحديث « هدنة على دخن » ومثله الدخل . يقول : لست ممن يعتصم فى الحرب بالأبنية والجدر ، ولا أصالح أعدائى إذا غرونى وناقرونى أى لا أصالحهم إلا على بذل الرضا ، و « مدفوعا » : رواه ابن جنى : مرفوعا ؛ أى يرفع إلى الجدر فينخرب عليها .

(٥) تخيم : خبر عن محذوف : أى أنا ؟ والجمع : الجيش ، وهو فاعل التخيم فى المعنى . والبيداء : الصحراء وصهرت الشمس دماغه : أذا به والمواجر : جمع هاجرة

أَلْقَى الْكَرَامُ الْأَلَى بَادُوا مَكَارِمَهُمْ عَلَى الْخَصِيْبِيِّ عِنْدَ الْفَرَضِ وَالسَّنَنِ ^(١)
 فَهَنْ فِي الْحَجَرِ مِنْهُ كُلَّمَا عَرَضَتْ لَهُ الْيَتَامَى بَدَا بِالْمَجْدِ وَالْمَنْ ^(٢)
 قَاضٍ إِذَا التَّبَسَّ الْأَمْرَانِ عَنْ لَهُ رَأَى يُخْلَصُ بَيْنَ الْمَاءِ وَاللَّيْنِ ^(٣)
 غَضُّ الشَّبَابِ بَعِيدٌ فَجَرُّ لَيْلَتِهِ مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَاءِ وَالْوَسَنِ ^(٤)

وهى منتصف النهار . والصم : الشداد . وهذا البيت تأكيد لما ذكره فى البيت السابق يقول : إن عسا كره قد نصبوا خيامهم فى الصحراء يذيبهم حر الهواجر فى قتن صم — شديدة — قال الواحدى : ويجوز أن تقول فى قتن لا يهتدى فيها كالحية الصماء التى لا تحبب الراقى .

(١) الألى : الدين ؛ وبادوا . هلكوا ؛ والخصيبى : هو المدوح ، نسبة إلى جده . يقول : إن الكرام الذين بادوا ألقوا مكارمهم على هذا المدوح : أى ورثوه بإيها وفوضوها إلى عهده ، فهى عنده بجانب فروض الدين وسننه ، يحافظ عليها كما يحافظ على هذه . وعبرة الواحدى : فهو يستعملها — أى المكارم — عند ما يلزمه كالفريضة ، وعند ما لا يلزمه كالسنة ، فصارت مكارم الكرام عنده تحت تصرفه .

(٢) الحجر — فى الأصل — المنع ، وحجر القاضى على فلان : منعه من التصرف ، وفلان فى حجر فلان : أى فى كنفه ، وبدا — ملين من المهوز — أى بدأ . والمن جمع منة وهى النعمة . يقول : لما ورث المكارم بعد هلاك ذويها جعلها فى حجره يربها ويكفلهم فى جملة اليتامى الذين يكفلهم ، فكان كما عرضت له اليتامى بدأ بالمجد والمن — التى هى من جملة المكارم المكفولة عنده — فأفاضها عليهم ، قال الواحدى : وإنما ذكر اليتامى لأنه يمدح قاضيا والقضاة يتكفلون أمر الأيتام ، وذهب ابن فورجه فى معنى هذا البيت والذى قبله مذهبا غير الذى ذكرنا ، قال : يعنى : أن المكارم قل راغبوها وكان لها من الكرام آباء ، فلما هلكوا كملوها هذا المدوح ، لأنه قاض ، والقضاة تكفل اليتامى ، فكمّلوه كفّلها ، فهو يربها مع سائر الأيتام ، غير أنه يؤثر المكارم بحسن التربية على سائر الأيتام . وهذا معنى قوله « كلما عرضت له اليتامى بدا بالمجد والمن » أراد بدأ بالمكارم ، فأقام « المجد والمن » مقامها ؛ لأنهما فى معناها .

(٣) عن : ظهر . يقول : هو قاض ذكى فطن ألمى إذا التبس الأمران واشتبه بعضهما ببعض فصل بينهما برأيه ولو كانا متميزين امتزاج الماء باللبن :

(٤) شباب غص : أى ناعم ناضر ، والوسن : النوم . قال الواحدى : « قوله بعيد فجر ليلته » فيه وجهان : أحدهما أن ليلته طويلة لسهره فيها يعكسبه من الدين والعلم ،

شَرَابُهُ النَّشْعُ لَا لِلرَّيِّ يَطْلُبُهُ وَطَافُهُ لِقَوَامِ الْجَنَسِ لَا السَّمَنِ ^(١)
 أَلْفَايِلُ الصَّدَقِ فِيهِ مَا يَضُرُّ بِهِ وَالْوَاحِدُ الْحَالَتَيْنِ السَّرِّ وَالْعَلَنِ ^(٢)
 أَلْفَايِلُ الْحُكْمِ عَنِ الْأَوَّلُونَ بِهِ وَالْمُظْهِرُ الْحَقِّ لِلْسَّاهِي عَلَى الذَّهْنِ ^(٣)
 أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا
 جَدَى الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْفُصْنِ ^(٤)

وليس هو ممن يقصر ليلته باللذات . والثاني : أنه أراد بالفجر : يياض الشيب ؛ وبالليل سواد الشباب ، والمعنى أن يياض الشيب بعيد عنه ، لأنه شاب غض الشباب وقوله « عجائب العين للفحشاء والوسن » : أى أن عينه بعيدة عن النظر إلى ما لا يحل ، وعن النوم أيضا لطول سهره .

(١) نشع الشارب نشعا : إذا شرب شربا قليلا دون الرى . (*) قال ذو الرمة يصف الوحش :

فَانْصَاعَتْ الْحَقْبُ لَمْ تَقْصَعْ صَرَائِرَهَا وَقَدْ نَشَحْنَ فَلَارِيٌّ وَلَا هِيمُ
 (الحقب : الدهر وقيل السفة . وانصاعت : فرت ؛ وقصع العطشان : غلته بالماء إذا سكنها ؛ والصرائر : جمع صارة ؛ أى العطش ، وهذا الجمع نادر ؛ والهيم : الإبل العطاش : أى ولا هيم) والطعم : الطعام : يقول : لا ينال من الطعام والشراب إلا القدر الذى يقيم به جسمه وليس يشرب للرئ ولا يأكل للسمن ، شأنه فى ذلك شأن الحكماء الزهاد ؛ قال حكيم : الناس يحبون الحياة لياكلوا ، وأنا آكل لأحيا .

(٢) لك أن تنصب « الصدق » على المفعولية ، وأن تجره على الإضافة تشبيها بالحسن الوجه ؛ والضمير من « فيه » للصدق . والسر : ما يسره الإنسان ؛ والعلن ضده يقول هو يقول الحق والصدق وإن كان فيه ضرر عليه ، ولا يضر خلاف ما يظهر رياء الناس وإنما سره وعلنه سواء .

(٣) فصل الحكم : قضاء وقطع به ؛ وعين بالأمر : إذا عجز عنه ؛ والساهى : الغافل ؛ والذهن : الفطن الذكى . يقول : هو يفصل برأيه وعلمه الحكم الذى عجز عنه السابقون ، ويظهر حق الخصم الذى على الخصم الذكى .

(٤) جدى الخصيب : مبتدأ وخبر ؛ والجملة : مقول القول ، و « عرفنا » : جواب

(*) أول الشرب : النشع ثم التغمير ثم الرى ثم النقع والتجيب ثم اليفر وهو عطش يأخذ الإبل فتشرب فلا تروى وتمرض وتموت .

الْعَارِضُ الْمَتْنُ ابْنُ الْعَارِضِ الْمَتْنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْمَتْنِ^(١)
 قَدْ صَيَّرَتْ أَوَّلَ الدُّنْيَا وَآخِرَهَا أَبَاوَهُ مِنْ مُغَارِ الْعِلْمِ فِي قَرْنٍ^(٢)
 كَانَتْهُمْ وَلِدُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ وَلِدُوا أَوْ كَانَ قَتْلُهُمْ أَيَّامَ لَمْ يَكُنْ^(٣)

« لو » . يقول : إن أفعاله الكريمة تدل على كرم أصله وتقوم له مقام النسب ؛ حتى لو لم يقل
 جدى فلان لكانت أفعاله كافية في الدلالة عليه ، كما يستدل بالنسب على الأصل ، وهذا
 المعنى من قول بعضهم :

وَإِذَا جَهَلْتَ مِنْ أَمْرِهِ أَغْرَاقَهُ وَأُصُولَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ
 ومثله قول أبي تمام :

فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَلَيْكَ إِلَّا شَهِدَتْ بِهَا عَلَى طِيبِ الْأُرُومِ
 (رف النبات : اهتز نضارة ؛ والأروم - بفتح الهمزة - الأصل ، وبضم الهمزة :
 ع)

(١) العارض ؛ السحاب المعترض في الأفق . والمتن : الكثير الصب ، مثل المطل
 يقول : هو جواد ابن آباء أجواد . هذا : وقد عيب لفظ « متن » على المتن لأنه يقال
 سحاب متن ولا يقال متن ، ولكن جاء به قياساً على « هطل » وهو من النوادر .
 وقال العكبري : وقد عاب قوم أيضاً هذا البيت على المتن وقالوا : من إلى تكرار
 اللفظ ، قال : فسمعت شيخى أبا الفتح نصر بن محمد الوزير الجزرى يقول : إن كان هذا
 عيباً لحديث النبي صلى الله عليه وسلم أصله فقد قال صلوات الله عليه : « يوسف الكريم
 ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم » وإنما تكرر اللفظ لشرف الآباء .

(٢) إغار : الحبل المحكم القتل ؛ والقرن : الحبل يقرن به البعيران . ومن مغار :
 في موضع خال من قرن مقدمة ، وفي قرن : في موضع المفعول الثاني لصيرت . مدحهم
 بكثرة التجارب والعلم بالدنيا ، يقول : إن آباءه قد أحاطوا علماً بأحوال الدنيا —
 ماضيها وغابرها — حتى كأنهم وصلوا أولها بآخرها . وقال ابن جني : هذا مثل ضريبة ،
 يريد أنهم ضبطوا العلم وقيدوا به الأحكام والشرائع ، فيكون تقدير أول الدنيا : أول
 أحكام الدنيا : أى الأحكام التى تكون في الدنيا وتجري فيها . والمعنى أن آباءه كانوا
 علماء ، وقال ابن فورجه : مدحهم برواية الحديث ، يعنى أنها ضابطون للأيام عارفون
 بالأخبار ؛ وما ذكرناه أولاً هو الأظهر ، يدل عليه البيت التالى .

(٣) هذا تأكيد لما في البيت السابق ؛ و« كان » هنا تامة ؛ بمعنى الحدوث والوقوع ،

الْخَاطِرِينَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَبَدًا مِنْ الْحَمَامِدِ فِي أَوْقٍ مِنَ الْجَنَنِ ^(١)
لِلنَّاطِرِينَ إِلَى إِقْبَالِهِ فَرَحٌ يُزِيلُ مَا يَجِبَاهُ الْقَوْمُ مِنْ غَضَنِ ^(٢)
كَأَنَّ مَالَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ مُغْتَرَفٌ مِنْ رَاحَتِيهِ بِأَرْضِ الرُّومِ وَالْيَمَنِ ^(٣)
لَمْ تَفْتَقِدْ بِكَ مِنْ مُزْنٍ سِوَى لَثَقٍ وَلَا مِنْ الْبَحْرِ غَيْرَ الرِّيحِ وَالشُّقَنِ ^(٤)
وَلَا مِنَ اللَّيْثِ إِلَّا قُبْحَ مَنْظَرِهِ وَمِنْ سِوَاهُ سِوَى مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ ^(٥)

ومن ثم تكتفى بالفاعل . يقول : إنهم — لعلهم بأحوال الدنيا والأمور بما سلف من شؤون الأزمنة القديمة ، كأنهم وجدوا في تلك الأزمنة فولدوا قبل الزمان الذي ولدوا فيه ، أو كأن فهمهم كان موجودا في الأيام التي لم يكن موجودا فيها فاطلعوا على ما كان في تلك الأيام .

(١) يقال خطر الرجل يخطر : إذا مشى متبخترا . والجنن : جمع جنة ، وهي كل ما استترت به من سلاح ونحوه . يقول : يمرون على أعدائهم متبخترين وعليهم من الهامد ما يبقى أعراضهم من الدم أكثر مما يبقى السلاح . هذا : ونصب « الخاطرين » بضمير : أى أذكر ، أو أمدح ، ونحو ذلك .

(٢) الفضن : تكسر الجلد . يقول : إنه يقبل على الزائرين إقبالا يفرحون به فيزول حزنهم وتنبت وجوههم ، والسرور يكون بشأ طلقا ، والمزجون يكون منزوى جلدة الوجه .

(٣) يقول : إن عطاياه عمت القريب والبعيد فهي تسافر وتصل إلى من نأى عنه ، فكأنها تؤخذ من راحته في أرض الروم واليمن كما تؤخذ في داره . والحاصل : أن ماله يقرب من القاصى قربه من الدانى ؛ قال الشراح : وأما ذكره هذين الإقليمين دون غيرهما فلما بينهما من البعد ، فإقليم الروم هو القريب منه واليمن هو البعيد عنه ، ليطابق بين القريب والبعد ، وإن عطاه يعم القريب والبعيد .

(٤) اللزن : جمع مزنة ، السحابة البيضاء أو ذات الماء . والاشق : الوحل الذى يصير من أثر الماء بعد امتزاجه بالتراب . يقول : لم تفقد بوجودك من السحاب سوى الوحل الذى يكون من مائه ، ولا من البحر غير ركوب السفن والتعرض لمواصف الرياح ، يعنى أن المدوح سحب وبحر ، ولكن نغمه خالص لا يشوبه ما يكدره ؛ قال المعبرى : وقوله : بك بمعنى « فيك » ؛ وحروف الجر يقوم بعضها مقام بعض .

(٥) يقول : ولم تفقد بوجودك من الاسد وشجاعته وإقدامه إلا قبح منظره ولا

مُنْذُ أَحْتَبَيْتَ بِأَنْطَاكِیَّةَ أَغْتَدَلْتُ حَتَّى كَأَنَّ ذَوِي الْأَوْتَارِ فِي هُدَنِ ^(١)
وَمُنْذُ مَرَزْتَ عَلَى أَطْوَادِهَا قَرَعْتَ مِنَ الشُّجُودِ فَلَا نَبْتَ عَلَى الْقَنْ ^(٢)
أَخَلْتُ مَوَاهِبُكَ الْأَسْوَاقَ مِنْ صَنَعٍ أَغْنَى نَدَاكَ عَنِ الْأَعْمَالِ وَالْمِهْنِ ^(٣)

من كل شيء آخر إلا كل ما كان غير حسن : يعنى أن جميع محاسن الدنيا مجتمعة فيك ،
وجميع القايح منفية عنك .

(١) الاحتباء : أن يجمع الرجل ظهره وساقيه بعمامته أو بحمائل سيفه أو نحو ذلك ،
وقد يحتج بيديه ، والاسم الحبوة ، والحبوة ، والثوب الذى يحتج به ، وجمعها
حبى - مكنسور الأول - وحى ، قال ابن السكيت فى إصلاحه وروى بيت الفرزدق :
وَمَا حُلَّ مِنْ جَهْلٍ حُبِّ حُلُمَائِنَا وَلَا قَائِلُ الْمَعْرُوفِ فِينَا يُعْتَفُ
بالوجهين جميعاً ، فمن كسر كان مثل سدره وسدر ، ومن ضم فمثل عرفة وغرف ،
وتحسب مثل اختبى ، قال ساعدة بن جؤية :

أَرَى الْجَوَارِسَ فِي ذُوَابَةِ مُشْرِفٍ فِيهِ النَّسُورُ كَمَا تَحْبَى الْمَوْكِبُ ^(١)
والأوتار : جمع وتر ، وهو الثُّرْدُ . والهدن : جمع هدنة ، وهى السكون بين
المتحاربين . يقول : مذجلست محتبياً للحكم بهذه البلدة استوى أمرها واستقام حق كأن
أصحاب الأحقاد قد تصالحوا وتهادنوا فزال الشر والظلم والخلاف بينهم ، وذلك بعدلك
وحسن سيرتك فيهم .

(٢) الأطواد : جمع طود ، وهو الجبل ، وقرعت : من قرع الرأس ، وهو ذهاب
شعره ؛ و « لا » عاملة عمل « ليس » ؛ والقنن : جمع قنة ، وهى أعلى موضع فى الجبل .
يقول : لما مررت على الجبال عرفت أنك فوقها وأعلى منها وأرجح حلماً - مع بعدها
من التميز - خفضت هيئة لك ، وجعل الخضوع شجوداً لما بينهما من الملاسة ؛
وبالغ فى السجود حتى جعله يتعدى الجبين إلى الرأس ، وأنه يتوالى حتى يذهب ما عليها
من النبات فصارت قرعاء .

(٣) الصنع : الصانع الحاذق . والمهن : جمع مهنة ، وهى الخدمة والتبذل فى التصرف

(١) الأرى : العسل ، وجرست النحل الشجر للعسل : إذا أكلته ، ومنه قيل للنحل :
جوارس ، وفيه النسور الخ . يقول : استدارت النسور فيه كأنهم ركب محتبون وفى
ذؤابة مشرف : أى فى أعلى الجبل .

ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ وَزُهْدُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنٍ ^(١)
وَهَذِهِ هَيْبَةٌ لَمْ يُوْتِنَهَا بَشَرٌ وَذَا اقْتِدَارُ لِسَانٍ لَيْسَ فِي الْمُنَنِ ^(٢)
فَمُرْ وَأَوْمِرْ تَطْعُ قُدْسَتْ مِنْ جَبَلٍ تَبَارَكَ اللَّهُ يُجْرِي الرُّوحَ فِي حَضَنِ ^(٣)

* * *

وقال يمدح أبا سهل سعيد بن عبد الله بن عبيد الله ابن الحسن الأنطاكي :
قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمِي وَالْفَ فِي ذَا الْقَلْبِ أَحْزَانَا ^(٤)

يقول : خلت الأسواق من الصناعات عطلوها استغناء بعطائك عما كانوا يعملون، يعني أن مواهبك قد فشت بين الناس وعمت حتى أصاب أهل الأسواق منها ما استغنوا به عن العمل واستغنى به الفقير عن خدمة الناس .

(١) يقول : هذا الجود الذي نشاهده منك جود من لا يأمن الدهر ويعلم أن المال للحادثات . ، فهو يجود به ليحوز به الحمد والأجر ، وزهدك هذا زهد من علم أن الدنيا دار قلعة ومحل نقلة ودار فناء فلا يشتغل بممارتها وجمع المال لها .

(٢) هيبة : تروى : همة . والمُنن : جمع منة - بضم الميم - وهي القوة . يقول : لك هيبة وعظمة في قلوب الناس لم يوتها أحد ، ولك قوة منطق ليس هناك مثلها .

(٣) أوم : أصلها أوميء ؛ حذفت الهمزة ، وتروى : وأوميء ، ويصح بها الوزن ؛ و « قدست » دعاء ؛ وجبل : تميز ، و « من » زائدة ؛ وحضن : جبل بنجد ؛ ومنه المثل : أتجد من رأى حضنا - يقال للذي يبلغ حاجته وإن كان في غير بلاد تجددولا قريبا منها - يقول : مر من شئت وأوميء - أشر - فإنك مطاع كجبل ذي روح في ثباته ووقاره ورزاقته .

(٤) البين ، البعد والفراق ، ومنا : حال من « الأجفان » مقدمة عليها ؛ والبين : مفعول ثان « لعلم » مقدم ؛ وأجفانا : مفعول أول ، وتدمي : صفة ؛ لـ « أجفانا » كأنه قال : أجفانا دامية ، وقال التبريزي : أراد أن تدمي ، « لحذف » أن يقول : إن فراق الاحبة علم أجفانا الدامية - من طول البكاء - أن يبتعد بعضها عن بعض - كفى به عن ادامة السهر - كما قال .

* وَفَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ *

وجمل الفراق يؤلف الحزن إغرابا في الصنعة ، مثله :

أُمْتُ سَاعَةٍ سَارُوا كَشَفَ مِفْصِمَهَا لِيَلْبَثَ الْحَيُّ دُونَ السَّيْرِ حَيْرَانًا^(١)
وَلَوْ بَدَتْ لَأَنَاهُتَهُمْ فَحَجَّجَهَا صَوْنٌ عَقُولَهُمْ مِنْ لَحْظِهَا صَانًا^(٢)
بِالْوَاخِدَاتِ وَحَادِيهَا وَبِي قَمَرٌ يَظْلُ مِنْ وَخْدِهَا فِي الْخِذْرِ حَشِيَانًا^(٣)

تَصَارَمَتِ الْأَجْفَانُ لَمَّا صَرَمْتَنِي فَمَا تَلَقَّيْ إِلَّا عَلَى عَبْرَةٍ تَجْرِي

(١) ضمير « ساروا » للأحبة ، وإن لم يتقدم لهم ذكر ، لدلالة المقام ؛ والمعصم : موضع السوار ؛ ويلبث : يقيم ؛ والحي : القوم النازلون والظاعنون . يقول : رجوت وتمنيت عند حيل الأحبة أن تكشف معصمها - أي تظهره - عند ركوب الهودج ليراه القوم فيقفوا متحيرين عن المسير فأزود من إقامتها .

(٢) تاه بيقه ويتوه : ضل وتحير ، وأناهه غيره : أضله وحيره . والصون : الحفظ وعقولهم : مفعول « صان » . يقول : لو ظهرت هذه المحبوبة لهم لحيرتهم بجمال طلعتها ولكن حجبها عنهم صون صان عقولهم عن لحظها ، يعني أنها صانت نفسها عن البروز والظهور وذلك الصون صان عقولهم عن لحظها ولحظ : مصدر يجوز أن يكون مضافا إلى الفاعل ، ويجوز أن يكون مضافا إلى المفعول : أي لو لحظوها لطارت عقولهم ، أو لحظتهم لأخذت عقولهم .

(٣) الباء : للتبعية ، والواخيدات : السرعات . يريد : الإبل . وأصل الوخذ : للنعام واستعمل في سير الإبل . وخد البعير يخذو وخدا ووخذانا : وهو أن يرى بقوائمه مثل مشى النعام . والحادي : الذي يسوق الإبل بالغناء . والخدر : خدر المرأة ، ما يكنها ويسترها . وخشيانا : خائفا . يقول : يفدى بالإبل الواخدة - السرعة - في السفر ومحاديها وبنفسى قمر يظل في خدره خائفا مذعورا من سرعة سير الإبل وهزها له وهو لم يتعود السفر ، وخشيانا : يروى « حشيانا » - من الحشى ، وهو تواتر النفس من تعب ونحوه قال الشاعر :

تُلَاعِبُنِي إِذَا مَا شِئْتُ خَوْدٌ^(١) عَلَى الْأَنْمَاطِ ذَاتُ حَشَى قَطِيعِ

(أي ذات نفس متقطع من منها ؛ وقطيع : نعت لحشى . والأنمط : جمع نمط ،

(١) خود : نعت لبهكنة في قوله .

وَلَوْ أَنِّي أَشَاهُ كَفَنْتُ نَفْسِي إِلَى بَيْضَاءَ بَهَكْنَةٍ شَمُوعِ
والبهكنة : التارة الغضة ، والشموع : اللعوب الضحكوك .

أَمَّا الثِّيَابُ فَتَقَرَّى مِنْ مَحَاسِنِهِ إِذَا نَضَّاهَا وَيَكْتَسِي الْحُسْنَ عُرْيَانًا^(١)
يَعْتُهُ الْمِسْكُ صَمَّ الْمُسْتَهَامِ بِهِ حَتَّى يَصِيرَ عَلَى الْأَعْكَانِ أَعْكَانًا^(٢)
قَدْ كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيرٍ بِمَدَّ كُمِ هَانَا^(٣)

ضرب من البسط له خل رقيق) : وفي حديث عائشة رضى الله عنها « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيتها ومضى إلى البقيع ، فتبعته - تظن أنه دخل بهض حجر نسائه فلما أحس سوادها قصد قصدتها ، فعدت ؛ فمدا على أثرها ، فلم يدركها إلا وهى فى جوف حجرتها ، فدنا منها - وقد وقع عليها البهر والربو - فقال لها : مالى أراك حشيا رابية ؟ » أى مالك قد وقع عليك الحنى ؟ وهو الربو والبهر والنهيج الذى يعرض للمسرع فى مشيته والحدت فى كلامه من ارتفاع النفس وتواتره . يقول للتنبي : إن وخدها يزعبه لشدة رفه فيتتابع نفسه . قال العكبرى : وأنكر بعض من لا يعرف اللغة على أبى الطيب لفظة « حشيان » ، وقال لم اسمها ، وكأنه لم يسمع قول الآخر - هو أبو جندب الهذلى - :

فَنَهْنَهْتُ أُولَى الْقَوْمِ عَنْهُمْ بِضَرْبَةٍ تَنْفَسَ مِنْهَا كُلُّ حَشْيَانٍ مُحْجَرٍ
(١) نضا عنه الثوب : خلعه وألقاه ؛ ويكسى : بمعنى يكتسى ، يقال كسوته ثوبا أكسوه وكسى يكسى فهو كاس : إذا اكتسى . يقول : إذا خلع الثياب عريت من محاسنه لأنه يزين الثياب بحسنه ، وإذا عرى عن الثوب كان مكسوا بالحسن .
(٢) الأعكان : الأطواء فى بطن الجارية ، من السمن ، وهى جمع عكن ، جمع عكنة ، وتمكن بطن الجارية . يقول : إن المسك يحبه كالمستهام به ويلتف عليه حتى يصير للمسك أعكانا على أعكان بطنه .

(٣) يقول . كنت أشفق - أخاف - على عيني من البكاء ، أما وقد افترقنا فقد هان على كل عزيز لبعدهم ، يعنى أن يهون عليه فقد البصر فى البكاء على فراقهم ، وهذا منقول من قول أبى نواس فى الأمين :

وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ
وأخذه أبو نواس من قول امرأة من العرب :

كُنْتُ السَّوَادَ لِلنَّاطِرِ قَمَلَيْكَ يَبْكِي النَّاطِرُ
مَنْ شَاءَ بِمَدَّكَ فَلَيْمْتُ قَمَلَيْكَ كُنْتُ أَحْذَرُ

(٢٣ التنبي - ٤)

تَهْدِي الْبَوَارِقُ أَخْلَافَ الْمِيَاهِ لَكُمْ وَلِلْمُحِبِّ مِنَ التَّذْكَارِ نِيرَانًا^(١)
 إِذَا قَدِمْتُ عَلَى الْأَهْوَالِ شَيْعِي قَلْبٌ إِذَا شِئْتُ أَنْ يَسْلَاكُمْ خَانًا^(٢)
 أَبْدُو فَيَسْجُدُ مَنْ بِالشَّوْءِ يَذْكُرُنِي وَلَا أَعَاتِبُهُ صَفْحًا وَإِهْوَانًا^(٣)
 وَهَكَذَا كُنْتُ فِي أَهْلِي وَفِي وَطَنِي إِنَّ النَّفِيسَ غَرِيبٌ حَيْنَمَا كَانَ^(٤)
 مُحْسَدُ الْفَضْلِ مَكْذُوبٌ عَلَى أَثَرِي أَلْقَى الْكَمِيَّ وَيَلْقَانِي إِذَا حَانَ^(٥)

(١) البوارق: السحاب ذوات البرق . والأخلاف: الضروع ، واستعار للمياه
 أخلافا لأنها تغزو النبات كما تغزو الأم بالإرضاع ولدها . يقول: إذا برقت السحاب
 بشرتكم بالفطر - للطير - فهي تهدي إليكم الماء وتنت لكم الكلال وتهدي للمحب نيرانا
 أي تذكي نيران شوق - لأنها تلمع من جانبكم الذي ارتحلتم إليه فيتجدد بها شوق ،
 (٢) قدمت - بفتح الدال - تخدمت ، وبكسر ها : وردت . وشيئني: تبعني؛ وأسلاكم
 مثل أسلوكم : يقول: قلبي يتبعني ويطيعني في كل هول إلا على السلو ، فإنه لا يطيعني
 وإنما يخونني ؛ وفيه نظر إلى قول البحرى:
 أَحْنُو عَلَيْكَ وَفِي فَوَادِي لَوْعَةٍ وَأَصْدُ عَنْكَ وَوَجْهٌ وَدِّي مُقْبِلُ
 وَإِذَا طَلَبْتُ وَصَالَ غَيْرِكَ رَدِّي وَلَهُ عَلَيْكَ وَشَافِعُ لَكَ أَوَّلُ
 (٣) الصفع: الإعراض . والإهوان: الإهانة - أخرجه على الأصل للضرورة ،
 كما قال الآخر :

صَدَدْتُ فَأَطُولُ الصَّدُودَ وَقَلَمًا وَصَالَ حَتَّى طُولِ الصَّدُودِ يَدُومُ
 (يريد: فأطلت فجاء به على الأصل) . يقول: إذا ظهرت لمن يذكركني بالسوء في
 غيبتي عظمي وخضع لي ، وأنا أعرض عن عتابه إعراضا عنه واحتقار له ، لأنه لا يقدر
 أن ينظر إلى في حضرتي .
 (٤) يقول: وكنت وأنا في وطني وبين أهلي غريبا قليل المرافق والمساعد ، ثم قال
 وكذلك النفيس العزيز: غريب حيث كان ، ولو في وطنه وبين أهله لأن هذه الغربة
 إنما هي لفقد النظير ، لا لفقد النسيب ؛ قال أبو تمام:

غَرَبَتْهُ الْعُلَى عَلَى كَثَرَةِ الْأُمِّ لِي فَأُضْحَى فِي الْأَقْرَبِينَ جَنِيْبَا
 فَلَيْطُلُ عُمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي مَرٍّ وَمُقِيمًا بِهَا لَمَاتَ غَرِيبًا
 (٥) محسد: خبر مبتدأ محذوف: أي أنا محسد الفضل؛ والمحسد: من يحسد كثيرا

لَا أَشْرَبُ إِلَى مَالٍ يَفْتُ طَمَعًا وَلَا أُشْرِبُ إِلَى مَالٍ يَفْتُ طَمَعًا
وَلَا أُشْرِبُ بِمَا غَيْرِي الْحَمِيدُ بِهِ وَلَوْ حَلَّتْ إِلَى الدَّهْرِ مَلَانًا^(١)
لَا يَجْذِبُنِي رِكَابِي نَحْوَهُ أَحَدٌ مَا دُمْتُ حَيًّا وَمَا قَلَقُنِي كِيرَانًا^(٢)
لَوْ اسْتَطَعْتُ رَكِبْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ إِلَى سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بُعْرَانًا^(٣)

والكمي : البطل المستتر بسلاحه . وحان حينه : قرب أجله . يقول أنا محسود الفضل في كل مكان ويكذب على إذا قت وخرجت من مشهد وجمع والشجاع إذا حان حينه لقي في المعركة ؛ فقله مكذوب على أرى : أي يكذب على أعدائي على أثرى وخلقى ووقت خروجي من محفل ، وهو من قول البرج التغلبي :

يَفْتَكِبُ عِرْضِي خَالِيًا وَإِذَا تَلَاَقَيْنَا اقْشَعِرْ

وقال سويد بن أبي كاهل :

وَيُحْيِيْنِي إِذَا لَا قَيْتَهُ وَإِذَا يَخْلُو لَهُ لَحْمِي رَتَعُ

(١) أشرب إلى الشيء : تطلع نحوه ؛ ومن كلمة لعائشة رضى الله عنها : « أشرب النفاق وارتدت العرب » ، قال أبو الوليد : أشرب ارتفع وعلاوكل رافع رأسه مفرج وأنشد لقي الرمة يصف الظبية ورفمها رأسها :

ذَكَرْتُكَ إِذْ مَرَّتْ بِنَا أُمُّ شَادِنٍ أُمَامَ الْمَطَايَا تَشْرِبُ وَتَسْنَحُ

وحسران : فعلان من الحسرة : يقول : لا أنطلع إلى مال يفت من الدنيا ، ولا أنحسر على ما فات : أي لا أبالي بالدنيا ، فلا أنطلع إلى شيء ، ولا أنحسر على شيء ، وفيه نظر إلى قول الآخر :

إِنَّ الْفَنَى الَّذِي يَرْضَى بِعَيْشَتِهِ لَا مَنْ يَظَالُ عَلَى مَا فَاتَ مُكْتَنِبًا

(٢) الحميد : الحمود . يقول : لا أسر بالشيء الذي آخذ من غيري ، لأنه هو الحمود على إعطائه ، ونفسى تأبى ذلك ، ولو ملأت الدهر لي عطايا :

(٣) الركاب : الإبل . وقلقلن : حركن . والكيران : جمع كور ، وهو رحل الجمل يقول : لا أقصد أحدا ما حييت وما حركت ركابي أكوارها ، يعني ليس هناك من يستحق أن أقصده وأتبع إليه . قال العكبري : هذا قوله وقد قصد بعد هذا جماعة ، بل يشهد له آخر الشعر ...

(٤) بعرا : جمع بعير ، وهو حال من « الناس » . يريد بالناس : جماعة بأعيانهم

فَالْعَيْسُ أَهْقَلُ مِنْ قَوْمِ رَأَيْتُهُمْ عَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْإِحْسَانِ عُيْمَانًا^(١)
 ذَاكَ الْجَوَادُ وَإِنْ قُلَّ الْجَوَادُ لَهُ ذَاكَ الشُّجَاعُ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ أَقْرَانًا^(٢)
 ذَاكَ الْمَعْدُ الَّذِي تَقْنُو يَدَاهُ لَنَا فَلَوْ أَصِيبَ بِشَيْءٍ مِنْهُ عَزَانًا^(٣)

كما يدل على ذلك البيت التالي . قال الواحدى : يقول : لو قدرت لأظهرت ما وراء
 ظواهرهم من المعاني البهيمية وإظهار ذلك بإجرائهم مجرى سائر الحيوان بالركوب ،
 وإنما كنت أفعل ذلك لأنه لا عقل لهم ، قال صاحب ابن عباد ينقد المتنبي : أراد أن
 يزيد على الشعراء في ذكر اللطايا ، فأتى بأخزى الحزايا ، قال : ومن الناس أمه ، فهل
 ينشط لركوبها ؟ وللمدوح أيضا عصبه لا يجب أن يركبوا إليه . قال الواحدى : وليس
 الأمر على ما قال . لأن الشاعر إذا ذكر الناس فإنه يخرج من جملتهم كثيرا من الناس
 كما قال السرى الرفاء :

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ حَيًّا وَمَيِّتًا

أَسِيرَ تَقْيِفٍ عِنْدَهُمْ فِي السَّلَاسِلِ

لم يفضل السرى أحداً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بهذا البيت . وإن
 كان قد أكد بقوله حياً وميتاً . على أن المتنبي خصص في البيت التالي .

(١) العيس : الإبل البيض . وعما : متعلق بعيماناً ؛ و « عيماناً » مفعول ثانٍ لرأيت
 وفاعل يراه : ضمير المدح . يقول : الإبل أعقل من قوم وجدتهم قد عموا عما رآه
 هذا المدح من الإحسان فلم يهتدوا لفعله ، وقد ظهر بهذا البيت أنه إنما يمتنطى من
 الناس اللثام الذين عموا عن طريق الإحسان ، فلم يروا منه ما رآه المدح .

(٢) الجواد : السخى الذى يجود بماله ، والأقران : جمع قرن . بكسر القاف . وهو
 الكف في الحرب . يقول : لا يمكننا أن نصفه في جوده بصفة فوق الجواد وإن كان
 لفظ الجواد قليلا عليه ، وهو الشجاع وإن كان لا يرضى له قربنا بمن يقال لهم شجعان
 يعنى أنه فوق كل جواد وفوق كل شجاع ، وإن قل أن يقال له أنت الجواد وأنت الشجاع
 إذ لا يكفى أن يوصف بما يوصف به غيره .

(٣) المعد : المهيء الشيء لوقت الحاجة . وتقنو : أى تقنى — يقال قنوت الشيء
 أقنوه قنوا — وعزيت الرجل : سلبته عن حزنه . يقول : إن ما جمعه من المال يقتنيه
 إنما يقتنيه للشعراء والوافدين ، فلو أصيب بشيء من ذلك للمال عزاناً ، لأن ذلك للمال لنا
 وإن كان في يده .

خَفَ الزَّمَانُ عَلَى أَطْرَافِ أَمَلِهِ حَتَّى تَوَهَّمَنَ لِلْأَزْمَانِ أَرْمَانًا^(١)
يَلْقَى الْوَعَى وَالْفَنَاءَ وَالنَّازِلَاتِ بِهِ

وَالسَّيْفَ وَالضَّيْفَ رَحِبَ الْبَاعِ جَذَلَانًا^(٢)
تَحَاَلَهُ مِنْ ذِكَاةِ الْقَلْبِ مُحْتَبِيًا وَمِنْ تَكْرُمِهِ وَالْبَشْرِ نَشْوَانًا^(٣)
وَتَسَحَّبُ الْحَبْرَ الْقَيْنَاتُ رَافِلَةً فِي جُودِهِ وَتَجْرُ الْخَيْلُ أَرْسَانًا^(٤)
يُعْطَى الْمُبَشِّرُ بِالْقَصَادِ قَبْلَهُمْ كَمَنْ يُبَشِّرُهُ بِالْمَاءِ عَطْشَانًا^(٥)
جَزَتْ بَنِي الْحَسَنِ الْحُسْنَى فَإِنَّهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مِثْلُهُمْ فِي الْغَرِّ عَدْنَانًا^(٦)

(١) الأمل : أطراف الأصابع . يقول : إن الزمان في يده ونحت تصرفه فهو يصرفه على إرادته ، فكأن أمانه أزمان للأزمان لتقليبها إياها ، والزمان يقلب الأحوال وأمانه تقلب الزمان ، فكأنها زمان للزمان .

(٢) الوعى : الحرب ؛ والقنا : الرماح ؛ والنازلات : حوادث الدهر تنزل بالإنسان ورحب الباع : واسع الصدر ، وجذلانا : فرحا مستبشرا . يقول : هو شجاع جلد يلقى الأمور الصعاب فرحاً مسروراً .

(٣) محتبياً : متوقداً شديد الحرارة ، والبشر : طلاقة الوجه وتهله والنشوان : السكران . يقول : لحدة قلبه وذكائه كأنه متوقد ، ومن كرمه وتهلل وجهه كأنه سكران .

(٤) الحبر : جمع حبرة — بكسر ففتح — وهي ثياب تعمل في اليمن ، والقينات : جمع قينة وهي الجارية للفتنة ، ورفل في ثيابه يرفل . إذا أطالها وجراها متبخترا .

والأرسان : جمع رسن ، وهو الحبل . يقول : إن جميع ما تنفقه هو من ماله ، فماتلبسه الجوارى وترفل فيه من ثياب الحسن فهو من جوده ، وكذلك ما تجر خيلنا من الأرسان

(٥) عطشاناً : حال من « الماء » في يبشره . يقول : من يبشره بالزوار والعفاة

قبل إتيانهم يعطيه لبشارته كما يعطى من يبشره بالماء وهو عطشان ، يعنى : أنه يعطى القصاد ويعطى الذى بشرهم من قبلهم أيضاً لشدة كرمه وارتياحه للبدل ؛ ولعله ينظر إلى قول أبي تمام :

يُبَشِّرُهُ خَدَامُهُ بِمِفَاتِهِ كَمَا بَشَّرَ الظُّنَّانَ بِالْمَاءِ وَاشِلُهُ

« وشل الماء وشلا فهو واشل : سال أو قطر ؛ وجبل واشل : يقطر منه الماء ؛

والوشل : الماء القليل والماء الكثير ، فهو من الأضداد :

(٦) الضمير في « مثلهم » عائد على القوم . والغر : جمع الأغر ، وهو السيد الشريف .

مَا شَهِدَ اللَّهُ مِنْ مَجْدٍ لِسَالِفِهِمْ إِلَّا وَتَحْنُ نَرَاهُ فِيهِمْ. (١)
 إِنْ كُوتِبُوا أَوْ لُقُوا أَوْ حُورِبُوا وَجِدُوا فِي الْخَطِّ وَاللَّفْظِ وَالْهَيْجَاءِ فُرْسَانًا (٢)
 كَأَنَّ أَلْسِنَهُمْ فِي النَّطْقِ قَدْ جُمِلَتْ عَلَى رِمَاحِهِمْ فِي الطَّمَنِ خِرْصَانًا (٣)
 كَأَنَّهُمْ يَرِدُونَ الْمَوْتَ مِنْ ظُلْمٍ أَوْ يَنْشَقُونَ مِنَ الْخَطِ رِيحَانًا (٤)

وعدنانا : بدل من الفر . قال ابن جني : كان للمدوح من ولد الحسن بن علي عليها السلام . والحسنى : ضد السواى . وقالوا : للمراد بها الجنة يقول : كانت الحسنى جزاء لهم ، فإنهم في قومهم مثل قومهم في عدنان الفر ؛ يعنى أنهم خير قومهم ، وقومهم خير عدنان ، وهذا من قوله تعالى « فله جزاء الحسنى » .

(١) يقول إنهم حماة المجد حافظوا على شرف آبائهم وأحسابهم فلم يهدموه ولم يضيعوا شيئا منه فهو فهمهم الآن كما كان قديما . وأصل التشديد والإشادة إحكام البناء ورفعها ، فاستعير لرفع الصوت ؛ يقال أشاد بذكره : أى رفع من قدره وأشاعه ، أفرد به الجوهري الخير ، وذهب غيره من أهل اللغة إلى أنه يقال أشاد فلان بذكر فلان في الخير والشر والمدح والذم إذا شهره ورفعوه والسالف : واحد السلف ، وهم الذين مضوا .

(٢) قال الواحدى : هذا تفصيل ما أجمله في البيت الذى قبله : يعنى أنهم كتاب فضلاء شجعان كآبائهم فهم فرسان الكتابة والبلاغة والحرب ، وليس يريد بقوله لقوا ملاقاته الاقتران في القتال ، لأنه ذكر الحرب بعده ، إنما يريد ملاقاته الاقتران في الخطابة والمكاملة .

(٣) الحرصان : جمع خرص ، وهو حلقة السنان ، والمراد بها هنا : الألسنة نفسها . يقول : إن ألسنتهم ماضية نافذة مضاء ألسنتهم في النطق . فكان ألسنتهم قد جعلت خرصانا على رماحهم . فهو كما ترى أراد تشبيه الألسنة ، فمكس التشبيه وحول وجه الكلام مبالغة في مضاء الألسنة وذلاقتها حتى صارت الألسنة تشبه بها هذا منقول من قول البحرى :

وَإِذَا تَأَلَّقَ فِي النَّدَى كَلَامُهُ أَلْ مَصْقُولُ خِلَتْ لِسَانُهُ مِنْ عَضْبِهِ
 (٤) الظما : العطش ؛ وينشقون : يشمون ؛ والخطى : الرمح ، نسبة إلى الخط ، موضع بالجمامة . يقول : لسهولة الحرب عليهم واسترواحهم إليها صار الموت عندهم قديذا كالماء للظمان ؛ وصارت الرماح شبيهة كالريحان الذى يشم وهذا بسبيل من قول البحرى :

الْكَاثِبِينَ لِمَنْ أَبْنَى عَدَاوَتَهُ أَعْدَى الْعَدَا وَلِمَنْ آخَيْتُ إِخْوَانًا^(١)
خَلَائِقُ لَوْ حَوَّاهَا الزَّنَجُ لَا تَقْلِبُوا ظَمَى الشَّفَاءِ حَمَادَ الشَّعْرِ غُرًّا^(٢)
وَأَنْفُسُ يَلْعَبِيَّاتٍ تُحْمِيهِمْ لَهَا اضْطِرَارًا وَلَوْ أَقْصَوْكَ شَفَانَا^(٣)

يَتَزَاخَمُونَ عَلَى الْقَتَالِ لَدَى الْوَعَى كَتَزَاخَمَ الْإِبِلِ الْعِطَاشُ بِمُورِدِ
(١) نصب « الكاثنين » على « المدح » كأنه قال: أمدح ، أو أعنى . وأعدى العدى
خبر الكاثنين . وهذا مثل قول البحترى :

أَخْ لِي لَا يَذْنِي الَّذِي أَنَا مُبْعِدٌ لَشَيْءٍ وَلَا يَرْضَى الَّذِي أَنَا سَاخِطٌ
(١) خلائق : خبر مبتدأ محذوف : أى هذه خلائق ؛ والخلائق : جمع خليفة ،
وهى السجية ؛ والزنج : جيل من السودان وظمى الشفاء : دقاق الشفاء مع سمرة
كأنها لم ترنو فتغلظ ؛ والزنجي يوصف بغلظ الشفاء حتى شبهوها بمسافر الإبل ،
قال الفرزدق :

فَلَوْ كُنْتَ ضَبِيًّا عَرَفْتَ قَرَابِي وَلَكِنْ زَنْجِيًّا عَظِيمَ الْمَشَافِرِ^(١)
وغران : جمع أغر . وهو الأبيض المشرق ؛ والجعد من الشعر : خلاف للسترسل .
يقول : إنهم قوم لهم محامد وخصال جميلة لو حواها الزنج على قبج صورهم لفظت
هذا القبح وصاروا عند الناس كمن خلقهم خلقة حسنة ، وصاروا مع سوادهم كأنهم
بيض ، ومع غلظ مشافهم كأنهم ظمى الشفاء . وعبرة بعض الشعراء : هذه الخلائق
الشريفة لا تعرف إلا فى كرام الناس وساداتهم فلو حواها الزنج على ما يعرفون به من
الحسة والهمجية لصيرتهم كراما يبيض الجلود حسان الصور ، قال ابن القطاع : قد أخذ
عليه فى هذا البيت قوله « جماد الشعر » إذ كأنه قال : لا تقلبوا من الجمودة إلى
الجمودة ، لأن شعور الزنج جماد ، قال : والمعنى أنهم انقلبوا إلى حد الاعتدال لأن
شعور الزنج زائدة الجمودة .

(٣) أنفس : معطوف على « خلائق » واليلمى : الألمى الحاد الفطنة . وقوله لها :
أى لأجلها ؛ وأقصوك : أبعدوك ؛ والشئان : البغض ، يحرك ويسكن . يقول : ولهم

(١) هبما الفرزدق رجلا من ضبة فنفاه عنها ونسبه إلى الزنج ، وأصل للشعر
للبيهر . واستعاره للانسان لما قصد من تشنيع الخلق ، والقرابة التى بين ضبة وبينه أنه
من نعيم بن مر بن أد بن طابخة ، وضبة هو أبو أد بن طابخة .

الْوَضِيعِينَ أَبْوَاتٍ وَأَجْبِنَةً وَوَالِدَاتٍ وَأَلْبَابًا وَأَذْهَانًا^(١)
يَا صَائِدَ الْجَحْفَلِ لِلرَّهْوبِ جَانِبُهُ إِنَّ الْيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أَحْدَانًا^(٢)
وَوَاهِبًا كُلُّ وَقْتٍ وَقْتُ نَائِلِهِ وَإِنَّمَا يَهَبُ الْوُهَابُ أَحْيَانًا^(٣)
أَنْتَ الَّذِي سَبَكَ الْأَمْوَالَ مَكْرُمَةً ثُمَّ اتَّخَذْتَ لَهَا السُّؤَالَ خَزَانًا^(٤)
عَلَيْكَ مِنْكَ إِذَا أُخْلِيَتْ مُرْتَقِبٌ لَمْ تَأْتِ فِي السَّرِّ مَالَمَ تَأْتِ إِعْلَانًا^(٥)

أنفس ذكية فطنة تحبهم - أيها المخاطب - لأجلها ضرورة ، ولو أبعدوك بفضالك ؛
يعنى أن من عادوه يحبهم ، لما فيهم من الفطانة ، فحبهم ضرورة .

(١) الواضعين : نصب على الدح : أى اذكر ، أو أعنى ، ونحوها . والأبوة :
مصدر الأب ، يريد الآباء ؛ والأجينة : جمع جبين ؛ والألباب : جمع لب ، العقل ،
يقول : هم معروفو الآباء ، وأنسابهم طاهرة ، ووجوههم حسنة جميلة - أو متهلة -
كرما ، مشرقو العقول والأذهان . يقال فلان واضح الجبين : إذا كان حسن النظر
بها ، كما قال ابن غنمة :

• كَانَ جَبِينُهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ •

(٢) الجحفل : الجيش العظيم . وأحدانا : جمع واحد ، وأصله وحدان . يقول :
أنت تصيد الجيش كله واليـث يصيد الناس واحداً واحداً ، فأنت أشد بطشاً من اليـث .
(٣) كل وقت : مبتدأ خبره وقت نائله والجملة صفة لواهباً ؛ والنائل : العطاء .
الوهاب : جمع واهب ، وقد روى بفتح الواو ، صيغة مبالغة . يقول : إن الأجواد
يجودون الحين بعد الحين ، وأنت جواد تجود كل الأوقات .

(٤) السبك : الإذابة والإفراغ ؛ ومكرمة : مفعول ثان لسبك - على تضمينه معنى
حول - وللمكرمة فعل السكرم : يقول : إنه سبك أمواله وأحاطها مكارم ثم جعلها فى أيدى
العفاة فكانه اتخذهم خزاناً لأمواله . وعبرة الواحدى : سبك الأموال - أى جمعها
وصفها واستخلصها - ثم اتخذ السؤال خزاناً مكرمة ، أى سلمها إليهم كما يسلم المال إلى
الخازن ، وهذا من قول البحرى :

جُلِّ مِنْ مَلْهُ يَشْكُكُنْ فِي الْقَوِّ مِ أَمْ مُجْتَدُوهُ أَمْ خَزَانُهُ^(١)

(٥) أخليت : يروى بالبناء المجهول - أى وجدت خالياً - ويروى بفتح المحزة :

(١) الأها : جمع لهوة ، العطية ، وقيل أفضل العطايا وأجزلها .

لَا أُسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ أَنَا الَّذِي نَأَمَّ إِنَّ نَبَّهْتُ يَنْظُرَانَا^(١)
فَإِنَّ مِثْلَكَ بَاهِيْتُ السَّكْرَامَ بِهِ وَرَدَّ سُخْطًا عَلَى الْإِيَّامِ رِضْوَانَا^(٢)
وَأَنْتَ أَبْعَدُهُمْ ذِكْرًا وَكِبْرُهُمْ قَدَّرَا وَارْفَعَهُمْ فِي الْمَجْدِ بُنْيَانَا
قَدْ شَرَّفَ اللَّهُ أَرْضًا أَنْتَ سَاكِهَا وَشَرَّفَ النَّاسَ إِذْ سَوَّاكَ إِنْسَانَا^(٣)

أى صادفت مكانا خاليا ، كما يقال أ كذبت : أى صادفته كذابا ، وأجبت : صادفته جيانا والمرتب : الرقيب . يقول : لست تفعل فى الخلا ما لا تفعله فى الملا ، وفى السر ما لا تفعله فى العلان ؛ فلك من نفسك رقيب عليك ؛ وهذا ينظر إلى قول عبد الله بن الدمينه :

وَأَمَّا لَأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّمَا عَلَى بَظْهِرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) يقول : لقد بلغت الغاية فى السكر . فلو أنى استزدتك كرما كنت جاهلا محلك من السكر . وكنت كمن به يعظان واليعظان لا ينه ، كذلك أنت لاستزداد كرما ، قال العكبرى : إنما قال نام ولم يقل نمت ، لأنه لما كان فى الضمير ذم لم يردده إلى نفسه ، وهذا من أدق ما فى شعره وأدله على حكمه واستيلائه على نصب السبق فى شعره ، ولولا تاملت شعره لوجدت فيه كثيرا من هذا ، وإذا كان فى الضمير مدح أعاده إلى نفسه ، ألا ترى إلى قوله :

* وَأَمَّا لِيَنَّ قَوْمٌ كَأَنَّ نَفُوسَنَا *

فأعاد الضمير إليه ولم يقل « نفوسهم » ؛ وهذا من البلاغة والحدق .
(٢) باهيت : فاخرت ؛ والسخط : ضد الرضى . ورضوانا مصدر ، يقال بكسر الراء وضما . يقول : مثلك من أواخر السكرام به لأنهم يقصرون عن مدى مكارمه ، ومثلك يرد الساخط على الأيام راضيا ، بإحسانك وإنعامك .

(٣) قال ابن جنى : لا يعجبنى قوله سواك لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ولو قال أنشاك أو نحوه لكان أليق . قال العروضى : سبحان الله : أنلىق هذه اللفظة بشرف القرآن ولا تطبيق بلفظ للتنبى ؛ قال الله تعالى : « الذى خلق فسوى » وقال « بشرا سويا » وقال « فسواك فعدلك » وقال « ثم سواك رجلا » . قال ابن فورجه : قرأت على أبى العلاء للمعرى ومزنته فى الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب فقلت له يوما فى كلمة : ما ضرابا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى أوردتها فأبان لى عوار الكلمة التى ظفنتها ثم قال لى : لا تظنن أنك تقدر على إبدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها ، فحرب إن كنت مرتابا ، وما أنا أجرب ذلك منذ هذا العهد ، فلم أعثر بكلمة لو أبدلتها بأخرى كان أليق بمكانها ؛ وليجرب من لم يصدق بحمد الأمر على ما أقول :

وقال في مجلس أبي محمد بن طنج وفد أقبل الليل وهما في بستان :

رَالِ النَّهَارُ وَنُورٌ مِنْكَ يُوهِمُنَا أَنْ لَمْ يَزَلْ وَلِجْنَحِ اللَّيْلِ لِمَجْنَانٍ^(١)
فَإِنْ يَكُنْ طَلَبُ الْبُسْتَانِ يُمَسِّكُنَا فَرُحْ فَكُلُّ مَكَانٍ مِنْكَ بُسْتَانٍ^(٢)

وقال في بطيخة من الند في غشاء من الخيزران عليها قلادة لؤلؤ وعلى رأسها
عنبر قد أدير حولها كانت في يد أبي العشائر^(*) :

مَا أَنَا وَالتَّمَرُ وَبَطِيخَةٌ سَوْدَاهُ فِي قَشْرِ مِنَ الْخَيْزُرَانِ^(٣)

(١) جنح الليل — بضم الجيم وكسرها — طائفة منه ؛ وجنوح الليل : إقباله
وجنه الليل وأجنه : ستره . يقول : إذا أبصرنا نور وجهك ظننا أن النهار باق لم يزل،
مع أن الليل قد أظلم .

(٢) يقول : إن كنا إنما نبقى في هذا البستان رغبة في البستان فسر منه ، فكل
مكان كنت فيه فهو بستان بك .

(*) قد تقدمت قطع أخرى في هذه البطيخة .

(٣) من رفع « الحجر » عطفه على « أنا » ومن نصب : جعل الواو بمعنى « مع »
وإعراب بطيخة : إعراب الحجر ، وأنشدوا :

يَا زَبْرَقَانُ أَخَا بَنِي خَلْفٍ مَا أَنْتَ وَيَبَ أَيْكَ وَالْفَخْرُ^(١)
وقال المذلي :

فَمَا أَنَا وَالسَّيْرُ فِي مَتَافٍ يُبْرِحُ بِالذِّكْرِ الضَّابِطِ^(٢)

(١) للمخبل السعدي ، وبعده :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا فِي بَنِي خَافٍ كَالِإِسْكَنْتَيْنِ عَلَاهُمَا الْبُظْرُ

ومعنى ويب أليك : التصغير له والتحقير ، وبنو خاف : رهط الزبرقان بن بدر .
يقول : من ساد مثل قومك فلا غر له في سيادتهم ، وشبههم إذا اجتمعوا حوله
بالظرتين الإسكنتين والإسكنا — بكسر الهمزة — جانب الفرج ، والشاهد رفع الفخر .

(٢) المتلف : المفازة ، والتبرج : للشقة ، وأراد بالذكرا جملا . لأن الذكر أقوى
من الناقة ، والضابط القوى . يقول : مالى أعجم للشاق بالسير في الفلوات للفتنة ، والشاهد
نصب السير « أنظر شرح ابن عيش للمفصل باب المفعول معه » .

يَشْفُلْنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا تَوَطِّئِي النَّفْسَ لِيَوْمِ الطَّعْمَانِ^(١)
وَكُلُّهُ نَجْلَاءٌ لَهَا صَائِكَ يَخْضُبُ مَا بَيْنَ يَدَيِ وَالسَّنَانِ^(٢)

* * *

وقال وقد بلغ أبا الطيب أن قوماً نموه في مجلس سيف الدولة بحلب وهو بمصر :
يَمِ التَّعْتَلُّ لَا أَهْلٌ وَلَا وَطَنُ وَلَا نَدِيمٌ وَلَا كَأْسٌ وَلَا سَكَنٌ^(٣)

وقد جعل غلاف البطيخة قفراً لها ، والخيزران قال ابن سيده : نبات لين
القضبان ، أملس العيدان لا ينبت ببلاد العرب ، إنما ينبت ببلاد الروم ، ولذلك
قال النابغة الجعدي :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادُهُمْ بِلَادُ الْخَيْرَانِ
وذلك أنه كان بالبادية ، وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر ، وقيل أراد
أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم ، وقيل هو شجر وهو عروق القناة . والخيزران :
الرياح لتثنيها ولينها . قال العكبري : والعرب تجعل العرق خيزرانة قال شاعرهم
يصف حمامة :

هَتُوفٌ دَعَتْ أُخْرَى حَتَّى خَيْرَانَةٍ يَكَادُ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لِيْنِهَا
هتفت الحمامة : ناحت ؛ وحمامة هتوف : كثيرة الهتاف .

(١) وطن نفسه للأمر : ذلها ومهدا . يقول : مالي ولهذه البطيخة : إني مشغول
عنها وعن غيرها بتوطين نفسي للضرب والطعن يوم الطعن .

(٢) كل - بالرفع - عطف على توطئتي ؛ ومن خفضه عطفه على الطعمان ؛ والنجلاء
الواسعة ، وصائك : لازق - صاك به الطيب بصيك : إذا لصق به ، قال الأعشى :

وَمِثْلُكَ مُعْجَبَةٌ بِالشَّبَابِ وَصَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْلَادِهَا

« أجداد الإنسان وتجايله : جسمه وبدنه ، لأن الجلد يحيط بهما ، وجمع الأجداد :
أجداد ، وهي الأجسام والأشخاص » . يقول : ويشغلني كل طعنة واسعة يسيل منها دم
يلصق بالمطعون ويخضب القناة من يدي إلى السنان .

(٣) بم : أي بماذا ، حذف « ما » لدخول الجار عليها ، وقد سبق أن بسطنا القول
في مثل ذلك . وتعلل بالشيء تلهم به . والسكن : الصاحب ، وكل ما تسكن إليه أما
السكن - بسكون الكاف - فأهل الدار اسم لجمع ما كن كشارب وشرب ، أنشد
الجوهري لذي الرمة :

أُرِيدُ مِنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ مِنْ نَفْسِهِ الزَّمَنُ^(١)
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مُكْتَرِثٍ مَا دَامَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدَنُ^(٢)
فَمَا يَدُومُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ وَلَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْفَائِتَ الْحَزَنُ^(٣)

فَيَا كَرَمَ السَّكَنِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا عَنْ الدَّارِ وَالْمُسْتَخْلَفِ الْمُتَبَدِّلِ^(١)
يشكو الزمان يقول : بأى شيء أعلل نفسي وأنا بعيد عن أهلى ووطنى ، وليس لى
شيء الهوى به ولا أحد أسكن إليه . قال العكبرى : وكتب رجل إلى امرأته من مصر ، وهى
يغداد مستشهدا بهذا البيت ، فكتبت إليه : لست كما قلت ، وإنما أنت كما قال صاحب
هذه القصيدة :

سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلِي وَخَشَّةَ لَكُمْ مُنَّمُ اسْتَمَرَّ مَرِيرِي وَازْعَوَى الْوَسَنُ^(٢)
(١) يقول : إن همته أعلى من أن يكون فى وسع الزمان البلوغ إليها وهو يتعنى
على الزمان أن يبلغه همته . قالوا . ويجوز أن يكون المعنى : أطلب من الزمان استقامة
الأحوال والزمان لا يبلغ هذا من نفسه ، لأنه لا يثبت على حال ، ويجوز أن يريد أنه
يطلب الزمان بأن يغلبه من الأضداد ، والزمان ليس يبلغ هذا من نفسه ، فإن الليل
والنهار كالتضادين ، ويجوز أن يريد : إنى أقترح على الزمان الاستبقاء وهو لم ينل فى نفسه
البقاء ، فيكون قد ألم بقول البحرى :

تُنَابُ النَّائِبَاتُ إِذَا تَنَاهَتْ وَيَذْمُرُ فِي تَعَرُّفِهِ الزَّمَانُ^(١)
(٢) يقول : مادمت حيا فلا تبال بالزمان وصروفه ونوائبه ، فإنها تزول ولا تبقى ،
والذى لا عوض منه إذا فات هو الروح فقط .

(٣) هذا تأكيد للذى قبله . يقول : لا تبال بما يحدثه لك الدهر ، فإن للفروح به
لا يدوم فرحه ، لأنه لا يدوم ، والحزن على الغائب لا يردده إليك هذه رواية الواحدى ،
وتبعه العكبرى ، وعلى هذا فسرور : مضاف إلى ما بعده ، قال بعضهم : وهومن التجوزات
للاستقبة فى الوزن ، ومن ثم قال ولعل الأظهر :

* فَمَا يَدِيمُ سُرُورُ مَا سُرِرْتَ بِهِ *

(١) قوله فيا كرم : يتعجب من كرمهم ، والاستخفاف للتبدل : قال ابن برى أى
صار خلفا وبدلا للظباء والبقر .
(٢) انظر هذا البيت فى هذه القصيدة .

يَمَّا أَضَرَ بِأَهْلِ الْعِشْقِ أَنَّهُمْ هَوُوا وَمَا عَرَفُوا الدُّنْيَا وَمَا فَطَنُوا^(١)
تَفَنَّى عِيُونُهُمْ دَنَمًا وَأَنفُسُهُمْ فِي لُزْ كُلِّ قَبِيحٍ وَجِبْهُ حَسَنٌ^(٢)
تَحَمَّلُوا حَمَلَتَكُمْ كُلُّ نَاجِيَةٍ فَكُلُّ بَيْنٍ عَلَى الْيَوْمِ مُؤْتَمَنٌ^(٣)
مَا فِي هَوَادِجِكُمْ مِنْ مُنْجَى عَوْضٍ إِنْ مِتُّ شَوْقًا وَلَا فِيهَا لَهَا تَمَنٌ^(٤)
يَا مَنْ نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجْلِسِهِ كُلُّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرْتَمَنٌ^(٥)

قال : وهو ما يقتضيه التطابق بين شطري البيت . يقول : المتنبي سرورك بالشئ لا يديمه عليك ؛ لأن كل شئ زائل ، فكذلك حزنك عليه بعد زواله لا يبرده ، لأن ما فات لا يعود .

(١) يقول : بما أضرب بالحسين أنهم أحبوا قبل أن يعرفوا الدنيا ويفطنوا لها ولأهلها وما طبعوا عليه من الغدر وعدم الإسعاف والمؤاكلة ، ولو هم فطنوا لذلك ما أحبوا ولا أضاعوا أيامهم وأضنوا أنفسهم في سبيل من لا يستحق ذلك منهم . قال العكبري : وهو من قول الحكيم : العشق ضرورة داخلة على النفس ، والعاشق جاهل بتلك الضرورة وقول الواحدى : يعنى بأهل العشق الذين يعيشون الدنيا : تخصيص لا معنى له ، وتعميمه أنسب .
(٢) دمعاً مفعول لأجله ، وأنفسهم مبتدأ خبره ما بعده ، والجملة حال . يقول ليكون حق تفنى عيونهم بالبكاء وأنفسهم بالحزن على كل مستحسن في الظاهر قبيح عند الاختيار .
قال الواحدى - وتبعه العكبري - : يريد بذلك الدنيا ومتاعها ، قال العكبري : وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنِ عَذْوِي ثِيَابَ صَدِيقِ
(٣) تحملوا : أى ارتحلوا . والناجية : الناقة للسرعة . والدين : البعد والفراق وطى : متعلق بمؤمن . قال ابن جني : هذا تشبيب من يضر في نفسه عتياً وموجدة يقول : - لمن شبب بهم بعد القى ذكره من حال العاشق وللعشوق : ارتحلوا عني فإن الفراق اليوم - أى بعد اختباري لأحوال الدنيا وأهلها - مؤتمن على ، أى أَرْضَى بِحُكْمِهِ وَلَا تَضُرُّنِي غَائِلَتُهُ ، يعنى لا أحزن لفراقكم ، وقوله حملتكم كل ناجية دعاء بالبعد ، وفي الكلام تعريض لا يخفى .

(٤) الهودج : مركب النساء . واللجة : الروح . يقول : لستم أهلاً لأن تمذل فيكم الأرواح شوقاً إليكم ومحبة لكم . فليست تعرضوننى روحاً غيرها إذا ألفتها :
(٥) الناعون : جمع ناع ، وهو الذى يأتى بخبر الميت . وأصله أن العرب كانت إذا

كَمْ قَدْ قُتِلْتُ وَكَمْ قَدِمْتُ عِنْدَكُمْ ثُمَّ انْتَفَضْتُ فَرَأَى الْقَبْرُ وَالْكَفَنُ^(١)
قَدْ كَانَ شَاهِدًا دَفَنِي قَبْلَ قَوْلِهِمْ جَمَاعَةٌ ثُمَّ مَاتُوا قَبْلَ مَنْ دَفَنُوا^(٢)
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ تَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفُنُ^(٣)

مات منها من له قدر جليل ركب راكب فرسا وجعل يسير ويقول نعاء فلانا أى انعه ،
أى أظهر خبر وفاته ، قال الكميّ :

نَعَاءُ جُذَامًا غَيْرَ مَوْتٍ وَلَا قَتْلِ وَلَكِنْ فِرَاقًا لِلدَّعَائِمِ وَالْأَصْلِ^(١)

يقول : إني قد نعت بمجلسكم على البعد وكل أحد مرتين بالموت لا بد له منه فلا يفرح
أحد بنى أحد .

(١) يقول : كم قد أخبرتم بموتى وتحقق ذلك عنكم ، ثم بان الأمر بخلاف ذلك
فكأننى كنت ميتاً ثم خرجت من القبر ؟

(٢) قوله قبل قولهم : أى قبل قول الناعين . يريد أن قوما نعوه قبل هؤلاء وأخبروا
أنهم شاهدوا دفنه ثم ماتوا قبل المتنبى ، أى فقد بان كذبهم فيما ادعوا .

(٣) يقول : إن أعدائى يتمنون موتى ولكنهم لا يدركون ما يتمنون ، ثم ضرب
لذلك مثل السفن قال : إن السفن — يعنى أهلها — تشهى الرياح الموافقة لسيورها ،
ولكن الرياح كثيرا ما تجرى على غير ما تشهى . هذا : ويجوز فى كل — كما قال
العسكري — الرفع والنصب ، فالنصب بفعل مضمر ، يريد ما يدرك المرء كل ما يتمنى ،
فلما أضمر الفعل فسرّه بقوله يدركه كقولك ما زيدا ضربه فيختار النصب لأجل النفي
ومضارعة ، وهذا فى لغة تميم ، لأن « ما » عندهم غير عاملة ، فتجربى مجرى « لا »
فى نحو قول زهير :

(١) يقول الكميّ هذا منكراً على جذام انتسابها إلى عدى بن عمرو بن سبأ
ومؤاخذتها للخم بن عدى بن عمرو والسكيت من أسد بن خزيمة بن مدركة ، وكان
متعصباً لمضر وهاجياً لليمن ، وجذام فيما يزعم بعض النسابين قبيلة من ولد أسد بن
خزيمة لحقوا باليمن وانتسبوا إليهم فقال الكميّ محققاً لذلك : انع جذاما غير ميتين ولا
مقتولين ولكن مفارقين لأصلهم من مضر ومنسبين إلى غيرهم من اليمن

رَأَيْتُكُمْ لَا يَصُونُ الْعِرْضَ جَارُكُمْ وَلَا يَدِرُّ عَلَى مَرَعَاكُمْ اللَّيْنُ ^(١)
جَزَاهُ كُلُّ قَرِيبٍ مِنْكُمْ مَلَلٌ وَحَظُّ كُلِّ مُحِبٍّ مِنْكُمْ ضَغْنٌ ^(٢)
وَتَفْضُونُ عَلَى مَنْ نَالَ رِفْدَكُمْ حَتَّى يُعَاقِبَهُ التَّنْغِيصُ وَالْمِلْنُ ^(٣)

لَا الدَّارُ غَيْرَهَا بَعْدِي الْأُنَيْسُ وَلَا بِالْأَرَارِ لَوْ كَلَّمْتُ ذَا حَاجَةٍ صَمَمٌ ^(١)
أنشده سيدييه بنصب الدار لأجل حرف النني ، وأما أهل الحجاز فيرفعون « كل »
بهـ « ما » ، لأنها عاملة عندهم كليس ، ويكون الخبر « يدركه » ، ومثله ما أنشده سيدييه
لمزاحم العقيلي :

وَقَالُوا تَعْرِفُهَا الْمَنَازِلَ مِنْ مَنَى وَمَا كُلُّ مَنْ وَافَى مِنِّي أَنَا عَارِفٌ ^(٢)
أنشده بالرفع على إرادة الهاء ، وبنو تميم ينصبون « كل » على ما تقدم ؛ والقرآن
قد جاء بالحجازية في قوله تعالى « ما هذا بشرا » وفي قراءة السبعة « ما هن أمهاتهم »
بكسر التاء .

(١) العرض : ما يمدح به الرجل ويذم ، وقيل الحسب ، وقيل النفس . يقول :
من جاوركم لا يقدر على صون عرضه ، لأنه يشتم عندهم فلا تكثرثون لثتمه ولا تحامون
عنه ، وإذا رعت النعم في أرضكم لم يدربنها على مراعاة لوخامته . وهذا مثل ، يريد :
أن نعمتكم مشوبة بالأذى فلا يهنا أخذها حتى تزكو عنده بالشكر ، وكل هذا تعريض
لسيف الدولة وهجاء مر له .

(٢) الضغن والضغن : الحقد يقول : من قرب منكم مللتموه وأبغضتموه ومن
أحبكم حقدتم عليه ، أي لستم تجازون الحب ولا القريب بما يستحقانه .

(٣) الرfid : العطاء . والميلن : جمع منة اسم من امتن عليه إذا عدله صنائعه يقول :

(١) وصف زهير داراً آلت من أهلها ولم يخلفهم غيرهم فيها ، فغيروا ما عهد من
آثارها ورسومها . ويروى بعد الأنيس : أي هي باقية الآثار كما عهدتها لم يغيرها بعد
من عهدت من الأنيس فيها . والأنيس : من يؤنس به من الناس ، ثم قال : وقفت
بها فسألتها وناديتها بمقدار ما أصعبها لو أجابت ولكنها لم تجب فكأن بها صمما .

(٢) يقول : إنه اجتمع بمحبوبته في الحج فجعل يتفقدتها قليل له تعرفها بالنازل من
منى - وهي حيث ينزلون أيام رمي الجمار فزعم أنه لا يعرف كل من وافى منى حتى تسأله
عنها لأنه لا يسأل عنها إلا من يعرفه ويعرفها .

فَقَادَرَ الْمَجْرُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَهْمَاهُ تَكْذِيبُ فِيهَا الْعَيْنُ وَالْأُذُنُ^(١)
تَحْبُوُ الرِّوَاسِمُ مِنْ بَعْدِ الرَّسِيمِ بِهَا وَتَسْأَلُ الْأَرْضُ عَنْ أَخْفَافِهَا الثَّنِينَ^(٢)
إِنِّي أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي كَرَمٌ وَلَا أَصَاحِبُ حِلْمِي وَهُوَ بِي جُبْنٌ^(٣)

لا يخلو عطاؤكم من اللن والأذى حتى يصير آخذه معاقبا بتنقيص ما أخذه ، وهذا كله تعريض - كما أسلفنا - بسيف الدولة .

(١) البهاء : الأرض التي لا يهتدى فيها ، يقال برأيهم وفلاة بهاء ، يذكر شدة إبعاده في الرحيل أنفة من الحال التي ذكرها . يقول : ترك المجر بيني وبينكم فلاة بعيدة الأطراف مضلة المسالك ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، لكثرة ما يخيل فيها من المخاوف : وقال سائر الشراح : يدعو بالبعد بينهم وبينه . يقول : ترك المجر بيني وبينكم فلاة مترامية الأطراف ترى العين فيها من الأشباح وتسمع الأذن من الأصوات مالا حقيقة له ، وهو معلوم أن سالك للفاوز والقفار تخيل لعينه الأشياء ولسمعه الأصوات .
ومن هذا قول ذي الرمة :

إِذَا قَالَ حَادِيْنَا لِيَسْمَعَ نَبَأَهُ صَهْلَمْ يَكُنْ إِلَّا دَوِيُّ الْمَسَامِيْعُ
« النبأ الصوت ليس بالشديد »

(٢) حبا يحبو : مشى على بطنه ويديه ، والرواسم : الإبل التي سيرها الرسيم ، وهو ضرب من السير سريع والثفن : جمع ثفنة ، مثل كلم وكلة وهي مامس الأرض من أعضاء البعير إذا برك كالركبتين والسكركرة - الزور - وإنما سميت ثفنات ، لأنها تغلظ في الأغلب من مباشرة الأرض وقت البروك ومنه ثفنت يده : إذا غلظت من العمل . يقول : لطول السير في هذه البهاء ومتابعتها تبرى الأرض أخفاف الإبل فتحبو على ثفنتها بعد أن كانت تسير الرسيم ، وتقول الثفنات للأرض أين ذهبت الأخفاف حتى انتقل السير عليها - على الثفنات - بعد أن كان على الأخفاف ؟ وهذا تمثيل لطول السير وقوته : أي لو قدرت على السؤال لسألت .

(٣) يقول : أحلم عمن يؤذيني مادام حلمي يعد كرمًا ، فإذا كان يعد جبنًا لا أحلم قال الفند الزماني :

وَبِمَعْضِ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْعَانُ

وَلَا أَقِيمُ عَلَى مَالٍ أَذِلُّ بِهِ
سَهَرْتُ بَعْدَ رَحِيلٍ وَخَشَّةَ لَكُمْ
وَأَنْ يُبْلِيَتْ بُودَةٌ مِنْهُلٍ وَدَّكُمْ
أَبْلَى الْأَجَلَةِ مُهْرِي عِنْدَ غَيْرِكُمْ
عِنْدَ الْهُمَامِ أَبِي الْمِسْكِ الَّذِي غَرِقَتْ
فِي جُودِهِ مُضَرُّ الْحَمَرَاءِ وَالْيَمَنِ (٥)

(١) الدرن : الوسخ ، يقول : لا آخذ للال بالذل وكل مال يحصل لي بذل تركته ، ولا أستطيب شيئاً يبلطخ عرضي بأخذه .

(٢) أصل الميرير : الحبل الشديد القتل ، ويقال استمر مريره على كذا إذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . وارعوى : انزجر وارتدع . والوسن : النعاس . يقول : لما فارقتم استوحشت افراقكم حتى امتنع رقادى ، أى لأننى إياكم على جفائكم ، ثم قويت وتصبرت وعاد إلى النوم إذ سلوت .

(٣) بفراق مثله : أى بفراق مثل رحيل عنكم . وقن : خليق وجدير . يقول : إن كنت فى قوم آخرين فعاملونى معاملتكم فارقتم كما فارقتم ، وهذا تعريض بكافور ، يعنى إن بليت منه بود ضعيف مثل ودكم فارقه كما فارقتم . قل الواحدى : ومثل هذه الآيات مانشده للبرد :

لَا تَطْلُبِ الرِّزْقَ بَأْمْتِهَانِ وَلَا تَرُدِّ عُرْفَ ذِي أَمْتَانِ
وَأَسْتَرْزِقِ اللَّهَ وَاسْتَعْنَهُ فَإِنَّهُ خَيْرُ مُسْتَعَانٍ
أَشَدُّ مِنْ فَاقَةٍ وَجُوعٍ إَغْضَاءِ مُحَرٍّ عَلَى هَوَانٍ
فَإِنْ نَبَا مَنْزِلٌ بِقَوْمٍ فَمِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ

(٤) الجل : واحد الجلال ، وجمع الجمع : الأجلة ، وهو ما يتجلجل به الفرس . والمذر : جمع عذار ، وهو ما كان على خد الفرس من اللجام . والفسطاط : نداسم للهمز . والرسن : الحبل . يقول : طال مقامى بمصر لإكرام مثواى هناك حتى بايت جلال فرسى وعذره ورسنه فأبدلت بغيرها . عبر عن طول اللقام ببلى هذه الأشياء .

(٥) الهمام : العظيم الهممة . ومضر الحمراء - بالإضافة - هو مضر بن نزار وإنما قيل له ذلك لأن نزار لما مات تهاكم أولاده - ربيعة ومضر وإياد وأنمار - إلى جرم فى

(٢٤ - التنبى ٤)

وَلَا تَأْخُرْ عَنِّي بَعْضُ مُوعِدِهِ فَمَا تَأْخُرُ آمَالِي وَلَا تَهِنُ^(١)
هُوَ الْوَفِيُّ وَلَيْكِنِّي ذَكَّرْتُ لَهُ مُوَدَّةَ فَهْوٍ يَبْلُوْهَا وَيَمْتَحِنُ^(٢)

قال بمصر ولم ينشدها كافورا :

صَحِبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا وَعَنَاهُمْ مِنْ شَأْنِهِ مَا عَنَانَا^(٣)
وَتَوَلَّوْا بِفَضَّةٍ كُلُّهُمْ مِنْهُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَخِيَانَا^(٤)

قسم ميراثه ، فأعطى ربيعة الخيل ، فسمى ربيعة الخيل فسموا ربيعة الفرس ،
قال القائل :

قُولُوا لِقَطَطَانٍ مِنْ ذَوِي يَمَنِ كَيْفَ وَجَدْتُمْ رَيْعَةَ الْفَرَسِ

وأعطى إياد الإبل والغنم ، فسموا إياد النعم ، وإياد الشمط قالوا :

إِذَا مَا إِيَادُ الشَّمَطِ يَوْمًا تَجَشَّمَتْ ظَلَنْتَ لَهَا صُمَّ الْجِبَالِ تَمِيدُ

وأعطى مضر الذهب وقبه حمراء فسموا بذلك ، قال قائلهم :

إِذَا مُضَرُّ الْحُمْرَاءِ عَبَّ عُجَابُهَا فَمَنْ يَتَصَدَّى مَوْجَهَا حِينَ تَزْخَرُ

وأعطى أمار الحمار والأرض وما شاكلها فسميت أمار الحمار وأنشدوا :

فَلَوْ أَنَّ أَمَارَ الْحِمَارِ تَنَاصَرَتْ لَكَانَ لَهُامِنْ بَيْنِ فَيْدٍ إِلَى هَجَرَ

« فيد : منزل بطريق مكة ؛ وهجر : بلد بالبحرين » ، واليمن ليسوا من أولاد مضر
يقول : إن كافورا عم جوده العرب جميعا .

(١) تأخر - بحذف إحدى التائين - أى تتأخر . وبعض موعده : يروى بعض نائله
وتهن : تضعف : يريد أن عداته زائدة على آماله . يقول : هو ينفذ آمالي ولا يتأخر
عني ما آله ولا يضعف رجائي عنده وإن تأخر بعض موعده ، يشير إلى ما وعده به من
خطة الولاية ، ثم ذكر عذر تأخره في البيت التالي .

(٢) الابتلاء ، والامتحان : الاختبار . يقول : هو يني بما وعد غير أنه يختبر ما ذكرت
له من المودة والمحبة ، فلماذا يتأخر عني ما وعدني به

(٣) عناء الأمر : أهمه ، ومنه الحديث : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعينه »
أى لا يهيمه . يقول : كل من صحب الزمان اهتم بشأنه كما نهتم نحن .

(٤) تولوا : ذهبوا . والغصة : ما غصت به من هم وحزن ونحوهما ، وأصلها الشجاة

رُبَّمَا تَحْسِنُ الصَّنِيعَ لِيَاكِلِيهِ وَلَكِنْ تُكَدِّرُ الْإِحْسَانَ^(١)
وَكُنَّا لَمْ يَرْضَ فِينَا رِيبَ الدَّهْرِ حَتَّى أَعَانَهُ مِنْ أَعَانَا^(٢)
كُلَّمَا أَنْبَتَ الزَّمَانُ قَنَاقَةً رَكِبَ الْمَرْءُ فِي الْقَنَاقَةِ سِنَانًا^(٣)

ينص به في الحرقدة ، تقول غصصت باللقمة وبالماء ، يقول : لم ينل أحد مراده من الدنيا ولم يبلغ أمه فوات بنصته وإن سر في بعض الأحيان.

(١) يقول : ديدن الدهر أن يعطى ثم يرجع فما يعطى ، ويحسن ولكنه لا يتم الإحسان ، بل يعود فيكدره ويشوبه بما ينقصه ، كما قال الآخر :

الدَّهْرُ أَخِذْ مَا أُعْطِيَ مُكَدِّرُ مَا أَصْنَقِي وَمُفْسِدُ مَا أَهْدَى لَهُ بِيَدِ

(٢) قال ابن جني : في « يرض » ضمير هو فاعل يرض ، يفسره « من أعانا » وأضمره قبل الذكر على شريطة التفسير ، أو تقول إن « من أعانا » فاعل يرض وأعانه على التنازع . وروى لم يرض - بالثاء - والضمير لليالي . يقول : هذا الذي أعان على الدهر كأنه لم يرض بما يصيبني من محنة حق أعانه على ، كما قال الآخر :

أَعَانَ عَلَى الدَّهْرِ إِذْ حَكَ بَرْكُهُ كَفَى الدَّهْرُ لَوْ وَكَلْتُهُ بِي كَافِيًا^(١)

قال ابن جني : هذا البيت — والذي قبله — أحسن ما قيل في الزمان وأن طباعه الشر ، وفعل الزمان منسوب إلى القضاء ، فالزمان لا يفعل شيئاً ، وإنما يفعل فيه ، وكذا قولهم : يوم سعيد . فالיום لا يوصف بسعد ، وإنما يوصف به من يشتمل عليه اليوم

(٣) القنأة : عود الرمح والسنان زجه الذي يطمن به . يقول : إذا انتدب الزمان للإساءة بما جبل عليه صارت عداوة للعادي مدداً لقصده نحوك ، فجعل « القنأة » مثلاً لما في طبع الزمان ، وجعل « السنان » مثلاً للعداوة . وعبارة ابن جني سوتقلها الخطيب

(١) البرك : كل شكل البعير وصدرة الذي يدوك به الشيء تحتة . يقال حكه يركه ، ومن المجاز حكك الحرب بركها بهم ، قال القائل يصف الحرب وشدها :

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَكَّتْ بَرْكُهَا بِهِمْ وَأَعْطَتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بَنِي بَيَّانٍ

وحك الدهر بركه بهم ، ووضع عليهم بركه ، قال الجعدي :

وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بَرْكَهُ فَأَرَاهُ لَمْ يُفَادِرْ غَيْرَ فَلَّ

وَمُرَادُ النَّفْسِ أَضْفَرُ مِنْ أَنْ نَتَمَادَى فِيهِ وَأَنْ نَتَفَانَى^(١)
غَيْرَ أَنْ الْفَتَى يُبْلَقُ الْمَنَآيَا كَالْحَاتٍ وَلَا يُبْلَقُ الْهَوَانَا^(٢)
وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ تَبَقَّى لِحَى لَمَدَدْنَا أَضْلَلْنَا الشُّجْعَانَا^(٣)
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدْ فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَانَا^(٤)
كَمَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّعْبِ فِي الْأَنْفُسِ سَهْلٌ فِيهَا إِذَا هُوَ كَانَا^(٥)

التبريزي - : الزمان إذا حُبَّت قناة إنما يَنْبُتُهَا بالطبع ولا يشعر لأى شئ تصلح. فيتكلف بنو آدم اتخاذ القناة توصلوا إلى هلاك النفس ، فالزمان يفعل ولا يشعر ما يراد به .
(١) هذا نهى عن المعادة والتعاسد لأجل مراد النفوس ، فإن ما تريده النفوس من جاء الدنيا وحطامها أقل وأحق من أن يعادى بعضنا بعضا لأجله .
(٢) كالحات : عابسات يقول : إن الحر الكريم أحب إليه الموت الكريه من أن يلقى ذلا وهوانا .
(٣) يقول : لو كانت الحياة باقية لكان الشجاع الذى يتعرض للقتل أضل الناس ، يعنى أن الحياة لا تبقى . وإن جبن الإنسان ولزم عقرب داره وحرص على البقاء ، ثم أكد هذا بالبيت التالى .

(٤) يقول : إذا كان الموت لا محيص عنه ولا ينبع منه شجاع ولا جبان ، فإن الجبن إذن - من ضعف الهمة وعجزها ، قال خالد بن الوليد لما حضره الموت : فى جسدى مائة طعنة وضربة ، وها أنا قد مت حتف أنفى ، فلا أقر الله أعين الجبناء ،
(٥) كل : مبتدأ ، ومن الصعب : خبرها ، وسهل : خبر ثان ، ويمكن : تامة ، وكذا « كانا » - آخر البيت - . يقول : إنما يصعب الأمر على النفس قبل وقوعه ، فإذا وقع سهل وهان ، كما قال البحرى :

لَتَمُرَّكَ مَا الْمَكْرُوهُ إِلَّا أَرْتِقَابُهُ وَأَبْرَحُ مِمَّا حَلَّ مَا يُتَوَقَّعُ
والأصل فى هذا قول أعشى باهلة :

لَا يَصْغُبُ الْأَمْرُ إِلَّا رَيْثَ يَرْكَبُهُ وَكُلُّ أَمْرٍ سِوَى الْفَحْشَاءِ يَأْتِمُرُ

وبعد : فقد وفق المتنبي فى هذه القطعة كل التوفيق ، ولعل شيطانه بمن كانوا يسترقون السمع ، فتلقى هذه الآيات من ذات الرجوع - السماء - فكأنها المعنية بقول حسان بن ثابت :

وقال يذكر خروج شبيب العقيلي على الأستاذ كافر وقتله بدمشق سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة:

عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ^(١)
وَلِلَّهِ سِرٌّ فِي عُصَاكَ وَإِنَّمَا كَلَامُ الْمِدَاخِرِ مِنَ الْهَذْيَانِ^(٢)
أَتَلْتَمِسُ الْأَعْدَاءَ بَعْدَ الَّذِي رَأَتْ قِيَامَ دَلِيلٍ أَوْ وَضُوحَ بَيَانٍ^(٣)
رَأَتْ كُلَّ مَنْ يَنْوِي لَكَ الْقَدْرَ يُبْتَلَى بِغَدْرِ حَيَاةٍ أَوْ بِغَدْرِ زَمَانٍ^(٤)
بِرِغْمِ شَبِيبٍ فَارَقَ السَّيْفُ كَفَّهُ وَكَانَا عَلَى الْعِلَاتِ يَضْطَحِبَانِ^(٥)

وَقَافِيَةٌ عَجَبَتْ بِلَيْلٍ رَزِيئَةٍ تَلَقَّيْتُ مِنْ جَوِّ السَّمَاءِ نُزُولَهَا
فَقَدْ دَرَهُ .

(١) القمران : الشمس والقمر . يقول : من عاداك دل بذلك على جهاته وسقطت منزلته عند الناس وعاداه كل أحد وذمه ، ولو كان القمران من أعدائك لصار اذمومين مع عموم نفعهما وارتفاع منزلتهما . قال ابن جني : هذا المدح ينعكس هجاء . يقول : أنت رذل ساقط ، والساقط لا يضاويه إلا مثله ، وإذا كان معاديك مثلك فهو مذموم بكل لسان ، كما أنك كذلك ولو عاداك القمران .

(٢) الهذيان : التسكلم بغير معقول ؛ قال ابن جني : هو من فصيح كلام العرب ولم يذكره الجوهري ولا ابن فارس في جملة . يقول : لله سبحانه سر فيها أعطاك من العلو والبسطة لا يطلع الناس على ذلك السر ولا يعلمون ماهو ، وما يغوض الأعداء فيه من الكلام إنما هو نوع من الهذيان بعد أن أراد الله فيك ما أراد . قال الواحدي : وهذا إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه على الناس إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو ويرتفع على الأقران ، وإن كان ساقطا باتفاق من القضاء .
(٣) يقول : هل يطلب أعدائك دليلا على سيادتك ، وعلى أن الله يريد أن يرفع قدرك على من يعاديك بعد القدي رأوه ؟ ثم ذكر ما رأوا في البيت التالي :

(٤) يقول : رأى الأعداء كل من ينطوى لك على غدر أو يضمرك خلافا غدرت به حياته ؛ فهلك قبل أن ينال منك مأربا ؛ أو غدر به الدهر فهلك بأفة تصيبه .

(٥) شبيب هذا : هو شبيب بن جرير العقيلي ، من قوم كانوا من القرامطة وكانوا مع سيف الدولة ، وولى شبيب مرة النعمان دهر أطويلا ، واجتمع إليه جماعة من العرب

كَأَنَّ رِقَابَ النَّاسِ قَالَتْ لِسَيْفِهِ رَفِيقُكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانُ (١)
فَإِنْ يَكُ إِنْسَانًا مَضَى لِسَبِيلِهِ فَإِنَّ الْمَنَافَا غَايَةَ الْحَيَوَانِ (٢)
وَمَا كَانَ إِلَّا الْفَارَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَشِيرُ غُبَارًا فِي مَكَانٍ دُخَانِ (٣)
فَنَالَ حَيَاةَ يَشْتَهِيهَا عَدُوُّهُ وَمَوْتًا يَشْهِي الْمَوْتَ كُلَّ جَبَانِ (٤)
فَنَقَى وَقَعَ أَطْرَافِ الرَّمَايحِ بَرُوحِهِ وَلَمْ يَحْشَ وَقَعَ النُّجُومِ وَالذَّبَرَانِ (٥)

فوق عشرة آلاف ، وأراد أن يخرج على كافور وقصد دمشق لحاصرها ، فيقال إن امرأة ألقت عليه رحي فصهرته فانهزم من كان معه بعد أن هلك ، ويقال إنه حدث به صرع من شرب الخمر ، فتركه أصحابه ومضوا ، فأخذه أهل دمشق فقتلوه . يقول : إنه هلك ففارق سيفه كفه ، وكانا لا يفترقان على العلات — أى على كل حال —

(١) قيس : من عدنان ، واليمن : من قحطان ، وكان بينهما شقاق وتنازع واختلاف يقول : كأن رقاب الناس أغرت ما بينه وبين سيفه — لكثرة قطعه إياها — لتفرق بينهما . وقالت لسيفه إن شيبيا الذى يصاحبك « قيسى » وأنت « يمنى » — والسيوف الجيدة تنسب إلى اليمن — ففارقه سيفه لما علم أنه مخالف له فى الأصل .

(٢) يقول : إن يك شبيب قد هلك ومات ، فإن الموت غاية كل شئ فلا عار عليه من ذلك .

(٣) النار : خبر كان ، وتشير : حال من « النار » ، أو نعت لها على أن « آل » الجنسية لا تفيد تعريفا . يقول : كان شبيب فى كل موطن يلم به كالنار فى إيقاد الفتنة والشّر ، غير أنه يشير بدل الدخان غبار الحرب ، قالوا : وهذا من قول الآخر :

مَآوِيَّ يَا رَبُّنَا غَارَةَ شَعْوَاءُ كَالذَّعَةِ بِالْمَيْسَمِ
« غارة شعواء : فاشية متفرقة ؛ والميسم : اللكواة ، أو الشيء الذى يوسم به الدواب »

(٤) يقول : فنال حياة حياة طيبة يشتهى عدوه مثلها ، يعنى أنه عاش فى عز ومنعة ، ثم مات موتاً يشهى الموت إلى الجبناء ، لأنه كان موتاً فى عافية لم يتقدمه ألم ولا مرض . هذا : ويشهى لا يتعدى إلى مفعولين إلا بحرف جر ، وقد حذفه وهو يريد ، فكأنه قال : يشهى الموت إلى كل جبان .

(٥) أراد بالنجم : الثريا ، وأراد : وقع قضاء النجم ، خذف ؛ والذبران : قال الجوهري خمسة كواكب من الثور — والثور : برج من بروج السماء — وهو من منازل القمر

وَلَمْ يَذَرْ أَنْ الْمَوْتَ فَوْقَ شَوَاتِهِ مَعَارُ جَنَاحِ مُحْسِنِ الطَّيْرِانِ^(١)
وَقَدْ قَتَلَ الْأَقْرَانَ حَتَّى قَتَلْتَهُ بِأَضْعَفِ قَرْنٍ فِي أَذْلٍ مَكَانٍ^(٢)
أَتَتْهُ الْمَنَآيَا فِي طَرِيقٍ خَفِيفَةٍ عَلَى كُلِّ سَمْعٍ حَوَاهُ وَعِيَانٍ^(٣)

وسمى كذلك لأنه يدبر الثريا ، أى يتبعه . يقول : نفى عن نفسه الرماح برعحه ، يعنى أنه كان شجاعا بقى نفسه برعحه ولكنه لم يحمر فى حساباته مناحس النجوم — والدبران من النحوس فى حكم المنجمين وزعمهم — والمعنى أنه دفع نحوس الأرض عن نفسه ولم يستطع دفع نحوس السماء التى قضت بحلول أجله ، قالوا : وهذا خلاف قول لبيد فى أخيه أربد : أَخْشَى عَلَى أَرْبَدَ الْخُتُوفَ وَلَا أَرْهَبُ نَوْءَ السَّمَاءِ وَالْأَسَدِ^(١)

(١) الشواة : جلدة الرأس ، وفوق شواته : خير «أن» ؛ ومعار : خبر نان وروى معار ومحسن : على أنهما حالان . يقول : ولم يذر أن الموت فوق رأسه كيفما توجه حق لكنأنه أعير جناحا يحوم به فوقه يقع عليه وعبرة الواحدى : ولم يذر أن الموت قد أعير جناحا فهو يرفرف فوق رأسه ليقع عليه من علو ، وذلك فيها يقال : إن امرأة أدات على رأسه رعى من سور دمشق .

(٢) الأقران : جمع قرن — بكسر القاف — وهو الكفء فى الحرب . قال الواحدى : ذكر فى قصته أنه كان يحارب أهل دمشق ويريد الغلبة عليها فسقط على الأرض وثار من سقطته ، فمشى خطوات ، فلما سار سقط ميتا ولم يصبه شئ وكثر تعجب الناس من أمره حتى قال قوم إنه كان مصروعا وأصابه الصرع فى تلك الساعة فانهمزم أصحابه ، وزعم قوم أنه شرب وقت ركوبه سويقا مسموما فلما حمى عليه الحديد عمل فيه السم . فهو قوله : حتى قتلته بأضعف قرن فى أذل مكان ، يعنى فى غير الحرب وميدان القتال ، قال ابن جنى : لما أنشد أبو الطيب هذا البيت بحضرة كافر قال كافر : لا والله إلا بأشد قرن فى أعز مكان ، فرواه الناس كقول كافر .

(٣) يقول : إنه مات فجأة من غير أن يستدل أحد على موته بمرتى أو مسموع ، كما قال يزيد الملهبى :

جَاءَتْ مَنِيَّتُهُ وَالْعَيْنُ هَاجِمَةٌ هَلَا أَتَتْهُ الْمَنَآيَا وَالْقَنَا قِصْدُ

« قِصْد : أى قطع ، جمع قصدة ، وهى الكسرة ؛ وتقصدت الرماح : تنكسرت »

(١) انظر الكلام على « الأنواء » فى لسان العرب — مادة «نوا» — والسماء : نجم معزوف ، وهما سماكان رامج وأعزل ، والكلام على ذلك مبسوط فى مواضعه .

وَلَوْ سَلَكَتْ طُرُقَ السَّلَاحِ لَرَدَّهَا بِطُولِ يَمِينٍ وَأَسَاعِ جَنَانٍ^(١)
تَقْصِدُهُ الْمِقْدَارُ بَيْنَ صِجَابِهِ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ دَهْرِهِ وَأَمَانٍ^(٢)
وَهَلْ يَنْفَعُ الْجَيْشُ الْكَثِيرُ التَّفَافُهُ عَلَى غَيْرِ مَنْصُورٍ وَغَيْرِ مُعَانٍ^(٣)
وَدَى مَا جَنَى قَبْلَ الْمَيِّتِ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَدِهِ بِالْجَامِلِ الْمَكْنَانِ^(٤)
أَتُمْسِكَ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدُ عَاقِلٍ وَتُمْسِكَ فِي كُفْرَانِهِ بَعِينَانِ^(٥)

(١) سلكت : أى النايا . والجنان : القلب . يقول : لو اتته للنايا من طريق السلاح لدفعها عن نفسه بطول يده وسمة صدره ، يعنى أن أعداءه لو حاولوا قتله لما قدروا على ذلك لأنه بطل لا يغالب .

(٢) تقصده : إما بمعنى قصده ، وإما بمعنى أقصده : أى قتله . وللقدر : واليراد : القضاء . والطرفان بعده : حالان من الماء . يقول : قصده القضاء أو أهلكه وهو بين أصحابه واثق بالحياة آمن من الموت .

(٣) التفافه : فاعل الكثير ؛ وعلى غير : متعلق به ، والاتفاف : الاجتماع يقال التف عليه الناس : إذا ازدحموا حوله ؛ والاستفهام : للانكار . يقول : إن الجيش الكثير لا ينفع من لم يكن منصوراً من قبل الله سبحانه وتعالى معاناً بتأييده كما لم ينفع شيئاً كثرة أصحابه .

(٤) ودى : من الدية ، أى أعطى الدية ، وهى ثمن الدم . والمبيت : اسم زمان يعنى الليل : والجامل : اسم لجماعة الجمال : كالباقر : اسم لجماعة البقر . والمكنان : الإبل الكثيرة العظيمة ونعم عكنان وعكنان : أى كثيرة ، قال أبو نخيلة السعدى :

هَلْ بِاللَّوَى مِنْ عَكْرٍ عَكْنَانٍ أَمْ هَلْ تَرَى بِأَخْلٍ مِنْ أَظْمَانٍ^(١)
يقول : أذى بنفسه دية من قتل من الناس قبل دخول الليل عليه ولم يؤد الدية بالإبل يريد : أنه بهلاكه كأنه اقتص منه ، فكانت نفسه دية عن الدين قتلهم .

(٥) أوليته : أعطيته ، والضمير لشبيب ، والعائد إلى «ما» محذوف : أى أوليته إياه . وقوله وتمسك : لك أن تعطيه على تمسك قفرقه ، ولك أن تقول أن الواو المصاحبة والفعل منصوب بإضمار « أن » ومثله ويركب - فى عجز البيت التالى - والضمير من « كفرانه »

(١) المكر . القطيع الضخم من الإبل ، والحل : الطريق النافذ بين الرمال المتركة .

وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتُهُ مِنْ كَرَامَةٍ وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيَانِ ظَهَرَ حِصَانٍ^(١)
تَفَى يَدَهُ الْإِحْسَانُ حَتَّى كَانَتْهَا وَقَدْ قُبِضَتْ كَانَتْ بِغَيْرِ بَنَانٍ^(٢)
وَعِنْدَ مَنْ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ شَيْبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانٍ^(٣)
قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أَنْكَ أَوَّلُ وَلَيْسَ بِقَاضٍ أَنْ يُرَى لَكَ ثَانٍ^(٤)

للموصول - في صدر البيت - والعنان : سير اللجام . يقول : هل يمكك عاقل مثل النعمة التي أنعمت بها على شبيب ثم يمكك عنان فرسه في كفران تلك النعمة لقتال من أنعم بها عليه ؟ والاستفهام معناه الإنكار والتوبيخ أي لا يفعل ذلك عاقل ، لأنه يعلم أن من قدر على الإنعام يقدر على الانتقام ، وعبرة الواحدى . إن العاقل لا يجمع بين إمساك ما أعطيته من النعم وإمساك العنان في الكفران ، لأن من كان عاقلاً لم يكثر نعمة للنعم عليه ، وهذا إغارة إلى أن « شيباً » كفر نعمة كافور فصرعه شؤم الكفران حتى هلك وقال ابن جني ، يقول : إذا كفر نعمتك من أحسنت إليه لم يقبض يده على عناه فهاذلا وحيرة .

(١) البيت عطف على ما قبله ، فهو في معناه . يقول : وهل يركب عاقل مثل الكرامة التي أركبتها شيباً ثم يركب حصانه لعصيان من أكرمه ؟ أي لا يجتمع لأحد إكرامك ومصيتك .

(٢) تفي يده : ردها ، والبنان : أطراف الأصابع ، قال ابن جني : ملكته يده بالإحسان حتى ثناها إلى ورائها كأنها كانت لما قبضت ما وهبت لم يكن لها بنان يطبقها على اللوهور فأرسلته ؛ وقال الواحدى : إحسانك إليه رديده عما امتدت فيه حتى كأنها وهي مقبوضة لم تبسط فيما أراد كانت بغير بنان لأن القبض يحصل بالبنان فإذا كانت اليد بغير بنان لم يحصل القبض ، وكأنها مقبوضة حين لا تقدر على القبض والانبساط . ومن روى قبضت - بإسناد الفعل إلى اليد - كان المعنى أن يده - وإن كانت قابضة لما صرفت عما قصدت له - صارت كأنها بغير بنان وغير قابضة .

(٣) عند من : استفهام معناه الإنكار ، وهو خبر مقدم ، والوفاء : مبتدأ مؤخر : أي ليس عند أحد اليوم وفاء لصاحب . وشبيب : مبتدأ ، وأوفى عطف عليه ؛ وإخوان : خبر . يقول : ليس من يفي لصاحبه اليوم ؛ أي لا وفاء اليوم عند أحد ، فإن أوفى من ترى من الناس فادر ككشبيب ، فهما في ذلك أخوان في القدر .

(٤) قال الواحدى : هذا من أجود ما مدح به ملك ، يقول : قضى الله أنك أول

فَمَا لَكَ تَخْتَارُ الْقِسَىٰ وَإِنَّمَا
عَنِ السَّعْدِ يَرْمِي دُونَكَ الثَّقْلَانِ ^(١)
وَمَا لَكَ تُعْتَنِي بِالْأَسِنَّةِ وَالْقَنَا ^(٢)
وَلِمَ تَحْمِلُ السَّيْفَ الطَّوِيلَ نِجَادُهُ
وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْهُ بِالْحَدَثَانِ ^(٣)
أُرِدْنِي جَمِيلاً جَذْتَ أَوْ لَمْ تَجْذُ بِهِ
فَإِنَّكَ مَا أَحْبَبْتَ فِيَّ أَتَانِي ^(٤)
لَوْ الْفَلَكَ الدَّوَارَ أَبْغَضْتَ سَعْيِيهِ
لَعَوَّقَهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ ^(٥)

في السكارم والمعالى ولم يسبقك أحد إلى ما سبقت إليه ولم يقض أن يلحقك أحد أو يكون لك مثل فيكون ثانيك .

(١) القسى : جمع قوس ؛ والثقلان : الإنس والجن ، أنكر عليه اختيار القسى لرمى أعدائه بها ، يقول : لاحتاجة لك باستجادة القسى لترمى بها أعداءك فإن أعداءك - أكانوا من الإنس أم من الجن - يرمون عن قوس سعادتك : أى أن قسى سعادتك ترميهم عنك فيهلكون بالآفات تصيبهم ، وإذن لا تحتاج إلى اتخاذ السلاح .

(٢) عني بالشيء - بصيغة المجهول - اهتم به ، والأسنة : جمع سنان ؛ والقنا : الرماح والجد : الحظ . والبيت في معنى البيت الأول ، يقول : لم تعتنى بأدخار الأسنة والرماح وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان .

(٣) لم أى لماذا ؛ وإسكان للميم خاص بالشعر والنجد : حمالة السيف ونجاده : فاعل الطويل ، وإذا وصف النجد بالطول دل على طول حامله . والحديثان : حوادث الدهر ونوائبه ، يقول : أنت مستغن بحوادث الدهر عن استعمال السيف في قتل أعدائك ، يشير في هذه الأبيات كلها إلى مصرع شبيب حين خرج عليه ، دون أن يكون هلاكه بشيء من السلاح .

(٤) يقول : إن المقدار جار بحكمك . فإذا أردت شيئاً كان ، وإذا أردت أن تعطى شيئاً وصل إلى وإن لم تجد به ، يعنى أن القدر موافق لإرادته ، فإذا أراد به خيراً أتاه ذلك وإن لم يجد به عليه ، وهذا من قول أبى تمام :

* فالدهرُ يفعلُ صاغراً ما نأمرُهُ *

(٥) الفلك : يروى بالنصب والرفع ، والنصب أجود ، وهو منصوب بفعل محذوف بعد « لو » يؤخذ من لازم الفعل المذكور : أى لو استوقفت الفلك الدوار ونحوه . يقول : لو كرهت دوران الفلك لحدث له شيء يمنعه عن الدوران ، يريد المبالغة في قوة

سعدته ومؤاناة الاقدار لمراده ، وهو المعنى الذى تخور إليه أكثر هذه الأبيات ، قال الواحدى ؛ هذه الأبيات ليس فى معناها مثل لها هذا : وطردا لهذا الشرح على وتيرة واحدة ونزولا على حكم خطتنا فيه - أن نورد كل ما أورده الشراح - نذكر هنا ما قاله العكبرى النحوى الكوفى فى إعراب الفلك وإن كان يعنى عنه ما قلناه آنفا ، على أن أهم ما نقصد إليه من إيراد هذه المقاصد النحوية هو شرح ما يرد فيها من الشواهد وهى مزية تفرد بها شرحنا هذا ، قال العكبرى : يروى الفلك (بالرفع والنصب) ، والنصب أجود ، لأن « لو » تقتضى الفعل فيجب أن تضم له فعلا ينصبه ، ويكون الفعل الذى نصب سعى للضاف إلى الضمير ، وهو « أبغض » تفسيرا للضمير كقولك ؛ لو أخاك أكرمت غلامه لجازاك عنه ، وتقدير الفعل الناصب للفلك لو كرهت الفلك : أى دورانه لأنك تقول : أنا أكره زيدا وأنت تريد فعله « وأبغضت » مفسر فلا موضع له من الإعراب ، كقوله تعالى فى قراءة الكوفيين وابن عامر « والقمر » - بالنصب - قدرناه « فقدرنا هو الناصب للضمير وهو مفسر فلا موضع له من الإعراب ، تقديره : قدرنا القمر . ومن رفع القمر فبالابتداء أو يضم له فعل يرفعه فى معنى الظاهر ، والظاهر تفسير له كأنه قال : لو خالفك الفلك لعوقه شئ ، وصار « أبغضت » تفسيره ودليلا عليه كقول ذى الرمة :

إِذَا ابْنُ أَبِي مُوسَى بِلَالٌ بَلَفَتْهِ فَقَامَ بِفَأْسٍ بَيْنَ أَذْنَيْكَ جَاوِرٌ^(١)

(١) أذنك يروى عينك ويروى وصليك مثنى وصل وهو كل عظيمين يلتقيان ، وبلال هو ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعرى ، وكان ذو الرمة كثير اللدح لبلال هذا ، يخاطب بهذا البيت ناقته صيدح ، وقد أخذ هذا المعنى من قول الشماخ : فى عرابة الأوسى يخاطب ناقته :

إِذَا بَلَفْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي عَرَابَةٌ فَأَشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ

وجاء بعدهما أبو نواس ، فكشف هذا المعنى وأوضحه بقوله فى الأمين محمد ابن الرشيد :

وَإِذَا الْمَطِيُّ بِنَا بَلَقْنِ مُحَمَّدًا فَظَهَرُوهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ

والأصل فى هذا المعنى قول الأنصارية للأسورة بمكة وقد كانت نجت على ناقه لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما وصلت إليه قالت له يارسول الله : إني نذرت إن

ونظر يوما إلى كافر فقال :

لَوْ كَانَ ذَا الْآكُلِ أَزْوَادَنَا ضَيْفًا لَا وَسَعْنَاهُ إِحْسَانًا^(١)

أى إذا بلغ ابن أبى موسى ؛ ثم فسر به بيلغته ، وهذافيه خلاف بيننا وبين البصريين ، فإن أصحابنا يقولون فى الاسم المرفوع بعد « إن وإذا » الشرطيتين أنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل ، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل ، والفعل المظهر تفسير له ، وحببتنا أن « إن » هى الأصل فى باب الجزاء ولقوتها جاز تقديم المرفوع معها فيرتفع بالاعاد ، لأن المكفى للمرفوع فى الفعل : الاسم الاول ، فينبى أن يكون مرفوعا به كما قالوا : جاءنى الظريف زيد ، وإذا كان مرفوعا به لم يقتصر إلى تقدير فعل ؛ وقال البصريون : إنه لا يجوز أن يفصل بين حرف الجزم وبين الفعل باسم لم يعمل فيه ذلك الفعل ، ولا يجوز أن يكون الفعل هنا عاملا فيه ، لأنه لا يجوز تقديم ما يرتفع بالفعل عليه ، فلم يقدّر ما يرفعه لبقى الاسم مرفوعا بلا رافع : وذلك لا يجوز ، فدل على أن الاسم ارتفع بتقدير فعل ؛ وقال الأخفش من البصريين : هو المرفوع بالابتداء .

(١) الأزواد : جمع زاد ، وهو طعام المسافر . وقوله لا وسعناه إحسانا : قال بعض الشراح : الأصل لا وسعناه الإحسان : فمدى الفعل إلى الضمير ونصب إحسانا على التمييز . يقول : هذا الذى يأكل زادى لو كان ضيفا لى لا كثر من الإحسان إليه : أى لو أنانى وقصدنى ضيفا لأحسننت إليه ، وهذا كما قال أيضا :

* جَوْعَانُ يَا كُلُّ مِّنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي *

قال الواحدى : ولا كل زاده وجهان : أحدهما أن التنبى أناه بهدايا والطف ولم يكافئه عنها ، والآخر أن التنبى يأكل عنده من خاص ماله وينفق على نفسه بما حمله ، وهو يمنعه من الارتحال ، فكأنه يأكل زاده ، حين لم يبعث إليه شيئا ومنعه من الطلب ؛

نجوت عليها أن أنحرها ، فقال صلى الله عليه وسلم : بش ما جزيتها . . ومعنى الأبيات الثلاثة . إنى لست أحتاج أن أرحل إلى غيرك فقد كفيقتى وأغنيقتى إلا أن الشماع وعد ناقته بالذبح ، وذو الرمة دعا أيضا عليها بالذبح ، وأبو نواس حرم الركوب على ظهرها وأراحها من الكد فى الأسفار ، فهو أتم فى المقصود لكونه أحسن إليها فى مقابلة إحسانها إليه حيث أوصلته إلى المدوح .

لَكِنَّا فِي الْمَنِّ أَضْيَافُهُ يُوسِفُ زُورًا وَبُهْتَانًا^(١)
فَلَيْتَهُ خَلَّى لَنَا سُبُلَنَا أَعَانَهُ اللَّهُ وَإِيَانًا^(٢)

* * *

وكتب إلى يوسف بن عبد العزيز الخزاعي في 'بليس' يطلب منه دليلا
فأنفذه إليه :

جَزَى عَرَبًا أُمِّتَ بِبُلَيْسَ رَبِّهَا بِمَسْعَاتِهَا تَقَرَّرَ بِذَلِكَ هُمُومَهَا^(٣)

وقال قوم : كان الأسود قد جمع له شيئا من غلمانه وخدمه ثم أخذه ولم يعطه شيئا .
(١) يقول : نحن في الظاهر أضياؤه لأننا أتينا ، غير أنه لا يعطينا قرى غير الزور
والبهتان والمواعيد الكاذبة .

(٢) يقول متمنيا : ليت أطلقنا ! ثم قال : أعانته الله على تخليط طرفنا وإطلاقنا ؛ وأعاننا
الله على الذهاب والرحيل من عنده . هذا : والسبل جمع سبل ؛ والسبل : الطريق ،
يذكر ويؤنث ؛ وفي التنزيل العزيز : « وإن يروا سبل النوى يتخذوه سبيلا » فذكر ،
وفيه « قا ، هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة » فأنت .

(٣) بليس : هو ذلك البلد الذي بمصر ؛ والسعاة : الكرمة والملاة في أنواع المجد
والجود ، والعرب تسمى مآثر أهل الشرف والفضل : مساعي ، لسمهم فيها كأنها
مكاسبهم وأعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم ؛ وسعى : إذا عمل وكسب ، وكل من ولى
شيئا فهو ساع ، ومنه السعاة ، وهم ولاة الصدقة وعمالها الذين يأخذونها من الأغنياء
وبردونها في الفقراء ؛ وسعى عليها : أى عمل عليها . قال عمرو بن العداء السكابي في
عمرو بن عتبة بن أبي سفيان - وكان معاوية قد استعمله على صدقات كلب فاعتدى عليهم - :

سَعَى عِقَالًا فَلَمْ يَنْزُكْ لَنَا سَبْدًا فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرُو عِقَالَيْنِ
لَأَضْبَحَ الْحَيَّ أَوْ بَادَا وَلَمْ يَحْدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جَمَاعَيْنِ^(١)

(١) العقال : زكاة عام من الإبل والغنم ، ونصب « عقالا » على الظرف أراد
مدة عقال ، والسبد : الوبر ؛ وقيل : الشعر ، والعرب تقول ماله سبد ولا لبد : أى
ماله ذو وبر ولا صوف متلب ، يكنى بهما عن الإبل والغنم ، والأوباد : جمع وبذ ، ورجل
وبذ فقير سوء الحال . وقوله جمالين : يريد قطيعين من الجمال ، وأراد جمالا ههنا
وجمالا ههنا ، وذلك أن أصحاب الإبل يعزلون الإناث عن الذكور .

كَرَّاكَرَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ سَاهِرًا جُفُونُ ظُبَاهَا لِلْمَلَا وَجُفُونَهَا^(١)

وتقرر جواب الدعاء ، وقال العكبري : أراد لتقرر ، على الأمر ، فحذف اللام ، كبيت الكتاب :

مُحَمَّدٌ تَقْدِرُ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفَتْ مِنْ أَمْرِ تَبَالَا^(٢)
وكقول الآخر :

عَلَى مِثْلِ أَصْحَابِ الْبُؤْسَةِ فَانْخَشِي

لَكَ الْوَيْلُ حَرُّ الْوَجْهِ أَوْ يَبْكُ مِنْ بَسْكَ^(٣)

وقرت عنه تقرر : هذه هي اللغة الأمل ، أعني فعات تفعل وزان طربت تطرب ، ومعناها : بردت وانقطع بكاؤها واستحارها بالدمع ، وذلك كناية عن السرور ؛ لأن دمة السرور باردة ، ودمة الحزن حارة . يقول : جرى رب العرب التي أمست بهذه البقعة جزاء يقابل مسعاتها لتقر عيونها بذلك الجزاء .

(١) كراكر : بدل من عرب ؛ والكراكر : الجماعات ، الواحد : كركرة - بكسر الكاف - وهي الجماعة من الناس . وقيس بن عيلان : قبيلة . وساهرا : نعت سبيى لكراكر : وجفون ظبها فاعل ساهر ، والظبي : جمع ظبة ، وهي حد السيف ، والمراد السيوف أنفسهم ؛ وجفون : جمع جفن وهو الغمد : يقول : هؤلاء العرب جماعات من قيس لا تزال جفونهم ساهرة في طلب العلى وجفون سيوفهم خالية من نصالها ، لأن سيوفهم لا تزال مسلوطة ، قال ابن جني : لما وصف جفونهم بالسهر في طلب العلى وصف جفون سيوفهم بالسهر لتجانس القول ، يريد أنها قد فقدت نصولها ، فكأنها

(١) التبال : سوء العاقبة . وهو بمعنى الوبال ، فكان التاء بدل من الواو : أى إذا خفت وبال أمر أعددت له . وهذا البيت قيل لحسان بن ثابت ؛ وقيل لأبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل للأعشى ، وقيل قائله مجهول ، وعبارة سبيويه : واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها في الشعر وتعمل مضمرة ، وكأنهم شبهوها بـ «أن» إذا عملت مضمرة ، وأنشد هذا البيت والذي بعده ، قال الأعلم وهذا من أقبح الضرورات لأن الجأزم أضعف من الجار وحرف الجار لا يضم

(٢) البيت لثمن بن نويرة ، والبعوضة هنا موضع بعينه قتل فيه رجال من قومه فحذف على البكاء عليهم ، ومعنى انخشي : الطمى : وقطى ، وبابه ضرب ونصر ، وحر الوجه مفعول انخشي ، وهو ما بدا من الوجه ، أراد : لييك ، فحذف اللام .

وَحَصَّ بِهِ عَبْدَ الْعَزِيزِ بْنِ يُوسُفٍ فَمَا هُوَ إِلَّا غَيْثُهَا وَمَعِينُهَا^(١)
فَتَى زَانَ فِي غَيْثِي أَنْصَى قَبِيلِهِ وَكَمْ سَيِّدٍ فِي حِلَّةٍ لَا يَزِينُهَا^(٢)

* * *

وقال يمدح عضد الدولة وولديه أبا الفوارس ، وأبا دلف ويذكر طريقه
بشعب بؤان :

مَقَانِي الشَّعْبِ طَيْبًا فِي الْمَقَانِي بِمَنْزِلَةِ الرَّبِيعِ مِنَ الزَّمَانِ^(٣)

ساهرة مع جفون عيونهم في طلب المعالي والفخار ، فاستعار لها السهر لما ذكر جفون
العين ؛ وقد ألم بهذا بعض المحدثين فقال :

وَطَالَمَا غَابَ عَنْ جَفْنِي لِزَوْرِيهَا وَجَفْنِ سَيْفِي غِرَارُ السَّيْفِ وَالْوَسْنُ
(١) الضمير في « به » يعود على الجزاء ؛ والغيث : اللطر ؛ وللعين : الماء الجاري .
يقول : وخص بهذا الجزاء هذا الرجل الذي هو أفضلهم وسيدهم ، فهو بينهم كالغيث
وكالمعين ، لأحياة لهم بدونه . وغيثها : رواها العكبري « عنها » قال : والعين من الشيء
خيرهُ وأفضله .

(٢) القبيل : الجماعة ؛ والحلة : الجماعة محلون بالمكان . يقول : هو زين عشيرته
ورحطه وإن تباعدوا عنه في النسب : أى أنه زين عشيرته - القريب منها والبعيد -
أما غيره من السادة فليس بهذا الصفة .

(٣) المقاني : جمع مغنى والغنى : للزل الذى غنى - أقام - به أهله ثم ظعنوا عنه
والشعب : المنعرج بين جبلين ، والمراد هنا : شعب بؤان ، وهو موضع عند شيراز ،
كثير الشجر والمياه ، يعد من جنان الدنيا ، قال أبو بكر الخوارزمي : متزهات الدنيا
أربعة مواضع : غوطة دمشق ، ونهر الأبله ، وشعب بؤان ، وصغد سمرقند ، وطيبا :
تميز . يقول : منازل هذا المكان في المنازل كالربيع في الأزمته ، يعنى أنها تفضل
سائر الأماكن طيباً كما يفضل الربيع سائر الأزمته . هذا : وقد قال ابن جني في إعراب
« طيباً » : الشاميون ينصبون طيباً بإضمار فعل : أى تزيد طيباً ، أو تطيب طيباً ،
كقولك : زيد سيراً ؛ أى يسير سيراً ، والبغداديون يرفعونه ويمنعون من نصبه ،
أو من نصبه فعلى التمييز ، لأنه ليس ثم فعل ، ولو كان ثم فعل لجاز تقديمه منصوباً ،

وَلَكِنْ الْفَتَى الْعَرَبِيَّ فِيهَا غَرِيبُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ^(١)
مَلَاعِبُ جِنَّةٍ لَوْ سَارَ فِيهَا سُلَيْمَانٌ لَسَارَ بِتَرْجُمَانٍ^(٢)

كقول الآخر:

أَتَهَجُرُ سَلَمَى بِالْفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْسًا بِالْفِرَاقِ تَطِيبُ

قال: ووجه الرفع أن اللغز: مبتدأ؛ وطيب: خبره.

(١) معنى بالفتى العربى: نفسه. يقول: إني بها غريب الوجه في عيون أهلها، إذ يعرفني أحد هناك، أو لأنه أسمر اللون، إذ غالب ألوان العرب السمرة، وأهل السبب شقر الوجوه، وغريب اليد: أى لا ملك له في هذه البقعة، فیده أجنيبه فيها، أو لأن سلاحه الرمح ویده تستعمل الرمح، أما أسلحة أهل الشعب التى يستعملونها بأيديهم فهى الرايات والمزاريق، أو لأنه يكتسب بالعربية وهؤلاء يكتبون بالفارسية، وغريب اللسان: لأن لفتى العربية وهؤلاء عجم لا يفصحون.

(٢) الجنة: الجن. وترجمان — بفتح التاء وضمها — قال الواحدى: جعل الشعب — لطيه وطوب أهله — ملاعب، وجعل أهله جنة — جناً — لشجاعتهم في الحرب؛ والعرب إذا بلغت في مدح شيء نسبتته إلى الجن، كقول الشاعر:

• نَحْيَلُ عَلَيْهَا جِنَّةً عَقْبَرِيَّةً •

وأخبر أن لغتهم بعيدة عن الأفهام حتى لو أن سليمان أتاها لاحتاج إلى من يترجم له عن لغتهم مع علمه باللغات وفهمه قول الحسكل^(١) هذا: والترجمان — وهو الذى يفسر كلام غيره بلسانه — بفتح التاء وضمها؛ والجمع: وترجم، مثل زعفران وزعافر، وصحصحان وصحاصح، قال نقادة الأسدي:

(١) الحسكل من الحيوان: ما لا يسمع له صوت كالنمل والنحل، قال:

وَيَفْهَمُ قَوْلَ الْحُسْكَلِ لَوْ أَنَّ ذَرَّةً تُسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفْهَمْ سِوَادَهَا

وقيل الحسكل: العجم من الطيور والبهائم قال رؤبة بن العجاج — وكان قد نزل ماء من المياه فأراد أن يتزوج امرأة فقالت له المرأة: ماسنك مامالك ما كذا؟ فأنشأ يقول

لَمَّا أَزْدَرْتُ نَقْدَى وَقَلْتُ لِمِثْلِي تَسْأَلُنِي عَنِ السِّنِّينَ كَمْ لِي
فَقُلْتُ لَوْ عُمِّرْتُ عُمُرَ الْحُسْلِ أَوْ عُمُرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفَطْحِ

طَبْتُ فُرْسَانَنَا وَالتَّحِيلَ حَتَّى خَشِيتُ وَإِنْ كَرَّمَنَ مِنَ الْحِرَانِ^(١)

وَمَنْهَلٍ وَرَدَّتْهُ الْقَطَا

إِلَّا الْحَمَامَ الْوُزُقِ وَالْقَطَا

* كَالْتَرُجْمَانِ لِقَى الْأَنْبَاطِ^(٢) *

(١) طباه يطبوه ويطيبه طبيا وطبوا : إذا دعا . قال ذو الرمة :

لِيَأَلِ اللَّهُوَ يَطْبِينِي فَأَتْبِعُهُ إِنِّي ضَارِبٌ فِي عَمْرَةٍ لَعِبُ

[أى يدعوني اللهو فأتبعه] ويقال أطباء على افتعله فقلت التاء طاء وأدغمت ، وفي حديث ابن الزبير : أن مصعبا أطبى القلوب حتى ماتعدل به : أى تحجب إلى قلوب الناس وقربها منه . وقال كثير :

لَهُ نَعْلٌ لَا يَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا وَإِنْ وُضِعَتْ وَسَطَ الْمَجَالِسِ شُمْتُ^(٢)

والحران فى الدواب : أن تقف ولا تفرح للكان . يقول : إن هذه اللغاة استملت قلوبنا وقلوب خيلنا بخصبها وطيبها حتى خشيت عليها الحران وأن تقف بها فلا تفرح ميلا إليها وإن كانت خيلنا كريمة لا يعرفوها هذا الداء — داء الحران —

وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌ كَطِينِ الْوَحْلِ أَوْ أَتْنَى أَوْ تَيْتُ عِلْمِ الْحَسَنِ

عِلْمِ سُلَيْمَانَ كَلَامِ النَّمْلِ كُنْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أَوْ قَتْلٍ

[السواء : السرار ، يقال منه ساودته مساودة وسوادا إذا ساررت : والحسل : ولد الضب ، وسئل ربيعة عن قوله زمن الفطحل فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا ، قال أهل اللغة : الفطحل دهر لم يخلق الناس فيه بعد]

(١) يقال وردت الماء والشيء التقاطا : إذا هجمت عليه بغنة ولم تحقهبه ، وفراط القطا :

متقدماتها إلى الوادى والماء ، والغطاط : ضرب من القطا . ولغط القطا والحمام بصوته وألغط وأصل اللغط : الصوت للمهم الذى لا يفهم والأنباط جبل يزلون سواد العراق :

(٢) حرك حرف الحلق من نمل لا فتتاح ماقبله ، ففتحها ليس بلغة ، والنمل مؤنثة

وهى الحذاء وقد سبق شرح هذا البيت .

(٢٥ — التنى ٤)

غَدَوْنَا تَنْفُصُ الْأَغْصَانُ فِيهَا عَلَى أَعْرَافِهَا مِثْلَ الْجَمَانِ^(١)
 فَسِرْتُ وَقَدْ حَجَبَنَ الشَّمْسَ عَنِّي وَجِبَنَ مِنَ الضِّيَاءِ بَمَا كَفَانِي^(٢)
 وَأَلْقَى الشَّرْقُ مِنْهَا فِي ثِيَابِي دَنَانِيرًا تَفِرُّ مِنَ الْبَنَانِ^(٣)
 لَهَا تَمَرُّ تُشِيرُ إِلَيْكَ مِنْهُ بِأَشْرِبَةٍ وَقَفَنَ بِلا أَوَانِي^(٤)

(١) تنفص الأغصان إلى آخره : حال ؛ وأعرافها : جمع عرف ، وهو الشعر الذى على ناصية الفرس . والجمان : حب من فضة يشبه اللآلىء ، يقول : سرنا بين أشجار هذه المغاني صباحا وقد تساقط الندى من أغصانها على أعراف خيلنا كأنه الجمان ، فكان الأغصان تنفصه على أعرافها ، والذى يؤخذ من الواحدى — ويدل عليه البيت التالى — أن الذى يقع على أعراف الخيل من خلل الأغصان مثل الجمان هو ضوء الشمس لا الندى .

(٢) الضمير من حجبين : الأغصان ؛ يقول : إنه كان يسير فى ظل الأغصان وأنها تحجب عنه حر الشمس وتلقى عليه من الضياء ما يكفيه . وقال ابن جني : يريد أن الجمان الذى يقع على الخيل هو ما يقع عليها من بين الأغصان من ضوء الشمس .

(٣) الشرق : المشرق ، وهو أيضا الضوء والشمس ، يقال طلع الشرق ولا يقال غرب الشرق ، وهو المراد هنا . والبنان : أطراف الأصابع . يقول كما قال النبريزى : إن هذا الشجر كثير الورق ملتف ، فضاء الشمس يدخل مؤخره فخله فيكون على الثياب كأنه الدنانير إلا أنه يفر من البنان وليست الدنانير كذلك وهو معنى لم يسبق إليه . وعبارة بعض الشراح : يريد بالدنانير ما يتخلل الأغصان من ضوء الشمس فإنه يقع مستديرا ، يقول : لما طلعت الشمس من المشرق ألقى الشراب بطولها دنانير لا تمسك باليد . فالشرق بمعنى المشرق .

(٤) أوانى : جمع آنية ، جمع إناء . يقول : إن ثمار هذه الأغصان رقيقة القش ففى تشير إلى الناظر بأشربة — جمع شراب — واقفة بلا إناء ، لأن ماءها يرى من وراء قشرها كما يرى الماء فى الزجاج ، يعنى أن هذه الثمار كأنها أشربة قائمة بنفسها ليس لها أوعية تمسكها ، وهذا المعنى منقول من قول البحترى :

يُخْفَى الرُّجَاجَةُ لَوْنُهَا فَكَأَنَّهَا فِي الْكَفِّ قَائِمَةٌ بِغَيْرِ إِنَاءٍ .

وَأَمْوَاهُ تَصِلُ بِهَا حَصَاهَا صَلِيلَ الْحَلِيِّ فِي أَيْدِي الْقَوَانِي^(١)
وَلَوْ كَانَتْ دِمَشْقُ ثَنَى عِنَانِي لَبِيقُ الثَّرْدِ صِينِي الْجَفَانِ^(٢)
يَلَنْجُوجِي مَارُفَعَتِ لِضَيْفٍ بِهِ النَّيْرَانُ نَدَى الدُّخَانِ^(٣)

(١) تصل : تصوت ؛ وحصاها : فاعل تصل ؛ وبها : أى بتلك الأمواه ، يعنى مجريها وروى ابن جني لها : أى لأجلها أى لأجل جريها . والحلى : ما يلبسه النساء من الذهب والفضة والجوهر . والقواني : جمع غانية ، المرأة التي غنيت بحسنها شبه الأمواه ، في اندماجها وصفاء لونها بمعاصم الحسان ، وما يصل بها من الحصى بالحلى الذي يلبس في المعاصم — جمع معصم وهو موضع السوار .

(٢) يقال ثنى عنانه : إذا رده عن عزمه . والعنان — في الأصل — سير العجاء . واللبيق : العاذق الرقيق بما يعمل كالبقيق . والثرد : جمع ثريد ، وهو الحزيفت وييل بالمرق . وروى ابن جني بفتح الثاء على المصدر ، قال يريد به الثريد . والجفان : جمع جفنة ، وهى القصعة وصيني الجفان : أى أن جفانه صينية . يقول : لو كانت هذه المغاني الطيبة دمشق — أى لو كنت في غوطة دمشق مكان شعب بوان — لثنى عناني إليه رجل جيد الثريد ذو قصاع صينية ؛ يعنى لأضافي هناك رجل ذو مروءة يحسن إلى الضيفان ، لأنها — دمشق — من بلاد العرب ، وشعب بوان من بلاد العجم . وقال ابن جني — لو كانت هذه المغاني كغوطة دمشق في الطيب لرغبت عنها ، وملت إلى هذا الممدوح الذي ثرده لبيق وجفانه صينية ، لأنه ملك ، وليس هو من أهل البادية . قال الواحدى : وليس الأمر على ما قال — أى ابن جني — لأن البيت ليس بمخلص ، ولم يذكر الممدوح بعد . والمعنى : أنه يبين فضل دمشق وأهلها وإحسانها إلى الضيفان ، وخص دمشق من سائر البلدان لأن شعب بوان مضاء لغوطة دمشق في الطيب وكثرة المياه والأشجار .

(٣) يلنجوجى : نسبة إلى اليلنجوج ، وهو العود الذي يتبخر به ؛ و«ما» موصولة ورفعت النار : شبت ؛ وبه : متعلق برفعت ، والضمير : لـ«ما» . وندى : نسبة إلى الند ، وهو ضرب من الطيب يدخن به : قال أبو عمرو بن العلاء : يقال للنعير : الند ، وقال غيره : هو ضرب من الدخنة . يقول : إن هذا الرجل يوقد النيران للضيف بالعود اليلنجوجى ، ودخانه طيب تشم منه رائحة الند :

تَحِلُّ بِهِ عَلَى قَلْبِ شُجَاعٍ وَتَرْحَلُ مِنْهُ عَنْ قَلْبِ جَبَانٍ^(١)
مَنَازِلُ لَمْ يَزَلْ مِنْهَا خَيَالٌ بِشَيْءٍ مِّنِي إِلَى الْفَوْبِ بَنَدَجَانٍ^(٢)
إِذَا غَنَى الْحَمَامُ الْوُرُقُ فِيهَا أَجَابَتْهُ أَغَانِيُ الْقِيَانِ^(٣)

(١) اضطربت كلمة الشراح في هذا البيت ، ولعل أحسنها ماذهب إليه الواحدى ، قال : تحل به أنت - أيها الرجل - أى تنزل بهذا الرجل الذى وصفه بما تقدم - على قلب شجاع جرىء على الإطعام والقرى غير بخيل - لأن البخل جبن - وهو خوف الفقر ، وترحل منه عن قلب جبان خائف فراقك وارتحالك ، وقال ابن جنى : المعنى : يسر بأضيافه فتقوى نفسه بالسرور ، فإذا ارتحلوا عنه اغتم ، فضعفت نفسه ، فالقلبان - على هذا وعلى ماذهب إليه الواحدى - قلبا المضيف ، وقال ابن فورجه : كأنه - أى ابن جنى - يظن أنها قلبا عضد الدولة ؛ ولو أراد - المتنبي - ما قال لقال تحل به على قلب مسرور وترحل منه عن قلب مغموم ، فأما الشجاعة والجبن فلمما معنى غير ماذهب إليه - أى ابن جنى - وإنما يريد - المتنبي - أنك إذا حطت به كنت ضيفا له وفى ذمامه فأنت شجاع القلب لا تتبالى بأحد ، وتفارقه ولا ذمام لك فأنت جبان تخشى من لقيك ، ومثله قوله :

* وَإِنْ نَفُوسًا أَمْتَكْ مَنِيمةٌ *

فالقلبان في البيت : قلبا من يحل ويرحل - أى قلبا المضيف .

(٢) نوبندجان : بلاد بفارس ؛ وبشيعى : يتبعنى . قال الواحدى : يريد أنه : يرى دمشق فى النوم وهو بفارس ، خيال منازل دمشق يقبعه ، والمعنى أنه يحب دمشق ويكثر ذكرها ويحلم بها ، قال : ويجوز أن يريد خيال حبيب له بدمشق ونواحيها يأتيه فى منامه .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى التى فى لونها بياض إلى سواد ويقال للرماد : أورق ؛ وللحامة والذئبة : ورقاء : قال رؤبة :

فَلَا تَكُونِي يَا ابْنَةَ الْأَشْمِ وَرَقَاءَ دَمِي ذُنْبَهَا الْمَدْمِي^(١)

(١) الذئباب إذا رأت ذنبا قد عقر وظهر دمه أكتبت عليه فقطعته وأثناء معها وقيل الذئب إذا دى أكلته أثناء فيقول هذا الرجل لامرأته : لا تكونى إذا رأيت الناس قد ظلموني معهم على فتكونى كذئبة السوء .

وَمَنْ بِالشَّعْبِ أَحْوَجُ مِنْ حَمَامٍ إِذَا غَفَى وَنَاحَ إِلَى النَّيَّانِ^(١)
 وَقَدْ يَتَقَارَبُ الْوَصْفَانِ جِدًّا وَمَوْصُوفَاهُمَا مُتَبَاهِدَانِ^(٢)
 يَقُولُ بِشَبِّ بَوَّانٍ حِصَانِي أَعَنْ هَذَا بِسَارُ إِلَى الطَّعَانِ^(٣)
 أَبُو كَمْ آدَمُ سَنَ الْمَعَاصِي وَعَلَّكُمْ مُفَارَقَةَ الْجَنَانِ^(٤)
 قُلْتُ إِذَا رَأَيْتُ أَبَا شُجَاعٍ سَلَوْتُ عَنِ الْعِبَادِ وَذَا الْمَكَانِ^(٥)

والقيان : جمع قينة ، وهى الجارية اللينة . يريد لطيفها اجتمعت أصوات الحمام والقيان بها يحاوب بعضها بعضا .

(١) يقول : إن أهل الشعب - شعب بوان - وقطانه أحوج إلى البيان من حمامه فى غنائه ونوحه ، لأنهم أحاجم لايان لهم ولاخضاحة ، فلا يفهم العرب كلامهم ؛ قال اليازجى : يريد التنظير بين غناء هؤلاء وغناء قيان دمشق وهو تفضيل آخر لدمشق على شعب بوان . هذا : وأخبر عن الحمام بالغناء والنوح لأن العرب تشبه صوت الحمام مرة بالنساء لأنه يطرب ، ومرة بالنوح لأنه يشجى ، ونوح الحمام وغناؤه مذكوران فى أشعارهم .

(٢) يقول : إن العجمة تجمع الحمام وأهل الشعب ، والوصوف بها مختلف ، لأن الإنسان غير الحمام ، فأهل الشعب بعدوا بالإنسانية عن الحمام ، ولكن وصفهما فى الاستعجاب وعدم الإفصاح متقارب .

(٣) يقول : إن فرسى يقول لى حين رأى شعب بوان وطيب الإقامة به - منكرًا على السير منه إلى الحرب - أعن هذا المكان يسار إلى الطعان والنزال ؟ والاستفهام معناه هنا الإنكار ، والمراد أن فرسه لو نطق لقال ذلك .

(٤) يقول : إنما تفعلون ذلك اقتداءً بأبيكم آدم حين عصى ربه فأخرج من الجنة ، فهو الذى سن لكم ركوب المعاصى ومفارقة مواطن النعيم بسببها . قال الواحدى : وإنما ذكر هذا لى يتخلص إلى ذكر المدح فيقول : هذا المكان وإن طاب فإنى لم أخرج به عما كان سبيلى إليه .

(٥) أبو شجاع : كنية عضد الدولة . يقول - مجيباً فرسه - : إنما أغادر هذا المكان لأنى أقصد أبا شجاع الذى متى رأيته نسيت الناس طرا ونسيت هذا المكان مع جماله وطيبه لأنى أجد عنده ما يسلى عن كل شئ .

فَإِنَّ النَّاسَ وَالْدُّنْيَا طَرِيقٌ إِلَى مَنْ مَالُهُ فِي النَّاسِ ثَانٍ ^(١)
لَقَدْ عَلِمْتُ نَفْسِي الْقَوْلَ فِيهِمْ كَتَمْلِيمِ الطَّرَادِ بِلَا سِنَانٍ ^(٢)
بِعَضْدِ الدَّوْلَةِ اِمْتَنَعْتُ وَعَزَّتْ وَلَيْسَ لِغَيْرِ ذِي عَضْدٍ يَدَانِ ^(٣)
وَلَا قَبْضٌ عَلَى الْبَيْضِ الْمَوَاضِي وَلَا حَظٌّ مِنَ السُّمْرِ اللَّدَّانِ ^(٤)
دَعَتْهُ بِمَفْرَغِ الْأَعْضَاءِ مِنْهَا أَيَّوْمِ الْحَرْبِ بِكْرِ أَوْ عَوَانٍ ^(٥)

(١) يقول : إن الناس كلهم - والدنيا بأجمعها - طريق إليه لا يمكنني شيء منهم ومنها حتى أبلغه .

(٢) الطراد : أن يحمل بعض الفرسان على بعض في الحرب ، والسنان : نصل الرمح . يقول : علمت نفسي القول في الناس بالشعر في مدائحهم قبله كما يتعلم الطعان أولاً بغير سنان ليصير المتعلم ماهراً بالطعان بالسنان ، كذلك أنا تعلمت الشعر في مدح الناس لا تدرج إلى مدحه وخدمته . وعبارة بعض الشعراء : يريد أنه لم يكن يقصد الجدل في مدح غيره ، وإنما كان يمرن نفسه على الشعر حتى يعرف كيف يمدحه حق المدح متى انتهى إليه وقوله لقد علمت : يروى له علمت - أى لأجله - وذلك أظهر في المعنى .

(٣) قال الواحدى : أى أن الدولة امتنعت بعضدها وعزت ولا يدلن لأعضده ولا يدفع عن نفسه من لا يد له ، والمعنى أنه للدولة يد وعضد ؛ به تدفع عن نفسها ، وعلى هذا يكون الضمير في قوله « امتنعت » عائداً على المضاف إليه من قوله « بعضد الدولة » فهو على حد قولك : بعلام هند مرت : أى مرت هند بعلامها ، وهو كما تراه ، قال ابن جني : يعرض بدولة غيره من الملوك التي لا يذب عنها ولا يحميها ، وأودع كلامه رمزاً خفياً وتعريضاً بجميع من لا عضد له دولة كان أو إنساناً بقوله « وليس لغير ذي عضد يدان » هذا : وعضد - بسكون الضاد - تخفيف عضد - بضمها -

(٤) البيض : السيوف . والمواضي : القواطع . والسمر : الرماح . واللدان : جمع لدن ، وهو اللين اللين . يقول : من لم يكن له يدان لم يقبض على السيوف ولم يطمئن بالرمح لأنه لا يتأتى له ذلك ؛ يعنى أن غيره لا يقوم مقامه في الدفع عن الدولة لأنه عضدها ومن لا عضد له لا يد له ، ومن لا يد له لم يضارب ولم يطاعن . هذا : وقوله « ولا حظ » يروى ولا حظ - بالطاء المهملة - وهو خفض الرماح بالطمعن .

(٥) قوله بكر : صفة لموصوف محذوف ، كأنه قال : ليوم الحرب حرب بكر أو عوان

فَا يُسَمِّي كَفَنًا خُسْرًا مُتَمِّمٌ وَلَا يُكْنِي كَفَنًا خُسْرًا كَانِي^(١)
وَلَا تُحْصِي فَضَائِلُهُ بِظَنٍّ وَلَا الْإِخْبَارِ عَنْهُ وَلَا الْعِيَانِ^(٢)
أَرُوضُ النَّاسِ مِنْ تَرْبٍ وَخَوْفٍ وَأَرْضُ أَبِي شُجَاعٍ مِنْ أَمَانٍ^(٣)

والحرب العوان : التي قوتل فيها مرة ، كأنهم جعلوا الأولى بكرة . وقوله بمفرع الأعضاء رواها ابن جني : بموضع الأعضاء ، وقال أي دعته السيوف بمقابضها والرماح بأعقابها لأنها مواضع الأعضاء منها ، وحيث يمسك الطاعن والضارب ؛ قال : ويحتمل أن يريد دعته الدولة بمواضع الأعضاء من السيوف والرماح . أي اجتذبه واسمائه ؛ قال ابن فورجه هذا ما ذهب إليه ابن جني - مسخ للشعر لا شرح له وما قال الشاعر إلا بمفرع الأعضاء يعني دعته الدولة عضدا ؛ والعضد : مفزع - ملجأ - الأعضاء كأنه شرح قوله بعضد الدولة امتنعت وعزت ؛ قال الواحدى : وهو على ما قل - ابن فورجه - يريد أن الدولة صمته عضدا وهي - العضد - مفزع الأعضاء ، لأن الأعضاء عند الحرب تفزع إلى العضد ، والعضد هي الدافعة عنها الحامية لسائر الأعضاء ؛ وحاصل المعنى أن الدولة دعته بعضدها وهو ملجؤها الذى تدخره لأيام الحروب .

(١) أسماء وسماه : بمعنى . يقول : إنه لا نظير له ، فلا يدعى أحد باسم ولا بكنية هو مثله أو تقول : إذا ذكر أحد اسمه أو كنيته فقد ذكر من لا يماثله أحد . فالمسمى : الداعى بالاسم ؛ والسكاني : الداعى بالكنية .

(٢) يقول : إن فضائله لا يحيط بها الظن - على اتساعه - ولا تستوفى الأخبار ، ولا تستقصى بالمشاهدة والعيان لكثرتها . وقوله عنه : قال الواحدى كان حقه أن يقول « عنها » لكنه علقه به لإقامة الوزن . أراد : ولا الإخبار عنه بها .

(٣) أروض : جمع أرض ، قالوا : وهذا الجمع قياس - لاسماع - فقد نص سيبويه على أن العرب لا تجمع الأرض جمع تكسير ، قال : واستغنوا عن تكسيرها بأرضات وأرضين ، وحكى أبو زيد في جمع أرض : أروض . والمراد بالناس ههنا : الملوك . يقول إن أرض غيره من الملوك مخلوقة من التراب والخوف معا ، لأن الخوف ملازم لها لا يفارقها فكأنها خلقت منه كما خلقت من التراب ، وهذا كقوله تعالى « خالق الإنسان من عجل » لما كان في أكثر أحواله عجلا صار كأنه مخلوق من عجلة - وأرض المدح كأنها مخلوقة من الأمان ، للزوم الأمان لها ، والمعنى أن أحدا لا يبعث في نواحي مملكته هيبة له وخوفاً منه .

تَذِمُّ عَلَى الْأُصُوصِ لِكُلِّ تَجَرٍّ وَتَضْمَنُ لِلصَّوَارِمِ كُلِّ جَانِيٍّ (١)
إِذَا طَلَبْتَ وَدَائِمَهُمْ نِقَاتٍ دُفِنَ إِلَى الْمَحَانِي وَالرَّعَانِ (٢)
فَبَاتَتْ فَوْقَهُنَّ بِلَا صَحَابٍ نَصِيحُ بَيْنَ بَمَرٍ : أَمَا تَرَانِي (٣)
رُفَاهُ كُلُّ أَبْيَضٍ مَشْرِفِي لِكُلِّ أَصَمٍّ صِلَ أَفْعُوَانِ (٤)

(١) تَذِمُ : أى الأرض . وفى رواية يَذِمُ : أى المددوح ، وأذم له أعطاه التمام وهو العهد والجوار . والتجر : جماعة التجار كالشرب ، لكن التنبي أجرى التجرة مجرى الواحد ذهاباً إلى أنه واحد التجار كما قال الآخر :

* نُسَائِلُ عَنْ أَبِيهَا كُلِّ رَكَبِ *

يقول : إن أرض هذا للمدودح تجر كل تاجر من الأصوص فلا يخافون الأصوص ، إذ لا يستطيعون العدوان على أحد ، هبة وخوفاً من المددوح ، وهى تضمن لسيوف المددوح كل من يخفى جناية أن يكون طعمة لها إذ لا ينبجو من يده .

(٢) النِقَاتُ : الدين يوثق بهم . والمحاني : جمع محنة ، منعطف الوادى . والرعان : جمع رعن ، أنف الجبل ، والضمير فى « ودائهم » : للتجر . يقول : إن ودائع التجار إذا تركت فى محانى الأودية ورعان الجبال فكأنها عند نقات أمناة ؛ يعنى إذا تركوها فى هذه الأماكن أمنوا ولم يخافوا عليها أحدًا . لأن هبة المددوح تحمىها فلا يجرؤ أن يمسها أحد .

(٣) يقول : باتت بضائع التجار فوق المحانى والرعان ظاهرة للناظرين وكأنها تقول لمن مر بها : أَمَا تَرَانِي ؟ لأنه يعرض عنها فلا يحسر أن يمد يده إليها يعنى أنها لا حرز دونها وليس هناك من يحفظها ويحرسها غير هيبته فلا يحسر من يمر بها أن يمد يده إليها وإن لم ير عندها أحدًا . قال البازجى : وكان الوجه أن يقول « ألا تَرَانَا » لأنه حكاية قول الودائع ولكنه لما استعمل لهن ضمير الواحدة فى قوله نصيح أجرى فعل التكلم مجرى فعل النية .

(٤) الرقى : جمع الرقية ؛ والأبيض : السيف . والشرفى نسبة إلى مشارف ، وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف تنسب إليها السيوف . والصل : ضرب من الحيات خبيث يشبه بها الرجل إذا كان داهياً نكراً فيقال : إن فلانا لصل أصلال . والأفْعُوَانُ ذكر الأفعى . جعل الأصوص كالأفعى وجعل سيوفه رقى لتلك الأفعى ، فكأن الحية يدفع أذاها بالرقية : كذلك هو يدفع عادية الأصوص بسيوفه .

وَمَا تُرْقَى لَمَّاهُ مِنْ نَدَاهُ وَلَا الْمَالُ الْكَرِيمُ مِنَ الْهَوَانِ^(١)
حَمَى أَطْرَافَ فَارِسَ شَمْرَى^(٢) يَحْضُرُ عَلَى التَّبَاقِي بِالتَّفَاقِي^(٣)
بَضْرِبِ هَاجِ أَطْرَابِ الْمَنَافَا سِوَى ضَرْبِ الْمَنَافَا^(٤) وَالتَّفَاقِي^(٥)
كَأَنَّ دَمَ الْجَاهِجِ فِي الْعَنَاصِي كَسَا الْبُلْدَانَ رِيَشَ الْحَيَقُطَانِ^(٦)

(١) اللهى : جمع لهى ، وهى العطية . يقول : مع أنه يرقى أموال التجار من أفاعى
الاصوص فإن عطاياه لا ترقى من جوده وبذله أى لا تحمى منه ، ولا ماله الكريم يرقى
من هوانه ، لأن جوده يبددها ويهب أمواله فتبتذل فى أيدى الناس .

(٢) شمرى : جاد مشيع فى الأمور ، كثير التشمير والانكماش فيها . وأراد بالتباقى
البقاء ؛ وبالتفانى : الفناء . يقول : إن المدوح رجل شمرى حمى بلاد فارس بمضائه .
يقول لأصحابه أفنوا أنفسكم فى الحرب لىبقى ذكركم فكأنكم باقون بيقائه ، وقال العروضى
إن للعى : حمى فارس بقتل الاصوص فاعتبر غيرهم فلم يؤذوا الناس ولم يستحقوا القتل
فبقوا ، يعنى أنه إذا قتل أهل العيث والفساد كان فى ذلك زجر لغيرهم فيصلر ذلك حثا
لهم على اغتنام التباقى ، فىكون هذا من قبيل قوله تعالى « ولكم فى القصاص حياة »
ولكن يدل على للعى الأول : البيت التالى .

(٣) بضرب : متعلق بحمى . والأطراب : جمع طرب ؛ والمناث والثانى : من أوتار
العود ، جمع مثلث ومثنى ، وهما الوتر الثالث والثانى . يقول : حمى أطراف فارس بضرب
يطرب المنايا فيحركها ، لكثرة من يقتله وذلك الضرب غير ضرب العود الذى من شأنه
أن يطرب ويهيج الشوق ، يعنى أنه بضرب بالسيف ولا يميل إلى ضرب العود
وما إليه .

(٤) العناصى : جمع عنصوة ، وزان ترقوة ، وهى الشعر المتفرق فى الرأس
قال أبو النجم :

إِنْ يُمِسْ رَأْسِي أَشْمَطَ الْعَنَاصِي كَأَنَّمَا فَرَقَهُ مُنَاصِ

عَنْ هَامَةَ كَالْحَجَرِ الرَّبَاصِ

[مناص : لعله من أناص الشيء عن موضعه : أى حركه وأداره عنه لينزعه .
والرباص : البراق] والحيقطان : ذكر الدراج ، وهو طائر شبيه بالحجل وأكبر منه
أرقط بسواد وبياض قصير المنقار . يقول : إن جماجم الأعداء الذين أعمل فيهم سيفه

فَلَمْ تُطْرِحَتْ قُلُوبُ الْعِشْقِ فِيهَا لَمَّا خَافَتْ مِنْ الْخَدَقِ الْحَسَنِ (١)
وَلَمْ أَرْ قَبْلَهُ شَيْئًا هَزَبَ كَشِبْلِيهِ وَلَا مَهْرَى رِهَانِ (٢)
أَشَدَّ تَنَازُعًا لِكَرِيمِ أَصْلٍ وَأَشْبَهَ مَنَظَرًا بِأَبِ هِجَانِ (٣)
وَأَكْثَرَ فِي مَجَالِسِهِ اسْتِمَاعًا فَلَانٌ دَقَّ رُحْمًا فِي فَلَانِ (٤)
وَأَوَّلُ رَأْيَةٍ رَأْيَا الْمَعَالِي فَقَدْ عَلِقًا بِهَا قَبْلَ الْأَوَانِ (٥)

كانت تطير وشعورها المتلطفة بالدماء تنتثر على وجه البلدان ، فكان دماهم قد كست
البلدان ريش هذا الطائر الكثير الألوان .

(١) قلوب العشق : أى قلوب أهل العشق . يقول : إن الأمن عم بلاد فارس حتى
لو كانت قلوب العشاق فيها لما خشيت سهام أحداق الحسان ، وهو معنى غريب :
(٢) الشبل . ولد الأسد ؛ والهزبر : من أساء الأسد ؛ وللمهر : الحدث من الخيل .
والرهان : السباق . يقول : لم أر في الناس مثل ولديه اللذين هما كشبلى أسد في الشجاعة
ومهرى رهان في المسابقة إلى غاية الكرم .

(٣) أعد : صفة لمهرى رهان . والهجان : الخالص الكريم . يقول : لم أرقبلهما
ولدين أشد تنازعا — أى تجاذباً — لأصل كريم ، يعنى أن كل واحد منهما ينزع إلى
أصله نزوعاً شديداً حتى كأنهما يتنازعانه فيريد أن يكون أكرم من صاحبه ، بأن يكون
حظه أوفر من حظ صاحبه في الكرم . ولم أر ولدين أشبه منهما بأب كريم خالص
النسب .

(٤) الضمير في « مجالسه » : يعود إلى أب . وجملة « فلان دق رهما في فلان » :
حكاية ، وهى مفعول الاستماع . يقول : ولم أر ولدين أكثر منهما استماعاً في مجالس أبيهما
مثل هذه العبارة ، وهى فلان دق — كسر — رهما في فلان : يعنى أنه لا يجرى في مجلس
أبيهما غير ذكر الطعان والطراد فهما لا يسمعان غير ذلك .

(٥) راية : فلة من الرأى ؛ ورأيا : صفة لرأية ، والعائد محذوف : أى رأياها .
والمعالي : خبر أول . وعلقا بها : عشقاها . يقول : أول شئ رأياه هو المعالي ، فقد
عشقها قبل أوان العشق ، وروى ابن جنى . وأول داية ، والداية : الظئر — التى ترضع
للولود — فيكون المعنى : إن المعالي تولت تربيتهما فهما يميلان إليهما ويحبانها . حب
الصبي من رباه .

وَأَوَّلُ أَفْقَافٍ فَمَهْمَا وَقَالَ إِغَاثَةُ صَارِخٍ أَوْ فَكُّ هَانٍ^(١)
وَكُنْتُ الشَّمْسَ تَبْهَرُ كُلَّ عَيْنٍ فَكَيْفَ وَقَدْ بَدَتْ مَعَهَا أَفْئَانِ^(٢)
فَعَاثَا عَيْشَةَ الْقَمَرَيْنِ يُحْيَا بِضَوْفِهِمَا وَلَا يَتَحَاثَدَانِ^(٣)
وَلَا مَلَكًا سِوَى مُلْكِ الْأَعَادِي وَلَا وَرَثًا سِوَى مَنْ يَقْتُلَانِ^(٤)
وَكَانَ ابْنًا عَدُوًّا كَأَثَرَاهُ لَهُ يَأْخُذُ حُرُوفٍ أَنْيْسِيَانِ^(٥)
دُعَاةً كَالشَّاهِ بِلَا رِثَاءٍ يُؤَدِّيهِ الْجَفَانُ إِلَى الْجَفَانِ^(٦)

(١) الصارخ : المستغيث ، وإغاثته : نصرته ، والغانى : الأسير يقول : وأول كلام فهموه هو إجابة من استصرخهم ونصرته وفك الأسير من وثاقه ، و«لفظة» : تروى كلمة .

(٢) تبهر : أى الشمس ، وبهره : غلبه وقوله فكيف الخ : أى فكيف تصنع مثلاً يقول : كنت شمسا تبهر العيون بهائك فكيف اليوم وقد ظهر معك من ولدك فمسان آخران ؟

(٣) يدعو لها بأن يبقيا بقاء الشمس والقمر ، يحيا الناس بضوءهما ، وأن لا يكون بينهما تحاسد أو اختلاف .

(٤) هذا دعاء لا يبيها بالحياة يقول : لا ملكا ملكك بل ملك الأعادى ، ولا وراثك إنما ورثا من يقتلانه من الأعداء .

(٥) كآثره : فآخراه بالكثرة ويأى . خبر « كان » ، وأنيسيان : مصغر إنسان وهو من شواذ التصغير ؛ وإنسان : خمسة أحرف ، وهو مكبر ، فإذا صغرته وقلت « أنيسيان » زاد عدد حروفه وصغر معناه ، والبيت دعاء أيضا . يقول : عدوك الذى له ابنان وكأثرك بهما كانا زائدين فى عدده ناقصين من حسبه وغره بأن يكونا ساقطين خسيسين كياء أنيسيان : يزيدان فى عدد الحروف وينقصان من معناه ، وقال بعض الشراح : أى إذا فآخرا — أى ابنا المدحوح — عدوا بتكثيرهما عدد رهطك ، فليكن ابنا ذلك العدو : أى العدد الذى يقابلهما — عنده بمنزلة الياءين فى أنيسيان : أى آيلين إلى نقصه وخسته وإن زادا فى عدده ، وهذا المعنى الثانى أنسب وأقرب والسبق يدل عليه .

(٦) دعاء : أى هذا دعاء . والرثاء : التظاهر بغير مافى الباطن . والجنان القلب يقول . وهذا الذى ذكرته دعاء وهو ثناء عليك لا رثاء فيه ، لأنه إخلاص من القلب

قَدْ أَصْبَحْتُ مِنْهُ فِي فِرْنَدٍ وَأَصْبَحَ مِنْكَ فِي عَضْبٍ يَمَانٍ^(١)
وَلَوْلَا كُونُكُمْ فِي النَّاسِ كَانُوا هُرَاءَ كَالْكَلَامِ بِلَا مَعَانِي^(٢)

إلى القلب يخرج من قلبي فتفهجه بقلبك ، وتعلم أنه إخلاص لا يشوبه رثاء .
(١) فرند السيف : جوهره ووشيه : والعضب : السيف القاطع . واليماني : نسبة إلى اليمن ، شبه الممدوح بسيف يمان وشبه شعره بفرند ذلك السيف : أى أن شعره زينة للممدوح ؛ كالفرند للسيف ، لأنه نوه بمناقبه ومحامده ، وقد نزل منه في منزل هو أهل له كنزول الفرند من السيف اليماني وهو أجود السيوف .
(٢) في الناس : خبر كونكم : والمراء : الساقط من الكلام ، قال ذو الرمة .

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقٌ رَخِيمٌ الْخَوَاشِي لَاهُرَاءَ وَلَا تَزُرُ^(١)
يقول : بكم صار للناس معنى ، ولولاكم لكان الناس كالغو من الكلام الذى لا معنى له ، وهذا كقوله :

* وَالْأَهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَفْنَاءُ *

(١) ويحتمل أن يكون المراء — في البيت — بمعنى المنطق الكثير ، والتزر القليل التافه ، قال ابن منظور : يريد ذو الرمة أن كلامها مختصر الأطراف وهذا ضد المذر والإكثار ، وذاهب في التخفيف والاختصار ، فإن قال قائل وقد قال ولا تزر فلستنا ندفع أن الحفر يقل معه الكلام وتحذف منه أحناء المقال لأنه على كل حال لا يكون ما يجرى منه وإن خف وتزر أقل من الجمل التي هي قواعد الحديث الذى يشوق موقعه وبروق مسمعه .

قافية الهاء

وذكر سيف الدولة جدّ أبي العشار وأباه فقال :

أَغْلَبُ الْحِيزَيْنِ مَا كُنْتُ فِيهِ وَوَلِيَّ النَّمَاءِ مَنْ تَنْمِيهِ ^(١)
ذَا الَّذِي أَنْتَ جَدُّهُ وَأَبُوهُ دِنْيَةٌ دُونَ جَدِّهِ وَأَبِيهِ ^(٢)

(١) الحيز : السكان الذى يحوز الشيء ، والمراد : حيز النسب ؛ والولى . هنا :
الصاحب . وتنميه : ترفعه ، وكل شيء رفعته فقد نميته ومنه قول النابغة .

فَعَدَّ عَمَّا تَرَى إِذْ لَا ارْتِجَاعَ لَهُ وَأَنْتُمْ الْقُتُودُ عَلَى عَيْرَانَهُ أَجْدُ ^(١)

يقول : الجانب الذى أنت فيه هو أغلب الجانبين ، يعنى أن عشيرة قنسب إليها تكون
منها يغلبون بك غيرهم لدى الساماة ، ومن ترفعه أنت فهو كل يوم فى زيادة ورفعة . هذا
ولنعد إلى الحيز ، فنقول : قال العكبرى . الحيز فيعمل من حاز يحوز وهو السكان ،
وسيويوه يجمعهم حيايز ، والأخفش حياوز قال : وتحيز تحيزاً ، قال سيديويه : هو تفعل
من حزت الشيء ، يريد أن وزن تحيز تفعل ، وكان أصله تحيوز ثم قلب وأدغم
قال القطامي :

تَحْمِيزُ مِنِّي خَشْيَةٌ أَنْ أُضِيفَهَا كَمَا انْحَازَتْ الْأَفْنَى تَحَافَةً ضَارِبِ ^(٢)

(٢) يقال هو ابن عمى دنية ودنيا — بالتثنية — أى أدنى — أقرب — بنى
العم إلى . يقول : هذا الذى أنت جده وأبوه — يعنى أبا العشار — يعنى أنه
ريبب نعمتك وغذى دولتك فأنت إذن جده وأبوه دنية لا اللذان ولداه ، .
يقول : اتصاله بك فى القرابة يغنيه عن ذكر الجد والأب ، فهو بك
يفتخر لاهما .

(١) القتود : جمع قَد — بالتحريك — اسم لأداة الرحل ، العيرانة : الناقة الناجية
فى نشاط ، أوهى القى شبت بالعر — حمار الوحش — فى سرعتها ونشاطها ، وناقة
لُجْد موقنة الحلق .

(٢) يقول : تنحى هذه العجوز وتتأخر خوفاً أن أنزل عليها ضيفا .

وأجل سيف الدولة ذكره وهو يسايره فقال :

أَنَا بِالْوُشَاةِ إِذَا ذَكَرْتُكَ أَشْبَهُهُ تَأْتِي الْفَدَى وَيُذَاعُ عَنْكَ فَتَكْرَهُ^(١)
وَإِذَا رَأَيْتُكَ دُونَ عِرْضِي عَارِضًا أُيَقِّنْتُ أَنَّ اللَّهَ يَبْنِي نَصْرَهُ^(٢)

وقال بمدح أبا العشائر ويودعه وقد أراد سفرًا :

النَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ وَالْدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ^(٣)
وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ^(٤)

(١) الوشاة : جمع واش ، وهو النمام . يقول : أنت تجود على الناس وتسخو ونهب طى ذلك ، وتكره أن يذاع عنك لمكانك من النبل ، فإذا ذكرت بك بالجوود كنت من الوشاة الذين يذيعون ما يكره صاحبه أن يظهر .

(٢) العرض : ما يمدح ويذم من الإنسان . وعارضا : أى معترضا ، حال لأن رؤية العين لا تعدى إلا إلى مفعول واحد يقول : إذا رأيتك تدفع عن عرضي وتحمى دونه علمت يقينا أن الله يريد نصر ذلك الذى تذود عنه - يعنى للثني بهذا نفسه ، لأن سيف الدولة أجل ذكره ، يريد أن الله سبحانه ينصرف على حسادى وأعدائى إذا جعلك تمدحني وتحسن القول فى - هذا : والروى - فى هذين البيتين - هو الهاء - لا الراء - وإن اتفقت القافيتان الأخيرتان فى التزامها - أى الراء - وقول من قال إن هاء الإضمار إذا تحرك ما قبلها لا تكون إلا وصلا مقيد بما إذا تكررت ، لكلا يكون من قبيل الإيطاء ، فإن لم تتكرر كما فى البيتين كانت كغيرها من الحروف .

(٣) يقول : الناس أشباه وأمثال بعضهم لبعض ، فإذا رأوك اختلفوا بك إذ لا نظير لك بينهم ، كما قال :

بَعْضُ الْبَرِيَّةِ فَوْقَ بَعْضٍ خَالِيًا فَإِذَا حَضَرَتْ فَكُلُّهُ فَوْقَ دُونَا
ثم قال : وأنت معنى الدهر لأنه بك يحسن ويسىء ، وهذا منقول من قول ابن دريد .

وَاللَّهُ يَمْلِكُ وَالرَّاضِي وَشِيمَتُهُ أَنْ الْوِزَارَةَ لَفْظٌ أَنْتَ مَعْنَاهُ
(٤) ناظر العين : إنسانها والبأس : الشجاعة . والباع : قدر مد البدين ؛ وباع

أَفْدَى الَّذِي كُلُّ مَازِقٍ حَرَجٍ أَغْبَرَ فُرْسَانَهُ تَحَامَاهُ^(١)
أَعْلَى قَنَاةِ الْحَسَنِ أَوْسَطَهَا فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رَجُلَاهُ^(٢)

الحبل يبوعه بوعا : مد يديه معه حتى صار باعا ، كما تقول شبرته - من الشبر - وربما عبر
بالباع عن الشرف والكرم ، قال المعجاج :

إِذَا الْكِرَامُ ابْتَدَرُوا الْبَاعَ بَدَرُ تَقَضَّى الْبَازِي إِذَا الْبَازِي كَسَرَ^(١)
وقال حنبل بن خالد أحد بني قيس بن ثعلبة :

نُدْهِدِقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى وَبِمَضْمُومٍ تَعْلِي بِذَمٍّ مَنَاقِعُهُ
« الدهدقة : دوران البضع الكثير في القدر إذا غلت تراها تعلو مرة وتسفل
أخرى ؛ والمناقع : القدور الصغار ، واحدها منقع ومنفعة » . يقول المتنبي : أنت من
الجلود بمنزلة الناظر من العين ، ومن البأس بمنزلة اليمين من الباع ، وهذا من قول
علي بن جبلة :

وَلَوْ جَزَأَ اللَّهُ الْعُلَى فَتَجَزَّأَتْ لَكَ الْيَمِينُ وَالْأُذُنَانِ

(١) المآزق : الضيق ، يراد به ساحة الحرب ؛ والحرج : الضيق ؛ وكل :
مبتدأ ؛ خبره : جملة « فرسانه تحاماه » ، والضمير في فرسانه : يعود على المآزق ؛
وفي تحاماه : يعود على الذي ؛ وأغبر : أى كثير الغبار ، صفة للمآزق ؛ وتحاماه
— بحذف إحدى التاءين — أى تتحاماه . يقول : أفدى الذى تتحاماه الأبطال فى الحرب
لأنها تكره ملاقاته لشجاعته .

(٢) فيه : أى فى ذلك المآزق ؛ والكمى : البطل المغطى بسلاحه . يقول : أفدى
هذا المددوح الذى يشهد كل مآزق ضيق تتأطر فيه — تنثنى وتموج — قناتة ربحه
لأنها حين يحمل قرنه بربحه فيصير أوسطه أعلاه ويكون الفارس الكمى منكسا ، كما
قال امرؤ القيس :

* أَرْجُلُهُمْ كَالْخَشَبِ الشَّائِلِ *

قال ابن جني : سأله — المتنبي — عن معنى هذا البيت ، فقال هو مثل
البيت الآخر :

(١) كسر اللطائر : ضم حناحيه حتى ينقض بريد الوقوع ، وتقضى البازي انقض وأصله
تقفض ، فلما كثرت الضادات أبدلت من إحداهن ياء .

تَنْشِدُ أَنْوَابَنَا مَدَامَحَهُ بِالْأَسْنِ مَا لَهْنُ أَفْوَاهُ^(١)
 إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصْمِ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعِيهِ غَيْنَاهُ^(٢)
 سُبْحَانَ مَنْ خَارَ لِلْكَوَاكِبِ بِأَلْ لَوْ كَانَ ضَوْهَ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ لَوَسَّاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ^(٣)
 لَوْ كَانَ ضَوْهَ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ لَوَسَّاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ^(٤)

وَلَرُبَّمَا أَطَرَ الْقَنَاقَةَ بِفَارِسٍ وَثَنَى فَقَوَّامَهَا بِآخِرَ مِهْمُ
 (١) هنا زلت قدم ابن جني وتبلد حماره ولج به عثاره إذ قال : يخلع عليهم نيابا تنشد
 مدائحهم فيه بألسن ما لهن أفواه تقعع لجنتها والأصم يستغنى برؤيتها عن صوتها . قال
 العروضي : هذا كلام من لم ينظر في معاني الشعر ولم يرو الكثير منه ، وكنت أربأ
 بأبي الفتح عن مثل هذا القول ، ألم يسمع قول نصيب .

فَعَاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
 ولم يكن للحقائب جمعجة . إنما أراد أنهم يرونها عتمة ، كذلك أراد المتنبي أنا نلبس
 خلعهم وأنوابه فيراها الناس علينا فيعلمون أنها من هداياه ، فكانها قد أثنت عليه وأنشدت
 مدائحه بألسن لا تتحرك في أفواه لأنها لا تنطق في الحقيقة إنما يستدل بها على جوده ،
 فكانها أخبرت ونطقت .

(٢) المسمع : الأذن . والبيت تأكيد للذي قبله . يقول : إذا مررنا على الأصم
 — الذي لا يسمع — وهذه الأنواب علينا علم أن المدوح قد أنعم بها فاستغنى برؤيتها عن
 أن تخبره بعطائه .

(٣) خار الله له كذا وبكذا : إذا اختار له ذلك ؛ ونلن : أى كن مما ينال ويحرز .
 قال المكي : وهى بالكسر — أى كسر النون — أفصح من الضم وقال الواحدى :
 نلن : وزنه فعلن — بضم الفاء — مثل بعن ، يستوى فيه فعلن وفعلن ، ومنهم من
 يجعلها بين الضم والكسر — مثل قيل — لا يلبس فعان وفعلن — أى المعلوم
 بالجهول — والجدوى : العطية . يقول : سبحان الله الذى اختار للكواكب البعد لأنها
 لونية وأحرزت لفرقها المدوح في جملة عطايه .

(٤) صاعه : فرقه ، يقال صاع الشجاع أقرانه : أى حمل عليهم ففرق جمعهم ،
 وصاع الراعى ماشيته : أى فرقها في المرعى وجمع الشمس على تقدير أن ليكل
 يوم شمسا .

يَا رَاحِلًا كُلُّ مَنْ يُودَّعُهُ مُودَّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ^(١)
إِنْ كَانَ فِيهَا نَرَاهُ مِنْ كَرَمٍ فِيكَ مَزِيدٌ فَرَادَكَ اللَّهُ^(٢)

* * *

وقال قوم لم يكنك أبو الطيب يا أبا العشار وأنت تعرف بكنيته فقال :
قَالُوا أَلَمْ تَكُنْهُ ؟ فَقُلْتُ لَمْ أَكُنْ ذَلِكَ عِثًّا إِذَا وَصَفْنَاهُ^(٣)
لَا يَتَوَقَّى أَبُو الْعَشَّارِ مِنْ لَبْسٍ مَعَانِي الْوَرَى بِمَعْنَاهُ^(٤)

(١) قال الواحدى : يريد أنه لادين إلا به ؛ لأنه يحفظه على الناس ، ولا دنيا إلا معه ، لأنه ملك ، فمن ودعه فقد ودعهما :

(٢) فيك : متعلق بـ «نراه» ؛ ومزيد : اسم «كان» . يقول : لا مزيد على كرمك ، لأنه قد بلغ الغاية ، فإن كان يقبل الزيادة فزادك الله منه .

(٣) كناه : دعاه بكنيته . والعى : ضد الإفصاح . يقول : إنا إذا وصفناه كان ذكر كنيته عيا منا ، لأن وصفه يغنى عن كنيته بكونه لا يصلح إلا له فقد عرف بذلك ، وإن لم يكن . هذا : ولابن جنى والواحدى هنا نقد دقيق ، قالوا إن الاستفهام إذا دخل على النفي رده إلى التقرير ، كقوله تعالى « أليس في جهنم مثوى للكافرين » أى فيها مثوى لهم ، وكقول جرير .

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بَطُونٍ رَاحٍ
أى أتم خبر من ركب المطايا الخ . فعلى هذا يكون قوله « أَلَمْ تَكُنْهُ » معناه كنيته والقوم — الذين لا حظوا على المتنبي — لم يريدوا هذا ، إنما أرادوا نفي السكنية ، فكان من حقه أن يقول — المتنبي — قالوا ولم تكنه ، ولا يأتى بحرف الاستفهام وابن فورجه يقول فى هذا إنه استفهام صريح ليس فيه تقرير ، كأن واحدا من القوم سأل أيا الطيب فقال : أَلَمْ تَكُنْهُ ، أى هل كنيته ؟ هذا قوله — قول ابن فورجه — والاستفهام الصريح لا يكون بالنفي لأنك إذا استفهمت أحدا : هل فعل شيئا قلت : أفعأت كذا أو لم تفعل ؟ ألم تفعله ؟

(٤) اللبس : الالتباس . يقول : لا يحذر ولا يخشى أن تلبس معاني الورى بمعناه . أى أن تخلط صفاته ومعاني مدحه بصفات غيره ومعانيه — لأنه قد انفرد عن الناس بخصائص لا يشارك فيها ولا يوصف بها غيره ، وإذن لا يحتاج فى مدحه إلى ذكر كنيته . (٢٦ المتنبي ج ٤)

أَفْرَسُ مَنْ تَسْبَحُ الْجِيَادُ بِهِ وَلَيْسَ إِلَّا الْحَدِيدَ أَمْوَاهُ^(١)

وكان الأسود قد عمر داراً وانتقل إليها فأتاه فيها خمسون غلاماً، ففزع من ذلك وخرج منها إلى دار أخرى ، فقال وأنشده إياها في شهر الحرم سنة سبع وأربعين وثلاثمائة:

أَحَقُّ دَارٍ بِأَنْ تُسَمَّى مُبَارَكَةً دَارٌ مُبَارَكَةُ الْمَلِكِ الَّذِي فِيهَا^(٢)
وَأَجْدَرُ الدُّورِ أَنْ تُنْقَى بِسَاكِنِهَا دَارٌ غَدَا النَّاسُ يَسْتَنْقُونَ أَهْلِيهَا^(٣)
هَذِي مَنَازِلَكَ الْآخَرَى نَهْنُهَا فَمَنْ يَمُرُّ عَلَى الْأُولَى يُسَلِّهَا^(٤)

ولا يتوقى : رواها الواحدى : لا يتوفى ، قال ؛ ومعناه لا يستوفى هذه الكنية ، وهذا اللفظ رجلاً يزيد معناه على معانى الورى كلهم ، لأن فيه من معنى الكرم وللح مالىس فيهم ، وليست هذه الرواية بشيء .

(١) أفرس : أى هو أفرس ؛ وأفرس من الفروسية . والجياد : الخيل وسببها : عدوها — جريها — حق كأنها تسبح في بحر . ونصب « الحديد » على أنه استثناء مقدم ، واسم « ليس » أمواه ، وخبرها محذوف ، والتقدير : وليس في الأرض أمواه إلا الحديد . يقول : هو أفرس من تجرى به الخيل حالة كون الأسلحة والدروع من حوله كبحر من الحديد — لكثرتها — تسبح الخيل فيه ، لما ذكر سبب الجياد جعل الحديد أمواها .

(٢) الملك : تخفيف الملك . يقول : أحق الديار بأن تدعى وتسمى مباركة دار ملكها الذى فيها مبارك ، يعنى إذا كان صاحب الدار مباركا فداره أحق الدور بأن تدعى مباركة .

(٣) استسقاء : سأله السقيا . يقول : أجدر الدور وأحقها بأن تكون مسقية ببركة من يسكنها دار سكانها سقاة الناس ، يعنى إذا كان سكان الدار يسقون الناس وينفعونهم فتلحق الدار أولى الديار بأن تكون مسقية بهم تشعلها بركاتهم ومبراتهم .

(٤) يقول . هذه التى انتقلت إليها وعدت نهنّها بعودك إليها ، فمن الذى يأتى الدار التى فارقتها فيعزيها لما ألم بساحتها من الحزن لفرافك إياها ؟

إِذَا حَلَلْتَ مَكَانًا بَعْدَ صَاحِبِهِ جَمَلْتَ فِيهِ عَلَى مَا قَبْلَهُ تَبَاهَا^(١)
لَا يُنْكِرُ الْعَقْلُ مِنْ دَارَتِكَ بَهَا فَإِنْ رِيحَكَ رُوحٌ فِي مَفَاتِيحِهَا^(٢)
أَتَمَّ سَعْدَكَ مَنْ لَقَاكَ أَوَّلَهُ وَلَا اسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيَهَا^(٣)

ونزل أبو الطيب في أرض حسنى برجل يقال له وردان بن ربيعة الطائي فاستغوى
وردان عبيد أبي الطيب : فجعلوا يسرقون له من أمتعته ، فلما شعر أبو الطيب بذلك
ضرب أحد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وأمر الغلمان فأجهزوا عليه كما تقدم —
وقال بهجو وردان :

لَيْتَنُ تَكُ طَيِّبٌ كَانَتْ لِي ثَامًا فَأَلَامُهَا رَبِيعَةُ أَوْ بَنُوهُ^(٤)
وَإِنْ تَكُ طَيِّبٌ كَانَتْ كِرَامًا فَوَرْدَانُ لِيَسْرِهِمْ أَبُوهُ^(٥)

(١) تاه فلان تباه إذا تكبر وافتخر . يقول : إذا نزلت مكانا بعد أن ارتحلت
عن مكان آخر تاه الثاني — الذى حللته — على الأول — الذى فارقت — وافتخر عليه
بنزولك إياه .

(٢) لا ينكر العقل يروى « لا ينكر الحس » والمعنى جمع معنى وهو النزول والسكن
يقول : لا ينكر على الدار التى تحملها أن تكون ذات شعور تفرح بسكنائك وتحزن
بمفارقتك فإن ريحك روح لها .

(٣) يدعو له . ولقائك : يروى أعطاك .

(٤) و (٥) لئن تك يروى ، أن تك ، فيكون فيه خرم . وربيعه هو أبو وردان ،
و« أو » من قوله أو بنوه : لك أن تبقيها على معناها ولك أن تحصلها بمعنى الواو . يقول : إن
كانوا لثاماً فألأمهم أبوه وبنو أبيه ، وإن كانوا أكراماً فأبو وردان ليس منهم ، أى هودعى
فيهم ، وقال العكبرى : تعليقا على « وردان » . وردان مشتق من الورد ، ولوميت رجلا
بوردان تشبیه ورد : جاز لك فيه وجهان : أحدهما أن تجريه مجرى مروان فتعربه كما عرابه
ولا تصرفه ؛ والثانى أن تلفظ التشبیه ، تقول فى رفعه : جاءنى وردان ، وفى نصبه رأيت
وردنين ، وفى جره مررت بوردين .

مَرَزْنَا مِنْهُ فِي حَسَنَى بِمَبْدٍ بِمَجِّ اللُّؤْمِ مَنخِرُهُ وَفُوهُ^(١)
أَشَدُّ بِعِزِّهِ عَنِّي عِبِيدِي فَأَتَلَفْتَهُمْ وَمَالِي أَتَلَفُوهُ^(٢)
فَإِنْ شَقِيتَ بِأَيْدِيهِمْ جِيَادِي لَقَدْ شَقِيتَ بِمَنْصِلِي الْوُجُوهُ^(٣)

وقال بمدح عضد الدولة أبا شجاع فَنَّا خُسْرَوْ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثَةَ :
أَوْهٍ بَدِيلٌ مِنْ قَوْلَتِي وَاهَا لِمَنْ نَأَتْ وَالْبَدِيلُ ذِكْرُهَا^(٤)

(١) مررنا منه بعبد : تجريد ، وحسمى موضع ، وقد مر . ومعج الشراب والشيء من فيه يحجه بما ومعج به : رماه ولفظه ، وقد يستعمل في الأعراض ، كما قال القائل :

لَدَدْتُهُمُ النَّصِيحَةَ كُلَّ لَدَّةٍ فَمَجَّوْا النَّصِيحَ ثُمَّ ثَنَوْا فَنَاءُوا

(الد : في الأصل أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شقيه ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق) يقول : مررنا في هذا المكان من وردان بعبد قد أقسم لؤما حتى إن أنفاسه لؤم ، أى لا يتكلم إلا بما يدل على لؤمه .

(٢) شد العبد : إذا هرب وأشدّه غيره : هربه وأقصاه ، والعرس امرأة ، الرجل .

يقول : فرق عني عبيدي بسبب امرأته ، يعنى أغرامهم بالفجور بها ودعاهم إلى ذلك فأتلّفهم لأنه حملهم على الفجور ، وهم أتلّفوا مالى لأنهم أتلّفوه على امرأته .

(٣) الجياد : الحيل ، وللنصل : السيف . وقوله : لقد شقيت أراد فلقد شقيت .

يقول : إن كانت خيلي قد شقيت بأخدم إياها فقد شقي وجهه الآخذ بسيفي ، يشير إلى العبد الذى ضربه بسيفه فأصاب وجهه ، وذلك أن عبيد بن له ركباً فرسين من خيله وأخذ أحدهما سيفاً لأبى الطيب كان وردان قد طمع فيه وهربا . فأحس أبو الطيب بذلك ، فلحق أحد العبيد قتلته ونجا الآخر ، وقد تقدم ذلك في قافية الفاء .

(٤) أوه : كلمة تعجب قل :

فَأَوْهٍ لَدَكْرَاهَا إِذَا مَا ذَكَّرْتَهَا وَمِنْ بَعْدِ أَرْضٍ بَيْنَنَا وَسَمَاءٍ
وَوَاهَا : كلمة تعجب واستطابة ، قال أبو النجم .

وَاهَا لَرِيَا ثُمَّ وَاهَا وَاهَا

أَوْهٍ لِّئِنْ لَا أَرَىٰ مَحَاسِنَهَا وَأَضِلُّ وَاهَاً وَأَوْهٍ مَرَّآهَا^(١)
شَامِيَّةٌ طَالَمَا خَلَوْتُ بِهَا تُبَصِّرُ فِي نَظَرِي مُحَيَّاَهَا^(٢)
فَقَبَّلْتُ نَظَرِي ثَمَّ لَطَنِي وَإِنَّمَا قَبَّلْتُ بِهِ فَأَهَا^(٣)
فَلَيْتَهَا لَا تَزَالُ آوِيَةً وَلَيْتَهُ لَا يَزَالُ مَأْوَاهَا^(٤)

ونأت : فارتقت وبعدت . يقول : كنت أتعجب من وصلها — الحبيبة — وأستطيب قربها فصرت الآن أتوجع لفراقها ، فصار التأوه بديلا من التعجب والاستطابة ، وصار ذكرى إياها بديلا منها لى بعد أن فارقتنى ، ويجوز أن يكون معنى والبديل ذكرها : أن هذا البديل الذى هو التوجع ذكرى لها أى كلما ذكرتها توجعت وقلت أوه ، فقوله لمن نأت : أى لأجل من نأت .

(١) يقول : أتوجع لأننى لا أرى محاسنها ولو لم أرها لم أستطع قربها ولم أتوجع لفراقها ، أى إنما أتانى هذان بسبب رؤيتها .

(٢) الناظر : العين أو إنسانها والحقا الوجه . قال الواحدى : هذا يحتمل معنيين أحدهما : أنه يريد فرط قربها منه ، حق أنها منه بحيث ترى وجهها فى نظره ، وهذا عبارة عن غاية القرب ، والآخر : أنه أراد حبها إياه ففى انتظار إلى وجهه وتدنو منه لحبه حتى ترى وجهها فى نظره .

(٣) قال ابن جنى : معنى البيت أن الناظر — وهو موضع البصر من العينين — كالمرآة إذا قابلته شيء أدى صورته ، فهو يقول : أوهمتنى أنها قبلت عيني وإنما قبلت فأها الذى رأته فى ناظرى ، ألا تراه قال تبصر فى ناظرى محياها ؟

(٤) يقول : ليت ناظرى مأواها أبدا ، وليتها لا تزال تأوى إلى ناظرى . يريد أنه يتمنى دوام قربها الذى ذكره . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أنه يرضى بأن يكون بصره مأواها من حبه إياها . يقول : لو أوت إلى ناظرى فاتخذته مأوى لهالكان ذلك منى . هذا : وقوله « آوية » رواها ابن جنى آويه واحتج للتذكير بأنه أراد لا تزال شخصا آويه ، كما قل الآخر .

قَالَتْ وَتَبْكِيهِ عَلَى قَبْرِهِ مَنْ لِي مِنْ بَعْدِكَ يَا عَامِرُ
تَرَكْتَنِي فِي الدَّارِ ذَا غُرْبَةٍ قَدْ ذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ نَاصِرُ
أى تركتنى شخصا ذا غربة .

كُلُّ جَرِيحٍ تُرْجَى سَلَامَتُهُ إِلَّا فُؤَادًا دَهَنَهُ عَيْنَاهَا^(١)
تَبِلُ خَدَى كُلَّمَا ابْتَسَمَتْ مِنْ مَطَرٍ بَرَقَهُ ثَنَائِيهَا^(٢)
مَا نَفَضْتُ فِي يَدِي غَدَائِرُهَا جَعَلَتْهُ فِي الدَّمَامِ أَفْوَاهَا^(٣)
فِي بَلَدٍ تُضْرَبُ الْحِجَالُ بِهِ عَلَى حِسَانٍ وَلَسَنَ أَشْبَاهَا^(٤)

(١) دهنه : أصابته ، ويروى رمنه . يقول : من أصابته بينها فتيسته لم ترج سلامة .

(٢) الثنايا : جمع ثنية ، وهي السن في مقدم الفم . وهنا عثر ابن جني عثرة يرحم لها ، قال : دل بهذا البيت على أنها كانت مكبة عليه وعلى غاية القرب منه ، قال ابن فورجه أيقظنا وقتت عليه تبكي حتى سال دمعها عليه ؟ ومعنى البيت أن دموعي كالطر تبلى خدي ، كلما ابتسمت بكيت ، فكان دمعى مطر برقه بريق ثناياها إذا كان بكائي في حال ابتسامها كقوله :

* ظَلَّتْ أَبْكِي وَتَبَسُّم *

وكقول غيره :

أَبْكِي وَيَضْحَكُ مِنْ بَكَائِي وَلَنْ تَرَى حَبِيبًا كَحَاضِرِ ضِحْكِ وَبُكَائِي
ونحو هذا قول أبي بكر الخوارزمي :

عَذِيرِي مِنْ ضِحْكِ غَدَا سَبَبَ الْبُكَاءِ وَمِنْ جَنَّةٍ قَدْ أَوْقَعَتْ فِي جَهَنَّمِ
(٣) الغدائر : الضفائر ، وهي الذوائب من الشعر ؛ وللدَّام الحُر . والأفواه أخلاط الطيب ، واحدها فوه — بضم الفاء — يقول : إن غداؤها لكثرة ما ضمختها به من الطيب صار ينتفض منها الطيب ، وإذا نفضت غداؤها الطيب في يدي طيب به الدَّام .

(٤) في بلد : هذه المحبوبة في بلد الخ . والحجال : جمع حجلة ، بيت كالقبة يزین بالثياب والأسرة والستور ، ويكون له أزرار كبار وهي حجلة المروس . يقول : هي في بلد فيه حسان كثيرات مخدرات لكنهن لا يشهنها في الجمال ، أي أنها تفضلهن في الحسن والجمال . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى أن كل واحدة منهن منفردة من الحسن بما لا يشاركها فيه غيرها فلا يشبه بعضهم بعضا .

لَقَيْنَا وَالْحُمُولُ سَارِيَةٌ وَهْنٌ دُرٌّ فَذُبْنَ أُمَوَاهَا^(١)
 كُلُّ مَهَاةٍ كَانَ مُقْلَتَهَا تَقُولُ إِيَّاكُمْ وَإِيَّاهَا^(٢)
 فِيهِنَّ مَنْ تَقْطُرُ السُّيُوفُ دَمًا إِذَا لِسَانُ الْمُحِبِّ سَمَاهَا^(٣)
 أَحِبُّ خِصَا إِلَى خُنَاصِرَةٍ وَكُلُّ نَفْسٍ تُحِبُّ نَحْيَاهَا^(٤)
 حَيْثُ التَّقَى خَذَهَا وَتَفَاحَ لَبُ نَانَ وَتَغْرَى عَلَى حُمَيَّاهَا^(٥)
 وَصِفْتُ فِيهَا مَصِيفَ بَادِيَةٍ شَتَوْتُ بِالصَّخْصَحَانِ مَشْتَاهَا^(٦)

(١) الحمول : الإبل عليها الهودج أكان فيها نساء أم لم يكن ، وأمواها : حال يقول : إن هؤلاء الحسان لقيننا وقد سارت الركاب بهن وهن كالدر حسنا ونقاء وصيانة فصرن سرايا لما بعدن عنا ، وقال ابن جني معنى : « فذبن أمواها » أجبرن دموعهن أسفا علينا ، وبعبارة : بكين لفراقنا بدمع كثير حتى كأن أبدانهن قد ذابت وسالت دموعا . وقال الواحدي : يجوز أن يكون المعنى غبن عنا فإن الدر جامد ، والذوب يسيله ، وقال غيرها : إن المعنى نزلن في الوادي سائرات فاستجبن منا فذبن أمواها .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة الحسناء لحسن عينها . يقول : كل امرأة كأنها مهاة وكان مقْلَتها تقول للناظرين إليها احذروا أن تصيدكم وتسيكم ، يعنى أنها مهابة صائدة لاصيدة .

(٣) فهن : أى فى كل مهاة . يقول : فهن من هى منبعة لا يجرو العاشق أن يذكرها ولو هو ذكرها لقطرت السيوف دما ، لكثرة من يمنعه ويفار علمها ويحفظها بسيفه أى إذا ذكرها العاشق وكان له عشيرة تنصره شبت الحرب بين قومه وبين قومها فسالت الدماء .

(٤) حمص وخناصرة : بلدان بالشام . وحياها : موطن حياتها . يقول : أحب حمص وما يلها إلى خناصرة لأنها موضع نشأتى وكل نفس تصبو إلى موطن حياتها وحيث نشأت .

(٥) الثغر : مقدم الفم . والحميا : الحمر أو سورتها . يقول : أحب هذين الموضعين حيث اجتمعت لى هذه الطيبات خد الحبيب وتغرى وتَفَاحَ الشام — وهو أحرر — وشرب اللدام .

(٦) صفت : أقت الصيف . وشتوت : أقت الشتاء والصخصحان : الأرض

إِنْ أَغْشَبَتْ رَوْضَةً رَعَيْنَاهَا أَوْ ذُكِرَتْ حِلَّةٌ غَزَوْنَاهَا^(١)
 أَوْ عَرَضَتْ عَانَةً مُقَزَّعَةً صَدْنَا بِأُخْرَى الْجِيَادِ أَوْلَاهَا^(٢)
 أَوْ عَبَّرَتْ هَجْمَةً بِنَا تَرَكْتَ تَكُوسُ بَيْنَ الشَّرُوبِ عَقْرَاهَا^(٣)
 وَالْخَيْلُ مَطْرُودَةٌ وَطَارِدَةٌ تَجْرُ طُولَى الْقَنَا وَقُصْرَاهَا^(٤)

المستوية الواسعة ، أو موضع . يقول : وأقيمت بها صيفا كصيف أهل البادية ، وأقيمت بالصحرى في شتاء كشتاء أهل البادية : أى طلى رسم أهل البادية وعادتهم في الصيد والغزو ونحوها مما ذكره في الأبيات التالية .

(١) الروضة : الأرض فيها بقل وعشب ؛ والحلة : اسم لبيوت وجماعة نزلوا بمكان وهذا البيت كالتفسير للذي قبله . يقول : إذا أعشب مكان رعيناه ذلك المكان كعادة أهل البادية في تتبع مساقط الغيث ، وإذا ذكر لنا قوم حلوا بمكان غزوناهم وأغرنا عليهم .

(٢) العانة : القطيع من حمر الوحش . ومقزعة : خفيفة مفرقة كالقزع ، وهى قطع السحاب ، ورواها ابن جني مفزعة : يعنى أنها قد فزعت ، فهو أخف لها وأشد على قانصها . يقول : إذا ظهر لنا قطيع من حمر الوحش صدنا بآخر خيلنا أولاهها ، يعنى أن خيلهم سريعة تلحق آخرها أول القطيع ، وحمر الوحش توصف بسرعة العدو — الجرى —

(٣) الهجمة : القطعة من الإبل من أربعين فما فوق ، وكأس البعير يكوس : إذا مشى على ثلاث قوائم ، والشروب جمع شربت ، جمع غارب ، يريد الذين يشربون الخمر ، وعقراها جمع عقير — أى معقور — أى البعير الذى قطعت إحدى قوائمه لينحر ، يفعلون به ذلك لئلا يشرد عن النحر ، يقول : إذا مررنا بقطيع من الإبل سطونا عليه فعقرناه يمشى بين الشاربين معرقبا .

(٤) يقول : والفرسان يتطاردون ويلعبون بالرماح ، فبعض خيلهم مطرود ، وبعضها طارد ، وهى تجر الطويل من الرماح والقصير منها ، هذا : والطولى : تأنيث الأطول ، والقصرى : تأنيث الأقصر ، قالوا : وفعلوا إذا كانت تأنيث أفعل ، مثل طولى وقصرى لا يجوز استعمالها إلا مضافة أو معرفة بلام التعريف ، وإن كان قد قرئ « ووقلوا للناس حسنى » بغير تنوين فهو على إرادة الإضافة : أى حسنى القول ، وكذلك آتى فى شعر أبى نواس :

يُنَجِّبُهَا قَتْلَهَا الْكِمَاةَ وَلَا يُنْظِرُهَا الدَّهْرُ بَعْدَ قَتْلَاهَا^(١)
وَقَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ قَاطِبَةً وَسِرْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مَوَلَاهَا^(٢)

كَانَ صُفْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَقَاقِمِهَا حَصْبَاهُ دُرٌّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
أراد صفرى وكبرى فقاقمها ، على إسقاط حرف الجر .

(١) الكِماة : جمع كمي ، وهو البطل اللطيف بسلاحه ؛ وينظرها : يميلها ، أضاف
القتل إلى الخيل ، وهو يريد أصحابها ، يقول : يجب فرسان الخيل قتلهم الكِماة : أي
يسرون بقتلهم إياهم ولا يلبثون أن يقتلوا بدم لكثرة المغاورة وفشو الحرب وطلب
الثأر : وقال ابن جني : يجوز أن يكون المعنى على الإخبار عن الخيل - لا عن أصحابها -
أي يجب علينا قتل الكِماة ، ألا تراه يقول في موضع آخر :

تَحْمَى السُّيُوفُ عَلَى أَعْدَائِهِ مَعَهُ كَأَنَّهُنَّ بَنُوهُ أَوْ عَشَائِرُهُ
فإذا جاز أن توصف الجمادات بأنها تحمى فالحيدان الذي يعرف كثيراً من أغراض صاحبه
أحرى ، لأنه معلم مؤدب ، قال ابن جني : أما قوله « ولا ينظرها الدهر بعد قتلها »
فالمرنى أنه إذا قتل الفارس عقرت بعده فرسه ، قال زياد الأحمج :

وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَاعْرِضْ لَهُ كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرَفِ سَابِجٍ^(١)
ورد ابن فورجة على ابن جني قال : ليس هذا بشيء لأنه يريد بقتلها من قتلته وقتله
أصحابها ، فهو يريد خيل القاتلين لا خيل المقتولين ، والمعنى : أن أصحابها يهلكونها
بالتعب وكثرة الركض بعد الذين قتلهم فلا بقاء لها بدمهم . وبعد : فالمرنى على هذا أن
فرسانها يقتلون الكِماة عليها ولكنهم لا يلبثون أن يقتلوا الخيل أيضاً لأنهم يهلكونها
بكرة الركض في الغارات أو لأنهم ينحرونها للأضياف .

(٢) قاطبة : أي جميعاً حال ، قال المعري : إن سيف الدولة أنشد هذه القصيدة فلما
بلغ إلى هذا البيت قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

(١) جيرا كوم وناقة كوما : عظيمة السنام عاليته ، والهجان : الإبل البيض
الكرام ، يستوى فيه الذكر وللؤث والجمع ، يقال بجير هجان وناقة هجان
والطرف ، الفرس الكريم الأطراف ، يعني الآباء والأُمهات ، والسابج : السريع في
مشبه كأنه يسبح .

وَمَنْ مَنَّا يَأْمُرُ بِرَأْسِهِ يَأْمُرُهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا^(١)
 أَبَا شُجَاعٍ بِفَارِسٍ عَصَدَ الْدَوْلَةَ فَنَاشَرُوا شَهْنَشَاهَا^(٢)
 أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةٌ ذَكَرْنَا^(٣)
 تَقُودُ مُسْتَحْسِنَ الْكَلَامِ لَنَا كَمَا تَقُودُ السَّحَابَ عَظْمَاهَا^(٤)
 هُوَ النَّفِيسُ الَّذِي مَوَاهِبُهُ أَنْفُسُ أَمْوَالِهِ وَأَسْنَاهَا^(٥)

(١) يقول : ومن منا يأمركه بصرفها فيهم كيف شاء ، فهو يحى من شاء منهم
 - من الملوك - أى يبقى عليه ، ويميت من شاء .

(٢) أبا شجاع : بدلا من قوله مولاها ، وشهنشاه : أى ملك الملوك ، وهو لقب بنى بويه
 قال ابن جنى : هذا البيت طى أنه قصير الوزن قد جمع فيه كنية المدوح وبلده واسمه
 ونعته وصماه بملك الملوك وهو من أحسن الجمع واللدح .

(٣) الأسماء جمع الأسماء جمع الاسم ونصب أساميا بإضمار فعل كأنه قل ذكرت
 أساميا دل عليه قوله ذكرناها . يقول : هذه الأسماء التى ذكرتها لم تزد معرفته فوق شهرته
 فهو مستغن عن التعريف وإنما ذكرتها استلذاذا بلفظها وصماعها : قال ابن جنى : وهذا
 كلام النحويين فى أحد ضربى الوصف تناوله منشورا فنظمه ، وذلك أنهم يقولون إنما
 يذكر الوصف للاسم إما للإيضاح كى يتميز عن غيره كقولك مررت بأبى محمد السكائب
 وإما للاطناب والثناء كقولنا بسم الله الرحمن الرحيم ، فالوصف هنا لم يحى . للإيضاح
 لأن اسم الله تعالى لا يشركه فيه غيره فيحتاج إلى الوصف ؛ وإنما ذكر للاطناب فى الثناء
 وكذلك قوله أساميا لأنه قال وسرت حق رأيت مولاها ، فقد علم أنه لا منى إلا بأشجاع
 فإنما هو ثناء وإطناب وليس يريد التعريف لانه مجهول ، وإنما هو كما قال ذكرته استلذاذا
 للثناء عليه .

(٤) السحاب : اسم جمع ، يذكر ويؤنث . وعظماها : أى معظمها . يقول : إذا
 ذكرنا هذه الأسماء قادت لنا مستحسن الكلام فى مدح صاحبها ، كما تقود السحابة العظمى
 سائر السحاب ، يريد أنها مشتملة على جل المعانى التى يبنى بها عليه ؛ لما فيها من الدلالة
 على شجاعة مسماها وشرف منزلته ، وعبرة الواحدى : هذه الأسماء محمولة على المعانى
 فهم ترجمتها تقود إذا ذكرت ما وضعت له فيحسن الكلام بها ؛ ويجوز أن يريد بتقودها
 مستحسن الكلام أنها سبقت إلى الذكرفى مقدمة معان أذكرها بعد وأصلها به ، كما
 نود معظم السحاب سائرهم - باقية -

(٥) كل شيء له قدر وخطر فهو نفيس : أى يتنافس فيه ويرغب ، وأسناها : أرفعها

لَوْ فَطِنْتُ خَيْلَهُ لِنَائِلِهِ لَمْ يُرْضِهَا أَنْ تَرَاهُ يَرْضَاهَا^(١)
لَا تَجِدُ الْخُمْرُ فِي مَكَارِمِهِ إِذَا أَنْتَشَى خَلَّةً تَلَاَفَاهَا^(٢)
تُصَاحِبُ الرِّاحُ أَرْيَحِيَّتَهُ فَتَسْقُطُ الرِّاحُ دُونَ أَذْنَاهَا^(٣)

وأشرفها ، يقول : إنه يهب أفضل أمواله . قال ابن جني : قال بعض خزان عضد الدولة إنه كان قد أمر له بألف دينار عدداً ، فلما أنشد هذا البيت أمر بأن تبدل بألف موازنة فأعطى ألف مثقال .

(١) يقول : لو علمت خيله بجوده وفطنت إليه لم يسرها أن يرضاها أن يرضاه للمدح وأن تعجبه لأنه إذا رضىها وأعجبته وهبها لزمه مادام أنه يهب أفضل أمواله فتفارق مربطه وهي لا ترضى أن تتبدل به غيره .

(٢) انتشى : سكر . والخلّة : الحصة والثلمة ؛ وملافاها - بحذف إحدى التاءين - أي تلتاها : أي تتداركها . يقول : هو قبل الشرب جواد فلا يزيد الخمر جوداً ؛ وليس في مكارمه خلّة تلتاها الخمر ، وأول هذا المعنى لعنرة :

وَإِذَا صَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَأْ هَلَّتِ شِمَائِلِي وَتَكْرَمِي
وقريب من هذا قول زهير :

أَخُو ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ
وقول أبي نواس :

فَتَى لَا تَلُوكُ الْخُمْرُ شَحْمَةَ مَالِهِ وَلَكِنْ أَيَادٍ عُودٌ وَبَوَادِي^(١)
وقول البحتري :

تَكْرَمْتُ مِنْ قَبْلِ الْكُثُوسِ عَلَيْهِمْ فَمَا اسْطَمَنَ أَنْ يُحَدِّثَنِي فِيكَ تَكْرَمًا
والمصابي بيت المتن في بعض محاوراته فقال : ولقد آن الله في اقتبال العمر جوامع الفضل وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال ؛ فلا نجد الكهولة خلّة تلتاها بتناول المدة وثلمة يسدها بمزايا الخنكة .

(٣) الرّاح : الخمر . والأريحية : الاهتزاز للمكرم والنشاط للجود . يقول : إذا اجتمعت الرّاح مع أريحيته فأدنى أريحيته يجلب من السخاء مالا تجلبه الرّاح ، يريد أن فعل أريحيته فوق فعل الرّاح ، فلا تطبق الرّاح أن تسامى أريحيته فإذا سامتها سقطت دونها .

(١) لا تلوك : تروى « لا تذيب » ولا كه يلوكه : مضغه .

نَسْرُهُ طَرَبَاتُهُ كَرَائِنُهُ ثُمَّ تَزِيلُ الشُّرُورَ عُقْبَاهَا^(١)
 بِكُلِّ مَوْهُوبَةٍ مُوَلَّوَةٍ قَاطِعَةٍ زِيْرَهَا وَمَشَاهَا^(٢)
 تَعْمُومُ عَـوْمَ الْقِذَاءِ فِي زَبَدٍ مِنْ جُودِ كَفِّ الْأَمِيرِ يَفْشَاهَا^(٣)
 تُشْرِقُ تَيْجَانُهُ بِفَرَّتِهِ إِشْرَاقَ الْفَاظِهِ بِمَعْنَاهَا^(٤)
 دَانَ لَهُ شَرْقُهَا وَمَغْرِبُهَا وَنَفْسُهُ تَسْتَقِيلُ دُنْيَاهَا^(٥)

(١) طرباته : جمع طربة ، وهي الربة من الطرب ، وسكن راءها ضرورة ؛
 والكرائن : جمع كربة ، وهي الجارية اللغية . وقال ابن جني : الكرائن :
 الأعواد . يقول : إذا طرب عند الشرب سر طربه جواربه اللغيات بما يفيض عليهن من
 الأموال والعطايا ؛ ثم تزيل عاقبة طربه سرورهن ، لأن أريحية الجود لا تزال
 به حق يهب الجوارى أيضاً فيخرجن عن ملكه فيزول سرورهن لذلك لأنهن
 لا يرضين فراقه .

(٢) بكل : متعلق بـ «تزيل» . وللولة : الداعية بالويل من شكل أو غيره والزرير :
 الوتر الدقيق من أوتار العود . ولثنى : الوتر الثاني بعده يقول : يزيل سرورهن بكل
 جارية منهن يهبها وهي تولول حزناً على فراقه وتقطع أوتار العود غضباً وأسفاً
 لزوال ملكه عنها .

(٣) تعوم : تسبح . والقذاة : واحدة القذى : ما يقع في العين أو الشراب من تبنة
 ونحوها . والزبد : الرغوة تطفو على وجه الماء . ويفشاه : يعلوها . يقول : هذه الجارية
 التي وهبها تعد في جملة عطايها الجملة بمنزلة القذاة العائمة في بحر مزبد يعلوها ويغلبها
 سائر مواهبه كما يعلو الزبد القذاة ، وروى ابن جني زبد - بكسر الباء - وهو الكثير
 الزبد لكثرة ماله .

(٤) غرته : وجهه . يقول : إذا وضع التاج على رأسه أشرق تاجه بإشراق وجهه كما
 تشرق ألفاظه بمعانيها .

(٥) دان له : خضع وأطاع . والضميران في شرقها ومغربها : يعودان على
 الدنيا وإن لم يتقدم لها ذكر ، لدلالة القرينة ، يقول : أطاعه أهل الشرق والغرب
 ودانوا له ونفسه تستقل جميع الدنيا ، قال الواحدي : وكذا كان يقول عضد الدولة :
 سيفان في غمد محال ، يعني أن الدنيا يكنى فيها ملك واحد وكان يقصد أن يستولى على
 جميع الدنيا .

تَجَمَّعَتْ فِي فُؤَادِهِ مَمَمٌ مِلَّهِ فُؤَادِ الزَّمَانِ إِحْدَاهَا^(١)
فَإِنْ أَنَّى حَظُّهَا بِأَزْمِنَةٍ أَوْسَعَ مِنْ ذَا الزَّمَانِ أَبْدَاهَا^(٢)
وَصَارَتْ الْفَيْلَقَانِ وَاحِدَةً تَفَرُّ أَحْيَاؤُهَا بِمَوْتَاهَا^(٣)
وَدَارَتْ النَّصِيبَاتُ فِي فَلَكَ تَسْجُدُ أَقْمَارُهَا لِأَبْنَاهَا^(٤)

(١) يقول : قد اجتمع في فؤاده هم لعظمها تملأ الزمان إحداها ، وإذا كان الزمان مع سعة - لا يسع إلا إحداها لم يظهر باقي همه ، إلا أن يقع اتفاق ، كما ذكر في البيت التالي ، هذا : والهمم جمع همه ، وأصل الهممة من الهميم ، وهو الديب ، وهمت الهوام ، طى وجه الأرض : إذا دبت ، فالهم بهم في القلب أى يدب ، قال ساعدة بن جؤية الهذلي يصف سيفاً :

تَرَى أَثَرَهُ فِي صَفْحَتَيْهِ كَأَنَّهُ مَدَارِجُ شَبَّانٍ لَهْنٍ مِمِّ
[الشبان جمع شب ، وهو الضكبوت]

(٢) يقول : فإن أنى حظ همه بزمان أوسع مما ترى أظهر تلك الهمم ، يعنى أن همه يضيق عنها هذا الزمان فإن صدف وجود أزمنة أوسع من الزمان الذى نحن فيه أبداهها في تلك الأزمنة ، وقال ابن جنى : الضمير في « حظها » للدنيا أى أن الدنيا إن كان لها حظ فأناها زمان أوسع من زمانها الذى هو فيه : أظهر هذا للمدوح همه .

(٣) الفيلق : الجيش ، وأنته باعتبار السكتية والجماعة ، قال ابن جنى : أى شن الغارة في جميع الأرض - عند إظهار تلك الهمم - غلظت الجيش ، فصارا - لاختلاطهما - كالجيش الواحد ، وتعتز الأحياء منهما بالموتى ، قال ابن فورجه يرد على ابن جنى - ليس أبو الطيب من ذكر الغارة وشنها في شيء ، وإنما هو يقول قبل هذا البيت في فؤاده همم إحداها أعظم من فؤاد الزمان ، فهو لا يبيدها ، لأنه لا يجد زماناً يسعها ، فإن قضى لها وجاء حظها وبغتها بأزمنة أوسع من هذا حينئذ يظهر تلك الهمم ويجتمع أهل هذا الزمان وأهل تلك الأزمنة ، ويصيران شيئاً واحداً وتضيق الأرض بهم حتى يمتزجهم بمتهم للرحمة وكثرة الناس ، ومثل هذا في ذكر الرحمة وقوله أيضاً :

سُيِّفْنَا إِلَى الدُّنْيَا فَلَوْ عَاشَ أَهْلُهَا مُنْفَعًا بِهَا مِنْ جَيْشَةٍ وَذُهُوبٍ
(٤) قال الواحدي : أراد بالنيرات والأقمار : ملوك الدنيا إذا عادوا واجتمعوا في زمان

أَلْفَارِسُ الْمُنْتَقَى السَّلَاحُ بِهِ الْمُنْتَقَى عَلَيْهِ الْوَعَى وَخَيْلَاهَا^(١)
لَوْ أَنْكَرْتَ مِنْ حَيَاتِهَا يَدَهُ فِي الْحَرْبِ آثَارَهَا عَرَفْنَاهَا^(٢)
وَكَيْفَ تَخْفَى الَّتِي زِيَادَتُهَا وَنَاقِعُ الْمَوْتِ بَعْضُ سَيَاهَا^(٣)
الرَّاسِعُ الْمَذِيرُ أَنْ يَنْبِيَهُ عَلَى الدُّنْيَا وَأَنْبِيَاهَا وَمَاتَاهَا^(٤)

واحد ، وأراد بأبهاها عضد الدولة ، ومعنى سجود الأتقار : خضوع الملوك له ، فحينئذ
يبدى همه ، وعبارة ابن جني : شبه الجيوش لما اختلط بعضها ببعض بفلك تدور فيه
نجومه ، وشبه ملوك الجيوش بالأتقار ، وشبه عضد الدولة بالشمس ، لأنه أشرفهم وأشهرهم
وتسجد : تذلل وتخضع والضمير في أبهاها يعود على النيرات .

(١) السلاح : نائب فاعل للمنتقى ؛ والوعى : الحرب ، وهى فاعل للثنى وخيلاها :
ثنية خيل . يقول : هو الفارس الذى يتقى به السلاح ، أى يتوقى به جيشه سلاح
الأعداء ، يريد أنه يتقدم الجيش إلى الأعداء ، ويدفع السلاح عنهم كما يروى عن طي قال :
كنا إذا احمر البأس اتقينا برحول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أقربنا من العدو .
وثنى عليه الحرب لما تشاهد من بأسه وحذقه ، وأراد بقوله خيلاها — أى خيل
الوعى — : خيله وخيل العدو ، يعنى أن العدو أيضا يثنى عليه لأنه يرى من
شجاعته وإقدامه ما لا يسمعه إنكاره ، وقال ابن فورجه : يتقى به السلاح أى
لا يعمل معه شيئا .

(٢) يقول — كما قال الواحدى — لو أن يده أنكرت جراحاتها لعرفنا أنها من آثار
يده لأن غيره لا يقدر على مثلها — يريد أن ضرباته تعرف من ضربات غيره وكذا طعناته —
والمراد باليد صاحبها ، لأن اليد لا توصف بالإنكار ولا بالجاء .

(٣) قال الواحدى : المراد بالزيادة — هنا — السوط ، وهو مأخوذ من قول
المرار الفقعسى .

وَلَمْ يُلْقُوا وَسَائِدَ غَيْرِ أَيْدٍ زِيَادَتُهُنَّ سَوَاطُ أَوْ جَدِيلُ

والناقع من الملوت الكثير ، والناقع الثابت . يقال سم ناقع : إذا كان ثابتا فى نفس
شاربه حتى يقتله . وسهاها علامتها . يقول : كيف تخفى اليد التى سوطها يقتل به فكيف
سيلمها ؟ يعنى كيف تخفى آثار يد سوطها والملوت به موت علاماتها ، أى أن من
ضربه بسوطه قتله .

(٤) أى يتنبأ : أى فى أن يتبه ، وتاه : يتبه تكبر وتعظم . يقول : لو أنه تاه على

لَوْ كَفَرَ الْمَالُونَ نَفَعْتَهُ لِمَا عَدَّتْ نَفْسُهُ سَجَايَاهَا^(١)
كَالشَّمْسِ لَا تَبْتَدِي بِمَا صَنَعَتْ مَنَفَعَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا^(٢)
وَلِ السَّلَاطِينِ مَنْ تَوَلَّاهَا وَانْجَأَ إِلَيْهِ تَكُنْ حُدَيَّاهَا^(٣)
وَلَا تَقْرُنْكَ الْإِمَارَةُ فِي غَيْرِ أَمِيرٍ وَإِنْ يَهَا بَاهِي^(٤)
فَإِنَّمَا الْمَلِكُ رَبُّ مَمْلَكَةٍ قَدْ فَتَمَّ الْخَافِقِينَ سَرِيَّاهَا^(٥)

الدنيا وتكبر على أهلها لسكان له العذر الواسع لظهور مزيته عليهم ، ولكنه لم يفعل ذلك ، وفي مثل هذا يقول الآخر :

وَمَا تَزِدْ هِينَا الْكِبْرِيَاءَ عَلَيْهِمْ إِذَا كَلَّمُونَا أَنْ نُكَلِّمَهُمْ نَزَارًا

(١) كفر : جحد . وعدت :جاوزت : والسجاياء : الطبايع والأخلاق يقول : لو أن إنعامه قوبل من الناس بالكفران ولم يشكروه له لم يترك الإحسان إليهم ولا تركت نفسه ما جبلت عليه من السجاياء الكريمة لأنه لا يجود للشكر حق إذا لم يشكر قطع المطاء وإنما يجود بطبعه كما قال بشار

لَيْسَ يُغْطِيكَ الرَّجَاءُ وَلِلْخَوْفِ وَلَكِنْ يَلْذُ طَعْمُ الْقَطَاءِ

(٢) ضرب له المثل بالشمس فإن أكثر منافع الدنيا إليها تحور ومنها تحصل ثم هي لا تبتنى - لا تطلب - بصنعها منفعة عند الناس ولا جأها وذلك أنها مسخرة لتلك المنافع . كذلك هو - للمدوح - مطبوع على الجود والكرم

(٣) حدياها معارضاتها وهو في الأصل اسم من تحدها إذا باراه ونازعه الغلبة ويقال أنا حدياك في هذا الأمر أى ابرزلى فيه وحدك وجارنى قال عمرو بن كلثوم :

حُدَيَّا النَّاسِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا مُقَارَعَةً بَيْنِهِمْ عَنْ بَيْنِنَا

يقول : كل أمر اللوك إلى من يتولاهم ، أى لا نخدمهم ودعمهم ومن يتولاهم ويخدمهم ويواليهم والجا إلى المدوح تكن مثل اللوك . وهذا من قول بعض الواعظين : يا عبدا لله صانع وجهها واحداً تقبل عليك الوجوه كلها .

(٤) في غير أمير حالد من الإمارة ، و«إن» وصلية ؛ والجملة حال من «غير» وبأهى فاخر . يقول : لا يفرنك منصب الإمارة فيمن ليس بأمر حقيقة وإن فاخر بها ، أى فهو الأمير على الحقيقة ، أما من عدها فهو أمير مجازا .

(٥) الملك : بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، ويقال فعمته الراححة إذا ملأت

مُنْتَسِمٌ وَالْوُجُوهُ عَابِسَةٌ سَلِمُ الْمَدَى عِزَّهُ كَهَيْجَاهَا^(١)
النَّاسُ كَالْعَابِدِينَ آلِهَةٍ وَعَبْدُهُ كَالْمَوْحِدِ^(٢) اللَّهُ

خياشيمه والحقاقان : أفقا للشرق والغرب ، والريا الريح الطيبة يقول : إن الملك على الحقيقة هو الذى ملأ ذكر مملكته الدنيا شرقا وغربا ، وشاع الثناء عليه فيها ، مثل المدوح ، وفهم : يروى فعم أى ملأ ، ويقال أقم المسك البيت أى ملأه بريحه ، وفعمت للمرأة ضامة وفعموة وهى فعمة : استوى خطها وغلظ ساقها ، وساعد فعم ، وغلخل فعم قال :

فَعَمَّ تَحْلُخَلًا وَغَثَّ مُؤَزَّرَهَا عَذَبٌ مُقْبِلُهَا طَعْمُ السَّدَا فَوْهَا^(١)
وأفعمت الرجل : ملأته غضبا .

(١) كهيجاه : كعربها ، يقول : لشجاعته وثقته بقوته يحقر أعداءه ، ولا يكثر لهول الحرب وشدتها ، فإذا كانت الوجوه طيبة لشدة الحال وضيق الأمر كان هو مبتسما ضاحكا ، واصلح الأعداء وحربهم عنده سواء

(٢) يعنى بعبد : نفسه . يقول : الناس فى خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة من دون الله لأنه هو الملك على الحقيقة وغيره من اللوك زور وأنا فى اقتصارى على خدمته دون غيره كمن يوحد الله ولا يشرك به ، وعبرة ابن جنى : الناس الذين فى طاعة غيره كأنهم يعبدون آلهة مختلفة ، وعبيده الذين يطيعونه كأنهم للوحدون لله لا يفركون به فلا يرجون سواء ومن يخدم سواء لم تنفعه تلك الخدمة كالذين يعبدون آلهة مختلفة .

(١) الوعث : اللين ، والسدا ههنا : البلع الأخضر ، واحدته : سداة وقيل هو الصل من قولهم سدت النحل تسدو سدا .

قافية الياء

وفارق أبو الطيب سيف الدولة ورحل إلى دمشق وكتبه الأستاذ كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخلى له كافور داراً وخلع عليه وحل إليه آلافاً من الدراهم ، فقال يمدحه وأنشده إياه في جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وثلاثمائة :

كَفَى بِكَ دَاءٌ أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنْ أَمَانِيَا^(١)
تَمْنِيَتَهَا لَكَ تَمْنِيَتٌ أَنْ تَرَى صَدِيقًا فَأَعْيَا أَوْ عَدُوًّا مُدَاجِيَا^(٢)
إِذَا كُنْتَ تَرْضَى أَنْ تَعِيشَ بِذِلَّةٍ فَلَا تَسْتَعِدَّنْ الْخُسَامَ الْيَمَانِيَا^(٣)

(١) كفى بك : معناه كفاك ؛ والباء زيدت ههنا في للفعول كما زاد في الفاعل نحو كفى بالله : وداء : تميز . وأن ترى : فاعل كفى ، والأمانى : جمع أمنية ، الذى القى تمناء ، والأصل فيها التشديد وتخفيفها لغة ، يقول مخاطباً نفسه -- : كفاك داء رؤيتك للموت شافياً ، أى إذا أفضت بك الحال إلى أن تمنى للمنية -- الموت -- فذلك غاية الشدة وإن داء شفاؤه للموت أقسى الأدوية ، والمنية إذا صارت أمنية فهي غاية البلية ، وفارقة الخطوب ، والمعنى كفاك من أذية الزمان ما تمنى معه الموت :

(٢) تمنيتها : أى المنايا . وأعياء الأمر : أعجزه . والمداجى : المدارى السائر للمداوة واشتقاقه من الدجى : أى الظلمة . يقول : تمنيت المنية -- الموت -- لما حاولت الظفر بصديق مصاف فأعجزك أو عدو مداج فلم تظفر به ، وعند عدم الصديق المصافى والعدو المداجى يتمنى المراءى المنية لأنها حالة من اليأس يصعب معها البقاء . قال الواحدى : هذا تفسير الداء المذكور فى البيت الأول

(٣) استعده : حاول أن يتخذ عدة له ؛ والخسام : السيف القاطع . والجماني المنسوب إلى اليمن . يقول -- : مخاطباً نفسه -- إنما يتخذ السيف ليرفع به القل ؛ فإذا رضيت أن تعيش ذليلاً فما تصنع بالسيف الجماني تعده ؟ قال ابن جنى : استعمل انتهى موضع الاستفهام الذى استعمله غيره فى قوله :

فَلَمْ طَالَ حَمْلِي جَفَنَهُ وَبِحَادَهُ إِذَا أَنَا لَمْ أَضْرِبْ بِهِ مَنْ تَعَرَّضَا
(٢٧ - الننى ٤)

وَلَا تَسْتَطِيلَنَّ الرِّمَاحَ لِفَارَقِهِ وَلَا تَسْتَجِيدَنَّ الْعِثَاقَ الْمَذَاكِيَا^(١)
فَمَا يَنْفَعُ الْأُسْدَ الْحَيَاءُ مِنَ الطَّوْى وَلَا تُتَقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا^(٢)
حَبَبُكَ قَلْبِي قَبْلَ حُبِّكَ مَنْ نَأَى وَقَدْ كَانَ غَدَارًا فَكُنْ أَنْتَ وَافِيَا^(٣)

(١) الاستطالة والاستجادة بمعنى اختيار الطويل والجيد، والعِثَاق: الخيل الكريمة والمذاكي: الخيل القرح التي قد تمت أسنانها. يقول: ولا تتخذن الرماح الطويلة للغارة ولا تتخذن الخيل الكرام، أي إذا رضيت أن تعيش ذليلا، لأن هذه إنما تتخذ لنفي الذل.

(٢) الطوى: الجوع. وتتقى: تحذر، وضرى الكلب بالصيد: تعوده ولهج به ولم يكذبصر عنه وروى عن عمر: إن للحم ضراوة كضراوة الخمر أراد أن له - للحم - عادة طلاقة لأكله كعادة الخمر مع شاربها وذلك أن من اعتاد الخمر أسرف، في النفقة حرصا على شربها وكذلك من اعتاد اللحم لم يكذبصر عنه فدخل في باب الإسرف في نفقته وقد نهى الله عن الإسراف. وهذا البيت حث على الوقاحة والتجلبيع^(١) وقد ضرب المثل بالأسد يقول: إن الأسد إذا لزم عرينه حياء ولم يصد لم يجد حياؤه وبقي جائعا غير مهيب وإنما يهاب ويتقى إذا كان ضاريا مفترسا حريصا على الصيد

(٣) قلبي: منادى، وفأى: بعد. يقول - لقلبه - : أحببتك قبل أن تحب أنت هذا الذي بعد عنا - يمرض بسيف الدولة - وقد كان غدارا فلا تغدر بي أنت، أي لا تمكن مشتاقا إليه ولا محبا له، أي فإنك إن أحببت الغدار لم تف لي، وقال ابن جني يعاتب قلبه على حنينه إلى من فارقه: « هذا » و « حبيت » لفة في أحبيت، يقال حبه يحبه - بالكسر - فهو محبوب قال الجوهري وهذا شاذ لأنه لا يأتي في المضاعف تفعل - بالكسر - إلا وبشرکه يفعل بالضم إذا كان متمديا ما عدا هذا الحرف، وأنكر بعضهم أن يكون هذا البيت لفصيح، وهو قول غيلان بن شعاع النهشلي:

أَحَبُّ أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَارَ بِالْجَارِ أَرْقُ
فَأَقْسِمُ لَوْلَا تَمْرُهُ مَا حَبَبْتُهُ وَكَانَ عِيَاضٌ مِنْهُ أَدْنَى وَمَشْرِقُ^(٢)

(١) التجلبيع: الإقدام الشديد، والتصميم في الأمر والمضي
(٢) وكان عياض منه أدنى ومشرق: هي رواية أبي العباس البرد وقد رواه غيره.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْبَيْنَ بِشَيْئِكَ بَعْدَهُ فَلَسْتُ فَوَّادِي إِنْ رَأَيْتُكَ شَاكِياً^(١)
فَإِنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ غُذِرَ بِرَبِّهَا إِذَا كُنَّ لِمُرِّ الْعَادِيَيْنِ جَوَارِياً^(٢)
إِذَا الْجُودُ لَمْ يُرْزَقْ خَلَاصَ مِنْ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوباً وَلَا أَمَالُ بَاقِياً^(٣)

« وبعد » فإن الأثر أكثر أحبه فهو محب وهو محبوب على غير قياس وقد قيل محب على القياس قال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذاً في الشعر قال عنتره :

وَلَقَدْ زَلْتُ فَلَا تَطْلُبْ غَيْرَهُ مَنِيَّ بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ

(١) البين : البعد ، وأشكىت فلانا : إذا فعلت به فعلاً يحوجه إلى الشكوى ، وأشكىته أيضاً : إذا اعتبته وأزات شكواه ، فهو من الأضداد قال الراجز يصف إبلا قد أنعمها السير فهي تلوى أعناقها تارة وتمدها أخرى وتشكى إلينا فلا نشكها ، وشكواها أغلبها من سوء الحال والمزال فيقوم ذلك مقام كلامها ، قال :

تَمْدُّ بِالْأَعْنَاقِ أَوْ تَنْفِيهَا وَتَشْكِي لَوْ أَنَّكَ نُشْكِيهَا
* مَسَّ حَوَايَا قَلْمَا نَجْفِيهَا *^(١)

والمراد هنا الأول . يقول - لقلبه - : اعلم أنك تشكو فراقه لإفكك إياه . ثم هدهه فقال : إن شكوت فراقه تبرات منك .

(٢) غدر : جمع غدور ؛ وأصله بضم الدال وإسكانها لغة ؛ وربها : صاحبها وإثر : أى فى إثر ، نصبه على الظرفية ، والغادين : يروى الظاعنين . يقول : إذا جرت الدموع على فراق الغادين كانت غادرة ربها - أى صاحبها - لأنه ليس من حق الغادر أن يبكى على فراقه ، فإذا جرت الدموع فى إثره وفاء له كان ذلك الوفاء غدر بصاحب الدموع ، يريد لا ينبغي أن تنفى لغادر .

(٣) يقول : إذا لم يتخلص الجود من اللئى به - وهو المراد بالأذى - لم يحصل الحمد

* ولا كان أدنى من عبید ومُشْرِق *

فيكون فيه إقواء

(١) الحوايا جمع حوية وهى كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب . وقلما نجفها أى قلما نرفع الحوية عن ظهرها يقال جفا السرج عن ظهر الفرس وأجفيتها إذا رفعته عنه

وَلِلنَّفْسِ أَخْلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الْفَقَى أَكَانَ سَخَاءً مَا أَتَى أَمْ تَسَاخِيًا^(١)
أَقْلَ اشْتِيَاقًا أَيُّهَا الْقَلْبُ رُبَّمَا رَأَيْتُكَ تُصْنِي الْوُدَّ مِنْ لَيْسَ جَازِيًا^(٢)

ولم يبق للمال ، لأن المال يذهب به الجود والاذى - أى اللئ - يطل الحمد ، فالمان بما يعطى غير محمود ولا مأجور ، وكأن هذا اللغز ينظر إلى قوله تعالى « لا تبطلوا صدقاتكم باللئى والاذى » و« لا » فى البيت عاملة عمل « ليس » ومن ثم نصب خبرها كما فى بيت سعد بن مالك :

من صدّ عن نيرانها فأنا ابنُ قيسٍ لا برّاح^(١)

(١) التساخى : تكلف السخاء : وقوله أكان سخاء الخ : يدل اشتغال من الفقى ، وكان الوجه أن يقول : أسخاء كان ، على ما هو من حكم الاستفهام بالهمزة ، فقدم وأخر لضرورة الوزن . والسخاء وكذا السخاوة : الجود ، قال الأحيانى : يقال : سخا يسخو سخاء وسخوا وسخى سخاء وسخوة قال الجوهري : وقول عمرو بن كلثوم : مُشْفَعَةً كَأَنَّ الْخُصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِيًا^(٢)

أى جدنا بأموالنا . يقول : إن أخلاق الإنسان تدل عليه فيعرف جوده أطبع هو أم تطبع ، قال ابن جني : جميع عما فى قلبه من إفراط العتب ولم يصرح به قال العكبرى وهذا من قول الحكيم : تغير الأفعال التى تأتى غير مطبوعة أشد انقلابا من الرّيح المبوب .

(٢) تصفى : تخلص . يقول - لقلبه - : لا تشتق إلى من فارقت ، فإنك تحب من ليس بجازيك بالحب ، كما قال البعترى :

لَقَدْ حَبَوْتُ صَفَاءَ الْوُدِّ صَائِنَهُ عَنِّي وَأَقْرَضْتُهُ مِنْ لَا يُجَازِيَنِي

فقوله أقل اشتياقا وإن كان أمرا من الإقلال إلا أنه أراد به النهى عن الاشتياق : لا تقلبه . هذا : ويجوز فى أقل فتح اللام وكسرهما : فالفتح طلبا للحنفة مع التضعيف ، والكسر لأجل كسرة القاف فأتبع الكسرة الكسرة .

(١) سعد بن مالك شاعر جاهل والبيت من أبيات مذكورة فى الحماسة وقد تقدمت فى هذا الشرح مع تفسيرها

(٢) وقيل سخينا من السخونة ، نصب على الحال ، والبيت من معلقة عمرو وقد أسلفنا شرحه .

خُلِقْتُ أُلُوفًا لَوَزَحْتُ إِلَى الصَّبَا لَفَارَقْتُ شَيْبَى مُوجِعِ الْقَلْبِ بَاكِيًا^(١)
وَلَكِنْ بِالْفُسْطَاطِ بِحَرًّا أَزْرَتُهُ حَيَاتِي وَنُصْحِي وَالْهَوَى وَالْقَوَايَا^(٢)
وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا فَبِتْنِ خِفَافًا يَتْنِغْنَ الْعَوَالِيَا^(٣)

(١) رحلت : رواها بعضهم رجعت . قال الواحدى : هذا البيت رأس في صفة الإلف ، وذلك أن كل أحد يتمنى مفارقة الشيب وهو يقول : لو فارقته شيبى إلى الصبا لبكيت عليه لإلفى إياه إذ خلقت أُلُوفًا : قال ابن جنى : هذا شرح لما قبله ودليل على أنه فارق داما لأنه جعله كالشيب : أى لو فارقته الشيب القديم برحيل إلى الصبا وهو خير حياة الإنسان لكان ذلك الفراق موجعا لقلبي مبكيا لعينى .

(٢) الفسطاط : اسم مدينة مصر قديما ، وأصله البيت من الشعر وفيه لغات فسطاط وفستاط وفستاط وكسر الفاء لغة فبين : وأزرتة : تعديت زار والماء مفعول ثان مقدم وحياتى مفعول أول . ونصحى : إخلاصى . والقوايى القصائد يقول : ولكن فى الفسطاط بحرا - يعنى كافورا - قد هون على فراق إلفى لما فيه من الحماد التى تنسى من فارقته ، فزرتة بخياتى : أى لقضاء باقى أيامى عنده وحملت إليه نصحى ومودتى وشعرى ، وعبارة الواحدى : ذكر فى البيت الأول أنه أُلُوف لما يصحبه فى أى حال وإن كانت مكروهة ثم استثنى فقال لكفى على هذه الحالة من الألفة قصدت مصر وحملت هواى والنصح والشعر على زيارة جواد هناك كالبحر .

(٣) جردا : عطف على حياتى ، يريد : خيلا ، قصار الشعر وهو مما يمدح فى الخيل والقنا : الرماح . والعوالى : جمع عالية وهى صدر الرمح مما يلى السنان يقول : وأزرتة خيلا مددنا رماحنا بين آذانها فبانت تتبع عوالى الرماح فى سيرها ، كما قالت ليلى الأخيلية :

وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتَ الْخَيْلَ قُبْلًا تُبَارِي بِالنُّحُودِ شَبَا الْعَوَالِي^(١)

(١) الأقبل الذى كأنه ينظر إلى طرف أنفه ، وهذا البيت قالته ليلى فى فائض بن أبى عقيل وكان قد فر عن توبة يوم قتل وبعده :

نَسِيتَ وَصَالَهُ وَصَدَدْتَ عَنْهُ كَمَا صَدَّ الْأَرْبُ عَنْ الظَّلَالِ
الأرب الكثير شعر الدراعين والحاجبين والعينين ولا يكون الأرب إلا نفورا لأنه ينبت على حاجبيه شعيرات فإذا ضربته الريح نفر .

تَمَاشَى بِأَيْدٍ كُلَّمَا وَافَتِ الصَّفَا نَقَشْنَ بِهِ صَدْرَ الْبُرَاةِ حَوَافِيَا^(١)
وَتَنْظُرُ مِنْ سُودِ صَوَادِقٍ فِي الدُّجَى يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَأَهْيَا^(٢)
وَتَنْصِبُ لِلْجَرَسِ الْخَفِيِّ سَوَامِعًا يَخْلَنَ مُفَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَفَادِيَا^(٣)
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعِنَّةً كَأَنَّ عَلَى الْأَفْنَانِ مِنْهَا أَفَاعِيَا^(٤)

(١) تماشى - بحذف إحدى التاءين - أى تماشى . والصفاء : الصخر . والبراة : جمع باز ؛ وحوافيا : حال ، جمع حاف . يقول : إن هذه الجرد تمشى بأيد إذا وطئت الحجارة أثرت فيها مثل صدور البراة ، وجعلها حوافى مبالغة فى وصف حوافرها بالشدة والصلابة ، يعنى أنها بلا نعال تؤثر فى الصخور بحوافرها ، وهذا منقول من قول الراجز :

يَرْقَمَنَّ فِي الرَّكْضِ أُمَامَ الشُّبُقِ حَوَافِرًا كَأَلْمَنْبَرِ الْمُفَلَقِ

* يَنْقُشْنَ فِي الصَّخْرِ صُدُورَ الزُّرْقِ *

[الزرق : البازى ، وقيل طائر بين البازى والباهق] .

(٢) وتنظر : تروى وينظرن . ومن سود : أى من عيون سود ، وصوادق : تربها الأشياء على حقيقتها ، والدجى : جمع دجبة ، وهى ظلمة الليل يقول : إنها ترى الأشباح البعيدة عنها كما هى - لصدق نظرها - فى ظلمة الليل ، والحيل توصف بحدة النظر ، ولذلك قالوا : أبصر من فرس فى غلس . وعبرة الشراخ : وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فما تنظره فى ظلمة الليل ترى الشخص البعيد كبيتته من القرب وذلك بخلاف العادة ، لأن الشخص إذا أبصر من بعيد شيئاً صغر فى عينه .

(٣) الجرس : الصوت الخفى . وسوامعاً : أى آذاناً ، جمع سامعة . ويخلن : يحسن . وللناجة : السرار والحديث الخفى . والتنادى : أن ينادى بعض القوم بعضاً . يصفها بحدة السمع كما وصفها فى البيت السابق بحدة النظر . يقول : ويصدق حس سمعها حتى تسمع الصوت الخفى فتصيب له آذاناً - كماداتها إذا أحست بشيء - تكاد تلك الآذان تسمع ما يناجى به الإنسان ضميره ، فكأنه عندها كالمناداة ، لحدة حس آذانها .

(٤) يريد بفرسان الصباح : فرسان الغارة ، وذلك أن الغارة تقع عادة وقت الصبح أخفل ما يكون الناس فصار الصباح اسماً للغارة . والأعنة : جمع عنان سير الجمال ، وهى

بِعِزَمٍ يَسِيرُ الْجَنَسُ فِي السَّرَجِ رَاكِبًا بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجَنَسِ مَاشِيًا^(١)
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا^(٢)

مفعول ثان لـ «تجاذب». يقول: إن هذه الخيل — لما فيها من القوة والنشاط — تجاذب فرسانها أعتتها ثم شبه أعتتها في طولها وامتدادها بالحيات وهذا منقول من قول ذي الرمة يصف ناقة.

رَجِيْعَةُ أَصْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا شُجَاعٌ لَدَى بُسْرَى الذَّرَاعَيْنِ مُطْرَقٌ^(١)
(١) بعزم متعلق بمحذوف: أى سرنا بعزم ونحو ذلك ؛ وبه : أى بالعزم يقول : سرنا بعزم قوى كأن الجسم وهو مقيم في السرج يسبق السرج وكان القلب وهو مقيم في الجسم يسبق الجسم لقوة العزم على السير وعبارة ابن جني : لقوة العزم يكاد القلب يتحرك عن موضعه ، ولو تحرك في الحقيقة لمات صاحبه ، وفي معناه لأبى تمام :

مَشَتْ قُلُوبُ أَنْاسٍ فِي صُدُورِهِمْ كَمَا رَأَوْكَ تُنْمِشِي نَحْوَهُمْ قَدَمَا
وطريق أبى تمام أسلم ، لأنه ذكر تحرك القلب في موضع الشدة المهلكة ؛
ألا ترام يقولون : انخلع قلبه فمات ؛ والمعنى : لقوة عزمنا إذا سار الفارس
في سرجه سار قلبه في جسمه ؛ يعنى ذكاهه وتيقظ فؤاده ، فكان قلبه ماش
في جسده .

(٢) قواصد : حال من الجرد ، والسواقي : جمع ساقية ؛ وهى النهر الصغير يقول
قصدا بها كافورا وتركنا غيره من الملوك ؛ لأنه كالبحر وغيره كالساقية ، وهذا من
قول البحرى :

وَلَمْ أَرَ فِي رَنْقِ الصَّرَى لِي مَوْزِدًا فَحَاوَلْتُ وَزْدَ الْفَيْلِ عِنْدَ احْتِفَالِهِ
« الصرى : نهر » روى أن سيف الدولة لما سمع بيت المتنبي هذا قال : له الوليد !
جعلنى ساقية وجعل الأسود بحرا . قال العكبرى : وإذا كان للتنبي قصد هذا فلقد أبان
عن نقض عهد وقلة مروءة ؛ لأنه مدح خلقاً فلم يعطه أحدا ما أعطاه على بن حمدان
- سيف الدولة - ولا كان فيهم من له شرفه وفضله لأنه عربى من سادات

(١) الرجعية والرجيع من الإبل : مارجته من سفر إلى سفر وهو الكال
والشجاع : الأفي .

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِي زَمَانِهِ وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَا قِيَاً^(١)
نَجُوزَ عَلَيْهَا الْمُحْسِنِينَ إِلَى الَّذِي تَرَى عِنْدَهُمْ إِحْسَانَهُ وَالْأَيَادِيَاً^(٢)

تغلب عالم بالشعر ، ولم يمدح مثله في الشرف والحسب إلا محمد بن عبد الله الكوفي الحسنى .

(١) إنسان العين : ناظرها . وهو المثال الذى يرى في السواد . والمآقى جمع مآق والمآق والموق : طرف العين مائل الأنف ، والملاحظ طر : فهم مائل الأذن ؛ قال الواحدى جعله إنسان عين الزمان كناية عن سواد لونه وأنه هو المعنى المقصود من الدهر وأبنائه وأن من سواء فضول لاحاجة بأحد إليهم فإن البصر في سواد العين وما حوله جفون ومآق لامعنى فيها ، وعبرة التبريزى : حبه الناس بياض العين لأنه لا ينتفع به في النظر وجعل كافوراً إنسان العين لأن الخاصية فيه . قال ابن جنى : وهذا البيت في معناه قول ابن الرومى :

أَكْسَبَهَا الْحُبُّ أَنَهَا صُيِفَتْ صِبْغَةَ حَبِّ الْقُلُوبِ وَالْحَدَقِ^(١)
ولأن الشئ يذكر بالشئ فمن بدع ما فضل به السواد على البياض قول ابن قلاقس :

رُبَّ سَوْدَاءَ وَهِيَ بَيَضَاءُ مَتْنَى نَافَسَ الْمِسْكَ عِنْدَهَا الْكَافُورُ
مِثْلَ حَبِّ الْعُمَيْونِ يَحْسِبُهُ النَّاسُ ظِرُّ سَوَادًا وَإِنَّمَا هُوَ نُورُ
هذا : وإذا أردت التوسع في الكلام على اللوق وما فيه من اللغات وتعميقه فارجع إلى لسان العرب .

(٢) نجوز : نتخطى ، وعليها : أى الحيل ؛ والأيدى : النعم ؛ ولعله يريد بالمحسنين سيف الدولة وعشيرته . يقول : هذه الحيل تتخطى عليها الذين أحسنوا إلينا إلى الذى

(١) من أبيات جيدة لابن الرومى في وصف سواد حسناء يقول فيها :

سَوْدَاءَ لَمْ تَنْتَسِبْ إِلَى بَرَصِ الشَّ قَرَّ وَلَا كَلْفَةٍ وَلَا بَهَقِ
لَيْسَتْ مِنَ الْعَبَسِ الْأَكْفِ وَلَا لَفٍ لَحِ الشِّفَاءِ الْخَبَائِثِ الْعَرَقِ
بَلْ مِنْ بَنَاتِ الْمَلُوكِ نَاعِمَةٍ تَنْشُرُ بِاللَّذْلِ مَيِّتَ الشُّبَقِ
إلى آخر الأبيات :

فَتَى مَا سَرَيْنَا فِي ظُهُورِ جُدُودِنَا إِلَى عَصْرِهِ إِلَّا تُرَجَّى التَّلَاقِيَا^(١)
تَرْفَعُ عَنْ عُونِ الْمَكَارِمِ قَدْرُهُ فَمَا يَفْعَلُ الْفَعْلَاتِ إِلَّا عَذَارِيَا^(٢)
يُبِيدُ عَادَاوَاتِ الْبَغَاةِ بِالطُّفَةِ فَإِنْ لَمْ تَبْدُ مِنْهُمْ أَبَادَ الْأَعَادِيَا^(٣)

يحسن إليهم وينعم عليهم ، يعنى كافورا ، يريد أنه فوقهم ، ومثل هذا مما يؤخذ على المتنبي إذ يدل على عدم وفائه فضلا أنه لم يكن للأسود على سيف الدولة ولا قومه إحسان ، وقال بعضهم : إنما أراد تتخطى عليها أناسا في ولاية الأسود نرى عليهم إحسانه - خلعه وعطاياه - ولو أنه قال :

• نرى عنده إحسانهم والأأيادي •

على معنى تتخطى سيف الدولة وعشيرته إلى الذى نرى عنده إنعامهم وإحسانهم إلى من يقصدهم ، أى نرى عنده إحسان الجميع : أى لأن إحسانه هو وحده ينفى غناء إحسانهم مجتمعين - لكان عسى أن يكون مقبولا ولكان فى باب الشعر معسولا .

(١) السرى هنا : السير مطلقاً ، وزجى ؛ فى موضع الحال : تقديره مرجين ، فصرفه إلى الاستقبال . قال الواحدى : يريد أنه كان يرجو لقاءه منذ قدیم ، حين كان ينتقل فى أصلاب آبائه ، وقال بعضهم : مراده بالجدود : الحظوظ واستعار لها ظهوراً لأنه جعلها مكاناً يسرى فيه كما يسرى على ظهر الأرض ، أو أخذاً من ظهر الدابة كأنه يقول ما قطعنا مسافات حظوظنا للراضية حتى انتهينا إلى عصر ملكه إلا ونحن نرجو أن نلقاه ونجعل تلك المسافات طريقاً إليه . هذا ؛ و « قى » قال العكبرى : يجوز أن يكون فى موضع جر بدل من قوله إلى الذى ، ويجوز أن يكون فى موضع رفع بتقدير « هو الذى » ويجوز أن يكون فى موضع نصب بدل من قوله : إنسان عين زمانه ؛ أو تقصد قى .

(٢) العون : جمع عون ، وهى خلاف البكر ، وهى التى بين السنين فوق البكر ودون الفارض ؛ والفعلات : جمع فعلة ، المرة من الفعل وسكن عنها للضرورة . والعذارى : جمع عذراء ، البكر التى لم يمسه رجل . يقول : هو أجل قدراً من أن يفعل فى المعكرات فعلاً قد سبق إليه وإنما أتى بالمكارم ابتداءً واختراعاً كما قال أيضاً يَمْشِي الْكَرَامُ عَلَى آثَارِ غَيْرِهِمْ وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا تَأْتِي وَتَبْتَدِعُ

(٣) البغاة : جمع باغ ، وهو العتدى ؛ يقول . يسل سخائم الأعداء برقعه وتلطفه لهم فإن لم تذهب أحتقادهم وعداوتهم أبادهم وأهلكهم .

أَبَا الْمِسْكِ ذَا الْوَجْهِ الَّذِي كُنْتُ تَائِقًا إِلَيْهِ وَذَا الْوَقْتُ الَّذِي كُنْتُ رَاجِعًا^(١)
لَقِيتُ الْمُرُورَى وَالشَّخَايِبَ دُونَهُ وَجِئْتُ هَجِيرًا يَتْرُكُ الْمَاءَ صَادِيًا^(٢)
أَبَا كُلِّ طَيْبٍ لَا أَبَا الْمِسْكِ وَخَذَهُ وَكُلَّ سَحَابٍ لَا أَخَصَّ الْفَوَادِيَا^(٣)
يَدُلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلٌّ فَأَخِيرَ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا^(٤)

(١) أبو المسك : كنية كافور لسواده . وذا - في الشطرين - إشارة وهو مبتدأ خبره ما بعده ، وتاق إليه : نزع واشتاق . يقول : وجهك الذي أراه هو الوجه الذي كنت أشتاق إليه ، وهذا الوقت الذي أنا فيه هو الوقت الذي كنت أرجو إدراكه ؛ يعنى وقت لقائه .

(٢) المرورى : جمع المروراة ، وهى الفلاة الواسعة ، والشخايب : جمع شخوب وشنخاب ، وهى ناحية الجبل المشرقة ، وفيها حجارة ناتئة ، وقال الجوهري : شخايب الجبل : رؤسه ، وجبت : قطعت ، والهجير : حر نصف النهار والصادى : العطشان ، يذكر ما لقي من التعب فى الطريق إليه ، وما قاسى من حر الهواجر التى تيسى الماء ، والماء لا يكون صاديا لكنه مبالغة ، وإذا عطش الماء فحسبك به ، قال ابن جنى : هذا مما ينقلب هجاء ، لأن دونه ودون هذا الوجه ما ذكر من الشدة ، فكأنه يريد عظم مشافره وغلظها ، ووجهه وقبحه كقولك لئن لقيت فلانا لثقتين دونه الأسد : أى مثل الأسد ، ويؤكدده قوله لما هجاء « وأسود مشفره . . . البيت » وقلما يسم له شعر من هذا .

(٣) كل سحاب : عطف على «أبا» أى ويا كل سحاب ؛ ولأن تجمعه عطفنا على كل الأول : أى ويا أبا كل سحاب ، والفواى جمع غادية وهى السحابة التى تنتشر صباحا .

(٤) أدل عليه : وثق بمحبته فأفرط عليه ، وفلان يدل عليك بصحبته إدلالا ودلالا ودالة ، أى يجترى عليك ، كما تدل الشابة على الشيخ الكبير بجهالها . يقول : كل ذى غفر إنما يفخر بمنقبة واحدة ، أما أنت فقد جمع الله لك جميع المناقب والمفاخر ، كما قال أبو نواس :

كَأَنَّمَا أَنْتَ شَيْءٌ حَوَى جَمِيعَ الْمَعَانِي

قال ابن جنى : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكك وضحك المتنبي وعرف غرضي

إِذَا كَسَبَ النَّاسُ الْمَعَالِيَ بِالنَّدَى فَإِنَّكَ تُعْطَى فِي نَدَاكَ الْمَالِيَا^(١)
وَعَبْرُ كَثِيرٍ أَنْ يَرْوَرَكَ رَاجِلٌ فَيَرْجِعَ مَلَكًا لِلْعِرَاقَيْنِ وَالْيَا^(٢)
فَقَدْ تَهَبُ الْجَيْشَ الَّذِي جَاءَ غَازِيَا لِسَائِلِكَ الْفَرْدِ الَّذِي جَاءَ عَافِيَا^(٣)
وَتَحْتَقِرُ الدُّنْيَا احْتِقَارَ مُجْرَبٍ يَرَى كُلَّ مَا فِيهَا وَحَاشَاكَ فَانِيَا^(٤)

(١) يقول : إنما يهود الجواد ليحصل له العلو والشرف بالجود ، وأنت تعلى من تعطيه وتشرفه بمطائك فالأخذ منك يكسب الأخذ شرفاً ويعلى عمله ، كما قال أبو تمام :

مَا زِلْتُ مُنْتَظِرًا أَعْجُوبَةً زَمَنًا حَتَّى رَأَيْتُ سُوءًا لَا يَجْتَنِي شَرْفًا
قال الواحدى : ويجوز أن يريد بقوله « تعطى المعالي » أنه يبذل الولايات والأموال التي يشرف بها الناس فالمعالي من عطاياه كما قال البحرى :

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ يَهَبُ الْعُلَى فِي تَبْلِهِ الْمَوْهُوبِ
وقال ابن جنى - وكان يسيئ الظن بدائع التنبي في كافور ، ويحاول أن يحيلها هجاءً : المعنى : عطاؤك يعلى محل أخذه ، وهذا مما يمكن قلبه ، يريد : إذا اتفق لك كسب معلاة انسلخت منها . لأنك لا تحسن تديرها ، فكانت قد سلمتها إلى من يحسن تديرها ، فهي تقيم عنده .

(٢) غير كثير : خبر مقدم عن الصدر المتأول بعده ؛ والراجل : الماشى على رجله والملك بسكون اللام تخفيف ملك بكسرهما ، والعراقان : الكوفة والبصرة ، وقيل المراد عراق العرب وعراق العجم ، قال ابن جنى : هذا ظاهره أن من رآك استفاد منك كسب المعالي وباطنه أن من رآك على ما بك من النقص - وقد صرت إلى هذا العلو - ضاق ذرعه أن يقصر عما بلغت وأن لا يتجاوز ذلك إلى كسب للسكرام ، وكذلك إذا رآك راجل لا يستكثر لنفسه أن يرجع واليا على العراقيين لأنه لا يوجد أحد دونك وقد بلغت هذا ، وهكذا يأبى ابن جنى إلا أن يجعل لظاهر شعر التنبي - الذى يمدح به كافورا باطنا وأن يحيل المدح هجاء ، وليس يبعد على مثل أبى الطيب وهو من هو دهاء أن يكون ذلك مقصده وابن جنى أدرك الناس به وبمراميه .

(٣) العافى : السائل واحد العفاة . يقول : إذا غزاك جيش أخذته فوهبته لسائل واحد أنك يسألك ، يصفه بالشجاعة والجود .

(٤) المجرب : - بالكسر - الذى قد جرب الأمور وعرفها وبالفتح الذى جربته

الأُمور وأحكمتها ، إلا أن العرب تكلمت به بالفتح ، وفانيا : مفعول ثانٍ ليرى . يقول أنت تحتقر الدنيا احتقار من جربها فعرفها وعلم أن جميع ما فيها ينفى ولا يبقى ولذلك تمها ؛ ولا تدخرها ، وقوله وحاشاك : استثناء مما ينفى ، ذكر هذا الاستثناء تحسينا للسلام واستعلا للآدب في مخاطبة الملوك ؛ قال العكبري : « وحاشاك » من أحسن ما خوطب به في هذا الموضع والأدباء يقولون هذه اللفظة حشوة ولكنها حشوة فستق وسكر ، ومثلها في الحشوات قول عوف بن علم :

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلَّتْهُنَّ قَدْ أُحْوجَّتْ سَمِي إِلَى تَرْجُحَانِ^(١)

(١) من أبياته التي يقال إنه ارتجلها حين دخل على عبد الله بن طاهر فلم عليه عبد الله فلم يسمع وأعلم بذلك فارتجل هذه الأبيات :

يَا ابْنَ الذِي دَانَ لَهُ الْمَشْرِفَانُ طَرًّا وَقَدْ دَانَ لَهُ الْمَغْرِبَانُ
وبعده : البيت وبعده :

وبدلتني بالشطاطِ انحنًا وكنتُ كالصَّمْدَةِ تحتِ السَّنانِ
وبدلتني من زُمَاجِ الفَتَى وهِمِّي هَمُّ الْجَبَانِ الْمِدَانِ
وقاربتُ مِنِّي خُطَاً لَمْ تَكُنْ مُقَارِبَاتٍ وَثَنَتْ مِنْ عَنَانِ
وَأَنْشَأْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْوَرَى عِنَانَةً مِنْ غَيْرِ نَسْجِ الْعَنَانِ
وَلَمْ تَدْعُ فِي الْمُسْتَمْعِ إِلَّا لِسَانِي وَبِحَسْبِي لِسَانِ
أَدْعُو بِهِ اللَّهَ وَأُنْصِي بِهِ عَلَى الْأَمِيرِ الْمُصْطَفِيِّ الْمِجَانِ
فَقَرَّبَانِي بِأَبِي أَنْتَا مِنْ وَطْنِي قَبْلَ اصْفَرَارِ الْبَنَانِ
وَقَبْلَ مَنَعَايَ إِلَى نِسْوَةٍ أَوْطَأَتْهَا حَرَّانُ وَالرَّقَّتَانِ

« الشطاط : حسن القوام ، والصمدة : القناة المستوية ، والزماج : المضاء في الأمر والهدان : الوخم الثقيل في الحرب ، والعنان : السحاب واحده عناة يشير إلى ضعف بصره فكأنه يرى من وراء سحابة . والميجان : الكريم واصفرار البنان : كناية عن الموت » .

وَمَا كُنْتَ يَمِّنَ أَدْرَكَ الْمَلِكَ بِالْمَنَى وَلَكِنْ بِأَيَّامٍ أَشْبَهَ الدَّوَاصِيَا^(١)
عِدَاكَ تَرَاهَا فِي الْبِلَادِ مَسَاعِيَا وَأَنْتَ تَرَاهَا فِي السَّمَاءِ مَرَاقِيَا^(٢)
لَبِستَ لَهَا كُدْرَ الْعَجَاجِ كَأَنْتَمَا
تَرَى غَيْرَ صَافٍ أَنْ تَرَى الْجَوَّ صَافِيَا^(٣)
وَقَدَّتْ إِلَيْهَا كُلَّ أَجْرَدٍ سَاحِجٍ يُؤْذِيكَ غَضْبَانَا وَيَنْزِكَ رَاضِيَا^(٤)

(١) المنى : جمع منية ، وهى ما يتحنى . والنواصى : جمع ناصية شعر مقدم الرأس . والمراد بالأيام : الوقائع ومنه قول تعالى « وذكرهم بأيام الله » قال المفسرون : يريد وقائع الله فى الأمم الخالية . يقول : لم تدرك الملك بالمنى والاتفاق ، ولكن بالسمى والجهد والوقائع الشديدة التى تشيب نواصى الأعداء وهذا من قول البحترى :

فَتَى هَزَّ الْقَنَا فَحَوَى سَنَاءَ بِهَا لَا بِالْأَحَاطِلِ وَالْجُدُودِ
ومثله قول يزيد الهلبلى :

سَعَيْتُمْ فَأَذْرَكْتُمْ بِصَالِحِ سَفِيكُم وَأَذْرَكَ قَوْمٌ غَيْرُكُمْ بِالْمَقَادِيرِ
وله أيضاً :

إِذَا قَدَّمَ السُّلْطَانُ قَوْمًا عَلَى الْهَوَى فَإِنَّكُمْ قُدُمْتُمْ بِالْمَنَاقِبِ
(٢) الضمير فى « تراها » للأيام . والمراقى جمع مراقبة وهى الدرج التى تكون فى السلم . قال ابن جنى : أى تمتد فى العالى أضعاف اعتقاد الناس فبحسب ذلك يكون طلبك لها وشحك عليها ، قال الواحدى : والمعنى — على ما قال ابن جنى — أن أعداءك يرون الأيام والوقائع مساعى فى الأرض لأنك تستفتح بها البلاد وتستضم الأطراف — وأنت تراها مراقي فى السماء ، لأنك بها تنال ذروة العلاء والمجد .

(٣) العجاج جمع عجاجة : وهى الغبرة . وكدر : جمع أكدر وهو من إضافة الوصف إلى الموصوف . يقول : لبست للحروب والوقائع عجاجا — غبارا — مظلمة كأنما ترى صفاء الجو أن لا يصفو من الغبار ، أى أنت أبدا تثير غبار الحرب ، وكأنك إذا رأيت الجو صافيا رأيت غير صاف لكراهيته لصفائه من الغبار .

(٤) كل : أجرد : أى كل فرس أجرد — أى قصير الشعر — والساحج السريع العدو كأنه يسبح فى جريه . ويشنيك : يصرفك ويردك . يقول : وقدت إلى الحروب والوقائع كل فرس يورثك الحرب وأنت مغيظ محقق على العدو غضبان ويصدرك راضيا بما أدركت من المطلوب بظفرك بأعدائك .

وَنُخْطَرَطِ مَاضٍ يُطِيعُكَ أَمِراً

وَيَفْعَى إِذَا اسْتَنْذَنْتَ لَوْ كُنْتَ نَاهِيَا^(١)

وَأَمْرَ ذِي عَشْرِينَ تَرْضَاهُ وَارِداً وَيَرْضَاكَ فِي إِمْرَادِهِ الْخَيْلَ سَاقِيَا^(٢)

كِتَابٍ مَا أَنْفَكْتَ تَجْوُسُ عَمَائِراً مِنْ الْأَرْضِ قَدْ جَاءَتْ إِلَيْهَا فَيَافِيَا^(٣)

(١) نخترط : عطف على أجرد . وأراد بالخطوط السيف المنتضى المسلول وأمر : حال من المخاطب . يقول : وحملت إليها كل سيف إذا أمرته بالقطع أطاعك ففعل في الضريبة وإن نهيته واستنذنت أحدا من أعدائك أو نهيته عن قتلهم بعد الاستثناء منهم عصاك فلم يستثن ولم يكف حتى يأتي عليهم لسرعة نفاذه في الضريبة .

(٢) وأمر : يريد رعا أمر ذا عشرين كعباً أو ذراعاً . وواردا : حال من الهاء في ترضاه وقوله في إمراده الخيل . أى في إمرادك إياه الخيل . يقول : وكل رمح إذا أوردته خيل الأعداء ترضاه وارداً لدماهم ويرضاك ساقياً له منها فهو أهل لأن يرد الدماء وأنت أهل لأن تورده إياها . فكل منكك راض عن صاحبه . والمراد بالخيل فرسانها ، والبيت منقول من قول عبد الله بن طاهر في السيف :

أَخُو ثِقَةٍ أَرْضَاهُ فِي الرُّوْعِ صَاحِبًا وَفَوْقَ رِضَاهُ أَنْتِي أَنَا صَاحِبُهُ
أى هو يرضى بى أيضاً صاحباً فوق الرضا

(٣) كتاب : إما قرأتها بالرفع على تقدير لك كتاب ، أو ما أنفكت لك كتاب وإما بالنصب على أنها بدل من قوله كل أجرد وما يليه لأن الكتاب تكون فيها هذه الأشياء . والكتاب : جمع كنية القطعة من الجيش . وتجوس تتخلل وتدوس . والعائر : جمع عمارة والعارة أصغر من القبيلة ، وقيل الحى العظيم الذى يقوم بنفسه ينفرد بظفنها وإقامتها ونجبتها ، وهى من الإنسان الصدر مسمى الحى العظيم عمارة بعمارة الصدر قال الأخنس بن شهاب التغلبي :

لِكُلِّ أَنْاسٍ مِنْ مَعْدَةِ عَمَارَةٍ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يَلْجَأُونَ وَجَانِبٌ^(١)

(١) عمارة بدل من أناس ، والعروض الناحية ، يقال : أخذ فلان فى عروض ما يعينى أى فى طريق وناحية ، يقول : لكل حى حرز إلا بنى تغلب فإن حرزهم السيوف ومن رواء عروض - بضم العين - جملة جمع عرض وهو الجبل .

غَزَوْتَ بِهَا دُورَ الْمُلُوكِ فَبَاشَرْتَ سَنَابِكُهَا هَامَاتِهِمْ وَالْمَغَانِيَا (١)
وَأَنْتَ الَّذِي تَنْفُشِي الْأَسِنَّةَ أَوَّلًا وَتَأْنِفُ أَنْ تَنْفُشِي الْأَسِنَّةَ ثَانِيًا (٢)
إِذَا الْهِنْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِيْ كَرِيهَةٍ فَسَيْفُكَ فِيْ كَفِّ تَزِيلِ النَّسَاوِيَا (٣)
وَمِنْ قَوْلِ سَامَ لَوْ رَأَاكَ لِنَسْلِهِ فِدَى ابْنِ أَخِيْ نَسْلِيْ وَنَفْسِيْ وَمَالِيَا (٤)
مَدَى بَلَّغَ الْأُسْتَاذَ أَفْصَاهُ رَبُّهُ وَنَفْسٌ لَهُ لَمْ تَرْضَ إِلَّا التَّنَاهِيَا (٥)

ومن الأرض : لك أن تجعلها حالاً مقدمة عن فيافيا . والفيافي : الفاويز والفلوات
يقول : إن لك كتاب أو قدت كتاب لا تزال تتخلل وتدوس القبائل للغارة بعد أن
قطعت إليها الفلوات البعيدة ، يعنى أن كتابه لا تزال تأتى الأعداء للغارة عليهم .

(١) بها : أى بالكتاب . والسنايك : أطراف الحوافر . والهامات : الرؤوس .
والمغانى : جمع مغنى وهو المنزل يغنى - يقيم - به أهله . يقول : غزوت بهذه الكتاب
ديار الملوك حتى قتلهم ؛ فوطئت خيلك رؤوسهم وديارهم ، ودور الملوك يروى : دون
الملوك ، فيكون الضمير فى هاماتهم للعماير ويكون المعنى : غزوت العماير دون الملوك لأن
الملوك سواك لم تغزهم إذ ليس لهم إقدامك وشجاعتك .

(٢) تنفشى : تأتى ، والأسنة : نصال الرماح ، وأنف من الشيء : استنكف واستكبر
يقول : إنه أول من يأتى الحرب وأول من يبارز فيأتى الطعان سابقاً ، ويأنف أن
يأتيه ثانياً لأول سبقه .

(٣) السكريه : الشدة فى الحرب . يقول : إذا طبعت - صنعت - الهند سيفين
جعلتهما سواء فى الحدة واللضاء فالسيف الذى يصاحبك ويكون فى كفك يكون أمضى
لأن كفك تزيل تساويهما بشدة الضرب .

(٤) سام : هو ابن نوح ، ويقال إن البيض من ولده ، وأن السود من ولد أخيه
حام ، ومن قول خبر مقدم وفدى ابن أخى الخ . مبتدأ مؤخر وهو حكاية القول ،
ولنسله صلة القول . يقول : لو رآك سام بن نوح من لكان قوله لنسله فدى ابن أخى ولدى
ونفسى ومالى ، أى أنه لنجابتة وفضله لو رآه سام لفضله على نسله وجعل نفسه وإياهم
فدى له .

(٥) المدى : الغاية . وهو خبر محذوف . يريد ما ذكره من محامده ، والأستاذ
الرئيس . قال الجواليقي : واصطلحت العامة إذا عظموا الحصى أن يخاطبوه بالأستاذ
وإنما أخذوا ذلك من الأستاذ الذى هو الصانع - وقد حرفت فى مصر إلى الأستاذى -

دَعَتْهُ فَلَبَّاهَا إِلَى الْمَجْدِ وَالْمَلَا وَقَدْ خَالَفَ النَّاسُ النُّفُوسَ الدَّوَاعِيَا^(١)
فَأَصْبَحَ فَوْقَ الْعَالَمِينَ يَرَوْنَهُ وَإِنْ كَانَ يُدْنِيهِ التَّكْرُمُ نَائِيًا^(٢)

* * *

ودخل على كافور بعد إنشاده هذه القصيدة وابتنس إليه الأسود ونهض فلبس
نملا فرأى أبو الطيب شقوفاً برجليه وقبحاً ، فقال يهجوهُ :

أُرِيكَ الرِّضَا لَوْ أَخَفَّتِ النَّفْسُ خَافِيَا وَمَا أَنَا عَنْ نَفْسِي وَلَا عَنْكَ رَاضِيَا^(٣)
أَمِينًا وَإِخْلَاقًا وَغَدْرًا وَخِصَّةً وَجُبْنًا أَشْخَصًا لَحْتُ لِي أُمُّ مَخَازِيَا^(٤)

لأنه ربما كان تحت يده غلمان يؤدبهم كأنه أستاذ في حسن الأدب . وأنصاه : أبعدهُ ،
ونفس : عطف على ربه . يقول : إن الذي ذكرته من مناقبه مدى بلفه الله غايته
ونفسه التي تأبى فيما تطلبه إلا أن تبلغ نهايته .

(١) دَعَتْهُ : أى النفس ، و « إلى » متعلق بدعته أو لبأها على طريق التنازع . ودل
دعته نفسه إلى المجد فلبأها وأجابها ، أما غيره فإذا دعته نفسه إلى المجد فإنه لا يجيبها ؛
لأنه لم يأت ما يكسبه المجد والشرف من الجود والشجاعة والأخلاق الحميدة كما أنها
هو ، فقيره عاجز عن إدراك ما تدعوه إليه نفسه .

(٢) نَائِيًا : أى بعيداً مفعول ثان ليرونه . يقول : إنه أصبح فوق أناس فهم يرونه
بعيداً عنهم رتبة وإن كان تكبره يقربه منهم كالشمس بعيدة أما ضوءها فقريب .

(٣) الخافي : ضد الظاهر . يقول : لو أخفت النفس ما فيها من كراهتك لأريتك
الرضى ، أى لو قدرت على إخفاء ما في نفسي من البغض لك والكراهة لقصدك لكنت
أريك ارضى ولكنى لست براض عن نفسي في قصدى إليك ، ولا عنك أيضاً لتقصيرك
في حقى .

(٤) اللين : الكذب . والإخلاف : خاف الوعد ، وهذه المصادر كلها منصوبة
بعوامل من لفظها محذوفة وجوباً ، أى آمين مينا وتغافل إخلاقاً وتغدر غدرًا ، وهلم
جرا ، والمخازى : جمع مخزية : وهى الفعلة القبيحة يخزى صاحبها : أى يذل ، يقال :
خزى الرجل يخزى خزيًا : إذا وقع فى بلية وشر وشهرة فذل بذلك وهان ، ويقال فى
الحياء : خزى يخزى خزاية وخزيت فلانا إذا امتحيت منه ، ورجل خزيان وامرأة
خزيا ، وهو الذى عمل قبيحا فاشد لذلك حياؤه وخزايته ، قال تأبط شراً :

تَنْظُنْ ابْتِسَامَاتِي رَجَاءً وَغَيْطَةً وَمَا أَنَا إِلَّا ضَاحِكٌ مِنْ رَجَائِي^(١)
وَتَعْجِبْنِي رِجْلَاكَ فِي الْفَعْلِ إِنِّي رَأَيْتُكَ ذَا نَعْلٍ إِذَا كُنْتَ حَافِيًا^(٢)
وَأَنَّكَ لَا تَذْهَبُ أَلْوَنُكَ أَسْوَدُ مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيًا^(٣)
وَيُذَكِّرُنِي تَخْيِيطُ كَعْمِكَ شَقَّهُ وَمَشْيِكَ فِي ثَوْبٍ مِنَ الزَّيْتِ عَارِيًا^(٤)

فَخَالَطَ سَهْلَ الْأَرْضِ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَذْحَةُ وَالْمَوْتُ خَزَيَانُ يَنْظَرُ^(١)
يقول : أجمع بين هذه المخازي ؟ كما تقول العرب أحشفا وسوء كيلة : أى أجمع
بين سوء الكيلة وإعطاء الحشف ؟ ثم قال : أنت شخص ظهرت لى أم محاز ؟ أى
كانك محاز ومقابع لاجتماعها فيك وحصولها منك .

(١) الغبطة : السرور وحسن الحال . يقول : إذا ابتسمت ظننت ابتسامي رجاء لك
وغبطة بقربك . وإنما أنا أضحك من رجائي لثلك ومثلك لا يرجى .

(٢) يقول : إني أعجب منك إذا كنت ناعلا لأنني أراك إذا كنت حافيا ذا نعل
لناظ جلد رجلحك ، وقوله تعجبني : استحسان تهكم ، فهو من التعجب يريد أنك تلبس
النعال تشبها بالترفين كأنك تتأذى من المشى بدونها مع أن لك من جلد رجلحك نعالا ،
وإننى : إما بكسر الهمزة على الاستئناف وإما بفتحها على معنى لأننى .

(٣) يقول : بعد أحرزت الملك لا تدرى لجهلك هل لونك أسود كما كنت تعرف
أو صار أبيض ، أى ليس يبعد أن تتوهم أنك قد أشبهت البيض فى اللون كما توهمت أنك
أشبهتهم فى الترف .

(٤) يقول : كلما رأيت تخييطك لكعبك ذكرنى الشقوق التى كانت به وقت ما كنت
مجلوبا ، وذكرنى الأيام التى كنت فيها تمشى عاريا ، وقوله فى ثوب من الزيت :
فقد ذكروا أن مولاه كان زياتا وأن الأسود كان يحمل الزيت عاريا ويمشى متلطحاً به
فكانه فى ثوب من الزيت ؛ وقال ابن فورجه : يعنى أنه كان أسود إلى لون الصفرة كلون
الزيت وأهل العراق يسمون من كان غير مشبع البواد زيتيا ، أى أنت فى حال كونك
عاريا فى ثوب من الزيت لأنك حبشى . هذا : وقد اعتسف الشراح فى إعراب هذا
البيت اعتسافا أشفقنا عليهم منه ، وهو من الوضع بحيث ترى ففاعل يذكر تخييط
وشقه : مفعول ثانٍ ليدكر ، ومشيك عطف عليه .

(١) من أبيات ، أنظرها فى حماسة أبى تمام .

وَلَوْلَا فَضُولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًا بِمَا كُنْتُ فِي سِرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيًا^(١)
فَأَصْبَحْتَ مَسْرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِدٌ
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَيْرًا أَفَدْتَ فَإِنِّي وَإِنْ كَانَ بِالْإِنْشَادِ هَجْوُكَ غَالِيًا^(٢)
وَمِثْلَكَ يُؤْتَى مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ أَفَدْتُ بِلَحْظِي مِشْفَرِيكَ الْمَلَاهِيَا^(٣)
لِيُضْحِكَ رَبَّاتِ الْحِدَادِ الْبَوَاكِ يَا^(٤)

(١) الفضول : تعرض الإنسان لما لا يعنيه . يقول : أنا أهجوك في سري وإن مدحك ظاهراً ؛ فلولا ما طبع عليه الناس من الفضول لأظهرت هجاءك وقلت إنى أمدحك به فكنت لا تنفطن لذلك ولا تفرق بين المدح والهجاء ، ولكن الناس فهم فضول فهم كانوا يقولون هذا الذى أناك به هجاء لا مدح .
(٢) هذا تفرع على البيت الذى قبله . يقول : كنت تسر بإنشادى هجاءك إذ تظنه مديحاً وإن كان هجوك يغلو بالإنشاد ، أى أن الإنشاد كثير عليك لأنك أقل قدراً من أن تهجى وينشد هجاؤك .

(٣) مشفريك : أى شفتيك الشبهيّتين بمشفرى البعير فى اللفظ ، وأفدت فى المصراع الثانى : إما بمعنى استفدت ، وإما على معنى أفدت نفسى فيكون المفعول الأول مقدراً . ولحظى : أى رؤيتى . يقول : إن كنت لم تغدنى خيراً فى مقامى عندك ولم تحسن إلى فإننى استفدت للالاهى برؤيتى شفتيك أو أفدت نفسى للالاهى بلحظى مشفريك ، وقوله لا خيراً أفدت : أى لا أفدت خيراً ، أدخل «لا» على الماضى من غير تكرار وهو مسموع فى الشذوذ .

(٤) ربات الحداد : أى الثالكات اللابسات الحداد — وهى ثياب سود يلبسها النساء الثالكات — حزناً ، وروى الواحدى : ربات الحجال . والحجال الستور . يقول إنك عجب من رآه ضحك ، ومثلك يقصد من البلاد النائية ليتعجب من غرابة منظره ، وتغلبى به النساء الثالكات لأنهن إذا رأينه غلبهن الضحك فلمهن بذلك عن الحزن والأسى ، والبيت كما ترى يقرر به ما ذكره فى الأبيات قبله . قال ابن جنى : وقد صرح فى هذا البيت بجميع ما كان أخفاه فى مدحه بقوله فى إحدى مدائحه السكافورية :
وَمَا طَرَبِي لَمَّا رَأَيْتُكَ بِدَعَاةٍ لَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَاكَ فَاطْرَبُ

تم الديوان والشرح بمون الله وتوفيقه

فهرس الجزء الرابع

من شرح ديوان المتنبي

تابع قافية اللام
مطلع القصيدة :

الصفحة

٣	كدعواك كل يدعى صحة العقل جهل
١٥	إثنت فإنا أيها الطلل الإبل
٢٧	ما أجدر الأيام واليالي ومالي

قافية لليم

٤٣	وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه
٦١	أين أزمعت أيهذا الحمام
٦٧	أنا منك بين فضائل ومكارم
٦٩	إذا كان مدح فالنسب المقدم
٨٠	واحر قلباه ممن قلبه شبح
٩١	المجد عوفي إذ عوفيت والكرم
٩٣	قد سمعنا ما قلت في الأحلام
٩٤	على قدر أهل العزم تأتي العزائم
١٠٩	أراع كذا كل للوك هام
١١٥	أيا راميا بسمى فؤاد مرامه
١١٨	رأيتك توسع الشعراء نبلا
١١٩	ذكر الصبا ومراتع الآرام
١٢٩	عقب اليمين على عقب الوغى ندم
١٤٣	كفى أراني وبك لومك ألوما
١٥٠	إلى أي حين أنت في زى عرم

مطلع القصيدة :

الصفحة

١٥٠	باللم	ضيف ألم برأسى غير محتشم
١٦٢	مقامى	أيا عبد الإله معاذ إنى
١٦٤	الكرم	إذا ما شربت الخمر صرفاً منها
١٦٥	الخرطوم	وأخ لنا بعث الطلاق ألية
١٦٥	السقم	ملاى النوى فى ظلمها غاية الظلم
١٧٩	القدم	أحق عاف بدمعك الهمم
١٩٠	اللاثام	فؤاد ما تسليه المدام
٢٠٢	منهم	زرى عظمها بالبين والصد أعظم
٢١٤	فقسلم	أجارك يا أسد الفردائس مكرم
٢١٥	أما	ما نقلت فى مشية قدما
٢١٥	لاينام	لا افتخار إلا لمن لا يضام
٢٢٦	حلمنا	ألا لا أرى الأحداث حمداً ولا ذماً
٢٣٦	المعالم	أنا لأمى إن كنت وقت اللوأم
٢٤٤	معظما	حييت من قسم وأفدى المقما
٢٤٤	والإعلام	غير مستنكر لك الإقدام
٢٤٥	النجوم	إذا غامرت فى شرف مروم
٢٤٧	أسلم	لهوى النفوس سريرة لاتعلم
٢٦١	هيناما	روينا يا ابن عسكر الهاما
٢٦٣	الغمام	أعن إذنى تهب الريح رهواً
٢٦٣	ميمم	فراق ومن فارقت غير مذمم
٢٧٢	الكلام	ملومكما يحل عن الملام
٢٨٠	والجلم	من أية الطرق يأتى نحوك الكرم
٢٨٢	الهموم	أما فى هذه الدنيا كرم
٢٨٣	اسمه	يذكرنى فانكا حله
٢٨٥	قدم	حتام نحن نساوى النجم فى الظلم
٢٩٦	ديما	قد صدق الورد فى الذى زعما

قافية النون

٢٩٩	الإذنا	نزور دياراً مانحاً لها منفى
٣٠٢	صوانها	ثياب كريم ما يصون حسانها
٣٠٥	ومحمدونه	حجب ذا البحر بحار دونه
٣٠٧	الثاني	الرأى قبل شجاعة الشجعان
٣١٧	والوسن	أبلى الهوى أسفا يوم النوى بدنى
٣٢١	الزمان	قضاة تعلم أنى الفتى الذى
٣٢٤	وإعلاني	كتمت حبك حتى منك تكرمه
٣٢٥	وبيني	إذا ما الكأس أرعشت البدن
٣٢٧	ما اعلنا	الحب ما منع الكلام الألسنا
٣٤٠	تكوين	يابدر إنك والحديث شجون
٣٤١	الفطن	أفاضل الناس أغراض لذا الزمن
٣٥١	أحزاننا	قد علم البين منا البين أجفانا
٣٦٢	إحسان	زال النهار ونور منك يوهنا
٦٦٢	الخيزران	ما أنا والحجر وبطيخة
٣٦٣	سكن	بم التعلل لا أهل ولا وطن
٣٧٠	عنانا	صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
٣٧٣	القمران	عدوك مذموم بكل لسان
٣٨٠	إحسانا	لو كان ذا الآكل أزوادنا
٣٨١	عيونها	جزى عرباً أمست بيليس ربها
٣٨٣	الزمان	مغاني الشعب طيباً فى المغاني

قافية الهاء

٣٩٧	تنميته	أغلب الخيزرين ما كنت فيه
٣٩٨	فكره	أنا بالوشاة إذا ذكرتك أشبه
٣٨٩	معناه	الناس ما لم يروك أشباه

مطلع القصيدة :

الصفحة

٤٠١	وصفناه	قالوا ألم تكنه فقلت لهم
٤٠٢	فيها	أحق دار بأن يسمى مباركة
٤٠٣	بنوه	لئن تك طيء كانت لثاماً
٤٠٤	ذكرها	أوه بديل في قولتي وأها

قافية الباء

٤٠٧	أماناً	كني بكداء أن ترى الموت شافياً
٤٣٢	راضياً	أريك الرضالوأخفت النفس خافياً

استدراكات وتصحيحات

وهذه تصحيحات واستدراكات وزيادات بدت
لنا بعد الفراغ من هذا الشرح

جاء في صفحة ١٤٣ ج أول هذا البيت لدى الرمة:
جَاءَتْ بِنَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ كَأَنَّهُ عَلَى عَصَوَيْهَا سَابِرٌ مُشْبَرٌ
وهنا سقطت هذه الكلمة التي يجب أن توضع عقب هذا البيت بين قوسين هكذا
« مشبرق : ممزق »

وجاء في صفحة ١٣٩ ج أول:
مَا زِلْتُ أَسَىٰ مَعَهُمْ وَأَخْتَلَطُ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ الظَّلَامُ الْخَتَلُطُ
* جَاءُوا بِضَيْحٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطُ *
وقد فاتنا أن نعلق على هذا الرجز بما يأتي :

هذا الرجز لم ينسبه أحد من الرواة إلى قائله وقيل هو للمعاج وقد رواه البرد في
الكامل على هذا الوجه :

بَنَيْنَا بِحَسَّانَ وَمِعْزَاهُ تَخَطُّ مَا زِلْتُ أَسَىٰ بَيْنَهُمْ وَأَخْتَبِطُ
حَتَّىٰ إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ وَأَخْتَلَطُ جَاءُوا بِمَذْقٍ هَلْ رَأَيْتَ الذِّئْبَ قَطُ
وروي بعضهم بعد قوله بنينا بحسان ومعزاه تخط هذا البيت :

تَلَحَّسْ أَدْنِيَهُ وَحِينًا تَمْتَخِطُ فِي سَمَنِ مِنْهُ كَثِيرٌ وَأَقِطُ
وحسان : اسم رجل ، والمعزى : من الغنم : خلاف الضأن ، والضمير فيه لحسان
وتخط : مضارع أط أى صوت جوفه من الجوع ، ويقال امتخط وتمخط أى استنثر ،
وفي ممن : متعلق بقوله تتمخط ، والسمن بسكون الليم وفتحها هنا للضرورة والاقط :
اللبن الخفيض يطبخ ثم يترك حتى يوصل ، والضمير في بينهم لحسان باعتبار حيه وقبيلته ،
وأسمى بينهم : أى أردد إليهم ، وأختبط : أى أسأل معروفهم من غير وسيلة وهذا يدل
على كمال شعهم حيث كان ضيفا عندهم لم يشبعوه مع أنه يعرض لمعرفهم ، أما التبط في

الرواية الأخرى فعناه أعدو يقال التبط البعير إذا ضرب بقوائمه الأرض ، وسره حتى « إذا جن الظلام واختط » غاية لقوله أسمى وألتبط ؛ يريدستر الظلام كل شيء ، وصفهم بالشح وعدم إكرامهم الضيف وبالغ في أنهم لم يأتوا بما أتوا به إلا بعدسى ، ومضى جانب من الليل ثم لم يأتوا إلا بلبن أكثره ماء .

* * *

وجاء في صفحة ١٧٣ ج أول هذا البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وصحة البيت هكذا :

أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
وهو من قصيدة للعباس بن مرداس الصحابي قالها في الجاهلية قبل إسلامه ومطلعها :

لَأَنْبِيَاءَ رَسَمَ أَصْبَحَ الْيَوْمَ دَارِسَا وَأَقْفَرَ إِلَّا رَحْرَحَانَ فَرَاكِسَا
« رحرحان : موضع أو جبل قريب من عكاظ ، وراكس : واد » واختار منها أبو تمام في الحماسة أربعة أبيات وهي :

فَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبِّحَا وَلَا مِثْلَنَا يَوْمَ التَّقْيِيفَا فَوَارِسَا
أَكْرَهُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا
إِذَا مَا حَمَلْنَا خَمْلَةً نَصَبُوا لَنَا صُدُورَ الْمَذَاكِي وَالرَّمَاحَ الدَّاعِسَا
إِذَا التَّخْلِيلُ جَالَتْ عَنْ صَرِيرِ نَكْرُهَا عَلَيْهِمْ فَأَيَّ بَرَجَعْنَ إِلَّا عَوَابِسَا

قال أبو عبيدة في كتابه أيام العرب : غزت بنو سليم - ورئيسهم عباس بن مرداس مراداً ، فجمع لهم عمرو بن معد يكرب ، فالتقوا بثلاث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل من كبار مرادسة ، وقتل من بني سليم رجلان ، وصبر الفريقان حتى كره كل واحد منهما صاحبه فقال عباس بن مرداس قصيدته التي على السنين وهي إحدى النصفات ... وقوله فلم أر مثل الحى الخ أراد بالحى المصبح بنو زيد بن مراد قال المرزوقي : أى لم أر مغاراً عليه كالذين صبحناهم ولا مغيراً مثلنا يوم لقيناهم قسم الشهادة قسم السواء بين أصحابه ، وأصحابهم ، وتناول بالمدح كل فرقة منهم ، وانتصب حياً مصباحاً على التمييز ، وكذلك فوارسا ، ويحوز أن يكونا فى موضع الحال . وقوله أكر وأحمى الخ فالمرع الأول ينصرف إلى أعدائه وهم بنو زيد والثانى إلى عشيرته

وأصحابه ، والمراد : لم أر أحسن كرا وأبلغ حماية للحقائق منهم ولا أضرب للقوانس بالسيوف منا ، والقونس أعلى البيضة ، وأكر : من كر عليه إذا صال عليه وأحمى : من الحماية وحقيقة الرجل ما يحق عليه حفظه من الأهل والأولاد والجار . قال ابن العاجب قوله أكر وأحمى الخ تبين لما ادعاه فيما تقدم فيجوز أن ينتصب بفعل مقدر لا صفة لما تقدم لثلاث فصل بين الصفة والموصوف بما هو كالأجنبي إذا جعل تميزا ، ويجوز أن يكون صفة لما تقدم كأنها صفة واحدة ، وإذا جعل غير تميز كأنه قال جاءني زيد وعمرو العاقل والعالم وذلك جائز ، فأكر وأحمى صفة لحيا مصبعا وأضرب منا صفة للموارسا وقوله : إذا ما حملنا الخ يقول : إذا حملنا عليهم ثبتوا في وجوهنا ونصبوا صدور الخيل القرح والرماح للعدة للطن فالمراد بالداعس الرماح الطاعنة ، وقرس مذك : تم سنهوكات قوته وقوله إذا الخيل جالت الخ أي إذا الخيل دارت عن مصروع منا كرنا عليهم لنصرع مثل ما صرعوا منا ، ويجوز أن يريد إذا جالت الخيل عن صريع ، منهم لا يقننا ذلك منهم بل فكرها عليهم لثله وإن كرهت السكر لشدة البأس فلم ترجع إلا كوالج .

وجاء في صفحة ٢٦٣ جزء أول من السطر الثاني هكذا :

قَطُّ لَا يُدْفَعُ عَنْ سَبْقِ عِرَاب

وصوابها :

غَيْرُ مُدْفُوعٍ عَنِ السَّبْقِ الْعِرَابِ

وقد سقط من شرح هذا البيت بحث نحوي طريف يجب أن يوضع بعد تمام شرح البيت وهذا هو : هذا : وقد قال أبو حيان في تذكرته إن هذا البيت في الإعراب نظير بيت أبي نواس :

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقَضِي بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ

قال ابن حيان : فـ«العرب» مرفوع بمدفوع ، ومن جعله مبتدأ فقد أخطأ ، لأنه يصير التقدير ، العرب غير مدفوع عن السبق ، والعرب جمع فلا أقل من أن يقول غير مدفوعة لأن خبر المبتدأ لا يتغير تذكيره وتأنيته بتقديمه وتأخير . وإليك آراء النحاة في إعراب غير ، قال ابن هشام في المغني : فيه ثلاثة أوجه أحدها أن غير مبتدأ لا خبر له بل لما أضيف إليه ^(١) مرفوع يعني عن الخبر ، وذلك لأنه في معنى النفي ، والوصف بعده

(١) لما : بكسر اللام وتخفيف الميم ، أي بل للاسم الذي أضيف إليه غير مرفوع وهو على زمن لأنه نائب فاعل مأسوف والمضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد

مغفوض لفظاً وهو في قوة المرفوع بالابتداء فكأنه قيل مأسوف على زمن ينقضي مصاحباً
لهم والحزن ، فهو نظير مأمزروب الزيدان والنائب عن الفاعل الظرف قاله ابن السجري
وتبعه ابن مالك ، والثاني : أن غير خبر مقدم والأصل زمن ينقضي بهم والحزن غير
مأسوف عليه ثم قدمت غير وما بعدها ثم حذف زمن دون صفته فعاد الضمير المجرور
بعلی على غير مذکور فأني بالاسم الظاهر مكانه ، قاله ابن جني وتبعه ابن الحاجب ؛ فإن
قيل فيه حذف الموصوف مع أن الصفة غير مفردة وهو في مثل هذا ممتنع ، قلنا : في النثر
هذا شعر فيجوز فيه كقوله * أما ابن جلا وطلاع الثنايا * أي أنا ابن رجل جلا الأمور
وقوله .

* تَرَمِي بِكَفِّي كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرِ *

أي بكفي رجل كان والثالث : أنه خبر لمحدوف ، ومأسوف مصدر جاء على مفعول
كالعسور واليسور والمراد به اسم الفاعل والمعنى : أنا غير آسف على زمن هذه صفته ،
قاله ابن الخشاب ، وهو ظاهر التعسف .

* * *

وجاء في صفحة ٣٦٧ ج أول هذا البيت :

لَمْ يَكُ الْخَقُّ سِوَى أَنْ هَاجَهُ رَسْمُ دَارٍ قَدْ تَعَفَّى بِالسَّرَرِ
جاء في شرحه أنه للحسن بن عرفة وصوابه أنه لحسيل بن عرفة وجاء في شرحه
أيضاً هذا البيت هكذا :

بَآيَةَ مَا وَقَفْتَ وَالرَّكَّابِ وَبَيْنَ الْحُجُونَ وَبَيْنَ السَّرَرِ
وصوابه هكذا :

بَآيَةَ مَا وَقَفْتَ وَالرَّكَّابِ بَيْنَ الْحُجُونَ وَبَيْنَ السَّرَرِ
وإذن يجب أن ما يذكر في شرح البيت هو هذا : وبعده :

غَيْرَ الْجِدَّةِ مِنْ عِرْفَانِهِ خُرْقُ الرِّجْرِ وَطُوقَانُ الْمَطَرِ
والبيتان لشاعر جاهلي يسمى حسيل بن عرفة والمراد بالحق هنا الوجود بحسب
مقتضى الحكمة ، أي ليس يليق بالعاشق أن يهيج حزنه الرسم الدائر ، وهاج هنا متعب
بمعنى أثار ، والهاء مفعول مقدم ضمير العاشق في بيت قبل هذين وهو على حذف مضاف
أي هاج حزنه ووجده ، ورسم فاعل هاج وتعنى مبالغة عفا أي دثر ودرس ، والسرر
موضع والجدة : مصدر جد الشيء يجد جدة خلاف القديم ، والعرفان المعرفة ، وخرق

فاعل غير جمع خريق وهي الريح التي تتخرق في الجبال، وطوفان انظر كثرته . يقول
غيرت كثرة الريح والأمطار ما استجددناه من معرفتنا لهذا الرسم .

وجاء في صفحة ١٩ ج ثاني هذا البيت :

وقد أدركتني والحوادثُ جَمَّةٌ أَسِنَّةُ قَوْمٍ لَا ضِعَافَ وَلَا غُزْلَ
وقد قاتنا التعليق عليه كوكدنا في مثله ، وهذا هو التعليق الذي يحمل أن يوضع في
موضعه من هامش هاتيك الصفحة : « من أبيات قال ابن الأعرابي في أوراقه إنها لرجل
من بني دارم أسرته بنو عجل ، فلما أنشدهم إياها أطفقوه وقبله » :

وقائلة ما باله لا يزورنا وقد كنتُ عن تلك الزيارَةِ في شغلٍ
وبعده .

لعلهم أن يُمَطَّرُونِي بِنِعْمَةٍ كما صابَ ماءَ المِزْنِ في البِلَدِ الحِلِ
فقد يَنْعِشُ اللهُ الفتي بعدَ عَنَرَةٍ وَتَصْطَلِعُ الحُسْنَى سِرَّاءُ بَنِي مِجَلِ

وجاء في صفحة ١٠٠ ج ثان هذا البيت لعمر بن أبي ربيعة بدون شرح :

قلت إذ أَقْبَلْتُ وَزُهر تهادَى كِفِجاجِ الفِلا تَعْتَفَنَ رَمَلاً
وهذا هو شرحه الذي يجب أن يوضع على هامشه : « من كلمة له يقولها في حميدة
جارية ابن ماجة ومطلعها :

حَمَلِ القَلْبُ من حَمِيدَةٍ ثِقَلاً إِنْ في ذاكَ لِلْفِؤَادِ لَشَفَلاً
وبعد بيت الشاهد :

قد تَنْقَبَنَ بالحريرِ وأبدين عِيوناً حُورَ المِدامِجِ نَجَلاً
والزهر : جمع زهراء وهي البيضاء المشرقة ، وتهادى : أى يمشين مشياً رويداً
بسكون ، والتعاج : بقر الوحش ، شبه النساء بها في سكون المشى في الرمل ، وتعتفن :
ركبن ، وإذا مشت في الرمل كان أسكن لمشيتها لصعوبة المشى فيه والفلا : تروى « الملا »
هي الفلاة الواسعة .

وجاء في صفحة ٣٦٥ ج ثان هذا البيت :

يحسبه الجاهل ما لم يعلم شيخا على كرسية معمما
واليك شرحه الذى فانتا أن نضعه في مكانه حتى إذا قدر لهذا الديوان : أن يعادطبعه
وضع هذا الشرح في مكانه من هامش شرح الديوان : هذا البيت من قصيدة مرجزة
أوردها أبو محمد الأعرابي في ضالة الأديب - كما ذكره البغدادي في الخزانة - وأولها :
عَبَسِيَّةٌ لَمْ تَزَعْ قَفًّا أَدْرَمًا وَلَمْ تُعْجَمْ عُرْفُطًا مُعْجَمًا
كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا إِذَا هَمَى بَيْنَ أَكْفٍ الْحَالِيَيْنِ كَلَمًا
شَدَّ عَلَيْنِ الْبَنَانِ الْحُكْمَا سَحِيفُ أَفْعَى فِي خَشْيٍ أَغْشَمَا
وَقَدْ حَلَبْنَ حَيْثُ كَانَتْ قُيَمَا مَثْنَى الْوِطَابِ وَالْوِطَابِ الزُّمَمَا
وَقَمًا يَكْسَى مُمَالًا قَشَمًا يَحْسَبُهُ الْجَاهِلُ مَالَمَ يَعْلَمَا
شَيْخًا طَلَى كُرْسِيَّهُ مُعَمَّمَا لَوْ أَنَّهُ أَبَانٌ أَوْ تَكَلَّمَا
لَكَانَ إِيَّاهُ وَلَكِنْ أُعْجِمَا إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ

عبسية : أى لنا إبل عبسية : أى منسوبة إلى عبس أبى القبيلة ، ولم ترع ، من الرعى
والقف : ما ارتفع من الأرض وغلط ولم يبلغ أن يكون جبلا ، وقفا : مفعول ترع ،
والأدرم الذى لا نبات فيه ، ولم تعجم بالتشديد يريد لم تخضع والعرفط كقنفذ شجر من
أشجار البادية والمعجم المعضض ، وقوله كأن صوت شخبها الخ يصف حلب الناقة وشبه صوت
درتها بصوت أفاع في خشي ، والشخب مصدر شخب اللبن يشخب ويشخب إذا خرج
من الضرع ، وهى : سال ، وشد أى غنى وفاعله ضمير الشخب والبنان مفعوله على
تقدير اللام وضمير عليهن للأكف ، وسحيف أنمى : خبر كأن والسحيف الصوت
والأففى : الحية ، والخشى : اليابس والأعشم : الشجر اليابس ، وقيل جمع قائمة والقياس
قوم ، ومثنى الوطاب مفعول حلبن على حذف مضاف أى ملء مثنى الوطاب والمثنى هنا
بمعنى المكرره كقولهم مثنى الأيادى أى يعيد معروفه مرتين وثلاثا والوطاب جمع وطب
وهو سقاء اللبن خاصة . والزعم جمع زام من زم القرية ملاءها والقمع آلة تجعل في
فم السقاء ونحوه ويصب فيها اللبن ونحوه ، والثمال الرغوة ، وكل شئ يكون ضخما فهو
قشعم . وقوله يحسبه أى يحسب الثمال ، وما مصدرية ظرفية ، ويعلم بمعنى يعرف ويعوله
محذوف ضمير الثمال وشيخا مفعول ثان ليحسبه وما بعده صفتان له ، شبه الرغوة التى
تعلو القمع بشيخ معمم جالس على كرسى ، وهو تشبيه ظريف ، ولم يصب الأعلام الشنتمري

شارح شواهد سيديه في قوله : وصف جبلا قد عمه الحصب وحفه النبات وعلاه فجعله
كشيخ مزمل في ثيابه معصب بعمامته الخ ، فكأنه لم يقف على هذه الأبيات وقوله لو أنه
أبان أي لو أن ذلك الثمال الذي يشبه الشيخ أبان أي أفصح عما في نفسه لكان إياه
أي لكان الثمال ذلك الشيخ « انظر خزنة الأدب للبغدادي ج ٤ ص ٥٦٩ ط
أميرية » .

وجاء في صفحة ٢٨٧ ج ثان هذا البيت المشهور :

* * *

بَغَاثُ الطَّيْرِ أَكْثَرُهَا فَرَاخًا وَأُمُّ الصَّغْرِ مِثْلَاتُ زَوْرٍ
وقدل فائنا شرحه لشهرته . وهذا هو شرحه الذي يحمل أن يوضع في موضعه
« البغاث : كل طائر ليس من جوارح الطير ، وقال ابن سيده : بغاث الطير وبغاثها :
الائتمها وشرارها وما لا يصيد منها ، وقيل الأضعيف من الطير والمقلات : التي لا يعيش
لها ولد ، وقيل هي التي تلد واحدا ثم لا تلد بعد ذلك . يقال : أفلت المرأة إقلاتافى
مقلات ومقلات والاسم القلت ، وكذلك كل أنثى إذا لم يبق لها ولد ، والتزور : القليلة
الولد »

* * *

وجاء في صفحة ٢٩٥ ج ٢ ما يأتي :

« وأنشد الأخفش على هذه اللغة لشمر بن الحارث الضبي :

أَتَوْا نَارِي فَقُلْتُ مَنْوَنُ أَنْتُمْ فَقَالُوا الْجَنُّ قُلْتُ عِمَّوْا ظَلَامَا

..... إلى آخر الأبيات

وصواب اسم قائل هذه الأبيات « سمير بن الحارث الضبي » لا « شمر » ويوضع

في الشرح ما يأتي :

« وقيل قائل هذه الأبيات تأبط شراً ، وقيل للفرزدق وقيل شمر النساني وأول

هذه الأبيات :

وَنَارٍ قَدْ حَصَّاتُ بِعَيْدٍ وَهْنٍ بِدَارٍ لَا أُرِيدُ بِهَا مُقَامًا

سِوَى تَرْجِيلٍ رَاحِلَةٍ وَعَيْنٍ أَكَاثِمُهَا مَخَافَةٌ أَنْ تَنَامَا

أَتَوْا نَارِي الأبيات

وبعدها :

أَمِطْ عَنَّا الطَّعَامَ فَإِنَّ فِيهِ لَأَكْلَهُ النِّقَاصَةَ وَالسَّقَامَا
يصف قائلها نفسه بالجرأة واقتحام المهالك . يقول : رب نار قد حضأتها — أى
أوقدتها وسعرتها — وبعيد تصغير بعد ، والوهن والموهن : نحو من نصف الليل — أى أوقدتها
في جوف الليل في مفازة لا أريد إقامة بها سوى تجهيز ما يلزم لراحتي في السفر ولأجل
عين أكلها — أى أحافظها — فأنا أحفظها من النوم وهى تحفظني من العدو ،
ومنون أنتم : استفهام وكان حقه من أنتم ، وعموا ظلاما : أى تنعموا في وقت الظلام ،
وإلى الطعام : أى هلموا أو أقبلوا إليه ، وفينا : أى علينا ، وأمط عنا : أى أزله عنا ،
والنقاصة : مصدر كالنقص . وهذا كله من أكاذيب العرب .

وجاء في صفحة ٣٣٤ ج ثان هذا المصراع :

* لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ *

وقد فاتنا أن نعلق على هذا المصراع بما يأتي : « هذا المصراع من أبيات نسبت إلى
سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه » وهى :

مَجِيئُ الْجَارِعِ بَاكِ مُصَابُ بِأَهْلِ أَوْ حَبِيبِ ذِي الْكِتَابِ
شَقِيقِ الْيَتِيمِ دَاعِي الْوَيْلِ جَهْلًا كَأَنَّ الْمَوْتَ كَالشَّيْءِ الْمُعْجَابِ
وَسَوَّى اللَّهُ فِيهِ الْخَلْقَ حَتَّى نَبَى اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُحَابِ
لَهُ مَلَكٌ يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ
ريحاب أى محابى . يقال حاباه : أى خصه . قال البغدادى : ورأيت أيضاً في جمهرة
أشعار العرب لمحمد بن أبي الخطاب : قد روى أن بعض اللائكة قال :

لِدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ بِصِيرٍ إِلَى ذَهَابِ

وجاء في صفحة ٣٦٢ ج ثالث هذا البيت هكذا :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي نِسَاءِ يَتَعَاظِنَ الْوَرِقِ
وصحة البيت :

كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ أَيْدِي جَوَارِ يَتَعَاظِنَ الْوَرِقِ

ويزاد في شرحه مايلي : « وجوار : جمع جارية ، ويتعاطين : أى يناول بعضهم بعضا ، والورق : الدرهم ، وقال الشريف المرتضى في أماليه : القرق الحسن الذى فيه الحصى ، وشبهه حذف مناسمهم له بحذف جوار يلعبن بدرهم ، وخص الجوارى — الوليدات — لأنهن أخف يدا من النساء ، وقال آخرون : القرق هنا : للمستوى من الأرض الواسع وإنما خص بالوصف لأن أيدى الإبل إذا أسرعت فى المستوى فهو أحمد لها وإذا أبطأت فى غيره فهو أجهد لها والبيتان قال ابن رشيق إنهما لرؤية بن العجاج قال البغدادى : ولم أرهما فى ديوانه .
